



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للغلام



الرمضان
عليكم يا صابرين

WWW. **Ghaemiyeh** .com
WWW. **Ghaemiyeh** .org
WWW. **Ghaemiyeh** .net
WWW. **Ghaemiyeh** .ir

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
في تفسیر القرآن المجید
للشیخ محمد الکرزوری

جزء الخامس
دار المعارف للطبعات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الجدید فی تفسیر القرآن المجید

کاتب:

محمد بن حبیب اللہ سبزواری نجفی

نشرت فی الطباعة:

دار التعارف للمطبوعات

رقمی الناشر:

مركز القائمیة باصفهان للتحریات الكمبيوتریة

الفهرس

٥	الفهرس
١٦	الجديد فى تفسير القرآن المجيد المجلد ٥
١٦	اشاره
١٦	اشاره
٢٠	المقدمه
٢٢	سوره الحج
٢٢	اشاره
٢٢	سوره الحج (٢٢): الآيات ١ الى ٤
٢٥	سوره الحج (٢٢): الآيات ٥ الى ٧
٢٨	سوره الحج (٢٢): الآيات ٨ الى ١٠
٢٩	سوره الحج (٢٢): الآيات ١١ الى ١٣
٣٢	سوره الحج (٢٢): الآيات ١٤ الى ١٦
٣٣	سوره الحج (٢٢): الآيات ١٧ الى ١٨
٣٥	سوره الحج (٢٢): الآيات ١٩ الى ٢٥
٤٠	سوره الحج (٢٢): الآيات ٢٦ الى ٣١
٤٦	سوره الحج (٢٢): الآيات ٣٢ الى ٣٥
٤٧	سوره الحج (٢٢): الآيات ٣٦ الى ٣٧
٥٠	سوره الحج (٢٢): الآيات ٣٨ الى ٤١
٥٣	سوره الحج (٢٢): الآيات ٤٢ الى ٤٨
٥٧	سوره الحج (٢٢): الآيات ٤٩ الى ٥١
٥٨	سوره الحج (٢٢): الآيات ٥٢ الى ٥٥
٦٠	سوره الحج (٢٢): الآيات ٥٦ الى ٥٩
٦٢	سوره الحج (٢٢): الآيات ٦٠ الى ٦٢
٦٣	سوره الحج (٢٢): الآيات ٦٣ الى ٦٦

٦٥	سوره الحج (٢٢): الآيات ٦٧ الى ٧٠
٦٧	سوره الحج (٢٢): الآيات ٧١ الى ٧٢
٦٨	سوره الحج (٢٢): الآيات ٧٣ الى ٧٤
٦٩	سوره الحج (٢٢): الآيات ٧٥ الى ٧٦
٧٠	سوره الحج (٢٢): الآيات ٧٧ الى ٧٨
٧٣	سوره المؤمنون
٧٣	اشاره
٧٣	سوره المؤمنون (٢٣): الآيات ١ الى ١١
٧٦	سوره المؤمنون (٢٣): الآيات ١٢ الى ٢٢
٨٢	سوره المؤمنون (٢٣): الآيات ٢٣ الى ٣٠
٨٧	سوره المؤمنون (٢٣): الآيات ٣١ الى ٤١
٩٠	سوره المؤمنون (٢٣): الآيات ٤٢ الى ٤٥
٩١	سوره المؤمنون (٢٣): الآيات ٤٦ الى ٤٨
٩٢	سوره المؤمنون (٢٣): الآيات ٤٩ الى ٥٢
٩٤	سوره المؤمنون (٢٣): الآيات ٥٣ الى ٥٦
٩٥	سوره المؤمنون (٢٣): الآيات ٥٧ الى ٦٧
١٠٠	سوره المؤمنون (٢٣): الآيات ٦٨ الى ٧٢
١٠٢	سوره المؤمنون (٢٣): الآيات ٧٣ الى ٧٧
١٠٤	سوره المؤمنون (٢٣): الآيات ٧٨ الى ٨٣
١٠٦	سوره المؤمنون (٢٣): الآيات ٨٤ الى ٨٩
١٠٨	سوره المؤمنون (٢٣): الآيات ٩٠ الى ٩٢
١٠٩	سوره المؤمنون (٢٣): الآيات ٩٣ الى ٩٨
١١١	سوره المؤمنون (٢٣): الآيات ٩٩ الى ١٠٤
١١٥	سوره المؤمنون (٢٣): الآيات ١٠٥ الى ١١١
١١٦	سوره المؤمنون (٢٣): الآيات ١١٢ الى ١١٤
١١٨	سوره المؤمنون (٢٣): الآيات ١١٥ الى ١١٨

١٢١	سوره النور
١٢١	اشاره
١٢١	سوره النور (٢٤): الآيات ١ الى ٥
١٢٤	سوره النور (٢٤): الآيات ٦ الى ١٠
١٢٥	سوره النور (٢٤): الآيات ١١ الى ٢٠
١٣١	سوره النور (٢٤): الآيات ٢١ الى ٢٢
١٣٣	سوره النور (٢٤): الآيات ٢٣ الى ٢٦
١٣٥	سوره النور (٢٤): الآيات ٢٧ الى ٣١
١٤٣	سوره النور (٢٤): الآيات ٣٢ الى ٣٤
١٤٧	سوره النور (٢٤): الآيات ٣٥ الى ٣٨
١٥١	سوره النور (٢٤): الآيات ٣٩ الى ٤٠
١٥٢	سوره النور (٢٤): الآيات ٤١ الى ٤٦
١٥٦	سوره النور (٢٤): الآيات ٤٧ الى ٥٢
١٥٩	سوره النور (٢٤): الآيات ٥٣ الى ٥٤
١٦٠	سوره النور (٢٤): الآيات ٥٥ الى ٥٧
١٦١	سوره النور (٢٤): الآيات ٥٨ الى ٦٠
١٦٤	سوره النور (٢٤): الآيات ٦١ الى ٦٤
١٧٠	سوره الفرقان
١٧٠	اشاره
١٧٠	سوره الفرقان (٢٥): الآيات ١ الى ٣
١٧١	سوره الفرقان (٢٥): الآيات ٤ الى ٦
١٧٢	سوره الفرقان (٢٥): الآيات ٧ الى ١٠
١٧٥	سوره الفرقان (٢٥): الآيات ١١ الى ١٩
١٧٨	سوره الفرقان (٢٥): الآيات ٢٠ الى ٢٤
١٨١	سوره الفرقان (٢٥): الآيات ٢٥ الى ٣١
١٨٤	سوره الفرقان (٢٥): الآيات ٣٢ الى ٣٤

١٨٥	سوره الفرقان (٢٥): الآيات ٣٥ الى ٣٩
١٨٧	سوره الفرقان (٢٥): الآيات ٤٠ الى ٤٤
١٩٠	سوره الفرقان (٢٥): الآيات ٤٥ الى ٥٢
١٩٤	سوره الفرقان (٢٥): الآيات ٥٣ الى ٥٥
١٩٦	سوره الفرقان (٢٥): الآيات ٥٦ الى ٦٢
١٩٩	سوره الفرقان (٢٥): الآيات ٦٣ الى ٧٠
٢٠٣	سوره الفرقان (٢٥): الآيات ٧١ الى ٧٦
٢٠٦	سوره الفرقان (٢٥): آيه ٧٧
٢٠٨	سوره الشعراء
٢٠٨	اشاره
٢٠٨	سوره الشعراء (٢٦): الآيات ١ الى ٦
٢٠٩	سوره الشعراء (٢٦): الآيات ٧ الى ٩
٢١٢	سوره الشعراء (٢٦): الآيات ١٠ الى ١٤
٢١٣	سوره الشعراء (٢٦): الآيات ١٥ الى ١٧
٢١٤	سوره الشعراء (٢٦): الآيات ١٨ الى ٢٢
٢١٦	سوره الشعراء (٢٦): الآيات ٢٣ الى ٢٨
٢١٨	سوره الشعراء (٢٦): الآيات ٢٩ الى ٣٣
٢١٩	سوره الشعراء (٢٦): الآيات ٣٤ الى ٤٠
٢٢٢	سوره الشعراء (٢٦): الآيات ٤١ الى ٤٢
٢٢٣	سوره الشعراء (٢٦): الآيات ٤٣ الى ٤٨
٢٢٤	سوره الشعراء (٢٦): الآيات ٤٩ الى ٥١
٢٢٥	سوره الشعراء (٢٦): الآيات ٥٢ الى ٥٩
٢٢٨	سوره الشعراء (٢٦): الآيات ٦٠ الى ٦٨
٢٣٢	سوره الشعراء (٢٦): الآيات ٦٩ الى ٧٤
٢٣٣	سوره الشعراء (٢٦): الآيات ٧٥ الى ٨٢
٢٣٥	سوره الشعراء (٢٦): الآيات ٨٣ الى ٨٩

٢٣٧	سوره الشعراء (٢٦): الآيات ٩٠ الى ٩٥
٢٣٨	سوره الشعراء (٢٦): الآيات ٩٦ الى ١٠٤
٢٤٠	سوره الشعراء (٢٦): الآيات ١٠٥ الى ١١٠
٢٤١	سوره الشعراء (٢٦): الآيات ١١١ الى ١١٥
٢٤٢	سوره الشعراء (٢٦): الآيات ١١٦ الى ١٢٢
٢٤٣	سوره الشعراء (٢٦): الآيات ١٢٣ الى ١٣٥
٢٤٥	سوره الشعراء (٢٦): الآيات ١٣٦ الى ١٤٥
٢٤٦	سوره الشعراء (٢٦): الآيات ١٤٦ الى ١٥٢
٢٤٧	سوره الشعراء (٢٦): الآيات ١٥٣ الى ١٥٩
٢٤٨	سوره الشعراء (٢٦): الآيات ١٦٠ الى ١٧٥
٢٥٠	سوره الشعراء (٢٦): الآيات ١٧٦ الى ١٨٤
٢٥١	سوره الشعراء (٢٦): الآيات ١٨٥ الى ١٨٨
٢٥٢	سوره الشعراء (٢٦): الآيات ١٨٩ الى ١٩٦
٢٥٤	سوره الشعراء (٢٦): الآيات ١٩٧ الى ٢٠٣
٢٥٧	سوره الشعراء (٢٦): الآيات ٢٠٤ الى ٢١٣
٢٥٩	سوره الشعراء (٢٦): الآيات ٢١٤ الى ٢٢٠
٢٦٠	سوره الشعراء (٢٦): الآيات ٢٢١ الى ٢٢٣
٢٦١	سوره الشعراء (٢٦): الآيات ٢٢٤ الى ٢٢٧
٢٦٤	سوره النمل
٢٦٤	اشاره
٢٦٤	سوره النمل (٢٧): الآيات ١ الى ٦
٢٦٦	سوره النمل (٢٧): الآيات ٧ الى ١٢
٢٧٠	سوره النمل (٢٧): الآيات ١٣ الى ١٤
٢٧١	سوره النمل (٢٧): الآيات ١٥ الى ١٩
٢٧٥	سوره النمل (٢٧): الآيات ٢٠ الى ٢١
٢٧٨	سوره النمل (٢٧): الآيات ٢٢ الى ٢٦

٢٨٠	سوره النمل (٢٧): الآيات ٢٧ الى ٣١
٢٨٢	سوره النمل (٢٧): الآيات ٣٢ الى ٣٥
٢٨٤	سوره النمل (٢٧): الآيات ٣٦ الى ٣٧
٢٨٤	سوره النمل (٢٧): الآيات ٣٨ الى ٤١
٢٨٤	سوره النمل (٢٧): الآيات ٤٢ الى ٤٤
٢٨٨	سوره النمل (٢٧): الآيات ٤٥ الى ٤٧
٢٨٩	سوره النمل (٢٧): الآيات ٤٨ الى ٥٣
٢٩١	سوره النمل (٢٧): الآيات ٥٤ الى ٥٩
٢٩٤	سوره النمل (٢٧): الآيات ٦٠ الى ٦٨
٢٩٩	سوره النمل (٢٧): الآيات ٦٩ الى ٧٥
٣٠٢	سوره النمل (٢٧): الآيات ٧٦ الى ٨١
٣٠٣	سوره النمل (٢٧): الآيات ٨٢ الى ٨٦
٣٠٧	سوره النمل (٢٧): الآيات ٨٧ الى ٩٠
٣١٠	سوره النمل (٢٧): الآيات ٩١ الى ٩٣
٣١٢	سوره القصص
٣١٢	سوره القصص (٢٨): الآيات ١ الى ٦
٣١٦	سوره القصص (٢٨): الآيات ٧ الى ٩
٣٢٠	سوره القصص (٢٨): الآيات ١٠ الى ١٣
٣٢٣	سوره القصص (٢٨): الآيات ١٤ الى ١٧
٣٢٦	سوره القصص (٢٨): الآيات ١٨ الى ١٩
٣٢٧	سوره القصص (٢٨): الآيات ٢٠ الى ٢١
٣٢٨	سوره القصص (٢٨): الآيات ٢٢ الى ٢٥
٣٣١	سوره القصص (٢٨): الآيات ٢٦ الى ٢٨
٣٣٤	سوره القصص (٢٨): الآيات ٢٩ الى ٣٢
٣٣٧	سوره القصص (٢٨): الآيات ٣٣ الى ٣٥
٣٣٨	سوره القصص (٢٨): الآيات ٣٦ الى ٣٧

٣٤٠	سوره القصص (٢٨): الآيات ٣٨ الى ٤٢
٣٤٣	سوره القصص (٢٨): الآيات ٤٣ الى ٤٦
٣٤٦	سوره القصص (٢٨): الآيات ٤٧ الى ٥٠
٣٤٩	سوره القصص (٢٨): الآيات ٥١ الى ٥٥
٣٥١	سوره القصص (٢٨): الآيات ٥٦ الى ٥٧
٣٥٢	سوره القصص (٢٨): الآيات ٥٨ الى ٦١
٣٥٤	سوره القصص (٢٨): الآيات ٦٢ الى ٦٩
٣٥٩	سوره القصص (٢٨): الآيات ٧٠ الى ٧٣
٣٦٠	سوره القصص (٢٨): الآيات ٧٤ الى ٧٥
٣٦١	سوره القصص (٢٨): الآيات ٧٦ الى ٨٢
٣٦٦	سوره القصص (٢٨): الآيات ٨٣ الى ٨٤
٣٦٧	سوره القصص (٢٨): الآيات ٨٥ الى ٨٨
٣٧٠	سوره العنكبوت
٣٧٠	اشاره
٣٧٠	سوره العنكبوت (٢٩): الآيات ١ الى ٤
٣٧٢	سوره العنكبوت (٢٩): الآيات ٥ الى ٩
٣٧٣	سوره العنكبوت (٢٩): الآيات ١٠ الى ١١
٣٧٤	سوره العنكبوت (٢٩): الآيات ١٢ الى ١٣
٣٧٥	سوره العنكبوت (٢٩): الآيات ١٤ الى ١٥
٣٧٦	سوره العنكبوت (٢٩): الآيات ١٦ الى ١٨
٣٧٧	سوره العنكبوت (٢٩): الآيات ١٩ الى ٢٣
٣٧٩	سوره العنكبوت (٢٩): الآيات ٢٤ الى ٢٧
٣٨٥	سوره العنكبوت (٢٩): الآيات ٢٨ الى ٣٠
٣٨٦	سوره العنكبوت (٢٩): الآيات ٣١ الى ٣٢
٣٨٧	سوره العنكبوت (٢٩): الآيات ٣٣ الى ٣٥
٣٨٨	سوره العنكبوت (٢٩): الآيات ٣٦ الى ٣٧

- سوره العنكبوت (٢٩): الآيات ٣٨ الى ٤٠ ----- ٣٨٩
- سوره العنكبوت (٢٩): الآيات ٤١ الى ٤٣ ----- ٣٩٠
- سوره العنكبوت (٢٩): الآيات ٤٤ الى ٤٦ ----- ٣٩١
- سوره العنكبوت (٢٩): الآيات ٤٧ الى ٥٢ ----- ٣٩٤
- سوره العنكبوت (٢٩): الآيات ٥٣ الى ٥٥ ----- ٣٩٧
- سوره العنكبوت (٢٩): الآيات ٥٦ الى ٦٠ ----- ٣٩٩
- سوره العنكبوت (٢٩): الآيات ٦١ الى ٦٤ ----- ٤٠٢
- سوره العنكبوت (٢٩): الآيات ٦٥ الى ٦٩ ----- ٤٠٣
- سوره الزوم ----- ٤٠٦
- اشاره ----- ٤٠٦
- سوره الروم (٣٠): الآيات ١ الى ٧ ----- ٤٠٦
- سوره الروم (٣٠): الآيات ٨ الى ١٠ ----- ٤٠٨
- سوره الروم (٣٠): الآيات ١١ الى ١٦ ----- ٤١١
- سوره الروم (٣٠): الآيات ١٧ الى ١٩ ----- ٤١٥
- سوره الروم (٣٠): الآيات ٢٠ الى ٢٥ ----- ٤١٦
- سوره الروم (٣٠): الآيات ٢٦ الى ٢٩ ----- ٤٢٤
- سوره الروم (٣٠): الآيات ٣٠ الى ٣٢ ----- ٤٢٧
- سوره الروم (٣٠): الآيات ٣٣ الى ٣٦ ----- ٤٢٩
- سوره الروم (٣٠): الآيات ٣٧ الى ٣٩ ----- ٤٣١
- سوره الروم (٣٠): الآيات ٤٠ الى ٤٥ ----- ٤٣٢
- سوره الروم (٣٠): الآيات ٤٦ الى ٤٧ ----- ٤٣٦
- سوره الروم (٣٠): الآيات ٤٨ الى ٥١ ----- ٤٣٨
- سوره الروم (٣٠): الآيات ٥٢ الى ٥٣ ----- ٤٤٠
- سوره الروم (٣٠): الآيات ٥٤ الى ٥٧ ----- ٤٤١
- سوره الروم (٣٠): الآيات ٥٨ الى ٦٠ ----- ٤٤٤
- سوره لقمان ----- ٤٤٧

٤٤٧	اشاره
٤٤٧	سوره لقمان (٣١): الآيات ١ الى ٧
٤٤٩	سوره لقمان (٣١): الآيات ٨ الى ١١
٤٥١	سوره لقمان (٣١): الآيات ١٢ الى ١٥
٤٥٥	سوره لقمان (٣١): الآيات ١٦ الى ١٩
٤٥٩	سوره لقمان (٣١): الآيات ٢٠ الى ٢٤
٤٦٢	سوره لقمان (٣١): الآيات ٢٥ الى ٣٠
٤٦٥	سوره لقمان (٣١): الآيات ٣١ الى ٣٢
٤٦٦	سوره لقمان (٣١): الآيات ٣٣ الى ٣٤
٤٧٠	سوره السجده
٤٧٠	اشاره
٤٧٠	سوره السجده (٣٢): الآيات ١ الى ٣
٤٧١	سوره السجده (٣٢): الآيات ٤ الى ٩
٤٧٥	سوره السجده (٣٢): الآيات ١٠ الى ١٤
٤٧٧	سوره السجده (٣٢): الآيات ١٥ الى ١٧
٤٧٩	سوره السجده (٣٢): الآيات ١٨ الى ٢٢
٤٨١	سوره السجده (٣٢): الآيات ٢٣ الى ٢٥
٤٨٢	سوره السجده (٣٢): الآيات ٢٦ الى ٣٠
٤٨٥	سوره الأحزاب
٤٨٥	اشاره
٤٨٥	سوره الأحزاب (٣٣): الآيات ١ الى ٣
٤٨٧	سوره الأحزاب (٣٣): الآيات ٤ الى ٦
٤٩٠	سوره الأحزاب (٣٣): الآيات ٧ الى ٨
٤٩١	سوره الأحزاب (٣٣): الآيات ٩ الى ١١
٤٩٢	سوره الأحزاب (٣٣): الآيات ١٢ الى ١٧
٤٩٥	سوره الأحزاب (٣٣): الآيات ١٨ الى ٢٠

سوره الأحزاب (٣٣): الآيات ٢١ الى ٢٧	٤٩٧
سوره الأحزاب (٣٣): الآيات ٢٨ الى ٣١	٥٠٣
سوره الأحزاب (٣٣): الآيات ٣٢ الى ٣٥	٥٠٦
سوره الأحزاب (٣٣): الآيات ٣٦ الى ٤٠	٥٠٩
سوره الأحزاب (٣٣): الآيات ٤١ الى ٤٤	٥١٥
سوره الأحزاب (٣٣): الآيات ٤٥ الى ٤٩	٥١٧
سوره الأحزاب (٣٣): الآيات ٥٠ الى ٥٢	٥١٨
سوره الأحزاب (٣٣): الآيات ٥٣ الى ٥٦	٥٢٤
سوره الأحزاب (٣٣): الآيات ٥٧ الى ٥٨	٥٢٨
سوره الأحزاب (٣٣): الآيات ٥٩ الى ٦٢	٥٢٩
سوره الأحزاب (٣٣): الآيات ٦٣ الى ٦٨	٥٣٠
سوره الأحزاب (٣٣): الآيات ٦٩ الى ٧٣	٥٣٢
سوره سبأ	٥٣٥
اشاره	٥٣٥
سوره سبأ (٣٤): الآيات ١ الى ٢	٥٣٥
سوره سبأ (٣٤): الآيات ٣ الى ٦	٥٣٦
سوره سبأ (٣٤): الآيات ٧ الى ٩	٥٣٩
سوره سبأ (٣٤): الآيات ١٠ الى ١٤	٥٤١
سوره سبأ (٣٤): الآيات ١٥ الى ٢١	٥٤٧
سوره سبأ (٣٤): الآيات ٢٢ الى ٢٣	٥٥٢
سوره سبأ (٣٤): الآيات ٢٤ الى ٣٠	٥٥٤
سوره سبأ (٣٤): الآيات ٣١ الى ٣٤	٥٥٨
سوره سبأ (٣٤): الآيات ٣٥ الى ٣٩	٥٦١
سوره سبأ (٣٤): الآيات ٤٠ الى ٤٥	٥٦٤
سوره سبأ (٣٤): الآيات ٤٦ الى ٥٠	٥٦٧
سوره سبأ (٣٤): الآيات ٥١ الى ٥٤	٥٧٠

سوره فاطر ----- ٥٧٢

اشاره ----- ٥٧٢

سوره فاطر (٣٥): الآيات ١ الى ٢ ----- ٥٧٢

سوره فاطر (٣٥): الآيات ٣ الى ٧ ----- ٥٧٤

سوره فاطر (٣٥): الآيات ٨ الى ١١ ----- ٥٧٦

سوره فاطر (٣٥): الآيات ١٢ الى ١٤ ----- ٥٨٠

سوره فاطر (٣٥): الآيات ١٥ الى ١٨ ----- ٥٨٢

سوره فاطر (٣٥): الآيات ١٩ الى ٢٦ ----- ٥٨٥

سوره فاطر (٣٥): الآيات ٢٧ الى ٣١ ----- ٥٨٦

سوره فاطر (٣٥): الآيات ٣٢ الى ٣٧ ----- ٥٩٢

سوره فاطر (٣٥): الآيات ٣٨ الى ٤١ ----- ٥٩٧

سوره فاطر (٣٥): الآيات ٤٢ الى ٤٥ ----- ٦٠٠

تعريف مركز ----- ٦٠٥

الجديد في تفسير القرآن المجيد المجلد ٥

اشاره

سرشناسه : سبزواری، محمد

Sabzawari, Muhammad

عنوان و نام پديدآور : الجديد في تفسير القرآن المجيد/ تاليف محمد بن حبيب الله سبزواری نجفی

مشخصات نشر : دار التعارف للمطبوعات - بيروت.

مشخصات ظاهري : ج ٧

وضعيت فهرست نویسی : فهرست نویسی قبلي

یادداشت : عربي

شماره کتابشناسی ملی : ١٩٠٥١٣

ص: ١

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمه

الحمد لله رب العالمين، والصلاه على خاتم النبيين و سيد المرسلين، والسلام على أهل بيته المعصومين، وصحبه المنتجبين و التابعين لهم بإحسان، و رحمه الله و بركاته.

و بعد: فإن من توفيق الله لنا أن أنجزنا ما سبق من هذا التفسير المبسط في أجزاءه الأربعة السالفه، و أن منحنا القدره على الاستمرار في إكمال المهمه الشاقه التي لا نبتغى بها إلا رضوان الله تبارك و تعالى، و تيسير فهم كتابه الكريم الذي هو دستور المعاش و المعاد لسائر العباد، آملين منه التسديد في هذا العمل، راجين التجاوز عما يفرط منا من سهو أو خطأ أو هم أو نسيان، و مبتهلين إليه سبحانه أن ينتفع به العباد، و أن يتقبله منا زلفه لديه في يوم الجزاء، بحق خاتم الأنبياء و الساده الأوصياء صلوات الله و سلامه و بركاته عليه و عليهم، و هو ولي كل نعمه و صاحب كل منته.

المؤلف محمد السبزواری

مدنيہ إلا الآيات ٥٢ إلى ٥٤ و آياتها ٧٥ نزلت بعد التور.

سوره الحج (٢٢): الآيات ١ الى ٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (١) يَوْمَ تَرُؤْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَ تَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَ تَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَ مَا هُمْ بِسُكَارَى وَ لَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ (٢) وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَ يَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ (٣) كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَ يَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ (٤)

١- يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ (١)...افتتح الله سبحانه هذه السوره المباركه بتوجيه الخطاب للناس عامه رافه بهم و رحمه،فأندرهم قائلا:

اتَّقُوا رَبَّكُمُ (٢) تجنّبوا مخالفته الموصله لعذابه إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ (٣) أى ما يقع من الانزعاج و الأهوال و المخاوف عند قيام الساعه شَيْءٌ (٤) أمر

ص: ٧

١- سوره ٢٢ - آيه ١

٢- سوره ٢٢ - آيه ١

٣- سوره ٢٢ - آيه ١

٤- سوره ٢٢ - آيه ١

عَظِيمٌ (١) مهول مفزع. وقيل إن هذا الوصف يعنى أشرط الساعه التى تسبقها كطلوع الشمس من مغربها كما عن القمى، وكغيرها من الخوارق.

٢- يَوْمَ تَرَوْنَهَا-تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ (٢)...ذلك يوم القيامة بأهواله التى تَذْهَلُ (٣) تغفل وتلهى بها كُلُّ مُرْضِعَةٍ (٤) عن رضيعها لما تصاب به من الخوف فتضيع عنه ولا تذكره فتنساه وَ تَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا (٥) أى كل امرأ ماتت و هى حبلى، حين تفتيق على هذه الأهوال تسقط جنينها من الفزع والهلع وَ تَرَى النَّاسَ سُكَارَى (٦) تشاهدهم فى ذلك اليوم كالسكرانين الضائعين عَمَّا حولهم وَ مَا هُمْ بِسُكَارَى (٧) و ليسوا بسكرانيين بالحقيقه و لكن ظهروا كذلك من الخوف الذى لا يوصف وَ لَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ (٨) و الذى أحدث كل ذلك الدَّعْر بين المراضع و الحوامل و الناس، هو عذاب الله القوى العجيب الذى يبدو فى ذلك اليوم.

٣- وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ (٩)...نزلت هذه الآيه الكريمة فى النَّصْر بن الحارث الذى كان معاندا لدعوه الإسلام مجادلا- بالباطل يقول إن الملائكه بنات الله و القرآن أساطير الأولين، و ينكر البعث و الحساب، و هى تشمله و تشمل كل واحد من الناس يناقش فى الأمور التى يجهلها بلا برهان، فيخاصم الله جلت قدرته وَ يَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ (١٠) أى يقلد و يطيع كل متمرد على حرمان الله و.

فى الخبر أن المرید: الخبيث.

ففى الناس كثيرون يعصون الرحمن، و يطيعون الشيطان، و يجادلون دون برهان. و من حاله كذلك قال الله تعالى فيه:

٤- كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ... (١١) أى سجّل فى اللوح المحفوظ، أو فى علمه تعالى، أن من يتخذ الشيطان وليا و يحبه و يطيع و سوسته فأنه يُضِلُّهُ (١٢) يغويه و يصرفه عن طريق الحقّ وَ يَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ (١٣) و يدلّه على الطريق الموصله لعذاب جهنم و نارها المحرقه.

ص: ٨

١- سورة ٢٢ - آيه ١

٢- سورة ٢٢ - آيه ٢

٣- سورة ٢٢ - آيه ٢

٤- سورة ٢٢ - آيه ٢

٥- سورة ٢٢ - آيه ٢

٦- سورة ٢٢ - آيه ٢

٧- سورة ٢٢ - آيه ٢

٨- سورة ٢٢ - آيه ٢

٩- سورة ٢٢ - آيه ٣

۱۰- سوره ۲۲ - آیه ۳

۱۱- سوره ۲۲ - آیه ۴

۱۲- سوره ۲۲ - آیه ۴

۱۳- سوره ۲۲ - آیه ۴

يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تُّرَابٍ ثُمَّ مِّن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِّن عَلَقَةٍ ثُمَّ مِّن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقَرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِنَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مَن بَعِيدٍ عِلْمَ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (٥) ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٦) وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ (٧)

٥- يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ... (١) يقول سبحانه: أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ (٢) شكّ من البعث (٣) الرجوع أحياء يوم القيامة فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تُّرَابٍ (٤) فنحن أوجدناكم من التراب بالأصل.

و من قدر على أن يصير من التراب بشرا سويا حيا مفكرا في الابتداء، فإنه يقدر على أن يحيى العظام و يعيد الأجسام و يبعث الأموات، لأن هذا العمل أسهل من الخلق من العدم و من التراب الذى هو أصعب و أعظم. فنحن خلقناكم من تراب ثم من علقه (٥) قطعه من الدم جامده مكثله ثم من مضغه (٦) لحم كأنه ممضوغ معلوك مخلقه و غير مخلقه (٧) فى القمى أن المخلقه إذا صارت تامه، و أن غير المخلقه السقط، أى مصوره على خلقتها

ص: ٩

- ١- سوره ٢٢ - آيه ٥
- ٢- سوره ٢٢ - آيه ٥
- ٣- سوره ٢٢ - آيه ٥
- ٤- سوره ٢٢ - آيه ٥
- ٥- سوره ٢٢ - آيه ٥
- ٦- سوره ٢٢ - آيه ٥
- ٧- سوره ٢٢ - آيه ٥

التي جعلها الله لها، أو سقطا طرحه المرأه قبل تصويره حسب مشيئه الله تعالى، نفعل ذلك لِنُبَيِّنَ لَكُمْ (١) لنوضح و نظهر لكم بهذه التطورات و تلك الانتقالات و التبدلات على سبيل التدرج، قدرتنا و حكمتنا، و لتستدلوا على آيات خلقكم و إعجازه من المبدأ إلى المعاد. و فى حذف مفعول «نبين» إيماء إلى أن أفعاله هذه تتبين منها قدرته و حكمته و عظمته و ما لا يمكن أن يحاط به ليذكر وَ نُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ (٢) نبقى فى أرحام الأمهات ما نريد من الأجنه فلا تخرج أسقاطا قبل تمام تطورها إلى أجل مُسَمَّى (٣) إلى زمان معين هو وقت وضعه. و معلوم عنده تعالى أن أدنى زمان الوضع سته أشهر و

قد قال مولانا أمير المؤمنين أرواحنا فداه: لا تلد المرأه لأقل من سته أشهر، و أكثر زمان الوضع و أقصى حدّه تسعه أشهر،

و لا- يزيد لحظه و لو زاد ساعه لقتل أمه قبل أن يخرج كما عن الباقر عليه السلام أيضا ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً (٤) أى نخرجكم من بطون أمهاتكم صغاراً، و إنما وُحِدَ طِفْلاً (٥) و المراد به الجمع، لأنه بمعنى المصدر فيطلق على القليل و الكثير و يبين الحاله التى يكونون عليها، و ذلك كقولهم رجل عدل و رجال عدل، أو المراد: نخرج كل واحد منكم طفلاً ثُمَّ (٦) نرييكم شيئاً فشيئاً لَتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ (٧) لتصلوا إلى كمال قوتكم. و الأشد جمع شدّه، كالأنعام جمع نعمه. و هذه المرحله تكون من ثلاثين إلى أربعين سنه، أو قد يراد بها اللحم و مِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى (٨) يموت قبل الوصول إلى عمر البلوغ الطبيعى و مِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ (٩) أى إلى أسوأ العمر و أهونه عند أهله، و هى حال الهرم و الخرف. و إنما عبّر بأردل لأنّ الإنسان لا يرجو بعد ذلك صحه و لا قوه، و إنما يترقّب الموت و الفناء. و

قد قال الإمام الصادق عليه السلام: إذا بلغ العبد مائه سنه فذلك أردل العمر. و

عن على صلوات الله و سلامه عليه: أردل العمر خمس و سبعون سنه لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً (١٠) أى حينها يصاب بالخرف و يصبح كالطفل فى جميع أحواله و خصوصياته كما هو معروف.

هذه جهه استدلال بها سبحانه على قدرته على البعث بعد الموت. ثم

ص: ١٠

١- سورة ٢٢ - آيه ٥

٢- سورة ٢٢ - آيه ٥

٣- سورة ٢٢ - آيه ٥

٤- سورة ٢٢ - آيه ٥

٥- سورة ٢٢ - آيه ٥

٦- سورة ٢٢ - آيه ٥

٧- سورة ٢٢ - آيه ٥

٨- سورة ٢٢ - آيه ٥

٩- سورة ٢٢ - آيه ٥

أخذ بعدها بيان برهان آخر بقوله سبحانه: وَ تَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً (١) أى ساكنه ميتة يابسه دارسه، من همد الثوب: بلى فإذا أنزلنا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَرَّتْ (٢) فإذا أمطرناها بالماء تحركت بالنبات و اخضرت و رَبَّتْ (٣) نمت و انتفخت و لم تعد قاسيه جافه و أَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (٤) من كل صنف من الزرع و كل نوع من النباتات و الأشجار الحسنه ذات الرنق و البهجه. فالقادر على أحياء الأرض الميتة بالماء، قادر على إحياء الموتى و مستطيع لإعاده الأجسام بعد فنائها.

و بعد أن ذكر هذين الدليلين، رتب عليهما و قال سبحانه:

٦ و ٧- ذَلِكُمْ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ... (٥) أى ذلك المذكور من أحوال الإنسان و الأرض، كان بسبب أنه تعالى هو الثابت فى ذاته الذى به تتحقق الأشياء وَ أَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى (٦)

يعيدهم بقدرته الكامله. كما فى القمى عن الصادق عليه السلام وَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٧) لا يستعصى على قدرته شىء أرادَه وَ أَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ (٨) هى ساعه يوم القيامه جائيه لا ريب فيها (٩) بدون شكّ وَ أَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ (١٠) يحييهم و يعيدهم كما كانوا بدون أدنى عناء. و قيل إذا أراد الله أن يبعث الخلق أمطر السماء على الأرض أربعين صباحا فاجتمعت الأوصال و نبتت اللحوم.

سوره الحج (٢٢): الآيات ٨ الى ١٠

وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَ لَا هُدًى وَ لَا كِتَابٍ مُنِيرٍ (٨) ثانى عطفه ليضلل عن سبيل الله له فى الدنيا جزى و نديقه يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ (٩) ذلك بما قدمت يداك وَ أَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ (١٠)

٨ و ٩- وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ... (١١) أى و من الخلق من يناقش

ص: ١١

١- سوره ٢٢ - آيه ٥

٢- سوره ٢٢ - آيه ٥

٣- سوره ٢٢ - آيه ٥

٤- سوره ٢٢ - آيه ٥

٥- سوره ٢٢ - آيه ٦

٦- سوره ٢٢ - آيه ٦

٧- سوره ٢٢ - آيه ٦

٨- سوره ٢٢ - آيه ٧

٩- سوره ٢٢ - آيه ٧

١٠- سوره ٢٢ - آيه ٧

١١- سوره ٢٢ - آيه ٨

فى قدره الله جلت قدرته بغير علم (١) دون معرفه بقدرته، و عن جهل بعظمته و لا هدى (٢) و لا طريق هدى يسلكه فى مناقشته إذ يهرف بما لا يعرف و لم يتلق ذلك عن دليل و لا كتاب منير (٣) أى: ذى نور يهتدى به: أى ليس لديه حجه سمعيه جاءته من ناحيه الوحي، كما أنه لا- دلالة عقليه مع ذلك المجادل بدون علم عما يجادل فيه ثانى عطفه (٤) لا ويا عنقه معرضا عن الحق متكبرا معجبا بنفسه و بقلقه لسانه ليضلل عن سبيل الله (٥) ليصرف الناس عن طريق الحق التى سنّها الله تعالى لعباده. فهذا الجاهل له فى الدنيا خزى (٦) من حقه أن يكون فى الدنيا مبعدا منبوذا ملعونا و نذيقه (٧) نجعله يستطعم يوم القيامة عذاب الحريق (٨) حين يتلظى فى سقر و يذوق لفتح النار فى جهنم.

١٠- ذلك بما قدمت يداك... (٩) أى نقول له: بوءت بذلك الخزي و العذاب بما كسبت يداك أيها الكافر بنا. و الكلام على الالتفات من الغيبه إلى الخطاب ليكون التهديد أوقع و ليكون التخويف أزيد و أن الله ليس بظلام للعبيد (١٠) يجرى العبيد على قدر استحقاقهم و بحسب أعمالهم دون زياده أو نقصان. و إيراد صيغه المبالغه «ظلام» لعلها باعتبار كثره العبيد فإذا نسب إليهم يعد بعددهم، و قيل باعتبار صفات الحق تعالى على أبلغ الكمال، فبالالتزام كان مطلق الظلم منتفيا عنه سبحانه و تعالى.

سوره الحج (٢٢): الآيات ١١ الى ١٣

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَ إِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَ الآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ (١١) يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ (١٢) يَدْعُوا لِمَن ضُرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لَيْسَ الْمَوْلَى وَ لَيْسَ الْعَشِيرُ (١٣)

ص: ١٢

- ١- سوره ٢٢ - آيه ٨
- ٢- سوره ٢٢ - آيه ٨
- ٣- سوره ٢٢ - آيه ٨
- ٤- سوره ٢٢ - آيه ٩
- ٥- سوره ٢٢ - آيه ٩
- ٦- سوره ٢٢ - آيه ٩
- ٧- سوره ٢٢ - آيه ٩
- ٨- سوره ٢٢ - آيه ٩
- ٩- سوره ٢٢ - آيه ١٠
- ١٠- سوره ٢٢ - آيه ١٠

١١- وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ... (١) أى أن بعض الناس يعبدون الله عباده من يقف على حرف جبل أو شرفه يكاد يقع عنها لأقل دفع، وقد يتركها لأول أزمه يقع فيها، وقيل يعبده بلسانه دون قلبه، وقد قيل: السدين حرفان: الأول اللسان، والثاني القلب، فعبادته تعالى على حرف يعنى على غير ثبات و لا يقين، بل على شك و اضطراب فى الدين، حال فاعلها كحال القائم على حرف الجبل يكاد يقع، و

نقل أن يهوديًا أسلم و بعد مده قليله ابتلى بوجع العين بحيث صار نظره ضعيفا جدًا، فجاء إلى رسول الله صلى الله عليه و آله و قال: يا محمد أقلنى عن الإسلام فإنى تشأمت به إذ من أول يوم أسلمت فيه صرت مبتلى بالأمراض و الحوادث، فنزلت هذه الآيه الكريمة. فبين الناس من يعبد الله عباده على شفا جرف هار فإن أصابته خيئر اطمأنن به (٢) أى إذا أصابه عافيه أو مال أو رزق استقر و ثبت على الإسلام و على عباده الله و إن أصابته فتنة (٣) لحق به اختبار و امتحان بمرض أو خساره أو جذب أو نقصان مال أو عسر انقلب على وجهه (٤) رجع عن دينه إلى وجهه الذى أتى منه، أى الكفر، و خسرت الدنيا (٥) بارتداده و لم يعد له ما للمسلمين من النصر و الظفر و الخير و (٦) خسر الآخرة (٧) بحرمانه السعاده و بحبوط عمله ذلك (٨) الخسران هو الخسران المبين (٩) الواضح العظيم الذى لا خسران أسوأ منه و لا أقبح.

هذه واحده من نتائج عباده الله على حرف، و الأخرى قوله تعالى:

١٢- يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ... (١٠) أى يتخذ معبودا من دون الله كالوثن و الصنم الذى لا يضره إن شاء ضرره، كما أنه يسمى ربًا غيره سبحانه و (١١) يدعو ما لا ينفعه (١٢) إذا طلب منه نفعا لأنه لا يسمع و لا يعقل و لا يقدر على شىء البتة ذلك هو الضلال البعيد (١٣) ذلك الحال

ص: ١٣

- ١- سوره ٢٢ - آيه ١١
- ٢- سوره ٢٢ - آيه ١١
- ٣- سوره ٢٢ - آيه ١١
- ٤- سوره ٢٢ - آيه ١١
- ٥- سوره ٢٢ - آيه ١١
- ٦- سوره ٢٢ - آيه ١١
- ٧- سوره ٢٢ - آيه ١١
- ٨- سوره ٢٢ - آيه ١١
- ٩- سوره ٢٢ - آيه ١١
- ١٠- سوره ٢٢ - آيه ١٢
- ١١- سوره ٢٢ - آيه ١٢
- ١٢- سوره ٢٢ - آيه ١٢

الموصوف من شأنه، هو الكفر و الضياع عن الحق الذي يبعد في مدها كثيرا.

١٣- يَدْعُوا لِمَنْ ضَرُّهُ... (١) هو يدعو معبودا غير الله توجب عبادته الضرر لأنها تؤدي إلى عذاب الدارين: القتل في الدنيا بسيف الحق أو الأسر، و العذاب في الآخرة بدخول النار، فضرر ما يعبده أقرب له من نفعه لأنه لا يملك نفعا و لا يقدر عليه و لا شفاعة له عند الله إذا توسل به إليه لِبَيْتِ الْمَوْلَى وَ لِبَيْتِ الْعَشِيرِ (٢) أى ساء هذا الناصر الذي ولّاه أمره، و قبح هذا الصاحب و المعاشر الذي اختاره لنفسه. و المراد به الوثن و الصنم و ما شابههما من المعبودات من دون الله.

سوره الحج (٢٢): الآيات ١٤ الى ١٦

إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ (١٤) مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدَهُ مَا يَغِيظُ (١٥) وَ كَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَ أَنْ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ (١٦)

١٤- إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ... (٣) لَمَّا ذكر سبحانه حال و مآل المنكر و الشاك في الدين، ذكر ثواب المؤمنين على الإيمان و العمل الصالح فقال إنه تعالى يدخلهم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ (٤) فوجه الانصاف به لأن نزهه البستان بجريان الماء فيه. و أما المراد بكون الأنهار تحت البساتين فإنها مجاز في الحذف، و المراد مياه الأنهار حيث ان النهر ليس له جريان. و أما كونها تحتها الذي هو ضدّ الفوق فيمكن أن يكون باعتبار أن

ص: ١٤

١- سورة ٢٢ - آيه ١٣

٢- سورة ٢٢ - آيه ١٣

٣- سورة ٢٢ - آيه ١٤

٤- سورة ٢٢ - آيه ١٤

بساتين الجنة لعلها مشتمله على قصور و غرف يجرى الماء تحتها، أو المراد به هو الأسفليه فإن المياه جريانها نوعا يكون في الجداول و الأنهار و الصِّغار و هما أسفل من سطح البستان، و سطح البستان فوقهما. فيصدق أن المياه الجارية هي تحت البساتين بهذا الاعتبار فإن من على أعلى الجدار يصدق أنه فوق من في أسفله و هو تحت من في أعلاه إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ (١) يصنع ما يشاء.

١٥- مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ... (٢) الظن في كتاب الله على وجهين ظن يقين و ظن شك، و هذا ظن شك. قال من شك أن الله عز و جل لم ينصر رسوله في الدنيا و الآخرة، بإعلاء كلمته و إظهار دينه في الدنيا و إعلاء درجته و الانتقام ممن كذبه في الآخرة فليمدد بسبب إلى السماء (٣) أى فليجذب نفسه و يصعد بها بوسيله من الوسائل إلى السماء ثُمَّ لِيَقْطَعِ (٤) المسافه إليها فيجهد في دفع نصره إذا أراد الله نصره فليُنظِرْ (٥) أى فليتفكر هل يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ (٦) أى صنعه و حيلته، ذلك غيظه.

و الاستفهام إنكارى يعنى لا يتهيأ له الوسيله فلا يذهب صنعه ذلك، بغيظه لأن ذلك كان ممتنعا فكان غيظه عديم الفائدة.

١٦- وَ كَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ... (٧) أى كما أنزلنا تلك الآيات المذكوره أنزلنا القرآن بتمامه آيات بينات (٨) و اوضحات فى الأحكام و المواعظ و الأخبار حتى تتم الحججه على الناس وَ أَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ (٩) يوفق للهدى من يشاء.

سوره الحج (٢٢): الآيات ١٧ الى ١٨

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (١٧) أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ (١٨)

ص: ١٥

١- سوره ٢٢ - آيه ١٤

٢- سوره ٢٢ - آيه ١٥

٣- سوره ٢٢ - آيه ١٥

٤- سوره ٢٢ - آيه ١٥

٥- سوره ٢٢ - آيه ١٥

٦- سوره ٢٢ - آيه ١٥

٧- سوره ٢٢ - آيه ١٦

٨- سوره ٢٢ - آيه ١٦

٩- سوره ٢٢ - آيه ١٦

١٧- إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا... (١) أى أن المؤمنين بك و بالرّسل من قبلك، و الذين هادوا: صاروا يهودا و الصّابئين (٢) الذين يصبأون و ينتقلون من دين إلى دين آخر من ملل الكفر أو الذين يعبدون الكواكب و المّجوس (٣) الذين يعبدون النار و الَّذِينَ أَشْرَكُوا (٤) هم عبده الأصنام إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ (٥) يحكم فى أمرهم و يفرّق بحكومته بإظهار المحقّ منهم و المبطل و يجزى كل واحد على عمله يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٦) فهو مراقب لهم فى جميع أحوالهم و ناظر إلى أفعالهم و مطلع على كل شىء و كل ما يصدر عن مخلوقاته.

١٨- أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ... (٧) ألا تنظر إلى أن جميع مخلوقات الله فى السماوات و فى الأرض تسجد له؟ و السجود يستعمل على قسمين: إما بمعنى الخضوع و التذلل، و إما بمعنى الانقياد لقدرته و الخضوع لتدبيره و الاستكانه لما سخّره الله له. و على هذا فكلّ الموجودات تشترك و تدخل فى السجود له سبحانه، و ليس شىء إلا يسجد له تعالى. بيانه أن كلّ ما سوى الله مفتقر ممكن لذاته، و الممكن لذاته كما أن الإمكان لازم له حال حدوثه، فكذلك حال بقائه. و فى كلتا حالتيه هو مفتقر إلى الواجب لذاته. و هذا الافتقار الذاتى اللازم لماهيه الممكن أدلّ على الذلّه و الخضوع من وضع الجبهه على الأرض الذى نسّميه نحن سجودا لأن وضع الجبهه على الأرض علامه وضعيه للدلاله على الذلّه و الانقياد، و قد يتطرّق إليه الكذب بخلاف الافتقار الذاتى فيمتنع التغير و تطرّق الكذب إليه، فجميع الممكنات من الدرّه

ص: ١٦

١- سوره ٢٢ - آيه ١٧

٢- سوره ٢٢ - آيه ١٧

٣- سوره ٢٢ - آيه ١٧

٤- سوره ٢٢ - آيه ١٧

٥- سوره ٢٢ - آيه ١٧

٦- سوره ٢٢ - آيه ١٧

٧- سوره ٢٢ - آيه ١٨

إلى الذرّه ساجده و خاضعه و مبتهله إليه تعالى بهذا المعنى فثبت عموميه من (١) لذوى العقول و غيرهم. و قوله وَ الشَّمْسُ وَ القَمَرُ (٢) إلى قوله سبحانه وَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ (٣) بيان لهذا المجمل. أى من فى السّماوات و من فى الأرض. و القسم الثانى هو المعنى المتعارف و الكيفيه المعهوده أى وضع الجبهه على الأرض و هو خاصّ بالأصناف الثلاثة من الإنسان و الملائكه و الجنّ، فلا عموميه فى كلمه من (٤) لغير ذوى العقول، فذكر الشمس و القمر إلى قوله: و الدّواب، لبيان غير ذوى العقول. و رفعها إما لكونها مبتداء و خبرها: ينقادون لأمر خالقهم، و إما بتقدير: يسجد المقدّر بقرينه المذكور فى الكلام. غايه الأمر الأول بمعنى وضع الجبهه على وجه الأرض أو ما فى حكمها. و الثانى بمعنى الخضوع و التذلل التكوينى الذاتى الذى أشرنا إليه آنفاً وَ كَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ العَذَابُ (٥) أى من الناس بكفره لإبائه الانقياد و الطّاعه و السّجود وَ مَنْ يُهِنِ اللّهُ (٦) أى من يحتقره فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ (٧) لا يكرمه أحدٍ إِنَّ اللّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ (٨)

عن الصادق عليه السلام عن أبيه عن أمير المؤمنين عليهم السلام: أنه قيل له إن رجلاً يتكلم فى المشيئة فقال عليه السلام: ادعه لى. قال فدعى له فقال له: يا عبد الله خلقك الله لِمَا شاء أو لِمَا شئت؟ قال: لِمَا شاء. قال فيمرضك إذا شاء أو إذا شئت؟ قال: إذا شاء قال فيشفيك إذا شاء أو إذا شئت؟ قال: إذا شاء. قال فيدخل حيث يشاء أو حيث شئت؟ قال: حيث يشاء. قال فقال على عليه السلام لو قلت غير هذا لضربت الذى فيه عيناك.

سوره الحج (٢٢): الآيات ١٩ الى ٢٥

هذَانِ حَصِيْمَانِ اِخْتَصِمُوْا فِى رَبِّهِمْ فَالَّذِيْنَ كَفَرُوْا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّنْ نَّارٍ يُّصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُؤُسِهِمْ اَلْحَمِيْمُ (١٩) يُضِيْهُرُ بِهٖ مَا فِى بُطُوْنِهِمْ وَ الْجُلُوْدُ (٢٠) وَ لَهُمْ مَقَامِعٌ مِّنْ حَدِيْدٍ (٢١) كُلَّمَا اَرَادُوْا اَنْ يَّخْرُجُوْا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ اُعِيْدُوْا فِيْهَا وَ ذُوْقُوا عَذَابَ الْحَرِيْقِ (٢٢) اِنَّ اللّٰهَ يُدْخِلُ الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا وَ عَمِلُوْا الصّٰلِحٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِىْ مِنْ تَحْتِهَا الْاَنْهٰرُ يُحَلَّلُوْنَ فِيْهَا مِنْ اَسْوَرٍ مِّنْ ذَهَبٍ وَ لُوْلُوْا وَ لِبَاسٍ لَهُمْ فِيْهَا حَرِيْرٌ (٢٣) وَ هُدُوْا اِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَمُوْلِ وَ هُدُوْا اِلَى صِرٰطِ الْحَمِيْدِ (٢٤) اِنَّ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا وَ يَصِيْءُوْنَ عَيْنٍ سَبِيْلٍ اَللّٰهُ وَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِىْ جَعَلْنَاهُ لِلنّٰسِ سَوَآءً الْعٰكِفِ فِيْهِ وَ الْبٰدِ وَ مَنْ يُرِدْ فِيْهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابِ اَلِيْمٍ (٢٥)

ص: ١٧

١- سوره ٢٢ - آيه ١٨

٢- سوره ٢٢ - آيه ١٨

٣- سوره ٢٢ - آيه ١٨

٤- سوره ٢٢ - آيه ١٨

٥- سوره ٢٢ - آيه ١٨

٦- سوره ٢٢ - آيه ١٨

٧- سوره ٢٢ - آيه ١٨

٨- سوره ٢٢ - آيه ١٨

١٩- هَذَانِ خَصِيْمَانِ... (١) أى جمعان من المؤمنين و الكفار من أهل الملل الخمس المذكوره يعنى: اليهود و النصارى و الصابئين و المجوس و المشركين اِخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ (٢) أى المؤمنون على حده، و الكفار بأجمعهم على حده، تنازعوا و تجادلوا فى ذاته تعالى و صفاته. فالمؤمنون مثبتونهما له تعالى، و الكفرة نافونهما عنه سبحانه. و هذا الاختصام و التنازع لا يزال بينهما الى يوم لقاء الله فثمت ينقطع كما أشار اليه بقوله عزّ من قائل إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ (٣) و أشارها هنا بكيفيه التفصيل بقوله سبحانه: فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ (٤) أى فصّل لهم ألبسه نارٍه من جنس النار على قدر جثتهم الخبيثه. و قال ابو سعيد الخدرى:

ثياب من نحاس أذيب بالنار يلبسونها. كقوله تعالى سرايلهم من قطران و قيل إن المراد نيران تحيط بهم و تشملهم كالثياب يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُؤُسِهِمُ الْحَمِيمُ (٥) أى الماء المغلى، قيل لو تقطرت منه قطره على جبال الدنيا لأذابتها عن ابن عباس.

ص: ١٨

- ١- سوره ٢٢ - آيه ١٩
- ٢- سوره ٢٢ - آيه ١٩
- ٣- سوره ٢٢ - آيه ١٧
- ٤- سوره ٢٢ - آيه ١٩
- ٥- سوره ٢٢ - آيه ١٩

ثياب من نحاس أذيب بالنار يلبسونها. كقوله تعالى سرايلهم من قطران و قيل إن المراد نيران تحيط بهم و تشملهم كالثياب يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُؤُسِهِمُ الْحَمِيمِ (١) أى الماء المغلى، قيل لو تقطرت منه قطره على جبال الدنيا لأذابتها عن ابن عباس.

٢٠- يُصَهَّرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ (٢): أى يذاب به أحشائهم و أمعاؤهم وَ الْجُلُودُ (٣) كما يذاب به جلودهم كما فى قوله تعالى فى سورة محمّد:

و سقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم. فباطنهم كظاهرهم فى التأثير به.

٢١- وَ لَهُمْ مَقَامِعٌ مِنْ حَدِيدٍ (٤): أى السياط أو أعمده من حديد المقمعه ما يدق به و

عن النبىّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ أَنَّهُ قَالَ: لو وضعت مقمعه منها فى الأرض فاجتمع عليها الثقلان ما نقلوها و ما أفلعوها عن الأرض.

٢٢- كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا (٥): أى قاربوا الخروج من جهنم مِنْ غَمٍّ (٦) أى ألم العذاب أُعِيدُوا فِيهَا (٧) ضربا بتلك الأعمده و السياط وَ ذُوقُوا (٨) يقال لهم احتقارا: ذوقوا عذاب الحريق (٩) أى النار البالغه فى الإحراق غايته. و هذا العذاب الموصوف يكون لواحد من الخصمين، و هم الكفرة بأقسامهم. أما القسم الآخر، و هم المؤمنون ففيهم يقول سبحانه و تعالى:

٢٣- إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا... (١٠) أى كما أنه سبحانه يدخل الكافرين النار و يذيقهم العذاب الأليم لكفرهم، كذلك يدخل المؤمنين الجنة الوارفه الظلال الجاربه المياه العاليه القصور، و هم يُحَلَّوْنَ فِيهَا (١١) يلبسون فى الجنة حلتيًا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ (١٢) و هى ما يلبس فى اليد و مفردها سوار، و قال: من ذهب لبيّن جنس الأساور وَ (١٣) يحلون كذلك لؤلؤًا (١٤) من أنواع الجواهر وَ لِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ (١٥) يلبسون فى الجنة الديباج الخالص الجيد.

٢٤- وَ هُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ (١٦): أى كلمه الإخلاص و التوحيد أو قول: الحمد لله، أو القرآن أو إلى القول الذى يلتذونه و يشتهونه و تطيب به

ص: ١٩

١- سورة ٢٢ - آيه ١٩

٢- سورة ٢٢ - آيه ٢٠

٣- سورة ٢٢ - آيه ٢٠

٤- سورة ٢٢ - آيه ٢١

٥- سورة ٢٢ - آيه ٢٢

٦- سورة ٢٢ - آيه ٢٢

٧- سورة ٢٢ - آيه ٢٢

٨- سورة ٢٢ - آيه ٢٢

٩- سورة ٢٢ - آيه ٢٢

۱۰- سوره ۲۲ - آیه ۲۳

۱۱- سوره ۲۲ - آیه ۲۳

۱۲- سوره ۲۲ - آیه ۲۳

۱۳- سوره ۲۲ - آیه ۲۳

۱۴- سوره ۲۲ - آیه ۲۳

۱۵- سوره ۲۲ - آیه ۲۳

۱۶- سوره ۲۲ - آیه ۲۴

نفوسهم وَ هُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ (١) أى دين الله المحمود، أو طريق المحل المحمود و هو الجنة. و الحاصل أن الله تعالى أنعم على المؤمنين بأربعة أشياء أو خمسة: المسكن جنات تجرى الآيه، الثانى الحليه و الزينه يحلون فيها إلخ و الثالث اللباس: لباسهم فيها حرير و الرابع: الهدايه الى القول الطيب، الخامس: الهدايه إلى الجنة. و هذه أنعم النعم و أحسنها اللهم ارزقنا.

٢٥- إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا... (٢) ثم إنه تعالى بعد بيان حال الخصمين فى القيامه أخذ فى الإخبار عن صفات الكفره الذميمة بقوله يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ (٣) أى يمنعون الناس عن طاعه الله و عطف المضارع على الماضى للدلاله على الاستمرار، فالمعنى أنهم مستمرّون على الصّدّ لم يزلوا و لا يزالون مانعين عن طريق الحق، لا أن المراد به الحال فقط أو الاستقبال حتى لا يكون عطفه على الماضى غير مستحسن. و يحتمل كون الجملة حالا عن فاعل كفروا، و حذف خبرٍ إِنَّ (٤) لدلاله آخر الآيه عليه أى: معذبون. قال ابن عباس نزلت الآيه فى أبى سفيان بن حرب و أصحابه حين صدّوا رسول الله و أصحابه عام الحديبيّه عن المسجد الحرام و عن أن يحجّوا أو يعتمروا و ينحروا الهدى، فكره رسول الله صلى الله عليه و آله قتالهم و كان محرما بعمره. ثم صالحوه على أن يعود فى العام القابل و الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ (٥) عطف على سبيل الله أى عن المسجد الحرام الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً (٦) سواء بالرفع خبر مقدم الْعَاكِفُ فِيهِ وَ الْبَادِ (٧) أى المقيم فى مكّه و الغريب مساويان فى القبله أو فى الأيمن من القتل و الأسر. و عن ابن عباس و قتاده أن المراد بالسويّه فى السيكنى و التّزول فى منازل مكّه، و ليس لأحد من أهل مكّه أن يصدّ أو يمنع البعيد الذى خارج الحرم. نعم ليس للخارج أن يخرج من سبقه إلى مكان و منزل، فالسابق أحقّ به من غيره فمكّه بجميعها فى حكم المسجد. و المراد بالمسجد الحرام هو مكّه بتمامها كما فى قوله تعالى: أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ (٨)

ص: ٢٠

١- سورة ٢٢ - آيه ٢٤

٢- سورة ٢٢ - آيه ٢٥

٣- سورة ٢٢ - آيه ٢٥

٤- سورة ٢٢ - آيه ٢٥

٥- سورة ٢٢ - آيه ٢٥

٦- سورة ٢٢ - آيه ٢٥

٧- سورة ٢٢ - آيه ٢٥

٨- سورة ١٧ - آيه ١

و المراد هو مكة حيث إنه صَلَّى الله عليه و آله أسرى به من بيت زوجته خديجه عليها سلام الله أو من بيت أم هانى و لم يكن فى ليله الإسراء فى نفس المسجد. و الحاصل بمقتضى الآية الحاضر و المسافر متساويان فى مساكن مكة و منازلها و يجوز للحاج و المعتمر فى الموسم و غيره شرعا النزول فى كل مكان و منزل و مسكن و لو كان سكاكها غير راضين، نعم ليس للواردين إخراج أهل الدار عن دارهم، و المسألة محل خلاف و البحث عنها خارج عن موضوع كتابنا هذا و القدر المتيقن أن نفس المسجد الحرام يستوى فيه الحاضر و المسافر فى العبادات و المناسك كلها و ليس لأحد منهما أن يمنع الآخر فإنه حرام قطعاً نعم للسابق إلى مكان من المسجد أن يمنع اللاحق بالنسبة إلى ذلك المكان فقط، و لا يجوز لأحد أن يزاحمه فيه.

فى نهج البلاغه فى كتاب كتبه أمير المؤمنين إلى عامله على مكة قثم بن العباس بن عبد المطلب: و أمر أهل مكة أن لا يأخذوا من ساكن أجزا فإن الله سبحانه يقول: سواء العاكف فيه و البادى، و العاكف المقيم به، و البادى الذى يحج إليه من غير اهله و مَنْ يُرِدُّ فِيهِ بِالْحَادِ (١) أى عن العدول عن القصد بظلم (٢) أى بغير حق و هما (أى بالحاد و بظلم) حالان مترادفان و الباء فىهما للملابسة، و ترك مفعول يُرِدُّ (٣) للتعميم، أى: من يقصد أمرا فيه ملابسا للعدول عن القصد أى عن الحق إلى الباطل، و ملاصقا للظلم قيل هو الشرك و عباده غير الله فيه، و قيل كل شىء نهى عنه حتى شتم الخادم، و دخول مكة بغير إحرام المعروف أن فى غير مكة لا تكتب السيئه بمجرد قصدها ما دام لم تفعل بخلاف مكة فإن قصد السيئه خطيئه و تحسب إثما و لو لم تفعل، و هذا لغايه شرافتها و كمال حرمتها نُذِقُهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ (٤) جواب مَنْ (٥) و قد مر تفسيره.

سوره الحج (٢٢): الآيات ٢٦ إلى ٣١

وَ إِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِى شَيْئًا وَ طَهَّرْ بَيْتِىَ لِلطَّائِفِينَ وَ الْقَائِمِينَ وَ الرُّكَّعِ السُّجُودِ (٢٦) وَ أَدِّنْ فِى النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَ عَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (٢٧) لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَ يُذَكِّرُوا إِسْمَ اللَّهِ فِى أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَ اطْعَمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ (٢٨) ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَ لِيُوفُوا نُدُورَهُمْ وَ لِيُطَوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ (٢٩) ذَلِكُمْ وَ مَنْ يُعْظَمِ حُرْمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَ أُحِلَّتْ لَكُمْ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَ اجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ (٣٠) حُنْفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخَطَّفَهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوَى بِهِ الرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ (٣١)

ص: ٢١

١- سوره ٢٢ - آيه ٢٥

٢- سوره ٢٢ - آيه ٢٥

٣- سوره ٢٢ - آيه ٢٥

٤- سوره ٢٢ - آيه ٢٥

٥- سوره ٢٢ - آيه ٢٥

٢٦- وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ... (١) أى اذكر حيث أحلنا إبراهيم عليه السلام و أنزلناه، أو هديناه و أرشدناه إلى مكان البيت حتى يعمره و يبنيه و يرفع عليه الكعبه المقدسه، و جعلنا مكان البيت مسكنا له و منزلا أسكن فيه زوجته و ابنه. و بناء على هذا تكون اللام الجاره زائده، و مكان: ظرفاً، و لفظ: إبراهيم: مفعولاً به أن لا تُشْرِكْ بِى شَيْئاً (٢) أى

ص: ٢٢

١- سورة ٢٢ - آيه ٢٦

٢- سورة ٢٢ - آيه ٢٦

أوحينا إليه بأن لا يشرك بعبادتنا شيئاً وَ طَهَّرْ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَ الْقَائِمِينَ وَ الرُّكْعِ الشُّجُودِ (١) أى طَهَّرَهُ أَنْتَ وَ ابْنُكَ إِسْمَاعِيلَ مِنْ أَنْ يَدْنُسَهُ الشَّرْكَ، وَ الْجَمَلَةُ عَطْفٌ عَلَى جَمَلِهِ: أَنْ لَا تَشْرَكَ، فَطَهَّرْنَا بَيْتِي مِنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ:

٢٧- وَ أذُنٌ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ... (٢) أى نَادَ فِيهِمْ أَثْنَاءَ مَوْسَمِ الْحَجِّ وَ أَدْعَاهُمْ إِلَى الطَّوَافِ بِبَيْتِي وَ التَّعَبُّدِ فِيهِ وَ.

روى أنه صعد جبل أبي قبيس و قال: أيتها الناس حجوا بيت ربكم. و قيل إنه لما أمره الله تعالى بذلك قال: يا رب لا يصل ندائي إلى الناس جميعاً، فأجابه الله تعالى: عليك الأذان و علينا البلاغ. يَأْتُوكَ رِجَالًا (٣) أى مشاه جمع راجل كالقيام و الصيام جمع قائم و صائم، حال من فاعل يأتوك وَ عَلَى كُلِّ ضَامِرٍ (٤) الضامر الناقه المهزوله فى طريق الحج لبعده الطريق و إسراع السير و قله الأكل. أى يأتوك ركبانا على نوق ضامره مهزوله يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (٥) أى طريق بعيد، و الفج هو الطريق الواسع و ما هو عميق قعره، و تقديم رجال على الراكب لأفضلية المشى على الركوب و.

عن النبي صلى الله عليه و آله قال: للحجاج الراكب بكل خطوه تخطوها راحلته سبعون حسنه، و للحجاج الماشى بكل خطوه يخطوها سبعمائه حسنه من حسنات الحرم.

قيل: و ما حسنات الحرم؟ قال: الحسنه بمئه ألف، مروى عن ابن عباس عنه (ص).

٢٨- لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ... (٦) أى ليحضروا و يحصلوا فوائدهم التى أعدها الله لهم فى خصوص هذه المناسك و تلك العباده و لا تحصل و لا توجد فى غيرها. و تنكير المنافع إشاره إلى تعميمها للدينيه و هى أرباح التجاره، و للدينيه كالتشرف بحضره أئمه الهدى و أخذ مسائل دينهم و احكام الله عنهم عليهم السلام و استفاضتهم بعفوه تعالى و مغفرته و الوصول إلى الدرجات العاليه فى العقبى بفضله و عنايته وَ يَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ (٧) و اختلف فى هذا الذكر، قيل هو التليه حين الإحرام و بعده و التكبير و غيرهما من الأذكار، و قيل هى التسميه على ما يذبح أو ينحر لأن ذكر اسم الله على الذبائح

ص: ٢٣

١- سوره ٢٢ - آيه ٢٦

٢- سوره ٢٢ - آيه ٢٧

٣- سوره ٢٢ - آيه ٢٧

٤- سوره ٢٢ - آيه ٢٧

٥- سوره ٢٢ - آيه ٢٧

٦- سوره ٢٢ - آيه ٢٨

٧- سوره ٢٢ - آيه ٢٨

شعار المسلمين فى مقابل المشركين و عبده الأصنام فإن شعارهم تسميه الأصنام و الأوثان و غيرها من المعبودات الباطله. و يؤيد هذا تعلق على ما رزقهم من بهيمه الأنعام (١) بقوله تعالى يذكروا (٢) على ما هو الظاهر و القول الأول أعنى التكبير

مروى عن الصيادقين عليهما السلام قال: اسم الله هو التكبير عقيب خمس عشره صلاه أولها ظهر العيد بمنى و صوره التكبير مسطوره فى محلها من كتب الفقه. فى أيام معلومات (٣) قيل هى العشر الأول من ذى الحجه، و قيل هى أيام التشريق كما

عن الباقر عليه السلام ان الأيام المعلومات يوم النحر و الثلاثه بعده أيام التشريق، و الأيام المعدودات عشر ذى الحجه. و

فى روايه عن الصادق عليه السلام: المعلومات و المعدودات واحده، و هن أيام التشريق، و التحقيق فى التعيين موكول إلى كتب الفقه فكلوا منها و أطعموا البائس الفقير (٤) الأمر بالأكل لانهدام ما هو المرسوم عند المشركين من عدم أكل الذبيحه التى كانوا يذبحونها باسم الهتهم، فأمر الله تعالى أن يذكر على الذبائح اسمه و يأكلوا منها و يطعموا الفقراء و المساكين. و البائس أفقر من الفقير و أشد بؤسا، مشتق من البؤس بمعنى شدّه الحاجه و سوء الحاله.

٢٩- ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ... (٥) التفت الوسخ،

أى ليزيلوا وسخهم بتقليم الأظفار و قصّ الشوارب و حلق الرأس و إزالة الأوساخ عن الأبدان و طرح الإحرام كما هو المروى عن الرضا عليه السلام و لِيُؤْفُوا نُذُورَهُمْ (٦) أى ما نذروا من البرّ و الطاعات و لِيَطَّوْفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ (٧) أى القديم لأنه أول بيت وضع، أو الكريم. و

روى أنه المعتقد من الغرق و من تسلط الجابره.

روى عن سعيد بن جبير أن التبع توجه إلى مكه لتخريب البيت و لئى وصل الى غدير ابتلى بالفلج و كلما عالجه الأطباء ما أفاد عملهم إلا ازديادا فجاءه جماعه من أهل التوحيد و قالوا له: أيها الملك لهذا البيت ربّ و حرمة و كلّ من قصده بسوء فربّه يبتليه بلبته لا علاج لها فلو قصدت أن تمشى إلى مكه فاعزم بان لا تتعرض للبيت حتى يشفيك ربّه. فعزم أن لا يتعرض للبيت

ص: ٢٤

١- سوره ٢٢ - آيه ٢٨

٢- سوره ٢٢ - آيه ٢٨

٣- سوره ٢٢ - آيه ٢٨

٤- سوره ٢٢ - آيه ٢٨

٥- سوره ٢٢ - آيه ٢٩

٦- سوره ٢٢ - آيه ٢٩

٧- سوره ٢٢ - آيه ٢٩

فعافاه الله من مرضه فلما دخل مكة أمر أن يكسوا البيت بكسوه فاخره، و هو أوّل من كسا البيت الحرام و نحر ألف بعير و أعطى لأهل الحرم الصّلات و العطايا الكثيره الثمينه و سمّوا الموضع الذي نزل فيه مطابخ لكثره إطعامه.

٣٠- ذَلِكْ وَ مَنْ يُعْظَمَ حُرْمَاتِ اللَّهِ... (١) ذَلِكَ (٢) خبر للمبتدأ المحذوف، أى الأمر ذلك يعنى أمر الحج و المناسك تلك المذكورات كما فى قوله تعالى هذا و أنّ للطاغين لشر مآب و يسمونه و أمثاله الفاصل بين الكلامين فقوله وَ مَنْ يُعْظَمَ حُرْمَاتِ اللَّهِ (٣) أى أحكامه و ما لا يحلّ هتكه من جميع التكاليف أو ما يتعلق بالحج فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ (٤) أى تعظيمها خير له ثوابا وَ أَحَلَّتْ لَكُمْ الْأَنْعَامَ (٥) كلّها أكلًا إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ (٦) تحريمه فى قوله تعالى:

حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ (٧) الآيه ٣ من المائده فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ (٨) من:، بيانيه وَ اجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ (٩) أى الكذب أو شهاده الزور أو الغناء أو قول هذا حلال و هذا حرام من عند أنفسهم.

٣١- حُنْفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ... (١٠) حُنْفَاءَ (١١) أى موحدين له غَيْرَ مُشْرِكِينَ (١٢) به حالان من ضمير اجتنبوا.

عن الباقر سئل عن الحنفية فقال عليه السلام: هى الفطره التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله قال فطروهم الله على المعرفه وَ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ، فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ (١٣) أى فقد أهلك نفسه هلاك من سقط منها لأنه سقط من أوج الإيمان إلى حضيض الكفر فَتَحَطَّفَهُ الطَّيْرُ (١٤) أى تأخذه بسرعه كناية عن نفسه الأمّاره و أهوائه المرديه حيث ذهبت بعقله و أفكاره أَوْ تَهْوَى بِهِ الرِّيحُ فى مكانٍ سَاجِقٍ (١٥) أى تسقطه من مكان مرتفع الى موضع بعيد عميق جدا كناية عن أن الشيطان يطرحه فى الضلاله بحيث لا ينجيه أحد، و بحيث يهوى به إلى مهاوى الضلال و الكفر و الخسران.

ص: ٢٥

١- سورة ٢٢ - آيه ٣٠

٢- سورة ٢٢ - آيه ٣٠

٣- سورة ٢٢ - آيه ٣٠

٤- سورة ٢٢ - آيه ٣٠

٥- سورة ٢٢ - آيه ٣٠

٦- سورة ٢٢ - آيه ٣٠

٧- سورة ٥ - آيه ٣

٨- سورة ٢٢ - آيه ٣٠

٩- سورة ٢٢ - آيه ٣٠

١٠- سورة ٢٢ - آيه ٣١

١١- سورة ٢٢ - آيه ٣١

١٢- سورة ٢٢ - آيه ٣١

١٣- سورة ٢٢ - آيه ٣١

۱۴- سوره ۲۲- آیه ۳۱

۱۵- سوره ۲۲- آیه ۳۱

ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ (٣٢) لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَىٰ الْبَيْتِ الْعَتِيقِ (٣٣) وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِّيُذَكَّرُوا فِيهَا سَمَّ اللَّهُ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِلَهُكُمْ إِلَهُ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ (٣٤) الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣٥)

٣٢- ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ... (١) ذَلِكَ (٢) خبر لمبتدأ محذوف كما قلنا آنفا، أى الأمر ذلك وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ (٣) أى أعلام دينه و مناهجه فَإِنَّهَا (٤) أى تعظيمها مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ (٥) ناشئ من تقوى قلوبهم.

و فى القمى قال: تعظيم البدن و جودتها، فالمراد على هذا بشعائر الله هو مناسك الحج كما قيل، وقيل هى الهدايا. و هذا التفسير أنسب بقول القمى رحمه الله. و يؤيد التفسير الأخير قوله تعالى بعد ذلك:

٣٣- لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى... (٦)

عن الصادق فى هذه الآية قال: إن احتاج الى ظهرها ركبتها من غير أن يعنف عليها و إن كان لها لبن حلبها حلابا لا ينهكها أى لا يحلب جميع ما فيها من اللبن بحيث صار سببا لهزالها و ذهاب قوتها ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَىٰ الْبَيْتِ الْعَتِيقِ (٧) أى محلّ نحر الهدايا أو الاستفادة منها هو البيت أى: الكعبة يعنى منتهى الاستفادة من الهدايا بالركوب و الحلب هو وصولها إلى البيت فانها عنده تنحر أو تذبح و المراد ب (٨) عنده هو ما يقرب منه قيل هو الحرم كله، و عندنا أنه فى الحج، منى، و فى العمره المفردة مكة.

ص: ٢٦

- ١- سوره ٢٢ - آيه ٣٢
- ٢- سوره ٢٢ - آيه ٣٢
- ٣- سوره ٢٢ - آيه ٣٢
- ٤- سوره ٢٢ - آيه ٣٢
- ٥- سوره ٢٢ - آيه ٣٢
- ٦- سوره ٢٢ - آيه ٣٣
- ٧- سوره ٢٢ - آيه ٣٣
- ٨- سوره ٢٢ - آيه ٣٣

٣٤- وَ لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا... (١) أى لكل أهل دين جعلنا منسكا:

بالفتح قربانا أو ما يتعبد به و يتقرب به إليه تعالى، و بالكسر: مكان النسك و الفتح هو قراءه المشهور و أنسب بقوله لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ (٢) أى عند ذبحها و كلمه مِنْ (٣) بيانيه يعنى لا تذكروا على ذبائحكم غير اسمه تعالى فيفيد اختصاص القربان بها وَ بَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ (٤) من الخبت بمعنى الاطمئنان أى المطمئنين به تعالى و المتواضعين له و الخاشعين له.

٣٥- الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ... (٥) أى خافت من هيئته وَ الصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ (٦) أى من المصائب وَ الْمُقِيمِي الصَّلَاةِ (٧) فى أوقاتها يُنْفِقُونَ (٨) فى سبيل الخير و البرّ كل ذلك امتثالا لأمر ربهم ثم استأنف الكلام بذاك الذبائح فقال سبحانه:

سوره الحج (٢٢): الآيات ٣٦ الى ٣٧

وَ الْبَيْدَنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَ أَطْعَمُوا الْقَانِعَ وَ الْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٣٦) لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومُهَا وَ لَا دِمَاؤُهَا وَ لَكِنْ يَنَالُهُ اتَّقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَ بَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ (٣٧)

٣٦- وَ الْبَيْدَنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ... (٩) الْبَيْدَنَ (١٠) جاء مصدرا و جمعا لبدنه و هى الناقه أو البقره المسمّنه، سمّيت بذلك لعظم بدنهما و جثتهما و لكثرة اللحم و نصبها بفعل مقدر يدل عليه المذكور بعدها و معناه: جعلنا البدن لكم من

ص: ٢٧

- ١- سوره ٢٢ - آيه ٣٤
- ٢- سوره ٢٢ - آيه ٣٤
- ٣- سوره ٢٢ - آيه ٣٤
- ٤- سوره ٢٢ - آيه ٣٤
- ٥- سوره ٢٢ - آيه ٣٥
- ٦- سوره ٢٢ - آيه ٣٥
- ٧- سوره ٢٢ - آيه ٣٥
- ٨- سوره ٢٢ - آيه ٣٥
- ٩- سوره ٢٢ - آيه ٣٦
- ١٠- سوره ٢٢ - آيه ٣٦

أعلام ديننا و علائم مناسك الحج أى سوقها إلى البيت و تقليدها عباده الله و الإضافة لاسمه تعالى للتعظيم و التشريف لكم فيها خَيْرٌ (١) نفع ديني و دنيوي إسم الله عَلَيْهَا (٢) أى عند نحرها صَوَافً (٣) نصب على الحاليه عن الضمير الفاعل أى اذكروا اسم الله على البدن حال كونها صَافَات و منظمات و قوائمها مستويات و لعل الحكمة فى إصفاها بهذه الكيفيه ظهور كثرتها للناظرين فتتقوى النفوس و تشوق و يكون التقرب بنحرها عند ذلك مزيدا للأجر و تشويقا للنحر، و ظهورا لكثرة التكبير و إعلاء لاسم الله تعالى فَإِذَا وَجِبَتْ جُنُوبُهَا (٤) المراد من وجوب الجنوب سقوطها على الأرض و النكته فى هذا التعبير هو خروج تمام الروح منها من قوله وجب الحائط إذا سقط فَكُلُّوا مِنْهَا وَ أَطْعَمُوا الْقَانِعَ وَ الْمُعْتَرَّ (٥) القانع الذى يقنع بما يعطى، و المعتّر الذى يعترض بسؤال أو بدونه. و

عن الصادق عليه السلام: أطعم أهلک ثلثا و القانع ثلثا و المعتّر ثلثا كَذَلِكَ (٦) أى الأمر كما وصفنا لكم كيفيه النحر فى البدن سَخَّرْنَاكُمْ لَكُمْ (٧) مع ضخمة و قوتها فتقودونها و تحبسونها ثم تنحرونها و ليس ذلك إلا بتدليلنا إياها لكم لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٨) نعمنا و آلاءنا عليكم.

٣٧- لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومُهَا... (٩) أى لن تصعد إليه اللحوم و لا- الدماء المهرقه من حيث إنها لحوم و دماء وَ لَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ (١٠) أى يصعد إليه ما هو من لازم عملكم هذا و هو التقوى المكشوفه به الموجه لإخلاص العمل لله و قبوله من عبيده المتقين كَذَلِكَ سَخَّرَهَا (١١) تقدم ذكره، و التكرار ليعلم بقوله (لتكبروا الله إلخ) المراد على ما نقل هو التكبيرات المعروفه فى أَيَّام التشريق بمنى عقيب خمس عشره صلاه و فى الأمصار عقيب عشر على ما هُيْدَاكُمْ (١٢) أرشدكم الى طريق تسخيرها و كيفيه التقرب بها أو لأعلام دينه و مناسك حجه، لكن تفسير الأول مروى الْمُحْسِنِينَ (١٣) أى الموحدین الذين يعملون الحسنات و منها أنهم يحسنون إلى غيرهم.

ص: ٢٨

١- سورة ٢٢ - آيه ٣٦

٢- سورة ٢٢ - آيه ٣٦

٣- سورة ٢٢ - آيه ٣٦

٤- سورة ٢٢ - آيه ٣٦

٥- سورة ٢٢ - آيه ٣٦

٦- سورة ٢٢ - آيه ٣٦

٧- سورة ٢٢ - آيه ٣٦

٨- سورة ٢٢ - آيه ٣٦

٩- سورة ٢٢ - آيه ٣٧

١٠- سورة ٢٢ - آيه ٣٧

١١- سورة ٢٢ - آيه ٣٧

١٢- سورة ٢٢ - آيه ٣٧

إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ (٣٨) أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنفُسِهِمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (٣٩) الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَ لَوْلَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الصَّوَامِعُ وَ بِيَعُ وَ صَلَوَاتُ وَ مَسَاجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَ لَيُنصِرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (٤٠) الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَ آتَوْا الزَّكَاةَ وَ أَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَ نَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَ لِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ (٤١)

٣٨- إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا... (١) يدفع غائله المشركين عنهم و هذه الكريمة بيان لتبشير المجمل السابق بأنه تعالى يدفع الأذى عن المؤمنين المحسنين و ينصرهم عاجلا لقوله يدافع مكان يدفع، فإن إيراد يدافع للمبالغة في الدفع و الأنسب في المقام لمعنى المبالغة هو التعجيل فيه إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ (٢) فإنه تعالى أخبرهم بعدم حبه لهم و لأعمالهم فما لا يحبّه لا بدّ أن يدفعه و يرفعه عاجلا- عن قريب. و قد نقل أن كفار مكة كانوا لا- يزالون يؤذون المؤمنين بأقسام الأذى كما ذكر في أحوالهم في بدو الإسلام فجاءوا الى النبي (ص) يشتكون منهم و يستأذنون بقتالهم، فأجابهم صلوات الله عليه بأن الله لا يأذن لى بمقاتلتهم، و يأمركم بالصبر و يبشركم بالنصر فلما أمر صلى الله عليه و آله بالمهاجرة الى المدينة و تشرفت المدينة

ص: ٢٩

١- سوره ٢٢ - آيه ٣٨

٢- سوره ٢٢ - آيه ٣٨

بقدموه المبارك نزلت آية الاذن للجهاد و كانت أول آية أنزلها الله تعالى فيه هي هذه:

٣٩- أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ... (١) أى رخص للمؤمنين أن يقاتلوا المشركين بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا (٢) بسبب أنهم أصبحوا مظلومين بالضرب و الشج و نفى البلد و القتل و كسر الأعضاء و الجوارح، و

عن الصادق عليه السلام: إنما هو القائم إذا خرج يطلب دم الحسين و هو يقول نحن أولياء الدم و طلاب التره، و لا منافاه فإنها نزلت فى المهاجرين و جرت فى آل محمد صلوات الله عليهم.

٤٠- الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ... (٣) يعنى ما كان موجب لإخراجهم من مكه سوى التوحيد الملازم للإقرار بالربوبية.

قال الباقر عليه السلام نزلت فى المهاجرين و جرت فى آل محمد، أخرجوا من ديارهم و أخيفوا و لولا دفع الله الناس بعضهم ببعض (٤) أى بنصر المؤمنين على الكفار لهدمت (٥) بالتشديد و التخفيف صوامع (٦) جمع صومعه و هى معبد الزهبان و بيع (٧) جمع بيعه و هى الكنائس معابد النصارى و صيلمات (٨) أى كنائس اليهود جمع صلوه سميت بذلك إما لوقوع الصلاة فيها أو هى معرب ثلوثا كلمه عبرية بمعنى المصلى لا أنه جمع الصلاة و هذا أقرب بالمقام و مساجد (٩) و هى معابد المسلمين يُذكر فيها اسم الله كثيراً (١٠) صفه للأربع أو للمساجد فقط، خصت بها تشريفاً إن الله لقوى (١١) على النصر عزيز (١٢) لا يغلب بشيء و هو غالب على كل شيء.

٤١- الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ... (١٣) بدل من ينصره (١٤) أو وصف للذين أخرجوا.

قال الباقر عليه السلام: نحن هم. و معنى التمكّن فى الأرض هو إعطاء السلطان و القدره عليها أقاموا الصلاة (١٥) الآية هذه جواب الشرط و هو و جوابه صلّه للذين، و المعنى واضح و لله عاقبه الأمور (١٤) و هو يصرفها كيف شاء.

ص: ٣٠

١- سورة ٢٢ - آيه ٣٩

٢- سورة ٢٢ - آيه ٣٩

٣- سورة ٢٢ - آيه ٤٠

٤- سورة ٢٢ - آيه ٤٠

٥- سورة ٢٢ - آيه ٤٠

٦- سورة ٢٢ - آيه ٤٠

٧- سورة ٢٢ - آيه ٤٠

٨- سورة ٢٢ - آيه ٤٠

٩- سورة ٢٢ - آيه ٤٠

١٠- سورة ٢٢ - آيه ٤٠

۱۱- سوره ۲۲ - آیه ۴۰

۱۲- سوره ۲۲ - آیه ۴۰

۱۳- سوره ۲۲ - آیه ۴۱

۱۴- سوره ۲۲ - آیه ۴۰

۱۵- سوره ۲۲ - آیه ۴۱

۱۶- سوره ۲۲ - آیه ۴۱

وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودٌ (٤٢) وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ (٤٣) وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَى فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ (٤٤) فَكَأَيِّنْ مِنْ قَوْمٍ أُهْلِكْنَاها وَهِيَ ظَالِمَةٌ فِهي خَاوِيَةٌ عَلَي عُرُوشِها وَبِئْرٍ مُعَطَّلِها وَقَصْرٍ مَشِيدٍ (٤٥) أَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِها أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِها فَإِنها لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ (٤٦) وَبَشِّرِ الْمُجْرِمِينَ بِالْعَذَابِ وَ لَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ (٤٧) وَكَأَيِّنْ مِنْ قَوْمٍ أَمَلَيْتُ لَها وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُها وَإِلَي الْمَصِيرِ (٤٨)

٤٢ إلى ٤٤- وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ... (١) هذه الآيات الكريمت تسليه للنبى (ص) بأن تكذيبك قومك فى أمر الرساله ليس بأمر بديع و شىء حديث بل الأنبياء السابقون عليك طرا مرميون بتكذيب قومهم. فالله تعالى من باب المثل ذكر بعض المشاهير منهم صلوات الله عليهم أجمعين وَ كُذِّبَ مُوسَى (٢) تغيير النظم و إيراد الفعل مجهولا للإشاره بأن المكذبين لموسى ما كانوا من قومه فان قومه هم بنو إسرائيل و أنهم كانوا من المؤمنين به و المصدقين له و أنّ المكذبين له هم القبطيون، و للإشعار بأنّ تكذيب موسى عليه السلام كان أشنع حيث إن معاجزه كانت أعظم و أبين فتكذيبه كتكذيب من ادعى النهار و الشمس فى رابعته فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ (٣) أى

ص: ٣١

١- سوره ٢٢ - آيه ٤٢

٢- سوره ٢٢ - آيه ٤٤

٣- سوره ٢٢ - آيه ٤٤

أمهلتهم إلى أن صرمت آجالهم المقدره فكيف كان نكير (١) أى إنكارى عليهم بالانتقام منهم فى الدنيا والآخرة. أما فى الدنيا فتغيير النعمة محنه و نومه و الحياه هلاكا و العماره خرابا، و أما فى الآخرة فمصيرهم إلى النار و بس المصير.

ثم انه تعالى أخذ فى بيان كيفية هلاكهم و عقوباتهم بقوله عزّ و جلّ:

٤٥- فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَ هِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا... (٢)

أى ساقطه حيطانها على سقوفها بعد وقوعها أولا على وجه الأرض مأخوذ من خوى النجم إذا سقط، و عرش البيت هو سقفه و بئرٍ مُعْطَلَةٌ (٣) أى متروكه بموت أهلها و

فى تفسير أهل البيت فى قوله: و بئرٍ مُعْطَلَةٌ أى: و كم من عالم لا يرجع إليه و لا ينتفع بعلمه. و

عن الكاظم عليه السلام: البئر المعطلة الإمام الصّامت و قصرٍ مشيدٍ (٤) الامام الناطق. و إنما كنى عن الإمام الصّامت بالبئر لأنه منع العلم الذى هو سبب حياه الأرواح مع خفائه إلا على من أتاه، كما أن البئر منبع الماء الذى هو سبب حياه الأبدان مع خفائها إلا على من أتاه، و كنى عن صمته بالتعطيل لعدم الانتفاع بعلمه، و كنى عن الإمام الناطق بقصر مشيد لظهوره و علو منصبه و إشاده ذكره، و رفيع منصبه.

٤٦- أَ فَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ؟... (٥) هذه حثّ لهم على أن يسافروا ليروا مصارع المهلكين فيعتبروا. و

فى الخصال عن الصّادق عليه السلام معناه: أ و لم ينظروا فى القرآن فتكون لهم قلوبٌ يعقلون بها (٦) أى ما يجب ان يعقل أو آذانٌ يسمعون بها (٧) أى ما يجب أن يسمع فإنها لا تعمى الأبصار و لكن تعمى القلوب التى فى الصدور (٨) الضمير فى قوله فإنها مبهم يفسره الأبصار، و تقدير الكلام ان الأبصار لا تعمى لأنه ليس فى مشاعرهم خلل و لا عيب، و لكن تعمى القلوب عن مشاهده العبر و قوله:

التى فى الصدور، للمبالغه و التأكيد كقوله: يطير بجناحيه، و يقولون بأفواههم و لنفى التجوز فى القلب حيث إنها تستعمل مجازا فى بعض المعانى كما يقال قلب النخل و قلب الشتاء و قلب الأسد أى شهر الأسد، فإن المراد

ص: ٣٢

١- سورة ٢٢ - آيه ٤٤

٢- سورة ٢٢ - آيه ٤٥

٣- سورة ٢٢ - آيه ٤٥

٤- سورة ٢٢ - آيه ٤٥

٥- سورة ٢٢ - آيه ٤٦

٦- سورة ٢٢ - آيه ٤٦

٧- سوره ٢٢ - آيه ٤٦

٨- سوره ٢٢ - آيه ٤٦

بالقلب فى هذه الموارد هو وسطها لا- معناه الحقيقى. و الحاصل فى إن إدراك الأمور النظرية و المعانى هو وظيفه القلب و مشاهداتها به و لكن إذا اتبعت قلوبهم الهوى و انهمكت فى التقليد فلا تدرك شيئاً و لا تعقل ما يجب أن تعقله. فنسبه العمى إلى القلب حقيقة و ليس بمجاز فى شىء. و عن السجاد عليه السلام أن للبعد أربع أعين عينين يبصر بهما أمر دينه و دنياه و عينين يبصر بهما أمر آخرته، فإذا أراد الله بعبده خيراً فتح له العينين اللتين فى قلبه فأبصر بهما الغيب و أمر آخرته، و إذا أراد الله به غير ذلك ترك القلب بما فيه.

٤٧- وَ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ... (١) الموعود به، و لا يخفى أن استعجالهم كان استهزاء برسول الله صلى الله عليه و آله، فإنهم لا يعتقدون برسالته و لا يعتقدون بقوله فكيف يحمل الاستعجال على حقيقته و هو فرع العقيدة، و معها لا يتصور إلا من المجنون أو من فى حكمه و لَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ (٢) و او حالته، أى هؤلاء المشركون يستهزئون باستعجال العذاب و الحال أنه تعالى يمنع أن يخلف فى وعده و إنجازه، و وعده تعالى بإنزال العذاب كان يوم بدر حيث إنهم فى ذلك اليوم فرّق جمعهم و شتّت شملهم و قتلوا من أولهم إلى آخرهم إلا- القليل منهم بين أسر و فكّ بضرب الجزية مع منّ عليهم. هذا بالإضافة إلى عذابهم الدنيوى مضافاً إلى فتح مكة و خذلانهم فى ذلك اليوم المبارك الذى استعبدهم النبى صلوات الله عليه و آله ثم أطلقهم

بقوله: أنتم الطلقاء، و هذا غاية الذل و نهاية الخذلان و أمّا الوعد بالنسبة إلى عذابهم فى الاخرى فهذا ما أشار إليه تعالى بقوله:

وَ إِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ (٣) أى يوماً من أيام العذاب فى الآخرة كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ (٤) ممّا تحسبون فى الدنيا.

٤٨- وَ كَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أُمَلِّتُ لَهَا... (٥) أى كم من قرية، يعنى و هذه الحال كحال أى قرية أمهلتها كما أمهلتهم الآن وَ هِيَ ظَالِمَةٌ (٦) مثلكم أيها الكفار من قريش و غيرها ثُمَّ أَخَذْنَاهَا (٧) بالعذاب و الاستئصال

ص: ٣٣

١- سورة ٢٢ - آيه ٤٧

٢- سورة ٢٢ - آيه ٤٧

٣- سورة ٢٢ - آيه ٤٧

٤- سورة ٢٢ - آيه ٤٧

٥- سورة ٢٢ - آيه ٤٨

٦- سورة ٢٢ - آيه ٤٨

٧- سورة ٢٢ - آيه ٤٨

وَإِلَى الْمَصِيرِ (١) مرجع الجميع فإنهم يعودون إلى لأحسابهم على أعمالهم الخيره و الشريره.

سوره الحج (٢٢): الآيات ٤٩ الى ٥١

قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٤٩) فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٥٠) وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (٥١)

٤٩- قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ... (٢) قل يا محمد للناس بعد تذكيرهم بهذه الأمور التي يجب أن يتفكروا بها و يعقلوها: أنا نذير لكم و مخوف من عذاب الله في الدنيا و الآخرة، و أنا مبين لكم ما تصير إليه حالكم إذا أمعنتم في العناد و الكفر، و أنا نذير للمؤمنين أيضا و لسائر الناس و إليكم تفصيل حالكم جميعا أيها الناس:

٥٠- فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ... (٣) أمّا المؤمنون الذين التزموا بأوامرنا و ناهينا و قاموا بالأعمال الصالحة الحسنه، فأولئك لهم مغفرة (٤) أعددنا لهم عفوا عن صغار ذنوبهم و (٥) لهم منا أيضا رزق كريم (٦) و هو نعيم الجنة و رزقها الكثير السخي فإنه نعيم في أكرم دار و الكريم من كل نوع ما يجمع جميع فضائل الكرم.

٥١- وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ... (٧) أى الذين عملوا على إبطال آياتنا فردوا القرآن و اعتبروه باطلا- غير منزل من السماء. و المعاجزون هم المسابقون لنا الظانون أنهم يفوتوننا أو يخرجون من قبضتنا أو يتم كيدهم.

و هى من: عاجزه، إذا سابقه، لأن المتسابقين يطلب كل منهم إعجاز الآخر عن اللحاق به. ف أولئك (٨) المعاجزون الساعون فى إبطال آياتنا هم

ص: ٣٤

- ١- سوره ٢٢ - آيه ٤٨
- ٢- سوره ٢٢ - آيه ٤٩
- ٣- سوره ٢٢ - آيه ٥٠
- ٤- سوره ٢٢ - آيه ٥٠
- ٥- سوره ٢٢ - آيه ٥٠
- ٦- سوره ٢٢ - آيه ٥٠
- ٧- سوره ٢٢ - آيه ٥١
- ٨- سوره ٢٢ - آيه ٥١

أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (١) هم أهل أسفل درجات جهنم و أشدها إحراقا، فنعوذ بالله من عذاب الجحيم الشديد...

سوره الحج (٢٢): الآيات ٥٢ الى ٥٥

وَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَ لَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٥٢) لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَ الْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ (٥٣) وَ لِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَ إِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٥٤) وَ لَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَقِيمٍ (٥٥)

٥٢- وَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ... (٢) أى لم نرسل قبلك من رسول وَ لَا نَبِيٍّ (٣) كائنا من كان منهم إِلَّا إِذَا تَمَنَّى (٤) تلا ما أوحينا به إليه أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ (٥) أدخل في تلاوته ما يوهم أنه من جملة الوحي فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ (٦) أى يرفع ما يلقيه و يزيل ما يدخله في محكم قوله و في آيات كتابه ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ (٧) يشبثها و يقرها كما نزلت من عنده لا تزيد حرفا و لا تنقص حرفا و يجعلها مقبولة عند من سبقت لهم الحسنی منه عزّ و علا. و قيل إنه صلى الله عليه و آله كان يقرأ:

ص: ٣٥

١- سورة ٢٢ - آیه ٥١

٢- سورة ٢٢ - آیه ٥٢

٣- سورة ٢٢ - آیه ٥٢

٤- سورة ٢٢ - آیه ٥٢

٥- سورة ٢٢ - آیه ٥٢

٦- سورة ٢٢ - آیه ٥٢

٧- سورة ٢٢ - آیه ٥٢

و النجم إذا هوى، فلما بلغ قوله تعالى: وَ مَنَاهَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى (١)، سكت. فقرأ الشيطان: «تلك الغرائق العلى، وإن شفاعتهن لترجى» فوقع عند بعضهم أنه صلى الله عليه و آله قرأ ذلك، و كان الشيطان فى ذلك الحين يتكلم و يسمع كلامه الحاضرون فى المسجد دون أن يروه.

و يمكن أن يكون التمنى على ظاهره، أى: و ما من رسول و لا- نبى إلا- إذا تمنى لأُمَّته الإيمان، ألقى الشيطان فى طريق أميته العثرات و أقام بينه و بين مقصده العقبات، فينسخ الله ما يلقي الشيطان من الموانع و العوائق التى يبثها فى قلوب أوليائه، ثم يحكم الله آياته بأن يجعلها ثابتة و متقبلة لدى المؤمنين؛ و لعل هذا الوجه أوجه و الله العالم.

و نرجع فنقول: إنما سميت التلاوة أميته لأن القارئ إذا قرأ فانتهى إلى آخر آيه رحمه تمنى أن يرحمه الله تعالى، و إذا انتهى إلى آخر آيه عذاب تمنى أن يوقاه و دعا الله أن ينجيه منه. و الحاصل أنه سبحانه ينسخ ما يلقي الشيطان أثناء التلاوة و يبطله و يزيله بعصمته و هدايته إلى ما هو الحق، ثم يحكم آياته فىثبت دلائله الداعية إلى مخالفه الشيطان اللعين وَ اللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٢) عالم بما يجرى غايه العلم، حكيم فيما يقضى بأعظم الحكمه.

أما إلقاء الشيطان فى الأميات فهو:

٥٣- لِيَجْعَلَ مَا يُلْقَى الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ... (٣) أى ليصير إلقاء الشيطان امتحانا و اختبارا لمرضى القلوب و مزعزعى العقيدة وَ الْقَاسِيَةَ قُلُوبُهُمْ (٤) المتحجره التى لا- يلجها ذكر الله تعالى. و هذه الآيه الكريمة تبين عله تمكين الله تعالى للشيطان بأن يلقي فى وقت تلاوه الرسل و الأنبياء ما يشبه الذى نزل من عنده، و هو ليس من عنده، فيقع فى القلوب المتردده الشاكه لدى المنافقين. و عبارته: و القاسيه قلوبهم عطف على الموصول، و هم الكفره. فحاصل الكريمة أن عله التمكين من الإلقاء هى لمزيد كفر الكفره و نفاق المنافقين المعاندين لعدم تأملهم و تفكرهم فى الفرق

ص: ٣٦

١- سورة ٥٣ - آيه ٢٠

٢- سورة ٢٢ - آيه ٥٢

٣- سورة ٢٢ - آيه ٥٣

٤- سورة ٢٢ - آيه ٥٣

بين الحق والباطل، أى بين ما جاء به النبى من عند رب العالمين، وما هو من عند الشيطان الرجيم، فظلموا أنفسهم وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ (١) لفى خلاف بعيد عن الحق والحقيقه، أو عن الرسول وبيعته، لفرط عنادهم وكثره جحودهم.

و الوجه الآخر فى تمكين الشيطان من الإلقاء هو:

٥٤- وَ لِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ... (٢) أى ليعرف و يعتقد الذين منحوا العلم و المعرفة بتوحيد الله و بمنهج الحق و طريق الصواب، أن هذا الذى يجىء من عند الله هو الحق مِنْ رَبِّكَ (٣) يا محمد، لا من الشيطان، إذ وقَّعهم الله أن يميزوا بين الحق و الباطل فَيُؤْمِنُوا بِهِ (٤) يصدِّقوه و يعتقدوه فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ (٥) تخشع و تلين و تطمئن له، أى للقرآن أو له تعالى وَإِنَّ اللَّهَ لَهُادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٦) و بالتأكيد انه سبحانه هو الذى يهدى المؤمنين به إلى طريق الحق الذى لا عوج فيه.

٥٥ و لا- يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ... (٧) أى مع هذا البيان كَّله و هذه الدلائل كَلَّها بقى الكافرون فى مريه: شك من القرآن. و قيل

فى شك من الإمام الذى هو هنا أمير المؤمنين عليه السلام على ما هو المروى عن القمى. فما يزالون فى ريب منه حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ (٨) إلى أن يجىء يوم القيامة و ساعه البعث أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمَ عَقِيمٍ (٩) أو يجيئهم عذاب يوم القيامة الذى يسمى عقيما لأنه لا يوم بعده.

سوره الحج (٢٢): الآيات ٥٦ الى ٥٩

الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٥٦) وَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ (٥٧) وَ الَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قَاتَلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسِينًا وَ إِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (٥٨) لَيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ وَ إِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ (٥٩)

ص: ٣٧

١- سوره ٢٢ - آيه ٥٣

٢- سوره ٢٢ - آيه ٥٤

٣- سوره ٢٢ - آيه ٥٤

٤- سوره ٢٢ - آيه ٥٤

٥- سوره ٢٢ - آيه ٥٤

٦- سوره ٢٢ - آيه ٥٤

٧- سوره ٢٢ - آيه ٥٥

٨- سوره ٢٢ - آيه ٥٥

٩- سوره ٢٢ - آيه ٥٥

٥٦ و ٥٧- أَلْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ... (١) ففى يوم القيامة الملك لله تعالى وحده، وهو الحاكم العادل الذى لا يجور فى حكمه فالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ (٢) آمنوا به و صدقوا رسله و عملوا بما أمرهم به يكونون فى جَنَاتِ النَّعِيمِ (٣) يتنعمون بعطاياه السستيه خالدين فى جنانه و ملكه الذى لا- يلى و الَّذِينَ كَفَرُوا (٤) بنا و بالرسل و كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا (٥) أنكروا دلائلنا و معجزاتنا فأولئك لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ (٦) عذاب يهانون فيه و يحتقرون و يستخف بهم. و فى هذه الآيه الكريمة أدخل الفاء فى الخبر، و لم يدخلها فى خبر الآيه الخاصه بالمؤمنين، لعله للتنبيه بأن إثمهم المؤمنين بالجنات محض تفضل منه تعالى، فى حين أن عقاب الكفره مسبب عن أعمالهم.

٥٨ و ٥٩- وَ الَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا... (٧) أى الذين هاجروا من أوطانهم، و جاهدوا فى سبيل نصره الحق، ثم قتلوا فى المعركه أو ماتوا (٨) فى غيرها و هم بطريق الجهاد ليرزقنهم الله رزقاً حسيناً (٩) ليعطيهم عطاء جميلاً بغير حساب و إِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (١٠) بل لا- رازق سواه بالحقيقه لأنه هو مسبب الأسباب للحصول على رزقه من كل أبواب الرزق... و هؤلاء المجاهدون المقتولون فى سبيله ليدخلنهم مدخلا يرضونهُ (١١) ليدخلنهم الجنة التى يرضونها و يحبونها و يشتاقون إليها. و قرئ مدخلا و مدخلا إِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ (١٢) أى أنه خير بما يفعل الناس، رؤف بهم، يمهل الكافر، و يلفظ بالمؤمن.

ص: ٣٨

١- سورة ٢٢ - آيه ٥٦

٢- سورة ٢٢ - آيه ٥٦

٣- سورة ٢٢ - آيه ٥٦

٤- سورة ٢٢ - آيه ٥٧

٥- سورة ٢٢ - آيه ٥٧

٦- سورة ٢٢ - آيه ٥٧

٧- سورة ٢٢ - آيه ٥٨

٨- سورة ٢٢ - آيه ٥٨

٩- سورة ٢٢ - آيه ٥٨

١٠- سورة ٢٢ - آيه ٥٨

١١- سورة ٢٢ - آيه ٥٩

١٢- سورة ٢٢ - آيه ٥٩

ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لِيُنْصَرَّتْهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ (٦٠) ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَ يُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَ أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (٦١) ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَ أَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ (٦٢)

٦٠- ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ... (١) أى أمر الله و سنته و قاعدته هكذا، و به جرى قضاؤه فى باب المؤمن و الكافر و مصير كل منهما وَ مَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ (٢) أى جازى من ظلمه بمثل ما ظلمه به و لم يزد فى الاقتصاص ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ (٣) أى عاوده الظالم بالظلم لِيُنْصَرَّتْهُ اللَّهُ (٤) على الباغى المتعدى، أى المتجاوز فى العقوبه و الاقتصاص لَعَفُوفٌ غَفُورٌ (٥) للمتصنر، روى أن رسول الله صلى الله عليه و آله لَمَّا أُخْرِجَتْهُ قَرِيشٌ مِنْ مَكَّةَ وَ هَرَبَ مِنْهُمْ إِلَى الْغَارِ وَ طَلَبُوهُ لِيَقْتُلُوهُ عَاقَبَهُمُ اللَّهُ يَوْمَ بَدْرٍ وَ قَتَلَ عَتَبَةَ وَ شَيْبَةَ وَ الْوَلِيدَ وَ أَبَا جَهْلٍ وَ حَنْظَلَةَ بْنَ أَبِي سَفْيَانَ وَ غَيْرَهُمْ مِنْ رُؤُوسِ الْمُشْرِكِينَ فَلَمَّا قَبِضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ طَلَبَ بَدْمَائِهِمْ فَقَتَلَ الْحُسَيْنَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَ آلَ مُحَمَّدٍ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ بَغْيًا وَ عَدْوَانًا وَ هُوَ قَوْلُ يَزِيدَ لَعْنَهُ اللَّهُ حِينَ تَمَثَّلَ بِهَذَا الشَّعْرِ: لَيْتَ أَشْيَاخِي بَدْرٌ شَهِدُوا إِلَيْهِ... وَ قَالَ يَزِيدٌ وَ هُوَ يَقْلِبُ الرَّأْسَ الشَّرِيفَ.

نقول و الرأس مطروح نقله يا ليت أشياخنا الماضين بالحضر

حتى يقيسوا قياسا لو يقاس به أيام بدر لكان الوزن بالقدر

ص: ٣٩

١- سورة ٢٢ - آية ٦٠

٢- سورة ٢٢ - آية ٦٠

٣- سورة ٢٢ - آية ٦٠

٤- سورة ٢٢ - آية ٦٠

٥- سورة ٢٢ - آية ٦٠

فقال الله تبارك و تعالی ذلك و مَنْ عاقَبَ (١) یعنی رسول الله بِمِثْلِ ما عُوِّبَ بِهِ (٢) حین أرادوا أن یقتلوه فخرج من مكه خائفاً ثُمَّ بُعِيَ عَلَيْهِ (٣) بغلبه یزید و أمثاله من الأمویین و العباسیین علی آله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله لِيُنْصَرَنَّهُ اللهُ (٤) یعنی بالقائم من ولده صلوات الله عليهم أجمعين.

٦١- ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ... (٥) أى المذكور من النَّصر الإلهي للمظلوم على الباغي بِأَنَّ اللَّهَ (٦) أى بسبب أنه تعالى قادر على أن يغلب بعض الأشياء على بعض و عاده الله و سنته جرت على المداولة بين الأشياء المتعاند له لمصالح و حكم اقتضت ذلك و من جملة ذلك أنه سبحانه يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ (٧) أى يدخل كلاً منهما فى الآخر بنقصان زمان كل واحد و زيادته على الآخر أى يزید على الليل و ينقص من النهار و كذلك العكس أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (٨) يسمع قول الظالم و المظلوم و يرى أفعالهما.

٦٢- ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ... (٩) ذَلِكَ (١٠) أى اتَّصَفَهُ بِكَمالِ القدره و العلم و إحاطته بجميع الموجودات بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ (١١) بسبب أنه تعالى هو الثابت فى نفسه و الواجب بذاته لذاته فالنتيجه وَ أَنَّ ما يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ (١٢) إلهها هُوَ الْباطِلُ (١٣) أى ما يعبدونه من الأصنام هو زائل و زاهق فى حد ذاته أو فى ألوهيته وَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ (١٤) فهو فى ذاته أعلى ممّن سواه و فى سلطانه أكبر ممّا عداه لأن منشأ وجود غيره تعالى هو وجوده سبحانه و تعالى فَإِنْ وجودات الموجودات إفاضات و رشحات من فيض وجود ربهم الذى هو الواجب بالذات و كل ما بالعرض لا بد و ان ينتهى إلى ما بالذات. قال النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله: أصدق بيت قالته العرب قول لبيد: ألا كل شيء ما خلا الله باطل...

سوره الحج (٢٢): الآيات ٦٣ الى ٦٦

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ (٦٣) لَهُ ما فى السَّمَاوَاتِ وَ ما فى الْأَرْضِ وَ إِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (٦٤) أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ ما فى الْأَرْضِ وَ الْفُلْمَكَ تَجْرِى فى الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَ يُمَسِّكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرؤُفٌ رَحِيمٌ (٦٥) وَ هُوَ الَّذِى أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ (٦٦)

ص: ٤٠

١- سوره ٢٢ - آيه ٦٠

٢- سوره ٢٢ - آيه ٦٠

٣- سوره ٢٢ - آيه ٦٠

٤- سوره ٢٢ - آيه ٦٠

٥- سوره ٢٢ - آيه ٦١

٦- سوره ٢٢ - آيه ٦١

٧- سوره ٢٢ - آيه ٦١

٨- سوره ٢٢ - آيه ٦١

٩- سوره ٢٢ - آيه ٦٢

١٠- سوره ٢٢ - آيه ٦٢

۱۱- سوره ۲۲- آیه ۶۲

۱۲- سوره ۲۲- آیه ۶۲

۱۳- سوره ۲۲- آیه ۶۲

۱۴- سوره ۲۲- آیه ۶۲

٦٧-٦٣ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ... (١) هذه الشريفة والآيات الثلاث بعدها جرت في بيان قدرته الكامله و سلطته التامه النافذه عز و علا، و أنه تعالى لطيف في أفعاله، خبير بتدبير خلقه، و أنه مالك لكل شىء. فهو جلت قدرته أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً (٢) فصارت الأرض مُخْضَرَّةً (٣) بالأعشاب و النباتات و الأشجار، و هو مالك ما في السَّمَاوَاتِ و ما في الأَرْضِ (٤) و هو الْغَنِيُّ (٥) عن خلقه الْحَمِيدُ (٦) المحمود في كل شأنه، يحمد على السَّراءِ و الضَّرَّاءِ، و هو سَخَّرَ (٧) لنا ما في الأَرْضِ (٨) و أجرى الفلك في البحر، و يمسك السماء أن تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ (٩) فتدمرها رَأْفَةً منه بعباده و لطفًا بهم، كما أنه تعالى هو المحيي المميت المعيد بعد الموت، و لكنَّ الإنسان لَكَفُورٌ (١٠) بهذه النعم التي منحه الله سبحانه إياها.

سوره الحج (٢٢): الآيات ٦٧ الى ٧٠

لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَازِعُونَكَ فِي الْأَمْرِ وَ أَدْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُسْتَقِيمٍ (٦٧) وَ إِن جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ (٦٨) اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (٦٩) أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٧٠)

ص: ٤١

- ١- سوره ٢٢ - آيه ٦٣
- ٢- سوره ٢٢ - آيه ٦٣
- ٣- سوره ٢٢ - آيه ٦٣
- ٤- سوره ٢٢ - آيه ٦٤
- ٥- سوره ٢٢ - آيه ٦٤
- ٦- سوره ٢٢ - آيه ٦٤
- ٧- سوره ٢٢ - آيه ٦٥
- ٨- سوره ٢٢ - آيه ٦٥
- ٩- سوره ٢٢ - آيه ٦٥
- ١٠- سوره ٢٢ - آيه ٦٦

٦٧- لِكَلِّ أُمَّه جَعَلْنَا مَنْسِيًا... (١) أى قَرَرْنَا وَعَيْنًا لَجَمِيعِ أَهْلِ الْأَدْيَانِ شَرِيْعَهُ وَدِينَا وَ مِنْهَجَا هُمْ نَاسِيًا كَوُهُ (٢) يَذْهَبُونَ إِلَيْهِ وَ يَدِينُونَ بِهِ وَ عَامِلُونَ بِهِ فَلَا يُنَازِعُنَكَ فِي الْأَمْرِ (٣) فَلَا يَجُوزُ لَهُمْ أَنْ يَنَازِعُوكَ وَ يَجَادِلُوكَ فِي أَمْرِ الدِّينِ حَيْثُ إِنَّهُمْ جَاهِلُونَ بِهِ فَلَيْسَ لَهُمُ الْمُنَازَعَةُ مَعَكَ، إِذْ لَا- سَبِيلَ لِلْجَاهِلِ الْبَحْثُ مَعَ الْعَالِمِ فِي أَمْرٍ لَا يَعْرِفُهُ وَ لَا يَعْلَمُ بِهِ، وَ لَا لِلْعَالِمِ أَنْ يَنَازِعَهُ وَ لَا سَبِيْمًا إِذَا كَانَ عُنُودًا وَ جِحُودًا، فَإِنَّ الْبَحْثَ وَ الْمُنَازَعَةَ يَنْفَعُ مَعَ طَالِبِ الْحَقِّ لَا مَعَ أَهْلِ الْمِرَاءِ وَ الْعِنَادِ الَّذِينَ أَشْرَبَتْ قُلُوبَهُمْ جِحْدًا وَ انْكَارَ الْحَقِّ، فَلَا- تَعْتَنُ بِمُجَادَلَتِهِمْ وَ مَنَازَعَتِهِمْ وَ اذْعُ إِلَى رَبِّكَ (٤) أى اَشْتَغَلْ بِالْأَعْمَالِ الَّتِي أَنْتَ مَأْمُورٌ بِهَا كَالدَّعْوَةِ إِلَى التَّوْحِيدِ وَ الْعِبَادَةِ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ سِوَا قَبْلُوهَا أَوْ لَا إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُسْتَقِيمٍ (٥) أى أَنْتَ عَلَى طَرِيقِ الْحَقِّ الثَّابِتِ الَّذِي لَيْسَ لَهُمْ أَنْ يَنَازِعُوكَ فِيهِ، فَإِنَّ شَرِيْعَتَكَ نَاسِخَهُ لِلشَّرَائِعِ الْمُتَقَدِّمَةِ وَ عَلَى جَمِيعِ أَهْلِ الْمَلَلِ وَ الشَّرَائِعِ أَنْ يَتَّبِعُوكَ وَ يَهْتَدُوا بِهَدَاكِ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا رَغْمًا لِأَنُوفَهُمْ وَ غَضَبًا عَنْهُمْ.

٦٨- وَ إِنْ جَادَلُوكَ... (٦) أى إِذَا نَاقَشُوكَ بَعْدَ الْآيَاتِ وَ الْحُجُجِ وَ ظُهُورِ الْحَقِّ وَ إِزْمَامِهِمْ، فَإِنَّ الْقَاعِدَةَ تَقْتَضِي أَنْ لَا تُجِيبَهُمْ. إِلَّا أَنْ عَدِمَ الْجَوَابَ لَمَّا كَانَ مُخَالَفًا لِتَأْلِيفِ قُلُوبِهِمْ فَأُجِيبَهُمْ بِكَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ (٧) فَهُوَ يَعْرِفُ حَالَكُمْ وَ يَجَازِيكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ عَلَى طَبَقِ عِلْمِهِ بِهَا، وَ هَذَا تَخْوِيفٌ لَهُمْ مِنْ تَعَالَى بِلِسَانِ رَسُولِهِ وَ فِيهِ رَفَقٌ وَ تَحْيِيْبٌ وَ تَأْلِيفٌ.

٦٩- اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ... (٨) أى هُوَ سُبْحَانَهُ يَحْكُمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا اخْتَلَفْتُمْ بِهِ مِنْ أَمْرِ الدِّينِ.

٧٠- أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ... (٩) هَذِهِ الْكَرِيمَةُ تَسْلِيهِ لِلنَّبِيِّ لِأَنَّهُ يَعْرِفُ أَنَّ اللَّهَ

ص: ٤٢

١- سورة ٢٢ - آية ٦٧

٢- سورة ٢٢ - آية ٦٧

٣- سورة ٢٢ - آية ٦٧

٤- سورة ٢٢ - آية ٦٧

٥- سورة ٢٢ - آية ٦٧

٦- سورة ٢٢ - آية ٦٨

٧- سورة ٢٢ - آية ٦٨

٨- سورة ٢٢ - آية ٦٩

٩- سورة ٢٢ - آية ٧٠

علمه محيط بعجائب العلويات و غرائب السفليات و ليس شىء يخفى عليه، و كل ما كان من أمور السماوات و الأرضين هو مكتوب فى كتابه المحفوظ قبل أن يوجد فى عالم الإيجاد و يحدث فيه. فنحن عالمون بمجادله كفار قريش و منازعتهم معك فلا- يتطرق إلى قلبك من أعمالهم و أقوالهم شىء، حيث إننا نجازيهم و ننتقم منهم **إِنَّ ذَلِكَ (١)** العلم بجميع الأشياء الثابتة فى العوالم أعم من العلويات و السفليات و إثباتها فى اللوح المحفوظ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٢) علينا أمر سهل حيث إن علمه الذى هو من لوازم ذاته و من مقتضياتها متعلق بجميع المعلومات على السواء و قدرته شامله لجميع المقدورات على حد واحد.

سوره الحج (٢٢): الآيات ٧١ الى ٧٢

وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يَنْزَلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ (٧١) وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْمُطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلْ أَفَأَبْتُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذِكْمِ النَّارِ وَعِيدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبَشِّرِ الْمَصِيرُ (٧٢)

٧١- وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ... (٣) أى يخضعون للأصنام و نحوها من غير علم ضرورى بجواز عبادتهم و لا استدلالى عقلى و لا نقلى بل محض جهل و تقليد بإقرارهم و اعترافهم بذلك: إننا وجدنا آباءنا على هذا و إنا على آثارهم لمقتدون، و ما لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ (٤) أى ليس للمشركين من يدفع العذاب عنهم، و يشفع لهم و ينصرهم فى محنتهم.

ص: ٤٣

١- سوره ٢٢ - آيه ٧٠

٢- سوره ٢٢ - آيه ٧٠

٣- سوره ٢٢ - آيه ٧١

٤- سوره ٢٢ - آيه ٧١

٧٢- وَإِذَا تُلِيٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ... (١) أى إذا قرئت عليهم واضححات الدلالة على دعاوى رسلنا و أنبيائنا ترى فى وجوه الكافرين الْمُنْكَرَ (٢) مصدر ميمى بمعنى الإنكار كالمكرم بمعنى الإ-كرام و المراد هو أثر الإنكار و هو عبوس الوجه و تقطيبه يَكَادُونَ يَسْطُونَ (٣) أى يبطشون و يأخذونهم بفتك و صوله و شدّه. فقل لهم: هل أعرفكم أنا بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكُمْ (٤) أى من غيظكم على التالين النَّارُ (٥) يحتمل أن تكون النار خيرا لمبتدأ محذوف بقرينه المقام أى هو النار، أو هذه النار. أو تكون مبتدأ و قوله وعدها الله خبرها.

سوره الحج (٢٢): الآيات ٧٣ الى ٧٤

يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسئَلْهُمْ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَفِيدُوهُ مِنْهُ ضَعْفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ (٧٣) ما قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (٧٤)

٧٣- يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستَمِعُوا لَهُ... (٦) أى سماع تدبّر و تفكّر حتى تتبّهوا و تستيقظوا بأنكم أشرف المخلوقات، فكيف تخضعون و تعبدون أحسّها و أدناها و هو ما أنتم تحتونه و تصنعونه فوا حسرتاه على ما فرطتم فى جنب الله.. ثم انه تعالى إتماما للحجّه يبين لهم المثل و يقول:

إن الأصنام التى تعبدونها لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا (٧) أى ليسوا بقادرين على خلق ذباب و إيجاده مع صغر حجمه و جثته و لو كان بعضهم لبعض ظهيرا. هذا و ثانيا كفى فى عجزها أنها إِنْ يَسئَلْهُمْ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَفِيدُوهُ مِنْهُ (٨) أى لو سلب الذباب مما على آلهتهم التى يعبدونها من الطيب و العسل الذى كانوا يضمخونها به لا تستطيع تلك الآلهه استرجاعه منه-رغم ضعفه و حقارته و كثرتها و عظم جثتها و قيل ان الأصنام التى كانوا يعبدونها و نصبوها

ص: ٤٤

١- سوره ٢٢ - آيه ٧٢

٢- سوره ٢٢ - آيه ٧٢

٣- سوره ٢٢ - آيه ٧٢

٤- سوره ٢٢ - آيه ٧٢

٥- سوره ٢٢ - آيه ٧٢

٦- سوره ٢٢ - آيه ٧٣

٧- سوره ٢٢ - آيه ٧٣

٨- سوره ٢٢ - آيه ٧٣

حوالى الكعبه كانت ثلاثه و ستين صنما و كانوا يلطخونها بالطيب و هو خلوقها أى خلوق الكعبه و بالعسل. فالذباب كان يدخل عليها و يأكله فإذا جاؤوا يرون أن العسل و الطيب قد أكلا فيسرون بذلك و يهلهلون و يصفقون و يقولون زعما منهم إن الآلهه قد أكلتهما ضَعْفَ الطَّالِبِ وَ الْمَطْلُوبِ (١) أى العابد و المعبود أو الذباب و الأصنام.

٧٤- ما قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ... (٢) أى ما عرفوه حق معرفته حيث جعلوا الأصنام شركاء له مع غايه ضعفها و كمال قدرته سبحانه، كما أشار إليه بقوله تعالى إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (٣) أى قادر على خلق الأشياء كلها و غالب عليها و ليس شىء يغلبه. قال الشيخ ابو بكر الواسطى لا يعرف قدره الا هو فانه لا سنجيه و لا نسبه بينه تعالى و بين ما سواه، ما للطين و رب العالمين و نعم ما قيل: اعتصام الورى بمغفرتك، عجز الواصفون عن صفتك تب علينا فإتنا بشر، ما عرفناك حق معرفتك.

و روى أنه: لا تتفكروا فى ذات الله، و تفكروا فى آلائه. و فيه دلالة واضحه على ما قال به الشيخ.

سوره الحج (٢٢): الآيات ٧٥ الى ٧٦

اللَّهُ يَضِيظُنِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَ مِنْ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (٧٥) يَغْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ مَا خَلْفَهُمْ وَ إِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (٧٦)

٧٥ و ٧٦- اللَّهُ يَضِيظُنِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَ مِنْ النَّاسِ... (٤) فهو وحده سبحانه يختار من بين ملائكته رسلا يحملون الوحي إلى من يختارهم من بين الناس رسلا للبشر، و هو سَمِيعٌ (٥) شديد السمع لما يقوله الكافرون

ص: ٤٥

- ١- سوره ٢٢ - آيه ٧٣
- ٢- سوره ٢٢ - آيه ٧٤
- ٣- سوره ٢٢ - آيه ٧٤
- ٤- سوره ٢٢ - آيه ٧٥
- ٥- سوره ٢٢ - آيه ٧٥

و المنافقون بَصِيرٌ (١) شديد البصر لما يفعلونه من معاندتك و مقاتلتك من أجل كفرهم يَعْلَمُ (٢) يعرف بدقه متناهيه ما يَبَيِّنُ أَيْدِيَهُمْ وَ مَا خَلْفَهُمْ (٣) ما فعلوه سابقا و ما سيفعلونه آتيا إِلَى اللَّهِ تُزْجَعُ (٤) تعود الْأُمُورُ (٥) كُلُّهَا فيحكم فيها و يجازى عليها الجزاء العادل.

سوره الحج (٢٢): الآيات ٧٧ الى ٧٨

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَ أَسْجُدُوا وَ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَ افْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٧٧) وَ جَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَ مَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مَلَهُ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَيِّمًاكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَ فِي هَذَا لِيُكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَ تَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَ آتُوا الزَّكَاةَ وَ اعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَ نِعْمَ النَّصِيرُ (٧٨)

٧٧- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا... (٦) خطاب منه تعالى للمؤمنين اعتناء بهم ليركعوا له و يسجدوا إجلالا- لعظمته، و ليعبدوا ربهم و خالقهم من أجل أن يكونوا من المصلحين الناجحين الفائزين بمرضاته.

٧٨- وَ جَاهِدُوا فِي اللَّهِ... (٧) الجهاد على أقسام ثلاثة: الأول ما هو المعروف من الجهاد مع أعداء الدين، و هو الظاهر من الآيات و الروايات و لو أطلق على غير هذا يكون بقرينه. و الثانى الجهاد مع النفس الأمّارة، أى مخالفتها فى مشتياتها من أوامرها و نواهيها، و هذا هو الجهاد الأكبر الذى يخاف منه و ترتعد منه الفرائص و تقشعرّ منه الجلود و تندكّ منه الجبال و تكبّ عنده الرجال أعاذنا الله من النفس الأمّارة. و الثالث: هو الجهاد بمعنى

ص: ٤٦

١- سوره ٢٢ - آيه ٧٥

٢- سوره ٢٢ - آيه ٧٦

٣- سوره ٢٢ - آيه ٧٦

٤- سوره ٢٢ - آيه ٧٦

٥- سوره ٢٢ - آيه ٧٦

٦- سوره ٢٢ - آيه ٧٧

٧- سوره ٢٢ - آيه ٧٨

إتيان العبد و إقدامه فى مقام إطاعه ربّه بجِدِّ النفس و خلوصها عن شوائب الرّياء و السّمعه و تمام الخشوع و كمال الخضوع بحيث كأنه يرى ربّه تعالى و إن لم يكن يراه، فهو متيقن بأن خالقه يراه. و هذا لعلّه الذى يسمّى بجهاد الحق، و بعض يسمونه برتبه الإحسان أى جهاد رتبه الإحسان، و هذا اصطلاح منه. فإن من أتى هكذا بطاعه ربّه و عبده حقّ عبادته فهو ممّن أحسن طاعه ربّه، أى أطاعه إطاعه حسنه. فهو تعالى يجزيه جزاء الإحسان كما قال: هل جزاء الإحسان إلاّ الإحسان؟ فلا مشاحه فى اصطلاحه هوّ اجْتَبَاكُمْ (١) اختاركم و ما جَعَلَ عَلَيْكُمْ فى الدّينِ مِنْ حَرَجٍ (٢) أى انه تعالى لم يضيق عليكم أمر الدّين فلن يكلفكم ما لا تطيقونه حيث إنه رخص عند الضرورات كالتقصير و التيمم و أكل الميتة و نحوها فلا عذر لكم فى تركه ملّة أبيكم إبراهيم (٣) نصب الملّة يمكن أن يكون بتقدير أخصّ أو أعنى أو بتقدير حرف جر أى بنزع الخافض، و ملّة إبراهيم دينه لأن مله إبراهيم داخله فى مله محمد صلى الله عليه و آله و إنّما سماه أبا للجميع لان حرمة على المسلمين كحرمة الوالد على أولاده، كما

قال نبينا صلوات الله عليه و آله: أنا و علىّ أبوا هذه الأمّة، و قال سبحانه: وَ أَرْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ (٤)، مضافا إلى أنه قيل إن العرب من ولد إسماعيل عليه السلام، و أكثر العجم من ولد إسحاق، و هما ابنا إبراهيم عليهم السلام جميعا، فالغالب عليهم أنهم أولاده من قبل (٥) أى قبل نزول القرآن و ذلك مذکور فى الكتب السماويّة التى مضت و فى هذا (٦) ففى هذا القرآن خاصه، أيضا بيان أن أباكم إبراهيم عليه السلام و هو سَيِّمَاءُكُمْ الْمُسْلِمِينَ (٧) يوم دعا الله لنبيكم و لكم ليكونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ (٨) الجارّ متعلّق (بسماكم) و معناه: ليكون محمد يوم القيامة شاهدا عليكم بأنه بلغكم، أو شاهدا بطاعتكم أو بعصيانكم و تكونوا (٩) أيها المسلمون شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ (١٠) بتبليغ رسلهم إليهم بما جاء من عند ربّهم، فحافظوا على صلواتكم، و أدّوا زكواتكم و اعتصموا بالله (١١) تمسكوا بدينه فإنه خير طريق لنجاتكم هوّ مَوْلَاكُمْ (١٢) ناصركم و متولّى أموركم، و هو

ص: ٤٧

١- سورة ٢٢ - آيه ٧٨

٢- سورة ٢٢ - آيه ٧٨

٣- سورة ٢٢ - آيه ٧٨

٤- سورة ٣٣ - آيه ٦

٥- سورة ٢٢ - آيه ٧٨

٦- سورة ٢٢ - آيه ٧٨

٧- سورة ٢٢ - آيه ٧٨

٨- سورة ٢٢ - آيه ٧٨

٩- سورة ٢٢ - آيه ٧٨

١٠- سورة ٢٢ - آيه ٧٨

١١- سورة ٢٢ - آيه ٧٨

١٢- سورة ٢٢ - آيه ٧٨

فَنِعْمَ الْمَوْلَى (١) السيد المتصرف الرؤوف بعباده وَ نِعْمَ النَّصِيرُ (٢) المعين على بلوغ الفوز في الدارين. و الحمد لله وحده.

ص: ٤٨

١- سورة ٢٢ - آيه ٧٨

٢- سورة ٢٢ - آيه ٧٨

مكيه و آياتها ١١٨ نزلت بعد الانبياء

سوره المؤمنون (٢٣): الآيات ١ الى ١١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (٣) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (٤) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٥) إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٦) فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (٧) وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (٨) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٩) أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (١٠) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١١)

١- قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ... (١) الفلاح هو الظفر بالمطلوب و النجاه من المرهوب أى فازوا بما طلبوا. و قد للتحقيق و تقريب الماضى من الحال لأنها

ص: ٤٩

إذا دخلت على الماضى دلت على الإثبات و الدوام و لذا فهى مقربة له منه. ثم إنه تعالى لما أطلع على أن المؤمنين كانوا راجين للفوز و النجاه، بشرهم بذلك بتصدير تلك السورة بقوله: **قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١)**، و أخذ فى بيان أوصافهم، فبدأ بالصلاة التى هى من أهم الطاعات فقال تعالى:

٢- الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ... (٢) فابتدأ بهذه الصفة الشريفة فقال:

الذين هم فى صلاتهم خاشعون (٣) فيستفاد أن المطلوب فى الصلاة هو صفة الخضوع و الخشوع، أى التوجه التام إلى المعبود الحقيقى، و هذا هو الذى عتبر عنه فى الروايات بروح الصلاة و قال بعض الأكابر من المحققين:

إن المصلّى لا بدّ أن يتوجه إلى معبوده بحيث لا يرى إلا إياه حتى لا يرى نفسه، و لذا

جاء فى الخبر الصحيح أنّ أمير المؤمنين فى يوم أحد أصابته سهام كثيرة و من غايه الوجع كانوا لا يقدرّون على إخراجها فوصل الخبر إلى فاطمة الزهراء (ع) فقالت: إذا شرع فى صلاته فاعملوا به ما شئتم.

فلما دخل فى الصلاة جاؤوا بجراح فأخرجها من بدنه الشريف و لما فرغ من صلاته رأى الدماء على مصلاه فسأل منه فيئنا له الأمر، فقال بأبى و أمى فوالله الذى نفسى بيده ما التفت فى أى زمان شرعتم و أى وقت فرغتم.

و هذه هى حقيقه الصلاة فمن شاء فليؤمن و من شاء فليكفر.

عن النبى صلوات الله عليه أنه رأى رجلا يعبث بلحيته فى صلاته، فقال: أما إنه لو خشع قلبه لخشعت جوارحه فيستفاد من هذا أن الخشوع فى الصلاة يكون بالقلب و بالجوارح كلّها.

٣- وَ الَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ... (٤) اللغو كلّ كلام ساقط حقه أن يلغى كالكذب و الشتم و الهزاء و الغناء و الملاهى، فالمؤمنون لا يقاربون اللغو فضلا عن فعله.

٤ و ٥ و ٦- وَ الَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ... (٥) أى مع إيمانهم و إقامتهم للصلاة و بعدهم عن اللغو و الباطل، هم يؤتون الزكاة لمستحقيها، و هم لفرّوجهم حافظون (٦) يحفظون أنفسهم من تعاطى الرنى و المحرّمات الجنسيه

ص: ٥٠

١- سورة ٢٣ - آيه ١

٢- سورة ٢٣ - آيه ٢

٣- سورة ٢٣ - آيه ٢

٤- سورة ٢٣ - آيه ٣

٥- سورة ٢٣ - آيه ٤

٦- سورة ٢٣ - آيه ٥

ولا- يأتون سوى أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم (١) أى الإماء التى يملكونها بالحلال، وكذلك ما يملك حق مباشرته بالمتعه كما فى القمى فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٢) لا يلامون ولا يؤخذون فى ذلك لأنه قد أحله الله تعالى لهم.

٧- فَمَنْ ابْتغى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ... (٣) ومن قصد غير زوجته الدائمه، أو غير أمته بملك اليمين، أو غير الزوجه بالمتعه المحلله فأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (٤) أى المتجاوزون لما ذكره الله تعالى من وجوه الحلال فى إباحه الفروج الثلاثه المذكوره. فهؤلاء يكونون من المعتدين على ما شرع الله من حدّ الشرع الذى عين الحلال فى النكاح.

٨- وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ... (٥) أى يراعون الأمانات و يحفظونها و يصونونها كما سنّ الله سبحانه، والأمانات ضربان: أمانات الله، و أمانات العباد. و ما بين الله و عباده هى العبادات: كالصلاه و الصوم و غيرهما، و ما بين العباد هى مثل الودائع و العوارى و الشهادات و أمثالها، و هى كثيره. و أما العهد فعلى ثلاثه أضرب: أوامر الله تعالى، و نذور الإنسان، و العقود الجاريه بين الناس، فيجب على الإنسان الوفاء بجميع ضروب الأمانات و العهود و القيام بحفظ ما يتولاه منها.

٩- وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ... (٦) ذكر الصلوات مره ثانيه للاهتمام بإقامتها مع المحافظه على أوقاتها و حدودها المعينه، و بأن تؤدى فى أول أوقاتها.

١٠ و ١١- أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ الَّذِينَ... (٧) أى أن الموصوفين فى الآيات السابقه الذين أفلحوا فى أعمالهم يفوزون بإرث الفردوس فى الجنه، و الفردوس روضه من روضات الجنه و هى أعلى طبقاتها.

القمى عن الصيادق عليه السلام قال: ما خلق الله خلقا إلا جعل له فى الجنه منزلا و فى النار منزلا، فإذا سكن أهل الجنه الجنه و أهل النار النار نادى مناد يا أهل الجنه أشرفوا فيشرفون على أهل النار فترفع لهم منازلهم فيها ثم يقال لهم هذه

ص: ٥١

١- سوره ٢٣ - آيه ٦

٢- سوره ٢٣ - آيه ٦

٣- سوره ٢٣ - آيه ٧

٤- سوره ٢٣ - آيه ٧

٥- سوره ٢٣ - آيه ٨

٦- سوره ٢٣ - آيه ٩

٧- سوره ٢٣ - آيه ١٠

منازلكم التي في النار لو عصيتم الله لدخلتموها، قال: فلو أن أحدا مات فرحاً لمات أهل الجنة في ذلك اليوم فرحاً لما صرف عنهم من العذاب. ثم ينادى مناد يا أهل النار ارفعوا رؤوسكم فيرفعون رؤوسهم فينظرون إلى منازلهم في الجنة وما فيها من النعيم فيقال لهم: هذه منازلكم التي لو أطعتم ربكم لدخلتموها، قال فلو أن أحدا مات حزناً لمات أهل النار حزناً فيورث هؤلاء منازل هؤلاء و ذلك قول الله عزّ وجلّ أولئك هم الوارثون إلخ.

و في المجمع عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله قَالَ: مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَ لَهُ مَنْزِلَانِ مَنْزِلٌ فِي الْجَنَّةِ وَ مَنْزِلٌ فِي النَّارِ فَإِنْ مَاتَ وَ دَخَلَ النَّارَ وَرِثَ أَهْلَ الْجَنَّةِ مَنْزِلَهُ، ثُمَّ إِنَّهُ تَعَالَى لَمَّا ذَكَرَ لِأَهْلِ الْإِيمَانِ نِعْمَ الْجَنَّةِ مِنَ الْفَرْدُوسِ وَ الْخُلُودِ بِلِ نَفْسِ الْجَنَّةِ بِمَا فِيهَا وَ هُوَ أَعْظَمُ مِنْ كُلِّ نِعْمَةٍ أَرَادَ أَنْ يَبْتَهِمَ إِلَى أَكْبَرِ نِعْمَةٍ مِنَ النِّعَمِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَ أَجْلَهَا وَ هُوَ إِيجَادُهُمْ وَ إِعْطَائُهُمُ الْوُجُودَ عَلَى أَحْسَنِ وَجْهِ وَ أَجْمَلِ صُورَةٍ وَ أَكْمَلَ خَلْقَهُ فَقَالَ سُبْحَانَهِ وَ تَعَالَى:

سورة المؤمنون (٢٣): الآيات ١٢ الى ٢٢

وَ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ (١٢) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (١٣) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (١٤) ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعِيدٌ ذَلِكَ لَمَعْنُونَ (١٥) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ (١٦) وَ لَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَ مَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ (١٧) وَ أَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَاهُ فِي الْوَادِي وَ إِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لِقَادِرُونَ (١٨) فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَ أَعْنَابٍ لَكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَ مِنْهَا تَأْكُلُونَ (١٩) وَ شَجَرَةٌ تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ وَ صَبْغٍ لِلْأَكْلِينَ (٢٠) وَ إِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَ لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَ مِنْهَا تَأْكُلُونَ (٢١) وَ عَلَيْهَا وَ عَلَى الْفُلْكِ تَحْمَلُونَ (٢٢)

١٢- وَ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ... (١) أى هذا النوع من الحيوان أو المراد آدم مِنْ سِلَالِهِ (٢) أى صفوه سلّت من الكدر مِنْ طِينِ (٣) حاصله منه صفه لسلاله أو أن مِنْ (٤) بيانيه، أو متعلق بمذكور و هو سلاله لأنها فى معنى مسلوله، والحاصل يحتمل أن يكون المراد بالإنسان هو أبو البشر فإنه مخلوق من صفوه و خلاصه مسلوله من طين و أن يكون المراد هو الجنس لأنهم خلقوا من نطف استلّت و انتزعت موادها من طين حيث إن النطف محصوله من النباتات و هى صفوه الأجزاء الأرضيه كما قال تعالى منها خلقناكم. و قيل إن المراد بالطين هو آدم عليه السلام لأنه فى بدء أمره كان طينا مصوّرا و لمّا نفخ فيه الروح صار إنسانا ذا لحم، و دم و عظام و أعصابا، و المراد بالساله نسله.

١٣- ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً... (٥) أى جعلنا الإنسان يعنى جوهره أو السلاله على تأويلها بالمسلول. فتذكير الضمير بواحد من التأويلين لا بأس به و يحتمل أن يكون المضاف محذوفا أى جعلنا نسله من نطفه فنصب نُطْفَةً (٦) بنزع الجارّ و حذفه فى قرارٍ مَكِينِ (٧) أى فى مستقرّ حصين و هو الرحم.

١٤ و ١٥ و ١٦- ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً... (٨) أى قطعه دم جامد،

ص: ٥٣

- ١- سورة ٢٣ - آيه ١٢
- ٢- سورة ٢٣ - آيه ١٢
- ٣- سورة ٢٣ - آيه ١٢
- ٤- سورة ٢٣ - آيه ١٢
- ٥- سورة ٢٣ - آيه ١٣
- ٦- سورة ٢٣ - آيه ١٣
- ٧- سورة ٢٣ - آيه ١٣
- ٨- سورة ٢٣ - آيه ١٤

و مُضْغَهُ (١) قطعه لحم كأنه ممضغ فخلقنا المضعه عظاماً (٢) جعلناها صلبه قويه فكسونا العظام لَحْمًا (٣) أى من بقايا المضغه، أو لحمًا جديدًا فخلقنا فى اللحم عروقا و أعصابا و أوتارا و عضلات. قيل ان اختلاف العواطف وليد التحولات فى مقام الخليقه و ليس بعيد لأن تلك التحولات لا بد أن تكون لمصلحه، و إلا فهو تعالى قادر على خلق البشر بلا احتياج الى هذه الاستحالات ثم أنشأناه خلقاً آخر (٤) أى نفخنا فيه من روحنا فصار إنسانا كاملا ناطقا سميعا بصيرا فتبارك الله أحسن الخالقين (٥) و ليعلم أن المخلوقين على ثلاثه أقسام: إِمّا روحانى محض و هو الملك فانه نور بحت و منزّه عن صفه الشهوه و الغضب و غيرهما من الصفات التى تلائم الجسميه. و إمّا جسمانى محض كالنباتات و المعدنيّات. و إمّا مركب من الجسمانى و الروحانى و هو على قسمين: إمّا الغالب فيه هو الروحانيه فهو الجنّ و إمّا العكس فهو الإنس. و الحاصل أن الله تعالى بقدرته الكامله يبلغ الإنسان بعد تكميله المراتب السبع إلى حدّ الانسانيه، و أول المراتب كونه سلاله و الثانى النطفه و الثالث العلقه و الرابع المضغه و الخامس العظام و السادس اللحم. و هذه الست مربوطه بعالم تكامل الجسد، و السابع إيلاج الروح و فى هذه المرتبه قال سبحانه ثمّ أنشأناه خلقاً آخر (٦) لأن بين عالم الرّوح و الجسد بلا روح بونا بعيدا بل تباينا، فأين التراب و ربّ الأرباب و أين الثرى و الثريا و لذا كان التركيب بين الروح و الجسد من أعجب العجائب و أغرب الغرائب فإن الروح علوى نورانى، و الجسد سفلى ظلمانى. و الروح أمر لطيف و الجسد شىء كثيف و الروح يدرك الأمور المعنويه و يتلذذ بها و الجسم لا يدرك غير المحسوسات و يتلذذ بالشهوات إلخ... فالتركيب بينهما قريب بالمجال فهو تعالى أظهر فى هذا الهيكل قدرته الكامله و حكمته الباهره و الدليل على عظم خلق الإنسان و اهتمامه تعالى بشأنه أنه ما أثنى على نفسه فى خلق العرش و الكرسي و اللوح و القلم و الملائكه و السماوات بما فيها من الكواكب و العجائب و الأرضين و ما فيها من مظاهر القدره و العظمه بمثل ما مدح و اثنى على ذاته المقدسه فى خلق

ص: ٥٤

- ١- سورة ٢٣ - آيه ١٤
- ٢- سورة ٢٣ - آيه ١٤
- ٣- سورة ٢٣ - آيه ١٤
- ٤- سورة ٢٣ - آيه ١٤
- ٥- سورة ٢٣ - آيه ١٤
- ٦- سورة ٢٣ - آيه ١٤

الإنسان و خصوصا في هذه الآيه الكريمه التي تشير إلى هذا كما لا يخفى على أولى النهى، ولما بين سبحانه و تعالى في الآيتين الكريمتين أحوال بنى آدم و ارتقاءهم من مرتبه إلى مرتبه و انتقالهم من مقام إلى مقام، علم أنه ليس له لسان حتى يحمده و يشنى عليه بما يستحقه و على ما ينبغى لمقام القدس و القدم فلذا هو جلّ و علا- نيابه عن مخلوقه و لطفاً منه بهم، أثنى على ذاته المقدسه بثناء هو يستحقه و يستوجبه فقال فَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (١) أى تقدّس، و أحسن الخالقين صفته تعالى. و

في التوحيد، عن الرضا عليه السلام أنه سئل و غير الخالق الجليل خالق؟ فقال عليه السلام: إن الله تبارك و تعالى قال فبارك الله أحسن الخالقين، و قد أخبر أن في عباده خالقين و غير خالقين منهم عيسى بن مريم خلق من الطين كهيئه الطير بإذن الله، و الشامريّ خلق لهم عجلاً جسداً له خوار، فلذا جاء بصيغه التفضيل. و لو كان الخلق منحصرًا به تعالى لكان مجيئه بصيغه التفضيل لغوا. و أما تأويله بغير التفضيل فخلافاً للظاهر و لا- سيّما أن أدلّ الأدله على الشىء و وقوعه كما مثلاًه أنفاً. و أمّا العطف في الكريمه في بعض مواضعها بثمّ، و في الآ- خر بالفاء فلنكته و هى أن العطف بثمّ في آيه ١٣ لأن وصول السلاله من الطين الى حدّ النطفه على حسب قواعد الطبيعه يطول فالإتيان بثمّ التى للتراخى للإشاره الى هذه الجهه، و كذلك في الآيه ١٤ التى جىء فيها بثمّ لتلك النكته، أى للتنبيه على أن بلوغ النطفه إلى مستقرّ حصين من ظهر الرجل إذا كان المراد بالقرار هو الرحم و صيرورته فيه إلى مرتبه العلقه على موازين الأسباب العاديه قهرا يحتاج إلى مضى مدّه مديده. نعم المراتب الثلاث البعديه أمور لا تحتاج إلى طول زمان و لذا أتى فيها بالفاء التى وضعت لإفاده التعقيب بلا مهله. و أما قوله: ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا (٢) آخر حيث أتى فيه بثمّ فلأن خلقه العلقه مضغه و المضغه عظاما و تغطيه العظام لحما حتى يستأهل لولوج الرّوح فيه تحتاج إلى مدّه طويله، و هكذا في الكريمتين المذكورتين بعد تلك الآيات الشارحه لأحوال الإنسان من بدو نشوئه و حدوثه إلى ختم خلقه و تماميته فإن مرتبه موته بعد طي المراتب القبليه ربّما يطول إلى مائه

ص: ٥٥

١- سوره ٢٣ - آيه ١٤

٢- سوره ٢٣ - آيه ١٤

و عشرين سنه أو أكثر بمراتب كثيره من المده المزبوره و من بعد الموت و الفناء من تلك الدار الفانيه إلى زمان البعث و يوم الحشر و هو يوم البقاء إلى ما شاء الله فكان العطف بتم على ما ينبغى لأنه الموضوع لإفاده التراخي.

فمثل تلك النكت و الرموز في الآيات المباركه أكثر من أن تحصى. اللهم تبهنا و فهّنا ما في كتابك من الأمور الدقيقه اللطيفه.

١٧- وَ لَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ... (١) أى سبع سماوات، جمع طريقه، لأنها طرق الملائكه على ما قيل. أو المراد سبع طبقات بعضها فوق بعض و تسمى الطبقة التي فوق طبقه أخرى طريقه و ما كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ (٢) أى المخلوق جميعا لم نكن غافلين (٣) أى تاركين تدبيرهم.

١٨- وَ أَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ... (٤) أى بمقدار يوافق المصلحه، أو بتقدير يعم نفعه و يؤمن ضرره فَأَسْكَنَاهُ فِي الْأَرْضِ (٥) أى أثبتناه فيها مددا للنبايح و الآبار و إنا على ذهابٍ به لِقَادِرُونَ (٦) أى إذهابه و إفناؤه بتصعيد أو تعميق بحيث يتعدّر الاستفاده منه و استخراجه و استنباطه. و لو فعلناه لهلك جميع الحيوانات و لفنيت النباتات، فته سبحانه بذلك على عظيم نعمته على خلقه بإنزال المطر من السماء و إثباته في الجبال و هى منابع المياه.

١٩- فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ... (٧) أى أوجدناها بالمطر و أنما خصّ النخيل و الأعناب لأنها ثمار الحجاز من المدينه و الطائف فذكّرهم بالتعم التي عرفوها و هى النخيل و الأعناب. و لكثرتهم منافع هذين النوعين للناس فإنهما يقومان مقام الطعام و الإدام و مقام الفواكه رطبا و يابساً لكم فيها فَوَاكِهُ (٨) أى في الجنات الفواكه الكثيره من أصناف مختلفه.

٢٠- وَ شَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورٍ سَيْنَاءَ... (٩) أى و انشأنا لكم بذلك المطر شجر الزيتون، و خصّ بالذكر لما فيه من العبره بأنه لا يتعاهده إنسان بالسقى. و هى تخرج الثمره التي يكون منها الدهن الذي تعظم به المنفعه.

و الطور اسم جبل، و سينا اسم للمكان الذي به هذا الجبل في أصحّ

ص: ٥٦

١- سورة ٢٣ - آيه ١٧

٢- سورة ٢٣ - آيه ١٧

٣- سورة ٢٣ - آيه ١٧

٤- سورة ٢٣ - آيه ١٨

٥- سورة ٢٣ - آيه ١٨

٦- سورة ٢٣ - آيه ١٨

٧- سورة ٢٣ - آيه ١٩

٨- سورة ٢٣ - آيه ١٩

٩- سورة ٢٣ - آيه ٢٠

الأقوال و سينا و سينين واحد، وقيل هما اسمان للجبل و هو جبل بفلسطين و قيل بين مصر و أيله و منه نودي موسى على نبينا و آله و عليه السلام. و قرئ سينا بكسر السين و نسبه خروجها إلى جبل سينا لأن الشجره فيه كثيره و منه انتشرت فى البلاد و انبسطت فيها فيمكن أن يقال أن منبتها الأصيل كان هناك و هذه منفعه من منافع تلك الأرض المقدسه و الجبل المبارك تَبَّتْ بِالذُّهْنِ وَ صِنِغٍ لِلْكَالِينِ (١) أى تبت تلك الشجره المباركه بالشىء الجامع بين كونه دهنا يدهن به و يسرج و يوقد منه و كونه صبغا أى أداما، فإن فيه يصنع الخبز أى يغمس فيه و يؤكل و هذا الذى جعله جامعا للوصفين، و هو الزيت الذى يعصر من الزيتون، و ثمره تلك الشجره التى سماها خالقها بالشجره المباركه فى قوله جَلَّ و علا: يُوقَدُ مِنْ شَجَرِهِ مُبَارَكِهِ (٢) إلخ...

و الحاصل أن هذه الأشجار المباركات لعظم منافعها و كثرتها خصّها الله عزّ و جلّ بالذكر فى مقام بيان نعمه الجليله على عباده. و من النعم التى خصّها الله تعالى بالذكر للاهتمام بشأنه هى الانعام كما قال:

٢١- وَ إِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً... (٣) أى فيها دلالة تستدلون بها على قدره الله تعالى و من جملتها قوله تعالى نَسِيتُكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا (٤) من الألبان وَ لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعٌ كَثِيرَةٌ (٥) من ظهورها فإن عليها تركيبون و تأخذون أصوافها و شعورها و أوبارها وَ مِنْهَا تَأْكُلُونَ (٦) من لحومها و دسومها و شحومها و ألياتها.

٢٢- وَ عَلَيْهَا وَ عَلَى الْفُلْكِ... (٧) أى على بعضها من الإبل و البقر فى البرّ و الأكثر على أن المراد من مرجع الضمير فى عليها هو الإبل لمناسبتها مع الفلك، و لذا أطلق على الإبل سفينه البرّ كما فى قول ذى الرمه، سفينه برّ تحت خدى زمامها وَ عَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ (٨) أى الإبل و الفلك تحمّلهم فى البرّ و البحر و هذه من النعم العظيمة التى لا بد من شكر منعمها و هو الله الذى خلقها. و كانوا قبل هذه النعم يحملون أثقالهم على ظهورهم الى بلاد لم يكونوا بالغيها إلاّ بشقّ الأنفس. فالفلك كالإبل فى الانتفاع من جهه

ص: ٥٧

- ١- سورة ٢٣ - آيه ٢٠
- ٢- سورة ٢٤ - آيه ٣٥
- ٣- سورة ٢٣ - آيه ٢١
- ٤- سورة ٢٣ - آيه ٢١
- ٥- سورة ٢٣ - آيه ٢١
- ٦- سورة ٢٣ - آيه ٢١
- ٧- سورة ٢٣ - آيه ٢٢
- ٨- سورة ٢٣ - آيه ٢٢

الحمل و بهذا الوجه جمع بين النعمتين من الإبل و الفلك، و هذا كقوله، و حملناهم فى البر و البحر أى على الإبل و الفلك و لما كان البيان فى ذكر شمول نعمه على الخلق أتبعه بذكر عمدته انعامه عليهم بإرسال الرّسل فقال تعالى:

سوره المؤمنون (٢٣): الآيات ٢٣ الى ٣٠

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٢٣) فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ (٢٤) إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جَنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ (٢٥) قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ (٢٦) فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعْ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحَيْنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُعْرِقُونَ (٢٧) فَمَازَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكَ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٢٨) وَقُلْ رَبِّ انزِلْنِي مُنرًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ (٢٩) إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ (٣٠)

٢٣- وَ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا... (١) أى من المرسلين فى الأمم الماضيه هو نوح، و هو آدم الثانى لأن الناس بعد الغرق، من أولاده غالبا على ما أشرنا سابقا و الحاصل أنه بعد إرساله عليه السلام دعا قومه إلى عباده الله و إلى توحيده و خوْفهم بقوله أَ فَلَا تَتَّقُونَ (٢) أَ فلا تخافون أن يزيل عنكم نعمه و يهلككم؟ فلم يسمعوا دعاءه بل نسيوه إلى الجنون كما أشار سبحانه فى الآيه الكريمه ٢٥.

٢٤- فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ... (٣) لم يسمعوا كلامه و نصحه، بل قال الملاء: الجماعه الكافرون من قومه ما هذا (٤) ما هذا إلا بشرٌ مثلكم (٥) هو إنسان مثلكم و لا يفرق عنكم، بل يُريدُ أن يَنْفَضَلَ عَلَيْكُمْ (٦) يريد أن يجعل نفسه أفضل منكم مرتبه و أعلى مقاما مع أنه منكم وَ لَوْ شَاءَ اللَّهُ (٧) أن يرسل رسولا فعلا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً (٨) من عنده يبلغون الناس ما يحيئون به من عند ربهم ما سَمِعْنَا بِهَذَا (٩) بمثل هذا القول الذى يحمله نوح فى آبَائِنَا الْأُولَى (١٠) فلم يقل لنا آباؤنا شيئا ثبت أن الرسول يكون من البشر.

٢٥- إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ... (١١) نوح هذا به جنون اعتراه حتى ادعى هذه الدعوى فَتَرَبَّصُوا بِهِ (١٢) انتظروا به و اصبروا حتى حين (١٣) إلى وقت ما، ليذهب جنونه أو يموت، أو يقضى بيننا و بينه.

٢٦ و ٢٧- قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبْتَنِي... (١٤) بعد هذا العناد الشديد من قومه، دعا نوح ربّه أن ينصره على قومه الذين كذبوا قوله و رفضوا دعوته و سخروا به فدعاه أن يعينه ياهلا- كههم فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ (١٥) أنزلنا عليه و حيا من عندنا أَنْ اصْنَعْ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا (١٦) ابدأ بصناعه السفينه مقدمه لإهلاك قومك بأعيننا: بمنظر و مرأى منا حتى نراعيك و نحفظك من أن تخطئ فيه أو يفسد عليك مفسد، أى لا بدّ و أن يكون عملك للسفينه نصب أعيننا فَأَوْحَيْنَا (١٧) بأمرنا و تعليمنا كيف تصنع فإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا (١٨) بنزول العذاب

ص: ٥٩

- ١- سوره ٢٣ - آيه ٢٣
- ٢- سوره ٢٣ - آيه ٢٣
- ٣- سوره ٢٣ - آيه ٢٤
- ٤- سوره ٢٣ - آيه ٢٤
- ٥- سوره ٢٣ - آيه ٢٤
- ٦- سوره ٢٣ - آيه ٢٤
- ٧- سوره ٢٣ - آيه ٢٤
- ٨- سوره ٢٣ - آيه ٢٤
- ٩- سوره ٢٣ - آيه ٢٤
- ١٠- سوره ٢٣ - آيه ٢٤
- ١١- سوره ٢٣ - آيه ٢٥
- ١٢- سوره ٢٣ - آيه ٢٥

۱۳- سوره ۲۳ - آیه ۲۵

۱۴- سوره ۲۳ - آیه ۲۶

۱۵- سوره ۲۳ - آیه ۲۷

۱۶- سوره ۲۳ - آیه ۲۷

۱۷- سوره ۲۳ - آیه ۲۷

۱۸- سوره ۲۳ - آیه ۲۷

وَ فَارَ التَّنُورُ (١) أى أن العلامة بينى و بينك بزمان نزول العذاب هو فوران الماء و نبعه من التَّنُور. فإذا رأيت الماء يفور منه فاركب أنت و من آمن بك - و من العجيب أن الذى يخبرك بنبع الماء من التَّنُور، هى امرأتك حتى يكون سبب الغرق من موضع الحرق! فمن كان هذه قدرته ينبغى أن يعبد و يخضع له لا ما يبول الثعلب على رأسه و لا يقدر أن يدفعه.

فأسلُكُ فيها (٢) أى فأدخل فيها من كل زوجين اثنين (٣) الذكر و الأنثى و لا تُخاطِبنى فى الذين ظلموا (٤) أى تأكيد بالدعاء بإنجائهم إنهم مُعْرِقُونَ (٥) هذه الجملة عله للنهى عن الدعاء بالإنجاء، لأنه قضى عليهم بالغرق كابنه كنعان و أمه واغله.

٢٨ و ٢٩- فَإِذَا اسْتَيْوَيْتَ أَنْتَ وَ مَنْ مَعَكَ... (٦) يعنى إذا صعدت إلى الفُلكِ (٧) أى السفينه، و استقرتيم عليها فقل (٨) داعيا: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٩) احمد ربك و اشكره لأنه خلصكم من الذين ظلموكم و سخرؤا منكم و استخفؤا بكم وَ قُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا (١٠) أى حين نزولك. و

فى الفقيه قال النبى (ص) لعلى (ع) يا على إذا نزلت منزلا فقل: اللهم أنزلنى منزلا مباركا و أنت خير المنزلين و قرئ بفتح الميم و كسر الزاى، أى إنزالا مباركا أو نزولا مباركا و ذلك تمام النجاه.

و قيل المنزل المبارك هو السفينه لأنها سبب النجاه، و قيل المكان المبارك بالمياه و الشجر و كثره النعم هو المراد بالمنزل المبارك الذى دعا للنزول فيه. و بناء على ضم الميم كان مصدرا ميميا بمعنى الإنزال كما فسرناه أولا و ثانيا.

٣٠- إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ... (١١) أى فى إغراق قوم نوح و نجاته و أهله إلا من سبق عليه القول بإهلاكه من أهله و نجاه المؤمنين به لآيَاتٍ (١٢) لأهل العبره و الهدايه و إن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ (١٣) كلمه إن مخففه و المراد بالمبتلين أى المختبرين و الممتحنين من عبادنا ليتذكروا أو المصابين قوم نوح بالبلاء العظيم و العذاب الشديد

ص: ٦٠

١- سوره ٢٣ - آيه ٢٧

٢- سوره ٢٣ - آيه ٢٧

٣- سوره ٢٣ - آيه ٢٧

٤- سوره ٢٣ - آيه ٢٧

٥- سوره ٢٣ - آيه ٢٧

٦- سوره ٢٣ - آيه ٢٨

٧- سوره ٢٣ - آيه ٢٨

٨- سوره ٢٣ - آيه ٢٨

٩- سوره ٢٣ - آيه ٢٨

١٠- سوره ٢٣ - آيه ٢٩

١١- سوره ٢٣ - آيه ٣٠

۱۲- سوره ۲۳ - آیه ۳۰

۱۳- سوره ۲۳ - آیه ۳۰

ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَوْمًا آخَرِينَ (٣١) فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٣٢) وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ (٣٣) وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا لَخَاسِرُونَ (٣٤) أَيْعِدُكُمْ أَنْكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنْكُمْ مُخْرَجُونَ (٣٥) هَيِّهَاتَ هَيِّهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ (٣٦) إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ (٣٧) إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ (٣٨) قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونَ (٣٩) قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لِيُصِيبَهُمْ نَادِمِينَ (٤٠) فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٤١)

٣١- ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ... (١) أى أوجدناهم بعد إهلاك قوم نوح و إبنائهم قَوْمًا آخَرِينَ (٢) قوما غيرهم و هم عاد و ثمود، و قيل هم عاد فقط.

٣٢- فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ... (٣) أى بعثنا رسولا منهم: بشرا، هو هود عليه السلام يأمرهم أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ (٤) بعباده الله تعالى الذى ما لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ (٥) ليس لكم رب سواه أَفَلَا تَتَّقُونَ (٦) أَفلا تخافون من عقوبته و عذابه و تتجنبون غضبه و سخطه؟..

ص: ٤١

- ١- سوره ٢٣ - آيه ٣١
- ٢- سوره ٢٣ - آيه ٣١
- ٣- سوره ٢٣ - آيه ٣٢
- ٤- سوره ٢٣ - آيه ٣٢
- ٥- سوره ٢٣ - آيه ٣٢
- ٦- سوره ٢٣ - آيه ٣٢

٣٣ و ٣٤- وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا... (١) قَالَ الْكَافِرُونَ مِنْ قَوْمِهِ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ (٢) أَنْكُرُوا الْبَعْثَ وَالْحِسَابَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَ أَتَرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا (٣) وَ كُنَّا قَدْ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِمْ فِي حَيَاتِهِمْ، قَالُوا:

ما هذا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ (٤) مَرَّ تَفْسِيرُهُ، فَهُوَ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ (٥) مِنَ الطَّعَامِ وَ يَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ (٦) وَ لَا يَمْتَازُ عَنْكُمْ بِشَيْءٍ وَ لَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ (٧) إِذَا سَمِعْتُمْ كَلَامَهُ حَالِ كَوْنِهِ مِثْلَكُمْ، وَ أَلْقَيْتُمْ لَهُ بِالطَّاعَةِ إِنَّكُمْ إِذَا لَخَاسِرُونَ (٨) لَا تَصِيْبُونَ رِبْحًا بِذَلِكَ.

٣٥ و ٣٦- أَيْعِدْكُمْ أَنْتُمْ إِذَا مُتُّمْ وَ كُنْتُمْ تُرَابًا... (٩) أَيْ هَذَا الَّذِي يَدْعَى النَّبِيُّ يَقُولُ لَكُمْ أَنْكُمْ تَعُودُونَ بَعْدَ أَنْ تَمُوتُوا وَ تَصِيرُوا تُرَابًا وَ عِظَامًا بِأَلِيهِ أَنْتُمْ مُخْرَجُونَ (١٠) تَبْعَثُونَ وَ تَخْرُجُونَ مِنْ قُبُورِكُمْ كَمَا كُنْتُمْ فِي دَارِ الْحَيَاةِ؟... هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ (١١) هَيْهَاتَ: اسْمُ فِعْلٍ مَاضٍ مَوْضُوعُهُ لِلْإِسْتِبْعَادِ، أَيْ: بَعْدَ لِمَا يَقُولُهُ مِنَ الْمَحَالِّ وَ هُوَ بَعْثُ الْأَجْسَادِ بَعْدَ فَنَائِهَا. وَ هَيْهَاتَ الثَّانِيهِ تَأْكِيدٌ لِلأُولَى وَ اللَّامُ لِبَيَانِ الْمُسْتَبْعَدِ، أَيْ: بَعِيدٌ بَعِيدٌ مَا وَعَدَكُمْ بِهِ هُودٌ مِنْ أَنْكُمْ تَحْيَوْنَ بَعْدَ مَا تَمُوتُونَ، وَ تَبْعَثُونَ بَعْدَ مَا تَدْفَنُونَ، وَ تَحَاسِبُونَ عَلَى أَعْمَالِكُمْ فَتَعْدَبُونَ، فَهَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا يَتَوَهَّمُ هُودٌ بِمَا يَقُولُهُ!...

٣٧- إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا... (١٢) أَيْ مَا هِيَ إِلَّا هَذِهِ الْحَيَاةُ الَّتِي نَعِيشُهَا، وَ لَيْسَ هُنَاكَ مِنْ حَيَاةٍ غَيْرِهَا، فَفِي هَذِهِ الدُّنْيَا نَحْيَا وَ نَمُوتُ وَ مَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ (١٣) وَ لَسْنَا بِمُعَادِينَ بَعْدَ الْمَوْتِ.

٣٨- إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى... (١٤) أَيْ لَيْسَ هُودٌ سِوَى رَجُلٍ افْتَرَى:

ارْتَكَبَ فَرِيهَ وَ كَذَّبَا عَلَى اللَّهِ (١٥) وَ لَيْسَ مَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَ مَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ (١٦) وَ لَسْنَا بِمُصَدِّقِينَ مَا افْتَرَاهُ وَ اخْتَلَقَهُ.

٣٩ و ٤٠- قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبْتَنِي... (١٧) مَرَّ تَفْسِيرُهَا قَرِيبًا قَالَ (١٨) اللَّهُ تَعَالَى لَهُ مَجِيبَا دَعَاةٍ: عَمَّا قَلِيلٍ (١٩) بَعْدَ فِتْرَتِهِ بَسِيطُهُ لِيُصْبِحَنَّ نَادِمِينَ (٢٠) لِيَصِيرَنَّ نَادِمِينَ عَلَى تَكْذِيبِكُمْ، وَ عَلَى عِنَادِهِمْ وَ ثَبَاتِهِمْ عَلَى الْكُفْرِ وَ عَدَمِ إِيمَانِهِمْ، وَ خُصُوصًا إِذَا رَأَوْا الْعَذَابَ.

ص: ٦٢

١- سورة ٢٣ - آية ٣٣

٢- سورة ٢٣ - آية ٣٣

٣- سورة ٢٣ - آية ٣٣

٤- سورة ٢٣ - آية ٣٣

٥- سورة ٢٣ - آية ٣٣

٦- سورة ٢٣ - آية ٣٣

٧- سورة ٢٣ - آية ٣٤

٨- سورة ٢٣ - آية ٣٤

۹- سوره ۲۳ - آیه ۳۵

۱۰- سوره ۲۳ - آیه ۳۵

۱۱- سوره ۲۳ - آیه ۳۶

۱۲- سوره ۲۳ - آیه ۳۷

۱۳- سوره ۲۳ - آیه ۳۷

۱۴- سوره ۲۳ - آیه ۳۸

۱۵- سوره ۲۳ - آیه ۳۸

۱۶- سوره ۲۳ - آیه ۳۸

۱۷- سوره ۲۳ - آیه ۳۹

۱۸- سوره ۲۳ - آیه ۴۰

۱۹- سوره ۲۳ - آیه ۴۰

۲۰- سوره ۲۳ - آیه ۴۰

٣٩ و ٤٠- قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونَ... (١) مرّ تفسيرها قريبا قال (٢) الله تعالى له مجيبا دعاءه: عَمَّا قَلِيلٍ (٣) بعد فتره بسيطه لِيُصِيبَهُمْ نَادِمِينَ (٤) ليصيرنّ نادمين على تكذيبك، و على عنادهم و ثباتهم على الكفر و عدم إيمانهم، و خصوصا إذا رأوا العذاب.

٤١- فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ... (٥) أى حلت بهم و أصمّتهم صيحه جبرائيل عليه السلام حين صاح بهم صيحه هائله منكره تصدّعت لها قلوبهم و تمرّقت أحشاؤهم بِالْحَقِّ (٦) بالحكم العدل من عند الله تعالى لأنهم كانوا مستحقّين لها. و هذه الآية تدل على أن قوم صالح أهلكوا بالصيحه كما هو واضح فَجَعَلْنَاهُمْ غَنَاءً (٧)

فغن الباقر عليه السلام: الغناء: اليابس الهامد من نبات الأرض. و قد شبّههم سبحانه بغناء السيل و هو ما تحمله المياه الجاريه على سطحها من الحشائش و النباتات اليابسه و الأوساخ فَبَعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٨) بعدا: منصوب على المصدريه للمقدّر: أى بعدوا بعدا. و يحتمل أن تكون للإخبار أو الدعاء عليهم، و المقدّر هو بمعنى: هلك هؤلاء، أو أهلكهم الله، و هذا له نظير: سحقا، من المصادر الموضوعه موضع أفعالها كما لا يخفى على من تأمل موارد استعمالها.

سوره المؤمنون (٢٣): الآيات ٤٢ الى ٤٥

ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ (٤٢) ما تَسْبِقُ مِنْ أُمَّه أَجْلَهَا وَ ما يَسْتَأْخِرُونَ (٤٣) ثُمَّ أَرْسَلْنَا رَسُولًا ثَمَرًا كُلِّ ما جاء أُمَّه رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَ جَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبَعْدًا لِقَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ (٤٤) ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَ أَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَ سُلْطَانٍ مُبِينٍ (٤٥)

٤٢ و ٤٣- ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ... (٩) مرّ تفسيرها و هى تعنى قوم صالح و لوط و شعيب و غيرهم ما تَسْبِقُ مِنْ أُمَّه أَجْلَهَا (١٠) أى

ص: ٦٣

- ١- سوره ٢٣ - آيه ٣٩
- ٢- سوره ٢٣ - آيه ٤٠
- ٣- سوره ٢٣ - آيه ٤٠
- ٤- سوره ٢٣ - آيه ٤٠
- ٥- سوره ٢٣ - آيه ٤١
- ٦- سوره ٢٣ - آيه ٤١
- ٧- سوره ٢٣ - آيه ٤١
- ٨- سوره ٢٣ - آيه ٤١
- ٩- سوره ٢٣ - آيه ٤٢
- ١٠- سوره ٢٣ - آيه ٤٣

لا- يسبق وقت هلاكها الأجل المعين له في وقته، فإن لها أجلا محددًا لا يتقدم و ما يَسْتَأْخِرُونَ (١) و لا- يتأخرون عن ملاقاته هلاكهم في مواعده المقرّر.

٤٤- ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا... (٢) أى بعثنا رسلنا من الأنبياء إلى مخلوقاتنا من الناس، تَتْرًا (٣) متتاليه واحدا بعد واحد، من الوتر الذى هو الفرد، و كانوا كَجَلٍّ ما جاءَ أُمَّهَ رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ (٤) فلم يصدّقوا قوله فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا (٥) أى جعلنا إهلاكك تلك الأقسام الكافره متتاليا، نهلك أمة بعد أمة وَ جَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ (٦) فما أبقينا منهم أثرا إلا ما يشير إلى كونهم عبره للخلق يتمثل بهم من بعدهم ليعلموا ان الله تعالى ينتقم من أعدائه الظالمين فى الدّنيا والآخرة فيتعجبوا منهم و يعتبروا من محو آثارهم و إفنائهم بأنواع العذاب.

٤٥- ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَ أَخَاهُ هَارُونَ... (٧) أى بعثناهما بِآيَاتِنَا (٨) التسع المشهورات المذكورات فى الكتاب و السنّه وَ سُلْطَانٍ مُّبِينٍ (٩) أى حجّجه واضحه ملزمه للخصم و هى العصا و تخصّصها بالذكر مع أنها داخله فى الآيات لكونها اهمّ الآيات و أمّ المعجزات فإن كثيرا ما تولّد منها كشق البحر و جريان المياه من الحجر و بلع ما عمل السحرة و حراسه موسى إذا نام و الاستضاءه بها فى الليالى المظلمه كالقمر المنير و الأمور الأخرى التى يحتاج إليها موسى فى السّفر و الحضر فلها امتيازات خاصّه بها.

سوره المؤمنون (٢٣): الآيات ٤٦ الى ٤٨

إلى فِرْعَوْنَ وَ مَلَأْنَاهُ فَاِسْتَكْبَرُوا وَ كَانُوا قَوْمًا عَالِينَ (٤٦) فَقَالُوا أُنُومٌ لِّبَشَرٍ مِّثْلِنَا وَ قَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ (٤٧) فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ (٤٨)

ص: ٦٤

- ١- سوره ٢٣ - آيه ٤٣
- ٢- سوره ٢٣ - آيه ٤٤
- ٣- سوره ٢٣ - آيه ٤٤
- ٤- سوره ٢٣ - آيه ٤٤
- ٥- سوره ٢٣ - آيه ٤٤
- ٦- سوره ٢٣ - آيه ٤٤
- ٧- سوره ٢٣ - آيه ٤٥
- ٨- سوره ٢٣ - آيه ٤٥
- ٩- سوره ٢٣ - آيه ٤٥

٤٦- إِلَى فِرْعَوْنَ وَ مَلَأْتِهِ... (١) المَلَأَ الجَماعه من القوم، و أشرف القوم الذين يملأون العيون أبهه و الصّيدور هيبه، و أصحاب التّشاوور فى الأمور فَاشْتَكَبُوا (٢) عن الايمان و المتابعه وَ كانوا قَوْمًا عالِينَ (٣) اى أرباب علوّ و قهر و استيلاء و أرباب أنفه و سلطان و لذا يرون أن التبعيه لموسى و الايمان بالله خلاف مقامهم و شأنهم. و يدلّ على ما قلنا قولهم بعد ذلك:

٤٧- فَقَالُوا أ تُوْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا... (٤) فقال آل فرعون مثلما قال من سبقهم: هل نؤمن لإنسانين مثلنا و ليسا من الملائكه من عند الله وَ قَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ (٥) اى أن بنى إسرائيل نحن نستعبدهم و نستخدمهم فى مصالحنا.

٤٨- فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ... (٦) اى أن فرعون و قومه لم يصدقوا موسى و هارون عليهما السلام، فكانوا ممن قضينا عليهم بالغرق فى بحر النيل.

سوره المؤمنون (٢٣): الآيات ٤٩ الى ٥٢

وَ لَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ (٤٩) وَ جَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَ أُمَّهُ آيَةً وَ آوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبِّيهِ ذَاتِ قَرَارٍ وَ مَعِينٍ (٥٠) يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَ اعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (٥١) وَ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَ أَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ (٥٢)

٤٩- وَ لَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ... (٧) اى: قد أنزلنا على موسى الكتاب الذى هو التوراه لعلهم يسترشدون بها و يهتدون لما فيها من الحق و الشرع.

ص: ٦٥

- ١- سوره ٢٣ - آيه ٤٦
- ٢- سوره ٢٣ - آيه ٤٦
- ٣- سوره ٢٣ - آيه ٤٦
- ٤- سوره ٢٣ - آيه ٤٧
- ٥- سوره ٢٣ - آيه ٤٧
- ٦- سوره ٢٣ - آيه ٤٨
- ٧- سوره ٢٣ - آيه ٤٩

٥٠- وَ جَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَ أُمَّهُ آيَةً... (١) أى جعلناهما معجزه أظهرناها للناس بقدرتنا لأن عيسى عليه السلام ولد من غير أب و تكلم فى المهد صبيًا و له معاجز كثيره ذكرناها سابقا، و لأن أمه سلام الله عليها حملت به من غير أن يمسيها بشر، فكانا معجزتين عجيبتين وَ آوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ (٢) أسكناهما فى أرض مرتفعه هى بيت المقدس، أو هى دمشق أو مصر و هى كلها أراض مرتفعه ذات قرارٍ وَ مَعِينٍ (٣) أى مستويه يستقر عليها و المراد بالمعين هو الماء الجارى الصافى الهنىء و.

فى الكافى عن الصادق عليه السلام قال الربوه نجف الكوفه، و القرار مسجد الكوفه و المعين: الفرات.

٥١- يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ... (٤) أى المستلذات المباحات وَ اعْمَلُوا صَالِحًا (٥) أى الإتيان و العمل بأوامره و ترك نواهيه. و تقدّم أكل الطيب على العمل الصالح لأن الثانى نتيجة الاول. و قال بعض أهل المعرفة إن اللقمه بذر، و كلما كان البذر أحسن فالزرع أحسن فالثمر أعلى و أرقى، و أكل الحلال يظهر أثره فى جميع أحوال الإنسان و بالأخص فى الرغبه إلى طاعه الله تعالى و فى كيفيته العباده بحيث يصير مصداقا للآيه المباركه، ثم تلين جلودهم و قلوبهم إلى ذكر الله، بخلاف أكل الحرام أعاذنا الله منه حيث إن الإنسان يصير خاتمه أمره و عاقبته أن يكذب بآيات الله و أحكامه و يستهزئ و تصير أحكامه تعالى كبيره عليه كالجبال الراسيات. اللهم إلا- أن يوفق للتوبه و يترك الحرام و ان كان بعيدا و هيهات هيهات أين يخلية الشيطان و يتركه حتى يوفق للتوبه و

فى الحديث: إن الله طيب لا يقبل إلا الطيب إنى بما تعملون عليهم (٦) هذا البيان داع للعبد الى إصلاح عمله لأن العاقل إذا عمل عملا- لمن يرى و يعلم حقيقه عمله و يجرى على طبق ما يعمل و يعطى الأجره على مقدار استحقاقه بعمله فالعامل طبعاً يجد و يجتهد بتمام بذل وسعه حتى يصلح عمله و يأتيه على وفق مقصود أمره به فهذه التنبيهات لطف منه تعالى للعباد.

٥٢- وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً... (٧) أى أن هذه الأمم التى هى أممكم و أرسلتكم إليهم واحدا بعد واحد، لا بدّ و أن تكونوا على مذهب

ص: ٦٦

- ١- سورة ٢٣ - آيه ٥٠
- ٢- سورة ٢٣ - آيه ٥٠
- ٣- سورة ٢٣ - آيه ٥٠
- ٤- سورة ٢٣ - آيه ٥١
- ٥- سورة ٢٣ - آيه ٥١
- ٦- سورة ٢٣ - آيه ٥١
- ٧- سورة ٢٣ - آيه ٥٢

واحد و شریعه واحده و متوحده على التوحيد وَ أَنَا رَبُّكُمْ (١) أى ليس لكم ربّ سواى فكونوا متّحدين و متّفقين علىّ و لا تتفرّقوا عن عبادتى وَ أَنَا رَبُّكُمْ (٢) إلهكم و خالقكم جميعا فَاتَّقُونِ (٣) فخافونى فى الاختلاف و شقّ العصا فيما بينكم و فى النزاع بكلمه التوحيد، و لا تتفرّقوا فى شرعكم و فى أحكامه التى جاءكم بها رسلى و اسمعوا قولهم و أطيعوا أوامرهم و نواهيهم لأنهم يؤدّون عنيّ.

سوره المؤمنون (٢٣): الآيات ٥٣ الى ٥٦

فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ (٥٣) فَذَرَهُمْ فِي غَمَرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ (٥٤) أَيْحَسِبُونَ أَنَّمَا نُمَدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَّالٍ وَ بَيْنَ (٥٥) نَسَارِعَ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ (٥٦)

٥٣- فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا... (٤) أى أنهم مع تلك الوصايا و البيانات الكافيه بوحدہ الكلمه فى أمر الدّين، و لا سيّما فى التوحيد، فإنّهم من شده اختلافهم جعلوا دينهم أديانا مختلفه و طوائف متنازعه، و زبرا: أى قطعاً قطعاً، استعيرت من زبر الحديد، فصار كلُّ حِزْبٍ (٥) كل فريق منهم بما لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ (٦) مسرورون بما اتّخذوه ديناً لأنفسهم، و تحزّبوا له و أعجبوا به و رأوا أنفسهم هم المحقّين، و غيرهم على الباطل. و فى القمى قال: كلٌّ من اختار لنفسه ديناً فهو فرح به كمشركى العرب و كالمجوس و اليهود و النصارى و الصابئين و غيرهم. ثم انه تعالى قرّعهم على ذلك الاختلاف و وجّه إليهم الوعيد و التهديد فقال:

٥٤- فَذَرَهُمْ فِي غَمَرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ... (٧) أى اتركهم ودع هؤلاء الجهلاء فى جهلهم الذى شبّهه سبحانه بغمرات المياه، أى معظمها و كثيرها المتلاطم الذى يغمر القامه و يغطّيها، فخلّهم فى نزاعهم و حقدهم و تحاسدهم إلى حين: أى إلى وقت يقتلون فيه أو يموتون، أو إلى وقت بعثهم و زمان حشرهم.

ص: ٦٧

- ١- سوره ٢٣ - آيه ٥٢
- ٢- سوره ٢٣ - آيه ٥٢
- ٣- سوره ٢٣ - آيه ٥٢
- ٤- سوره ٢٣ - آيه ٥٣
- ٥- سوره ٢٣ - آيه ٥٣
- ٦- سوره ٢٣ - آيه ٥٣
- ٧- سوره ٢٣ - آيه ٥٤

٥٥ و ٥٦- أَيْحَسِبُونَ أَنَّمَا نُنَادُهُمْ... (١) أَيْ مَا نَعْطِيهِمْ وَ نَجْعَلُهُ مَدَدًا لَهُمْ مِنْ مَالٍ وَ بَيْنَ (٢) كَلِمَةٍ مِنْ (٣) بَيَاتِيهِ لِلْمَوْصُولِ، أَيْ مَا نَرْزُقُهُمْ مِنَ الْأَمْوَالِ وَ الْأَوْلَادِ، أَيْ يَظُنُّونَ أَنَّا بَعْمَلْنَا هَذَا نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ (٤) أَيْ هُوَ لِأَنَّ الْكَافِرِينَ يَظُنُّونَ أَنَّ مَا نَعْطِيهِمْ وَ نَزِيدُهُمْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ وَ أَوْلَادِهِمْ إِنَّمَا نَعْطِيهِمْ ثَوَابًا وَ مَجَازَاهَ لَهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ وَ لِرِضَائِنَا عَنْهُمْ لِكِرَامَتِهِمْ عَلَيْنَا وَ اسْتِحْقَاقِهِمْ، وَ مَكَافَأَهُ لَأَعْمَالِهِمْ؟ لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا يَظُنُّونَ، بَلْ ذَلِكَ إِمْلَاءٌ لَهُمْ وَ اسْتِدْرَاجٌ لَهُوَانِهِمْ عَلَيْنَا. وَ فِي الْحَقِيقَةِ تَلْكَ الْمَسَارِعَةُ مَبَادِرُهُ لَنَا عَلَيْهِمْ فِي الشَّرِّ حَيْثُ إِنَّمَا مَعْقِبُهُ بِالْعَذَابِ وَ بِأَخْذِهِمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ فَجَاءَهُ بَلٌّ لَا يَشْعُرُونَ (٥) الشُّعُورُ هُوَ الْعِلْمُ بِالْمَعْلُومِ الدَّقِيقِ وَ دَقِيقٌ فَهَمَّهُ عَلَى صَاحِبِهِ.

وَ حَاصِلُ الْمَعْنَى أَنَّ هَذَا الْإِمْدَادَ لَيْسَ إِلَّا- اسْتِدْرَاجًا لَهُمْ فِي الْمَعَاصِي، وَ هُمْ يَحْسِبُونَهُ مَسَارِعَةً فِي الْخَيْرَاتِ. وَ كَلِمَةُ يَلُّ (٦) اسْتِدْرَاجٌ لِقَوْلِهِ أَيْحَسِبُونَ، أَيْ بَلْ هُمْ أَشْبَاهُ الْبَهَائِمِ لَا شُعُورَ لَهُمْ حَتَّى يَتَفَكَّرُوا فِي ذَلِكَ أَهْوَا اسْتِدْرَاجِ أُمَّ مَسَارِعَةٍ فِي الْخَيْرَاتِ. وَ

فِي الْمَجْمَعِ عَنِ الصَّادِقِ عَنِ أَبِيهِ عَنِ آبَائِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: يَحْزَنُ عَبْدِي الْمُؤْمِنُ إِذَا قَتَّرَتْ عَلَيْهِ شَيْئًا مِنَ الدُّنْيَا وَ ذَلِكَ أَقْرَبُ لَهُ مِنِّي.

وَ يَفْرَحُ إِذَا بَسَطَتْ لَهُ الدُّنْيَا وَ ذَلِكَ أَبْعَدُ لَهُ مِنِّي، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ ذَلِكَ فَتْنَةٌ لَهُمْ. ثُمَّ أَنَّهُ تَعَالَى بَعْدَ بَيَانِ أَحْوَالِ الْكَافِرِ وَ الْفَجَّارِ ذَكَرَ أَحْوَالَ الْمُؤْمِنِينَ الْأَخْيَارِ بَيَانًا أَوْصَافَهُمْ بِقَوْلِهِ:

سورة المؤمنون (٢٣): الآيات ٥٧ إلى ٦٧

إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ (٥٧) وَ الَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ (٥٨) وَ الَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ (٥٩) وَ الَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَ قُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ (٦٠) أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَ هُمْ لَهَا سَابِقُونَ (٦١) وَ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَ لَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَ هُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٦٢) بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِنْ هَذَا وَ لَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ (٦٣) حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ بِالْعِزَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ (٦٤) لَا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تُنصِرُونَ (٦٥) قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتلى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَىٰ آعْقَابِكُمْ تُنكصُونَ (٦٦) مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ (٦٧)

ص: ٦٨

١- سورة ٢٣ - آية ٥٥

٢- سورة ٢٣ - آية ٥٥

٣- سورة ٢٣ - آية ٥٥

٤- سورة ٢٣ - آية ٥٦

٥- سورة ٢٣ - آية ٥٦

٦- سورة ٢٣ - آية ٥٦

٥٧ و ٥٨- إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيِهِ... (١) أى من خوف عذاب رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ (٢) أى حذرون. فالإشفاق يتضمّن الخشية، إلا أن الخوف مع زياده رَقَه و ضعف، فبهذا الوجه يفرّق بينهما. وقيل، جمع بينهما للتأكيد فإذا هما متساويان. وقيل الخشية هو العذاب فالفرق بيّن. وقيل الشفقة هو الميل مع الخوف كالعبد يميل إلى ولاه و خائف منه أيضا فالفارق موجود.

ثم إنه جَلّ و علا- عدّ لهم أربعة أو خمسة أوصاف بعد أن بيّن أنهم يؤمنون بآيات ربّهم، ثم جعل الوصف الأخير أى الجملة الأخيرة المشتمله على وصفهم بالمسارعة خبرا للموصول فى الجملة الأولى فيستفاد أن إيمان المؤمن لا يكمل إلا بمجموع هذه.

٥٩- وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ... (٣) أى يوحدونه و لا يجعلون له شريكا...

٦٠- وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا... (٤) أى يعطون ما أعطوه من الصّدقات أو أعمال البرّ كلّها فدخل فيه كلّ حقّ لازم ايتاؤه سواء كان ذلك الحق من حقوق الله كالزكاة و الكفارة و غيرها أو من حقوق الأدميين كالودائع و الديون و أمثالهما و قلوبهم و جلّة (٥) لأن من يقدم على عمل من العبادات و المعاملات و هو يعلم أنه على تلك الأعمال محاسب بحساب دقيق و أنّ عالم

ص: ٦٩

١- سورة ٢٣ - آيه ٥٧

٢- سورة ٢٣ - آيه ٥٧

٣- سورة ٢٣ - آيه ٥٩

٤- سورة ٢٣ - آيه ٦٠

٥- سورة ٢٣ - آيه ٦٠

السِّرّ و الخَفِيَّات مشرف على أعماله و هو بالمرصاد،فهو وجلّ قهراً لأنه يحتمل أن يكون مقصّيراً يخلّ بوظائفه و يفترط في أعماله.وقيل في الكلام حذف و إضمار،أى و قلوبهم و جلّه أن لا يقبل منهم كما

فسّر أبو عبد الله عليه السلام به فقال معناه:قلوبهم خائفه أن لا يقبل منهم، و ذلك لعلمهم ب أنّهم إلى ربّهم راجعون (١) أى لأن مرجعهم إليه،و هو يعلم ما يخفى عليهم.فهذه الجملة فى مورد العله لخوف قلوبهم و متعلقه بوجهه بحذف حرف الجرّ.و الحاصل أن المؤمن لا يرى فى أعماله و أقواله إلا ربّه لخوفه منه.و

فى الكافى عن الصّادق عليه السلام قال: إن استطعت أن لا-تعرف فافعل،و ما عليك أن لا يثنى عليك الناس،و ما عليك أن تكون مذموما عند الناس إذا كنت محمودا عند الله.ثم قال عليه السلام قال أبى على بن أبى طالب عليه السلام:لا خير فى العيش إلا-لرجلين:رجل يزداد كلّ يوم خيراً،و رجل يتدارك السيئه بالتوبه،فبين عليه السلام ما هو شرط فى قبول توبته و سبب لأن يوفّق للتوبه،

فقال،أى مولانا أمير المؤمنين عليه السلام: و الله لو سجد حتى ينقطع عنقه ما قبل الله تبارك و تعالى منه إلا-بولائتنا أهل البيت.ألا و من عرف حقنا و رجا الثواب فينا و رضى بقوته نصف مدّ فى كلّ يوم و ما ستر عورته و ما أكنّ رأسه،و هم و الله فى ذلك خائفون و وجلون إلى آخر الحديث...

٦١- أولئك يُسَارِعُونَ فى الخَيْرَاتِ... (٢) أى يرغبون فى الطاعات أشدّ الرغبه فيبادرون بها.أو المراد مطلق الأمور الخيرية دنيويه كانت أو اخرويه، لقوله تعالى فاتاهم الله ثواب الدنيا و حسن ثواب الآخرة أى الأجر الدنيوى،و أحسن أجر فى الأخرى و هم لها سابقون (٣) أى المتّصفين بتلك الصّفات المذكوره لأجل تلك الخيرات سابقون إلى الجنّه.وقيل إنهم للخيرات سابقون غيرهم من المؤمنين.و قال الكلبي:سبقوا الأمم إلى الخيرات.

٦٢- وَ لا نُكَلِّفُ نَفْساً إِلاّ وُسْعَهَا... (٤) يعنى أن تلك الحسنات

ص: ٧٠

١- سورة ٢٣ - آيه ٦٠

٢- سورة ٢٣ - آيه ٦١

٣- سورة ٢٣ - آيه ٦١

٤- سورة ٢٣ - آيه ٦٢

و الخيرات المذكوره التي كلفنا العباد بها ليست بأمور شاقه خارجه عن طاقه البشر و وسعهم فان التكليف بها مذموم قبيح و نحن لا نأمر به و منزهون عنه بل هي أمور سهله دون الطاقه و الوسع. فهذه تحريض على ما هو المتصف به الصالحاء و الأبرار و ترغيب للنفوس بأن تهفو إلى إتيانها حتى يعتادوا و يتصفوا بها و قد تأبى النفوس من تحمّل التكليف حيث إنها ثقيله على عامه البشر، و من هنا سمى تكليفا من الكلفه و لَمَدَيْنَا كِتَابًا (١) أى صحيفه الأعمال أو اللوح المحفوظ يَنْطَقُ بِالْحَقِّ (٢) يبين الحق و يشهد بالصّديق فيما كتب فيه من أعمال العباد أو جميع أمورهم معادا و معاشا وَ هُمْ لَا يُظَلَّمُونَ (٣) بنقصان الثواب أو بازدياد العقاب على مقدار استحقاقهم.

٦٣- بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِنْ هَذَا... (٤) كلمه بَلْ (٥) إضراب عمّا سبق وردّ له و ابتداء الكلام. و المعنى أن قلوب الكفار فى غفله شديده من هذا الكتاب المشتمل على الوعد و الوعيد و هو القرآن. و قيل فى جهل و حيره غامره لها و محيطه بها اى انهم فى غايه الغفله مِنْ هَذَا (٦) اى مما وصف به هؤلاء، أو من كتاب الأعمال، أو من القرآن وَ لَهُمْ أَعْمَالٌ (٧) سيئه خبيثه مِنْ دُونِ ذَلِكَ (٨) أى سوى ما هم عليه من الشّرك هُمْ لَهَا عَامِلُونَ (٩) لا يتركونها فإنهم معتادون على فعلها.

٦٤- حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ... (١٠) أى إلى أن نأخذ متنعميهم بِالْعَذَابِ (١١) فى الآخره أو القتل بيدر أو الجوع حين دعا عليهم رسول الله صلّى الله عليه و آله،

فقال اللهم اشدد و وطأتك على مضر و اجعلها عليهم سنين كسنى يوسف. أى خذهم أخذا شديدا. فابتلاهم بالقحط حتى أكلوا الجيف و الكلاب و العظام المحروقه و القدر و الأولاد إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ (١٢) أى يصرخون بالاستغاثة و الدعاء لينجّيهم.

٦٥- لَا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ... (١٣) أى لا تصرخوا أو لا ترفعوا أصواتكم بالاستغاثة إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تُنصِرُونَ (١٤) أى قيل لهم: لا تمنعون منّا أو لا يأتيكم نصر من ناحيتنا فنحن لا ننفعكم بعد تمام الحججه و البيان.

ص: ٧١

١- سورة ٢٣ - آيه ٦٢

٢- سورة ٢٣ - آيه ٦٢

٣- سورة ٢٣ - آيه ٦٢

٤- سورة ٢٣ - آيه ٦٣

٥- سورة ٢٣ - آيه ٦٣

٦- سورة ١٨ - آيه ٢٤

٧- سورة ٢٣ - آيه ٦٣

٨- سورة ٢٣ - آيه ٦٣

٩- سورة ٢٣ - آيه ٦٣

١٠- سورة ٢٣ - آيه ٦٤

١١- سورة ٢٣ - آيه ٦٤

۱۲- سوره ۲۳ - آیه ۶۴

۱۳- سوره ۲۳ - آیه ۶۵

۱۴- سوره ۲۳ - آیه ۶۵

٦٦- قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُثَلَّى عَلَيْكُمْ... (١) هذه الكريمة فى بيان العله لعدم النصّر فكنتم على أعقابكم تنكصون (٢) أى تعرضون مدبرين عن سماعها فترجعون رجوع القهقرى. فإن النكوص هو الرجوع القهقرى.

٦٧- مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ... (٣) أى بالقرآن بتضمين الاستكبار معنى التكذيب سامراً (٤) أى تتحدثون تمام الليل بالطعن فى القرآن و لا تنامون اشتغالا بتكذيبه و ذكره بأنه شعر أو سحر، بل و بسبّ رسول الله صلى الله عليه و آله تهجرون (٥) أى تتركون القرآن أو تشتمونه أو تهذون به.

سوره المؤمنون (٢٣): الآيات ٦٨ الى ٧٢

أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ (٦٨) أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ (٦٩) أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُمُ بِالْحَقِّ وَ أَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ (٧٠) وَ لَوْ اِتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَ الْأَرْضُ وَ مَنْ فِيهِنَّ يَلِ أْتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ (٧١) أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجاً فَخَرَجَ رِبِّكَ خَيْرٌ وَ هُوَ خَيْرُ الرَّاغِبِينَ (٧٢)

٦٨- أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ... (٤) أى القرآن، فيعرفوا ما فيه من الدلالات و العبر و يعلموا أنه الحق من ربهم. أو المراد من القول هو أقوال النّبى (ص) حينما أرسل لتبليغ الأحكام و تبين الأصول أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ (٧) استفهام إنكارى، أى كما جاءهم الرّسل و الكتاب من الأقدمين و السلف، كذلك أرسلناك و أنزلنا إليك الكتاب حتى تقرأ عليهم و تنذرهم

ص: ٧٢

- ١- سوره ٢٣ - آيه ٦٦
- ٢- سوره ٢٣ - آيه ٦٦
- ٣- سوره ٢٣ - آيه ٦٧
- ٤- سوره ٢٣ - آيه ٦٧
- ٥- سوره ٢٣ - آيه ٦٧
- ٦- سوره ٢٣ - آيه ٦٨
- ٧- سوره ٢٣ - آيه ٦٨

من عذاب ربهم.فإرسالك عليهم ليس بأمر بديع حتى يستنكروه.

٦٩- أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ... (١) أى ألا- يعرفونه بالصِّدقِ و الأمانة و مكارم الأخلاق و كمال العلم مع عدم التعلّم، و بشرف التَّسب و غير ذلك مما هو صفة الأنبياء فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ (٢) و هذا الاستفهام كما فى السابق للإِنكار أى بل عرفوا جميع ذلك فلا وجه للإِنكارهم له صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله.

٧٠- أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ... (٣) أى أنه مجنون،فلا- يعتنون بقوله فيقولون إن جنونه حمله على ادِّعائه الرِّساله مع أنهم عرفوه كمال المعرفه بأنه أكملهم عقلا- و أصدقهم قولا- و أتقنهم عملا- و أعرفهم برِّبه و أعلمهم بأحكامه،على أن كتابه متضمّن و مشحون بالدلائل الواضحه على صدقه فى دعواه مضافا إلى أن المجنون كيف يمكنه أن يأتى بكتاب أعجز عقلاءهم و فصحاءهم و قَصَّيروا عن الإتيان بآيه من مثله.و إنما نسبوه إلى الجنون حيث كان صلوات الله عليه و آله يأمر صناديدهم و كبراءهم بانقياده و التسليم لأمره و نهيه و هذا كان عندهم من أشق الأمور و أصعبها،فلذا نسبوه إلى الجنون ليتخلَّصوا من إطاعته و لا ينقادون له،فأوردوا ذلك استحقارا و استخفافا بشأنه حتى لا يرغب به أحد بل جاءهم بِالْحَقِّ (٤) أى بدين الحق المستقيم و هو الإسلام أو بقول الحق يعنى القرآن وَ أَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ (٥) لأنه مرّ و الشىء المرّ مكروه عندهم و عند البشر و لا سيّما البشر المعاند.

٧١- وَ لَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ... (٦) الحقّ هنا هو الله تعالى.و المعنى:لو جعل الله لنفسه شريكا كما يهون لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَ الْأَرْضُ (٧) و هذه الشريفه تفيد ما يستفاد من قوله سبحانه: لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا (٨) ، و وجه الفساد هو التمانع و التزاحم.و الحاصل،أنه تعالى محال أن يصير تابعا لأهوائهم فى جعل الشريك و الأمور الأخر التى يلزم منها الظلم و القبح بل أَيْتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ (٩) أى بكتاب فيه وعظهم و نصحهم و ما فيه فخرهم و شرفهم لأنّ الرسول منهم و القرآن نزل بلغتهم-و قرئ بذكرهم،لأنهم

ص: ٧٣

- ١- سورة ٢٣ - آيه ٦٩
- ٢- سورة ٢٣ - آيه ٦٩
- ٣- سورة ٢٣ - آيه ٧٠
- ٤- سورة ٢٣ - آيه ٧٠
- ٥- سورة ٢٣ - آيه ٧٠
- ٦- سورة ٢٣ - آيه ٧١
- ٧- سورة ٢٣ - آيه ٧١
- ٨- سورة ٢١ - آيه ٢٢
- ٩- سورة ٢٣ - آيه ٧١

قالوا لو أنّ عندنا ذكرا من الأولين لكنّا عباد الله المخلصين، فإذا أتيناهم بما فيه ذكر من الأولين و هو القرآن الذى فيه علم الأولين و الآخرين فهّم عن ذكرهم مِعْرُضُونَ (١) أى تاركون له وراء ظهورهم، قد كذبوا به. و فى الحقيقه أعرضوا عن شرفهم و فخرهم و ما فيه خيرهم الدنيوى و الأخرى و ذلك هو الخسران المبين.

٧٢- أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا... (٢) أى أجرا أداء الرّساله فكان هذا ثقلا- عليهم، فلا- يتحمّلونه فينفرون عن قبول الدّين و الإيمان بك. فالاستفهام للإنكار، أى ليس الأمر كذلك فإنك لست محتاجا إلى سؤال الخرج عنهم حيث إنّ خرجك على الله فخارج ربّك خَيْرٌ (٣) و التّعبير عمّا نسب إليه بالخارج لأن فيه إشعارا بكثرتة و لزومه و لذا غلب استعماله فيما يضع الإمام على الأرض أو يقاطعه مع الرعايا و هو أمر معتنى به و كثير بخلاف الخرج فانه ما يخرج الإنسان من ربحه و يعطى للغير و هو-نوعا-قليل و لا- يعتنى به كما هو المشاهد المحسوس فى الأسواق و غيرها. و زياده المبانى معروفه تدل على زياده المعانى و جهته الخيره لسعته و دوامه و عدم المنّه فيما يعطيه الخالق سبحانه و تعالى. و المراد بخراج الربّ هو رزقه الدنيوى و ثوابه الأخرى و هو خَيْرٌ الرّازقين (٤) هذا تقرير لخيره خواجه كما قرناه آنفا- و فى هذا دلالة على أن فى العباد من يرزق غيره بإذنه جلّ و علا و لو لا ذلك لما جاز أن يقول و هو خير الرّازقين أى أفضل من أعطى.

سوره المؤمنون (٢٣): الآيات ٧٣ الى ٧٧

وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٧٣) وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَا كِبُونَ (٧٤) وَ لَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَ كَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلْجُودِ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (٧٥) وَ لَقَدْ أَخَذْنَاَهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكْبَرُوا رَبَّهُمْ وَ مَا يَتَضَرَّعُونَ (٧٦) حَتَّى إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ (٧٧)

ص: ٧٤

١- سوره ٢٣ - آيه ٧١

٢- سوره ٢٣ - آيه ٧٢

٣- سوره ٢٣ - آيه ٧٢

٤- سوره ٢٣ - آيه ٧٢

٧٣- وَ إِنَّكَ لَتِيدِعُوهُمْ... (١) أى وظيفتك الدعوه إلى دين الإسلام إلى صراطٍ مُسْتَقِيمٍ (٢) و هو طريق الحقّ و العمل به على طريق العدل و الاستقامه، فإن ما دل الدليل عليه و قامت الحجه على صحته فهو مستقيم، عدل. و فى الروايه: إلى ولايه أمير المؤمنين.

٧٤- وَ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصَّوْطِ لَنَا كَبُونَ... (٣) أى عن جاده الهدى متميلون إلى تيه الضلاله و وادى الغوايه فإن خوف الآخره أقوى البواعث على طلب الحق و سلوك طريقه فلو لم يخف الإنسان منها بل لم يقبلها فلا داعى له لطلب الحق و الحقيقه.

٧٥- وَ لَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَ كَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ... (٤) أى لو منعنا عنهم القحط الذى أصابهم بمكه سبع سنين للَجُوعِ فِي طُغْيَانِهِمْ (٥) أى لداوموا و ثبتوا على ضلالتهم و إفراطهم فى كفرهم و عداوه الرسول و تابعيه عليهم السلام و لا زالوا يَغْمَهُونَ (٦) يتحذرون و يترددون فى طريق الحق.

و الحاصل لو رفعنا العذاب عنهم لما تابوا بل كانوا ثابتين راسخين على عنادهم و لجاجتهم و عتوهم. و

روى أنهم قحطوا حتى أكلوا(العلهز: القراد الضخم و طعام من الدّم و الوبر كانوا يتخذوه فى المجاعه) فجاء أبو سفيان إلى رسول الله صلى الله عليه و آله فقال: أنشدك الله و الرّحم أ لست تزعم انك بعثت رحمة للعالمين؟ قتلت الآباء بالسيف، و الأبناء بالجوع. فنزلت الكريمه حتى لا يسأل النبى رفع العذاب عنهم لأن فى الرفع خلاف المنه و الصلاح.

٧٦- وَ لَقَدْ أَخَذْنَاَهُمْ بِالْعَذَابِ... (٧) أى القتل يوم بدر فَمَا اسْتِكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَ مَا يَنْصُرُونَ (٨) هذه تقرير يؤيد عدم الفائدة من رفع العذاب فلا

ص: ٧٥

١- سوره ٢٣ - آيه ٧٣

٢- سوره ٢٣ - آيه ٧٣

٣- سوره ٢٣ - آيه ٧٤

٤- سوره ٢٣ - آيه ٧٥

٥- سوره ٢٣ - آيه ٧٥

٦- سوره ٢٣ - آيه ٧٥

٧- سوره ٢٣ - آيه ٧٦

٨- سوره ٢٣ - آيه ٧٦

مورد لرفعه و لسؤال رفعه، فكانت تسليه لقلبه الشّريف صلوات الله عليه.

٧٧- حَتَّى إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا ذَا عَذَابٍ... (١) أى نوعاً آخر من العذاب، وهو أشد من الأول يعنى الجوع فإنه أشد من القتل و الأسر. أو المراد هو فتح مكة الذى صاروا فيه أذلاءً أشدّ الذلّ مضافاً إلى الخوف الذى كادت قلوبهم أن تنصدع و تنشق و كان غايه أملهم أن يمنّ عليهم النبى الأكرم باستعبادهم و لم يقتلهم و هو صلى الله عليه و آله فعل بهم هكذا

و قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء، و ما قتل منهم أحدا و كان هذا أشدّ ذلّاً من القتل و الأسر عليهم.

قال أبو جعفر (ع) و هو فى الرجعه عند قيام القائم.

و الحاصل فإنهم فى هذه المره الثانيه على اختلاف الأقوال فيها إذا هم فيه مُبْلِسُونَ (٢) أى متحيرون أو مأيسون، فإن الإبلّاس بمعنى اليأس من كلّ خير. ففى هذه المره نزلوا عن عتوّهم و استكبارهم بحيث أرسلوا كبراءهم و أشرفهم إلى النبى و استعطفوه و استرحموه. فهذه الكريمه على هذا التفسير يناسب أن يكون المراد بها هو قضيه القحط أو فتح مكة أو هو بدر كما قيل، و الله أعلم بما أراد. ثم بعد ذلك ذكّرهم بعض نعمائه عليهم بقوله سبحانه:

سوره المؤمنون (٢٣): الآيات ٧٨ الى ٨٣

وَ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمْ السَّمْعَ وَ الْأَبْصَارَ وَ الْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ (٧٨) وَ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٧٩) وَ هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَ يُمِيتُ وَ لَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَ النَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٨٠) بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ (٨١) قَالُوا أَ إِذَا مِتْنَا وَ كُنَّا تُرَابًا وَ عِظَامًا أَ إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ (٨٢) لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَ آبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (٨٣)

ص: ٧٦

١- سوره ٢٣ - آيه ٧٧

٢- سوره ٢٣ - آيه ٧٧

٧٨- وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ... (١) من النعم التي أودعها الله سبحانه في الهيكل البشريّ قوّه السمع و البصر، و تقديم السمع على البصر لأهميته و أشرفيته عليه كما عليه المحققون من الأعلام، و لعل ذلك بمرتبته من الوضوح بحيث لا يحتاج الى التوضيح و يفهمه الإنسان بأدنى توجه و تفكر و الألفِـدَة (٢) و هذه جمع فؤاد و هو القلب الذي هو من تلك النعم المودعه المنشأه و لولاها لفسدت جميع الجوارح و انعدمت القوى كلها، فهي سلطانها و ركن أركانها كما في علم التشريح. و حاصل تلك الكريمة أنه تعالى على سبيل الالتفات من الغيبه إلى الخطاب تويخا و تقريرا يقول: نحن الذين أنعمنا عليكم بالسمع و البصر و الفؤاد حتى تسمعوا به ما يقرأ أنبيأؤنا المرسلون عليكم من آياتنا و كتبنا النازله إليهم، و تنظروا إلى معجزهم و خوارق عاداتهم، ثم بعد ذلك تتفكروا في آياتنا البيّنه و معجزنا الباهره فستدلّوا على وجود صانع حكيم تفرد في وحدانيته و قدرته. فإذا استعملتم تلك الحواس فيما هو مؤدّ إلى المعرفه بما قلنا فأنتم من الشاكرين لأنعمنا بتمام الشكر و كماله، و إلا لم تكونوا من الشاكرين أصلا أو قليلاً ما تشكرون (٣) و قليلاً- صفه لمفعول مطلق مقدر، و ما (٤) زائده للمبالغه في قلبه الشكر أو مقحمه لنفى الشكر، أى لا تشكرون و لو شكرا قليلا.

٧٩- وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ... (٥) أى أوجدكم و أنشركم بالتناسل فى أرضه و إليه تُحشرون (٦) أى إليه تبعثون فى يوم الحشر و تجمعون عنده للحساب و الجزاء.

٨٠- وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَ يُمِيتُ وَ لَهُ اخْتِلافُ اللَّيْلِ وَ النَّهَارِ... (٧) أى اختلافهما بالازدياد و الانتقاص فذلك يختص به تعالى و لا يقدر على ذلك أحد، و تقديم الجارّ الإفاده الحصر و الاختصاص أَ فَلَا تَعْقِلُونَ (٨) أى لم لا تتفكرون

ص: ٧٧

- ١- سورة ٢٣ - آيه ٧٨
- ٢- سورة ٢٣ - آيه ٧٨
- ٣- سورة ٢٣ - آيه ٧٨
- ٤- سورة ٢٣ - آيه ٧٨
- ٥- سورة ٢٣ - آيه ٧٩
- ٦- سورة ٢٣ - آيه ٧٩
- ٧- سورة ٢٣ - آيه ٨٠
- ٨- سورة ٢٣ - آيه ٨٠

ولا- تتأملون أن صدور جميع المكونات منا،و أن قدرتنا تعم كل شىء و منه البعث و النشر و لماذا ينكره أهل مكة بلا رويّه؟
٨١- بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ... (١) أى قَلَدَ كَفَّارِ مَكَّةَ آبَاءَهُمُ السَّابِقِينَ فِي مَقَالَتِهِمُ الْفَاسِدَةَ الَّتِي هِيَ:

٨٢- قَالُوا إِذَا مِتْنَا وَ كُنَّا تُرَابًا... (٢) قال أسلافهم من الكفرة فى مقام إنكار البعث:هل إذا متنا و صرنا ترابا و فئيت أجسادنا أ إنا لمَبْعُوثُونَ (٣) سنبعث من جديد و تعود أجسادنا كما كانت؟القائل بذلك كاذب و نحن لا نصدّق ذلك و ننكره.يقولون ذلك و قد نسوا أنهم خلقوا من العدم و كانوا ترابا قبل خلقهم،و لمزيد الإنكار قالوا:

٨٣- لَقَدْ وَعَدْنَا نَحْنُ وَ آبَاؤُنَا هَذَا... (٤) أى أن مسأله الوعد بالبعث و النشور أمر سمعناه من قديم الزمان،و سمعه آباؤنا و أجدادنا من سائر الأنبياء و نحن إلى الآن لم نر أثرا لهذا الوعد،و لم يبعث آباؤنا و أجدادنا لنصدّقه،و قد طال العهد بهذا الوعد إن هذا إلا أساطير الأولين (٥) هذه أكاذيب سطرها السابقون و كتبوها من عندهم،و هى مما لا حقيقه له و لا واقع.و أساطير (٦) جمع أسطور و هى الحديث الذى لا أصل له،أو جمع أسطار التى هى جمع سطر بمعنى الخط،أى الكتب.فأساطير الأولين هى ما سطره السابقون من أعاجيب أحاديثهم و أخبارهم الخرافيه.

سوره المؤمنون (٢٣): الآيات ٨٤ الى ٨٩

قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَ مَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٨٤) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٨٥) قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (٨٦) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٨٧) قُلْ مَنْ يَبْدِئُ مَلَكُوتَ كُلِّ شَيْءٍ وَ هُوَ يُجِيرُ وَ لَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٨٨) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ (٨٩)

ص: ٧٨

١- سوره ٢٣ - آيه ٨١

٢- سوره ٢٣ - آيه ٨٢

٣- سوره ٢٣ - آيه ٨٢

٤- سوره ٢٣ - آيه ٨٣

٥- سوره ٢٣ - آيه ٨٣

٦- سوره ٢٣ - آيه ٨٣

٨٤- قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ... (١) لا يخفى على عاقل أن إيراد هذه الآية الكريمة و ما يليها استدلال على منكرى إعادته الأجسام، و الردّ على عباده الأوثان، و ذلك لأن قريش كانوا أكثرهم مقرّين بالله لكن كانوا يقولون نعبد الأصنام ليقربونا إلى الله. فاحتجّ الله عليهم بقوله: قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ (٢) الآية، أى من كان خالقاً للأرض و من فيها، قادراً على الإحياء و الإماتة، و أنعم عليكم بتمام النعم؟ أو ليس ينبغى أن لا- تعبدوا إلا- إياه و تكفّوا عن عباده ما لا- ينفعكم و لا- يضرّكم؟ أفلا تذكّرون (٣) لتعلموا بطلان ما أنتم عليه من عباده الجمادات؟ ثم زاد فى الاحتجاج فقال:

٨٥- إلى ٨٧- قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ... (٤) وجه الاستدلال أنه تعالى خاطب نبيّه (ص) أن أسأل يا محمد عن مدبّر السماوات السبع و ربّ العرش (٥) و خالقهما فإنهما أعظم من الأرض فلا بدّ لهم من الاعتراف و القول بأنّه هو الله قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٦) أى فلم لا تتقون و لا تخافونه و تعبدون غيره و تنكرون المعاد مع أن بدء الخلق ليس بأهون من إعادته بل هو أشد حيث أنّ إيجاد المعدوم و هو أشد بنظركم و عندكم من إعادته الموجود. ثم إنه تعالى ترقّى فى الحجج فقال:

٨٨ و ٨٩- قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ... (٧) الملكوت تأوّه للمبالغة فى الملك كالجبوت، و لذا عدّ من صيغ المبالغة، و معناه الملك العظيم و العزّ و السلطان الكبير و قيل معناه هنا هو الخزانة أى من بيد قدرته خزائن الدنيا و الآخرة و هو يُجِيرُ (٨) أى يؤمّن و يحفظ من العذاب من يشاء و لا يُجَارُ عَلَيْهِ (٩) أى ليس لأحد أن يؤمّن و يغيث أحداً من عذابه تعالى إلا بمشيئته.. و تعديده (أجار) ب(على) لتضمينه معنى النّصر، يعنى لا يمكن لأحد أن ينصر أحداً على الله و ينجى أحداً من عذابه تعالى بلا

ص: ٧٩

- ١- سورة ٢٣ - آية ٨٤
- ٢- سورة ٢٣ - آية ٨٤
- ٣- سورة ٢٣ - آية ٨٥
- ٤- سورة ٢٣ - آية ٨٦
- ٥- سورة ٢٣ - آية ٨٦
- ٦- سورة ٢٣ - آية ٨٧
- ٧- سورة ٢٣ - آية ٨٨
- ٨- سورة ٢٣ - آية ٨٨
- ٩- سورة ٢٣ - آية ٨٨

رخصه و إجازته منه سبحانه. والحاصل: قل يا محمد لهؤلاء القوم: من هو المتّصف بهذه الصفه وغيرها من صفات العظمه و الجبروت إن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١) تدركون ذلك المعنى السامى؟ فإذا كان عندكم علم بذلك فقولوا لى. و لن تقولوا إلا أن الله تعالى يملك ذلك كله فَأَنْتَى تُسْحَرُونَ (٢) فكيف يتلبس عليكم الأمر الواضح. و قيل باختصار: إنه سبحانه ينقذ من هرب إليه، و لا ينقذ أحد هرب منه، لأنه يمنع من يشاء و لا يمتنع منه أحد.

سوره المؤمنون (٢٣): الآيات ٩٠ الى ٩٢

بَلْ أَتَيْنَاهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (٩٠) مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَ مَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَ لَعَلَّا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ (٩١) عَالِمِ الْغَيْبِ وَ الشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (٩٢)

٩٠- بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِالْحَقِّ... (٣) أى نحن جنناهم بالحق و بينا لهم الحق من التوحيد و الوعد بالنشور و نفى الولد و مع ذلك إِنْهُمْ لَكَاذِبُونَ (٤) لأنهم أصرّوا على كذبهم فى دعواهم الولد و الشريك له تعالى.

٩١- مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ... (٥) فى الكلام تنبيه على نفى قول الكفار حيث إن جمعا منهم كانوا يقولون: الملائكة بنات الله، أو كالتصارى فإنهم يقولون بأن المسيح ابن الله، و كذلك الكلام فى مقام نفى الشريك عنه بقوله تعالى: وَ مَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ (٦) لتقدسه عمّن يساهمه فى الألوهية إِذَا لَذَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ (٧) هذه الجملة فى موضع العله لما تقدّم من قوله و ما كان معه من إله، و مفادها، مفاد قوله لو كان فيهما آلهه إلا الله لفسدتا و قد تقدّم شرحها. و قوله إِذَا لَذَّهَبَ جواب و جزاء لشرط محذوف

ص: ٨٠

- ١- سوره ٢٣ - آيه ٨٨
- ٢- سوره ٢٣ - آيه ٨٩
- ٣- سوره ٢٣ - آيه ٩٠
- ٤- سوره ٢٣ - آيه ٩٠
- ٥- سوره ٢٣ - آيه ٩١
- ٦- سوره ٢٣ - آيه ٩١
- ٧- سوره ٢٣ - آيه ٩١

تقديره: لو كان معه آلهه إذا لذهب. و أكد العله بما هو قريب منها فى المعنى و هو قوله وَ لَعَلَّا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ (١) كما هو شأن الملوک فهذا التدبير المحکم الدائم و النظام الأحسن الذى هو على نسق واحد يدل على صانع واحد حکيم.. ثم هو تعالى شأنه نزه مقامه السامى عما يصفه به الجهله و ينسبه إليه السفهاء فقال: سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ (٢) من نسبه اتخاذ الولد إليه و الشريك له تعالى.

٩٢- عالم الغيب و الشهاده... (٣) أى عالم بما غاب و بما حضر و هو تعالى مختص بالعلم بهما و لو كان علمه بما حضر فقط فقد كان ناقصا من ناحيه احتياجه إلى العلم بما غاب عنه، و النقص و الاحتياج من صفات الممكن لا الواجب بالذات الذى هو غنى من جميع الجهات. و الحاصل أن العلم بما كان و سيكون و بما لم يكن من مختصات ذاته تعالى و متفرداته. و هذا دليل آخر على نفى الشريك لتوافقهم على تفردّه فى هذا الوصف انحصاره به، و لهذا رتب عليه قوله فتعالى عما يشركون (٤) أى تنزه عن إشراكهم فى علمه و قدرته و ألوهيته ثم إنه تعالى علم رسوله الدعاء للنجاه من العذاب الذى قد يحيق بالكفار و رسم له نهجا معيننا فقال تعالى:

سوره المؤمنون (٢٣): الآيات ٩٣ الى ٩٨

قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيئِنِي مَا يُوعَدُونَ (٩٣) رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٩٤) وَ إِنَّا عَلَى أَنْ نُرِيكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ (٩٥) اذْفَعْ بِإِلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ (٩٦) وَ قُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ (٩٧) وَ أَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ (٩٨)

ص: ٨١

١- سوره ٢٣ - آيه ٩١

٢- سوره ٢٣ - آيه ٩١

٣- سوره ٢٣ - آيه ٩٢

٤- سوره ٢٣ - آيه ٩٢

٩٣ و ٩٤- قُلْ رَبِّ إِنَّمَا تُرِيدُنِي مَا يُوعَدُونَ... (١) أى إن كان ولا بد من أن ترينى ما تعدهم من العذاب و النقمه ربّ فلا تجعلى فى القوم الظالمين (٢) فلا تعذبنى معهم و لا تجعلى قرينا لهم لئلا يصيبنى ما يصيبهم.

و كلمه إما (٣) مركبه من (إن)المخففه و(ما)الزائده للتأكيد. و هذا الكلام إما للتواضع و هضم النفس و اما للتعبد و الإخبات و إما للتنبيه على أن نازله العذاب قد تصيب من لا تقصير له و لا ذنب كما يشير إلى هذا قوله تعالى: وَ اتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً (٤). و تكرير الند أو تصدير كل واحد من الشرط و الجزاء به كاشف عن فضل التضرع و مزيه الاستجاره و قد روى عن الحسن أن الله تعالى أخبر رسوله (ص)بنزول العذاب على كفره قريش و لم يخبره أن وقوعه حين حياته أو بعد موته، فلذا أمر نبيه صلى الله عليه و آله بهذا الدعاء حتى إذا كان فى حياته لا يكون صلى الله عليه و آله فيهم.

٩٥- وَ إِنَّا عَلَىٰ أَنْ نُرِيكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ... (٥) أى نحن لقادرون (٦) على أن نريك العذاب الموعود و العقوبه التى وعدنا أن نعاقبهم بها، لكن التأخير لمصلحه و حكمه اقتضته، و يمكن أن يكون السبب فيه أن بعضهم أو بعض أعقابهم من يؤمن بالله، أو ما دام النبى (ص) فيهم لم يعذب قومه لأنه رحمه للعالمين. و الأكثر أن العذاب الموعود هو قضيه واقعه بدر. و على هذا فالاحتمال الأخير فى سبب التأخير غير محتمل إذ قيل هو فتح مكه الذى هو بعيد لأنه لم يكن عذابا عليهم و ان صاروا أذلاء أسراء و صاروا طلقاء أحرارا فى حمايه المسلمين إذ شملتهم رحمه النبى الأكرم الذى كان رحمه للعالمين فما وقع فيهم قتل و لا تبعيد و لا طال عليهم الأسر و قيل هذا الموعود و هو بعد النبى، على ما يستفاد من الروايات التى وردت فى ذيل الشريفة فى محالها فليراجع. ثم بعد ذلك أمره سبحانه قائلا له:

٩٦- اذْفَعِ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ... (٧) أى ادفع كيدهم بالإغضاء و الصّفح

ص: ٨٢

- ١- سوره ٢٣ - آيه ٩٣
- ٢- سوره ٢٣ - آيه ٩٤
- ٣- سوره ٢٣ - آيه ٩٣
- ٤- سوره ٨ - آيه ٢٥
- ٥- سوره ٢٣ - آيه ٩٥
- ٦- سوره ٢٣ - آيه ٩٥
- ٧- سوره ٢٣ - آيه ٩٦

عن إساءه المسيء. وقد كان هذا في بدء الإسلام قبل الأمر بالقتال. وقيل معناه: ادفع باطلهم ببيان الحجج على لطف الوجوه و أوضحها. وأقربها إلى الإجابة والقبول وقيل إن المراد بالأحسن هي كلمه التوحيد، والسّيئه هي الشرك نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ (١) أي بما يصفونك به من السحر والشعر والجنون، أو المحذوف هو ياء المتكلم (على قراءة: بما يصفون) أي ما يصفوننا من اتخاذنا الولد أو الشرك فلا- يخصّيك أمرهم ونحن نجازيهم قريبا. فالكريمه تسليه للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله وبشاره بحفظه منهم، ولذا أمره بالاستعاذه منهم أي من نزعات الشياطين. ومن نخساتهم و وساوسهم و بين كيفية الاستعاذه بقوله سبحانه و تعالى:

٩٧- ٩٨- قُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ... (٢) أي قل على وجه الابتهاال والتضرّع فإن الدعوه على هذا الوجه مطلوبه و مرغوبه فاستعد من هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ (٣) أي من الخطرات التي تخطر بقلب الإنسان و وساوسه و أَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ (٤) أي يحوموا حولي في شيء من الأحوال.

سوره المؤمنون (٢٣): الآيات ٩٩ الى ١٠٤

حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (٩٩) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٠٠) فَاِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ (١٠١) فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٢) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ (١٠٣) تَلَفَحَ وُجُوهُهُمْ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ (١٠٤)

ص: ٨٣

١- سوره ٢٣ - آيه ٩٦

٢- سوره ٢٣ - آيه ٩٧

٣- سوره ٢٣ - آيه ٩٧

٤- سوره ٢٣ - آيه ٩٨

٩٩ و ١٠٠- حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ... (١) كلمه حَتَّى (٢) متعلقه ب يَصِفُونَ (٣) أى أن الكفار يبقون على سوء ما هم عليه إلى أن يعاينوا ما أعد لهم من النكال حين يجيء إليهم الموت فيسألون الله الرجعه إلى دار الدنيا لأنها دار التكليف فيقول أحدهم رَبِّ ارْجِعُونِ (٤) مخاطبا للملائكه أو مستغيثا بالله سبحانه لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً (٥) أى عملاً صالحاً فيما تَرَكْتُ (٦) من الطاعات و أداء الزكوات، فيأتيه الجواب من قبل الله تعالى: كَلَّا (٧) كلمه ردع عن طلب الرجعه، أى لا سبيل إلى إرجاعك. و

قد روى عن النبي (ص) أن المؤمن إذا عاين الملائكه قالوا له: أ نرجعك إلى الدنيا؟ فيقول: إلى دار الهموم و الأحزان؟ بل قدوما إلى الله. و أما الكافر فيقول:

رَبِّ ارْجِعُونِي. و يمكن أن يكون الجمع فى الفعل ارْجِعُونِ (٨) تعظيم المخاطب على عاده العرب فى تعظيم المخاطب كما قال سبحانه: قُرْتُ عَيْنِي لِي وَ لَمَكِّي، لا- تَقْتُلُوهُ (٩)، مع أن المخاطب شخص واحد. إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا (١٠) لفرط تحسره المتسلط عليه، و هو مجرد لفظ لا حقيقه تترتب عليه لأنهم لو ردوا لعادوا لما نهوا عنه، فلا يجاب عليه. و

قد قال الفتح بن يزيد الجرجاني: سألت الرضا عليه السلام: هل لله تعالى علم بأمر معدوم لو وجد بأى كيفية و من أى نوع يكون؟ قال (ع): ويحك، إن سألتك لصعبه، أما قرأت قوله عز و جل: لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا (١١) و لعلا بعضهم على بعض؟ فقد عرف الذى لم يكن و لا يكون أن لو كان كيف كان و يكون. و قال (ع) و هو يحكى قول الأشقياء: رَبِّي ارْجِعُونِي لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فيما تركت، كَلَّا إنها كلمه هو قائلها. و قال: لو ردوا لعادوا لما نهوا عنه، و إنهم لكاذبون. فقد علم الشئ الذى لم يكن لو كان كيف يكونه و هو السميع البصير الخبير العليم وَ مِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٢) وراء الإنسان هو خلفه، و قد يجيء بمعنى القدام، فهو من الأضداد. و معناه هنا هو القدام، و البرزخ الحاجز بين الشئين، ما بين الدنيا و الآخرة. و

فى الحديث هو القبر. و

فى الخصال عن السجاد (ع) أنه تلا هذه الآيه و قال: هو القبر، و إن لهم فيها معيشه ضنكا، و الله إن القبر

ص: ٨٤

١- سورة ٢٣ - آيه ٩٩

٢- سورة ٢٣ - آيه ٩٩

٣- سورة ٢٣ - آيه ٩٦

٤- سورة ٢٣ - آيه ٩٩

٥- سورة ٢٣ - آيه ١٠٠

٦- سورة ٢٣ - آيه ١٠٠

٧- سورة ٢٣ - آيه ١٠٠

٨- سورة ٢٣ - آيه ٩٩

٩- سورة ٢٨ - آيه ٩

۱۰- سوره ۲۳- آیه ۱۰۰

۱۱- سوره ۲۱- آیه ۲۲

۱۲- سوره ۲۳- آیه ۱۰۰

فى الكافى عن الصّادق (ع) أنه قيل له: إنى سمعتك و أنت تقول: كلّ شيعتنا فى الجنّه على ما كان منهم؟ قال: صدقتك كلّهم و الله فى الجنّه قيل إن الذنوب كثيره، فقال (ع) أما فى القيامه فكلّكم فى الجنه بشفاعه النّبى المطاع أو وصى النّبى صلى الله عليه و آله، و لكنى و الله أتخوّف عليكم فى البرزخ فى القبر منذ حين الموت إلى يوم القيامه.

١٠١- فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ... (١) أى لا تنفعهم الأنساب بالتعاطف و التراحم الذى يتولّد من النسبه و يفتخرون بها. و كلّ ذلك لا ينفع فى ذلك اليوم إلاّ التقوى و العمل الصّالح و لا يتساءلون (٢) أى لا يسأل أحد أحدًا عن حاله و مجارى أموره من فرط الحيره و استيلاء الدهشه بحيث يفرّ المرء من أخيه و أمّه و أبيه و كلّهم مشغولون بأنفسهم.

و هذه لا تتناقض مع قوله تعالى: وَ أَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ (٣) عند النفخه الأولى فى الصور.

١٠٢ و ١٠٣ و ١٠٤- فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ... (٤) أى من رجحت موزونات أعماله الحسنه المبتيه على عقائده الصّحيحه، فهو من الفائزين و مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ (٥) و إنّما تخفّ موازينه لخلوّها من العمل الصّالح و لرجحان السيئات فأولئك الذين خسرّوا أنفسهم (٦) غبّوها بابطال أوقاتهم و أعمارهم فى الدنيا و تضييع استعداداتهم و طاقاتهم التى كانت تكفل كمالهم فلم ينتفعوا بها، فهم فى جهنّم خالدون (٧) يعذبون فيها إلى أبد الأبد تُلْفَحُ وُجُوهُهُمْ النَّارَ وَ هُمْ فِيهَا كَالِحُونَ (٨) أى تحرقها أشد حرق بلهبها، و كَالِحُونَ (٩) مشوّهو الوجوه بتقلّص جلودها و تقلّص شفاههم عن أسنانهم، أو عابسون. و عن مالك بن دينار، أن غلاما فى أوّل أمره كان من الفسّاق و الفجار، ففى يوم من الأيام كان يمشى فى السّوق فرأى رأس غنم أخرج من التّور فنظر اليه فرأى أن شفّيته قد كشحتا و أسنانه ظهرت فمرّ بخاطره أن وجوه أهل النار تكون بتلك الكيفيه فشقق

- ١- سوره ٢٣ - آيه ١٠١
- ٢- سوره ٢٣ - آيه ١٠١
- ٣- سوره ٣٧ - آيه ٢٧
- ٤- سوره ٢٣ - آيه ١٠٢
- ٥- سوره ٢٣ - آيه ١٠٣
- ٦- سوره ٢٣ - آيه ١٠٣
- ٧- سوره ٢٣ - آيه ١٠٣
- ٨- سوره ٢٣ - آيه ١٠٤
- ٩- سوره ٢٣ - آيه ١٠٤

و وقع على الأرض إلى ثلاثه أيام، فلما أفاق من غشوته تاب و صار من زهاد زمانه بحيث صار مشهورا بزهده و تقواه و كان اسمه عتبه و لقبه غلام.

و روى أبو سعيد الخدرى عن النبى (ص) فى تفسير الآيه الكريمه أن النار تشويهم فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه و تسترخى شفته السفلى حتى تبلغ سرته.

سوره المؤمنون (٢٣): الآيات ١٠٥ الى ١١١

أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ (١٠٥) قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَ كُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ (١٠٦) رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنَّا عِندَنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ (١٠٧) قَالَ إِحْسَبُ أَنَّهَا لَأَنْتِ الْغَالِبَةُ (١٠٨) إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَ أَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ (١٠٩) فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِحْرِيًّا حَتَّىٰ أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَ كُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ (١١٠) إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ (١١١)

١٠٥- أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ... (١) أى ألم تكن تقرأ عليكم آياتى فى القرآن، أو الحجج و البراهين الداله على وجود الصانع و توحيده؟ و يقال لهم هذا تذكيرا بما قصروا فيه بحق أنفسهم و توبيخا لهم و تقريرا.

١٠٦- قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَ كُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ... (٢) الشَّقْوَه و الشَّقَاوَه معناهما واحد، و هو المضره اللاحقه بالعاقبه. و السعاده ضدّها و هى المنفعه التى تلحق بالعاقبه. و المعنى: استعلت علينا سيئاتنا التى

ص: ٨٦

١- سوره ٢٣ - آيه ١٠٥

٢- سوره ٢٣ - آيه ١٠٦

قد قال الصادق عليه السلام: بأعمالهم شقوا، وقد كانوا ضالين (١) عن الحق والهدى فقالوا عند معابنه العذاب:

١٠٧- رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ... (٢) قيل هذا آخر كلام يتكلم به أهل النار، وبعد ذلك يسمع لهم زفير وشهيق كشهيق الحمار.

١٠٨ و ١٠٩ و ١١٠ و ١١١- قَالَ اخْسُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ... (٣) أى اسكتوا ممقوتين خائبين محييين، وهذه مبالغه فى إذلالهم و هو انهم و إظهار الغضب عليهم، لأن منع الكلام عن المتكلم فيه غايه مقته و إذلاله لا سيما فى خطاب فيه زجر كزجر الكلب فى مقام زجره و تبعيده. فاحسأوا أيها الظالمون إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي (٤) المؤمنين بى يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا (٥) صدقنا بكلماتك فَاعْفِرْ لَنَا (٦) تجاوز عن ذنوبنا و ارحمنا (٧) ارف بنا و أَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ (٨) لأنك أرحم بالعبد من نفسه و من أبيه و أمه فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ (٩) جعلتم هؤلاء المؤمنين سخرياً (١٠) هزئتم بهم حتى أنسوكم ذكري (١١) و قد نسب الإنساء إلى المؤمنين و إن لم يفعلوا لأنهم كانوا السبب فى ذلك، فمن فرط اشتغالكم بالاستهزاء بهم حين كانوا يقولون: رَبَّنَا آمَنَّا فَاعْفِرْ لَنَا (١٢) نسيتم ذكري و كذبتهم بهذا اليوم. و أكد سبحانه ذلك بقوله: وَ كُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ (١٣) استهزاء بهم. و هذا العذاب هو جزاء سخريتكم و ضحككم و تكذيبكم بيوم القيامة، و أما جزاء المؤمنين ف إني جزيتهم (١٤) بصبرهم على أذيتكم لهم أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ (١٥) و قد كرر الضمير هُم (١٦) للانحصار و المبالغه فى كون الفوز بالمقصود و المطلوب لهم، أى أنهم هم الظافرون بما أرادوا و الناجون فى الآخرة.

سوره المؤمنون (٢٣): الآيات ١١٢ الى ١١٤

قَالَ كَمْ لَبِئْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ (١١٢) قَالُوا لَبِئْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسِئَلِ الْعَادِيْنَ (١١٣) قَالَ إِنْ لَبِئْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١١٤)

ص: ٨٧

١- سوره ٢٣ - آيه ١٠٦

٢- سوره ٢٣ - آيه ١٠٧

٣- سوره ٢٣ - آيه ١٠٨

٤- سوره ٢٣ - آيه ١٠٩

٥- سوره ٢٣ - آيه ١٠٩

٦- سوره ٢٣ - آيه ١٠٩

٧- سوره ٢٣ - آيه ١٠٩

٨- سوره ٢٣ - آيه ١٠٩

٩- سوره ٢٣ - آيه ١١٠

۱۰- سوره ۲۳ - آیه ۱۱۰

۱۱- سوره ۲۳ - آیه ۱۱۰

۱۲- سوره ۲۳ - آیه ۱۰۹

۱۳- سوره ۲۳ - آیه ۱۱۰

۱۴- سوره ۲۳ - آیه ۱۱۱

۱۵- سوره ۲۳ - آیه ۱۱۱

۱۶- سوره ۲۳ - آیه ۱۱۱

١١٢ و ١١٣- قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ... (١) السائل هو (الله تعالى، أو الملك المأمور بالسؤال للكفار في يوم البعث. وهذا سؤال توبيخ واستهزاء لمنكري البعث والحساب. ونصب عَدَدَ (٢) على التمييز من كَمْ (٣) ف قالوا (٤) بفشل و خيبه: لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ (٥) لأنهم كانوا ينكرون الآخرة و انحصر اللَّبْثُ في الدنيا و قالوا لا إعادته بعد الموت، فلما وقعوا في النار و أيقنوا أنها دائمة سألهم كم لبثتم في الأرض تهكمًا و توبيخًا و تنبيها على أن ما ظنوه دائما فهو يسير بالنسبة إلى ما أنكروه.

فحينئذ تزداد حسرتهم على ما كانوا يعتقدونه في الدنيا: و قولهم لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ (٤) لأنهم نسوا من كثره العذاب و شدته، لا أنهم كذبوا تعمدا.

و قد اعترفوا بالنسيان حيث قالوا فَسَلِّ الْعَادِينَ (٧) يعنون الحفظه الذين يحصون أعمال العباد و يعدون أيام أعمارهم و ساعاتها و عدد تنفسهم.

١١٤- قَالَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا... (٨) هذا القول منه تعالى تصديق لهم في كون مكثهم في الدنيا يسيرا بالإضافة إلى طول مكثهم في عذاب جهنم، لكنه تصديق توبيخ على غفلتهم في دار الدنيا على ما كانوا عليه من السرور و الفرح و التوغل في معاصي الله و نسيانهم ذكره تعالى و لعلمهم لهذه الجهة قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم لا من باب النسيان أو بالإضافة إلى أن الإنسان إذا كان في النعيم تجيء أيام السرور في نظره قصيره و إن كانت طويله لو أنكم كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٩) نسبة أيام سروركم في الدنيا إلى لبثكم و خلودكم في النار، أو الدنيا بحذافيرها في جنب الآخرة.

سورة المؤمنون (٢٣): الآيات ١١٥ إلى ١١٨

أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ (١١٥) فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ (١١٦) وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ (١١٧) وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحِمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ (١١٨)

ص: ٨٨

١- سورة ٢٣ - آيه ١١٢

٢- سورة ٢٣ - آيه ١١٢

٣- سورة ٢٣ - آيه ١١٢

٤- سورة ٢٣ - آيه ١١٣

٥- سورة ٢٣ - آيه ١١٣

٦- سورة ٢٣ - آيه ١١٣

٧- سورة ٢٣ - آيه ١١٣

٨- سورة ٢٣ - آيه ١١٤

٩- سورة ٢٣ - آيه ١١٤

١١٥- أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا... (١) أى هل ظننتم أننا خلقناكم لا لغرض و لا لحكمه بل للهو و اللعب و ظننتم أنكم إينا لا تُزجؤون (٢) لمجازاه الأعمال؟ و الاستفهام إنكارى يعنى بل خلقكم للعباده و مكافأه الأعمال و مجازاتها و لا بد من رجوعكم إينا، لذلك

عن الصادق (ع) أنه قيل له خلقنا للفناء فقال: مه خلقنا للبقاء، و كيف و جتته لا تبید و ناره لا تخمد، لكن نتحوّل من دار إلى دار.

١١٦- فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ... (٣) أى الذى يحق له الملك، فإن كل مالك غيره هو مستعير منه رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ (٤) أى خالق السیرير الأعظم و صاحبه. و الكريم هنا لعله صفه العرش بمعنى كثير الخير و البركات لأن كل خير و برکه ينزل من جهته، و اختصاص الرب تعالى به مع انه رب العالمين تعظيم لشأنه كقوله: رب البيت أو رب الملائكة. و قيل المراد به هو السّماوات بما فيها مع العرش.

١١٧- وَ مَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ... (٥) لأن الباطل لا برهان له، فإن البرهان على الباطل باطل و الباطل عدم فإنما حسابه عند ربه (٦) حيث إن عذاب المشرك يبلغ ما لا يقدر أحد على حسابه إلا الله تعالى ثم بعد بيان حال المؤمنين و الكفار أمر نبيه (ص) بالانقطاع إليه و طلب غفرانه و رحمته فإنهما العاصمان عن كل المخاوف و الآفات بقوله:

١١٨- وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَ ارْحَمْ... (٧) و روى أن أول السوره و آخرها من كنوز العرش من عمل بثلاث آيات من أولها و اتعظ بأربع من آخرها فقد نجا و أفلح.

ص: ٨٩

- ١- سوره ٢٣ - آيه ١١٥
- ٢- سوره ٢٣ - آيه ١١٥
- ٣- سوره ٢٣ - آيه ١١٦
- ٤- سوره ٢٣ - آيه ١١٦
- ٥- سوره ٢٣ - آيه ١١٧
- ٦- سوره ٢٣ - آيه ١١٧
- ٧- سوره ٢٣ - آيه ١١٨

مدنيه و آياتها ٦٤ نزلت بعد الحشر

سوره النور (٢٤): الآيات ١ الى ٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (١) الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيْشَهِدَ عِنْدَ بَيْتِهِمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢) الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرْمٌ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ (٣) وَالَّذِينَ يَزُمُونَ الْمُدْحِجِينَ ثُمَّ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةٍ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٤) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَ أَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٥)

١- سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا... (١) أي هذه سوره، أو مبتدأ لخبر محذوف، أي ممّا أوحينا إليك سوره أَنْزَلْنَاهَا (٢) من عالم القدس إليك وَ فَرَضْنَاهَا (٣)

ص: ٩١

١- سوره ٢٤ - آيه ١

٢- سوره ٢٤ - آيه ١

٣- سوره ٢٤ - آيه ١

فرضنا أحكامها التي فيها وَ أَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ (١) واطحات الدلالة على وحدانيتنا أو الحدود و الأحكام من الحلال و الحرام و من جملتها قوله سبحانه:

٢- الزَّانِيَةُ وَ الزَّانِي (٢) إلخ...مبتدأ و الخبر: فاجلدوا، أى من زنت من النساء و زنى من الرجال، فيفيد العموم فى الجنس فأجلدوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ (٣) هذا حكم الأعزب غير المحصن أما المحصن فحدّه الرجم بالحجاره و يا لها من عداله ظاهره و حكمه باهره فهلّموا و انظروا كيف اليوم ينتهك المسلم حرمة أخيه المسلم و لا يجد قانونا يردعه، و لا تشريعا يمنعه لأن القوانين الوضعيه مجمعه على ترك الزانى بلا- رادع و لا- وازع حتى تفسّث بسبب ذلك الأمراض الخبيثه و انتشرت الأسقام و فتكت بالأجسام و ما ذاك إلا لعدم تمسكنا بديننا الحنيف و اتباع القانون السّماوى الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه، فيا لهفاه على ديننا السامى الذى جعلناه وراء ظهورنا بل تحت أقدامنا فابتلينا بما ابتلينا بأيدينا. الفاء لتضمّنهما معنى الشرط و لا تأخذكم بهما رأفةً فى دين الله (٤) أى رحمه فى حكمه فتعطلون حدّه أو تتسامحون فيه إن كنتم تؤمنون بالله و اليوم الآخر (٥) أى أن الإيمان يقتضى الحدّ فى طاعه الله و الاجتهاد فى إقامه أحكامه،

فعن الأصبغ بن نباته أن عمر أتى بخمسه نفر أخذوا فى الزنى فأمر أن يقام على كل واحد منهم الحدّ. و كان أمير المؤمنين عليه السلام حاضرا فقال: يا عمر ليس هذا حكمهم. قال: فأقم أنت الحدّ عليهم. فقدم واحدا منهم فضرب عنقه، و قدّم الآخر فرجمه، و قدّم الثالث فضربه الحدّ، و قدّم الرابع فضربه نصف الحدّ، و قدّم الخامس فعزّره. فتحير عمر و تعجّب الناس من فعله. فقال له عمر: يا أبا الحسن خمسه نفر فى قضيه واحده أقت عليهم خمسه حدود و ليس شىء منها يشبه الآخر؟ فقال أمير المؤمنين عليه السلام: أمّا الأول. فكان ذميا فخرج عن ذمته و لم يكن له حدّ إلا السّيف، و أمّا الثانى فرجل محصن كان حدّه الرجم، و أمّا الثالث فمسلم

ص: ٩٢

- ١- سوره ٢٤ - آيه ١
- ٢- سوره ٢٤ - آيه ٢
- ٣- سوره ٢٤ - آيه ٢
- ٤- سوره ٢٤ - آيه ٢
- ٥- سوره ٢٤ - آيه ٢

عازب و حدّه الجلد، و أمّا الزّابع فعبّد ضربناه نصف الحدّ، و أمّا الخامس فمجنون مغلوب على عقله. و فى روايه سنّه نفر، قال: و أطلق السّادس و هو مجنون مغلوب فى عقله، و الخامس فكان ذلك الفعل منه شبهه فعزّرناه و أدبناه و ليشهد عذابهما طائفه من المؤمنين (١)

عن الباقر عليه السلام قال الطائفه الحاضره هى الواحده، و قيل اثنان، و قيل ثلاثه، و أربعه أقلها، لأن أقل ما يثبت به الزنى شهاده أربعه. و قيل ليس لهم عدد محصور بل هو موكول إلى رأى الإمام، و المقصود أن يحضر جماعه يقع بهم إذاعه الحدّ ليحصل الاعتبار.

٣- الزّانى لا ينكح إلاّ زانيه (٢) إلخ... معناها أنّ الزنى لا يرغب فيه الصّالحاء غالبا و إنما يرغب الإنسان بمشاكله و مماثله، و قدّم الزانى لأنّ الرجل هو الأصل فى الرغبه و الخطبه، و لذا لم يقل: و الزانيه لا تنكح إلاّ زانيا و الحال أنّ قاعده المقابله تقتضى ذلك و حرّم ذلك على المؤمنين (٣) أى صرفت الرغبه بالزنى عن المؤمنين. و التحريم هنا تنزيهى، فقد نزههم الله تبارك و تعالى عن إتيان الزنى لأنه يعرّض لثمتهم و يطعن فى النسب و قد دفعه الله عنهم.

٤- و الذين يزعمون المحصّيات... (٤) أى يقذفون العفائف بالزنى، و كذلك الرجال إجماعا، و تخصيص النساء هنا لخصوص الواقعه ثمّ لم يأتوا بأربعه شهداء (٥) يشهدون على صحّه ما رموهّن به من الزنى: أربعه شهداء عدول يشهدون أنهم رأوهن يفعلن ذلك و إلاّ فاجلدوا من رمى المحصنه ثمانين جلده و لا تقبلوا لهم شهاده أبداً (٦) أى فى شىء قبل الجلد و بعده أبدا ما لم يتب و أولئك هم الفاسقون (٧) بفعل هذه الكبيره.

٥- إلاّ الذين تابوا من بعد ذلك... (٨) أى عن القذف بأن يكذبوا أنفسهم و أصلحوا (٩) عملهم فإنّ الله يغفر لهم.

ص: ٩٣

- ١- سوره ٢٤ - آيه ٢
- ٢- سوره ٢٤ - آيه ٣
- ٣- سوره ٢٤ - آيه ٣
- ٤- سوره ٢٤ - آيه ٤
- ٥- سوره ٢٤ - آيه ٤
- ٦- سوره ٢٤ - آيه ٤
- ٧- سوره ٢٤ - آيه ٤
- ٨- سوره ٢٤ - آيه ٥
- ٩- سوره ٢٤ - آيه ٥

وَالَّذِينَ يَزْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ (٦) وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٧) وَيَدْرُؤُا عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ (٨) وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٩) وَ لَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَ رَحْمَتُهُ وَ أَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ (١٠)

٦- وَالَّذِينَ يَزْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ... (١): أى يقذفون أزواجهم (٢) بالزنى وَ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ (٣) لَمَّا تَقَدَّمَ حُكْمُ الْقَذْفِ لِلْأَجْنِبِيَّاتِ أُرْدِفَهُ بِحُكْمِ الْقَذْفِ لِلزَّوْجَاتِ. وَ مَعْنَى الْآيَةِ أَنَّ الَّذِينَ يَنْسُبُونَ الزَّانِيَةَ إِلَى زَوْجَاتِهِمْ وَ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ طَرِيقُ إِثْبَاتِ بَاقَامَةِ أَرْبَعَةِ شُهَدَاءٍ يَشْهَدُونَ لَهُمْ بِصِحَّةِ قَوْلِهِمْ فَلَا بَدَّ لَهُمْ أَنْ يَشْهَدُوا أَرْبَعَ مَرَّاتٍ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى بِأَنَّ يَقُولُوا: أَشْهَدُ بِاللَّهِ إِنِّي لَمِنَ الصَّادِقِينَ فِيمَا ذَكَرْتُ عَنْ هَذِهِ الْمَرْأَةِ مِنَ الْفُجُورِ، فَبِهَذِهِ الشَّهَادَاتِ بِاللَّهِ يَدْرَأُ عَنْهُ حُدَّ الْقَازِفِ مَعَ إِضَافَةِ شَهَادَةِ مِنْهُ خَامِسَةً:

٧- وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ... (٤) أى وَ الشَّهَادَةُ الْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ فِي شَهَادَتِهِ عَلَيْهَا. قُرِئَ بِتَخْفِيفٍ أَنَّ، ثُمَّ إِنَّهُ يَقُولُ فِي الْمَرَّةِ الْخَامِسَةِ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَيَّ إِنْ كُنْتُ مِنَ الْكَاذِبِينَ فِي الرَّمِيِّ، فَيُثْبِتُ عَلَى الزَّوْجَةِ حُدَّ الزَّانِيَةِ. ثُمَّ إِنَّهَا إِنْ كَانَتْ تَرِيدُ أَنْ تَدْفَعَ الْحُدَّ عَنْ نَفْسِهَا قَدْ بَيَّنَّهُ سُبْحَانَهُ بِقَوْلِهِ:

٨- وَيَدْرُؤُا عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ... (٥): أى يَدْفَعُ عَنْهَا الرَّجْمَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ (٦) تَقُولُ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى: أَشْهَدُ بِاللَّهِ.

١- سوره ٢٤ - آيه ٦

٢- سوره ٢٤ - آيه ٦

٣- سوره ٢٤ - آيه ٦

٤- سوره ٢٤ - آيه ٧

٥- سوره ٢٤ - آيه ٨

٦- سوره ٢٤ - آيه ٨

٩- وَ الْخَامِسَهُ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا... (١): أى تشهد شهاده خامسه أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا (٢) أى عذابه علىّ إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٣) فيما رمانى به من الزنى. ثم يفرّق الحاكم بينهما و لا تحلّ له أبدا. و كان عليها العده من وقت لعانها.

١٠- وَ لَوْلَا- فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ... (٤) أى بالنهى عن الزنى و الفواحش، و إقامه الحدود و بالإمهال لتتوبوا و بالستر لئلا تفتضحوا وَ أَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ (٥) يقبل التوبه حَكِيمٌ (٦) فيما يحكم. و حذف جواب لولا و هو، لعاجلكم بالعقوبه و فضحككم.

سوره النور (٢٤): الآيات ١١ الى ٢٠

إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَ الَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١١) لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَ الْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَ قَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ (١٢) لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ (١٣) وَ لَوْلَا- فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَ رَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٤) إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَ تَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَ تَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَ هُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ (١٥) وَ لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ (١٦) يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١٧) وَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١٨) إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ وَ اللَّهُ يَعْلَمُ وَ أَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (١٩) وَ لَوْلَا فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَ رَحْمَتُهُ وَ أَنَّ اللَّهَ رَوْفٌ رَحِيمٌ (٢٠)

ص: ٩٥

١- سوره ٢٤ - آيه ٩

٢- سوره ٢٤ - آيه ٩

٣- سوره ٢٤ - آيه ٩

٤- سوره ٢٤ - آيه ١٠

٥- سوره ٢٤ - آيه ١٠

٦- سوره ٢٤ - آيه ١٠

١١- إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ... (١) أى بالكذب العظيم عُضْبَهُ مِنْكُمْ (٢) أى جماعه لا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ (٣) لا تظنوه أى الكذب أمرا سيئا لكم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ (٤) لاكتسابكم به الثواب العظيم و ظهور ما نزل من القرآن فى براءه ساحتكم و تشديد الوعيد فى من تكلم بهذا الأمر لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ (٥) أى جزاء ما اكتسب منه بقدر ما خاض فيه و الَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ (٦) أى تحمّل معظمه مِنْهُمْ (٧) من الخائضين و هو عبد الله بن أبى فإنه بدأ به و أذاعه بين الناس عداوه لرسول الله لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٨) فى الآخرة أو فى الدنيا من جلده و وهنه و ردّ شهادته فى أنظار الناس و شهرته بالنفاق و غير هذه من المفاسد و فى الجوامع أن عائشه ضاع عقدها فى غزوه بنى المصطلق و كانت قد خرجت لقضاء حاجه فرجعت طالبه له، و حمل هودجها على بعيرها ظنا منهم أنها فى الهودج. و ذلك أن عائشه كانت حديثه السن خفيفه الجثه بحيث ما كان يعرف هودجها هل هى فيه أم لا إلا بدقه و خصوصا عند من لا- يعتاد حمل هودجها فإنه لا- يعرف أنها فيه أم لا. فلا- يستبعد الأمر، لكن كيف يتصور أن يتحرك النبى (ص) و لا يستخبر حالها و أنها هل حملت مع الجيش أم لا، فهذا مطلب آخر يمكن أن يجاب بأنه إذا أراد الله شيئا فتدابير العبد لا تردّه، فإذا أراد سبحانه شيئا يقول له كن فيكون، و فى قضيه الإفك مصالح كثيره. و الحاصل حمل الهودج فلما عادت إلى الموضوع وجدتهم قد رحلوا. و كان صفوان غالبا يتأخر عن الجيش

ص: ٩٤

- ١- سوره ٢٤ - آيه ١١
- ٢- سوره ٢٤ - آيه ١١
- ٣- سوره ٢٤ - آيه ١١
- ٤- سوره ٢٤ - آيه ١١
- ٥- سوره ٢٤ - آيه ١١
- ٦- سوره ٢٤ - آيه ١١
- ٧- سوره ٢٤ - آيه ١١
- ٨- سوره ٢٤ - آيه ١١

لتفحص المعسكر حتى لا- يفقد ولا يضيع منهم شيء، و بعد ما يطمئن بعدم فقدان شيء أو غفله شخص من العسكر كان يتحرك و يسير. فلما قرب إلى ذلك الموضع رأى شبحا فجاء حتى وصل إليه فعرفها، فسأل عن قضيتها و أناخ بعيره حتى ركبه و راح يسوقه حتى لحقا بالجيش و قد نزلوا في قائم الظهيره من شدة الحر. و قال في الجوامع كذا رواه الزهري عن عائشه.

و روت العامه أنها نزلت في عائشه بلا شك عندهم. أما

الخاصه فإنهم رووا أنها نزلت في ماريه القبطيه أم إبراهيم ابن النبي صلى الله عليه و آله و ما رمتها عائشه حين رأت أن النبي حزن كثيرا لوفاه ابنه فقالت له عائشه ما الذى يحزنك عليه فما هو إلا ابن جريح القبطى، فبعث النبي عليا إليه فرآه فى البستان و قد كشف عن عورته فإذا ليس له ما للرجال و لا- له ما للنساء، فأخبر بذلك النبي فقال صلى الله عليه و آله: الحمد لله الذى صرف عنا السوء أهل البيت و هذا حاصل ما روى عن الإمام الباقر عليه السلام و لعل النبي بعث عليا ليظهر الحق و يبطل الباطل لا لقتله بمجرد قول عائشه، و لما حسبوا أن بعض المؤمنين و المؤمنات ظنوا سوءا فى عائشه و صفوان و إن كانوا لم يظهروا و لم يتكلموا بشيء فالله تعالى و يخهم على سكوتهم و على إنكار الإفك بقوله:

١٢- لَوْ لَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ... (١): أى هلا- حينما سمعتم بالإفك و الكلام الباطل أنكرتم ذلك؟ و كان الواجب على المؤمنين إذ سمعوا قول القاذف أن يكذبوه و أن لا يسرعوا إلى التهمه بل يشتغلون بحسن الذكر لمن عرفوا طهارته و لم يظنوا به إلا خيرا لأنه كأنفسهم،

قال النبي صلى الله عليه و آله:

المؤمنون كنفس واحده و قال تعالى: و لا تلمزوا أنفسكم، و لا تقتلوا أنفسكم، و المراد بهما هو أنفس الغير لأن الإنسان العاقل لا يقتل نفسه حتى ينهى. و الحاصل أن المؤمنين كنفس واحده فيما يجرى عليهم من الأمور فإذا جرى على أحدهم محنه فكأنما جرت على جماعتهم. و إنما عدل فيه من الخطاب إلى الغيبه و من المضممر إلى المظهر للمبالغه فى التوبيخ و إشعارا بأن مقتضى الإيمان أن يظن المؤمنون بالمؤمنين خيرا، و إذا ابتلى واحد منهم بسوء

ص: ٩٧

أن لا يطعنوا به، بل لا بد و أن يدفعوا الطاعنين على قدر وسعهم كما يذّبون عن أنفسهم. و حاصل معنى الشريفة أنه كان على المؤمنين حينما سمعوا هذا الكلام أن يقيموا النكير و أن لا يقبلوه بل يظنّوا بعائشه و صفوان خيرا، و يحملوا الأمر على أحسنه و يقولوا هذا إِفْكٌ مُّبِينٌ (١) كما يقول المستيقن المطّلع:

١٣- لَوْلَا- جَاؤُ عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءٍ... (٢): يعنى هؤلاء الأّفكّه إذا كانوا صادقين فى قولهم لماذا لا- يجيئون على مدّعاهم بيّنتهم، بأربعة شهداء؟ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا (٣) و لن يأتوا بهم أبدا فأولئك عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ (٤) أى فلا- بدّ من أن يجرى عليهم حكم القذف لأنهم كاذبون.

١٤- وَ لَوْلَا- فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ... (٥) أى لولا- فضل الله عليكم فى الدّنيا بأنواع النّعم التى من جملتها الإمهال للتّوبه، و رحمته فى الآخره بالعفو و المغفره لَمَسَّكُمْ (٦) بالفعل عاجلا فيما أَفْضُتُمْ فِيهِ (٧) أى خضتم فيه عَذَابٌ عَظِيمٌ (٨) دائم.

١٥- إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ... (٩) أى يأخذه بعضكم عن بعض بالسؤال عنه وَ تَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ (١٠) بلا مساعده من القلوب و بلا شعور منها به، تقولون ما لئس لكم به علمٌ (١١) تحكون الخبر و تنقلونه جهلا- منكم به و بلا- حجّه و من غير برهان وَ تَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا (١٢). أى سهلا لا إثم فيه و لا تبعه له وَ هُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ (١٣) من حيث ترتب العقوبات الكثيره عليه لأنه موجب لإلحاق العار بأهل بيت النبوه و الاستخفاف بمنصب الرساله و التّجاسر عليه، و هذه من أعظم الكبائر فعقوبتها أعظم و أشدّ. و الحاصل أنّه يستفاد من الكريمة أنّ القائلين بالإفك ارتكبوا أمورا ثلاثة يترتب على كل واحد منها مسّ العذاب العظيم. أحدها: تلقى الإفك بالألسنه، و الثانى: التحدّث به من غير تحقّق، الثالث: الاستصغار بأمر تعلق الحكم الإلهى بعظمه و خطره.

ص: ٩٨

- ١- سورة ٢٤ - آيه ١٢
- ٢- سورة ٢٤ - آيه ١٣
- ٣- سورة ٢٤ - آيه ١٣
- ٤- سورة ٢٤ - آيه ١٣
- ٥- سورة ٢٤ - آيه ١٤
- ٦- سورة ٢٤ - آيه ١٤
- ٧- سورة ٢٤ - آيه ١٤
- ٨- سورة ٢٤ - آيه ١٤
- ٩- سورة ٢٤ - آيه ١٥
- ١٠- سورة ٢٤ - آيه ١٥
- ١١- سورة ٢٤ - آيه ١٥
- ١٢- سورة ٢٤ - آيه ١٥
- ١٣- سورة ٢٤ - آيه ١٥

١٦- وَ لَوْ لَا إِذِ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ... (١) أى هَلَّا قُلْتُمْ حينما سمعتم قول الإفك ما يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا (٢) ما ينبغي ولا يصح لنا حكايته وذكره وإفشاء أمر ليس لنا العلم به، حيث إن القذف حرام فى الشريعة بأحد الناس فكيف بأهل بيت الرساله و حريم سيد البشر؟ سُبْحَانَكَ (٣) هنا معناه التعجب ممن يقوله، أو تنزيه له تعالى من أن تكون زوجته نبيه (ص) فاجرته، إذ فجور زوجته منفر للطبائع عنه بخلاف كفرها و فسقها من غير هذه الناحيه هذا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ (٤) لعظم المبهوت عليه و هو رسول الله صلى الله عليه وآله.

١٧- يَعْظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا... (٥) أى ينهاكم الله أو يحرم عليكم العود لِمِثْلِهِ أَيْدَاءً (٦) طول أعماركم إن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٧) فإن الإيمان يمنع عنه.

و فى هذا الكلام تفرير و تهيج على الاتعاظ بوعظ الله و التأدب بآدابه.

١٨- وَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ... (٨) الداله على الشرائع و محاسن الآداب كى تتعظوا و تتأدبوا وَ اللَّهُ عَلِيمٌ (٩) بأحوال عباده كلها حَكِيمٌ (١٠) بتدابيره.

١٩- إِنَّ الَّذِينَ يُجْبُونَ أَنْ تَشِيَعَ الْفَاحِشَةُ... (١١) أى يفسو و يظهر الزنى و القبائح فى الَّذِينَ آمَنُوا (١٢) بأن ينسبوا إليهم و يقذفوهم بها لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٣) فى الدنيا بحد القذف و الطرد و الهتك و الآخِرَهُ (١٤) بالنار و غيرها من أنواع العذاب وَ اللَّهُ يَعْلَمُ (١٥) الأسرار و الضمائر و مصالح الأمور و مضارها وَ أَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (١٦) ما يعلمه الله و لا- علم لكم بعواقب الأمور و تواليها و توابعها.

٢٠- وَ لَوْ لَا فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَ رَحْمَتُهُ... (١٧) تكرير الشريفه للمنه بترك المعاجله بالعقاب، و جواب لولا محذوف لدلاله الكلام عليه، أى لعاجلكم بالعقوبه أو ما زكى أحد منكم بقرينه الآيه الشريفه الآتية. و جمله أَنَّ اللَّهَ (١٨) عطف على جمله فَضَّلَ اللَّهُ (١٩).

ص: ٩٩

١- سورة ٢٤ - آيه ١٦

٢- سورة ٢٤ - آيه ١٦

٣- سورة ٢٤ - آيه ١٦

٤- سورة ٢٤ - آيه ١٦

٥- سورة ٢٤ - آيه ١٧

٦- سورة ٢٤ - آيه ١٧

٧- سورة ٢٤ - آيه ١٧

٨- سورة ٢٤ - آيه ١٨

٩- سورة ٢٤ - آيه ١٨

۱۰- سوره ۲۴ - آیه ۱۸

۱۱- سوره ۲۴ - آیه ۱۹

۱۲- سوره ۲۴ - آیه ۱۹

۱۳- سوره ۲۴ - آیه ۱۹

۱۴- سوره ۲۴ - آیه ۱۹

۱۵- سوره ۲۴ - آیه ۱۹

۱۶- سوره ۲۴ - آیه ۱۹

۱۷- سوره ۲۴ - آیه ۲۰

۱۸- سوره ۲۴ - آیه ۲۰

۱۹- سوره ۲۴ - آیه ۲۰

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢١) وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيُغْفِرُوا وَلْيُغْفِرُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢٢)

٢١- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ... (١) أى لا تتبعوا آثاره و مسالكة من الإصغاء إلى البهتان و الإفك و التلقى منه و إشاعه الفاحشه فى الذين آمنوا و مَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ (٢) فالنتيجة فَإِنَّهُ يَأْمُرُ (٣) تابعيه بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ (٤) الفحشاء هو أقبح القبائح و ما أفرط فى قبحه، و المنكر ما أنكره الشرع و العقل. و يؤخذ من الشريفة أن أصدقاء السوء الذين يزينون المعاصى و الفجور و يسهلون عظام الأمور هم فى حكم الشيطان فى وجوب اجتنابهم و الابتعاد عنهم ما زكى مِنْكُمْ (٥) أى ما طهر من دنس الذنوب و لَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي (٦) أى يطهر بلطفه من يعلمه أنه أهل للطفه و اللَّهُ سَمِيعٌ (٧) سامع مقاتلهم عَلِيمٌ (٨) عالم بتياتهم.

٢٢- وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ... (٩) من الإيلاء بمعنى الحلف و من ألى يألو بمعنى التقصير و كلا المعنيين يناسبان المقام. و فى بعض التفاسير أن أبا بكر حلف أن لا ينفق على ابن خالته مسطح مع كونه من فقراء المهاجرين و من أهل بدر لأنه كان من المتكلمين فى الإفك، فالله تعالى أنزل الشريفة، فعلى هذا يكون من الإيلاء أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ (١٠) بالحسب

ص: ١٠٠

- ١- سوره ٢٤ - آيه ٢١
- ٢- سوره ٢٤ - آيه ٢١
- ٣- سوره ٢٤ - آيه ٢١
- ٤- سوره ٢٤ - آيه ٢١
- ٥- سوره ٢٤ - آيه ٢١
- ٦- سوره ٢٤ - آيه ٢١
- ٧- سوره ٢٤ - آيه ٢١
- ٨- سوره ٢٤ - آيه ٢١
- ٩- سوره ٢٤ - آيه ٢٢
- ١٠- سوره ٢٤ - آيه ٢٢

و النَّسَبُ يَكُونُونَ مِنْ أَرْبَابِ الْفَضِيلَةِ وَ الْجَاهِ وَ السَّعَةِ (١) فِي الْمَالِ وَ الشَّرْهِ أَنْ يُؤْتُوا (٢) قَالَ الَّذِينَ يَفْسُرُونَ الْإِثْلَاءَ بِمَعْنَى الْحَلْفِ: إِنْ كَلِمَهُ لَا (٣) هُنَا مَحذُوفَةٌ أَيْ: أَنْ لَا يُؤْتُوا، وَ يَقُولُونَ إِنْ لَا (٤) تَحْذِفُ كَثِيرًا فِي الْيَمِينِ، قَالَ اللَّهُ: لَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عَرْضَهُ لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا، وَ مَعْنَاهُ: أَنْ لَا تَبَرُّوا. وَ قَالَ الشَّاعِرُ أَمْرُ الْقَيْسِ:

فَقُلْتُ يَمِينُ اللَّهِ أَبْرَحُ قَاعِدَا وَ لَوْ قَطَعُوا رَأْسِي إِلَيْكَ وَ أَوْصَالِي

أَيْ: لَا أَبْرَحُ قَاعِدَا. وَ بِالْجَمَلَةِ إِذَا جَعَلْتَ لَا (٥) مَحذُوفَةٌ فَالْمَعْنِيَانِ يَقَعَانِ مُتْقَارِبَيْنِ فِي الْمَرَادِ مِنَ الْآيَةِ حَيْثُ إِنْ الْمَرَادُ فِي الْآيَةِ الْأَمْرُ بِإِعْطَاءِ هَؤُلَاءِ الْمَذْكُورِينَ أَوْلِي الْقُرْبَى وَ الْمَسَاكِينَ وَ الْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ (٦) فِي الْجَوَامِعِ قِيلَ: نَزَلَتْ فِي جَمَاعِهِ مِنَ الصَّحَابَةِ حَلْفُوا أَلَّا- يَتَصَدَّقُوا عَلَيَّ مِنْ تَكَلَّمَ بِشَيْءٍ مِنَ الْإِفْكَ وَ لَا- يُوَاسُوهُمْ وَ لِيُغْفُوا وَ لِيُصْفَحُوا (٧) أَمْرَهُمُ اللَّهُ أَنْ يَعْفُوا مَا صَدَرَ عَنِ الْآفَكِيِّنَ الْآثِمِينَ وَ لِيَصْرِفُوا أَنْفُسَهُمْ عَنِ الْإِنْتِقَامِ مِنْهُمْ وَ لِيَغْمِضُوا عَنْ عَمَلِهِمُ السَّيِّئِ، فَالْتَفَتَ عَنِ الْغَيْبِ إِلَى الْخُطَابِ وَ قَالَ تَعَالَى:

أَلَّا- تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ (٨) هَذَا تَرْغِيبٌ وَ تَحْرِيزٌ عَلَى الْعَفْوِ وَ الْإِغْمَاضِ، أَيْ إِذَا فَعَلْتُمْ كَانَ غُفْرَانُ اللَّهِ وَ رَحْمَتُهُ شَامِلِينَ لَكُمْ وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٩) فَإِنَّهُ تَعَالَى يَحِبُّ أَنْ يَكُونَ عَبْدُهُ شَبِيهَا بِهِ فِي الْعَفْوِ وَ التَّجَاوُزِ عَنْ تَقْصِيرِ الْمُقْصِرِينَ وَ الْإِغْمَاضِ عَمَّنْ أَسَاءَ إِلَيْهِمْ. وَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ: مَنْ لَمْ يَقْبَلْ عَذْرَ الْمُتَنَصِّلِ الَّذِي تَبَرَّأَ مِنَ الْجَنَائِهِ عِنْدَ شَخْصٍ كَاذِبًا كَانَ أَوْ صَادِقًا فَلَا يَرُدُّ عَلَيَّ حَوْضِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ. وَ

قَالَ (ص): أَفْضَلُ أَخْلَاقِ الْمُسْلِمِينَ الْعَفْوُ. وَ

قَالَ (ص): يَنَادِي مُنَادٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَلَا مِنْ كَانَ لَهُ أَجْرٌ عَلَى اللَّهِ فَلْيَقُمْ فَلَا يَقُومُ إِلَّا أَهْلُ الْعَفْوِ: فَمَنْ عَفَا وَ أَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ. وَ

عَنْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ: لَا يَكُونُ الْعَبْدُ ذَا فَضْلٍ حَتَّى يَصِلَ مِنْ قِطْعِهِ، وَ يَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَهُ، وَ يَعْطَى مِنْ حَرَمِهِ. وَ فِي الْآيَةِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ الْيَمِينَ عَلَى الْإِمْتِنَاعِ مِنَ الْخَيْرِ غَيْرِ جَائِزٍ، نَعَمْ يَجُوزُ إِذَا كَانَتْ دَاعِيَةً لِلْخَيْرِ أَوْ

ص: ١٠١

١- سورة ٢٤ - آية ٢٢

٢- سورة ٢٤ - آية ٢٢

٣- سورة ٢٤ - آية ٢٢

٤- سورة ٢٤ - آية ٢٢

٥- سورة ٢٤ - آية ٢٢

٦- سورة ٢٤ - آية ٢٢

٧- سورة ٢٤ - آية ٢٢

٨- سورة ٢٤ - آية ٢٢

٩- سورة ٢٤ - آية ٢٢

غير داعيه للشر، لا إذا كانت صادفه عنه. ثم إنه تعالى تأكيداً للمقام و تهديداً أو تخويفاً للعباد على القذف و الإفك يقول:

سوره النور (٢٤): الآيات ٢٣ الى ٢٦

إِنَّ الَّذِينَ يَزُمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٢٣) يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنُهُمْ وَ
أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٤) يَوْمَئِذٍ يُوفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ (٢٥) الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ
وَ الْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٢٦)

٢٣- إِنَّ الَّذِينَ يَزُمُونَ الْمُحْصَنَاتِ: (١) أى العفائف الْغَافِلَاتِ (٢) عن الفواحش التى نسبت إليهنَّ الْمُؤْمِنَاتِ (٣) بالله و رسوله
لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٤) هذه الكريمة و عيد عام لكل قاذف و رام للعفائف بالفواحش ما لم يتب. و المراد
باللعن الدنيوى ابتلاؤهم بعقوبه الحد و الجلد و رد الشهاده و كونهم مطرودين، و اللعن الأخرى هو بعدهم عن رحمه الله و
قربهم إلى غضبه و أنواع عقوباته العظيمة الكاشفه عن عظم الذنب كما أشار إليه بقوله سبحانه وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٥).

٢٤- يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنُهُمْ... (٦) يانطاق الله إياها ليعترفوا بما صدر عنها من الأقوال و الأعمال، و يمكن أن تكون شهاده
الجوارح على الإنسان من قبيل صدور الصوت عن بعض صنائع اليوم كالمسجلات و مجالس

ص: ١٠٢

- ١- سوره ٢٤ - آيه ٢٣
- ٢- سوره ٢٤ - آيه ٢٣
- ٣- سوره ٢٤ - آيه ٢٣
- ٤- سوره ٢٤ - آيه ٢٣
- ٥- سوره ٢٤ - آيه ٢٣
- ٦- سوره ٢٤ - آيه ٢٤

الأصوات بالنسبه إلى ما صدر عن اللسان، و أما الأعمال و الأفعال الصادره عن الجوارح الأخر فتمكن إراءتها لشخص الإنسان و غيره من أهل المحشر يوم تبلى السرائر كما يرونها فى تلفزيونات، فنعوذ بالله من فضائح يوم القيامة اللهم لا تفضحنا فيها.

٢٥- يَوْمَئِذٍ يُؤْفِكُهُمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ... (١) أى جزاءهم المستحق و يَعْلَمُونَ (٢) علما وجدانيا لمعاينتهم فى ذلك اليوم حقائق الأمور و واقعها على ما هى عليه و يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ (٣) أى هو الثابت بذاته و الظاهر بألوهيته. و قيل التقدير: ذو الحق المبين أى ظاهره عدالته فى ذلك اليوم على جميع الخلائق، فينتقم للمظلومين من الظالمين، و يعطى المحسن و المسىء جزاءهما بلا زياده أو نقيصه على مراتبهم. فمن كان هذا شأنه ينبغى أن يتقى منه و يجتنب من زواجه و نواهيهِ و تتب أوامره. و لا يخفى أن الآيات الواردة فى باب الإفك أغلظ آيات نزلت فى الكتاب تهديدا و تخويفا للآفكين. و لو أن أحدا يقلب جميع الآيات القرآنيه التى نزلت فى العصاه و فى تخويفهم و تهديدهم لما وجد آيه أغلظ مما ورد فى باب الإفك فإنها مشحونه بوعيد شديد و عقاب بليغ و زجر عنيف و استعظام لارتكاب الإفك و استنطاق للإقدام عليه على طرق مختلفه و أساليب متفاوته بحيث كل واحد منها يكفى فى باب الزجر و الوعيد، كما أنه جعل القاذف ملعونا فى الدنيا و الآخره. و استفاد بعضهم من هذه أن القاذف أسوأ حالا من الكافر، لأن الكافر تقبل توبته، فى حين أنه يؤخذ من هذه الكريمه أن القاذف لا تقبل منه التوبه، و ليس هذا إلا لعظم أمر الإفك مطلقا، و بالأخص فى مورد النزول للاهتمام بحريم سيد البشر و خاتم الرسل. و الحاصل أن الغرض من فرط المبالغه فى المقام هو إظهار علو منزله سيد الأنبياء و الرسل، فمن أراد أن يطلع على علو شأن سيد ولد آدم فليتأمل فى الآيات النازله فى باب القذف. و اعلم أن الله تعالى برأ ثلاثة نفر بثلاثه أشياء: برأ يوسف عليه السلام بلسان شاهد و شهد شاهد من أهلها (٤) و برأ مريم عليها السلام

ص: ١٠٣

١- سوره ٢٤ - آيه ٢٥

٢- سوره ٢٤ - آيه ٢٥

٣- سوره ٢٤ - آيه ٢٥

٤- سوره ١٢ - آيه ٢٦

يَإِذَا قَالَ إني عَبْدُ اللَّهِ آتَانِي الْكِتَابَ (١) إلخ و بَرَأَ عَائِشَةَ بِهَذِهِ الْآيَاتِ الْعِظَامِ تَعْظِيمًا لِلنَّبِيِّ (ص). ثم إنه تعالى أخذ في بيان ذم أهل الفسق و الفجور و مدح أهل الصّلاح و التقوى فقال سبحانه و تعالى:

٢٦- الْخَيْثَاتُ لِلْخَيْثِينَ ... (٢) أى الكلمات الخبيثة للخبيثين من الرجال و النساء يعنى: ينبغى أن تصدر عنهم أو تنسب إليهم وَ الْخَيْثُونَ (٣) من الناس معدون أن تنسب إليهم لِلْخَيْثَاتِ (٤) أى الكلمات السيئة الخبيثة التي لا ينبغى للطيبين وَ الطَّيِّبَاتِ (٥) من الأقوال معدة للطيبين (٦) من الناس وَ الطَّيِّبُونَ (٧) منهم لِلطَّيِّبَاتِ (٨) منها فإن طباع كل من الفريقين مائله إلى ما يناسبها. و فى المثل: كل أناة يترشح بما فيه. و قيل إن المراد بالشريفه: أن النسوة الخبيثات للرجال الخبيثاء و أن النسوة الطاهرات للرجال الطاهرين و هكذا العكس و قيل: إن هذه الكريمه بمعنى قوله تعالى: الزانى لا ينكح إلا زانيه أو مشركه (٩) الآيه، فالجنسيه سبب للألفه، و السنخيته موجه لل جذب و الانجذاب، و هذا أمر قهرى طبيعى غير قابل للإنكار أو لثبوت مبرؤن مما يقولون (١٠) ذيل الآيه دليل ظاهره على أن المعنى الثانى هو المراد من الآيه أى مما يقال فيهم، و قيل: إن الإشاره راجعه إلى النبى (ص) و صفوان و عائشه، أو راجعه إلى أهل بيت رساله، و المراد بالموصول هو الإفك وَ رِزْقٌ كَرِيمٌ (١١) أى رزق لا نقص فيه و لا تعب لأنه كثير دائم.

سوره النور (٢٤): الآيات ٢٧ الى ٣١

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَ تَسْتَلِمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٢٧) فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَ إِنْ قِيلَ لَكُمْ ارجعوا فارجعوا هو أذكى لكم وَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (٢٨) لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ وَ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَ مَا تَكْتُمُونَ (٢٩) قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَ يَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٣٠) وَ قُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَعْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَ يَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَ لَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَ لِيُضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَ لَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنَى إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنَى أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوْ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولَى الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَ لَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَ تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٣١)

ص: ١٠٤

١- سوره ١٩ - آيه ٣٠

٢- سوره ٢٤ - آيه ٢٦

٣- سوره ٢٤ - آيه ٢٦

٤- سوره ٢٤ - آيه ٢٦

٥- سوره ٢٤ - آيه ٢٦

٦- سوره ٢٤ - آيه ٢٦

٧- سوره ٢٤ - آيه ٢٦

٨- سوره ٢٤ - آيه ٢٦

۹- سوره ۲۴ - آیه ۳

۱۰- سوره ۲۴ - آیه ۲۶

۱۱- سوره ۲۴ - آیه ۲۶

٢٧- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ (١): أَي لَا يَنْبَغِي لَكُمْ الدَّخُولُ فِي بُيُوتِ يَسْكُنُهَا غَيْرِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا (٢)
أَي تَسْتَأْذِنُوا، مِنَ الِاسْتِنَاسِ بِمَعْنَى الِاسْتِعْلَامِ، فَإِنَّ الْمَسْتَأْذِنَ مُسْتَعْلَمٌ لِلْحَالِ. وَ

فِي الْمَجْمَعِ أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَسْتَأْذِنُ عَلَى أُمِّي؟ قَالَ: نَعَمْ قَالَ: إِنَّهَا لَيْسَ لَهَا خَادِمٌ غَيْرِي أَوْ أَسْتَأْذِنُ عَلَيْهَا كَلِمًا
دَخَلْتُ؟ قَالَ أَوْ تَحَبُّ أَنْ تَرَاهَا

ص: ١٠٥

١- سورة ٢٤ - آية ٢٧

٢- سورة ٢٤ - آية ٢٧

عريانه؟ قال لا قال: فاستأذن عليها. وَ تَسَلَّمُوا عَلَى أَهْلِهَا (١) بالتحية الإسلامية كقوله السَّلام عليكم. والحاصل أن من أراد أن يدخل على أحد في داره فلا بد له أن يستأذن أولاً، فإن أذن له في الدخول يدخل ويسلم على أهله بقوله: السَّلام عليكم، لا بالتحية الجاهلية كقولهم: صباح الخير ونحوه مما كانت تحييتهم به.

في الفقيه عنه (ع): إِنَّمَا الإِذْنُ عَلَى الْبَيْتِ، لَيْسَ عَلَى الدَّارِ إِذْنٌ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ (٢) أى الاستئذان والتسليم خير لكم من أن تدخلوا بغته وبتحية الجاهلية. وغايه الاستئذان لعلكم تذكرون (٣) أى تذكرون مواعظ الله لتأدبوا بأدابه وأوامره ونواهيها ولتتعلموها فتعملوا على طبقها.

٢٨- فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا... (٤) يأذن لكم فلا تدخلوها (٥) لأنه ربما كان فيها ما لا يجوز أن تطلعوا عليه حتى يأذن (٦) رب البيت في ذلك.

هذا إذا كان باب البيت مغلقاً، أما إذا كان مفتوحاً فالدخول بلا استئذان ولا محذور فيه لأن صاحبه بالفتح أباح النظر إلى ما فيه وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أركى لكم (٧) أى الرجوع بلا إلهام أظهر لكم من الوقوف على الباب وأنفع لكم في دينكم ودنياكم وأقرب إلى أن تصيروا أذكىاء والله بما تعملون عليم (٨) لا يخفى عليه شيء من أعمالكم فيجازيكم بها.

٢٩- لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ... (٩) كالربط والحوانيت فيجوز لكم الدخول فيها بغير استئذان كما هو المتعارف فيها متاع لكم (١٠) أى للاستمتاع بها كالتحفظ من الحر والبرد والإيواء للنساء والرجال، والجلوس فيها للمعاملة أو غيرها من الاستفادات والتمتع.

عن الصَّادِق عليه السلام: هى الحمامات والخانات والأرحية تدخلها بغير إذن، ولعل التمثيل بها ليس من جهة الحصر بل من باب مجرد المثال والله يعلم ما تبيدون وما تكتمون (١١) أى هو تعالى عالم ببياتكم عند دخولكم مدخلا لفساد أو تطلع على عوره أو لأمر ديني أو دنيوي مباح، سواء أظهرتم أو أخفيتم. وليعلم أن مناسبة آية الاستئذان مع ما قبلها، أنه تعالى لما بين

ص: ١٠٦

١- سورة ٢٤ - آية ٢٧

٢- سورة ٢٤ - آية ٢٧

٣- سورة ٢٤ - آية ٢٧

٤- سورة ٢٤ - آية ٢٨

٥- سورة ٢٤ - آية ٢٨

٦- سورة ١٢ - آية ٨٠

٧- سورة ٢٤ - آية ٢٨

٨- سورة ٢٤ - آية ٢٨

٩- سورة ٢٤ - آية ٢٩

۱۰- سوره ۲۴ - آیه ۲۹

۱۱- سوره ۲۴ - آیه ۲۹

عظم إثم الزنى و القذف أكّده بالنهى عن الدّخول فى بيوت الناس إلّا بعد استئذان من صاحبها حتى يكون الدّخول أبعد من التّهمه و أقرب إلى العصمه ثم أخذ فى بيان حكم نظر الحلال و الحرام من المؤمنين و المؤمنات، و حكم بالغصّ لتحصيل العصمه و البراءه عن التهمه، فقال سبحانه:

٣٠- قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ... (١) عَمَّا يَكُونُ مَحْرَمًا أَى لَا- يَتَطَلَعُوا إِلَى النِّسَاءِ فَإِنِ النَّظَرَ بَرِيدَ الزَّنى نَعُوذُ بِاللّهِ تَعَالَى مِنْهُ. وَ يَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ (٢) مِنَ النَّظَرِ الْمَحْرَمِ وَ

عن الصادق عليه السلام: حفظها هنا خاصه سترها ذلِكَ أَرْكَى لَهُمْ (٣) أَى أَطهر و أنفع لهم لما فيه من نفي التهمه و البعد عن الريبه إِنَّ اللّهُ خَبِيرٌ بِمَا يَصِفُونَ (٤) أَى بما يصدر عن أبصارهم و فروجهم و جميع جوارحهم فاجعلوه نصب أعينكم فى كل حال و احذروه فى جميع الأمور فإنه يراكم هو تعالى و قبيله من الحفظه و الكرام الكاتبين من حيث لا ترونه ٣١- وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ... (٥) عَمَّنْ لَا يَحِلُّ لَهُنَّ النَّظَرَ إِلَيْهِ وَ يَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ (٦) عَمَّنْ لَا يَحِلُّ لَهُنَّ وَ

القمى عن الصادق عليه السلام:

كل آيه فى القرآن فى ذكر الفروج فهى من الزنى إلّا هذه الآيه فإنها من النّظر، فلا يحلّ لرجل مؤمن أن ينظر الى فرج أخيه و لا يحلّ للمرأة ان تنظر إلى فرج أختها. و

عباده بن صامت روى عن رسول الله صلّى الله عليه و آله أنه قال: أنتم تضمنون عنى ستّه أشياء أضمن لكم الجنّه:الأوّل إذا حدّثتم حدّثوا صدقا،و الثانى إذا وعدتم أوفوا بعهدكم،و الثالث إذا استؤمتم بشىء فأدّوه،و الرابع احفظوا فروجكم من الحرام،و الخامس غصّوا أبصاركم عن الحرام،و السادس لا تمدوا أيديكم إلى أكل الحرام،فحينئذ أنا أضمن لكم الجنّه.

قال أمير المؤمنين(ع):قال رسول الله(ص) النظر إلى محاسن المرأة سهم مسموم من سهام إبليس. و

روى أن عبد الله بن أم مكتوم جاء إلى رسول الله و كان(ص)فى بيت فاطمه فاستأذن رسول الله فأذن له فى الدخول فخرجت فاطمه عليها السلام فلما ذهب ابن أم مكتوم قال(ص)لما ذا خرجت،فإنه أعمى؟فقالت يا أبه نعم لكنى لست بعمياء و إن كان لا يرانى فإنى أراه.

ص: ١٠٧

١- سورة ٢٤ - آيه ٣٠

٢- سورة ٢٤ - آيه ٣٠

٣- سورة ٢٤ - آيه ٣٠

٤- سورة ٢٤ - آيه ٣٠

٥- سورة ٢٤ - آيه ٣١

٦- سورة ٢٤ - آيه ٣١

قال تعالى: قُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ (١). قال (ص): الحمد لله الذى أرانى فى أهل بيتى ما سرّنى. وقضىه الشاب الأنصارى و النظر إلى المرأة التى أقبلت وقناعها خلف أذنها و كان صدرها و وجهها مكشوفين و الشاب لا يزال يمشى خلفها حتى وقع رأسه إلى الحائط معروفه، فنزلت الشريفه و لا يُدِينَنَّ زِينَتَهُنَّ (٢) أى لا- يظهرن مواضع الزينه لغير المحرم و من هو فى حكمه و لم يرد نفس الزينه فإنه يحلّ النظر إليها، بل أريد مواضعها على ما قيل. و قيل إن المراد نفس الزينه لأن النظر إليها يلازم النظر إلى مواضعها أو يخطر إلى القلوب مواضعها حين يراها و هى لا يبسه إياها فى له من شرع أكد بهذه المرتبه و بالغ بتلك المبالغه فى حفظ نوااميس المؤمنين و نساءهم إلا ما ظهر منها (٣) و

فى الكافى عن الصادق عليه السلام قال: الزينه الظاهره الكحل و الخاتم و،

فى روايه أخرى عن الباقر عليه السلام زاد السوار و خضاب الكف و، و قيل الضمير راجع الى مواضع الزينه لا نفسها أى إلا المقدار الذى لا يمكن إخفاؤه كالوجه و الكفين و ظهر القدمين فإن فى اخفائها حرجا على النوع كما لا يخفى. و

عن الصادق (ع) أنه سئل ما يحل للرجل أن يرى من المرأة إذا لم يكن محرما، قال: الوجه و الكفان و القدمان. و

عنه عليه السلام: لا- بأس بالنظر إلى رؤوس أهل تهمه (ما نزل عن نجد من بلاد الحجاز) و الأعراب و أهل السواد و العلوج من كفار العجم و، بعض يطلقه على الكافر مطلقا لأنهم إذا نهوا لا ينتهون.

قال: و المجنونه و المغلوب على عقلها لا بأس بالنظر إلى شعرها و جسدها ما لم يتعمّد ذلك، و لعل المراد من التعمّد هو النظر بالشهوه و إلا فإذا كان النظر عن نسيان أو سهو أو خطأ، فالى غيرها أيضا لا بأس.

قال النبىّ صلى الله عليه و آله لأمير المؤمنين عليه السلام: يا على النظرة الأولى لك و الثانية عليك و ليضربن بخمرهنّ على جيوبهنّ (٤) الخمر جمع خمار و هو الذى تستر المرأة به رأسها و رقبتها. و الآيه الشريفه يؤخذ منها أنه لا بدّ منه بل و ان يكون طويلا- بحيث يستر و يغطى به الصّدر أيضا فإن قوله تعالى: على جيوبهنّ (٥) متعلق ب ليضربنّ (٤) الذى بمعنى ليسترن و فى التبديل

ص: ١٠٨

١- سورة ٢٤ - آيه ٣١

٢- سورة ٢٤ - آيه ٣١

٣- سورة ٢٤ - آيه ٣١

٤- سورة ٢٤ - آيه ٣١

٥- سورة ٢٤ - آيه ٣١

٦- سورة ٢٤ - آيه ٣١

بلفظ الضرب لا تخفى المبالغه فى كيفية الإلقاء و كميته السّتر بحيث تستر و تغطى خمرهنّ إضافة على الرأس و الرقبه جيوبهن، مع أن وضع الخمر فى الجاهليه كان لسترهما فقط و الجيوب جمع الجيب و هو من القميص موضع الشقّ الذى فيه طول قدام الصدر أحد طرفيه الأعلى يصل الى المنحر و الآخر إلى السّره أو قريبا منها. و قيل هو طوق القميص، و قيل إن الجيب هو الصّيدر هنا، و الحاصل أنّه تعالى أمر النساء المؤمنات بستر الجيوب مبالغه تأكيدا بالتبديل الذى أشرنا إليه بل صرّحنا به و باللام الداخلة على الفعل تحصيلا للعفه و تكميلا لعصمه نساء الأئمه الإسلاميه، و لكن، و أسفا و ألف أسف إن كان الأسف يجدى على نسوه المسلمين الاسميه الكاسيات العاريات المثقّفات الكاشفات اللواتى لا يعرفن العفه و لا يدركن معنى العصمه، بل يعددنهما من الموهومات و خرافات العصور القديمه، فعلى إسلامهنّ السّلام و لا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ (١) كزّره مقدّمه لبيان من يحلّ له الإبداء و من لا يحلّ، و سابقا لبيان ما يجوز إظهاره و ما لا يجوز من الزينه.

و من يحلّ هم الذين استثناهم الله تعالى بقوله إِلَّا لِيُعَوَّلَتْهُنَّ (٢) إلى قوله:

أَوِ الطُّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا (٣) الآيه، و المراد بقوله أَوْ نِسَائِهِنَّ (٤) يعنى المؤمنات فلا يتجرّدن للكافرات، و فى التبيان أن غير المسلمات مطلقا فى حكم الرّجال غير المحارم. و قيل إن الأمه إذا كانت مملوكه لا بأس أن تتجرّد السيده المالكه لها عندها و لو كانت كافره لقوله أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ (٥) و هذا عام يشمل الكافره و المسلمه بل قيل يشمل العبيد أيضا أَوْ التَّابِعِينَ غَيْرِ أَوْلَى الْإِزْبَةِ (٦) و المراد بالتابعين هم الذين يتبعون الناس و يدخلون معهم البيوت لفضل طعام أو ما يحتاجون إليه، و لا حاجه لهم إلى النساء لهمم أو بله أو جنون و أمثالهم ممن لا يعرفون من أمرهن شيئا أو ينصرفون عنهن كالشيوخ الفانيه و العجائز المزممه لمرض أو كبر سنّ. أَوِ الطُّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ (٧) الطّفل اسم جنس، و هو إذا وقع موضع الجمع و اتّصف بالجمع يراد منه الجمع، و المعنى فى الشريفة أن الطّفل إذا كان بحيث لم يعرف العوره و لم يميّزها لقله سنّه و عدم بلوغه حدّ

ص: ١٠٩

١- سورة ٢٤ - آيه ٣١

٢- سورة ٢٤ - آيه ٣١

٣- سورة ٢٤ - آيه ٣١

٤- سورة ٢٤ - آيه ٣١

٥- سورة ٢٤ - آيه ٣١

٦- سورة ٢٤ - آيه ٣١

٧- سورة ٢٤ - آيه ٣١

الشهوة و عدم قدرته على الوطاء فلا بأس بتجرد النساء عنده. و الطفل هو الولد من يوم يولد إلى يوم بلوغه و الحنيفية على أن الخصى و المجبوب و العنين في حكم الرجال الأجانب لأنهم يميلون إلى مباشرتهن و مقاربتهن إلا- أنهم غير قادرين عليها لكنهم يتمتعون بباقي التمتعات منهن و عليه الإمامية فلا يحل لهن التجرد عندهم و لا بد من التحفظ عنهم و لا يضربن بأرجلهن (١) على الأرض حين المشى

روى أنه قبل نزول الآية كانت عادة النساء أن يضربن بأرجلهن حين مشيهن على الأرض لتسمع وقعها الخللخال فيها فنهاهن عن ذلك. لأن المرأة التي تضرب برجلها حين المشى ليظهر خلخالها تلفت نظر الرجل الذي يغلب عليه شهوة النساء إذا سمع صوت الخللخال و يصير ذلك داعيا له زائدا على الداعي الطبيعي في مشاهدتهن.

و قد علل سبحانه بأن قال: لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ (٢) فتيه به على أن الذي لأجله نهى عنه أن تعلم زينتهن من الحلوى و غيره. فإذا كان الصوت الدال على الزينة منهيا عنه، فإظهار الزينة و مواضعها أولى بالمنع، و إذا كانت المرأة ممنوعة أن ترفع صوت خلخالها لوقوعها في الفتنة، فرفع صوتها بالكلام للأجانب أولى بالنهي إذ كان صوتها أقرب إلى الفتنة، و إذا كان المناط و الملاك في النهي في تلك الموارد هو وقوع الفتنة فالنظر إلى وجهها بالشهوة أقرب إلى الفتنة فالنهي عنه أولى و أشد و توبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون (٣) عن التقصير و الخطر الذي لا يكاد أحدكم يخلو منه، أو مما فعلتم في الجاهلية سيما في الكف عن الشهوات لعلكم تفلحون (٤) تفوزون بسعادة الدارين.

سورة النور (٢٤): الآيات ٣٢ الى ٣٤

وَ أَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَ الصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَ إِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَ اللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٣٢) وَ لَيْسَ تَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَ الَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَ آتَوْهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَ لَا تَكْرَهُوا قِتْيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِيَبْتِغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ مَنْ يُكْرِهْنَهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٣٣) وَ لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَ مَثَلًا مِنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ وَ مَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ (٣٤)

ص: ١١٠

١- سورة ٢٤ - آية ٣١

٢- سورة ٢٤ - آية ٣١

٣- سورة ٢٤ - آية ٣١

٤- سورة ٢٤ - آية ٣١

٣٢- وَ أَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَ الصَّالِحِينَ... (١) أَيَامَى جَمْعُ أَيْمٍ وَ هُوَ الْعَزْبُ ذَكَرَا كَانَ أَوْ أَنْثَى، بَكَرًا أَوْ ثِيْبًا. أَحَدُ مَفْعُولِي أَنْكِحُوا (٢) مَحْذُوفٌ تَقْدِيرُهُ: وَ أَنْكِحُوا رِجَالَكُمْ الْأَيَامَى الَّذِينَ هُمْ بِلَا- زَوَجَاتٍ مِنْ نِسَائِكُمْ، أَوْ نِسَاءِكُمْ الْأَيَامَى أَى بِلَا- أَزْوَاجٍ مِنْ رِجَالِكُمْ، وَ أَنْكِحُوا الصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ إِمَاءَكُمْ الصَّالِحَاتِ، أَوْ الصَّالِحَاتِ مِنْ إِمَائِكُمْ عِبَادِكُمُ الصَّالِحِينَ، لِأَنَّ الْأَيَامَى يُشْمَلُ الرِّجَالُ وَ النِّسَاءُ، وَ الصَّالِحِينَ يُشْمَلُ عَلَيْهِمَا أَيْضًا. وَ الْخُطَابُ لِأَوْلِيَاءِ الْعَقْدِ، وَ خَصَّ الصَّالِحِينَ لِتَرْغِيْبِهِمْ فِي الصَّلَاحِ فَانِ الْعَيْبِدِ وَ الْإِمَاءِ إِذَا عَلِمُوا بِأَنَّ الصَّالِحِينَ يَشْتَمَلُ عَلَيْهِمَا أَيْضًا. وَ لَهْتِمَامُ مَوَالِيهِمْ فِي زَوَاجِهِمْ فِيهِتَمُونَ فِي تَحْصِيلِهِ طَبْعًا، وَ لَمَّا يَتَوَهَّمُونَ بِأَنَّ عَدَمَ الْقُدْرَةِ عَلَى حَقُوقِ الزَّوْجِ كَالْإِنْفَاقِ وَ الْإِسْكَانِ وَ غَيْرِهِمَا مِنَ الْمَصَارِفِ مَانِعٌ عَنِ النِّكَاحِ، فَرَفَعَ هَذَا التَّوَهَّمُ بِقَوْلِهِ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِيهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ (٣) أَى لَا- تَخَافُوا مِنَ الْفَقْرِ فَتَتْرَكُوا الزَّوْجَ، فَإِنَّهُ تَعَالَى قَادِرٌ عَلَى إِغْنَائِكُمْ مِنْ خَزَائِنِهِ بِكَرَمِهِ وَ فَضْلِهِ، يَرْزُقُ عِبَادَهُ صَبَاحًا وَ مَسَاءً يَرْزُقُهُمُ الْوَاجِبُ عَلَيْهِ بِإِجَابِهِ عَلَى نَفْسِهِ كَمَا قَالَ: وَ مَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا (٤) وَ مَضَافًا إِلَى

قَوْلِهِ (ع): اَطْلُبُوا الْغِنَاءَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، فَإِنَّهُ يُؤْخَذُ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ أَنَّ الزَّوْجَ هُوَ بِنَفْسِهِ سَبَبٌ مِنْ أَسْبَابِ سَعَةِ الْعَيْشِ وَ رِفَاهِيَّتِهِ فَكَيْفَ يَخَافُ الْإِنْسَانُ مِمَّا هُوَ سَبَبٌ رِزْقِهِ، وَ مَضَافًا إِلَى

ص: ١١١

١- سورة ٢٤ - آية ٣٢

٢- سورة ٢٤ - آية ٣٢

٣- سورة ٢٤ - آية ٣٢

٤- سورة ١١ - آية ٦

أحاديث أخر و آيات أخريات كقوله: وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً (١)، و من الأحاديث:

التمس الرزق فى النكاح.و

قيل إن واحدا شكّا من الفقر عنده عليه السلام فقال:عليك بالبءاء وَ اللّهُ واسعٌ عَلِيمٌ (٢) أفضاله كثيره السعه لأن قدرته غير محدوده لا تتناهى فكذلك نعمه و أفضاله على العباد،و هو يعلم ما تقتضيه حكمته فيسقط الرزق على وفق الحكمة و الحاصل أنه من ترك التزويج مخافه العيله فقد أساء ظنّه باللّهِ،نعم لا بدّ و أن يعلم الإنسان أن النكاح لا يكون عله تامّه لغناء المتزوج،فإن مشيئه اللّهِ لها الدّخل فى أمور العباد و أنه تعالى لا يرفع يده عمّا فيه صلاح عبده فيرى إن كان صلاح العبد فى الغنى أغناه و إلا فلا،نعم إذا أراد أن يغنى عبده قد يجعل سببه التزويج فى بعض الموارد لأن المدار جعله سبب الغنى بمعنى أنه علّق سعه رزقه على تزويجه.و يستفاد من الآيات و الروايات أن للتزويج دخلا فى الرزق أكثر من سائر الأسباب و المقتضيات الأخر.و لكن ربّما يتزوج الإنسان و لا يرى له الأثر فى رزقه فذلك أن المشيئه لا تقتضيه إذ ليس الغناء له بصلاح بل صلاحه فى استعفافه و اجتهاده فى إطفاء نائره شهوته كما أشار بقوله:

٣٣- وَ لَيْسَ تَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا... (٣) أى لا بدّ من الجهد فى تحصيل العفه و قمع الشهوه اللّذين لا يَجِدُونَ نِكَاحًا (٤) لأسبابه المؤدّيه له،من المهر و النفقه حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللّهُ مِنْ فَضْلِهِ (٥) أى من إحسانه و كرمه،فإنّ الأمور مرتنه بأوقاتها،و ربما يتوهم أن بين الآيه الأولى و هذه تناقضا حيث إنه أمر فيها بالنكاح و فى هذه أمر بالتقاعد عنه و الصّبر، و أجابوا بمحامل لا تخلو كلها من الخدش،و الأولى حمل السّابقه على عموم النهى عن تركه مخافه الفقر اللّاحق كما دلّ عليه حديث مخافه العيله الذى أشرنا إليه لا بعنوان الحديث بل فى طيّ قولنا،و حمل الأخيره على الأمر بالاستعفاف فى خصوص الفقر الحاضر المانع عن الزواج كما هو الظاهر من قوله تعالى لا يَجِدُونَ نِكَاحًا (٤) أى لا يجدون أسبابه بالفعل و لا يستطيعون الزواج لفقرهم العاجل،و السّابقه تنظر الى الآجل

ص: ١١٢

١- سورة ٩ - آيه ٢٨

٢- سورة ٢٤ - آيه ٣٢

٣- سورة ٢٤ - آيه ٣٣

٤- سورة ٢٤ - آيه ٣٣

٥- سورة ٢٤ - آيه ٣٣

٦- سورة ٢٤ - آيه ٣٣

وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ (١) أى يطلبون المكاتبه، وهو قول السيد لعبده كاتبك على كذا من المال تؤدّيه دفعتين أو ثلاثا، فإذا أدّيت ذلك المعلوم فأنت حر، ويقول العبد: قبلت و المراد بالموصول هو العبد الطالب من مولاه المكاتبه مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ (٢) أى من مماليككم عبدا كان أو أمه إن عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا (٣) أى مالا أو عملا يكتسب به أو حرفه، وقيل

دينا و مالا كما عن الصادق عليه السلام . و قيل صلاحا أو أمانه و قدره على أداء مال الكتابه و آتَوْهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ (٤) أمر للساده بإعطائهم شيئا من أموالهم و مثله حطّ شيء مِمَّا التزموا به حتى يتحرّروا سريعا و لا تُكْرَهُوا فَتِيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ (٥) أى إمائكم، البغاء هو الزنى إنْ أَرَدَنْ تَحْصُنَا (٦) تعففا إذا لا يتصوّر الإ-كراه إلا عند إرادته التحصّن، فلذا شرط الإكراه به، فإن الإكراه عند عدم التحصّن محال، لأنه من تحصيل الحاصل كما لا يخفى. فهذه فائده الاشتراط فلا يلزم من عدم المفهوم فى المقام لغويه القيد لَتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا (٧) عله للإ-كراه، و فى القمى: كانت العرب و قريش يشترون الإماء و الجوارى و يضعون عليهم الضرائب الثقيله و يقولون اذهبوا وازنوا و اكتسبوا، فنهاهم الله عن ذلك و مَنْ يُكْرِهُهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٨) للمكرهات لا- للمكرهين لان الوزر عليهم و فى القمى: لا- يؤاخذهن الله بذلك إذا أكرهن عليه. أقول: و يؤيد هذا التفسير

قول النبى (ص): رفع عن أمتى تسعه، و عدّ منها الاستكراه على الشيء.

٣٤- وَ لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ... (٩) أى ظاهرات فى الأحكام و الحدود فى هذه السوره و مَثَلًا (١٠) قصه و خبرا من أخبار من كان قبلكم، لتعتبروا بها و مَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ (١١) أى منعا و زجرا و بشاره، و التخصيص لأنهم المعتبرون بها. و الحاصل أنهم هم أهل الوعظ و النصح.

ص: ١١٣

١- سوره ٢٤ - آيه ٣٣

٢- سوره ٢٤ - آيه ٣٣

٣- سوره ٢٤ - آيه ٣٣

٤- سوره ٢٤ - آيه ٣٣

٥- سوره ٢٤ - آيه ٣٣

٦- سوره ٢٤ - آيه ٣٣

٧- سوره ٢٤ - آيه ٣٣

٨- سوره ٢٤ - آيه ٣٣

٩- سوره ٢٤ - آيه ٣٤

١٠- سوره ٢٤ - آيه ٣٤

١١- سوره ٢٤ - آيه ٣٤

اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٣٥) فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تُزْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ (٣٦) رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ (٣٧) لِيَجْزِيَ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٣٨)

٣٥- اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ... (١) عَرَفَ النُّورَ بِأَنَّهُ الظَّاهِرُ بِنَفْسِهِ وَالمَظْهَرُ لِغَيْرِهِ. فَاللَّهُ سَبْحَانَهُ ظَاهِرٌ بِذَاتِهِ مَظْهَرٌ لِسَمَاوَاتٍ وَالأَرْضِ بِمَا فِيهِمَا. وَقِيلَ أَصْلُ الظُّهُورِ هُوَ الوجودُ كَمَا أَنَّ أَصْلَ الخَفَاءِ هُوَ العَدَمُ. فَهُوَ تَعَالَى موجودٌ بِذَاتِهِ وَ موجودٌ لِمَا عَدَاهُ. وَ يمكنُ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ النُّورَ هُوَ الهَادِي فِي الظُّلُمَاتِ المَعْنَوِيَّةِ وَ الظَّاهِرِيَّةِ، وَ إِنَّ اللَّهَ سَبْحَانَهُ بِمَا أَنَّهُ الهَادِي لِأَهْلِ السَّمَاوَاتِ وَ أَهْلِ الأَرْضِ إِلَى طَرِيقِ الحَقِّ وَ يَهْدِيهِمْ لِمَصَالِحِهِمْ وَ خَيْرِهِمْ، لَذا أَطْلُقُ عَلَى ذَاتِهِ المَقْدَسَةَ أَنَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَ الأَرْضِ وَ

فِي التَّوْحِيدِ عَنِ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ: هَادٍ لِأَهْلِ السَّمَاوَاتِ هَادٍ لِأَهْلِ الأَرْضِ. وَ

فِي رِوَايَةِ البَرَقِيِّ

ص: ١١٤

فى تفسير الكريمه: هدى من فى السّماوات و هدى من فى الأرض، أو منور السّماوات بالنجوم و الكواكب و كذلك الأرض منوره بالشمس و القمر و النجوم، أو مزين السماوات بها و بالملائكه و الأرض بالأنبياء و الرّسل و العلماء الذين هم ورثه الأنبياء مثل نُوره كمشكاه (١) أى كوّه غير نافذه يوضع عليها المصباح أو يوضع فيها فيها مصباح (٢) سراج المصباح فى زجاجه (٣) فى قنديل زجاجى الزّجاجه كأنها كوكبٌ درى (٤) تضىء كأنها الزّهره فى لمعانها و تالأؤها يوقد من شجره مباركّه (٥) كثيره المنافع زيتونه (٦) بدل من الشجره. و الحاصل أن المصباح الذى لا بد له من دهن حتى يوقد و يضىء مأخوذ دهنه من شجره زيتون لا شرفيه و لا غرييه (٧) أى ليست الشجره فى مكان لا يصيبها الشمس إلاّ أوّل شروقها فقط فى تمام اليوم، أو حين غروبها فقط، بل فى مكان من الأمكنه التى تصيبها الشمس فى تمام النهار. و وجه التخصيص أن شجره الزيتون إذا كانت فى المكان الذى وصف فإن زيتها يصير أصفى و أدوم و أحسن من كلّ الجهات المرغوب فيها. أو المراد بقوله تعالى أنّ منبتها الشام و هى وسط العماره لا شرقها و لا غربها، و زيتونها أجود لأنّها ليست فى مضحى الشمس دائما فتحرقها و لا فى مقناه لا تصيبها أبدا أو بمقدار كاف فلا ينضج، ثم إنه تعالى وصفه بوصف آخر ليوضح صفاءها و لطافتها فقال: يكادُ زيتُها يضيءُ و لو لم تمسسه نارٌ (٨) أى قبل أن تمسه النار لفرط صفائه و كثير لطافته نورٌ على نورٍ (٩) متضاعف صفاءه حيث انضم إلى نور المصباح صفاء الزيت و لمعان الزّجاجه التى وضع المصباح فيها فأحاطت به لحفظ نور المصباح عن الخمود بالأرياح و النفخ و غيرهما من الموانع فصار المجموع كأنه نور على نور. ثم أنه لا بد فى التشبيه من المشبه و المشبه به، فالمشبه فى الآيه هو النور و قد فسرناه بتفاسير تبعاً لأكثر المفسرين، و الأحسن منها لعلّه كان

ما فى بعض الزوايات من أن المراد بالنور هو الهدايه و آياته تعالى البيّنات، و هذا التفسير قول جمهور المتكلمين. و المعنى أن هدايه الله بلغت فى الجلاء و الظهور إلى أقصى الغايه بمنزله المشكاه التى تكون فيها الزجاجه. و قلنا بأن

ص: ١١٥

- ١- سوره ٢٤ - آيه ٣٥
- ٢- سوره ٢٤ - آيه ٣٥
- ٣- سوره ٢٤ - آيه ٣٥
- ٤- سوره ٢٤ - آيه ٣٥
- ٥- سوره ٢٤ - آيه ٣٥
- ٦- سوره ٢٤ - آيه ٣٥
- ٧- سوره ٢٤ - آيه ٣٥
- ٨- سوره ٢٤ - آيه ٣٥
- ٩- سوره ٢٤ - آيه ٣٥

المشكاه هو القنديل، والكوه أى الخرق فى الحائط الذى جعل فيه الزجاجه الصافيه، و فى الزجاجه مصباح يتقد بزيت بلغ النهايه فى الصفاء و الجوده فى كلّ الجهات. فان قيل لم شبه بذلك و قد علم أن ضوء الشمس أبلغ و أقوى من ذلك بكثير؟ قلنا إنه سبحانه أراد أن يشبه هدايته بالضوء الكامل الذى يلوح فى وسط الظلمه و هو ضوء المشكاه التى المصباح فيها و التى كأنها الكوكب الدرّى. و لما كان الغالب على أوهام الخلق الشبهات التى هى كالظلمات، فهدايته تعالى فيها كالضوء الكامل فى وسط الظلمات. و هذا المعنى المقصود ما كان يحصل من التشبيه بضوء الشمس حيث أن ضوء الشمس إذا ظهر امتلاً العالم من النور فلا يبقى ظلام حتى تكون الشمس فيه تلوح، فتكون الهدايه بين ظلمات الأوهام و الشكوك مثلها.

فهذا المثل و التشبيه أليق بما نحن فيه يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ (١) يرشده إلى هداه و يبينه له حتى ينجيه من الضلاله و الغوايه بلطفه و عنايته، أو يهديه الله لنوره أى إلى إيمانه وَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ (٢) تقريباً للمعقولات إلى المحسوسات للأفهام، و تسهلاً للمرام عَلِيمٌ (٣) كثير العلم فيضع الأشياء فى مواضعها.

٣٦- فِي بُيُوتِ أذنَ اللّٰهُ أَنْ تُزْفَعَ... (٤) الجارّ متعلق بما قبله و هو المشكاه أى: مثل نوره تعالى و هو الهدايه فى قلوب أهلها كمشكاه فى بيوت أذن الله، أو يتعلق بيوقد، أى: إيقاده فى بيوت أذن الله أَنْ تُزْفَعَ (٥) بتعظيمها من تلاوه كتابه فيها، أو ذكر أسمائه الحسنى فيها، أو تطهيرها.

و هل المراد بها المساجد أو بيوت الأنبياء، أو أعمّ منها كبيوت الأوصياء فيها أقوال.

ففى الكافى عن الصادق عليه السلام: هى بيوت النبىّ صلّى الله عليه و آله، و

عن الباقر عليه السلام هى بيوت الأنبياء و الرسل و الحكماء و أئمه الهدى. و

فى روايه: و بيت علىّ عليه السلام منها. و يؤخذ من بعض الروايات أن المقصود من البيوت هو الأئمه عليهم السلام بأنفسهم.

فى

ص: ١١٦

١- سورة ٢٤ - آيه ٣٥

٢- سورة ٢٤ - آيه ٣٥

٣- سورة ٢٤ - آيه ٣٥

٤- سورة ٢٤ - آيه ٣٦

٥- سورة ٢٤ - آيه ٣٦

الكافي عن الباقر عليه السلام (بقرينه روايه قبل هذه) أن قتاده قال له: والله لقد جلست بين يدي فقهاء وقد أمهم فما اضطرب قلبي قدّام واحد منهم ما اضطرب قدّامك. فقال له: أت تدري أين أنت؟ بين يدي بيوت أذن الله أن ترفع، الآية، فأنت ثمه و نحن أولئك. فقال له قتاده: صدقت والله، جعلني الله فداك، والله ما هي بيوت حجاره ولا طين ل يُسَبَّحَ لَهُ فِيهَا (١) يحتمل أن يكون قوله ليسبّح بيانا لما في قوله من يُذَكَّرُ (٢) وقال ابن عباس: كلّ تسييح في القرآن صلاه، فعلى هذا معناه: يصلى له فيها بالغدوّ و الأصال (٣) غدوّ مصدر، وإطلاقه على أوقات الصّبح شائع في الكلمات ولذا قرنه بالأصال: جمع أصيل مستحسن، مضافا إلى أنه استعمل جمع غداه، فالاقتران أحسن و الجمع بينهما على القاعده معناه أنه يصلى له أو يذكر فيها بالغدايا والعشايا، أى أوائل طلوع الشمس و أواخر النهار، أو أعم: من أوائل الطلوع و بين الفجر و الطلوع و أواخر اليوم إلى العتمه.

٣٧- رجال لا تلهيهم تجارته... (٤) أى يسبح له فيها رجال لا تشغلهم تجارته ولا يبيع (٥) لا- شراء ولا- بيع عن ذكر الله وإقام الصلاه (٦) أى إقامه الصلاه. و جىء بالتاء عوضا عن الواو لأن أصله (إقوام) فحذف الواو و عوض عنه بالتاء. و هنا حذف لإقامه المضاف إليه مقامه. و قيل إن كان المراد بالبيع مطلق المعاوضه فذكره بعد التجاره من باب ذكر العام بعد الخاص للمبالغه، و إن كان المراد به معناه الحقيقي فإفراده بالذكر لكونه أهمّ القسمين من التجاره لأن الربح يتحقق بالبيع، و بالشراء يتوقع و يترقب.

ولا يخفى أن الله تعالى فى توصيف الرجال وعدّ قدره شىء من الأشياء أن يمنعهم عن ذكر الله اختصّ التجاره و البيع بالذكر. و لعل وجهه انهما أعظم الأشغال الدنيويه، فإذا كانا لا يمنعانهم عن الذكر فباقى الأشغال أولى.

وقال صاحب كشف الأسرار: إن ظاهر هؤلاء الرجال مع الخلق، و لكن باطنهم فى شهود الحق و صفاته و قوله تعالى لا تلهيهم تجارته (٧) الآية إشاره

ص: ١١٧

١- سورة ٢٤ - آيه ٣٦

٢- سورة ٢٤ - آيه ٣٦

٣- سورة ٢٤ - آيه ٣٦

٤- سورة ٢٤ - آيه ٣٧

٥- سورة ٢٤ - آيه ٣٧

٦- سورة ٢٤ - آيه ٣٧

٧- سورة ٢٤ - آيه ٣٧

إلى هذا المقام و نعم ما قيل. و من أوصافهم أنهم يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَ الْأَبْصَارُ (١) أى تضطرب فيه القلوب و الأبصار من الهول أو تتغير أحوالها فتتقن القلوب بعد الشك و تبصر الأبصار بعد العمى و هو يوم القيامة.

٣٨- لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا... (٢) قيل متعلق بيسبج، و قيل بيخافون، أى يعطيهم أحسن جزائهم و يزيدهم (٣) على ذلك من فضله (٤) أشياء لم يعدهم على أعمالهم و لا تخطر ببالهم و الله يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٥) هذا تقرير للزيادة و تنبيه على كمال قدره وسعه الإحسان.

سورة النور (٢٤): الآيات ٣٩ الى ٤٠

وَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيَعِهِ يَخْسَبُهُ الظَّمَآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَ وَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَ اللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٣٩) أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَعْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكِدْ يَرَاهَا وَ مَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ (٤٠)

٣٩- وَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيَعِهِ... (٤) أى التى يعملونها و يعتقدون أنها طاعات كشعاع بأرض بياض مستويه يَخْسَبُهُ الظَّمَآنُ مَاءً (٧) يظنه العطشان ماء حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا (٨) حَتَّى إِذَا انتهى إليه رأى أرضا لا ماء فيها، و هو قوله: لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا (٩)، أى مما حسب و قدّر فكذلك الكافر يحسب ما قدّم من عمله من عند نفسه بلا متابعتة للنبي (ص) نافعا و أن عليه ثوابا و ليس له ثواب و لا أجر وَ وَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ (١٠) عند جزائه

ص: ١١٨

١- سورة ٢٤ - آيه ٣٧

٢- سورة ٢٤ - آيه ٣٨

٣- سورة ٢٤ - آيه ٣٨

٤- سورة ٢٤ - آيه ٣٨

٥- سورة ٢٤ - آيه ٣٨

٦- سورة ٢٤ - آيه ٣٩

٧- سورة ٢٤ - آيه ٣٩

٨- سورة ٢٤ - آيه ٣٩

٩- سورة ٢٤ - آيه ٣٩

١٠- سورة ٢٤ - آيه ٣٩

محاسباً إِيَّاهِ فَوْقَاهُ حِسَابَهُ (١) أعطاه جزاء عمله تماماً بلا- نقيصه وَ اللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٢) لا- يمنعه حساب بعض عن محاسبه الآخر.

سئل عن أمير المؤمنين عليه السلام كيف يحاسبهم الله في حاله واحده. فقال كما يرزقهم في حاله واحده.

٤٠- أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ... (٣) عطف على قوله: كسراب، أى أن أعمالهم في خلوها عن نور الحق مثل ظلمات في بحر عميق منسوب إلى اللجج و هو معظم الماء يُعْشَاءُ مَوْجٌ (٤) أى من فوق الموج موج مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ (٥) من فوق الموج الثانى سحاب حجب نور الكواكب ظلمات (٦) أى هذه ظلمات متراكمه بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ، إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكِدْ يَرَاهَا (٧) فالواقع في تلك الظلمات المتراكمه إذا أراد أن يلاحظ يده فأخرجها إلى مقابل عينيه لم يقارب أن يراها لشده الظلمه وَ مَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا (٨) من لم يقدر له الهدايه و لم يوفق له أسبابها فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ (٩) و هو في ظلمه الباطل دائماً.

سوره النور (٢٤): الآيات ٤١ الى ٤٦

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَافَاتٍ كُلُّ قَدْ عَلِمَ صِلَاتَهُ وَ تَسْبِيحَهُ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ (٤١) وَ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَ إِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ (٤٢) أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُرْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَ يُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيَقِصُّ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَ يَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ (٤٣) يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَأُولِي الْأَبْصَارِ (٤٤) وَ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَ مِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَ مِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٤٥) لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُبِينَاتٍ وَ اللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٤٦)

ص: ١١٩

١- سوره ٢٤ - آيه ٣٩

٢- سوره ٢٤ - آيه ٣٩

٣- سوره ٢٤ - آيه ٤٠

٤- سوره ٢٤ - آيه ٤٠

٥- سوره ٢٤ - آيه ٤٠

٦- سوره ٢٤ - آيه ٤٠

٧- سوره ٢٤ - آيه ٤٠

٨- سوره ٢٤ - آيه ٤٠

٩- سوره ٢٤ - آيه ٤٠

٤١- أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ... (١) أى ينزهه عما لا يليق به أهل السَّمَاوَاتِ مِنَ الرُّوحَانِيِّينَ وَأَهْلِ الْأَرْضِ مِنَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ بِأَلْسِنَتِهِمْ مِنَ الْحَالِ وَالْمَقَالِ. وَمَنْ (٢) لِتَغْلِيْبِ الْعُقَلَاءِ وَالطَّيِّرِ (٣) عَطْفَ عَلَى مَنْ (٤) وَالتَّخْصِيصِ لِمَا فِيهَا مِنَ الْحِجَّةِ الْوَاضِحَةِ عَلَى وَجُودِ الصَّانِعِ وَكَمَالِ قُدْرَتِهِ، وَلِذَا قَيْدَهَا بِقَوْلِهِ: صَافَاتٍ (٥) أَى بِاسْطِنَاتٍ أُجْنِحْتَهُنَّ وَوَأَقْفَاتٍ فِي الْجَوِّ. وَحَيْثُ إِنَّ الْأَجْرَامَ السَّيْفَلِيَةَ بِطَبْعِهَا مِيَالَهُ إِلَى الْمَرْكَزِ، فَوْقُوهُنَّ فِي الْهَوَاءِ وَإِلْهَامَهُنَّ الْبَسْطَ وَالْقَبْضَ عِنْدَ كَوْنِهِنَّ مَصْطَفَاتٍ الْأَجْنِحَةَ فِي الْجَوِّ بِرِهَانِ قَاطِعٍ وَحِجَّةٍ سَاطِعَةٍ عَلَى كَمَالِ قُدْرَةِ الصَّانِعِ وَلِطْفِ تَدْبِيرِهِ الْجَامِعِ. فَالطَّيُّورُ تَسْبِيحُ بِلِسَانِ الْحَالِ وَبِنَفْسِ وَجُودِهَا بِهَذِهِ الْكَيْفِيَةِ وَالْحَالَةَ أَوْ الْمَرَادَ أَنَّهَا تَنْطِقُ بِأَلْسِنَتِهَا بِالتَّسْبِيحِ؛ وَلا مَانِعَ مِنَ الْجَمْعِ، كَمَا أَنَّ مِنَ الْعُقَلَاءِ مَنْ يَسْبِيحُ بِلِسَانِهِ كَالْمُؤْمِنِ، وَبِدَلَالِهِ وَجُودِهِ وَأَحْوَالِهِ كَالْكَافِرِ كُلُّ قَدْ عَلِمَ صِيْلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ (٦) وَالظَّاهِرُ مِنَ الْكَرِيمِ أَنَّ الضَّمِيرَ فِي عَلِمَ (٧) لِكُلِّ، وَمَعْنَاهُ أَنَّ جَمِيعَ ذَلِكَ مِنَ الْمَسْبُوحِينَ، وَقَدْ عَلِمُوا صَلَوَاتِ أَنْفُسِهِمْ وَتَسْبِيحِهِمْ، وَهُمْ يُؤَدُّونَهَا فِي وَقْتِهَا، أَوْ هُوَ رَاجِعٌ إِلَى اللَّهِ، وَهُوَ تَعَالَى قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَدَعَاءَهُ إِلَى تَوْحِيدِهِ وَتَسْبِيحِهِ. وَقِيلَ أَنَّ الصَّلَاةَ لِلْإِنْسَانِ وَالتَّسْبِيحَ لِكُلِّ شَيْءٍ.

٤٢- وَ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ... (٨) أَى عَلَى الْحَقِيقَةِ لَا يَشَارِكُهُ فِيهِ أَحَدٌ وَ إِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ (٩) أَى الْمَرْجِعُ.

ص: ١٢٠

- ١- سورة ٢٤ - آية ٤١
- ٢- سورة ٢٤ - آية ٤١
- ٣- سورة ٢٤ - آية ٤١
- ٤- سورة ٢٤ - آية ٤١
- ٥- سورة ٢٤ - آية ٤١
- ٦- سورة ٢٤ - آية ٤١
- ٧- سورة ٢٤ - آية ٤١
- ٨- سورة ٢٤ - آية ٤٢
- ٩- سورة ٢٤ - آية ٤٢

٤٣- أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا... (١) أى يسوقه برفق إلى حيث يريد ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ (٢) بين قطعه المتفرقه فى الجوّ بضم بعضها إلى بعض فتصير قطعه واحده ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا (٣) متراكما و متراكبا بعضه فوق بعض فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ (٤) ترى المطر يخرج من فتوقه و مخارجه و فرجه، جمع خلل كجبال جمع جبل وَ يُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ (٥) أى من الغمام فإن كل ما علاك فهو سماء مِنْ جِبَالٍ (٦) بيان من السّماء، أى من قطع عظام تشبه الجبال فى عظمتها و جمودها فِيهَا مِنْ بَرَدٍ (٧) من بيان للجبال و البرد هو الثلج، و الضمير راجع إلى السّماء، و كلّ جسم شديد متحجّر عظيم يعبر عنه بالجبل فَيَصِيبُ بِهِ (٨) بالبرد مَنْ يَشَاءُ (٩) من يريد وَ يَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ (١٠) يدفعه عنه يَكَاذُ سَنَا بَرْقِهِ (١١) أى ضوء برقه يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ (١٢) أبصار الناظرين إليه من فرط الإضاءة. و هذا أقوى برهان و دليل على كمال قدرته تعالى، لأنّه يخرج النار المضيئه من السّحاب الذى يحمل المطر، بل أشرب فيه المطر بحيث صار كالقطن الذى غمس فى الماء.

٤٤- يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ... (١٣) أى يصيرهما بذهاب واحد و مجيء آخر متعاقبين بالنقصان و الزيادة أو بتغير أحوالهما بالحراره و البروده و النور و الظلمه إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَأُولِي الْأَبْصَارِ (١٤) أى فيما تقدّم ذكره من الأمور المذكوره اعتبار و دلالة على وجود الصّانع الحكيم القديم و على قدرته الكامله و نفاذ مشيئته و تنزّهه عن كلّ حاجه لكل ذى بصيره و علم و معرفه.

٤٥- وَ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ... (١٥) أى كلّ حيوان يدبّ على الأرض مِنْ مَاءٍ (١٦) تنكير الماء فى هذه الآيه لعلّه باعتبار الجنس مطلقا، و لكن التعريف فى قوله تعالى: وَ جَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ (١٧) حتى باعتبار الإشاره إلى ماء مخصوص، كالنطفه من باب التغليب، أو الماء الذى خلقه الله فى بدء أمر الخلقه على ما روى عن ابن عباس أنّ أول ما خلق الله جوهره، فنظر إليها بعين الهيبة فذابت و صارت ماء، ثم من ذلك الماء خلق النار و منها الجن

ص: ١٢١

١- سورة ٢٤ - آيه ٤٣

٢- سورة ٢٤ - آيه ٤٣

٣- سورة ٢٤ - آيه ٤٣

٤- سورة ٢٤ - آيه ٤٣

٥- سورة ٢٤ - آيه ٤٣

٦- سورة ٢٤ - آيه ٤٣

٧- سورة ٢٤ - آيه ٤٣

٨- سورة ٢٤ - آيه ٤٣

٩- سورة ٢٤ - آيه ٤٣

١٠- سورة ٢٤ - آيه ٤٣

١١- سورة ٢٤ - آيه ٤٣

١٢- سورة ٢٤ - آيه ٤٣

١٣- سورة ٢٤ - آيه ٤٤

۱۴- سوره ۲۴ - آیه ۴۴

۱۵- سوره ۲۴ - آیه ۴۵

۱۶- سوره ۲۴ - آیه ۴۵

۱۷- سوره ۲۱ - آیه ۳۰

و الهواء و النور و منه خلق الملائكته، و التراب و منه خلق آدم و باقى الحيوانات. فأصل كل موجود هو الماء و الكريمة لعلها داله على هذا بوسيله أذاه التعريف و الله أعلم. و الحاصل أنه لما استدلل على التوحيد المستلزم لوجوده من الآثار العلويه، استدلل فى الكريمة بأنه خلق كل دابه من ماء فمنهم من يمشى (١) الآيه من آثار العالم السفلى من الحيوانات و غيرها على وجود الصانع و توحيده و حكمته و قدرته التامه على ما فصلها من قوله:

فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشَى عَلَى بَطْنِهِ (٢) الى قوله: يَمْشَى عَلَى أَرْبَعٍ (٣) و.

عن الباقرين عليهما السلام: و منهم من يمشى على أكثر من ذلك و تذكير الضمير و لفظ من (٤) فيما ذكر لتغليب العقلاء كما لا يخفى يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ (٥) من حيوان و غيره على اختلاف الصور و الطبائع بمقتضى حكمته و مشيئته.

٤٦- لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ... (٦) أى الآيات القرآنيه التى هى مبيّنات لحقائق الأشياء بأنواع الدلائل و الله يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ (٧) بالتوفيق للنظر فيها و التدبّر لمعانيها إلى صراطٍ مُسْتَقِيمٍ (٨) للطريق الموصل إلى الجنه، و هو الإيمان المؤدى إلى درك الحق و الحقيقه.

سوره النور (٢٤): الآيات ٤٧ الى ٥٢

وَ يَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَ بِالرَّسُولِ وَ أَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعِيدٍ ذَلِكُمْ وَ مَا أَوْلَيْكَ بِالْمُؤْمِنِينَ (٤٧) وَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَ رَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ (٤٨) وَ إِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ (٤٩) أَفِى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَ رَسُولُهُ بَيِّنٌ أَوْلَيْكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٥٠) إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَ رَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَ أَطَعْنَا وَ أَوْلَيْكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٥١) وَ مَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ يَخْشِ اللَّهَ وَ يَتَّقِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ (٥٢)

ص: ١٢٢

١- سوره ٢٤ - آيه ٤٥

٢- سوره ٢٤ - آيه ٤٥

٣- سوره ٢٤ - آيه ٤٥

٤- سوره ٢٤ - آيه ٤٥

٥- سوره ٢٤ - آيه ٤٥

٦- سوره ٢٤ - آيه ٤٦

٧- سوره ٢٤ - آيه ٤٦

٨- سوره ٢٤ - آيه ٤٦

٤٧- وَ يَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَ بِالرَّسُولِ... (١) روى أن منافقا و يهوديًا وقع بينهما تنازع فى أرض، فقال اليهودى: نذهب للحكومة عند نبيكم محمد (ص) و جزه المنافق الى كعب بن الأشرف، و كان يقول إن محمدا يحيف علينا فنزل قوله تعالى: وَ يَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَ بِالرَّسُولِ وَ أَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ (٢) بالامتناع عن قبول حكمه و الاعراض عنه مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ (٣) بعد قولهم آمنا بالله و بالرسول و ما أولئك بِالْمُؤْمِنِينَ (٤) و فى هذه الآيه دلالة على أن القول المجرد لا- يكون إيمانا إذ لو كان لما صح النفى بعد الإثبات لأن هؤلاء القائلين يدعون الإيمان و ليسوا بمؤمنين فى واقع الحال.

٤٨- إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَ رَسُولِهِ... (٥) أى إذا انتدبوا و سئلوا العوده لحكم الله و حكم رسوله لِيُحْكَمَ بَيْنَهُمْ (٦) فى شؤونهم الدنيوية أو الأخروية - كقصه اليهودى و خصمه- إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ (٧) تجد أن بعضهم يمتنعون عن الإجابة و يميلون عن حكم الله و حكم رسوله (ص).

٤٩- وَ إِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ... (٨) أى إلى النبي (ص) منقادين خاضعين له لعلمهم بأنه (ص) يحكم لهم لا عليهم لأن الحق لهم.

٥٠- أَفِى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ... (٩) أى شك فى نبوتك أو نفاق، و هذا استفهام يراد به التقرير لأنه أشد فى مقام الذم و التوبيخ يعنى: هذا أمر قد ظهر حتى لا يحتاج فيه إلى التنبيه أم ارتأبوا (١٠) أم رأوا منه ما أوقعهم فى اضطراب و قلق فلم يبق فيهم اعتماد و وثوق بقوله صلى الله عليه و آله و فعله أم يخافون أن يحيف الله عليهم و رسوله (١١) أى يخافون أن يجور الله عليهم و الرسول يظلمهم فى الحكم لأنه لا وجه فى الامتناع عن المجيء إلا أحد هذه الأوجه الثلاثة: بل أولئك هم الظالمون (١٢) هذا إضراب من القسمين الأخيرين لتحقق القسم الأول و ثبوته فيهم يعنى الكفر، و المعنى بالإضراب

ص: ١٢٣

١- سورة ٢٤ - آيه ٤٧

٢- سورة ٢٤ - آيه ٤٧

٣- سورة ٢٤ - آيه ٤٧

٤- سورة ٢٤ - آيه ٤٧

٥- سورة ٢٤ - آيه ٤٨

٦- سورة ٢٤ - آيه ٤٨

٧- سورة ٢٤ - آيه ٤٨

٨- سورة ٢٤ - آيه ٤٩

٩- سورة ٢٤ - آيه ٥٠

١٠- سورة ٢٤ - آيه ٥٠

١١- سورة ٢٤ - آيه ٥٠

١٢- سورة ٢٤ - آيه ٥٠

أنه ما كان عدم مجيئهم للأمرين الأخيرين أن الرسول محلّ تهمة عندهم أو أن الله ورسوله أهل للجور والعدوان على أحد بل أولئك هم الظالمون (١) أنفسهم وغيرهم من خصومهم. ثم إنّه تعالى بعد ما بين حال الكفرة والمنافقين بما يدل على ذمهم وتوبيخهم، أخذ في أوصاف المؤمنين وشرح حالهم بما يدل على كمال مدحهم ورفع مقامهم، فقال عز وجل:

٥١- إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ... (٢) ليعلم أن القراء المشهوره: إنما كان بنصب القول خبرا لكان، و

في المجمع عن عليّ عليه السلام أنه قرأ: قول المؤمنين بالرفع، فيصير اسم كان كما هو الظاهر، وخبره جمله: أن يقولوا.

و الظاهر أن الحق مع عليّ عليه السلام حيث أنه، بقربنه المقام، يراد من الكريمه أن يحصر قول المؤمنين في قولهم: سمعنا و أطعنا في كل أمر إلهي و في كل أحوالهم. بيان ذلك أنه إذا أمرهم الله سبحانه بالإقرار بوجود الصانع و الخالق تعالى يقولون: سمعنا من رسولك و أطعناه، و إذا أمروا بالشهادة بالوحدانية و بالرسالة و بالولاية يقولون: سمعنا و أطعنا، و بإقامه الصلاة و إيتاء الزكاه و بالصيام و بالجهاد إلى آخر أحكامه تعالى سواء كان أمرا أو نهيا و أعم من أن يكون لهم أو عليهم، ففي كل ما يرد عليهم و إليهم فلا- كلام لهم و لا- قول إلا- قول: سمعنا و أطعنا، بخلاف الكفرة و المنافقين فإنهم إذا دعوا إلى الله، أي إلى كتاب الله و رسوله ليحكم بينهم، فإذا كان الحكم عليهم إذا فريق منهم معرضون، و إن يكن لهم الحق يأتوا إليه مدعين لعلمهم بأن الحكم لهم.

٥٢- وَ مَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ... (٣) حكى أن بعض الملوك طلب من علماء عصره آيه من كتاب الله يكفيه العمل بها عن غيرها من الآيات، فاتفقوا على إرسال هذه الآية لأن الفوز و الفلاح لا يحصلان إلا بهذه الأمور الثلاثة المذكوره فيها: الإطاعة لله سبحانه، و خشيته، و تقواه:

ص: ١٢٤

١- سورة ٢٤ - آيه ٥٠

٢- سورة ٢٤ - آيه ٥١

٣- سورة ٢٤ - آيه ٥٢

وَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجْنَ قُلْ لَا تُقْسِمُوا طَاعَهُ مَعْرُوفَهُ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (٥٣) قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَ عَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَ إِن تَطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَ مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (٥٤)

٥٣- وَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ... (١) المنافقون حلفوا بالله حلفا غليظا و شديدا. و قوله: جهد أيمانهم، مفعول للفعل المحذوف بتقدير: يجهدون بالأيمان جهدا، فحذف الفعل و أقيم المصدر المضاف إلى المفعول مقامه كقوله: ضرب الرقاب و هذا المصدر فى حكم الحال كأنه قيل جاهدين بأيمانهم أى أقسموا مجدين و مجتهدين فى حلفهم بحيث يزعمون أنهم لئن أُمِرْتَهُمْ (٢) بالخروج عن ديارهم و أموالهم لَيَخْرُجْنَ (٣) هذا جواب لقوله:

و أقسموا بالله قُلْ لَا تُقْسِمُوا (٤) يا محمد قل لهؤلاء المنافقين الكافرين: لا تحلفوا على الكذب طَاعَهُ مَعْرُوفَهُ (٥) أى: المطلوب منكم هى الإطاعة المعروفة المتداوله بين المؤمنين، و هى الانقياد الخالص عن الشبهات لله تعالى، أى لأوامره و نواهيه كطاعه الخالص من عباد الله الذين طابق باطن أمرهم ظاهرهم لا اليمين على الطاعة النفاقية المنكره بحيث تكون القلوب خلاف الأفواه إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (٦) هو عالم بسرائركم و أعمالكم و يدرى أن قسمكم كذب محض فلا اعتماد على قولكم أبدا.

٥٤- قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ... (٧) أى قل لهم ذلك يا محمد فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ (٨) فَإِن تَوَلَّوْا عن الطاعة و امتثال الأوامر و النواهي و أعرضوا عنها وراء ظهورهم فَإِنَّمَا عَلَيْهِ (٩) على الرسول ما حُمِّلَ (١٠) من أداء الرسالة و بيان التكليف وَ عَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ (١١) من المتابعه

ص: ١٢٥

- ١- سوره ٢٤ - آيه ٥٣
- ٢- سوره ٢٤ - آيه ٥٣
- ٣- سوره ٢٤ - آيه ٥٣
- ٤- سوره ٢٤ - آيه ٥٣
- ٥- سوره ٢٤ - آيه ٥٣
- ٦- سوره ٢٤ - آيه ٥٣
- ٧- سوره ٢٤ - آيه ٥٤
- ٨- سوره ٢٤ - آيه ٥٤
- ٩- سوره ٢٤ - آيه ٥٤
- ١٠- سوره ٢٤ - آيه ٥٤
- ١١- سوره ٢٤ - آيه ٥٤

و الامتثال بالأعمال الصالحة وَ إِن تَطِيعُوهُ تَهْتَدُوا (١) إلى الحق و تفوزوا فوزا عظيما وَ ما عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (٢) و قد بلغ، فإن قبلتم فلکم و إلا فعليکم و حكى أن فقراء المهاجرين بعد ما كانوا عشر سنين فى مكه فى غاية الخوف و الشده هاجروا من مكه إلى المدينه و نزلوا بدوا فى منازل الأنصار إلى مدّه فاتفق على محاربتهم كفار قريش و أكثر قبائل العرب المحالفين لهم و غير المحالفين من الذين كانوا فى مكه و يثرب يرسلون إليهم رسائل و رسلا و يتهددونهم و يخوفونهم. فمضت عليهم أزمته و هم مضطربون غير مستريحين، فقالوا يوما من أيام اجتماعهم: هل يجرى علينا زمان السلامه و العافيه و الأمن و الأمان قاعدين فى بيوتنا على فراغ بال، فنزلت:

وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ (٣)، الآيه...

سوره النور (٢٤): الآيات ٥٥ الى ٥٧

وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسِّرَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَ لَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَ لَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعِيدٍ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَ مَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٥٥) وَ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَ آتُوا الزَّكَاةَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٥٦) لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَ مَا لَهُمْ مِنَ النَّارِ وَ لَبِئْسَ الْمَصِيرُ (٥٧)

٥٥- وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسِّرَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ... (٤) أى ليجعلنهم خلفاء بعد نبيكم متصرفين فيها كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ (٥) أى بنى

ص: ١٢٦

١- سوره ٢٤ - آيه ٥٤

٢- سوره ٢٤ - آيه ٥٤

٣- سوره ٢٤ - آيه ٥٥

٤- سوره ٢٤ - آيه ٥٥

٥- سوره ٢٤ - آيه ٥٥

إسرائيل بدل الجباريه وَ لِيَمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ (١) أى الإسلام وَ مَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ (٢) ارتدَّ أو كفر بهذه النعم بعد حصولهم فأولئك هُمُ الْفَاسِقُونَ (٣) الخارجون إلى أقيح الكفر حيث ارتدوا بعد وضوح الأمر و كفروا تلك النعم العظيمه، و فى القمى: نزلت فى القائم من آل محمّد عليهم السلام، و عَجَّلَ اللَّهُ تَعَالَى فَرَجَهُ.

٥٦- وَ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَ آتُوا الزَّكَاةَ... (٤) أمر لمن كان يعقل و يتدبّر باتّباع أوامر الله تعالى و نواهيه بأمل نبيل رحمته.

٥٧- لا- تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ... (٥) أى: لا- تظننّ أن هؤلاء الكافرين يعجزون الله تعالى و يفوت قدرته إدراكهم و إهلاكهم، فإنهم فى قبضته و تحت سلطانه، و سيأخذهم إليه وَ مَا وَاهُمُ النَّارُ وَ لَبِئْسَ الْمَصِيرُ (٦) فهى مقرّهم و إليها مصيرهم لأنها مسكنهم.

سورة النور (٢٤): الآيات ٥٨ الى ٦٠

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيْسَ تَأْذِنُكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَ الَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَ حِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَ مِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَ لا- عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعِيدُهُنَّ طَوَافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٥٨) وَ إِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمْ الْحُلُمَ فَلْيَسِّرُوا تَأْذِنًا كَمَا إِسْرَأَدَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٥٩) وَ الْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَ أَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَ اللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٦٠)

ص: ١٢٧

١- سورة ٢٤ - آيه ٥٥

٢- سورة ٢٤ - آيه ٥٥

٣- سورة ٢٤ - آيه ٥٥

٤- سورة ٢٤ - آيه ٥٦

٥- سورة ٢٤ - آيه ٥٧

٦- سورة ٢٤ - آيه ٥٧

٥٨- يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيْسَ تَأْذِنُكُمْ... (١) أى ليطلب الإِذن فى الدخول عليكم المملكون من الرجال و النساء و الصبيان الذين بلغوا الحلم وَ الَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ (٢) من الأحرار الذين يميّزون بين العوره و غيرها و صار لهم قابليه الاحتلام و التكليف يجب أن يستأذِنوا للدخول عليكم ثلاثَ مَرَاتٍ (٣) أى فى الأوقات الثلاثة التى بيّنها الله تعالى لنبىه صلى الله عليه و آله فى كتابه، و هى: مِنْ قَبْلِ صِيَةِ الْفَجْرِ (٤) لأنه وقت القيام من المضاجع و تبديل لبس الليل بلبس النهار وَ حِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ (٥) أى للقبول من الظهيره (٦) بيان الحين وَ مِنْ بَعْدِ صِيَةِ الْغِشَاءِ (٧) لأنه وقت تبديل لبس اليقظه بلبس النوم و حين يأوى الرجل إلى امرأته و يخلو بها ثلاثَ عَوْرَاتٍ لَكُمْ (٨) أى الأوقات الثلاثة هى ثلاث عورات لكم، جمع عوره، و إنّما سميت هذه الأوقات عورات لأن الإنسان فى هذه الأوقات غالبا يضع ثيابه و جلبابه فتبدو عورته حيث أنه يختلّ تحفظهم و تسترّه فيها. و العوره القبل و الدبر و كلّ شىء ستره الإنسان أنفه أو حياء فهو عوره، و لذا سميت السّوأه عوره، و النساء عوره. و

منه الحديث: المرأه عوره جعلها نفسها عوره لأنها إذا ظهرت يستحى منها كما يستحى من العوره إذا ظهرت و

فى الحديث عوره المؤمن على المؤمن حرام، و معناه

على ما ذكره الصادق (ع): أن يزل زلّه أو يتكلم بشىء يعاب عليه فيحفظه ليعيره به يوما و

فى خبر آخر: هى إذاعه سرّه أو أن ذلك يكون حين يخلو مع زوجته فى تلك الأوقات و هى عوره و بهذه المناسبه كنى عن الأوقات بالعوره لأنها ظروف للعوره و الله أعلم.

لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَ لَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ (٩) أى بعد هذه الأوقات فى ترك

ص: ١٢٨

١- سورة ٢٤ - آيه ٥٨

٢- سورة ٢٤ - آيه ٥٨

٣- سورة ٢٤ - آيه ٥٨

٤- سورة ٢٤ - آيه ٥٨

٥- سورة ٢٤ - آيه ٥٨

٦- سورة ٢٤ - آيه ٥٨

٧- سورة ٢٤ - آيه ٥٨

٨- سورة ٢٤ - آيه ٥٨

٩- سورة ٢٤ - آيه ٥٨

الاستئذان طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ (١) ظاهر هذه الجملة أن المماليك يطوفون على الموالى، و لكن، قوله سبحانه بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ (٢) يدل على أن الفريقين كل واحد يحتاج إلى الآخر و يطوف الموالى أيضا على العبيد لا- المماليك يطوفون عليهم فقط، فإن الخادم إذا غاب عن المخدوم و كان المخدوم محتاجا إلى خادمه فلا بد من أن يطلبه و يطوف عليه، فلا يستغنى كل واحد عن الآخر. و هذه الجملة استئناف لبيان العذر المرخص فى ترك الاستئذان و هو المخالطة و كثره المداخله على ما يستفاد من طوافون بعض على بعض، هؤلاء للخدمة و هؤلاء للاستخدام. فلو كلفوا بالاستئذان فى تمام الأوقات لكان حرجا على المماليك بل على الموالى.

٥٩- وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ... (٣) أى أطفالكم أيها الأحرار، فإن بلوغ الأحرار يوجب رفع الحكم المذكور فى تخصيص الاستئذان بالأوقات الثلاثة بخلاف بلوغ المماليك فإن الحكم معه باق فى التخصيص للاحتياج إلى الخدمة و الاستخدام كما استأذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ (٤) أى الذين بلغوا قبلهم من الأحرار كذلك يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ (٥) أى نحو هذا التبیین و التوضيح الذى سبق، يبين و يوضح الله لكم دلائل الحق، و آياته: أحكام شرعه و وعده و وعيده على الإتيان بها أو الإعراض عنها و الله عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٦) أى عالم بمصالح عباده و كل ما يفعله و يصنعه يكون على وجه الحكمة. و كثر هذه الجملة للمبالغه و التأكيد فى أمر الاستئذان فى الأوقات الثلاثة بالنسبه إلى المماليك و أطفال الأحرار الذين لم يبلغوا الحلم لكنهم مميزين. و أما الأحرار و أطفالهم الذين بلغوا الحلم فليس لاستئذانهم وقت خاص بل مطلقا.

٦٠- وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ... (٧) أى المسنَّات اللَّاتِي لَا يَزُجُونَ نِكَاحًا (٨) لا- يرغبن فى الأزواج و التناسل و غيرهما من حظوظ الجنسيه و لا- يطمعن فيها لكبرهن فليست عليهن جناح (٩) أى بأس أو ذنب أن يصغرن ثيابهن (١٠) و لعل المراد بعض ثيابهن كالخمار أو الجلباب الذى يكون فوقه أو هما معا.

و فى المجمع عن الصادقين يضعن من ثيابهن. و الإتيان بمن للإشاره الى انه

ص: ١٢٩

١- سورة ٢٤ - آيه ٥٨

٢- سورة ٢٤ - آيه ٥٨

٣- سورة ٢٤ - آيه ٥٩

٤- سورة ٢٤ - آيه ٥٩

٥- سورة ٢٤ - آيه ٥٩

٦- سورة ٢٤ - آيه ٥٩

٧- سورة ٢٤ - آيه ٦٠

٨- سورة ٢٤ - آيه ٦٠

٩- سورة ٢٤ - آيه ٦٠

١٠- سورة ٢٤ - آيه ٦٠

ليس لهن ان يكشفن عورتهن غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ (١) أى غير قاصدات بوضع ثيابهن إظهار زينتهن و محاسنهن، و التبرج هو كشف المرأة للرجل بإظهار محاسنها و أَنْ يَسْتَعْفِنَ خَيْرٌ لَهُنَّ (٢) أى لا يضعن الثياب مطلقا و اللّهُ سَمِيعٌ (٣) لمقالهن للرجال عَلِيمٌ (٤) بمقصودهن معهم.

سورة النور (٢٤): الآيات ٦١ الى ٦٤

لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُولِي الْأَرْحَامِ أَوْ بُيُوتِ الْيَتَامَى أَوْ بُيُوتِ السَّائِلِينَ خَلَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتُمْ مَفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٦١) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأُذِنَ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٦٢) لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٦٣) أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُزْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٦٤)

ص: ١٣٠

- ١- سورة ٢٤ - آيه ٦٠
- ٢- سورة ٢٤ - آيه ٦٠
- ٣- سورة ٢٤ - آيه ٦٠
- ٤- سورة ٢٤ - آيه ٦٠

٦١- لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ... (١) كان أهل المدينة قبل إسلامهم معتزلين الأعمى و الأعرج و المريض و لا يأكلون معهم فى مجامعهم و مجتمعاتهم، و كانوا يعزلون لهم طعامهم على ناحيه و يرون فى مؤاكلتهم جناحا و هؤلاء الأصناف هم أيضا كانوا لا يأكلون معهم و يقولون: لعلهم يتأذون إذا أكلنا معهم. فلما قدم النبى صلى الله عليه و آله سألوه عن ذلك فأنزل الله عز و جل: لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعاً أَوْ أَشْتَاتاً (٢) وَ لَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ (٣) أى جناح و وزر أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ (٤) أى بيوت عائلتكم و أهلکم فيدخل فيها بيوت الأولاد كما فى الأخبار أو ما مَلَكَتُمْ مَفَاتِحَهُ (٥) جمع مفتاح و هو ما يفتح به، أى و كلمت بحفظه من بستان و نحوه لغيركم أو بيوت ممالیککم أو صَدِيقِكُمْ (٦) هو اسم جنس و يطلق على الواحد و الكثير و لعل المراد هو الصديق الحقيقى الذى ربما كان كبيرتا أحمر فى جميع الأزمنه و لا سيما فى عصرنا هذا. روى أن الربيع بن خثيم كان له صديق فذهب إلى دار الربيع و هو غير موجود فى الدار و كان فيها طعام فأكله و راح، فجاء الربيع فأخبرته جاريته بذلك فانبسط بحيث قال إن كنت صادقه فأنت حره. قال بعض أهل الحقيقه لو جاءك صديقك و قال أعطني من مالك و أنت قلت فى جوابه كم تريد فلست قابلا للصديق لانه لأن السؤال غلط إن كنت صديقا لله، بل لا بد من أن تحضر جميع ما عندك حتى يأخذ بمقدار كفايته و نعم ما قال.

ص: ١٣١

- ١- سورة ٢٤ - آيه ٦١
- ٢- سورة ٢٤ - آيه ٦١
- ٣- سورة ٢٤ - آيه ٦١
- ٤- سورة ٢٤ - آيه ٦١
- ٥- سورة ٢٤ - آيه ٦١
- ٦- سورة ٢٤ - آيه ٦١

و روى عن الصادق عليه السلام أنه قال: أ يدخل أحدكم يده إلى كم صاحبه أو جيبه فيأخذ منه؟ قالوا: لا، قال: فليستم ياخوان و عن ابن عباس أن الصادق أقوى من النسب لأن أهل النار يستغيثون بأصدقائهم و لا يستغيثون بأبائهم و أمهاتهم و يقولون: فما لنا من شافعين و لا صديق حميم ليس عليكم جناح (١)

عن الصادق (ع) قال: ياذن و بغير إذن فإذا دخلت بيوتاً فسلموا على أنفسكم (٢) أى على أهلها الذين هم منكم و

عن الصادق (ع) هو تسليم الرجل على أهل البيت حين يدخل، ثم يردون عليه فهو سلامكم على أنفسكم فإن فاعل السبب فاعل للمسبب أيضا تحية من عند الله (٣) مشروعه من لدنه مباركة (٤) لأنها دعاء مؤمن لمؤمن بالسلامه و يرجى بها من الله تعالى زياده الخير طيبه (٥) أى طيب الرزق و طيب النفس بالتواصل و الثواب. و منه

قوله عليه السلام سلم على أهل بيتك يكثر خير بيتك كذلك (٦) أى كما أن الله تعالى بين السلام يبين الله لكم الآيات (٧) يظهر لكم و ينزل آيات أحكامه لعلكم تعقلون (٨) معالم دينكم و مصالحها و منافعها التى ترجع و تعود إليكم.

٦٢- إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا... (٩) أى الكاملون فى الإيمان بقربنه الحصر بالله و رسوله (١٠) من صميم القلب و إذا كانوا معه على أمر جامع (١١) أى مع الرسول على عمل جامع يأمر بجمع الناس و اجتماعهم فيه. فوصف الأمر بالجامع مجاز للمبالغة كالجمعه و الأعياد و الحروب و المشاورات و صلاه الاستسقاء فأولئك لم يذهبوا (١٢) من عنده صلوات الله عليه و آله حتى يشتأذنوه (١٣) أى الرسول صلى الله عليه و آله فإذا اشتأذنوك لبعض شأنهم (١٤) لمهامهم فأذن لمن شئت منهم (١٥) هذا تفويض للأمر إليه صلوات الله عليه و آله و استغفر لهم (١٦) بعد الاستئذان فانه و لو لعذر قصور، لأن تقديم أمر الدنيا على مهم الدين ليس بخال عن شوائب الخلل غفور (١٧) لقصور عباده و تفریطهم. و يحتمل أن يكون الاستغفار لعدم الاستئذان من بعض الناس، و الله أعلم.

ص: ١٣٢

- ١- سورة ٢٤ - آيه ٦١
- ٢- سورة ٢٤ - آيه ٦١
- ٣- سورة ٢٤ - آيه ٦١
- ٤- سورة ٢٤ - آيه ٦١
- ٥- سورة ٢٤ - آيه ٦١
- ٦- سورة ٢٤ - آيه ٦١
- ٧- سورة ٢٤ - آيه ٦١
- ٨- سورة ٢٤ - آيه ٦١
- ٩- سورة ٢٤ - آيه ٦٢
- ١٠- سورة ٢٤ - آيه ٦٢
- ١١- سورة ٢٤ - آيه ٦٢

۱۲- سوره ۲۴ - آیه ۶۲

۱۳- سوره ۲۴ - آیه ۶۲

۱۴- سوره ۲۴ - آیه ۶۲

۱۵- سوره ۲۴ - آیه ۶۲

۱۶- سوره ۲۴ - آیه ۶۲

۱۷- سوره ۲۴ - آیه ۶۲

٦٣- لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضاً... (١) أى لا تسمّوه باسمه عند نداءه كما تدعون بعضكم بعضاً. قولوا: يا رسول الله، يا نبيّ الله بتعظيم و تواضع و خفض صوت يَتَسَلَّلُونَ (٢) أى يخرجون عن الجماعة بخفيه لوأذاً (٣) مصدر بمعنى الفاعل، أى ملاوذين، و هى حال عن ضمير يتسللون، أى هم يلوذ أحدهم بمن يؤذن و يستر نفسه به عند الخروج عن الجماعة و من عنده صلوات الله عليه و آله حتى لا يروه فينطلق و ينصرف يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ (٤) يعصون أمره فِتْنَةً (٥) أى بليه فى الدنيا و عَذَابٌ أَلِيمٌ (٦) فى الآخرة.

٦٤- أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ... (٧) أى اعلّموا أن له تعالى ما فى السماوات و الأرض ملكا خاصا به ما أَنْتُمْ عَلَيْهِ (٨) من النفاق أو الإخلاص بما عَمِلُوا (٩) من خير و شر و الباقي مرّ تفسيره.

ص: ١٣٣

- ١- سورة ٢٤ - آيه ٦٣
- ٢- سورة ٢٤ - آيه ٦٣
- ٣- سورة ٢٤ - آيه ٦٣
- ٤- سورة ٢٤ - آيه ٦٣
- ٥- سورة ٢٤ - آيه ٦٣
- ٦- سورة ٢٤ - آيه ٦٣
- ٧- سورة ٢٤ - آيه ٦٤
- ٨- سورة ٢٤ - آيه ٦٤
- ٩- سورة ٢٤ - آيه ٦٤

مكيه: إلا الآيات: ٦٨، ٦٩، ٧٠.

سوره الفرقان (٢٥): الآيات ١ الى ٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا (١) الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا (٢) وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا (٣)

١- تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ... (١) أى تكاثر و تزايد، أو تقدّس، أو دامت بركاته على عبده محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لِيَكُونَ (٢) العبد أو الفرقان لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا (٣) للجنّ و الإنس منذرا و مخوفا من العذاب. و لا يخفى أن إضافه الإنذار إلى القرآن بعبده، لأن الإنذار و المنذر

ص: ١٣٥

١- سوره ٢٥ - آيه ١

٢- سوره ٢٥ - آيه ١

٣- سوره ٢٥ - آيه ١

من صفة الفاعل، وقد يوصف به القرآن مجازاً، وحمل الكلام على الحقيقه إذا أمكن أولى، بل قيل واجب.

٢- وَ لَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ... (١) أى كما زعم الوثنيه و الشويه فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا (٢) أى فهتأه لما يصلح له فى الدين و الدنيا، أو قدّر له أجالاً مسمّى.

و القمى عن الرضا عليه السلام قال: تدرى ما التقدير؟ قيل: لا، قال:

هو وضع الحدود من الآجال و الأرزاق و البقاء و الفناء.

٣- وَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً... (٣) أى أنه مع قدرته هذه و ملكه هذا قد جعل الكافرون لأنفسهم أرباباً غيره سبحانه و تعالى، مع أن أربابهم التى صنعوها لا يخلُقون شيئاً وَ هُمْ يُخْلَقُونَ (٤) لأنهم عاجزون عن ذلك، فالله تعالى وحده هو الخالق البارئ، و هم أيضاً لا يملكون لأنفسهم ضراً وَ لا نفعاً (٥) فلا يجلبون لها خيراً و لا يدفعون عنها شراً وَ لا يملكون موتاً وَ لا حياةً وَ لا نُشوراً (٦) فليس بيدهم شيء بل هم راضخون لمشيئه الله سبحانه و تعالى.

سوره الفرقان (٢٥): الآيات ٤ الى ٦

وَ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَ أَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَ زُورًا (٤) وَ قَالُوا أَأَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَسَبَهَا فَهِيَ تُمَلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَ أَصِيلاً (٥) قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا (٦)

٤- وَ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ... (٧) أى قالوا: ليس القرآن

ص: ١٣٦

١- سوره ٢٥ - آيه ٢

٢- سوره ٢٥ - آيه ٢

٣- سوره ٢٥ - آيه ٣

٤- سوره ٢٥ - آيه ٣

٥- سوره ٢٥ - آيه ٣

٦- سوره ٢٥ - آيه ٣

٧- سوره ٢٥ - آيه ٤

غير كذب قد ألفه محمد و أعانه عليه قوم آخرون (١) من أهل الكتاب مما فى كتبهم. و هذا القول نظير قولهم: إنما يعلمه بشر كما مر فى سورة النحل فقد جاؤ (٢) أى فعلوا ظلماً (٣) تعدياً و تجاوزا عن حدود الشرع و زوراً (٤) بهتاناً بالنسبه إلى قوم آخرين لأنهم ما فعلوه.

٥- و قالوا أساطير الأولين... (٥) أى ما سطره المتقدمون إكتتبها (٦) كتبها بنفسه أو استكتبها حيث إنه صلوات الله عليه لا يعرف الكتابه و الخط فهى تملى عليه (٧) تقرأ عليه بكرة و أصيلاً (٨) أى طرفى النهار ليحفظها.

و القول قول النضر بن الحارث بن علقمه بن كلده و تابعيه من المشركين.

٦- قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ (٩): أى يعلم الغيب و الحاصل أن الكتاب الذى أعجزكم عن آخركم بفصاحته، و تضمن مصالح العباد فى المعاش و المعاد و اشتمل على الإخبار عن المغيبات مستقبلة و مستدبره و أشياء مكنونه لا يعلمها إلا علام الغيوب و الأسرار، كيف يجعلونه أساطير الأولين؟ إنه كان غفوراً رحيماً (١٠) و لذا لا يعاجلكم بالعقوبه على أقوالكم و أعمالكم بما تستحقونه مع كمال قدرته أن يصب عليكم العذاب صبا.

سورة الفرقان (٢٥): الآيات ٧ الى ١٠

و قالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام و يمشى فى الأسواق لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيراً (٧) أو يلقى إليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها و قال الظالمون إن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً (٨) أنظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلاً (٩) تبارك الذى إن شاء جعل لك خيراً من ذلك جنات تجري من تحتها الأنهار و يجعل لك قسوراً (١٠)

ص: ١٣٧

١- سورة ٢٥ - آيه ٤

٢- سورة ٢٥ - آيه ٤

٣- سورة ٢٥ - آيه ٤

٤- سورة ٢٥ - آيه ٤

٥- سورة ٢٥ - آيه ٥

٦- سورة ٢٥ - آيه ٥

٧- سورة ٢٥ - آيه ٥

٨- سورة ٢٥ - آيه ٥

٩- سورة ٢٥ - آيه ٦

١٠- سورة ٢٥ - آيه ٦

٧- وَقَالُوا مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ... (١) أى الزاعم أنه رسول، وفيه تهكم يَأْكُلُ الطَّعَامَ (٢) كما نأكل وَ يَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ (٣) لطلب المعاش كما نمشى له، زعموا أنه إن صحَّ دعواه فما باله لم يخالف حاله حالنا، زعموا منهم أنه يجب أن يكون الرسول ملكا مستغنيا عن الأكل والتعيش. ثم نزلوا عن ذلك فقالوا لَوْ لَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ (٤) يصدقه فى دعواه على مرأى منا و منظر. ثم نزلوا عن ذلك فقالوا:

٨- أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَظُورٌ... (٥) أى يطرح و يقذف إليه من السماء مال كثير يستغنى به عن التردد فى الأسواق لطلب معاشه غفله و جهلا منهم أن تردده و مشيه فى الأسواق لهدايه الناس و إنذارهم. ثم نزلوا عن ذلك فقالوا: أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ (٦) أى بستان يَأْكُلُ مِنْهَا (٧) من محصولها و يعيش بذلك و يرتزق كالدَّهَاقِينِ و المياسير و قَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا (٨) أى ما تتبعون إلا من سحر فغلب على عقله، وضع الظاهر موضع ضميرهم تسجيلا عليهم بالظلم فيما قالوا.

٩- أَنْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ... (٩) أى انظر بعين البصيره حتى ترى كيف قالوا فيك الأقوال النادره و ماثلوك بالمسحور، و وصفوك بالمملى عليه و المفترى فَضَلُّوا (١٠) عن الطَّرْقِ الموصله إلى معرفه خواص أنبيائه و تميزهم عن سواهم و عموا عن الفرق بين النبى و المتنبى فَلَا يَشْتَطِعُونَ سَبِيلًا (١١) إلى القدح فى نبوتك أو إلى الرشد و الهدى، أو إلى ولايه على عليه السلام كما عن الباقر عليه السلام.

١٠- تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ... (١٢) أى تقدس الذى إن شاء جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ (١٣) ممّا قالوا فيك جَنَاتٍ تَجْرِي (١٤) الآيه بيان لقوله خيرا

ص: ١٣٨

١- سورة ٢٥ - آيه ٧

٢- سورة ٢٥ - آيه ٧

٣- سورة ٢٥ - آيه ٧

٤- سورة ٢٥ - آيه ٧

٥- سورة ٢٥ - آيه ٨

٦- سورة ٢٥ - آيه ٨

٧- سورة ٢٥ - آيه ٨

٨- سورة ٢٥ - آيه ٨

٩- سورة ٢٥ - آيه ٩

١٠- سورة ٢٥ - آيه ٩

١١- سورة ٢٥ - آيه ٩

١٢- سورة ٢٥ - آيه ١٠

١٣- سورة ٢٥ - آيه ١٠

من ذلك وَ يَجْعَلْ لَكَ قُصُوراً (١) مساكن رفيعة و منازل عاليه.

سوره الفرقان (٢٥): الآيات ١١ الى ١٩

بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَ أَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعيراً (١١) إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَ زَفِيرًا (١٢) وَ إِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَعِيقًا مُتَقَرِّبِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا (١٣) لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَ أُدْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا (١٤) قُلْ أَذِلَّكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَ مَصِيرًا (١٥) لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاؤُنَ خَالِدِينَ كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا (١٦) وَ يَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَ مَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَ أَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ (١٧) قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَ لَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَ آبَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَ كَانُوا قَوْمًا بُورًا (١٨) فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَ لَا نَصْرًا وَ مَنْ يظَلِّمْ مِنْكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا (١٩)

١١- بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ... (٢) أى أتوا بأعجب من تكذيبك و هو

ص: ١٣٩

١- سوره ٢٥ - آيه ١٠

٢- سوره ٢٥ - آيه ١١

تَكذِبُهُمْ بِالسَّاعَةِ الَّتِي هِيَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَ قَدْ هَيَّأْنَا لِمَن كَذَّبَ بِهَا سَعِيرًا (١) نارا شديده الاستعار قويه الاشتعال.

١٢- إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ (٢) القمى قال: من مسيره سنه سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَ زَفِيرًا (٣) أى صوت غليانا منها، و من أهلها زَفِيرًا (٤) أى صوتا خاصا من جوفهم. و قيل انهما و صفان للنار، أى يسمع منها غليان من فرط غيظها و صوت من جوفها كصوت الغضب ان أعادنا الله منها.

١٣ و ١٤- وَ إِذَا أَلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا... (٥) أى يرمون بهم فى أمكنه ضيقه منها مُقَرَّنِينَ (٦) مقيدين بالأغلال بأن قرنت أيديهم إلى أعناقهم دَعَوْا هُنَالِكَ (٧) فى ذلك المكان الضيق تُبَوِّرًا (٨) أى هلاكا و فناء بأن يقولون: وا ثورا، فيقال لهم من عند الرب تعالى وَ ادْعُوا تُبَوِّرًا كَثِيرًا (٩) لأن عذابكم أنواع كثيرة و فى كل نوع تموتون و تهلكون ثم تعودون و تحيون و لا موت أبديا لكم و لا فناء دائميًا، بل كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب الذى لا ينتهى.

١٥- قُلْ أَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ... (١٠) أى المذكور من الوعيد و بيان صفه السعير خَيْرٌ أَمْ جِنَّةُ الْخُلْدِ (١١) أضيف إليه تنبيها على الخلود فيها للمؤمنين جزاء على إيمانهم.

١٦- لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُورًا (١٢): أى كان ما يشاء المؤمنون موعودا واجبا عليه تعالى إنجازه بحيث لهم حق السؤال و المطالبه بذلك.

١٧- وَ يَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَ مَا يَعْبُدُونَ... (١٣) أى يوم القيامة نجمعهم مع معبوداتهم و نحاسبهم على ما عملوه، و نقول لهم: أَأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي (١٤) حيث أخلوا بالنظر فى آياتنا و أعرضوا عن أنبيائنا و هو استفهام تقريع و تبييت للعبده أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ (١٥) ؟ ١٨- قَالُوا سُبْحَانَكَ... (١٦) أى قال المؤمنون: أنت منزّه من ان لا تعلم واقع

ص: ١٤٠

- ١- سورة ٢٥ - آيه ١١
- ٢- سورة ٢٥ - آيه ١٢
- ٣- سورة ٢٥ - آيه ١٢
- ٤- سورة ٢٥ - آيه ١٢
- ٥- سورة ٢٥ - آيه ١٣
- ٦- سورة ٢٥ - آيه ١٣
- ٧- سورة ٢٥ - آيه ١٣
- ٨- سورة ٢٥ - آيه ١٣
- ٩- سورة ٢٥ - آيه ١٤
- ١٠- سورة ٢٥ - آيه ١٥
- ١١- سورة ٢٥ - آيه ١٥

۱۲- سوره ۲۵ - آیه ۱۶

۱۳- سوره ۲۵ - آیه ۱۷

۱۴- سوره ۲۵ - آیه ۱۷

۱۵- سوره ۲۵ - آیه ۱۷

۱۶- سوره ۲۵ - آیه ۱۸

الأمر فتسأل عنا حتى تعلمه و كيف الحال ما كان يُتَّبَعِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ (١) فنحن نقر بك و اتخذناك وليا و معبودا لأنفسنا، فكيف ندعوا الغير إلى عباده من هو دونك و من ليس أهلا لها كأنفسنا أو ما هو مثلنا أى أنه مخلوق ضعيف لا يقدر على شىء؟ فأنت تعلم بأنا براء من ذلك، و لَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَ آبَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ (٢) أى لما أنعمت عليهم بأنواع النعم تركوا ذكرك أو كتابك و التدبر فيه و بالنتيجة كانوا قوماً بوراً (٣) أى هالكين، فهم بأنفسهم ضلوا سبيل الهدايه و الرّشاد لا بإضلال الغير و يحتمل ان المعبودين من الأملاك و الأنبياء و الأصنام لو أنطقهم الله لقالوا:

سبحانك تعجبا مما قيل لهم.

١٩- فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ بِمَا تَقُولُونَ... (٤) هذا التفات عن خطاب المعبودين إلى عبدتهم للاحتجاج و الإلزام، على حذف القول. و المعنى: فقد كذبكم المعبودون بما تقولون (٥) من قولكم إنهم آلهه و هؤلاء أضلونا فما تشتطيعون صرفاً (٦) أى كيف تقولون هؤلاء آلهتنا مع أنهم عجزه لا يقدرّون دفعا للعذاب عن أنفسهم فكيف عن غيرهم و لا نصيراً (٧) أى لا يقدرّون على حفظ أنفسهم و إعانتها فى دفع الحوادث و العقاب، فهم أعجز عن دفعه عن غيرهم بطريق الأولى مع أن الإله من هو على كل شىء قدير، و عبدتم من هو مثلكم أو أدون و أضعف منكم كالأصنام و الأوثان بلا حجه و لا برهان، و هذا يحسب ظلما من الإنسان على نفسه و مَنْ يَطْلِمُ مِنْكُمْ نُذُقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا (٨) و هو النار و ما أدراك ما النار و ما عذابها الشديد؟

سوره الفرقان (٢٥): الآيات ٢٠ الى ٢٤

وَ مَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَ جَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَ تَصْبِرُونَ وَ كَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا (٢٠) وَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْ لَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَ عَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا (٢١) يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَ يَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا (٢٢) وَ قَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا (٢٣) أَ صْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَ أَحْسَنُ مَقِيلًا (٢٤)

ص: ١٤١

١- سوره ٢٥ - آيه ١٨

٢- سوره ٢٥ - آيه ١٨

٣- سوره ٢٥ - آيه ١٨

٤- سوره ٢٥ - آيه ١٩

٥- سوره ٢٥ - آيه ١٩

٦- سوره ٢٥ - آيه ١٩

٧- سوره ٢٥ - آيه ١٩

٨- سوره ٢٥ - آيه ١٩

٢٠- وَ مَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ... (١) هذه الشريفة جواب و رد لقولهم: ما لهذا الرسول يأكل الطعام و يمشى فى الأسواق؟ وَ جَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً (٢) أي ابتلاء كابتلاء الشريف بالوضع و الغنى بالفقير و الرسل بالمرسل إليهم. و هى فى الواقع تسليه للنبي (ص) عن ما قالوا أَ تَصْبِرُونَ (٤) أى ليظهر أنكم تصبرون على البلاء أو ألاء أو معناه: اصبروا وَ كَانَ رَبُّكَ بِصِيرًا (٥) بمن يصبر و غيره.

٢١- وَقَالَ الَّذِينَ لَا يُرْجُونَ لِقَاءَنَا... (٦) أى الآيسين من الوصول إلى رحمتنا و خيرنا لكفرهم بالبعث، و أصل اللقاء هو الوصول لولا- أَنْزَلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةَ (٧) أى هلاً أنزلوا فيخبرون بصدق محمد فيكونون رسلاً إلينا أو ترى رَبَّنَا (٨) فيأمرنا باتباع محمد فى الأحكام و تصديقه فى دعواه الرسالة لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ (٩) عدّوا أنفسهم ذات كبرياء و سياده حيث توقعوا نزول الملائكة عليهم أو رؤيه الرب زعما منهم أنه تعالى جسم قابل للرؤيه و يلاحظ أن ديدنهم التجسيم كما أن قوم موسى كانوا كذلك فقالوا لموسى أرنا الله جهره. وَ عَتَوْا عُتْوًا كَبِيرًا (١٠) طغوا طغيانا كبيرا بالغا الغايه، و تجاوزوا الحدّ فى الظلم لأنهم عاينوا المعجزات البيّنه القاهره فأعرضوا عنها و اقترحوا لأنفسهم الدينئه ما سدّت دونه مطامح النفوس القدسيه.

ص: ١٤٢

- ١- سوره ٢٥ - آيه ٢٠
- ٢- سوره ٢٥ - آيه ٢٠
- ٣- سوره ٢٥ - آيه ٢٠
- ٤- سوره ٢٥ - آيه ٢٠
- ٥- سوره ٢٥ - آيه ٢٠
- ٦- سوره ٢٥ - آيه ٢١
- ٧- سوره ٢٥ - آيه ٢١
- ٨- سوره ٢٥ - آيه ٢١
- ٩- سوره ٢٥ - آيه ٢١
- ١٠- سوره ٢٥ - آيه ٢١

٢٢- يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ... (١) أى عند الموت أو فى القيامة. و نصب:

يوم بأذكر مضمرا لا بُشْرِى يَوْمَئِذٍ (٢) أى لا- خبر مفرح فى ذلك اليوم لِلْمُجْرِمِينَ (٣) للذين ارتكبوا الآثامَ وَ يَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا (٤) أى يقول المجرمون عند لقاء الملائكة هذه الكلمة استعاذه منهم كما كانوا يقولونها فى الدنيا عند لقاء عدوِّ و نحوه مِمَّا كانوا يخافونه. فهذه الكلمة كانت عوذه لهم من المكاره بزعمهم. قال ابن جريح كانت الأشهر الحرم عند أهل الجاهليه محترمه لا- يقابلون فيها و لو يقابلون اتفاقا مع جيش يريد فيها مقاتلتهم و كانوا يقولون خوفا من القتل: حجرا محجورا يعنون بقولهم هذا أنه حرام عليكم هتك حرمتنا فى هذه الأشهر و اصبروا حتى تمضى فنقاتل معكم.

فكان هذا الكلام أمنا لهم من شرِّ أعدائهم. و كأنهم لما جاء يوم القيامة و رأوا ملائكة العذاب يتوسلون بهذه الكلمة زعما منهم أنها تفيدهم كما كانت تنجيهم فى الدنيا من الشدائد عند لقاء عدوِّ أو هجوم مكروه.

٢٣- وَ قَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا... (٥) أى عمدنا و قصدنا إلى أعمال الكفار فى الدنيا ممَّا رجوا به النفع و طلبوا به الثواب مثل صله أرحامهم و صدقاتهم و أمثال ذلك فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنْثُورًا (٦) و الهباء هو الغبار يدخل الكوه من شعاع الشمس أو ما تسفيه الرياح و تذرّه من ناعم التراب. و الحاصل تذهب أعمالهم باطلا و لا ينتفعون بها من حيث عملوها لغير الله. و قيل معناه أن أعمال الكفار و حسناتهم لا نقيم لها وزنا يوم القيامة. و

فى البصائر عن الصادق عليه السلام أنه سئل: أعمال من هذه؟ فقال: أعمال مبغضينا و مبغضى شيعتنا. و منثورا: أى متفرقا.

٢٤- أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا... (٧) أى مكانا يستقر فيه وَ أَحْسَنُ مَقِيلًا (٨) موضع الاستراحة فى الظهيره، أو النوم فيها و يسمّى بنوم القيلولة. و قيل: هذا نحو من التجوز قد أوردّه على التشبيه إذ لا- نوم فى الجنّه، اللهم إلا- ما كان من أن أهل الجنّه يتنعمون فى ظلالها الوارفه.

و فى الكافى، فى حديث سؤال القبر، روى أن أمير المؤمنين عليه السلام

ص: ١٤٣

١- سورة ٢٥ - آيه ٢٢

٢- سورة ٢٥ - آيه ٢٢

٣- سورة ٢٥ - آيه ٢٢

٤- سورة ٢٥ - آيه ٢٢

٥- سورة ٢٥ - آيه ٢٣

٦- سورة ٢٥ - آيه ٢٣

٧- سورة ٢٥ - آيه ٢٤

٨- سورة ٢٥ - آيه ٢٤

قال: ... ثم يفتحان له بابا إلى الجنة ثم يقولان له: ثم قرير العين نوم الشباب الناعم، فإن الله تعالى يقول: أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا. ولو لم يكن في الجنة من نوم فإن الاسترواح مع الأزواج والتمتع بنعم الله الكثيره فيه خير مقيلا وأحسن مستقر

سوره الفرقان (٢٥): الآيات ٢٥ الى ٣١

وَيَوْمَ تَشَقُّقُ السَّمَاءِ بِالْغَمَامِ وَ نَزَّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا (٢٥) الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَ كَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا (٢٦) وَ يَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا (٢٧) يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا (٢٨) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعِيدٍ إِذْ جَاءَنِي وَ كَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا (٢٩) وَ قَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا (٣٠) وَ كَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَ كَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَ نَصِيرًا (٣١)

٢٥- يَوْمَ تَشَقُّقُ السَّمَاءِ بِالْغَمَامِ... (١) الظرف منصوب باذکر المقدر، أو بيرون بقريته المقام، أي يرون يوم تشقق السماء بسبب خروج الغمام منها الملائكة و هم يحملون بأيديهم صحائف أعمال العباد كما قال وَ نَزَّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا (٢) من عنده سبحانه و تعالى يوم القيامة و بأيديهم الصحائف المذكوره و عند بعض: المراد بالغمم هو الذي كان ظلّه بنى إسرائيل فى التيه. و عن الصادق عليه السلام الغمام أمير المؤمنين عليه السلام.

٢٦- الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ... (٣) الحق إما خبر للملك فمعناه:

الملك ثابت له تعالى يوم القيامة، وإما صفة له و خبره يَوْمَئِذٍ (٤) أو

ص: ١٤٤

١- سوره ٢٥ - آيه ٢٥

٢- سوره ٢٥ - آيه ٢٥

٣- سوره ٢٥ - آيه ٢٦

٤- سوره ٢٥ - آيه ٢٦

لِلرَّحْمَنِ (١) و الملك على ثلاثه أقسام: ملك العظمه و هو مخصوص بذاته المقدسه جلت عظمته، و ملك الدَيَّانَه و هو الذى يحصل بتخليكه سبحانه أو إمضائه، و ملك الجبريّه و هو الذى يتملكه الإنسان بالقهر و الغلبه وَ كَانَ يَوْمًا (٢) أى يوم القيامه عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا (٣) أى شديد الأهوال بمخاوفه. و تقديم الظرف و فصله لإفاده الحصر حيث إن الشده على الكفره.

و أما أهل الايمان فكان أمرهم سهلا و هم فى أمن من تلك الشدائد و المخاوف.

٢٧- وَ يَوْمَ يَعِضُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ... (٤) لعلَّ عَضَّ الظلمه أياديهم كناية عن غايه غيظهم و فرط تحسّرهم. و يحتمل أن يكون المراد معناه الظاهرى ندما و تحسرا يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا (٥) أى طريقا إلى الهدى. و فى القمى: هذا مقول قول الأول. و

عن الباقر عليه السلام:

إن المراد الولاية.

٢٨- يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا... (٦) أى يا هلكتى احضرى فهذا وقتك لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا (٧) المراد بفلان هو من أضله. و القمى قال: يعنى الثانى.

٢٩- لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ... (٨) أى القرآن أو وعظ الرسول من الإرشاد و الإنذار أو الولاية بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَ كَانَ الشَّيْطَانُ (٩) أى الخليل المضلّ أو إبليس أو كل متشيطان جئى أو إنسى و فى القمى أنه الثانى لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا (١٠) أى يسلمه إلى الهلاك ثم يتركه و لا ينفعه و يريبه بالخذلان الأبدى. ثم أنه تعالى بعد ذكر أحوال مصاحبه الأشرار و بيان سوء عاقبته فى دار القرار أخذ فى حكايه شكايه رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ مِنْ قَوْمِهِ فَقَالَ:

٣٠- وَقَالَ الرَّسُولُ (١١) ... هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا... (١٢) أى جعلوه متروكا وراء ظهورهم لا يسمعونه و لا يتفهمونه و لا يتدبرون آياته و أحكامه.

٣١- وَ كَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ... (١٣) هذه الشريفة نزلت فى مقام تسليه

ص: ١٤٥

١- سورة ٢٥ - آيه ٢٦

٢- سورة ٢٥ - آيه ٢٦

٣- سورة ٢٥ - آيه ٢٦

٤- سورة ٢٥ - آيه ٢٧

٥- سورة ٢٥ - آيه ٢٧

٦- سورة ٢٥ - آيه ٢٨

۷- سوره ۲۵ - آیه ۲۸

۸- سوره ۲۵ - آیه ۲۹

۹- سوره ۲۵ - آیه ۲۹

۱۰- سوره ۲۵ - آیه ۲۹

۱۱- سوره ۲۵ - آیه ۳۰

۱۲- سوره ۲۵ - آیه ۳۰

۱۳- سوره ۲۵ - آیه ۳۱

النبي (ص) من حيث أذى قومه و وعده بالنصر على قومه تأسّيًا بمن مضى قبله من الأنبياء و المرسلين صلوات الله عليهم أجمعين، فإنهم كانوا مأمورين من الله تعالى أن يدعوا قومهم إلى الإيمان به و ترك ما ألفوه من دينهم و عبادته الأوثان و الشرك بالله سبحانه، و كانت هذه أسبابا داعية إلى العداوة و الأذى فأمروا بالصبر و وعدوا بالنصر. فمعنى الكريمة كما جعلنا لك أعداء من قومك كذلك جعلنا لكل نبيّ عدوًا من المجرمين فصبروا على ما لقوه منهم حتى نصرُوا، فكذلك لا بدّ لك من الصبر حتى يأتيك النصر و الظفر عليهم كما يشير إليه بقوله وَ كَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَ نَصِيرًا (١) أى هاديا إلى طريق الظفر أو إلى الاعتصام منهم، و نصيرا لك عليهم.

سورة الفرقان (٢٥): الآيات ٣٢ الى ٣٤

وَ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ لَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَّاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَ رَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا - (٣٢) وَ لَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَ أَحْسَنَ تَفْسِيرًا (٣٣) الَّذِينَ يُحْشِرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَ أَضَلُّ سَبِيلًا (٣٤)

٣٢- وَ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ لَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَّاحِدَةً... (٢) أى دفعه واحده كما أنزل بعض الكتب السماوية من التوراه و الإنجيل و الزبور. فأجابهم الله تعالى بقوله: كَذَلِكَ (٣) أى أنزلناه كذلك متفرقا لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ (٤) لنقوى بتفريقه قلبك على حفظه و فهمه إذ كنت أميّا بخلاف الأنبياء الثلاثة فنزلت عليهم كتبهم مكتوبه لأنهم كانوا يكتبون و يقرءون. و أيضا فإن فى القرآن ناسخا و منسوخا، و فيه أجوبه للسائلين، و نزوله على حسب المواقع و الموارد موجب لمزيد البصيره و الغوص فى معناه،

ص: ١٤٦

١- سورة ٢٥ - آيه ٣١

٢- سورة ٢٥ - آيه ٣٢

٣- سورة ٢٥ - آيه ٣٢

٤- سورة ٢٥ - آيه ٣٢

مضافاً إلى أن كلَّ نجم ينزل كان صلوات الله عليه يتحدّى به فيظهر إعجازه و يتجدّد عجزهم، و مضافاً إلى أن نزول جبرائيل في مختلف أوقاته كان باعثاً لسرور قلبه الشريف و تسليه لنفسه المقدّسه و غير ذلك من الأمور الموجبه لإنزاله نجماً بعد نجم، و التي خفيت علينا كما اختفى كثير من أسراره وَ رَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً (١) أى نزلناه شيئاً بعد شيء في نحو عشرين سنه، أو أمرنا بترتيله أى تبينه و التأتى في قراءته و.

روى أن النبي صَلَّى الله عليه و آله قال: يا ابن عباس إذا قرأت القرآن فرتله ترتيلاً. قال: و ما الترتيل؟ قال: بينه تبينا و لا تنثره نثر الرّمل. قفوا عند عجائبه و حرّكوا به القلوب و لا يكوننّ همّ أحدكم آخر السّوره.

٣٣- وَ لَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ... (٢) أى لا يأتيك المشركون بمثل يضربونه لك و باعتراض في نبوتك إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ (٣) فأبطلناه بما هو الحق و هو القرآن وَ أَحْسَنَ تَفْسِيرًا (٤) أحسن بيانا و كشفاً ممّا أتوا به من المثل.

٣٤- الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ... (٥) أى يسحبون على وجوههم إلى النار و هم كفار مكه و.

في المجمع عن النبي أنه سئل كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة؟ قال صَلَّى الله عليه و آله: إن الذي أمشاه على رجله قادر أن يمشيه على وجهه يوم القيامة. و حاصل الحديث أنهم في الآخرة يمشون مقلوبين، و وجوههم إلى القرار و أرجلهم إلى الفوق، ثم ذكر سبحانه حديث الأنبياء تسليه للرّسول و تبصره لأُمَّته فقال:

سوره الفرقان (٢٥): الآيات ٣٥ الى ٣٩

وَ لَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَ جَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيْرًا (٣٥) فَقُلْنَا إِذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمْزَنَاهُمْ تَدْمِيرًا (٣٦) وَ قَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَ جَعَلْنَا هُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَ أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا (٣٧) وَ عَادًا وَ ثَمُودَ وَ أَصْحَابَ الرَّسِّ وَ قُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا (٣٨) وَ كَلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ وَ كَلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا (٣٩)

ص: ١٤٧

١- سوره ٢٥ - آيه ٣٢

٢- سوره ٢٥ - آيه ٣٣

٣- سوره ٢٥ - آيه ٣٣

٤- سوره ٢٥ - آيه ٣٣

٥- سوره ٢٥ - آيه ٣٤

٣٥ و ٣٦- وَ لَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ... (١) لما قال تعالى: وَ كَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ (٢) أتبعه بذكر جماعه من الأنبياء، و عرّف نبيّه محمدا بما نزل عليهم من أممهم من تكذيبهم إيّاهم، إشاره إلى أنّه لست يا محمد بأول من أرسلت فكذّبت، و آتيناك الآيات فرددت، فإن موسى قد آتيناها التوراه و قوّينا عضده بأخيه، و مع ذلك فقد ردّه قومه و كذبوه و جحدوا نبوّته فنصرناه و أهلكتنا عدوّه فرعون فدَمَرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا (٣) التدمير هو الإهلاك بأمر عجيب كإهلاك فرعون.

٣٧- وَ قَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَبُوا الرُّسُلَ... (٤) أى أذكر يا محمد قصه قوم نوح حين كذبوا الرّسل أى نوحا و من قبله كشيث و إدريس، أو المراد أنهم كذبوا نوحا إلا أن تكذيب نبيّ واحد من الأنبياء كتكذيبهم جميعا لأنه مستلزم لتكذيبهم أغرقتهم (٥) بالطوفان و جعلنا إهلاكهم آية (٦) أى عبره و عظه للناس وَ أَعْتَدْنَا (٧) هيأنا لهم سوى ما حلّ بهم فى الدّنيا عذاباً أليماً (٨) فى الآخرة.

٣٨- وَ عَادًا وَ ثَمُودَ وَ أَصْحَابَ الرَّسِّ... (٩) عطف على الضمير المنفصل الذى هو مفعول الأول لجعلنا. أو على محلّ للظالمين فإنّه منصوب المحل بأعتدنا بناء على كونه بمعنى وعدناهم، أو نصبه بفعل مقدّر بقرينه المقام أو بقرينه ذيل الآيه تَبَرْنَا تَبَرًا (١٠) و هو أهلكتنا وَ أَصْحَابَ الرَّسِّ (١١) فيه أقوال، قيل هو بئر غير مطويّه أى غير مبتيه كانت لعبده الأصنام فبعث إليهم شعيب فكذبوه فانهارت بهم لأنهم كانوا حولها وقت نزول العذاب و لذا تسموا باسمها أو قريه باليمامه كانت فيها بقيه ثمود فقتلوا نبيهم

ص: ١٤٨

١- سورة ٢٥ - آيه ٣٥

٢- سورة ٢٥ - آيه ٣١

٣- سورة ٢٥ - آيه ٣٦

٤- سورة ٢٥ - آيه ٣٧

٥- سورة ٢٥ - آيه ٣٧

٦- سورة ٢٥ - آيه ٣٧

٧- سورة ٢٥ - آيه ٣٧

٨- سورة ٢٥ - آيه ٣٧

٩- سورة ٢٥ - آيه ٣٨

١٠- سورة ٢٥ - آيه ٣٩

١١- سورة ٢٥ - آيه ٣٨

وَأَكَلُوا لَحْمَهُ فَنَزَلَ عَلَيْهِمُ الْعَذَابُ فَأَهْلَكُوا، أَوْ مَاءٍ أَوْ بَثْرٍ بَازِرٍ يَاجَانُ. وَقِيلَ لِأَصْحَابِ الرَّسِّ كَانُوا يَعْبُدُونَ شَجَرَهُ صَنْوِيرًا، وَبَعَثَ إِلَيْهِمْ نَبِيًّا مِنْ نَسْلِ يَهُودَا بْنِ يَعْقُوبَ النَّبِيِّ فَكَذَّبُوهُ وَقَتَلُوهُ، وَفِيهِ أَقْوَالٌ أُخْرَى لَيْسَ فِي ذِكْرِهَا كَثِيرٌ فَائِدَةٌ وَقُرُونًا يَبِينُ ذَلِكَ كَثِيرًا (١) أَيْ أَهْلَكْنَا أَهْلَ أَعْصَارٍ بَيْنَ نُوحٍ وَأَصْحَابِ الرَّسِّ، أَوْ بَيْنَ عَادٍ وَإِيَّاهُمْ كَثِيرًا لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ.

٣٩- وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ... (٢) أَيْ بَيْنَا لَهُمُ الْقِصَصَ الْعَجِيبَةَ فَلَمْ يَتَّبِعُوا وَاصْرَوْا عَلَى طُغْيَانِهِمْ وَتَكْذِيبِهِمْ لِلْأَنْبِيَاءِ فَأَهْلَكُوا وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَبِيرًا (٣) دَمَّرْنَا هُمْ تَدْمِيرًا.

سورة الفرقان (٢٥): الآيات ٤٠ إلى ٤٤

وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمْطَرْنَا مَطَرًا سَوِيًّا أَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَتَذَكَّرُونَ (٤٠) وَإِذَا رَأَوْكَ إِذَا يَقْتَدُونَكَ إِلَّا هُزُوعًا أَمْ هَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا... (٤١) إِنَّ كَادَ لَيُضِلَّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا (٤٢) أَمْ رَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَمْ آفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكَيْلًا (٤٣) أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا (٤٤)

٤٠- وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ... (٤) أَيْ أَنْ قَرِيشَ مَرَّوْا مَرَارًا فِي أَسْفَارِهِمْ إِلَى الشَّامِ عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمْطَرْنَا مَطَرًا سَوِيًّا (٥)

عن الباقر عليه السلام:

ص: ١٤٩

١- سورة ٢٥ - آية ٣٨

٢- سورة ٢٥ - آية ٣٩

٣- سورة ٢٥ - آية ٣٩

٤- سورة ٢٥ - آية ٤٠

٥- سورة ٢٥ - آية ٤٠

هى سدوم قريه قوم لوط، أمطر الله عليهم حجاره من سجّيل أفلّم يَكُونُوا يَرَوْنَهَا (١) فى مرورهم فيتّعظوا بما يرون فيها من آثار قدره الله و كيف عذبهم فى دار الدنيا حتى يعتبر غيرهم بيل كانوا لا يَزُجُونَ نُشُوراً (٢) أى أنهم لا يتوقعون بعثا ولا يترقبون حسابا و عقابا فلذلك لم ينظروا إلى تلك الآثار بعين الاعتبار و لم يتّعظوا بها أبدا فكانوا يمرّون عليها كما تمر دوابهم و مواشيهم صمّا بكما عميا.

٤١- وَ إِذَا رَأَوْكَ إِِنْ يَتَّحِدُ - مُدُونِكَ... (٣) أى ما يتخذونك إلا- هُزُوءاً (٤) مهزوءا به قائلين: أ هذا الذى بَعِثَ اللَّهُ رَسُولاً (٥) الاستفهام إنكارى و كانوا يقولون هذا استحقارا و تهكّما.

٤٢- إِنْ كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا... (٦) أى أنه أراد أن يصرفنا عن عباده آلِهتنا بفرط اجتهاده فى الدّعوة إلى التوحيد و بذل جهده فى إيراد ما يسبق إلى الذهن أنها حجج و براهين لولا أن صَبَرْنَا عَلَيْهَا (٧) لولا ثبوتنا عليها و تمسكنا بعبادتها لأزالنا عن ذلك، و حذف الجواب لدلاله الكلام عليه:

وَ سَيُوفَ يَعْلَمُونَ (٨) و الآيه فيها وعيد و دلالة على أنه تعالى لا يهملهم و إن أمهلهم و آخر عذابهم و قوله سبحانه مَنْ أَضَلُّ سَبِيلاً (٩) أى أخطأ طريقا أهم أم أنت، و هذا على سبيل المماشاه مع الخصم.

٤٣- أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ... (١٠) أى أخبرنا عن الذى فعل ذلك و أطاع هواه فى دينه. و قدّم المفعول الثانى عناية به أ فَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَ كَيْلًا (١١) فلست و كيلا عليه فدعه و شأنه و لا يضرك ضلاله.

٤٤- أَمْ تَحْسَبُ أَنْ أَكْثَرُهُمْ يَسْمِعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ... (١٢) أى سماع تفهّم أَوْ يَعْقِلُونَ (١٣) يتدبّرون ما تأتى به من الحجج، و خصّ الأ- كثر إذ فيهم من يعقل و يعرف الحق من الباطل إلا- أنه جاحد و مكابر خوفا على الرّئاسه إن هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ (١٤) ما هم إلا مثل البهائم فى عدم تفهّم و تدبّر حججك بل هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً (١٥) لأن بعضها تعرف المحسن إليها من المسىء و تطلب المنافع و تتجنّب المضارّ بخلاف هؤلاء فإنهم لا يعرفون

ص: ١٥٠

١- سوره ٢٥ - آيه ٤٠

٢- سوره ٢٥ - آيه ٤٠

٣- سوره ٢٥ - آيه ٤١

٤- سوره ٢٥ - آيه ٤١

٥- سوره ٢٥ - آيه ٤١

٦- سوره ٢٥ - آيه ٤٢

٧- سوره ٢٥ - آيه ٤٢

٨- سوره ٢٥ - آيه ٤٢

٩- سوره ٢٥ - آيه ٤٢

۱۰- سوره ۲۵ - آیه ۴۳

۱۱- سوره ۲۵ - آیه ۴۳

۱۲- سوره ۲۵ - آیه ۴۴

۱۳- سوره ۲۵ - آیه ۴۴

۱۴- سوره ۲۵ - آیه ۴۴

۱۵- سوره ۲۵ - آیه ۴۴

إحسان ربهم من إساءة الشيطان ولا يطلبون الثواب الذي هو أعظم المنافع لأنه باق، ولا يتقون العقاب الذي هو أشد المضار لأنه أبدي ولأن جهالة الأنعام لا تضر بأحد، و جهالتهم تؤدي إلى هيجان الفتن و صد الناس عن الحق و سوقهم إلى الضلاله. القمى قال: نزلت في قريش و ذلك أنه ضاق عليهم المعاش فخرجوا من مكه و تفرقوا في البرارى و القفار و البلاد، و كان الرجل إذا رأى شجره حسنه أو حجرا حسنا أعجبه فعبده، و كانوا ينحرون الإبل و يذبحون الأغنام و يلطخونها بالدم كما فعلوا بصخره كانوا يسمونها (سعد صخره) فجاء رجل من العرب و رأى ثعلبا يبول على (سعد صخره) الذي يعبدونه فأنشأ يقول:

و ربّ يبول الثعلبان برأسه لقد ذلّ من بالت عليه الثعالب

سوره الفرقان (٢٥): الآيات ٤٥ الى ٥٢

أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَ لَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا (٤٥) ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا (٤٦) وَ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَ النَّوْمَ سُبَاتًا وَ جَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا (٤٧) وَ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَ أَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا (٤٨) لِنُحْيِيَ بِهِ بَلَدَهُ مَيِّتًا وَ نُشِيقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَ أَنَاسِيًا كَثِيرًا (٤٩) وَ لَقَدْ صَرَّفْنَا فِيهِمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا (٥٠) وَ لَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا (٥١) فَلَا تَطِعِ الْكَافِرِينَ وَ جَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا (٥٢)

ص: ١٥١

٤٥ و ٤٦ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ... (١) أى ألم تنظر إلى صنعه سبحانه كيف بسط ظلال الأشياء من الفجر إلى طلوع الشمس.

قال الباقر عليه السلام فى هذه الآيه الظل ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، قيل هو أطيّب الأحوال و أعدل الأزمان حيث أن الظلمه الخالصه تنفّر الطبع منها و ينقبض نور البصر، و شعاع الشمس يسخن الهواء و يكسف نور البصر، و لذلك وصف به الجنّه فقال: و ظلّ ممدود، إذ لم يكن معه الشمس. قال أبو عبيده: الظلّ ما نسخته الشمس و هو بالغداه، و الفىء ما نسخ الشمس و هو بعد زوال الشمس. و سمى فىئاً لأنه فاء من جهه الشرق إلى جانب الغرب و لمؤ شاء لجعله ساكناً (٢) أى ثابتاً مقيماً، من السكنى، يقال: فلان يسكن البلد الفلانى إذا أقام به دائماً. و هو مثل قوله تعالى: أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَداً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ (٣) فى المعنى.

و الحاصل أنه تعالى فى بيان قدرته الكامله يذكر تلك الآيات و الدلائل حتى يتأمل العباد و يتدبروا فيها فيتطرقوا الى وحدانيته و يذكروا بعض نعمه حتى يؤدّوا شكرها ثم قال سبحانه: ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً (٤) قال ابن عباس تدل الشمس على الظلّ بمعنى أنه لو لا الشمس لما عرف الظل، و لو لا النور لما عرفت الظلمه، و كلّ الأشياء تعرف بأضدادها. و قيل لا يعرف وجوده و لا يتفاوت طوله و قصره إلا بطولوعها و حركتها. و قيل معناها:

خلقنا الظلّ أولاً بما فيه من المنافع و اللذائذ ثم اطلعنا الشمس فأذهبتة فصارت دليلاً على وجود هذه النعمه العظيمه التى غفلت عنها عقول أكثر العباد، و لو لا- وقوع الشمس على الأجرام لما عرف أن للظل وجوداً و ماهيه، و الظل كيفية زائده على الأجسام كانت مخفيه على كثير من العقول. و قد ذهب إلى خلاف ما يظهر من الشريفه جماعه من الفلاسفه من أن الظل هو عدم الشمس و ليس له وجود مستقل كما أن الظلمه هى عباره عن عدم النور، لا أنها شىء فى قبال النور ثُمَّ قَبَضْنَا إِلَيْنَا (٥) أى أزلنا الظل بإيقاع الشعاع موقعه.. و لما عبّر عن إحداثه بالمدّ أى البسط فىاسبه التعبير بالقبض بمعنى الطى من طوى الفراش أى لفّه أو كنايه عن

ص: ١٥٢

١- سورة ٢٥ - آيه ٤٥

٢- سورة ٢٥ - آيه ٤٥

٣- سورة ٢٨ - آيه ٧١

٤- سورة ٢٥ - آيه ٤٥

٥- سورة ٢٥ - آيه ٤٦

مطلق الجمع. والحاصل أن هذا التعبير في غاية الحسن و البلاغه قَبْضاً يَسِيرًا (١) قليلا قليلا لا دفعه واحده بحسب ارتفاع الشمس لحفظ نظام الكون و لمصالح جمه، و يتحصّل به ما لا يحصى من منافع الخلق. و قيل مدّ ظل السماء على الأرض حين خلقهما و لو شاء لجعله ثابتا على تلك الحال، ثم خلق الشمس و جعلها دليلا مسلّطا عليه يتبعها كما يتبع السائر الدليل، يتفاوت بحركتها، ثم قبضه تدريجا إلى غاية نقصانه.

٤٧- وَ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا... (٢) أى ساترا بظلامه كاللباس، و التشبيه من جهة الستر. وَ النَّوْمَ سُباتًا (٣) راحه للأبدان بقطع الأعمال و السّيبت هو القطع وَ جَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا (٤) فلمّا كان النوم بمنزله الموت على ما يظهر من بعض الرّوايات من أن النوم أخ الموت، فلذا عبّر بذلك و نسب النّشور إلى النهار. و هذا يعنى أنه جعل النوم و اليقظه كالموت و البعث، و الليل و النهار كناية عن النوم و اليقظه و هما عن الموت و البعث.

و فى الحديث النبويّ: كما تنامون تموتون و كما تستيقظون تبعثون. و المعنى أنّه تعالى أنعم على عباده بنعمه النهار و جعله ذا نشور ينتشر فيه الناس للمعاش و غيره من حوائجهم التى لا تحصل فى غير النهار إلاّ بتعب كثير.

٤٨- وَ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيِّنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ... (٥) أى مبشّرات أو ناشرات للسّحاب على قراءه نشرا بالنون بَيِّنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ (٦) استعاره لطيفه أى أن الرياح مبشّرات قدّام المطر وَ أَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا (٧) السّماء لغه ما نشاهده فوقنا كقبة زرقاء محيطه بالأرض، و جاء بمعنى الفضاء المحيط بالأرض و بمعنى السّحاب و ما هو المراد من تلك المعانى هو تعالى أعلم به. و الطّهور هو المطهر لقوله عزّ و جلّ ليطهركم به، أى ماء مزيلا- للأحداث و الأخباث. و الطّهور اسم ما يتطهر به كالوضوء و الوقود اسمان لما يتوضأ به و ما يوقد به، كما

قال عليه السلام: التراب أحد الطهورين، أو طهور المسلم. و

قال (ص): جعلت لى الأرض مسجدا و ترابها طهورا.

و طهورا مبالغه فى التطهير و بناء على ذلك وصف الماء به ليعلم أن الطهاره

ص: ١٥٣

١- سوره ٢٥ - آيه ٤٦

٢- سوره ٢٥ - آيه ٤٧

٣- سوره ٢٥ - آيه ٤٧

٤- سوره ٢٥ - آيه ٤٧

٥- سوره ٢٥ - آيه ٤٨

٦- سوره ٢٥ - آيه ٤٨

٧- سوره ٢٥ - آيه ٤٨

من صفاته الذاتية لا العرضية كما زعم البعض. و من أوصاف الماء قال تعالى:

٤٩- لِنُحْيِيَ بِهِ بَلَدَةً مَيِّتًا... (١) هو محيي البلاد به بالنباتات و النعم الأخرى. و تذكير مَيِّتًا (٢) بتأويل البلده بالبلد للتعميم وَ نُشْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنْسَى كَثِيرًا (٣) جمع إنسي أو إنسان، و أصله أناسين قلبت التون ياء. أي و لنسقى من ذلك الماء أنعاما جمه و أناسا كثيرين.

٥٠- وَ لَقَدْ صَيَّرْفَنَاهُ بَيْنَهُمْ... (٤) أي فرقنا المطر بين الناس في البلدان المختلفه و الأوقات المختلفه المتفاوته بصفات مختلفه من وابل و ظل و غيرهما على حسب المصالح و الحكم، فلا يدوم في مكان فيفسده، و لا ينقطع بالكلية عن مكان فيهلكه، لكنه يزيد لقوم و ينقص لآخرين على ما تقتضيه المصلحه كما قلنا. أو صرّفنا ما ذكر من الدلائل في القرآن و سائر الكتب لِيَذَكَّرُوا (٥) ليتفكروا كمال القدره و سعتها و حق النعمه فيعرفوا ربهم و توحيده فيعبدوه عن معرفه و يشكروا مزيد شكر لنعمائه فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا (٦) امتنعوا و لم يقبلوا، جحودا للنعمه و قالوا: أمطرنا بنوء العقرب و بنوء السرطان أو الحوت، و هكذا ينسبون المطر و نزوله إلى الأنواء على عقيدتهم الخبيثه لا إلى الله. و

في الحديث: ثلاث من أمر الجاهليه، و عدّ منها الأنواء.

٥١- وَ لَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَوْمٍ نَذِيرًا... (٧) أي نبيا يخوف أهلها فيخفف عليك أعباء الرّساله، لكن خصصناك بعموم الدّعوه إجلالا لك و تفضيلا لك على سائر الرّسل و تعظيما لشأنك، فكن ثابتا في الدّعوه و إظهار الحق، و اجتهد فيهما. و الحاصل أننا لو شئنا لقسّمنا بينهم النذر كما قسّمنا بينهم الأمطار و لكن نعمل ما هو الأصلح بحالهم و بأمرك في الدّعوه فبعثناك إليهم كافه.

٥٢- فَلَا تَطْعِ الْكَافِرِينَ... (٨) فيما يدعونك اليه و يريدونه منك من المداهنه بل خالفهم. و هذا تهيج له صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ إِلَى مَا بَعَثَ مِنْ

ص: ١٥٤

- ١- سورة ٢٥ - آيه ٤٩
- ٢- سورة ٢٥ - آيه ٤٩
- ٣- سورة ٢٥ - آيه ٤٩
- ٤- سورة ٢٥ - آيه ٥٠
- ٥- سورة ٢٥ - آيه ٥٠
- ٦- سورة ٢٥ - آيه ٥٠
- ٧- سورة ٢٥ - آيه ٥١
- ٨- سورة ٢٥ - آيه ٥٢

أجله وَ جَاهِدُهُمْ بِهٖ جِهَادًا كَبِيرًا (١) حيث يجتهدون في إبطال دين الله و شريعتك فلا- بد لك من الاجتهاد في مخالفتهم و إزاحه باطلهم بالقرآن، فإن مجاهدته المتكلمين في حلّ شبه المبطلين و الجاحدين الذين هم أعداء الدّين بالحجج و البراهين أكبر من جهادهم بالسيف، لأنه يفحم و يقمع الحاضرين و من يحذو حذوهم إلى يوم الدين، بخلاف جهادهم بالسيف الذي يفيد و يفتك بالحاضرين إذا أفاد. و الحاصل أن الحجج باقيه و السيف لا يدوم، و الباقي أحسن من الفاني و لذا عبّر عن المجاهدة بالقرآن بالجهاد الكبير. و يمكن أن يكون

قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله: رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر، أو بقي علينا الجهاد الأكبر، إشاره إلى هذا. و هذا بناء على عود الضمير في به (٢) إلى القرآن، و يحتمل رجوعه إلى عدم إطاعتهم الاستفادة من صدر الشريفة فلا تُطع (٣) الآية و هو الظاهر أو الأظهر

سورة الفرقان (٢٥): الآيات ٥٣ الى ٥٥

وَ هُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَ هَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَ جَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَ حِجْرًا مَّحْجُورًا (٥٣) وَ هُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَ صِهْرًا وَ كَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا (٥٤) وَ يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَ لَا يَضُرُّهُمْ وَ كَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا (٥٥)

٥٣- وَ هُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ... (٤) هذا هو النوع الرابع من الدلائل الداله على القدره و التوحيد: مرج البحرين: أى خلاهما و أرسلهما في مجاريهما متجاورين متلاصقين بحيث لا يتمازجان، من مرج دابته إذا خلاها و أطلقها هذا عَذْبٌ فُرَاتٌ (٥) أى في غايه العذوبه و الهناءه وَ هَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ (٤)

ص: ١٥٥

١- سورة ٢٥ - آيه ٥٢

٢- سورة ٢٥ - آيه ٥٢

٣- سورة ٢٥ - آيه ٥٢

٤- سورة ٢٥ - آيه ٥٣

٥- سورة ٢٥ - آيه ٥٣

٦- سورة ٢٥ - آيه ٥٣

شديد الملوحة بحيث تحس منه المراره وَ جَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخاً (١) حازوا بقدرته الكامله يفصل بينهما و يمنعهما من التمازج مع أنهما متلاصقين، و مقتضى كل عنصر مائع كالماء هو الاختلاط و الامتزاج إذا كان متصلاً و متلاصقاً كل واحد مع الآخر وَ حِجْراً مَحْجُوراً (٢) أى حدًا محدوداً، عطف على بَرْزَخاً (٣) يعنى جعلنا بين البحرين حدًا معيّنًا و قرّرنا أن لا يختلط أحدهما بالآخر فيفسد طعمهما كما يشاهد فى دجله حين تدخل البحر فتشقه فتجرى فى خلاله فراسخ لا يتغير طعمها و لا تغير طعم مجاورها و ملاصقتها مع أنه بحكم المائعيه لا بدّ من الاختلاط كما قلنا آنفاً. و قيل هذه كلمه يقولها المتعوّذ حين لقاءه العدو، و هى ها هنا على طريق المجاز كأن كل واحد من البحرين يتعوّذ من صاحبه و يقول له حجراً محجوراً حتى لا يفسد كل واحد الآخر بالامتزاج، و هى من أحسن الاستعارات.

و القمى يقول: حراماً محرّماً أن يغير واحد منهما طعام الآخر، كما يقال بهذا المعنى عند لقاء العدو فى الأشهر الحرم أو مطلقاً.

٥٤- وَ هُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا... (٤) أى الماء الذى خمر به طينه آدم عليه السلام الذى هو العنصر، أو المراد هو النطفه فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَ صِهْرًا (٥) أى قسمين: ذوى نسب ذكورا، لأن نسبه النسب تتحقّق به كما يقال فلان ابن فلان و فلانه بنت فلان، و ذوات صهر إناثا يصاهر بهن فتوجد المصاهره بهن. و مثلها قوله تعالى: فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَ الْأُنْثَى. (٦) و

عن مولانا أمير المؤمنين مروى أن النسب ما حرم النكاح به، و الصّيهر ما حلّ النكاح به وَ كَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا (٧) على أى شىء أراد، فانظر أيها المتفكر كيف خلق من مادّه واحده بشرا ذا أعضاء مختلفه و طباع متباعدّه، و جعله قسمين متقابلين.

٥٥- وَ يَعْجِدُونَ مِنْ... (٨) وَ كَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا... (٩) أى معينا للشيطان على معصيه الله لأنه يتابعه بكل ما يأمر به، فإن عباده الأصنام

ص: ١٥٦

١- سورة ٢٥ - آيه ٥٣

٢- سورة ٢٥ - آيه ٥٣

٣- سورة ٢٥ - آيه ٥٣

٤- سورة ٢٥ - آيه ٥٤

٥- سورة ٢٥ - آيه ٥٤

٦- سورة ٧٥ - آيه ٣٩

٧- سورة ٢٥ - آيه ٥٤

٨- سورة ٢٥ - آيه ٥٥

٩- سورة ٢٥ - آيه ٥٥

معاونه للشيطان لأنها حصلت بوساوسه و إغرائه و كانت مخالفه للرحمان عزّ و جلّ.

سوره الفرقان (٢٥): الآيات ٥٦ الى ٦٢

وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٥٦) قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا (٥٧) وَتَوَكَّلْ عَلَىٰ الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَىٰ بِهِ بِعْدُوتِ عِبَادِهِ خَيْرًا (٥٨) الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسِئَلُ بِهِ خَيْرًا (٥٩) وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا (٦٠) تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا (٦١) وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْذِرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا (٦٢)

٥٦- و مَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَ نَذِيرًا... (١) أَي بعثناك بشيرا للمؤمنين، و منذرا للكافرين بالعقوبه الخالده غير المتناهيه.

٥٧- قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ... (٢) على تبليغ الرّساله إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا (٣) يعنى أجرى هو إطاعه المطيعين و إيمان المؤمنين و تقربهم بأعمالهم إليه تعالى و طلبهم الرّلى لديه فصور صلوات الله عليه ذلك في صوره الأجر حيث إنّه المقصود من فعله و نتيجه إتعاب نفسه

ص: ١٥٧

١- سوره ٢٥ - آيه ٥٦

٢- سوره ٢٥ - آيه ٥٧

٣- سوره ٢٥ - آيه ٥٧

الشريفه و أعماله الصّعبه التى تحمّلها فى بعثته لإعلاء كلمه الله. و هذا الاستثناء لقطع شبهه الطمع، و إظهاراً لغايه الشفقه.

٥٨- وَ تَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ... (١) فى دفع المضارّ و جلب المنافع فإنه الحقيق لأن يتوكّل عليه لا غيره حيث إنه الباقي و غيره الفانى، و الفانى إذا فنى ضاع من توكلّ عليه. و هذه هى النكته فى إضافه التوكل على صفه الحياه الدائمه دون غيرها من الصفات و الذوات وَ سَبَّحِ بِحَمْدِهِ (٢) أى نزّهه عن صفات النقص حال كونه مقترنا بذكر أوصافه الكمال مثل أن تقول الحمد لله على نعمه و إحسانه، الحمد لله عظيم المنزله و ما أشبه ذلك وَ كَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَيْرًا (٣) أى كفى اللّهم معرفه بذنوب عباده حال كونه عارفا بأحوالهم و مستغنيا فى جزاء أعمالهم عمّن سواه من جهه المشاوره و المعاونه و المحاسبه. و الحاصل أنه يستفاد من تعقيب هذه الشريفه بالأولى التى أمر فيها بالتسبيح المصاحب بالحمد الذى يدل بالملازمه على التصديق بوجود المنزّه و هو الله تعالى و الإيمان به و تنزيهه عن الشرك، أن بينهما مطابقه بدليل أن العبد إذا فرغ من أداء تلك الوظائف الثلاث، فهو تعالى يتولّى أمره يوم الجزاء مباشرة بلا استعانه بغيره، ذاك أن معنى الكفايه هو الاستغناء عن الغير عند القيام بأمر ما. أو إذا كان المتولّى لأمر العبد العامل بالوظيفه هو المولى الكريم و السيد الحليم فمعاملته مع هذا العبد ليست إلا العفو عن السيئات و الرفع فى الدّرجات، و هذا من أعظم نعم الله على هؤلاء العباد، فلمثل هذا فليعمل العاملون. ثم إنه سبحانه أخذ فى بيان قدرته الكامله فقال:

٥٩- خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ... (٤) أى أوجدهما من العدم مع ما يَبَيِّنُهُمَا (٥) من المخلوقين من الملائكه و الكواكب نهارية و ليلية و غيرهما من الموجودات التى لا يعلمها إلا هو فى سِتِّتِهِ أَيَّامٍ (٦) فإن قيل إن الأيام عباره عن حركات الشمس فى فلكها أى السّماء فقبل السماء لا أيام؟ فالجواب:

فى مده مقدارها هذه المده لو كانت. و لو قيل: لم قدر الخلق و الإيجاد بهذا

ص: ١٥٨

١- سورة ٢٥ - آيه ٥٨

٢- سورة ٢٥ - آيه ٥٨

٣- سورة ٢٥ - آيه ٥٨

٤- سورة ٢٥ - آيه ٥٩

٥- سورة ٢٥ - آيه ٥٩

٦- سورة ٢٥ - آيه ٥٩

التقدير مع أنه قادر أن يخلقه في لحظه واحده؟ فالجواب: أنه سبحانه هو العالم بالأصلح و لعل خلقته التدريجيّه ترمز إلى أن التأتى و التدرّيج مطلوب فى الأمور و فيه صلاح العباد، فلا بدّ لهم أن يجعلوه شعاعاً لهم و يعتادوا عليه تقليداً و تبعاً لربهم فى إيجاد الأشياء مع كمال قدرته ثمّ استوى على العرش (١) أى استولى أمره عليه و هو أعظم المخلوقات، و هو الجسم المحيط بالعالم، شبهه بسرير الملك و لذا عبّر عنه بالعرش، أو استولى على الملك الرّحمن (٢) خبر للذى المتقدّم فى صدر الآيه إذا جعل مبتداءً، و إن جعل الذى صفه للحىّ فلمحذوف أو بدل من ضمير، استوى (٣) ، فسئل به خبيراً (٤) أى عمّا ذكر من الخلق و الاستواء فاسأل عارفاً بهما و هو الله، أو جبرائيل يخبرك به. و فى المجمع روى أن اليهود حكوا عن ابتداء خلق الدنيا خلاف ما أخبر الله تعالى عنه فقال سبحانه: فسئل به خبيراً (٥) ، و الخبير هو من ذكرناه آنفاً، أو من وجده فى الكتب المتقدمه السماويه من الأحبار و الرهبان، أو فاسأل عن الرّحمان من يخبرك من أهل الكتاب ليعرفوا أنه مذكور فى كتبهم. و الباء على جميع هذه التفاسير بمعنى (عن) سواء كان مرجع الضمير هو المذكور كما فسّر به البعض، أو بابتداء الخلق، أو بالرّحمن، و انشد فى قيام الباء مقام (عن) قول علقمه بن عبده:

فإن تسألونى بالنساء فإننى خبير بأدواء النساء، طيب

ترون ثراء المال حين وجدته و شرخ الثياب عندهنّ عجيب

إذا شاب رأس المرء أو قلّ ماله فليس له فى ودهنّ نصيب

فالباء فى (بالنساء) بمعنى (عن) كما هو واضح.

٦٠- و إذا قيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ... (٦) أى قيل للمشركين لأنهم ما كانوا يطلقونه عليه تعالى قالوا و ما الرّحمن (٧) أى شىء و أى شخص هو، فإنهم ظنّوا أنه صلوات الله عليه أراد غيره تعالى. و قيل إنهم لقبوا بهذا الاسم مسيلمه الكذاب باليمامة. و لعلهم ظنّوا أن الرسول صلوات الله عليه أراد هذا الشخص الذى باليمامة فسألوا عن المسمّى به و جهلوا

ص: ١٥٩

١- سورة ٢٥ - آيه ٥٩

٢- سورة ٢٥ - آيه ٥٩

٣- سورة ٢٥ - آيه ٥٩

٤- سورة ٢٥ - آيه ٥٩

٥- سورة ٢٥ - آيه ٥٩

٦- سورة ٢٥ - آيه ٦٠

٧- سورة ٢٥ - آيه ٦٠

أنه من أسمائه تعالى، أو عرفوه و تجاهلوا جحداً أَنَسِيْ جَدُّ لِمَا تَأْمُرُنَا (١) أى للذى تأمرنا بالسجود له، و لو لم نعرفه و لم نعتقد به، أول أمرك لنا فقط.

و الظاهر أن هذا الاستفهام إنكارى أو فى مقام الاستهزاء، و لا سيما على الاحتمال الأخير الذى فسّرناه به وَ زَادَهُمْ نُفُوراً (٢) أى الأمر بالسجود للرحمان زاد الكفره تباعداً عن الإيمان و هروباً من التكليف.

٦١- تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ... (٣) أى كثير الخير و البركة ذاك الذى جعل بقدرته الكامله فى السماء بُرُوجاً (٤) أى الاثنى عشر المعروفه و هى:

الحمل، و الثور، إلى آخرها. و البروج هى القصور الرفيعه العاليه و تسميتها بالبروج لأنها بالإضافة إلى الكواكب السياره بمنزله المنازل لها.

و السيارات هى: زحل، و المريخ، و المشتري، و الزهره، و عطارد، و الشمس، و القمر. و إن الحمل و العقرب منزلان للمريخ، و الثور و الميزان منزلان للزهره، و الجوزاء و السنبله بيتان لعطارد، و القوس و الحوت منزلان للمشتري، و الجدى و الدلو منزلان لزحل، و السرطان منزل للقمر، و الأسد منزل للشمس، و البرج مشتق من التبرج و هو الظهور، لظهورها لأهل الأرض بأسبابها كالمراسد و نحوها، و لذا قيل: البروج هى الكواكب الكبيره وَ جَعَلَ فِيهَا سِرَاجاً (٥) أى الشمس لقوله: وَ جَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجاً (٦) وَ قَمَراً مُنِيراً (٧) مضيئاً بالليل، و ذكر القمر بعد سراجاً (٨) أيضاً قرينه على أن المراد به هو الشمس.

٦٢- وَ هُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ خِلْفَةً... (٩) أى يخلف أحدهما الآخر بأن يقوم مقامه لِمَنْ أَرَادَ (١٠) أن يتفكر و يستدل بذلك على أن لهما مدبراً و مصرفاً أو أَرَادَ سُكُوراً (١١) أى أن يشكر نعمه ربّه عليه فيهما.

سوره الفرقان (٢٥): الآيات ٦٣ الى ٧٠

وَ عِبَادَ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَ إِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً (٦٣) وَ الَّذِينَ يَبْتَغُونَ لِرَبِّهِمْ سُدّاً وَ قِيَاماً (٦٤) وَ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَاماً (٦٥) إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرّاً وَ مُقَاماً (٦٦) وَ الَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَ لَمْ يَقْتُرُوا وَ كَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً (٦٧) وَ الَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ وَ لَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَ لَا يَزْنُونَ وَ مَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَ يُخَلَّدُ فِيهِ مُهَاناً (٦٩) إِلَّا مَنْ تَابَ وَ آمَنَ وَ عَمِلَ عَمَلًا صَالِحاً فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَ كَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً (٧٠)

ص: ١٦٠

١- سوره ٢٥ - آيه ٦٠

٢- سوره ٢٥ - آيه ٦٠

٣- سوره ٢٥ - آيه ٦١

٤- سوره ٢٥ - آيه ٦١

۵- سوره ۲۵ - آیه ۶۱

۶- سوره ۷۱ - آیه ۱۶

۷- سوره ۲۵ - آیه ۶۱

۸- سوره ۲۵ - آیه ۶۱

۹- سوره ۲۵ - آیه ۶۲

۱۰- سوره ۲۵ - آیه ۶۲

۱۱- سوره ۲۵ - آیه ۶۲

٦٣- وَ عِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا... (١) أى بالسَّكِينَةِ و الوقار و الطاعة غير أشرين كما هو زى الجبارة و المتكبرين و لا- مرحين و لا- متكبرين و لا- مفسدين، أو حلماء علماء لا يجهلون و إن جهل عليهم قالوا سَلاماً (٢) إذا خاطبهم الجهله و الحمقى بما يثقل عليهم أو بما يكرهونه قالوا فى جوابهم سلاماً، أى سداداً من القول فلا- يقابلونهم بمثل قولهم من الفحش و الهجو و السخرية، أو قولاً يسلمون فيه من الإثم و من أذاهم دليله قوله تعالى: وَ إِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَ قَالَوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَ لَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ (٣) قيل هذه صفه نهارهم إذا انتشروا فى الناس، و ليلهم خير ليل إذا خلوا فيما بينهم و بين ربهم كما قال تعالى:

٦٤- وَ الَّذِينَ يَبْتَغُونَ لِرَبِّهِمْ سُدًّا وَ قِيَامًا... (٤) أى فى الصَّلاه، و تخصيص البيتوته لأذن العباده بالليل أحمز و أحسن لأنها أبعد عن الرِّياء.

ص: ١٦١

١- سوره ٢٥ - آيه ٦٣

٢- سوره ٢٥ - آيه ٦٣

٣- سوره ٢٨ - آيه ٥٥

٤- سوره ٢٥ - آيه ٦٤

٦٥- وَ الَّذِينَ يَقُولُونَ... (١) إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا... (٢) أى لازما دائما لا ينفك عن أهله، من الغرامه و هو ما يلزم أداءه من المال و منه الغريم لملازمته، و صفوا بحسن السيره مع الخلق و الاجتهاد فى طاعه الحق و هم مع ذلك و وجلون خائفون من العذاب يدعون ربهم صرفه عنهم غير معتدين بأعمالهم.

٦٦- إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَ مُقَامًا... (٣) أى بسس المقر و المقام جهنم.

٦٧- وَ الَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَ لَمْ يَقْتُرُوا... (٤) أى لم يجاوزوا الحد فى النفقه و لم يضيّقوا فيها، أو لم ينفقوا فى المعاصى و لم يمنعوا الحقوق

وَ كَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا (٥) فإن إنفاقهم كان بين الإقتار و الإسراف قواماً (٦) و سطا كما عن الصادق عليه السلام ، و

قال عليه السلام: أربعه لا يستجاب لهم دعوه، رجل فاتح فاه جالس فى بيته يقول يا ربّ ارزقنى فيقول له ألم آمرك بالطلب؟ و رجل كانت له امرأه يدعو عليها يقول يا ربّ أرحنى منها، فيقول ألم أجعل أمرها بيدك؟ و رجل كان له مال فأفسده فيقول يا ربّ ارزقنى، فيقول ألم آمرك بالاقتصاد؟ و رجل كان له مال فأدانه بغير بينه، فيقول ألم آمرك بالشهاده؟ فمعنى القوام فى المقام هو الاقتصاد و هو الوسط الذى بين الإسراف و الإقتار.

عنه عليه السلام أنه تلا هذه الآيه فأخذ قبضه من الحصى و قبضها بيده فقال: هذا الإقتار الذى ذكره الله فى كتابه، ثم قبض قبضه أخرى فأرخبى كفّه كلّها ثم قال هذا الإسراف، ثم أخذ قبضه أخرى فأرخبى بعضها و أمسك بعضها و قال هذا القوام. فهو أبى هو و أمى علم الآيه للناس و فسرها عملا بأوضح و أحسن عمل.

٦٨- وَ الَّذِينَ لَا يَدْعُونَ... (٧) يَلْقَى أَثَامًا... (٨) أى يرى و يلاقى جزاء إثم. و قيل إن أثاما و غيا الذى فى قوله تعالى فسوف يلقون غيا، بثران عميقان غايه العمق فى جهنم. و

روى أن أثاما واد من أوديه جهنم من صفر مذاب هو مقام من عبد غير الله و من قتل النفس المحرمه و الزناه.

ص: ١٦٢

١- سورة ٢٥ - آيه ٦٥

٢- سورة ٢٥ - آيه ٦٥

٣- سورة ٢٥ - آيه ٦٦

٤- سورة ٢٥ - آيه ٦٧

٥- سورة ٢٥ - آيه ٦٧

٦- سورة ٢٥ - آيه ٦٧

٧- سورة ٢٥ - آيه ٦٨

٨- سورة ٢٥ - آيه ٦٨

٦٩- يُضَاعَفُ لَهُ الْعَذَابُ... (١) وَ يَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا... (٢) أى يقيم فى العذاب أبداً، ذليلاً حقيراً فى غايه الحقاره و الذل أعاذنا الله من ذلك.

٧٠- إِلَّا مَنْ تَابَ... (٣) يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ... (٤)

فى العيون عن الرضا عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله: إذا كان يوم القيامة تجلى الله عز و جل لعبده المؤمن فيقفه على ذنوبه ذنبا ذنبا ثم يغفر له لا يطلع الله على ذلك ملكاً مقرباً و لا نبياً مرسلًا و يستر عليه ما يكره أن يقف عليه أحد، ثم يقول لسيئاته كوني حسنة. و

فى روايه الأمانى عن الباقر (ع) قريب من هذا المعنى و فى آخرها: هذا تأويل الآيه و هى فى المذنبين من شيعتنا خاصه. و الروايات بهذا المعنى كثيره. و

فى روضه الواعظين عن النبى صلى الله عليه و آله: ما من مجلس قوم يذكرون الله إلا نادى مناد من السماء قوموا فقد بدل الله سيئاتكم حسنات.

سوره الفرقان (٢٥): الآيات ٧١ الى ٧٦

وَ مَنْ تَابَ وَ عَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا (٧١) وَ الَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَ إِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا (٧٢) وَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخْرُوا عَلَيْهَا صُغَمًا وَ عُمِيَانًا (٧٣) وَ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَ ذُرِّيَّتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَ اجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا (٧٤) أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَ يُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَ سَلَامًا (٧٥) خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَ مُقَامًا (٧٦)

ص: ١٦٣

١- سوره ٢٥ - آيه ٦٩

٢- سوره ٢٥ - آيه ٦٩

٣- سوره ٢٥ - آيه ٧٠

٤- سوره ٢٥ - آيه ٧٠

٧١- وَ مَنْ تَابَ وَ عَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا... (١) التوبه هى ترك الذنوب و الندم عليها و رجوع العبد بعد ذلك إليه تعالى، و متابا مصدر كالمرجع لفظا و معنى، أى يرجع إلى الله بذلك مرجعا مرضيا دافعا للعقاب جالبا للثواب.

٧٢- وَ الَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ... (٢) أى لا يحضرون محاضر الباطل، أو لا يقيمون شهاده الكذب. و القمى قال:

الغناء و مجالس اللهو وَ إِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا (٣) أصل اللغو هو الفعل الذى لا فائده فيه، و لهذا يقال للكلمه التى لا تفيد: لغو و ليس المراد به القبيح حيث إن فعل الشياهى و النائم لغو و ليس بحسن و لا- قبيح مَرُّوا كِرَامًا (٤) أى معرضين عنه مكرمين أنفسهم عن الوقوف عليه و الخوض فيه معهم، و من ذلك الإغضاء عن الفحشاء و الصفح عن الذنوب.

٧٣- وَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ... (٥) أى القرآن أو الوعظ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَ عُمِيَانًا (٦) نفى للحال دون أصل الفعل، أى لم يكتبوا عليها غير منتفعين بها كالصم و العميان لا يسمعون و لا يبصرون، بل يكتبون عليها و اعين لها متبصرين ما فيها. و

عن الصادق عليه السلام قال:

مستبصرين ليسوا بشاكين.

٧٤- وَ الَّذِينَ يَقُولُونَ... (٧) قُرَّةَ أَعْيُنٍ... (٨) بأن نراهم موقفين مطيعين لك، فإن المؤمن إذا شاركه أهله فى طاعه الله سرّ به قلبه و قرّت بهم عينه لما يرى من مساعدتهم له فى الدين و توقع لحوقهم به فى الجنه و نجاتهم معه من النار وَ اجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا (٩)

فى الجوامع عن الصادق عليه السلام:

إيانا عنى. و

فى روايه: هى فىنا. و

القمى عن الصادق عليه السلام و قد قرئت عنده هذه الآيه: قد سألوا الله عظيما أن يجعلهم للمتقين أئمه.

ف قيل له: كيف هذا يا ابن رسول الله؟ قال: إنما أنزل الله و اجعل لنا من المتقين إماما و بناء على ظاهره معناه: أى نقتدى بمن قبلنا من المتقين بتوفيق منك فيقتدى المتقون بنا من بعدنا.

ص: ١٦٤

١- سوره ٢٥ - آيه ٧١

٢- سوره ٢٥ - آيه ٧٢

٣- سوره ٢٥ - آيه ٧٢

٤- سوره ٢٥ - آيه ٧٢

۵- سوره ۲۵ - آیه ۷۳

۶- سوره ۲۵ - آیه ۷۳

۷- سوره ۲۵ - آیه ۷۴

۸- سوره ۲۵ - آیه ۷۴

۹- سوره ۲۵ - آیه ۷۴

٧٥ و ٧٦- أَوْلَيْكَ يُجَزُّونَ الْغُرْفَةَ... (١) أى أعلى منازل أهل الجنة و مواضعها، فإن الغرفه لغه العليه و كل بناء عال فهو غرفه بما صَبَرُوا (٢) أى الموصوفون بهذه الصفات التسع التى مرّت فى الآيات الكريمت السابقه، يجزون الدرجات العالیه الرفيعه بسبب صبرهم على الطاعات و قمع الشهوات و أذى الجهله و مشاقّ الجهاد، و الفقر و المكاره فى سبيله تعالى وَ يُلَقَّونَ فِيهَا تَحِيَّهً وَ سَلَامًا (٣) يلقون بالتشديد أى يعطون فى الجنة، و بتخفيف القاف أى يرون فيها و يدركون فيها التحيه و السلام من الملائكه. و التحيه كل قول يسرّ به الإنسان. و السلام بشاره لهم بعظيم الثواب، و يكون هؤلاء المؤمنون خالدين فى هذا النعيم و فى أحسن مستقر و خير مقام.

سوره الفرقان (٢٥): آيه ٧٧

قُلْ مَا يَعْجُبُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا (٧٧)

٧٧- قُلْ مَا يَعْجُبُا بِكُمْ رَبِّي... (٤) أى ما يصنع بكم، أو لا يكثر بكم، أو ما يفعل.

و سئل الباقر (ع): كثره القراءه أو كثره الدعاء أيهما أفضل؟ قال: كثره الدعاء أفضل، و قرأ هذه الآيه. فَقَدْ كَذَّبْتُمْ (٥) بما أخبرتكم به حيث خالفتموه فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا (٦) أى لازما لكم جزاء تكذيبكم فى الآخره.

ص: ١٦٥

١- سوره ٢٥ - آيه ٧٥

٢- سوره ٢٥ - آيه ٧٥

٣- سوره ٢٥ - آيه ٧٥

٤- سوره ٢٥ - آيه ٧٧

٥- سوره ٢٥ - آيه ٧٧

٦- سوره ٢٥ - آيه ٧٧

مكيه إلا ١٩٧ و من ٢٢٤ إلى آخر السوره و آياتها ٢٢٧.

سوره الشعراء (٢٦): الآيات ١ الى ٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طسم (١) تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (٢) لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسِكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (٣) إِنَّ نَسْفًا نُنَزَّلُ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ (٤) وَ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ (٥) فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءٌ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤْنَ (٦)

١- طسم... (١) قد مرّ معنى الحروف المقطعه التي وقعت في أوائل السور.

٢- تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ... (٢) قد أشار ب تِلْكَ (٣) إلى ما ليس بحاضر، لكنّه متوقّع فهو كالحاضر لحضور المعنى في النفس. و التقدير:

تلك الآيات التي وعدتم بها هي آيات الكتاب (٤) أي القرآن المبيّن (٥) الذي يبين الحق من الباطل أو البين إعجازه.

ص: ١٦٧

١- سوره ٢٦ - آيه ١

٢- سوره ٢٦ - آيه ٢

٣- سوره ٢٦ - آيه ٢

٤- سوره ٢٦ - آيه ٢

٥- سوره ٢٦ - آيه ٢

٣- لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسِكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ... (١) كلمه لعل هنا للإشفاق، كأنه قيل: أشفق على نفسك أن تقتلها. و أصل البخع إيصال السكين إلى النخاع، وهو عرق مستبطن في القفا. وهذا أقصى حد الذبح. ومعنى قوله سبحانه: باخِعٌ نَفْسِكَ (٢) أى قاتل و مهلك لها غمًا و حزنا أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (٣) من أجل أن لا يكونوا مؤمنين أى من أجل أن قومك لا يؤمنون. فاللام مقدر، أى لئلا يؤمنوا، أو لامتناع إيمانهم، أو بتقدير مضاف: خيفه أن لا يؤمنوا.

٤- إِنْ نَشَأْ نُزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةٌ... (٤) أى علامه ملجئه إلى الإيمان أو إن نشأ إيمانهم نزل عليهم برهانا و حجه تلجئهم إلى الإيمان.

فَطَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ (٥) فصارت أعناقهم لها خاشعه منقاده أو فيظل رؤساؤهم و مقدموهم أو جماعاتهم لها منقادين. و قد جاء أن العنق بمعنى الرئيس أو الجماعة.

٥ و ٦- وَ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ... (٦) أى القرآن مِنَ الرَّحْمَنِ مُحَدَّثٍ (٧) بوحيه إلى نبيه (ص) مجدّد تنزيله. و الحاصل أنه ما من آيه أو سوره من القرآن إلّا- كُنَّا نَنْزِلُهَا مُجَدِّدًا وَاحِدَةً بَعْدَ وَاحِدَةٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ (٨) مصرّين على كفرهم و طغيانهم و لا يكتفون بالإعراض فَقَدْ كَذَّبُوا (٩) بالآيات القرآنيه و استهزءوا بها فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (١٠) أى عمّا قريب يعلمون بأى شىء استهزؤا إذا مسّهم العذاب يوم القيامة، أو فى الدنيا يوم بدر و إذا أذاقهم الله جزاء تكذيبهم و سخرتيتهم تنكشف لهم حقيقه الأمور الموعوده فيعرفون صدقها فلا تنفعهم الندامه و الحسره حينئذ.

ثم إنه تعالى على سبيل التذكير بنعمته يقول:

سوره الشعراء (٢٦): الآيات ٧ الى ٩

أَوْ لَمْ يَرَوْا إِلَى الْآرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ (٧) إِنْ فِي ذَلِكْ لَمَآيَةٌ وَ مَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (٨) وَ إِنْ رَبِّكَ لَهَوَّ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٩)

ص: ١٦٨

١- سوره ٢٦ - آيه ٣

٢- سوره ٢٦ - آيه ٣

٣- سوره ٢٦ - آيه ٣

٤- سوره ٢٦ - آيه ٤

٥- سوره ٢٦ - آيه ٤

٦- سوره ٢٦ - آيه ٥

٧- سوره ٢٦ - آيه ٥

٨- سوره ٢٦ - آيه ٥

٩- سوره ٢٦ - آيه ٦

٧- أَوْ لَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا... (١) أى أولم ينظروا إلى عجائبها و غرائبها التى أودعها فيها الصانع الحكيم، و لم يتدبروا فيها، و لا رأها بعين المعرفه أولئك الذين أنكروا البعث و الحشر و الحساب و كذبوا بذلك بلا رويّه و لا شعور كمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا (٢) من بعد مواتها و جفافها مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ (٣) من كل صنّف ممّا هو كثير النفع. و قد ذكر كُلُّ (٤) للإحاطه بالأزواج التى خلقها، و ذكر كمْ (٥) لكثرة تلك الأزواج.

٨- إِنَّ فِي ذَلِكُمْ... (٦) أى إن فى الآيات، أو فى كل واحد من الأزواج و إنباتها بهذه الكثرة لآيَةٍ (٧) أى برهاننا و حجه كامله على أنّ منبتها قادر على أن يحيى الموتى، و هو تام القدره و الحكمه مسبغ النعم و الرحمه، تعالى الله عما يشركون علّوا كبيرا كبيرا. و ما كانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (٨) هذه الجملة فى مورد العله لما ذكر قبلها من الإعراض و التكذيب المتضمّن للاستهزاء و عدم التدبّر فى الآيات الآفاقية، أى كل ذلك لأدّن أكثرهم، لو لم يكن كلهم، غير مؤمنين أو غير مدركين حقيقه الإيمان لأدّن الإيمان لم يدخل فى قلوبهم.

٩- وَ إِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ... (٩) أى أنه الغالب القادر على الانتقام من الفسقه الكفره الرَّحِيمُ (١٠) بالعباد حيث أمهلهم. ثم أنه سبحانه و تعالى بعد ذكر أحوال الكفار و تعداد نعمه أخذ فى بيان أقاصيص الرّسل و ما ورد عليهم من قومهم من المشاق، تسليه لخاتم الرّسل و أشرفهم تحريضا له صلوات الله عليه و آله على الصّبر و الترجى بنزول النصر، فابتدأ بقصّه موسى (ع) و فرعون عصره التى هى أكبر قصّه من القصص القرآنيه و أحسنها للاعتبار فقال عزّ و علا:

ص: ١٦٩

- ١- سورة ٢٦ - آيه ٧
- ٢- سورة ٢٦ - آيه ٧
- ٣- سورة ٢٦ - آيه ٧
- ٤- سورة ٢٦ - آيه ٧
- ٥- سورة ٢٦ - آيه ٧
- ٦- سورة ٢٦ - آيه ٨
- ٧- سورة ٢٦ - آيه ٨
- ٨- سورة ٢٦ - آيه ٨
- ٩- سورة ٢٦ - آيه ٩
- ١٠- سورة ٢٦ - آيه ٩

وَ إِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَىٰ اَنْ اِنَّتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِيْنَ (١٠) قَوْمَ فِرْعَوْنَ اَلَا يَتَّقُوْنَ (١١) قَالَ رَبِّ اِنِّىْ اَخَافُ اَنْ يُكَذِّبُوْنِ (١٢) وَ يَضِيقُ صَدْرِىْ وَ لَا يَنْطَلِقُ لِسَانِىْ فَاَرْسِلْ اِلَىْ هَارُوْنَ (١٣) وَ لَهُمْ عَلٰى ذَنْبٍ فَاَخَافُ اَنْ يَقْتُلُوْنِ (١٤)

١٠ و ١١- وَ إِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَىٰ... (١) أى أذكر يا محمد و اتل عليهم الوقت الذى نادى فيه ربك الذى خلقك رسوله موسى فقال يا موسى اِنَّ اِنَّتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِيْنَ (٢) و بالكفر و تعذيب بنى إسرائيل. و كان هذا النداء فى الوقت الذى وصل موسى و نزل عند الشجره و راي نورا لا- معا أضاء تمام الوادى فنودى منها: اِنِّىْ انا الله رب العالمين. فمن هنا بعث إلى فرعون و أمر كما فى الآيه الشريفه بإتيان قوم فرعون. و هذا بدل الْقَوْمَ الظَّالِمِيْنَ (٣) أو عطف بيان، أى توجه إليهم و قل لهم: اَلَا يَتَّقُوْنَ (٤) الاستفهام تقريرى أى لا بد من أن يخافوا من حلول سخطه و نزول عذابه عليهم. فلما أمر بذلك و علم بإفراطهم فى الظلم و الاجتراء عليه تعالى:

١٢ و ١٣ و ١٤- قَالَ رَبِّ اِنِّىْ اَخَافُ... (٥) أى أخاف أن يكذبونى بالرساله و لا- يقبلوا منى قولى وَ يَضِيقُ صَدْرِىْ (٦) من تكذيبهم لى، و ضيق القلب و انقباضه يصير سببا لتغير كلام من فى لسانه رتّه و حبسه و لذا قال وَ لَا يَنْطَلِقُ لِسَانِىْ (٧) ترتب عدم انطلاق اللسان على ضيق صدره كما ترتب الضيق على تكذيبه برسالته فطلب موسى (ع) منه تعالى أن يبعث معه هارون بعد أن ذكر الأمور الداعيه إلى ذلك فقال: فَاَرْسِلْ اِلَىْ هَارُوْنَ (٨) ليعاوننى كما يقال إذا نزلت بنا نازله فترسل إليك، أى لتعيننا، وإنما طلب المعاونه حرصا على القيام بالطاعه، فاستدعاء المعين عين التقبل لا أنه تعلل و قال: اجعل أخى هارون نبيا يعضدنى فى أمر الرساله فيقوى به قلبى و ينوب منابى إذا اعترتنى الرتّه فى لسانى. ثم أضاف موسى (ع)

ص: ١٧٠

- ١- سوره ٢٦ - آيه ١٠
- ٢- سوره ٢٦ - آيه ١٠
- ٣- سوره ٢٦ - آيه ١٠
- ٤- سوره ٢٦ - آيه ١١
- ٥- سوره ٢٦ - آيه ١٢
- ٦- سوره ٢٦ - آيه ١٣
- ٧- سوره ٢٦ - آيه ١٣
- ٨- سوره ٢٦ - آيه ١٣

قائلا: وَ لَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ (١) تبعه ذنب، و هو القود. و المراد من الذنب قتل القبطي، و تسميته بالذنب على زعمهم فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ (٢) أى يقتلونى قبل أداء رساله. فقال الله تعالى:

سوره الشعراء (٢٦): الآيات ١٥ الى ١٧

قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ (١٥) فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦) أَنْ أَرْسِلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ (١٧)

١٥- قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا... (٣) أى لا يكون كذلك، و لن يقتلوك فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا (٤) العصا و اليد البيضاء، و لعل الجمع باعتبار تعدد موارد استعمالهما لأنهما فى كل مره كانا يتشكّلان بصوره خاصه و كيفيه جديده متمايزه من الأخرى بحيث يتجلىان فى النظر كأنهما غير ما قبلهما. فهما بنفسهما كانا معجزه، و تطوّرها بأطوار مختلفه كان معجزه أخرى، أو باعتبار نفس التعدد فقط لأنهما كلّما ظهرا كانا معجزه بلا شك و لو لم يكن لهما تطور أو مع ضميمة طلاقه لسانه و ذهاب خوفه بعد المسأله إِنَّا مَعَكُمْ (٥) يعنى موسى و هارون و خصمهما فرعون و لذلك جاء مَعَكُمْ (٦) بالجمع مُسْتَمِعُونَ (٧) أى سامعون ما يجرى بينكم. و المستمع هنا بمعنى السامع لأن الاستماع هو طلب السمع بالإصغاء إلى القول و ذلك لا يجوز عليه سبحانه، و إنّما أتى بهذه اللفظه لأنه أبلغ فى الصفه و أكد.

١٦ و ١٧- فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا- إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ... (٨) أى نحن مبعوثون من عند من هو مربّيك و خالقك و خالق جميع العوالم الإمكانيه و مربّيهما و قد كلّفهما أن يقولوا ذلك لفرعون حتى تأخذه الرعده و يتزلزل قلبه لأنه كان قد قضى أربعائه سنه يدعى فيها الربوبيه و يستعبد بنى إسرائيل و القبطين، و كان بنو إسرائيل ثلاثمئه ألف نفر، و ما تجرأ عليه أحد مثل ما

ص: ١٧١

- ١- سوره ٢٦ - آيه ١٤
- ٢- سوره ٢٦ - آيه ١٤
- ٣- سوره ٢٦ - آيه ١٥
- ٤- سوره ٢٦ - آيه ١٥
- ٥- سوره ٢٦ - آيه ١٥
- ٦- سوره ٢٦ - آيه ١٥
- ٧- سوره ٢٦ - آيه ١٥
- ٨- سوره ٢٦ - آيه ١٦

تجرأ عليه موسى. وقيل إن موسى و هارون كانا على باب قصره سنه كامله و لا يتمكنان من الدخول عليه، إلى أن دخل يوما على فرعون من خواصه شخص فأخبره بأن رجلين قضيا سنه على باب الدار و يقولان إنا رسول رب العالمين إلى فرعون و قومه فأذن لهما في الدخول عليه ليمزح معهما و يسخر و يستهزئ بهما. فلما دخلا عليه تغير لونه إذ عرف فرعون موسى الذي قال: إنا رسول رب العالمين أن أرسل معنا بني إسرائيل (١) خلهم يذهبوا معنا إلى الشام و يتوطنوا في فلسطين التي هي مسكن آبائهم. فقال فرعون لموسى بعد ما عرفه على سبيل الامتنان:

سوره الشعراء (٢٦): الآيات ١٨ الى ٢٢

قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ (١٨) وَفَعَلْتَ فَعَلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَ أَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ (١٩) قَالَ فَعَلْتُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ (٢٠) فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَ جَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ (٢١) وَ تَلَمَّكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ (٢٢)

١٨ و ١٩- قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا... (٢) أى أو ما يجيء ببالك حينما كنت وليداً (٣) طفلا قريب العهد بالولاده و نحن ربيناك فى حجر العطف و الرحمه و التبنى و لبثت (٤) بقيت فىنا (٥) بيننا من عُمُرِكَ سِنِينَ (٦) أى مكثت و أقمت فى بيتنا سنوات عديده- قيل ثلاثين سنه و على روايه عن ابن عباس ثمانى عشره سنه كان موسى بينهم و يعيش معهم. و كان عمره اثنتا عشره سنه حين قتل القبطى، بعد مضي ثلاثين سنه توجه إلى مدين و قيل بقى هناك عشرين سنه فرجع إلى مصر يدعوهم إلى طاعه ربهم و طالت دعوتهم لهم ثلاثين سنه على ما فى التفسير الكبير للقاشانى رحمه الله، و لم ينفعهم

ص: ١٧٢

١- سوره ٢٦ - آيه ١٧

٢- سوره ٢٦ - آيه ١٨

٣- سوره ٢٦ - آيه ١٨

٤- سوره ٢٦ - آيه ١٨

٥- سوره ٢٦ - آيه ١٨

٦- سوره ٢٦ - آيه ١٨

إنذاره بل أكمل فرعون عتابه فقال: وَفَعَلْتَ فَعَلْتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ (١) أى مع أنك فعلت ما فعلت من قتل القبطى و كُنَّا قادرين على القود فخلينا سبيلك و ما تعرّضنا لك. و هذه الجملة من فرعون لموسى كانت بالحقيقه على سبيل المنه عليه و تليينا له (ع) و تسكينا له وَ أَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٢) بنعمتى عليك. فبعد ما عظّمه و عدّد عليه نعمه و بيّخه و.

القّمى عن الصادق عليه السلام، قال: لَمَّا بعث الله موسى إلى فرعون أتى بابَه فاستأذن عليه فلم يأذن له، فضرب بعصاه الباب فاصطكت الأبواب مفتحة، ثم دخل على فرعون فأخبره أنّى رسول ربّ العالمين و سأله أن يرسل معه بنى إسرائيل، فقال له فرعون كما حكى الله سبحانه و تعالى.

٢٠- قَالَ فَعَلْتَهَا إِذَا... (٣) أى فعلتها حين فعلت وَ أَنَا مِنَ الضَّالِّينَ (٤) قيل أنه عليه السلام أجاب فرعون على سبيل التوريه و أراد الضلال عن الطريق حين مجيئه من مدين إلى مصر فضلّ عن الطريق و دخل الليل و امرأته قد أصابها الطلق و وجع الولاده و كانت الليله مظلمه بارده ممطره، فاحتاج إلى النار فرأى نارًا فمشى إليها فلتما اقترب منها نودى: يا موسى اخلع نعليك... فظن فرعون أنه أراد الجهل و الضلال عن طريق الحق اعتذارا لأن الضلال عن طرق المدن لا يكون عذرا أو لا يصلح للقتل.

و يؤيد هذا التوجيه ما

فى العيون عن الرضا عليه السلام أنه سئل عن ذلك لأن الأنبياء معصومون. فقال عليه السلام: قال: و أنا من الضالين عن الطريق بوقوعى فى مدينه من مدائنك. و قيل أراد: أنا من المخطئين أى ما تعيبت قتله و كان قصدى خلاص الإسرائيلى لا- قتل القبطى. هذا و الأقوال الأخر لا ترجع إلى محصل.

٢١- فَفَرَزْتُ مِنْكُمْ... (٥) فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا... (٦) أى نبوّه يتبعها الحكمه، و هى معرفه التوراه و فهم الأحكام و العلم بالحدود. أو المراد بالحكم هو العلم، أو التوراه و يلزمه العلم بها و بما فيها. و يحتمل أن تكون جمله وَ جَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ (٧) بيانا لما قبلها من الحكم.

ص: ١٧٣

١- سوره ٢٦ - آيه ١٩

٢- سوره ٢٦ - آيه ١٩

٣- سوره ٢٦ - آيه ٢٠

٤- سوره ٢٦ - آيه ٢٠

٥- سوره ٢٦ - آيه ٢١

٦- سوره ٢٦ - آيه ٢١

٧- سوره ٢٦ - آيه ٢١

٢٢- وَ تَلَمَّكَ نِعْمَهُ تَمُنُّهَا عَلَيَّ... (١) قيل إنه إنكار للمنه أصلا فكأنه قال: أو هذه الهمزة همزه توييخ تلك نعمه تمنها علي بأن ربّيتني في حرك مع أنك استعبدت قومي بني إسرائيل؟ هذه ليست بنعمه مهناه حتى تمنّ بها علي بل هي نعمة في مقابل تلك التعذيبات التي لاقوها منك. أو المراد أن استعبادك لبني إسرائيل و ذبح أولادهم و فتق بطون نسايم صارت سببا لقذف أمي آي في اليم فلفظني اليم إلى قصر ك و أخذتني لتبني فلا يكون لهذه التربيه قدر عندى حتى تمنّ بها علي. ثم أخذ فرعون في بيان السؤال عن حقيقه المرسل و ماهيته تهكما أو استعلاما فقال:

سوره الشعراء (٢٦): الآيات ٢٣ الى ٢٨

قال فرعون و ما ربّ العالمين (٢٣) قال ربّ السماوات و الأرض و ما بينهما إن كنتم موقنين (٢٤) قال لمن حوله أ لا تسيمعون (٢٥) قال ربكم و ربّ آبائكم الأولين (٢٦) قال إن رسولكم الذى أرسل إليكم لمجنون (٢٧) قال ربّ المشرق و المغرب و ما بينهما إن كنتم تعقلون (٢٨)

٢٣- قال فرعون و ما ربّ العالمين... (٢) أى أى شىء هو من حيث الحقيقه و الماهيه، فإن موسى و هارون قالا: إنا رسول ربّ العالمين، فقال فرعون: من أى جنس ربكم الذى تدعونى الى عبادته؟ أمن ذهب أو من فضّه أو غيرهما من الأجناس؟ فإن فرعون و أتباعه من القبطيين قبل أن يتحداهم بالألوهيه و يدعوهم إلى طاعته كانوا عابدين للأصنام التى هى من الأجناس المختلفه. و لما كان ذهنه مشوبا بتلك الخرافات سأل ما سأل، فأجابه موسى عليه السلام قائلا:

ص: ١٧٤

١- سوره ٢٦ - آيه ٢٢

٢- سوره ٢٦ - آيه ٢٣

٢٤- قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ... (١) عَزَفَهُ بِأُظْهَرِ صِفَاتِهِ وَ آثَارِهِ الْمُتَضَمِّنَةَ لِكَمَالِ قُدْرَتِهِ الَّتِي يَعْجِزُ عَنْهَا مِنْ سِوَاهُ، فَهُوَ رَبُّهُمَا وَ مَا بَيْنَهُمَا (٢) أَى خَالِقِ جَمِيعِ ذَلِكَ وَ مَالِكِهِ إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ (٣) إِذَا كُنْتُمْ تَصَدِّقُونَ وَ تَتَحَقَّقُونَ الْأَمْرَ لِإِزَاحِهِ الشُّكَّ وَ لِحَصُولِ الْعِلْمِ عَنِ نَظَرٍ وَ اجْتِهَادٍ. فَإِنَّ الْإِيقَانَ مِنَ الْيَقِينِ الَّذِي هُوَ إِزَاحُهُ الشُّكَّ وَ تَحْقِيقُ الْأَمْرِ. وَ جَاءَ بِمَعْنَى الْعِلْمِ الْحَاصِلِ عَنِ نَظَرٍ أَوْ اسْتِدْلَالٍ. وَ الْحَاصِلُ أَنَّهُ إِنْ كُنْتُمْ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَ النَظَرِ وَ التَّحْقِيقِ فَهَذَا رَبِّي. وَ لَمْ يَعْتَنِ مُوسَى بِمَا سَأَلَهُ حَيْثُ إِنَّهُ تَعَالَى لَيْسَ بِجِسْمٍ، بَلْ أَجَابَهُ بِصِفَاتِهِ الرَّبُّوبِيَّةِ الدَّالَّةِ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ.

٢٥- قَالَ لِمَنْ حَوَّلَهُ أَلَا تَسْتَمْعُونَ؟... (٤) أَى قَالَ فِرْعَوْنَ لوزرائه و أعوانه و خاطب حاشيته و أشراف قومه: أَلَا تَسْمَعُونَ مَقَالَهُ مُوسَى الَّذِي سَأَلْتَهُ عَنِ مَا هِيَ رَبِّهِ وَ حَقِيقَتُهُ فَذَكَرَ أَعْمَالَهُ. وَ مَخَاطَبَتَهُ هَذِهِ كَانَتْ فِي مَقَامِ التَّعَجُّبِ وَ فِي مَقَامِ إِفْهَامِهِمْ بِأَنَّهُ عَجِزٌ عَنِ الْجَوَابِ.

٢٦- قَالَ رَبُّكُمْ وَ رَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ... (٥) فَأَجَابَ مُوسَى ثَانِيًا بِرَفَقٍ وَ هَدْوٍ تَأْكِيدًا لِلْحُجَّةِ مَقْرَرًا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ رَبُّكُمْ وَ رَبُّ آبَائِكُمُ السَّابِقِينَ، فَانْتَقَلَ إِلَى مَا هُوَ الْأَظْهَرُ لِلنَّاطِرِ وَ أَقْرَبُ إِلَيْهِ لِأَنَّ كُلَّ إِنْسَانٍ يَعْتَقِدُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ خَالِقُهُ وَ رَبُّهُ. فَقَالَ فِرْعَوْنَ غِيظًا وَ تَهَكُّمًا:

٢٧- قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ... (٦) لَا- يَخْفَى أَنَّ تَسْمِيَةَ فِرْعَوْنَ لِمُوسَى رَسُولًا- كَانَتْ مِنْ بَابِ الْاسْتِهْزَاءِ وَ السَّخَرِيَّةِ، وَ بِالْخُصُوصِ مَعَ التَّكَرُّارِ حَيْثُ إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ مُعْتَقِدًا بِالْإِرْسَالِ وَ لَا- بِالْمُرْسَلِ وَ لَا- بِمَنْ هُوَ مُرْسَلٌ إِلَى النَّاسِ، وَ لِذَلِكَ وَصَفَهُ بِالْجُنُونِ وَ أَنَّهُ لَا يَجِيبُ عَلَى مَا يَطَابِقُ السُّؤَالَ. فَلَمَّا سَمِعَ مُوسَى مِنْهُ هَذِهِ النِّسْبَةَ لَمْ يَعْتَنِ بِقَوْلِهِ بَلْ أَكَّدَ الْحُجَّةَ عَلَى مَدْعَاهُ فَقَالَ مَتَمِّمًا:

٢٨- رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَ مَا بَيْنَهُمَا... (٧) أَى أَنَّ رَبِّي هُوَ الرَّبُّ الَّذِي يَجْرِي الْبَحْرُ مِنَ مَشَارِقِهَا إِلَى مَغَارِبِهَا عَلَى نِظَامِ مُسْتَقِيمٍ وَ وَفْقِ نَسْقٍ وَاحِدٍ

ص: ١٧٥

- ١- سورة ٢٦ - آية ٢٤
- ٢- سورة ٢٦ - آية ٢٤
- ٣- سورة ٢٦ - آية ٢٤
- ٤- سورة ٢٦ - آية ٢٥
- ٥- سورة ٢٦ - آية ٢٦
- ٦- سورة ٢٦ - آية ٢٧
- ٧- سورة ٢٦ - آية ٢٨

لا يوجد فيها من يوم إيجادها مع جميع الكائنات تغيير و لا تبديل، و بنتيجة هذا التنظيم تم إصلاح أمور العباد و تنظيمها على ما هو حقه إن كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ (١) إن كان لكم عقل تدبّر و تفكّر حتى تعلموا ما أقول لكم من الجواب. فلما طال الاحتجاج على فرعون و لم يقدر على ردّ واحد منها هدّد موسى بقوله:

سورة الشعراء (٢٦): الآيات ٢٩ إلى ٣٣

قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لِأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ (٢٩) قَالَ أَوْ لَوْ جِئْتِكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ (٣٠) قَالَ فَأَتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٣١) فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ (٣٢) وَ نَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ (٣٣)

٢٩- لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي... (٢) أكّد وعيده بقوله لَئِنِ (٣) و بقوله لَمَّا جَعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ (٤) فعدّل إلى التهديد بعد الانقطاع. و هكذا يكون ديدن المعاند المحجوج، و هذا يكشف عن غايه العجز. و الألف و اللام للعهد يعنى أنت تعرف حال الذين فى السجن. أجعلك مثلهم.

فقد كان يقى المقصر المستحق للسجن، بحسب عقيدتهم و قانونهم، فى هوّه عميقه فردا حتى يموت، و لا يخرج إلا ميتا. فهو أبلغ من لأسجنتك.

لَمَّا تَوَعَّدَهُ بِالسَّجْنِ قَالَ مُوسَى (ع):

٣٠- قَالَ أَوْ لَوْ جِئْتِكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ... (٥) أى و لو أتيتك بشيء يدلّ على صدق دعواى، يعنى المعجزه فإنها الجامعه بين إثبات المدعى و الدّلاله على وجود الصّانع الحكيم و قدرته الكامله.

٣١- قَالَ فَأَتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ... (٦) أى هات ما أدعيتّه إن كنت صادقاً فى دعواك.

ص: ١٧٦

١- سورة ٢٦ - آيه ٢٨

٢- سورة ٢٦ - آيه ٢٩

٣- سورة ٢٦ - آيه ٢٩

٤- سورة ٢٦ - آيه ٢٩

٥- سورة ٢٦ - آيه ٣٠

٦- سورة ٢٦ - آيه ٣١

٣٢- فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ... (١) أى ظهرت ثعبانيتها على فرعون و جميع جلسائه بحيث لم يشك أحد فى أنه ثعبان لا أنه كان شيئاً شبيه الثعبان مثل الأشياء المزورة بالشعبيه و السحر، فلم يبق أحد من الجلساء إلا هرب، و دخل على فرعون من الرعب ما لم يملك نفسه فقال:

يا موسى أُنشدك بالله الذى أرسلك و بالرضاع إلا ما كفتها عنى فأخذها موسى فصارت كما كانت عصا. و

روى أن فرعون بعد مشاهدته تلك الآيه قال: هل لك آيه أخرى؟ قال: نعم.

٣٣- وَ نَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ... (٢) أى أخرج يده من جيبه فأنارت الوادى من شدّه بياضها من غير برص أو عله أخرى و لها شعاع كشعاع الشمس يذهب بالأبصار أن تعمق الناظر فى النظر لِلنَّاطِرِينَ (٣) و ذكر هذه الكلمه يدل على كثره النظار إليها و ذلك لأن بياضها لكثرت لمعانها و إشراقها كان مورد تعجب و تحير، فلذا خاف فرعون على مقامه و مكانته عند الناس فلجأ إلى المكر و ألقى الشبهه و قال:

سوره الشعراء (٢٦): الآيات ٣٤ الى ٤٠

قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ (٣٤) يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَا ذَا تَأْمُرُونَ (٣٥) قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَإِئْتِ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (٣٦) يَا تُوَكَّ بِكُلِّ سَيِّحَارٍ عَلِيمٍ (٣٧) فَجَمَعَ السَّحْرَةَ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ (٣٨) وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ (٣٩) لَعَلَّنَا تَتَّبِعَ السَّحْرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ (٤٠)

ص: ١٧٧

١- سوره ٢٦ - آيه ٣٢

٢- سوره ٢٦ - آيه ٣٣

٣- سوره ٢٦ - آيه ٣٣

٣٤ و ٣٥- قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ... (١) أى متفوق فيه يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ (٢) أى من مصركم بِسِحْرِهِ (٣) ولما كان الزمان علم السحر فيه رائجا فيه كثيرا، أثر هذا الكلام فيهم بحيث انصرفوا عما كانوا يريدونه من رجوعهم إلى إله موسى و طاعته فماذا تأمرون (٤) هذا القول منه يدل دلالة ظاهره على أن سلطان المعجزه بهره حتى أنزله عن أوج دعوى الربوبية إلى حضيض المشاوره مع مربوبيه و مخلوقيه على زعمه الكاذب و من مقام أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى (٥) رماه الى أدنى المراتب و هو الاستمداد من عبده فى أمر موسى، و أظهر من نفسه أنى متع لرأيكم. و بهذا الكلام جذب قلوبهم إلى نفسه و أبعدهم عن موسى و أظهر استشعاره غلبه موسى و استيلاءه على ملكه. لكن قومه ما أدركوا و ما افقهوا من قوله يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ (٦) الآية، هذا الاستشعار و بيان عجز إلههم و استعانتهم بهم و احتياجه إليهم فعند ذكر هذه الكلمات اتفقوا على جواب واحد:

٣٦ و ٣٧- قَالُوا أَرْجِهْ وَ أَخَاهُ... (٧) أى أخر أمرهما لوقت اجتماع السحرة وَ ابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (٨) أرسل إلى أنحاء مملكتك جميع خدمك يأتوك بكل سحرٍ عليهم (٩) يجمعون السحرة الحاذقين فى صنعهم.

٣٨- فَجَمَعَ السَّحْرَةَ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ... (١٠) أى لوقت معين، و كان هو وقت الصّحى يوم الزينه أى يوم عيدهم كما فى سوره طه.

٣٩- وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ... (١١) أى قال للناس بعض خدمه بأمره، و يحتمل أن يكون القائل هو فرعون مباشرة، و لكنّه خلاف الظاهر.

و الحاصل أن القائل حثهم على الاجتماع. و لعل الاستفهام تقريرى معناه بادروا إليه.

٤٠- لَعَلْنَا نَتَّبِعَ السَّحْرَةَ... (١٢) أى نتبعهم فى دينهم إن كانوا هم الغالبين (١٣) يستشعر من الكريمه أن دين السحرة كان على غير ما كان عليه فرعون و أتباعه. و من الغريب أن من كان يدعى الربوبيه، بل يعتبر نفسه

ص: ١٧٨

١- سوره ٢٦ - آيه ٣٤

٢- سوره ٢٦ - آيه ٣٥

٣- سوره ٢٦ - آيه ٣٥

٤- سوره ٢٦ - آيه ٣٥

٥- سوره ٧٩ - آيه ٢٤

٦- سوره ٢٦ - آيه ٣٥

٧- سوره ٢٦ - آيه ٣٦

٨- سوره ٢٦ - آيه ٣٦

٩- سوره ٢٦ - آيه ٣٧

١٠- سوره ٢٦ - آيه ٣٨

۱۱- سوره ۲۶ - آیه ۳۹

۱۲- سوره ۲۶ - آیه ۴۰

۱۳- سوره ۲۶ - آیه ۴۰

أعلى الأرباب، نراه تاره يحتاج إلى قومه فيستشيرهم في أمر خصمه ولا يعرف تكليفه ولا كيف يتصرف معه، وأخرى يتدبّر بدین غیره فیظهر أنه إما لا دین له أو انه مستقرّ علی عقیده. وهذا الربّ، من حيث عجزه و عدم قدرته علی دفع المضرات عن نفسه مشابه للربّ الذی یقول فیہ الشاعر:

و ربّ یبول الثعلبان برأسه الأذلّ من بالت علیه الثعالب

و قیل فی الآیه الشریفه: كأنّ المقصود الأصلي: أن لا تتبعوا موسى، و لیس: أن لا تتبعوا السحره، فساقوا الكلام مساق الكنايه، و هذا خلاف الظاهر.

سوره الشعراء (٢٦): الآيات ٤١ إلى ٤٢

فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَإِنَّا لَنَأْجُرُكَ إِنَّا كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ (٤١) قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٤٢)

٤١- فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا... (١) أي حين اجتمعوا سألوا فرعون قائلين أَإِنَّ لَنَا لَأَجْرًا (٢) هل تعطينا أجره على عملنا، أو هل يكون لنا من ثواب عندك إِذْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ (٣) إن انتصرنا بسحرنا على ما جاء به موسى من آيات ربه؟ ٤٢- قَالَ نَعَمْ وَ إِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ... (٤) أي: نعم أمنحكم أجر كثيرا، و مضافا الى ذلك ألتمم لك بالقربى عندى إن غلبتم؛ و قد قال ذلك لهم تأكيدا و إغراء.

ص: ١٧٩

١- سوره ٢٦ - آيه ٤١

٢- سوره ٢٦ - آيه ٤١

٣- سوره ٢٦ - آيه ٤١

٤- سوره ٢٦ - آيه ٤٢

قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ (٤٣) فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ (٤٤) فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ (٤٥) فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ (٤٦) قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٧) رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ (٤٨)

٤٣- قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ... (١) فبعد الاجتماع و اكمال المشاورات بين فرعون و السحرة قال موسى للسحرة: هاتوا ما عندكم من سحر و أظهروا للناس غايه ما تصنعون من الشعوذه. و بتقديم سحرهم على الآيات التي يحملها من ربه أظهر موسى عليه السلام ضعف ما عندهم لأنه تحداهم و استصغر شأن ما عندهم.

٤٤- فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ... (٢) أى رموا حبالهم التي ارمىوها فى الزئبق و بعض الأدوية المعموله لأهل هذا الفن المعصى المموهه بالسحر المجوفه المملؤه بالزئبق التي خلوها فى الشمس فلما طلعت عليها و أثرت فيها الحراره تحركت جميعها كل واحد إلى ناحيه فخاف الناس بأجمعهم و صاحوا من الدعر حيث سحروا أعينهم فكانوا يرون حيات عظيمه و أفاعى كبيره مهوله فأظهروا كمال قدرتهم و أتوا بأقصى ما يمكن أن يؤتى فى السحر.

و لفرط اعتقادهم بسحرهم أقسموا و قالوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ (٣) أكدوا معتقدهم بالحلف و لام التأكيد و هذا الحلف من قسم عهد الجاهليه.

٤٥- فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ... (٤) أى تتبلع ما يَأْفِكُونَ (٥) أى ما يقبلونه عن وجهه الطيبعى بتمويههم و تزويرهم أى ما كانوا يَأْفِكُونَ (٦).

٤٦- فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ... (٧) أى خروا ساجدين. و إنما عبر عن

ص: ١٨٠

١- سورة ٢٦ - آيه ٤٣

٢- سورة ٢٦ - آيه ٤٤

٣- سورة ٢٦ - آيه ٤٤

٤- سورة ٢٦ - آيه ٤٥

٥- سورة ٢٦ - آيه ٤٥

٦- سورة ٢٦ - آيه ٤٥

٧- سورة ٢٦ - آيه ٤٦

الخرور بالإلقاء ليشاكل ما قبله من الالتفات المذكوره. و أما وجه إيمانهم فلعلمهم بأن مثله لا يتأتى بالسحر لأن السحر ليس إلا إخراج الباطل فى صورته الحق، أو الخدع و التخيالات و الحيل التى يفعلها الإنسان مستعينا فى تحصيله بالتقرب من الشيطان، و لا يستقل به الإنسان خلافا لما يفعله المؤمن حين يستعين فى تحصيله بالرحمان فإن له واقعيه و حقيقه و (التميز بيد أهله).

٤٧ و ٤٨- قالوا آمنا برب العالمين... (١) إما بدل اشتغال من فألقى (٢) أو حال من السحره. و معناه إظهار إيمانهم بالله عز و جل.

و كذلك قوله تعالى: رب موسى و هارون فإنه منهم (٣) فإنه منهم إما على سبيل الإبدال أو عطف بيان توضيحا و دفعا للتوهم و إشعارا بأن الموجب للإيمان هو ما جرى على يدى موسى و هارون لا غيره.

سوره الشعراء (٢٦): الآيات ٤٩ الى ٥١

قال آمنتم له قائل أن آذن لكم إنه لكبيركم الذى علمكم السحر فسوف تعلمون لاقطعن أيديكم و أزجلكم من خلاف و لأصلبكم أجمعين (٤٩) قالوا لا ضمير إنا إلى ربنا منقلبون (٥٠) إنا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا أن كنا أول المؤمنين (٥١)

٤٩- قال آمنتم له قائل أن آذن لكم... (٤) أى بلا- إذن منى و إجازة لكم إنه لكبيركم الذى علمكم السحر (٥) أى أنه رئيسكم الذى تعلمتم منه السحر و هو علمكم بعض أقسامه دون بعض و لذا غلبكم، أو أنكم تواطأتم عليه. فأراد بقوله هذا التلبس على قومه بكون ما جاء به موسى معجزه كى لا- يعتقدوا أنهم آمنوا على بصيره و ظهور حق فسوف تعلمون (٦) و بال أمركم بإيمانكم فخوفهم بهذا القول ثم أوضحه بقوله:

ص: ١٨١

١- سوره ٢٦ - آيه ٤٧

٢- سوره ٢٦ - آيه ٤٦

٣- سوره ٢٦ - آيه ٤٨

٤- سوره ٢٦ - آيه ٤٩

٥- سوره ٢٦ - آيه ٤٩

٦- سوره ٢٦ - آيه ٤٩

٤٩- قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ... (١) أى بلا- إذن منى و إجازته لكم إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ (٢) أى أنه رئيسكم الذى تعلمتم منه السحر و هو علمكم بعض أقسامه دون بعض و لذا غلبكم، أو أنكم تواطأتم عليه. فأراد بقوله هذا التلبس على قومه بكون ما جاء به موسى معجزه كى لا- يعتقدوا أنهم آمنوا على بصيره و ظهور حق فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (٣) و بال أمركم بإيمانكم فخوفهم بهذا القول ثم أوضحه بقوله:

لَمَّا قَطَعْنَا أَيْدِيَكُمْ وَ أَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافِ (٤) الآيه و المراد بالخلاف: أقطع من كل شق طرفاً، أى اليد اليمنى و الرجل اليسرى، أو بالعكس وَ لَأَصْلَبُنَّكُمْ أَجْمَعِينَ (٥) أعلقكم على الأخشاب بعد قتلكم.

٥٠- قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ... (٦) أى لا يضرنا ذلك فافعل بنا ما شئت فإنه ألم ساعه ثم إلى النعيم الدائم الذى ليس له زوال و لا فناء، فعذابك لنا ليس ضرراً علينا بل هو موجب لمنفعه أبدية و سرور و بهجه سرمدية إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ (٧) راجعون إلى ثوابه بعد الموت، و هذا تعليل لنفى الضير.

٥١- إِنَّا نَطْمَعُ... (٨) أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ... (٩) أى لأن كنا أول المؤمنين و هو تعليل ثان لنفى الضير أو لما قبله أما كونهم أول المؤمنين فيحتمل أن يكون المراد، فى زمانهم أو من قوم فرعون و رعاياه. ثم إن فرعون أمر بقطع أيديهم اليمنى و أرجلهم اليسرى و بالصلب فتأثر موسى كثيراً بحيث بكى عليهم و لكن الله تعالى أراه منازل قربهم و درجاتهم فى الجنة تسليه له عليه السلام فمكث موسى بعد هذا مدته بينهم، و كان يدعوهم إلى ربّه فلم ينفعهم، بل زاد عنادهم و جحودهم حتى قرب زمان إهلاكهم، فصدر أمر الله إليه بالخروج من مصر مع من آمن به.

سورة الشعراء (٢٦): الآيات ٥٢ الى ٥٩

وَ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِلَيْكُمْ مُتَّبِعُونَ (٥٢) فَأَرْسَلْنَا فِرْعَوْنَ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (٥٣) إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ (٥٤) وَ إِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ (٥٥) وَ إِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ (٥٦) فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَ عَيْوُنٍ (٥٧) وَ كُنُوزٍ وَ مَقَامٍ كَرِيمٍ (٥٨) كَذَلِكَ وَ أَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ (٥٩)

ص: ١٨٢

١- سورة ٢٦ - آيه ٤٩

٢- سورة ٢٦ - آيه ٤٩

٣- سورة ٢٦ - آيه ٤٩

٤- سورة ٢٦ - آيه ٤٩

٥- سورة ٢٦ - آيه ٤٩

٦- سورة ٢٦ - آيه ٥٠

٧- سورة ٢٦ - آيه ٥٠

٨- سورة ٢٦ - آيه ٥١

٥٢- وَ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى... (١) فَبَعْدَ سَنِينَ أَقَامَهَا بَيْنَهُمْ يَدْعُوهُمْ بِالآيَاتِ إِلَى الْحَقِّ فَلَمْ يَجِيبُوهُ أَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي (٢) هَذِهِ الْجُمْلَةُ بَيَانٌ لِمَا أَوْحَى إِلَى قَلْبِنَا لِمُوسَى بِطَرِيقِ الْوَحْيِ وَالْإِلْهَامِ: أَخْرَجَ مِنْ مِصْرَ أَنْتَ وَمَنْ آمَنَ بِكَ لَيْلًا إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ (٣) أَيُّ أَنَّ فِرْعَوْنَ وَجُنُودَهُ يَتَّبِعُونَكُمْ وَيَتَعَقِبُونَكُمْ، لَكِنْ لَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمْ.

٥٣- فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمِدَائِنِ حَاشِرِينَ... (٤) أَيُّ بَعَثَ الْجُنُودَ وَالْخُدُمَ لِيَحْشُرُوا إِلَيْهِ النَّاسَ وَيَجْمَعُوا الْجَيْشَ لِيَقْبِضُوا عَلَى مُوسَى وَقَوْمِهِ. وَلَمَّا حَضَرُوا عِنْدَهُ قَالَ لِلْقَوْمِ:

٥٤- إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ... (٥) قَلِيلُونَ: جَمْعٌ قَلِيلٍ. وَ الشَّرْذِمَةُ هِيَ الطَّائِفَةُ الْقَلِيلَةُ وَ ذَكَرَ قَلِيلُونَ (٦) لِلتَّأْكِيدِ. اسْتَقْلَمَهُمُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى جَيْشِهِ إِذْ كَانَ أَلْفَ مَلِكٍ مَعَ كُلِّ مَلِكٍ أَلْفٌ، وَ كَانَ قَوْمُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامِ سِتْمَائَةَ وَ سَبْعِينَ أَلْفًا، وَ

عَنِ الْبَاقِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: عَصَبُهُ قَلِيلُهُ، وَ فَسَّرَ الشَّرْذِمَةَ بِالْعَصَبِ الْقَلِيلِ.

٥٥- وَ إِنَّهُمْ لَنَا لَعَائِظُونَ... (٧) أَيُّ لِفَاعِلُونَ مَا يَغِيظُنَا إِذَا بِالْمَعَاجِزِ وَالْآيَاتِ الَّتِي يَعْبِزُ فِرْعَوْنَ عَنِ الْإِتْيَانِ بِمِثْلِهَا، أَوْ بِمَا يُقَالُ مِنْ أَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ اسْتَعَارُوا مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ الْحَلِيَّ وَ الْأَلْبَسَةَ الْفَاخِرَةَ بِعِنَانٍ أَنَّ لَهُمْ عِيدًا فَلَمَّا نَزَلَ الْأَمْرُ بِالْإِسْرَاءِ سَارُوا مِنْ دُونِ أَنْ يَرُدُّوا عَلَيْهِمْ مَا اسْتَعَارُوا مِنْهُمْ.

٥٦- وَ إِنَّا لَجَمِيعٌ حَازِرُونَ... (٨) أَيُّ شَاكُونَ فِي السِّلَاحِ وَ مَعْدُونٌ لِلْقِتَالِ، أَوْ مَعْنَى حَازِرُونَ مِنَ الْحَذَرِ أَيُّ الْخَوْفِ أَوْ اسْتِعْمَالِ الْحِزْمِ فِي الْأُمُورِ وَ التِّيْقِظِ. ثُمَّ أَخْبَرَ تَعَالَى عَنْ كَيْفِيَّتِهِ إِهْلَاكِهِمْ بِقَوْلِهِ:

٥٧ وَ ٥٨- فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَ عُيُونٍ... (٩) أَيُّ جَعَلْنَا فِيهِمْ دَاعِيَةً

ص: ١٨٣

١- سورة ٢٦ - آية ٥٢

٢- سورة ٢٦ - آية ٥٢

٣- سورة ٢٦ - آية ٥٢

٤- سورة ٢٦ - آية ٥٣

٥- سورة ٢٦ - آية ٥٤

٦- سورة ٢٦ - آية ٥٤

٧- سورة ٢٦ - آية ٥٥

٨- سورة ٢٦ - آية ٥٦

٩- سورة ٢٦ - آية ٥٧

الخروج حتى خرجوا من بساتين مملوءه من الأشجار ذات الثمار وَ عَيْونٍ (١) جاريه فيها وَ كُنُوزٍ (٢) أموال من ذهب و فضّه وَ مَقَامٍ كَرِيمٍ (٣) أى منازل حسنه و مجالس بهيّه.

٥٩- كَذَلِكَ وَ أَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ... (٤) أى مثل ذلك الإخراج الذى وصفناه أو أمرهم كما وصفناه وَ أَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ (٥) ذلك أنّ الله ردّ بنى إسرائيل إلى مصر بعد ما أغرق فرعون و قومه، و أعطاهم جميع ما كان لفرعون و قومه من الأموال و المساكن و العقار و الدّيار.

سوره الشعراء (٢٦): الآيات ٦٠ الى ٦٨

فَأَتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ (٦٠) فَلَمَّا تَرَاءَ الْجَمْعَانِ قَالَ أَضْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ (٦١) قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ (٦٢) فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ (٦٣) وَ أَرْزَلْنَا ثُمَّ الْآخَرِينَ (٦٤) وَ أَنْجَيْنَا مُوسَى وَ مَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ (٦٥) ثُمَّ أَعْرَفْنَا الْآخَرِينَ (٦٦) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَ مَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (٦٧) وَ إِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٦٨)

٦٠- فَأَتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ... (٦) يعنى قوم فرعون أدركوا موسى و أصحابه حين أشرقت الشمس و ظهر و علا ضوءها، و ذلك أنّهم لحقوا بهم سائرين نحو المشرق.

٦١- فَلَمَّا تَرَاءَ الْجَمْعَانِ... (٧) أى تقابلا بحيث كل فريق يرى الآخر، قال قوم موسى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ (٨) أى لحق بنا قوم فرعون و كادوا يدركوننا و يصلون إلينا. أى سيدر كنا جمع فرعون و لا طاقة لنا بهم.

ص: ١٨٤

- ١- سوره ٢٦ - آيه ٥٧
- ٢- سوره ٢٦ - آيه ٥٨
- ٣- سوره ٢٦ - آيه ٥٨
- ٤- سوره ٢٦ - آيه ٥٩
- ٥- سوره ٢٦ - آيه ٥٩
- ٦- سوره ٢٦ - آيه ٦٠
- ٧- سوره ٢٦ - آيه ٦١
- ٨- سوره ٢٦ - آيه ٦١

٦٢- قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ... (١) أى قال موسى ثقه بنصر الله:

كَلَّا (٢) هذه ردع، أى لن يدركونا ولا- يكون ما تظنون، فإن الله وعدكم الخلاص و النجاه منهم إِنَّ مَعِيَ رَبِّي (٣) بنصره و بالحفظ من فرعون و قومه سَيَهْدِينِ (٤) إلى سبيل النجاه كما وعدنى، و لا خلف لوعده ربى، و لا يخفى على ذى البصائر و أهل التحقيق أن موسى قدّم كلمه مَعِيَ (٥) فى كلامه فى المقام و

سيد الرسل نبينا محمد صلى الله عليه و آله أخرها و قال: إِنَّ اللَّهَ معنا. و الوجه فيه أَنَّ الكليم نظر من خلال نفسه الى ربه، و هذا مقام المريد فى كتاب العرفان و نظر العارف و أمّا نبينا صلى الله عليه و آله فنظر من خلال الحق الى نفسه و هذا مقام المراد و مرتبه بالنسبه إلى المريد و هو أعلى و أنبل. و لعلّ الوجه أَنَّ هذه المرتبه هى عبارته عن قوس النزول بعد ما فرغ عن الصعود و أخذ الفيض من المبدأ الأعلى بخلاف المقام الأول منه.

٦٣- فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ... (٦) أى ب أَنْ اضْرِبْ (٧) أو (أى اضرب) و هى بيان لما أوحى، و الْبَحْرَ (٨) نهر النيل الذى هو بين أيله و مصر فأنفلق (٩) أى ضربه فانشق فبرز إثنا عشر مسلكا فكانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطُّودِ الْعَظِيمِ (١٠) أى كل قطعه فرقت عن أخرى كالجبل الشامخ الراسى، فسلك كل سبط مسلكا.

٦٤ و ٦٥ و ٦٦- وَ أَرْزَلْنَا تَمَّ الْأَخْرِينَ... (١١) أى قَرَبْنَا هُنَاكَ، فى المكان الذى انشق من البحر الْأَخْرِينَ (١٢) هم فرعون و قومه و جنوده حتّى سلكوا جميعا مسلک بنى إسرائيل و قيل أزلنا: جمعناهم حوالى ذلك الموضع المشقوق. ثم إن فرعون لما وصل إلى ساحل البحر و نظر إلى انشقاق البحر إلى اثنى عشر مسلكا بهذه الكيفيه التى تحيّر العقول البشرى بهت الذى كفر: و لما أراد أن يدخل البحر قال له هامان وزيره مساره أنت تدرى أن هذا من معاجز موسى و بدعائه، فالحذر من أن تدخله فتهلك نفسك و جنودك و لكنه لما أراد أن ينصرف جاءه جبرائيل و قد ركب على بردونه من براذين الجنّه و جاز قدام فرس فرعون، فلما استشم رائحه البرذونه و قد دخل

ص: ١٨٥

١- سورة ٢٦ - آيه ٦٢

٢- سورة ٢٦ - آيه ٦٢

٣- سورة ٢٦ - آيه ٦٢

٤- سورة ٢٦ - آيه ٦٢

٥- سورة ٢٦ - آيه ٦٢

٦- سورة ٢٦ - آيه ٦٣

٧- سورة ٢٦ - آيه ٦٣

٨- سورة ٢٦ - آيه ٦٣

٩- سورة ٢٦ - آيه ٦٣

١٠- سورة ٢٦ - آيه ٦٣

۱۱- سوره ۲۶ - آیه ۶۴

۱۲- سوره ۲۶ - آیه ۶۴

جبرائيل البحر، فلم يتمالك فرعون من إمساك عنان الفرس و قد ذهب عنان الاختيار من يده فأدخله الفرس البحر فاتبعه جنوده. فلما خرج موسى و من معه من البحر و دخله فرعون و جميع جنوده غشيهم البحر فأغرقوا جميعا. و هذا معنى قوله عزّ من قائل: **وَ أَنْجَيْنَا مُوسَى (١) - إلى قوله - ثُمَّ أَعْرَقْنَا الْآخَرِينَ (٢)**.

٦٧ و ٦٨- **إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً... (٣)** أى آية آية للاعتبار لكن أسفا و ألف أسف لعدم المعتبر و ما كان أكثرهم مؤمنين (٤) هذا معنى عله عدم آية الآيه لهم لأنهم غير مؤمنين على الأ-كثر. و الآيه آية لأهل الإيمان فإنهم هم المتنبهون و المعتبرون بالآيه و المعجزه. و لكن ما تتبه لها أكثر بنى إسرائيل إذ بعد ما نجوا سألوا بقره يعبدونها لأنهم رأوا بعد خروجهم من البحر جماعه على ساحله كانوا يعبدون البقر؛ هذا أولا، و ثانيا اتخذوا العجل، و ثالثا قالوا لن تؤمن حتى نرى الله جهره، فاعترفوا و أقروا بعدم إيمانهم بتلك الآيه العظيمه من إغراق فرعون و قومه بتلك الكيفيه المحيره لذوى الألباب. و فى الخبر عن القمى: فلما دخل فرعون و قومه كلهم البحر، و دخل آخر رجل من أصحابه و خرج أصحاب موسى، أمر الله عزّ و جلّ الرياح فضربت البحر بعضه ببعض فأقبل الماء يقع عليهم مثل الجبال، فقال فرعون عند ذلك آمنت أنه لا إله إلا الذى آمنت به بنو إسرائيل و أنا من المسلمين، فأخذ جبرائيل كفا من حمأ فسدّها فى فيه ثم قال: الآن و قد عصيت قبل و كنت من المفسدين؟ أى هو المنتقم من أعدائه و الرّحيم بأوليائه. و هذه الكريمه تسليه لنبيّه صلواته عليه و آله، أى يا محمد إن قومك و إن لم يؤمنوا بك مع ذلك التعب الشديد، فليس هذا بأمر بديع و أول قاروره كسرت فى الإسلام، لأن قوم موسى مع تلك الآيات الباهره لم يؤمنوا به، و كذلك غيره من الرّسل. فلا- تتأثر كثير تأثر و **إِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ (٥)** إلخ... فى الكافى عن الصّيدق عليه السلام قال: إن قوما ممن آمن بموسى قالوا: لو أتينا عسكر فرعون و كنا فيه و نلنا من دنياه، فإذا كان الذى نرجوه من ظهور موسى صرنا إليه. ففعلوا، فلما توجه موسى و من معه هارين من فرعون ركبوا دوابهم

ص: ١٨٦

- ١- سورة ٢٦ - آيه ٦٥
- ٢- سورة ٢٦ - آيه ٦٦
- ٣- سورة ٢٦ - آيه ٦٧
- ٤- سورة ٢٦ - آيه ٦٧
- ٥- سورة ٢٦ - آيه ٦٨

و أسرعوا فى السير ليلحقوا بموسى و عسكره فيكونوا معهم، فبعث الله ملكا فضرب وجوه دوابهم فردهم إلى عسكر فرعون فكانوا فى من غرق مع فرعون.

سوره الشعراء (٢٦): الآيات ٦٩ الى ٧٤

وَ أَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ (٦٩) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَ قَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ (٧٠) قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَّلُ لَهَا عَاكِفِينَ (٧١) قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ (٧٢) أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يُضُرُّونَ (٧٣) قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ (٧٤)

٦٩ و ٧٠- وَ أَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ... (١) أى اقرأ يا محمد على مشركى العرب خبر إبراهيم، فإنه أبو الأنبياء و به افتخار العرب، و فيه تسليه لك و عظه لقومك: إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَ قَوْمِهِ (٢) أى لعمه آزر، و إطلاق الأب عليه بلحاظ الترييه و الإشفاق و المراد بالقوم هم أهل بابل: مَا تَعْبُدُونَ (٣) من دون الله. و الاستفهام على وجه الإنكار عليهم، أى أن ما تعبدونه لا يستحق العباده.

٧١- قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا... (٤) هذا هو الجواب و كان كافيا. فإطاله الجواب لبيان ابتهاجهم و إظهار ما فى نفوسهم من الافتخار بعبادتها فَنَظَّلُ لَهَا عَاكِفِينَ (٥) أى ثابتين على الصيلاه لها. و عن ابن عيَّاس أن العاكفين بمعنى المصلين، أو معناه فنظل: فنقوم ملازمين للأصنام. و على أى من المعنيين سألهم ثانيا:

٧٢ و ٧٣- قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ... (٦) أى هل يستجيبون لدعائكم إذا دعوتموهم أو يضرون إن تركتم عبادتهم؟ و فى هذا بيان أن الدين إنما يثبت

ص: ١٨٧

- ١- سوره ٢٦ - آيه ٦٩
- ٢- سوره ٢٦ - آيه ٧٠
- ٣- سوره ٢٦ - آيه ٧٠
- ٤- سوره ٢٦ - آيه ٧١
- ٥- سوره ٢٦ - آيه ٧١
- ٦- سوره ٢٦ - آيه ٧٢

بالحجّه و البرهان و لو لا ذلك لم يحاجّهم إبراهيم هذا الحجاج.

٧٤- قَالُوا بَلْ وَحَيْدُنَا آبَاءَنَا... (١) أَعْرَضُوا عَنْ جَوَابِ سُؤَالِهِ وَ تَمَسَّكُوا بِالتَّقْلِيدِ حَيْثُ إِنَّهُمْ مَا كَانَ عِنْدَهُمْ جَوَابٌ عَنْ سُؤَالِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَلْ لَا جَوَابَ عَلَيْهِ لِأَحَدٍ وَلَا حُجَّةَ وَلَا بُرْهَانَ لِدِينِهِمْ أَبَدًا.

سوره الشعراء (٢٦): الآيات ٧٥ الى ٨٢

قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ (٧٥) أَنْتُمْ وَ آبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ (٧٦) فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ (٧٧) الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (٧٨) وَ الَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَ يَسْقِينِي (٧٩) وَ إِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (٨٠) وَ الَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ (٨١) وَ الَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَعْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ (٨٢)

من ٧٥ إلى ٧٩- قَالَ... (٢) فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي... (٣) أَى مَا تَعْبُدُونَ أَنْتُمْ وَ آبَاؤُكُمْ خَصْمٌ لِي. وَ إِنَّمَا وَصَفَهَا بِالعِدَاوَةِ وَ الخِصْمَةِ الَّتِي لَا- تَكُونُ إِلَّا- مِنَ الْعُقَلَاءِ وَ ذَوَى الْأَفْهَامِ (وَ عَلَى زَعْمِهِمْ سِوَاءُ كَانَتْ شَفَعَاءَهُمْ أَوْ شُرَكَاءُ اللَّهِ أَوْ كَانُوا آلِهَةً كَمَا تَزْعُمُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ) فَعَلَى جَمِيعِ الْمَذَاهِبِ فَإِنَّ عِبَادَةَ الْأَصْنَامِ يَعَامِلُونَ مَعَهَا مَعَامِلَةَ ذَوَى الْأَفْهَامِ وَ الْعُقُولِ وَ لِذَا فَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ يَحَاجُّونَهُمْ عَلَيْهَا وَ يَفْحَمُونَهُمْ، وَ مِنْ تِلْكَ الْجِهَةِ رَأَيْنَا إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ: فَسَلُّوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ (٤) وَ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ (٥) وَ بِهَذَا الْمَضْمُونِ احْتِجَّ سَائِرُ الْأَنْبِيَاءِ عَلَى عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ فِي كُلِّ عَصْرٍ، فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: فَإِنَّهُمْ، فَجَمَعَ جَمَعَ الْعُقَلَاءِ بِهَذَا الْاِعْتِبَارِ، أَى بِنَاءِ عَلَى زَعْمِهِمْ وَ عِقَائِدِهِمُ الْفَاسِدَةِ الصَّادِرَةِ عَنْ غَيْرِ شَعُورٍ وَ لَا- رُؤْيَةٍ وَ بِالْجُمْلَةِ فَلَا- نَحْتَاجُ إِلَى بَعْضِ التَّأْوِيلَاتِ الَّتِي هِيَ خِلَافُ ظَاهِرِ الشَّرِيفَةِ. وَ يَحْتَمِلُ إِرْجَاعَ الضَّمِيرِ إِلَى الْآبَاءِ، وَ وَجْهٌ

ص: ١٨٨

١- سوره ٢٦ - آيه ٧٤

٢- سوره ٢٦ - آيه ٧٥

٣- سوره ٢٦ - آيه ٧٧

٤- سوره ٢١ - آيه ٦٣

٥- سوره ٢٦ - آيه ٧٢

عداوتهم له عليه السلام أنهم صاروا سبباً لإضلال أبنائهم الذين كانوا معاصرين له عليه السلام و كانوا عدواً له،(فلما كان منشأ عباده الأبناء للأصنام هو الآباء كما استدلوا به فهم صاروا منشأ للعداوة الناشئة عن العبادة الباطلة.و على التقديرين قوله عليه السلام إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ (١) استثناء منقطع على احتمال الأول الذى هو الأظهر فى النظر و متصل على الثانى،و لعل الوجه فى هذا التعبير من دون عكسه بأن يقول:فإني عدو لهم لأنه أنفع فى النصح و ادعى للقبول. ثم أنه عليه السلام أخذ فى بيان أوصاف ربه إتماماً للحجّة على خصمائه حيث إن تلك الأوصاف لا- توجد إلا- فيه تعالى فمنها الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (٢) إلى المنافع الدنيوية و الآخروية.و هاهنا نكته و هو أن قوله الَّذِي خَلَقَنِي (٣) ذكره بلفظ الماضى و يَهْدِينِ (٤) بلفظ المستقبل،و السبب فى ذلك أن خلق الذات لا يتجدد فى الدنيا فحينما توجد تبقى إلى الأجل المعلوم،و أما هدايتها فهي تتكرر كل حين و أوان سواء كان ذلك هداية الى المنافع الدنيوية أو الدينية و على ضروب الهدايات فى كل لحظة و لمحّة. و مثل ذلك يُطْعِمُنِي وَ يَسْقِينِي (٥) ... إلى أن قال:

٨٠- وَ إِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ... (٦) و إنما غير أسلوب كلامه الرفيع و لم ينسب المرض إليه تعالى كما نسب الخلق و الهداية و الإطعام و السقاية إليه سبحانه،بل نسبه الى نفسه عليه السلام لأنه فى غالب الأمر انما يحدث المرض بإسراف الإنسان و تفريطه فى مطاعمه و مشاربه.أو ان هذا كان لوجه حسن الأدب فإنه فى مقام تعداد النعم و ليس المرض منها.و أما مسأله الموت فسيجىء الجواب عنها بقوله:

٨١- وَ الَّذِي يُمِيتُنِي تُحْيِينِي... (٧) عدّ الموت من النعم و لذا أضافه إلى الله سبحانه،لأنه لأهل الكمال وصله إلى الحياه الباقية،و سبب إلى نيل العطايا التى تستحق دونها الحياه الدنيوية،و واسطه للخلاص من أنواع المحن و البلايا،فهو نعمه و إن كانت مقدمته المرض الذى هو توأم مع الآلام

ص: ١٨٩

١- سورة ٢٦ - آيه ٧٧

٢- سورة ٢٦ - آيه ٧٨

٣- سورة ٢٦ - آيه ٧٨

٤- سورة ٢٦ - آيه ٧٨

٥- سورة ٢٦ - آيه ٧٩

٦- سورة ٢٦ - آيه ٨٠

٧- سورة ٢٦ - آيه ٨١

و الأوجاع التي هي نغمه قد لا يقاس الموت بها بالأولويه و قوله ثُمَّ يُحْيِيهِ (١) أى فى الآخره.

٨٢- وَ الَّذِى أَطْمَعُ أَنْ يَعْفِرَ لِي... (٢) ذكر ذلك لأن استغفار الأنبياء عليهم السلام تواضع منهم لربهم و هضم لأنفسهم الشريفة و تعليم للأمم باجتنب المعاصى و إلا فلم تكن له خطيئه صلوات الله عليه.

سوره الشعراء (٢٦): الآيات ٨٣ الى ٨٩

رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَ أَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ (٨٣) وَ اجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِى الْآخِرِينَ (٨٤) وَ اجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ الْجَنَّةِ النَّعِيمِ (٨٥) وَ اعْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ (٨٦) وَ لَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ (٨٧) يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَ لَا بَنُونَ (٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٩)

٨٣- رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا... (٣) أى كمالا فى العمل و العلم حتى أستعدّ به للخلافه الحقه و القدره للرياسه على الخلق وَ أَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ (٤) فإنه عليه السلام بعد أن أثنى على الله تعالى دعا لنفسه الزكيه و ذلك تنبيه على أن تقديم الثناء على الدعاء من المهمات، بل من الشرائط التي لها دخل فى مقام الإجابه و لعل هنا يختلج بالبال أن إبراهيم لم لم يقتصر على الثناء لأنه مروى عنه علمه بحالى حسبى عن سؤالى؟ قلنا إن للأنبياء حالتين: حاله دعوه الخلق و تعليم البشر، و هنا يكون النبى مشتغلا بالثناء ثم الدعاء تعليما لهم، و حاله أخرى و هى حينما يخلو بنفسه مع الله تعالى يقتصر على قوله:

حسبى عن سؤالى علمه بحالى. و إنما قدّم قوله: رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا (٥)، لأن قوه النظرية مقدمه على القوه العلميه ذاتا و شرفا، و العلم صفه الروح و العمل صفه الجسم. و كما أن الروح أشرف من البدن فكذلك العلم

ص: ١٩٠

- ١- سوره ٢٦ - آيه ٨١
- ٢- سوره ٢٦ - آيه ٨٢
- ٣- سوره ٢٦ - آيه ٨٣
- ٤- سوره ٢٦ - آيه ٨٣
- ٥- سوره ٢٦ - آيه ٨٣

أشرف من العمل. وقيل إن المراد بالحكم هو النبوه. و ردّ بأنه دعا ربّه بهذا حين ما كان نبياً، و تحصيل الحاصل محال. بل المراد كما قلنا كمال القوه العلميه و النظرية، أى زدنى علما إلى علمى. كما أن المراد بقوله وَ أَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ (١) كمال القوه العمليه ليتنظم به فى عداد الكاملين فى الصلاح.

و فى هذا الدعاء دلالة على عظم شأن الصلاح الذى هو عبارته عن الاستقامه فيما أمر الله تعالى عباده به، أى كون القوه العاقله متوسطه بين الإفراط و التفريط. فالصلاح لا يحصل إلا بالاعتدال. و لما كان الاعتدال الحقيقى أمرا مشكلا لا يحصل إلا للأوحدى من الناس حيث لا ينفك البشر نوعا عن الخروج عن ذلك الجد، لذا أظهر إبراهيم احتياجه و استمدّ من الله سبحانه تحصيل هذه القوه بهذا القول وَ أَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ (٢) أى بالموفقين لتحصيل تلك القوه العمليه، يعنى الذين حصلت لهم القوه بكمالها و أعلى مراتبها. و من هذا البيان ظهر لك معنى: حسنات الأبرار سيئات المقربين.

٨٤- وَ اجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ... (٣) أى الذين يعقبوننى و يوجدون بعدى إلى يوم القيامة، يعنى اللهم اجعل لى جاها و حسن صيت على وجه الدهر و إلى الأبد. و لذلك فإنه ما من أمة إلا و هم محبّون له مثنون عليه. و

عن الصادق عليه السلام: لسان الصّدق للمرء يجعله فى الناس خيرا له من المال يأكله و يورثه. و قيل سأل ربه أن يجعل من ذريته فى آخر الزمان من يكون يجدد أصل دينه و يدعو الناس إلى الحق، و هو محمد و علىّ و الأئمة المعصومون عليهم السلام.

٨٥- وَ اجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ... (٤) أى ممّن يعطاها فى الآخرة، و قد مضى معنى الوراثه فى سوره (المؤمنون) و

أن النبىّ صلى الله عليه و آله قال: ما منكم من أحد إلا و له منزلان منزل فى الجنه و منزل فى النار فإن مات و دخل النار ورث أهل الجنه منزله. و يستفاد من الروايه أن العكس بالعكس. و بهذا المعنى روايات كثيره.

٨٦- وَ اغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ... (٥) بالهدايه و الإيمان لأنه كان من

ص: ١٩١

١- سوره ٢٦ - آيه ٨٣

٢- سوره ٢٦ - آيه ٨٣

٣- سوره ٢٦ - آيه ٨٤

٤- سوره ٢٦ - آيه ٨٥

٥- سوره ٢٦ - آيه ٨٦

المنحرفين عن طريق الحق والغافلين عن سبيل الصواب. و وصفه بالضال مشعرا بأن كفره كان عن جهل لا عن عناد و جحد. و أما وجه استغفاره لعمه لأن عمه وعده بالايان به كما فى قوله تعالى: وَ مَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَّهَا إِيَّاهُ (١) ، و إن كان بعد موته لظنه بأنه آمن و أخفى إيمانه خوفا من نمرود و أتباعه. و الحاصل الأنبياء أعلم بما يفعلون.

٨٧ الى ٨٩- وَ لَا- تُخْزِنِي يَوْمَ يُنْعَثُونَ... (٢) أى لا تهنى و لا تفضحنى بأمر صدر عني و أنت ما كنت راضيا بصدوره عنى و لو غفله كترك شىء كان الأولى عدم تركه أو فعل شىء كان الأولى تركه. و يمكن حمله على التواضع و خصوصا فى يوم لا ينفع فيه مال و لا بنون

إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٣) من الشرك و من حب الدنيا على ما فى الروايه ، و يؤيده

قول النبى (ص): حب الدنيا رأس كل خطيئه. أو المراد منه هو صاحب النيه الخالصه أو الصادقه كما فى الروايه.

سوره الشعراء (٢٦): الآيات ٩٠ الى ٩٥

وَ أَرْزَلْتِ الْجَنَّةَ لِلْمُتَّقِينَ (٩٠) وَ بَرَّزْتَ الْجَحِيمَ لِلْغَاوِينَ (٩١) وَ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ (٩٢) مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُم أَوْ يَنْتَصِرُونَ (٩٣) فَكَبَّكُوا فِيهَا هُمْ وَ الْغَاوُونَ (٩٤) وَ جُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ (٩٥)

٩٠- وَ أَرْزَلْتِ الْجَنَّةَ لِلْمُتَّقِينَ... (٤) أى قرّبت بحيث يرونها من الموقف حين الحساب فيتهجون بأنهم هم المحشورون إليها، و الإزلاف هو التقريب.

٩١- وَ بَرَّزْتَ الْجَحِيمَ لِلْغَاوِينَ... (٥) أى كشفت و ظهرت للغاوين (٤) أى الضالين بحيث يرونها مكشوفه فيزدادون غمًا و يتحسرون على أنهم المسوقون إليها.

ص: ١٩٢

١- سوره ٩ - آيه ١١٤

٢- سوره ٢٦ - آيه ٨٧

٣- سوره ٢٦ - آيه ٨٩

٤- سوره ٢٦ - آيه ٩٠

٥- سوره ٢٦ - آيه ٩١

٦- سوره ٢٦ - آيه ٩١

٩٢ الى ٩٥- وَقِيلَ لَهُمْ أَيَّنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ... (١) أَي الْأَصْنَامِ الَّتِي تَزْعُمُونَ أَنَّهَا شَفَعَاؤُكُمْ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ (٢) بِدَفْعِ الْعَذَابِ عَنْكُمْ كَمَا رَجَوْتُمْ شَفَاعَتَهُمْ أَوْ يَنْتَصِرُونَ (٣) أَي بِدَفْعِهِ عَنْ أَنْفُسِهِمْ؟ لَا، لَا فَكُتِبُوا فِيهَا (٤) طَرَحُوا فِيهَا وَ يَقْصِدُ الْأَصْنَامَ، هُمْ وَ الْغَاوُونَ (٥) أَي عِبَدَتَهَا وَ حَاصِلُ الْمَعْنَى أَلْقُوا فِي الْجَحِيمِ آلِهَتَهُمْ وَ عِبَدَتَهَا حَالُ كَوْنِهِمْ يَطْرَحُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَ جُنُودٌ إِلَّا لَيْسَ (٦) أَي أَتْبَاعَهُ وَ ذُرِّيَّتَهُ جَمِيعًا.

سورة الشعراء (٢٦): الآيات ٩٦ الى ١٠٤

قَالُوا وَ هُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ (٩٦) تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٩٧) إِذْ نُسَوِّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٩٨) وَ مَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ (٩٩) فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ (١٠٠) وَ لَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ (١٠١) فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (١٠٢) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَ مَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (١٠٣) وَ إِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (١٠٤)

٩٦ الى ٩٨- قَالُوا وَ هُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ... (٧) أَي أَنَّ الْعِبَادَةَ وَ هُمْ فِي النَّارِ يَخَاصِمُونَ وَ يَعَانِدُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَ جَمَلُهُ وَ هُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ (٨) حَالِيهِ. وَ كَانَ قَوْلُهُمْ: تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٩) الْقِسْمُ مُتَعَلِّقٌ بِقَالُوا وَ فَصْلٌ بَيْنَهُمَا بِجَمَلِهِ حَالِيهِ لِلْإِهْتِمَامِ بِهَا وَ إِذْ (١٠) مَخْفَفُهُ مِنَ الثَّقِيلَةِ، يَعْنِي إِنَّا كُنَّا فِي ضَلَالٍ مُّبِينَةٍ وَاضِحٌ إِذْ نُسَوِّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (١١) حَيْثُ جَعَلْنَاكُمْ مَسَاوِينَ فِي الْعِبَادَةِ وَ الْخُضُوعِ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ. هَذَا بِنَاءٌ عَلَى كَوْنِ الْخُطَابِ لِلْأَصْنَامِ. وَقِيلَ يَقُولُونَ لِمَنْ تَبِعُوهُمْ: أَطَعْنَاكُمْ كَمَا أَطَعْنَا اللَّهَ فَصَرْتُمْ أَرْبَابًا.

٩٩- وَ مَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ... (١٢)

فِي الْكَافِي عَنْ الْبَاقِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

يَعْنِي الْمَشْرِكِينَ الَّذِينَ اقْتَدَى بِهِمْ هَؤُلَاءِ فَاتَّبَعُوهُمْ عَلَى شُرْكَهِمْ، وَ هُمْ قَوْمٌ مَحْمَدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ لَيْسَ فِيهِمْ مِنَ الْيَهُودِ وَ النَّصَارَى أَحَدٌ.

١٠٠ وَ ١٠١- فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ... (١٣)

عَنْ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

ص: ١٩٣

١- سورة ٢٦ - آية ٩٢

٢- سورة ٢٦ - آية ٩٣

٣- سورة ٢٦ - آية ٩٣

٤- سورة ٢٦ - آية ٩٤

٥- سورة ٢٦ - آية ٩٤

٦- سورة ٢٦ - آية ٩٥

- ۷- سوره ۲۶ - آیه ۹۶
- ۸- سوره ۲۶ - آیه ۹۶
- ۹- سوره ۲۶ - آیه ۹۷
- ۱۰- سوره ۲۶ - آیه ۹۸
- ۱۱- سوره ۲۶ - آیه ۹۸
- ۱۲- سوره ۲۶ - آیه ۹۹
- ۱۳- سوره ۲۶ - آیه ۱۰۰

الشافعون الأئمة عليهم السلام ولا صديقٍ حميمٍ (١) أى لا حبيب ذو شفقه ورحمه يهّمه أمرنا كما للمؤمنين و المتّقين، فإن لهم شفعا و أصدقاء من الملائكة و الأنبياء و الأوصياء و الأئمة صلوات الله عليهم أجمعين و

فى الكافى عن الباقر عليه السلام إن الشفاعة لمقبوله و ما تقبل فى ناصب، و إن المؤمن ليشفع لجاره و ماله حسنه فىقول: يا ربّ جارى كان يكفّ عني الأذى فيشفّع فيه فيقول الله تبارك و تعالى أنا ربّك و أنا أحق من كافى عنك فيدخله الجنّة و ما له من حسنه. و إن أدنى المؤمنين شفاعة ليشفع لثلاثين إنسانا، فعند ذلك يقول أهل النار: فما لنا من شافعين. و

فى المجمع عن النبى (ص) أن الرجل يقول فى الجنه ما فعل صديقى فلان؟ و صديقه فى الجحيم. فيقول الله تعالى أخرجوا له صديقه إلى الجنّة فيقول من بقى فى النار فما لنا من.. إلى آخر الآيه الكريمة.

١٠٢- فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونُ... (٢) أى ليت لنا رجعه إلى الدنيا، و لفظه «لو» للتمنى، و جوابه فنكون.

١٠٣ و ١٠٤- إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً... (٣) أى أن فى ذلك المقصوص لحجه و دلالة لمن اعتبر و أراد أن يستبصر و ما كان أكثرهم (٤) أكثر قوم إبراهيم مؤمنين (٥) به عليه السلام و إنّ ربّك لهو العزيز الرحيم (٦) أى القادر على الانتقام معجلا- و الرحيم بالإمهال لكى يؤمنوا هم أو واحد من ذريتهم.

سورة الشعراء (٢٦): الآيات ١٠٥ الى ١١٠

كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ (١٠٥) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا- تَتَّقُونَ (١٠٦) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٠٧) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا (١٠٨) وَ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرْتُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٠٩) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا (١١٠)

١٠٥ إلى ١١٠- كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ... (٧) نوح أخوهم نسبا فإنه عليه

ص: ١٩٤

١- سورة ٢٦ - آيه ١٠١

٢- سورة ٢٦ - آيه ١٠٢

٣- سورة ٢٦ - آيه ١٠٣

٤- سورة ٢٦ - آيه ١٠٣

٥- سورة ٢٦ - آيه ١٠٣

٦- سورة ٢٦ - آيه ١٠٤

٧- سورة ٢٦ - آيه ١٠٥

السلام كان منهم رَسُولٌ أَمِينٌ (١) مشهود له بالأمانه فيهم.قد قال لقومه:

إِنِّي رَسُولٌ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُونِ (٢) فى التوحيد و الطاعه لله عزّ و جلّ و ما أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ (٣) لا أطلب منكم على نصحى و تبليغ دعوتى و أداء رسالتى أَجْرًا إِنِّ أَجْرِي إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (٤) أى ليس جزائى و ثوابى إلاّ على خالق الخلائق. ثم كثر عليهم قوله (ع): فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُونِ (٥) للتأكيد، و تنبيها على أن كل واحد من الرسائل تكون توأمه مع الأمانه. و قطع طمعه فى أموالهم سبب لوجوب إطاعته فيما يدعوههم إليه. فكيف إذا اجتمعا؟ فلا تكرر فى الواقع لاختلاف المعنى و هذا كما تقول: ألا تخاف الله و قد رببتك صغيرا، ألا تخاف الله و قد أتلفت لك مالى؟

سوره الشعراء (٢٦): الآيات ١١١ الى ١١٥

قَالُوا أَوْ نُؤْمِنُ لَكَ وَ اتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ (١١١) قَالَ وَ مَا عَلِمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١١٢) إِنِّ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ (١١٣) وَ مَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ (١١٤) إِنِّ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ (١١٥)

١١١- قَالُوا أَوْ نُؤْمِنُ لَكَ وَ اتَّبَعَكَ... (٤) الاستفهام إنكارى، كى كيف تبتعك و الحال كذلك و قد اتبعك الْأَرْذَلُونَ (٧) الفقراء على ما عن القمى، و هم الذين لا مال لهم و لا عزّ، فجعلوا أتباع هؤلاء لنوح مانعا عن إيمانهم. و يعنون بذلك أن أتباعه لم يؤمنوا به عن نظر و بصيره و إنما هو لتوقع مال و رفعه مقام.

١١٢- قَالَ وَ مَا عَلِمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ... (٨) أى و أى علم لى أنهم آمنوا إخلاصا و عن بصيره أو طمعا فى طعمه أو مال يوجب رفعه مقامهم و أنا مأمور باتباع الظواهر و الاعتبار بها.

ص: ١٩٥

- ١- سوره ٢٦ - آيه ١٠٧
- ٢- سوره ٢٦ - آيه ١٠٨
- ٣- سوره ٢٦ - آيه ١٠٩
- ٤- سوره ٢٦ - آيه ١٠٩
- ٥- سوره ٢٦ - آيه ١١٠
- ٦- سوره ٢٦ - آيه ١١١
- ٧- سوره ٢٦ - آيه ١١١
- ٨- سوره ٢٦ - آيه ١١٢

١١٣- إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي... (١) أى ليس حساب بواطن الأمور علينا بل هو أمر راجع إلى ربّي فإنه المطلع على البواطن لو تَشْعُرُونَ (٢) لو تدرّون، و لو عرفتم ذلك لما قلتم ما لا تعلمون لكنكم تجهلون فتقولون ما يجرى على ألسنتكم من دون علم و لا شعور بواقع الأمور.

١١٤ و ١١٥- وَ مَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ... (٣) فى الآيه كالدّلاله على أن القوم سألوه تبعيد الفقراء الذين آمنوا به لكى يؤمنوا به و يتبعوه، فأجابهم بأنى لست مكلّفا بهذا الأمر و إنما كلّفتى ربّي بدعوه الجميع إلى الإيمان إن أنا إلا نذيرٌ مبينٌ (٤) و لا يليق بى طرد الفقراء لاستتباع الأغنياء فأتى بعثت بدعوه البشر سواء كانوا فقراء أم أغنياء، و سواء كانوا أعزّاء أم أذلاء، من أصحاب الصنائع العالیه أم الدانيه كالحجامه و الحياكه فاستر، ذالكم إيّاهم لكونهم من أهل الصناعات الخسيسه لا- دخل له فى دعوتى حتى أطردهم لا تبايعكم إيّاي. ثم إن نوحا لما أفحمهم فى مقام جوابهم لم يكن منهم إلا التهديد فقالوا:

سوره الشعراء (٢٦): الآيات ١١٦ الى ١٢٢

قالوا لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المَرْجُومِينَ (١١٦) قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ (١١٧) فَافْتِخْ بَيْنِي وَ بَيْنَهُمْ فَتْحًا وَ نَجِّنِي وَ مَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (١١٨) فَأَنْجِنَاهُ وَ مَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ (١١٩) ثُمَّ أَعْرَفْنَا بَعْدَ الْبَاقِينَ (١٢٠) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَ مَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (١٢١) وَ إِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (١٢٢)

١١٦- قالوا لئن لم تنته يا نوح... (٥) عمّا تقول لتكونن من المَرْجُومِينَ (٤) من المضروبين بالحجاره أو من المشتومين. و روى عن أبى حمزه

ص: ١٩٦

١- سوره ٢٦ - آيه ١١٣

٢- سوره ٢٦ - آيه ١١٣

٣- سوره ٢٦ - آيه ١١٤

٤- سوره ٢٦ - آيه ١١٥

٥- سوره ٢٦ - آيه ١١٦

٦- سوره ٢٦ - آيه ١١٦

الثمالي رحمه الله أنه قال: في كل موضع من القرآن الذي وقع فيه لفظ الرّجم فهو بمعنى القتل، إلا- في سورة مريم في قصه إبراهيم في قوله: لَيْسَ لَمْ تَنْتَه لَأَرْجَمَنَّكَ (١)، فإنه هنا بمعنى الشتم.

١١٧ و ١١٨- قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ... (٢) أراد أنه إنما يدعو عليهم لتكذيبهم بالحق لا لإيذائهم له فَافْتَحْ بَيْنِي وَ بَيْنَهُمْ (٣) من الفتاحه بالكسر و الضم و هي الحكومه، أي فاحكم بيننا فتحاً (٤) حكماً و قضاء بالعذاب بقريته قوله: وَ نَجِّنِي وَ مَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٥) فان طلب النجاه من شيء مكروه و بقرائن أخر تجيء تلوها كما هو ظاهر.

١١٩ ١٢٠- فَأَنْجِنَاهُ وَ مَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ... (٦) أي المملوء.

عن الباقر: المجهز، فخلصناه بواسطة السفينه ثم أغرقنا بعد (٧) أي بعد إنجائه مع المؤمنين به (ع) الباقين (٨) الذين لم يركبوا السفينه معه.

١٢١ و ١٢٢- إِنَّ فِي ذَلِكَ... (٩) العزير... (١٠) أي القادر على الانتقام من الكفره في الدنيا بأنواع العذاب، و في الآخره كذلك. و الحاصل أنه غالب على أمره و قد مر تفسير الآيتين.

سوره الشعراء (٢٦): الآيات ١٢٣ الى ١٣٥

كَذَّبَتْ عَادَ الْمُرْسَلِينَ (١٢٣) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٢٤) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٢٥) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا (١٢٦) وَ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٢٧) أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيحٍ آيَةً تَعْبَثُونَ (١٢٨) وَ تَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ (١٢٩) وَ إِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ (١٣٠) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا (١٣١) وَ اتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ (١٣٢) أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَ بَيْنِينَ (١٣٣) وَ جَنَاتٍ وَ عُيُونٍ (١٣٤) إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٣٥)

ص: ١٩٧

- ١- سورة ١٩ - آيه ٤٦
- ٢- سورة ٢٦ - آيه ١١٧
- ٣- سورة ٢٦ - آيه ١١٨
- ٤- سورة ٢٦ - آيه ١١٨
- ٥- سورة ٢٦ - آيه ١١٨
- ٦- سورة ٢٦ - آيه ١١٩
- ٧- سورة ٢٦ - آيه ١٢٠
- ٨- سورة ٢٦ - آيه ١٢٠
- ٩- سورة ٢٦ - آيه ١٢١
- ١٠- سورة ٢٦ - آيه ١٢٢

١٢٣- كَذَّبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ... (١) أى قبيله عاد، و عاد أبوهم و كبير عشيرتهم. فقد أنكروا المرسلين ممن سبقوهم بتكذيب رسولهم هود عليه السلام و من قبله إلى آدم عليه السلام.

١٢٤ الى ١٢٧- إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ... (٢) تصدير القصص بقوله أَلَا تَتَّقُونَ (٣) أى فاتقوا الله و أطيعون، دلّ على أن الغرض من البعثه الدعاء إلى التوحيد و طاعه الخالق تعالى. و الأنبياء متفقون فيه و إن اختلفوا فى بعض شرائعهم و لم يطلبوا بذلك مطمعا دنيويا. و الباقي مرّ تفسيره.

١٢٨- أَتَتَّبِعُونَ بِكُلِّ رِيحٍ آيَةً... (٤) أى بكل مكان مرتفع كرؤوس الجبال أو نحوها من المواضع العاليه بناء، علامه للمارّه على مقدار المسافه، أو لمعرفة البلاد. و الآيه علامه الطّرق بعضها إلى بعض بلا احتياج إلى دليل، فقد كانوا يبنون بكل مكان مرتفع برجاً يجلسون به و يسخرون من الناس و يؤذون من يمرّ بهم من المؤمنين. و لأنّهم على ما نقل عن مقاتل بن سليمان كانوا فى أسفارهم يهتدون بالسيارات و النجوم بحيث لم يكونوا محتاجين إلى هاد آخر لأنّهم كانوا خبراء فى هذا الفن و أعلاما فى هذا العلم، علم النجوم، فعملهم لهذه الابنيه يعدّ سفها و لذا استثنعه هود و استقبح بناء تلك الابنيه. و الاستفهام إنكارى يؤوّل بالنهى، و فى المجمع عن النبىّ صلّى الله عليه و آله أنّ كلّ بناء بينى و بال على صاحبه يوم القيامة إلا ما لا بد منه.

١٢٩- وَ تَخْلُدُونَ مَصَانِعَ... (٥) حياضا كبارا يجمع فيها ماء المطر، أو المراد منها الحصون المشيده و القصور العاليه للسكّنى كأنّهم يرون أنفسهم من المخلمدين فى دار الدنيا، و لذا يبنونها بأشدّ إحكام لعلّكم تخلصون (٦) أى ترجون الخلود فتحكمونها و تجعلونها متينه متقنه.

١٣٠- وَإِذَا بَطَشْتُمْ... (٧) أى ضربتم بسوط أو بسيف بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ (٨) مستعلين بالضرب أو القتل بلا رأفه و لا رحمه بل بظلم و غشم.

ص: ١٩٨

- ١- سوره ٢٦ - آيه ١٢٣
- ٢- سوره ٢٦ - آيه ١٢٤
- ٣- سوره ٢٦ - آيه ١٢٤
- ٤- سوره ٢٦ - آيه ١٢٨
- ٥- سوره ٢٦ - آيه ١٢٩
- ٦- سوره ٢٦ - آيه ١٢٩
- ٧- سوره ٢٦ - آيه ١٣٠
- ٨- سوره ٢٦ - آيه ١٣٠

١٣١ إلى ١٣٥- فَاتَّقُوا اللَّهَ... (١) تَجَنَّبُوا غَضَبَهُ وَأَطِيعُوا أَمْرِي، فَهُوَ الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَيْنَ (٢) فَأَعْطَاكُمْ سُبْحَانَهُ الْأَوْلَادَ وَ النَّعْمَ وَالْأَنْعَامَ وَالْخَيْرَاتِ وَغَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا جَعَلَ بِلَادِكُمْ كَأَنَّهَا جَنَّاتُ النَّعِيمِ، وَلِذَلِكَ فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ (٣) إِنْ بَقِيتُمْ عَلَيَّ عِنَادَكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (٤) فِي الدُّنْيَا أَوْ فِي الْآخِرَةِ.

سورة الشعراء (٢٦): الآيات ١٣٦ إلى ١٤٥

قَالُوا سِوَاءَ عَلَيْنَا أَوْعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ (١٣٦) إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ (١٣٧) وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ (١٣٨) فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (١٣٩) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (١٤٠) كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ (١٤١) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٤٢) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٤٣) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَاطِيعُونَ (١٤٤) وَمَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجِرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٤٥)

١٣٦ و ١٣٧- قَالُوا سِوَاءَ عَلَيْنَا أَوْعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ... (٥) أَي أَنْ وَعَظْتُكَ لَنَا أَوْ عَدَمَهُ سِوَاءَ عِنْدَنَا، فَلَا تَتَعَبُ نَفْسَكَ فِي الدَّعْوَةِ إِنَّ هَذَا (٦) أَي مَا هَذَا الَّذِي تَجِيءُ بِهِ مِنَ التَّوْحِيدِ وَالرِّسَالَةِ وَالْكِتَابِ وَالْحِسَابِ وَالنَّهْيِ عَمَّا كُنَّا عَلَيْهِ مِنْ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ وَالتَّجْبُرِ وَعِمَارِهِ الْأَبْنِيَةِ الرَّفِيعَةِ عِلْمًا لِلْمَارِهِ، لَيْسَ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ (٧) إِلَّا مِمَّا جَرَتْ بِهِ عَادَةُ السَّابِقِينَ عَلَيْكَ مِمَّنْ كَانُوا يَدْعُونَ الرِّسَالَهَ وَيَقُولُونَ مِثْلَ مَا تَقُولُ لَنَا، وَحَاصِلُ جَوَابِهِمْ هُوَ إِنْكَارُ مَا جَاءَ بِهِ الرِّسَالُ وَتَكْذِيبُهُمْ، وَالشَّاهِدُ عَلَى هَذَا قَوْلُهُمْ مِنْ مَا حَكَاهُ اللَّهُ عَنْهُمْ:

ص: ١٩٩

- ١- سورة ٢٦ - آية ١٣١
- ٢- سورة ٢٦ - آية ١٣٣
- ٣- سورة ٢٦ - آية ١٣٥
- ٤- سورة ٢٦ - آية ١٣٥
- ٥- سورة ٢٦ - آية ١٣٦
- ٦- سورة ٢٦ - آية ١٣٧
- ٧- سورة ٢٦ - آية ١٣٧

١٣٨- وَ مَا نَحْنُ بِمُعَدِّيْنَ... (١) على ما نحن عليه حاله كوننا مقتدين بآبائنا الأقدمين فى عاداتهم القديمه.

١٣٩ و ١٤٠- فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ... (٢) فكذبوا رسولهم هودا فيما جاء به من عند رب العالمين فأهلكناهم (٣) بريح صرصر شديده الهبوب شديده البرد. ثم أخذ سبحانه فى بيان شرح قوم صالح(ع) وهم ثمود و كيفيه فعل صالح و قوله معهم فى الآيات ١٤٥، ١٤٤، ١٤٣، ١٤٢، ١٤١ إلى أن يقول سبحانه:

سوره الشعراء (٢٦): الآيات ١٤٦ الى ١٥٢

أَتَتْرُكُونَ فِى مَا هَاهُنَا آمِنِينَ (١٤٦) فِى جَنَاتٍ وَ عُيُونٍ (١٤٧) وَ زُرُوعٍ وَ نَخْلٍ طَلَعُهَا هَضِيمٌ (١٤٨) وَ تَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ (١٤٩) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ (١٥٠) وَ لَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ (١٥١) الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِى الْأَرْضِ وَ لَا يُصْلِحُونَ (١٥٢)

١٤٦ إلى ١٤٨- أَتَتْرُكُونَ فِى مَا هَاهُنَا... (٤) أى أطمعون أن تتركوا و تبقوا فى النعم الدينويه آمنين (٥) من زوالها و أخذها منكم؟ و الهمزه للإنكار، أى لا يكون كذلك. ثم إنه تعالى فسّر هذه النعم المجمله بقوله فى جَنَاتٍ (٦) وَ نَخْلٍ طَلَعُهَا هَضِيمٌ (٧) أى ثمرها لطيف نضيج لين. و عن ابن عباس أنه قال: الطلع تمر يسمّى كبرى من ألطف الرطب، و هو مشتق من الطلوع لأنه يطلع من النخل، و أفرد النخل بالذكر لفضله.

١٤٩ إلى ١٥٢- وَ تَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا... (٨) أى تنقرون فى الصخر بيوتا فارهين (٩) حاذقين أو نشيطين بنحتها. فلا ينبغى أن تصرفوا كل همكم إلى الدنيا فاتقوا الله (١٠) احذروا غضبه و أطيعوا أمر المفسرين (١١) لأنهم يتعدون حد المعقول و يفرطون بدنياهم و بأخرتهم إذ لا

ص: ٢٠٠

١- سوره ٢٦ - آيه ١٣٨

٢- سوره ٢٦ - آيه ١٣٩

٣- سوره ٢٦ - آيه ١٣٩

٤- سوره ٢٦ - آيه ١٤٦

٥- سوره ٢٦ - آيه ١٤٦

٦- سوره ٢٦ - آيه ١٤٧

٧- سوره ٢٦ - آيه ١٤٨

٨- سوره ٢٦ - آيه ١٤٩

٩- سوره ٢٦ - آيه ١٤٩

١٠- سوره ٢٦ - آيه ١٥٠

١١- سوره ٢٦ - آيه ١٥٠

يزنون الأمور بميزان العقل، فإنهم هم الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ (١) يعيشون فيها فسادا و يرتكبون المعاصي و لا يُصْلِحُونَ (٢) و لا يدعون لإصلاح و لا لصلاح.

سورة الشعراء (٢٦): الآيات ١٥٣ الى ١٥٩

قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ (١٥٣) مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (١٥٤) قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ (١٥٥) وَ لَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٥٦) فَعَقَّرُوها فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ (١٥٧) فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَ مَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (١٥٨) وَ إِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (١٥٩)

١٥٣ و ١٥٤- قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ... (٣) أى من الذين سحرروا كثيرا حتى أنهم لا يعقلون. أى أنت مجنون و ما أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا (٤) على فرض أنك لست بمسحور و كنت بشرا سوياً من جميع الجهات فأنت مثلنا بشر و لا مزيه لك علينا حتى تكون أنت رسولا إلينا من عند الله كما تزعم. فإن كنت لا تدع دعواك الرساله فَأْتِ بآيَةٍ (٥) تثبت دعواك إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٦) فيها. فسألهم صالح: أى آيه تريدون؟ فاقترحوا ناقة عشراء، أى ذات حمل مضت عليها عشره أشهر، تخرج من هذا الجبل فتضع فى الوقت حملها. فصار متفكرا، فنزل عليه أمين الوحي و قال: صل ركعتين فادع الله تعالى لخروج الناقة. فلما فرغ فإذا الناقة قد طلعت فقال لهم:

١٥٥- هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ... (٧) بعد ما أخرجها الله من الصخره بدعائه

ص: ٢٠١

١- سورة ٢٦ - آيه ١٥٢

٢- سورة ٢٦ - آيه ١٥٢

٣- سورة ٢٦ - آيه ١٥٣

٤- سورة ٢٦ - آيه ١٥٤

٥- سورة ٢٦ - آيه ١٥٤

٦- سورة ٢٦ - آيه ١٥٤

٧- سورة ٢٦ - آيه ١٥٥

كما اقترحوها على ما سبق آنفا قال: هذه الناقه لها شربٌ (١) أى شراب يوم تشرب فيه ماء كم جميعا و لكم شربٌ يوم معلوم (٢) و لكم نصيب من الماء يوما بعد يومها. و كانت عاداتها فى يومها أن تشرب الماء كله و تصبر إلى يوم نصيبها. و هذا التقسيم كان من صالح عليه السلام يأذن منه تعالى. و الثانى من وصاياه لهم قوله:

١٥٦- وَ لَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ... (٣) لا بضرب و لا عقر و لا منع ماء، و إذا لم تعملوا بوصيتى فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ يَوْمَ عَظِيمٍ (٤) توصيف اليوم بالعظمه لعظم ما يحل فيه. و هذا أبلغ من توصيف العذاب الذى يقع فيه. إذا لم يسمعوا وعظه و لم يعملوا بنصحه و قصدوا قتلها.

١٥٧- فَعَقَرُوهَا فَاصْبِحُوا نَادِمِينَ... (٥) أى ذبحوها بطريقه خاصه و ظاهر العقر هو قطع قوائم الدواب و جاء بمعنى الحبس. و روى أن (مسطح) ألجأها إلى مضيق بحيث حبست و لم تقدر على الفرار، فرماها بسهم على رجلها فسقطت فضر بها (قيدار) أو (قدار بن سالف) بالسيف فقتلها.

و إسناد العقر إليهم جميعا مع أن المباشر واحد أو اثنان لرضاهم جميعا بذلك. و لذلك أخذوا بالعذاب كلهم فَأَصِيبُوهَا نَادِمِينَ (٦) حين معانيه العذاب.

١٥٨ و ١٥٩- فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ... (٧) أى العذاب الموعود و هو صيحه جبرائيل (ع) التى خسفت بهم الأرض فابتلعتهم.

سوره الشعراء (٢٦): الآيات ١٦٠ الى ١٧٥

كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ (١٦٠) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ أَلَا تَتَّقُونَ (١٦١) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٦٢) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا (١٦٣) وَ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٤) أَ تَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ (١٦٥) وَ تَذُرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَيْلٌ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ (١٦٦) قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ (١٦٧) قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ (١٦٨) رَبِّ نَجِّنِي وَ أَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ (١٦٩) فَنجَّيناهُ وَ أَهْلَهُ أَجْمَعِينَ (١٧٠) إِلَّا- عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ (١٧١) ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخِرِينَ (١٧٢) وَ أَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ (١٧٣) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَ مَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (١٧٤) وَ إِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (١٧٥)

ص: ٢٠٢

١- سوره ٢٦ - آيه ١٥٥

٢- سوره ٢٦ - آيه ١٥٥

٣- سوره ٢٦ - آيه ١٥٦

٤- سوره ٢٦ - آيه ١٥٦

٥- سوره ٢٦ - آيه ١٥٧

٦- سوره ٢٦ - آيه ١٥٧

٧- سوره ٢٦ - آيه ١٥٨

١٦٠ إلى ١٦٥- كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ... (١) أ تَأْتُونَ الذَّكَرَانَ... هذه هي القصة السادسة التي شرح سبحانه فيها عمل قوم لوط (ع) و تكذيبهم الأنبياء أى جميع أنبياء الله لأن من كذب نبيا كذب تمام الأنبياء. فإن لوطا بلغ قومه ما بلغ الأنبياء قبله مثل نوح و هود و صالح عليهم السلام فلم يقبلوا منه، فويخهم على الأمر القبيح و العمل الشنيع فقال: اخترتم الذكران من الناس و تركتم أزواجكم اللاتي خلقهن الله لكم؟.

١٦٦- بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ... (٢) أى متجاوزون عن حدود أحكام الله و شرائعه.

١٦٧- قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنْتَهَ يَا لُوطُ... (٣) أى لئن لم ترجع عما تقول، و لم تمتنع عن دعوتنا و تقيح أعمالنا لتكونن من المخرجين (٤) المبعدين و المنفيين.

١٦٨- قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ... (٥) أى المبغضين أشد البغض المبتعدين عنه الكارهين له.

١٦٩ إلى ١٧١- رَبِّ نَجِّنِي وَ أَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ... (٦) أى سلمنى من وباله

ص: ٢٠٣

١- سورة ٢٦ - آيه ١٦٠

٢- سورة ٢٦ - آيه ١٦٦

٣- سورة ٢٦ - آيه ١٦٧

٤- سورة ٢٦ - آيه ١٦٧

٥- سورة ٢٦ - آيه ١٦٨

٦- سورة ٢٦ - آيه ١٦٩

و شؤمه. فلَمَّا آيس من أن يؤمنوا دعا عليهم و سأل نجاته و نجاه أهله و عائلته المؤمنه، فاستجاب الله دعاءه عليهم و نجى لوطا و أهله إلا عجوزاً (١) هي امرأه لوط في الغابرين (٢) أى كانت باقيه فى البلد مع الذين لم يؤمنوا و لم تخرج معه (ع) فأهلكت معهم بما أهلكوا لرضاها بفعلهم و إعانتها لهم لأنها كانت على رأيهم.

١٧٢ الى ١٧٥- ثُمَّ دَمَّرْنَا... (٣) أى أهلكنا الآخريين (٤) من قوم لوط و أَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا (٥) كان من الحجارة لأنه مطر عذاب، و الأمطار تستعمل فى العذاب غالباً كما يستعمل الخسف فسَاء (٦) ذلك المطر و كأن شؤماً على المُنذرين (٧) الذين أنذرهم لوط عليه السلام، و فى ذلك آيه من آيات الله الباهرات لمن كان عنده تبصر و تدبّر.

سوره الشعراء (٢٦): الآيات ١٧٦ الى ١٨٤

كَذَّبَ أَصِحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ (١٧٦) إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٧٧) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٧٨) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا أَوْصِيَاءَ اللَّهِ عَدُوًّا لِمَنِ كَانَتِ الْوَالِيَّةُ (١٧٩) وَ مَا أَسئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرْتُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٨٠) أَوْفُوا الْكَيْلَ وَ لَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ (١٨١) وَ زِنُوا بِالْقِسْطِ أَسْطِ الْمُسْتَقِيمِ (١٨٢) وَ لَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَ لَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (١٨٣) وَ اتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَ الْجِبِلَّ الْأُولَى (١٨٤)

١٧٦- كَذَّبَ أَصِحَابُ الْأَيْكَةِ... (٨) هذه هى القصة السابعه التى أخبر فيها سبحانه عن أصحاب الأيكة الذين بعث إليهم شعيبا عليه السلام و ما كانوا من قومه و كان شعيب عليه السلام أخا مدين، و قد أرسل إليهم و إلى أصحاب الأيكة، و أصل الأيكة هو الشجر الملتف، و هى غيضة بجنب

ص: ٢٠٤

١- سوره ٢٦ - آيه ١٧١

٢- سوره ٢٦ - آيه ١٧١

٣- سوره ٢٦ - آيه ١٧٢

٤- سوره ٢٦ - آيه ١٧٢

٥- سوره ٢٦ - آيه ١٧٣

٦- سوره ٢٦ - آيه ١٧٣

٧- سوره ٢٦ - آيه ١٧٣

٨- سوره ٢٦ - آيه ١٧٦

مدین یسکنها قوم بعث إليهم شعيب.

١٧٧ إلى ١٨٠- إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ... (١) أى أمرهم بأشياء أحدها قوله أَلَا تَتَّقُونَ (٢) و منها قوله أنه رَسُولٌ أَمِينٌ (٣) و أنه (لا يسأل أجرا) و أجره على الله كبقية الرسل.

١٨١ إلى ١٨٣- أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ... (٤) أى أتموه و لا- تكونوا من المنقصين منه فى حقوق الناس بالتطفيف، فإن عملهم كان النقص فى الميزان. وَ زِنُوا بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ (٥) أى الميزان العدل. و قيل إن القسطاس لفظ رومى بمعنى العدل و قيل إنه عربى مأخوذ من القسط بمعنى السوى و المعنى واحد و لا- تَبْخَسُوا النَّاسَ (٦) لا- تنقصوا شيئا من حقوقهم. و هو تأكيد فى المعنى المقصود و لا- تَعَثُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (٧) العثى: المبالغة فى الفساد و الكبر و الفساد أى: لا تبالغوا فى الكفر و الكبرياء و الفساد من القتل و الأسر و الضرب و قطع الطرق و نحوها فى الأرض.

١٨٤- وَ اتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ... (٨) أى الذى أنعم عليكم بنعمه الوجود كما أوجد الذين من قبلكم من آباءكم الأقدمين و غيرهم من الخلائق و الْجِبَلَةَ الْأُولِينَ (٩) الجبله هى الخلقه، أى ذوى الجبله، فهو خالقكم و خالق من سبقكم.

سوره الشعراء (٢٦): الآيات ١٨٥ الى ١٨٨

قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسِيخَرِينَ (١٨٥) وَ مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَ إِن نُّظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ (١٨٦) فَأَسْرِقْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ إِن كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (١٨٧) قَالَ رَبِّى أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨٨)

ص: ٢٠٥

- ١- سوره ٢٦ - آيه ١٧٧
- ٢- سوره ٢٦ - آيه ١٧٧
- ٣- سوره ٢٦ - آيه ١٧٨
- ٤- سوره ٢٦ - آيه ١٨١
- ٥- سوره ٢٦ - آيه ١٨٢
- ٦- سوره ٢٦ - آيه ١٨٣
- ٧- سوره ٢٦ - آيه ١٨٣
- ٨- سوره ٢٦ - آيه ١٨٤
- ٩- سوره ٢٦ - آيه ١٨٤

١٨٥ إلى ١٨٨- قالوا... (١) وَإِنْ نُنظِّنْكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ... (٢) كلمه إن (٣) مخففه من الثقيله، والتقدير و إننا نظنك، فلما نسبه إلى الكذب و السحر سألوه العذاب ليكون آيه على صدق دعواه، فشكاهم إلى الله العالم بعملهم.

سوره الشعراء (٢٦): الآيات ١٨٩ إلى ١٩٦

فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٨٩) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (١٩٠) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (١٩١) وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ (١٩٥) وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ (١٩٦)

١٨٩ إلى ١٩١- فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ... (٤) أى العذاب الذى اقترحوه من قولهم فَأَشْرَقَتْ عَلَيْنَا مِنَ السَّمَاءِ (٥) يعنى قطعاً منها، فألجأتهم الحراره الشديده بحيث كادوا أن يموتوا منها إلى الظُّلَّةِ (٦) زعموا أنها قطعته غيم بارده فمشوا إليها جميعاً و استراحوا من تلك الحراره المهلكه، المظله تمطر عليهم ناراً فأحرقتهم و قال القمى: بلغنا، و الله أعلم أنه أصابهم حرّ و هم فى بيوتهم فخرجوا يلتمسون الرّوح من قبل السّحابه التى بعث الله عزّ و جلّ فيها العذاب فلما غشيتهم أخذتهم الصّبحه فأصبحوا فى دارهم جاثمين إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (٧) و سمى هذا العذاب بعذاب يوم الظله بهذا الاعتبار. و قيل إن يوم الظله و يوم عظيم ها هنا واحد، و ذلك أنه تعالى سلط عليهم سبعة أيام حرّاً شديداً بحيث كادت الحراره أن تهلكهم، فكان بقربهم جبل فأمره الله أن يتحرّك من مكانه و يصعد إلى

ص: ٢٠٦

١- سوره ٢٦ - آيه ١٨٥

٢- سوره ٢٦ - آيه ١٨٦

٣- سوره ٢٦ - آيه ١٨٦

٤- سوره ٢٦ - آيه ١٨٩

٥- سوره ٢٦ - آيه ١٨٧

٦- سوره ٢٦ - آيه ١٨٩

٧- سوره ٢٦ - آيه ١٨٩

السَّيِّئَاءِ فَوْقَ كَالْمِظَلَّةِ وَأَجْرَى بِقَدْرَتِهِ الْكَامِلَةَ تَحْتَهُ الْأَنْهَارُ وَأَوْجَدَ فِيهِ هَوَاءَ بَارِدًا فَاتَّفَقَ أَنْ وَاحِدًا مِنْهُمْ طَلَعَ مِنْ بَيْتِهِ وَرَأَى الْمِظَلَّةَ وَذَهَبَ إِلَيْهَا رَجَاءً لِتَحْصِيلِ الْبُرُودِ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهَا وَرَأَى الْمِيَاهَ الْبَارِدَةَ وَالْأَهْوِيَةَ الطَّيِّبَةَ شَرِبَ مِنْهَا وَتَنَفَّسَ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ وَجَاءَ بِهِمْ إِلَى الظِّلِّ فَلَعِمَ بِذَلِكَ أَهْلَ الْبَلَدِ فَخَرَجُوا جَمِيعًا إِلَيْهَا بِحَيْثُ لَمْ يَبْقَ فِي الْبَلَدِ وَاحِدٌ مِنْهُمْ فَلَمَّا غَشِيَهُمُ الْجِبَلُ جَمِيعًا وَأَحَاطَ بِهِمْ وَقَعَ عَلَيْهِمْ بِأَمْرِ مِنَ تَعَالَى، فَمَا بَقِيَ مِنْهُمْ مَتَنَفَسٌ إِلَّا وَقَدْ شَمَلَهُ الْعَذَابُ أَيَّ عَذَابِ الْيَوْمِ الْعَظِيمِ. وَعَنْ قِتَادِهِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى بَعَثَ شُعْبًا إِلَى طَائِفَتَيْنِ، أَهْلَ مَدِينٍ، وَأَصْحَابَ الْأَيْكَةِ، فَأَهْلَ مَدِينٍ أَهْلَكُوا بِصِيحِهِ جِبْرَائِيلَ (ع) وَأَوْلَئِكَ بَعَذَابِ الظِّلِّ.

١٩٢ و ١٩٣- وَ إِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ... (١) أَي الْقُرْآنَ الْمَشْتَمِلَ عَلَى هَذِهِ الْقِصَصِ وَ غَيْرِهَا مَرْسَلٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَ تَقْرِيرَ لِحَقِيقَةِ الْقِصَصِ، وَ إِشْعَارَ بِإِعْجَازِ الْقُرْآنِ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (٢) أَي نَزَلَ جِبْرَائِيلُ مَصَاحِبًا لِلْقُرْآنِ وَ مَتَّصِفًا بِكَوْنِهِ أَمِينًا لِأَنَّهُ أَمِينُ اللَّهِ عَلَى وَحْيِهِ، وَ هَذَا الْوَصْفُ يَكْشِفُ عَنْ سَمَوِّ مَقَامِهِ وَ عِلْوِّ مَرْتَبَتِهِ عِنْدَ تَعَالَى، وَ سَمَاءَ رُوحِهِ لِأَنَّهُ يَحْيِي بِهِ الْأَرْوَاحَ بِمَا يَنْزِلُ مِنَ الْبَرَكَاتِ، وَ قِيلَ لِأَنَّهُ جَسْمٌ رُوحَانِيٌّ أَوْ لِأَنَّهُ يَحْيَا بِهِ الدِّينَ.

١٩٤- عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ... (٣) يَعْنِي لَقْنَهُ جِبْرَائِيلَ (ع) الْكَيْفِيَّةَ الْمَأْمُورَ بِهَا بِلا تَغْيِيرٍ وَ لا تَبْدِيلٍ وَ هُوَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَ آلِهِ قَدْ تَلَقَّنَ الْقُرْآنَ مِنْهُ كَمَا نَزَلَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى فَحَفَّظَهُ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ فِي قَلْبِهِ الشَّرِيفِ وَ أَثْبَتَهُ فِيهِ كَمَا نَزَلَ.

١٩٥ و ١٩٦- بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ... (٤) أَي بَيَّنَّ الْمَعْنَى وَ وَاضَحَهُ، وَ الْقَوْلُ مُتَعَلِّقٌ بِ نَزَلَ (٥) وَ

فِي الْعِلْلِ أَنَّ الصَّادِقَ (ع) قَالَ: مَا أَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى كِتَابًا وَ لا وَحْيًا إِلَّا بِالْعَرَبِيَّةِ، فَكَانَ يَقَعُ فِي مَسَامِعِ الْأَنْبِيَاءِ بِاللُّسْنَةِ قَوْمَهُمْ وَ كَانَ يَقَعُ فِي مَسَامِعِ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ بِالْعَرَبِيَّةِ، فَإِذَا كَلَّمَ قَوْمَهُ بِهِ كَلَّمَهُمُ بِالْعَرَبِيَّةِ فَيَقَعُ فِي مَسَامِعِ قَوْمِهِ بِلِسَانِهِمْ. وَ مَا مِنْ أَحَدٍ كَانَ يَخَاطَبُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ بِأَيِّ لِسَانٍ خَاطَبَهُ، إِلَّا وَقَعَ فِي

ص: ٢٠٧

١- سورة ٢٦ - آية ١٩٢

٢- سورة ٢٦ - آية ١٩٣

٣- سورة ٢٦ - آية ١٩٤

٤- سورة ٢٦ - آية ١٩٥

٥- سورة ٢٦ - آية ١٩٣

مسامعه بالعربيّه فيترجم له جبرائيل كل ذلك تشريفا له من الله تعالى وَ إِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ (١) أى ذكر القرآن أو معناه فى كتب الأنبياء المتقدمين.

سوره الشعراء (٢٦): الآيات ١٩٧ الى ٢٠٣

أَوْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ (١٩٧) وَ لَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ (١٩٨) فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ (١٩٩) كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ (٢٠٠) لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ (٢٠١) فَيَأْتِيهِمْ بَغْتَةً وَ هُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٢٠٢) فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ (٢٠٣)

١٩٧- أَوْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ... (٢) أى علامه لقريش على صحه القرآن و إعجازه و نبوّه محمّد صلى الله عليه و آله أن يعلمه عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ (٣) أى يعرفوه بنعته المذكور فى كتبهم كابن سلام و غيره. و الاستفهام إنكارى، أى علمهم ببعثه فى كتبهم خبر ثابت موجود. فلقريش أن يسألوهم حتى يتبين لهم الحق من أن القرآن كتاب إلهى ناطق بنبوّه محمد صلى الله عليه و آله. و عن ابن عباس أن سبب نزول هذه الآية أن قريشا أرسلوا إلى يهود مکه (إلى علمائهم) و سألوهم عن محمد و نبوّته فأجابوهم بأننا وجدنا فى الكتب السّماويه مثل لغته و اسمه، و قرأنا أنّ وقت بعثه هذه الأزمنه. فإن الله تعالى شأنه احتج عليهم بقول علماء اليهود و شهادتهم أن محمّدا هذا هو النّبى الموعود فقال تعالى: أو لم يكفهم شهاده علماء اليهود بنبوتك و صحه دعواك و لم تكن هذه الآية مقنعه لهم. و قد كان السبب فى إسلام الأوس و الخزرج هو إخبار علماء اليهود بوجود ذكر القرآن

ص: ٢٠٨

١- سوره ٢٦ - آيه ١٩٦

٢- سوره ٢٦ - آيه ١٩٧

٣- سوره ٢٦ - آيه ١٩٧

و أوصاف النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي كِتَابِهِم السَّيِّئَاتِ. ثُمَّ إِنَّهُ تَعَالَى أَخْبَرَ عَنِ رَسُوخِ الْكُفْرِ وَ الْجُحُودِ فِي قُلُوبِهِمْ بِحَيْثُ لَا يَنْفَعُهُمْ نَصْحُ نَاصِحٍ وَ لَا يُؤَثِّرُ فِيهِمْ وَعِظُ وَاعِظٍ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ:

١٩٨ و ١٩٩- وَ لَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ... (١) أَى لَوْ نَزَّلْنَا الْقُرْآنَ عَلَى غَيْرِ الْعَرَبِ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ (٢) أَى لَمْ يَكُونُوا يُؤْمِنُونَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَ لَوْ كَانَ غَيْرِ الْعَرَبِ يَقْرَأُهُ عَلَيْهِمْ بِاللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ فِي غَايَةِ الْفَصَاحَةِ وَ كَمَالِ الْبَلَاغَةِ لَفَرَطَ عِنَادُهُمْ وَ أَنْفَهُ الْجَاهِلِيَّةِ وَ حَمِيَّتُهَا. وَ فِي تَفْسِيرِ أَهْلِ بَيْتِ الرَّسَالَةِ

عَنِ الصِّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَوْ أَنَّ الْقُرْآنَ نَزَلَ عَلَى لُغَةِ الْعَجَمِ لَمْ يَكُنِ الْعَرَبُ لِيُؤْمِنُوا بِهِ، وَ لَكِنْ لَمَّا نَزَلَ عَلَى لُغَةِ الْعَرَبِ آمَنَ بِهِ الْعَجَمُ.

وَ هَذَا دَالٌّ عَلَى فَضْلِ الْعَجَمِ. وَ الْأَعْجَمِينَ جَمْعُ أَعْجَمٍ وَ هُوَ الَّذِي فِي لِسَانِهِ عِجْمَةٌ أَى لَكِنُهُ، أَوْ مِنْ لَيْسَ فِي كَلَامِهِ إِفْصَاحٌ سِوَا مَا كَانَ أَصْلُهُ مِنَ الْعَرَبِ أَوْ الْعَجَمِ. وَ مِثْلُهُ الْأَعْجَمِيُّ إِلَّا- أَنْ فِيهِ زِيَادَةٌ تَأْكِيدٌ لَزِيَادَةِ يَاءِ النَّسَبِ. وَ يُطْلَقُ الْعَرَبُ عَلَى كُلِّ ذِي صَوْتٍ لَا يَفْتَهُمُونَ كَلَامَهُ حَتَّى أَنْ لَفْظَهُ أَعْجَمٌ يُطْلَقُ عَلَيْهَا عَلَى الْبَهَائِمِ وَ الطُّيُورِ فَيُقَالُ الْحَيَوَانَاتُ الْعَجَمَاءُ.

٢٠٠- كَذَلِكَ سَيَلِكُنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ... (٣) أَى كَمَا أَنْزَلْنَاهُ بَلَّغَهُ عَرَبِيَّةً فَصِيحَةً لِاتِّمَامِ الْحُجَّةِ وَ انْقِطَاعِ عِذْرِهِمْ بِعَدَمِ افْتِهَامِهِمْ، كَذَلِكَ أَدْخَلْنَا مَعَانِيَهُ وَ إِعْجَازَهُ فِي قُلُوبِهِمْ، أَى أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ نَبِيًّا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَانَ أَفْصَحَ مِنْهُمْ لِسَانًا وَ أَشْرَفَ مِنْهُمْ بَيْتًا فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ عَلَى وَجْهِ أَفْصَحٍ وَ بَيَانٍ أَبْلَغَ فَافْتَهُمَهُمْ غَايَةَ الْإِفْهَامِ وَ بَيَّنَّ لَهُمْ بِأَكْمَلِ الْبَيَانِ وَ أَتَمَّهُ بِحَيْثُ مَا بَقِيَ لَهُمْ عِذْرٌ ثُمَّ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ عِنَادًا وَ اسْتِكْبَارًا لِأَنَّهُمْ مُجْرِمُونَ يَمُرُّ بِقُلُوبِهِمْ مَرُورًا.

٢٠١ إِلَى ٢٠٣- لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ... (٤) فَهَؤُلَاءِ الْمَجْرُمُونَ لَا يَصَدِّقُونَ بِهِ حَتَّى يَصِيرُوا مَعَ الْعَذَابِ الَّذِي وَعَدْنَا لَهُمْ بِهِ وَجْهًا لَوْجَهُ فَيَأْتِيهِمْ بَغْتَةً (٥) تَبْتَغِيهِمْ فَتَبْتَغِيهِمْ، أَى تَجِيهِمْ فَجَاءَهُ وَ هُمْ لَا- يَشْعُرُونَ (٦) أَى لَا- يَحْسُونَ بِوُقُوعِهِ وَ لَا- يَلْتَفِتُونَ لِإِتْيَانِهِ لِأَنَّهُمْ يَنْكُرُونَهُ وَ لَا يَصَدِّقُونَ بِهِ. وَ الْجُمْلَةُ حَالِيَّةٌ مَفْسَّرَةٌ لِبَغْتَةٍ (٧) وَ عِنْدَهُذِ يَقُولُونَ: هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ (٨) أَى هَلْ لَنَا مِنْ نَظَرِهِ: أَى مَهْلَةٍ لِنَعُودَ فَنَصَدِّقَ وَ نَعْمَلُ عَمَلًا صَالِحًا يَرْضَى اللَّهُ؟ وَ ذَلِكَ بَعْدَ فَوَاتِ الْأَوَانِ وَ لَكِنَّهُمْ يَتَحَسَّرُونَ وَ يَتَأَسَّفُونَ عَلَى مَا فَرَطُوا حِينَ كَذَّبُوا النَّبِيَّ (ص) وَ رَفَضُوا دَعْوَتَهُ.

ص: ٢٠٩

١- سورة ٢٦ - آية ١٩٨

٢- سورة ٢٦ - آية ١٩٩

٣- سورة ٢٦ - آية ٢٠٠

٤- سورة ٢٦ - آية ٢٠١

٥- سورة ٢٦ - آية ٢٠٢

٦- سورة ٢٦ - آية ٢٠٢

٧- سورة ٢٦ - آية ٢٠٢

٢٠١ إلى ٢٠٣- لا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ... (١) فهؤلاء المجرمون لا يصدقون به حتى يصيروا مع العذاب الذى وعدناهم به وجها لوجه فَيَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً (٢) تبغتهم فتبتهتهم، أى تجيئهم فجأه وَ هُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٣) أى لا يحسّون بوقوعه و لا يلتفتون لإتيانه لأنهم ينكرونه و لا يصدقون به. و الجملة حالّيه مفسّره ل بَغْتَةً (٤) و عندئذ يقولون: هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ (٥) أى هل لنا من نظره: أى مهله لنعود فنصدّق و نعمل عملا صالحا يرضى الله؟ و ذلك بعد فوات الأوان و لكنهم يتحسّرون و يتأسّفون على ما فرطوا حين كذّبوا النبى (ص) و رفضوا دعوته.

سوره الشعراء (٢٦): الآيات ٢٠٤ الى ٢١٣

أَفِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ (٢٠٤) أَمْ فَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ (٢٠٥) ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ (٢٠٦) مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمْتَعُونَ (٢٠٧) وَ مَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَوْمِهِ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ (٢٠٨) ذِكْرَى وَ مَا كُنَّا ظَالِمِينَ (٢٠٩) وَ مَا نَنْزَلُ بِهِ الشَّيَاطِينَ (٢١٠) وَ مَا يَتَّبِعُنَّ لَهُمْ وَ مَا يَسْتَطِيعُونَ (٢١١) إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمْعَزُولُونَ (٢١٢) فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ (٢١٣)

٢٠٤- أَفِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ... (٤) هذا توبيخ لهم بتهمكم. أى كيف يستعجله من إذا أنزل به سأل النظره؟ ٢٠٥ إلى ٢٠٧- أَمْ فَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ... (٧) أى أخبرنا عن حالهم، لو صبرناهم ينتفعون و يعيشون متلذذين بدنياهم زمانا طويلا ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ (٨) أتاها عذابنا الذى وعدناهم به ما أغنى عنهم ما كانوا يُمْتَعُونَ (٩) أى لم يغن عنهم تمتّعهم المتطاوّل فى دفع العذاب أو تخفيفه. و جواب الاستفهام محذوف، و حاصل المعنى أنه هل ينفعهم تمتّعهم المتطاوّل و يغنيهم و يدفع عنهم العذاب؟ فالجواب أنه لا يدفع، و ما أغنى عنهم ذلك، و هذا الاستفهام للتقرير.

ص: ٢١٠

- ١- سوره ٢٦ - آيه ٢٠١
- ٢- سوره ٢٦ - آيه ٢٠٢
- ٣- سوره ٢٦ - آيه ٢٠٢
- ٤- سوره ٢٦ - آيه ٢٠٢
- ٥- سوره ٢٦ - آيه ٢٠٣
- ٦- سوره ٢٦ - آيه ٢٠٤
- ٧- سوره ٢٦ - آيه ٢٠٥
- ٨- سوره ٢٦ - آيه ٢٠٦
- ٩- سوره ٢٦ - آيه ٢٠٧

٢٠٨ و ٢٠٩- وَ مَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ... (١) أى لأهل القرية أنبياء منصوبون من قبل الله تعالى لإبذارهم إزما للحجه، و بعد تكذيبهم لأنبيائهم نهلكهم بعد أن نمهلهم، و نفل معهم ذلك ذكرى و ما كُنَّا ظالمين (٢) أى للتذكير نرسل لهم الأنبياء، و نحن لسا من الظالمين. فنهلكهم غير ظالمين لهم بعد الإذار و الذكرى.

٢١٠ إلى ٢١٣- وَ مَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ... (٣) كلمه ما (٤) نافية، و الضمير راجع إلى القرآن. و الحاصل أن المشركين زعموا أن القرآن من قبيل ما يلقى به الشياطين على الكهنة فردهم الله بهذه الكريمة. فما الشياطين بقادرين على ذلك و ما يتبغى لهم (٥) أى لا يتيسر و لا يسهل أن يتنزل الشياطين بالقرآن مع حيلولة الشهب و الملائكة المانعين لصعودهم إلى السماء و ما يستطيعون (٦) لا يقدرون عليه لأن الله تعالى يحرس المعجزه عن أن يمّوه بها المبطل فإنه إذا أراد أن يدل بها على صدق الصادق أخلصها بمثل هذه الحراسه. فالشياطين أبعد ما يكون عن ذلك، و إنهم عن السمع لمعزولون (٧) أى لمطرودون عن استماع كلام الملائكة و ممنوعون عن استماع القرآن من السماء فقد حيل بينهم و بين السمع بالملائكة المأمورين بالحيلولة و بالشهب، و ذلك لأنه مشروط بالمشاركه فى صفات الذات و قبول فيضان الحق، و لما كانت نفوسهم خبيثه ظلمانيه شريره فلا سنخيه بينهم و بين الملائكة و لا تناسب بينهما فلا يقدران على الصعود إلى السماء فالنتيجه أنهم محرومون و ممنوعون عن السمع. فزعم قريش أن القرآن من قبيل ما يلقى الشياطين إلى الكهنة و السحره باطل عاطل و الآيه الشريفه عله للجمل المنفيه السابقه عليها و التقدير: لأنهم معزولون ثم إنه تعالى حذر نبيه أن يشرك به و خاطبه، لكن المراد به سائر المكلفين فقال فلا تدع مع الله (٨) و إنما أفرده بالخطاب ليعلم أن العظيم الشأن إذا أوعد فكيف حال من دونه، و إذا حذر الكبير فغيره أولى به، و الآيات التحذيريه- نوعا- من قبيل إياك أعنى و اسمعى يا جاره.

ص: ٢١١

- ١- سورة ٢٦ - آيه ٢٠٨
- ٢- سورة ٢٦ - آيه ٢٠٩
- ٣- سورة ٢٦ - آيه ٢١٠
- ٤- سورة ٢٦ - آيه ٢١٠
- ٥- سورة ٢٦ - آيه ٢١١
- ٦- سورة ٢٦ - آيه ٢١١
- ٧- سورة ٢٦ - آيه ٢١٢
- ٨- سورة ٢٦ - آيه ٢١٣

وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ (٢١٤) وَ اخْفِضْ جَنَاحَيْكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢١٥) فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ (٢١٦) وَ تَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ (٢١٧) الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ (٢١٨) وَ تَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ (٢١٩) إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٢٢٠)

٢١٤- وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ... (١) أى رهطك الأدين، و إنما خصّهم بالذكر تنبيها على أنه لا يداهنهم لأجل القرابه فيقطع طمع الأجنب عن المداهنه فى أمر الدين. ثم إنه سبحانه بعد الأمر بالإنذار يأمر نبيّه بحسن المعاشره و التواضع لأهل الإيمان فقال عزّ اسمه:

٢١٥- وَ اخْفِضْ جَنَاحَيْكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ... (٢) للمؤمنين: أى عاشرهم بالملاطفه و حسن السيره. و خفض الجناح مستعار من قولهم: خفض الطائر جناحه إذا أراد أن ينحطّ و هنا كناية عن لين القول و العريكة و حسن الخلق. و سبب هذا و عله الأمر بخفض الجناح بيّنه قوله تعالى: وَ لَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ (٣) مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٤) كلمه من (٥) للتبيين، فإنّ قوله تعالى لمن اتبعك أعمّ من المتابعه فى الدين.

قال الصادق عليه السلام:

التواضع مزرعه الخشوع و الخشيه و الحياء و إنهنّ لا يتبين إلا منها و فيها. و لا يسلم الشرف التام الحقيقى إلا للمتواضع فى ذات الله عزّ و جلّ.

٢١٦- فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ... (٦) فإذا امتنعوا عن طاعتك فيما أمرتهم به و دعوتهم إليه من التوحيد و عدم الشرك- و يعنى بهم كفار قريش الذين أمره بإنذارهم- إذا فعلوا ذلك فتبرأ منهم و من عملهم.

٢١٧- وَ تَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ... (٧) و قرئ فتوكل و هذه الشريفه فى مقام تسليه النبى الأكرم (ص) على فرض عصيان الأمه و عدم إطاعتهم لأوامره و نواهيّه. و يستفاد منها، و الله أعلم، أنه سبحانه يقول لنبيّه (ص):

ص: ٢١٢

١- سوره ٢٦ - آيه ٢١٤

٢- سوره ٢٦ - آيه ٢١٥

٣- سوره ٣ - آيه ١٥٩

٤- سوره ٢٦ - آيه ٢١٥

٥- سوره ٢٦ - آيه ٢١٥

٦- سوره ٢٦ - آيه ٢١٦

٧- سوره ٢٦ - آيه ٢١٧

يا محمد لا بدّ و أن يكون توكلّك علىّ و أنا العزيز: أي القادر على قهر أعدائك، الرّحيم أي القادر على نصر أوليائك و الرّحمة بهم، و نحن نكفيك شرّ من يعصيك فلا تضرّك معصيه العاصين و لا عدم إطاعه الطاغين ففوّض أمرك إلّى و أنا كافيك و حسبك و نعم الحبيب:

٢١٨ إلى ٢٢٠- الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ... (١) هذه صفه بعد صفه، أي توكلّ على الذي يراك حين تقوم من مجلسك أو فراشك للتهجد أو للصلاه في أوقاتها، و يرى تَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ (٢) أي تصرّفك و انتقالك في المصلين بالقيام و الركوع و السجود و القعود حين تؤمهم أو مطلقا و لو متفرّدا إِنَّهُ (٣) أي ربّك هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٤) مرّ تفسيره.

سوره الشعراء (٢٦): الآيات ٢٢١ إلى ٢٢٣

هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ (٢٢١) تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ (٢٢٢) يُلْقُونَ السَّمْعَ وَ أَكْثُرُهُمْ كَاذِبُونَ (٢٢٣)

٢٢١ و ٢٢٢- هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ... (٥) لما بين أن القرآن لا يصحّ أن يكون ممّا تنزل به الشياطين أكّد ذلك ببيان من تنزل عليه فقال سبحانه و تعالى: تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ (٦) أي كذاب مرتكب للذنب و المقصود منه رؤساء الكفار (منه) أي كل فاجر عامل بالمعاصي و هم الكهنة و السحرة فإن الشياطين يتنزلون عليهم فيستمعون إلى ما يلقون إليهم.

٢٢٣- يُلْقُونَ السَّمْعَ وَ أَكْثُرُهُمْ كَاذِبُونَ... (٧) أي الأفاكون يلقون سمعهم إلى الشياطين فيتلقون منهم ثم يضمون إلى وسوستهم على حسب تخيلاتهم أشياء لا يطابق أكثرها لا ما يظنون و لا الواقع. كما

في الحديث: الكلمه

ص: ٢١٣

- ١- سوره ٢٦ - آيه ٢١٨
- ٢- سوره ٢٦ - آيه ٢١٩
- ٣- سوره ٢٦ - آيه ٢٢٠
- ٤- سوره ٢٦ - آيه ٢٢٠
- ٥- سوره ٢٦ - آيه ٢٢١
- ٦- سوره ٢٦ - آيه ٢٢٢
- ٧- سوره ٢٦ - آيه ٢٢٣

يحفظها الجنى فيقرأها في أذن وليه فيزيد فيها أكثر من مائه كذبه و إن الشياطين كانوا قبل الإسلام يصعدون إلى السماء و يستمعون إلى الملائكة الأعلى و يحفظون من الملائكة كلمه أو كلمتين ثم ينزلون إلى الأرض و يلقون إلى أوليائهم من الكهنة، كان الكهنة يزيدون عليها ما شاؤوا من تخيلاتهم الفاسده. لتتميم علمهم الناقص و أَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ (١) أى الأفاكون أكثرهم كاذبون أو أكثر الشياطين، و الظاهر هو الأول بقريته قوله تنزل على كل أفاك أثيم، و الأفاك هو الكذاب و هو المنتزل عليه أى الكاهن، و الله أعلم بما قال.

سوره الشعراء (٢٦): الآيات ٢٢٤ الى ٢٢٧

وَ الشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ (٢٢٤) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ (٢٢٥) وَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ (٢٢٦) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَ ذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَ انْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَ سَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ (٢٢٧)

٢٢٤ إلى ٢٢٦- وَ الشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ... (٢) ثم إنه تعالى لما أبطل زعم المشركين أن القرآن من قبيل ما يلقي به الشياطين على كهنتهم، فأخذ في إبطال قولهم أن محمدا شاعر بأن الشعراء هم الذين يتبعهم الضالون المضلون فذمهم بمصاحبيهم و متابعيهم، حيث إن الإنسان يعرف بصحبه و جلسائه فلو كانوا من الشرفاء فهو يكشف عن أنه شريف و إذا كانوا من السفله و الأذنياء فهو كذلك و لعل المراد هو ابن الزبيرى و أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب و هبيرة بن وهب المخزومي و منافع بن عبد مناف و أمثالهم من الشعراء المشركين و كانوا سبعة و كلهم من قريش و قالوا نحن نقول مثل ما قال محمد فاجتمع إليهم غواه من قومهم يستمعون أشعارهم

ص: ٢١٤

١- سوره ٢٦ - آيه ٢٢٣

٢- سوره ٢٦ - آيه ٢٢٤

و يروون عنهم فيهجون النبي و أصحابه بالشعر فذمهم الله و أنزل فيهم الآيه، فالشعراء كذلك أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ (١) أى أنهم فى كل مذهب يذهبون غير مبالين بما نطقوا به من غلوّ فى مدح من لا يستحق المدح و ذمّ من لا يستحق الذمّ وَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ (٢) إذ يعظون الناس و لا- يتعظون و ينهون عن المنكر و لا- ينتهون و يأمرّون بالمعروف و لا يعملون قيل هم الذين غضبوا حق آل محمد صلوات الله عليهم أجمعين و لعنه الله على غاصبى حقوقهم و قد أعفى سبحانه من هذا الذم للشعراء و استثنى الَّذِينَ آمَنُوا (٣) صدّقوا بدعوه النبي (ص) وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ (٤) من الأعمال، و تعدّى عليهم الكافرون بذمهم ف انتصروا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا (٥) فقالوا الشعر انتصاراً لأنفسهم، و سيعلم الظالمون كيف ينتقم الله تعالى منهم حينما يُنْقَلِبُونَ (٦) يعودون إليه يوم الحشر و الحساب.

ص: ٢١٥

- ١- سورة ٢٦ - آيه ٢٢٥
- ٢- سورة ٢٦ - آيه ٢٢٦
- ٣- سورة ٢٦ - آيه ٢٢٧
- ٤- سورة ٢٦ - آيه ٢٢٧
- ٥- سورة ٢٦ - آيه ٢٢٧
- ٦- سورة ٢٦ - آيه ٢٢٧

مكيه و هي ثلاث و تسعون آيه.

سوره النمل (٢٧): الآيات ١ الى ٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَ كِتَابٍ مُّبِينٍ (١) هُدًى وَ بُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَ هُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٣) إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ (٤) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَ هُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْأَخْسَرُونَ (٥) وَ إِنَّكَ لَتَلْقَى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنِّ حَكِيمٍ عَلِيمٍ (٦)

١- طس- تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَ كِتَابٍ مُّبِينٍ... (١)

فى ثواب الأعمال و المجمع عن الصّادق عليه السلام: من قرأ سور الطّواسين الثلاث فى ليله الجمعة كان من أولياء الله و فى جواره و كنفه، و لم يصبه فى الدّنيا بؤس أبدا، و أعطى فى الآخرة من الجنّة حتى يرضى و فوق رضاه، و زوجة الله من الحور العين. و زاد فى المجمع: و أسكنه الله فى جنّه عدن. و قد مرّ بيان طس (٢) و غيرها من الحروف المقطّعات و الرموز، و قلنا بأنّها تماما أسماء لنبيّنا صلوات الله عليه و آله، و هى

أسماء رمزيه تأتي فى كلّ مقام بمناسبه لا يعلمها إلاّ الله

ص: ٢١٧

١- سوره ٢٧ - آيه ١

٢- سوره ٢٧ - آيه ١

و الراسخون في العلم على ما صرّح في بعض الأدعية المنسوبه إلى مولانا عليّ بن الحسين صلوات الله عليهما؛ و لا ينافي ما قلناه ما قيل و ما روى فيها من المعاني فإن للقرآن بطونا على ما في الروايات فيمكن حملها على تلك المعاني و البطون و الله أعلم تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ (١) إشاره إلى آي السوره وَ كِتَابٍ مُّبِينٍ (٢) أى مبين للحق من الباطل و الكتاب هو اللوح أو القرآن.

٢ و ٣- هُدًى وَ بُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ... (٣) هدى من الضلاله إلى الحق، و بشرى لهم بالثواب و الجنة. و بشرى و هدى: مصدران بمعنى الفاعل، أى هاد و مبشر للمؤمنين. الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ (٤) يؤدونها في أوقاتها و بحدودها المشروعه من واجبات و منفيات و غيرها، و الجملة صفة للمؤمنين وَ يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ (٥) بتمامها و كمالها، و هذه صفة بعد صفة وَ هُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٦) صفة ثالثة، و الواو ربما احتملت فيها الحاليه كما يحتمل العطف. و يلاحظ أن تغيير النظم و تكرار الضمير قد كانا إيذانا بإيقانهم و إيمانهم بيوم الحساب و بالجنه و النار و الثواب و العقاب.

٤- إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيْنًا لَهُمْ أَعْمَالُهُمْ... (٧) تزين الأعمال يكون إما بتخليه الشيطان حتى يزئنها لهم كما صرّح به في الآيه ٣٤ من هذه السوره وَ إِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ (٨)، إلخ... و إما بجعلها مشتهاه لطبائعهم محبوبه لأنفسهم فَهُمْ يَعْمَهُونَ (٩) أى متحيرون فيها لمن ضلّ الطريق، لا- يدركون ما يتبعها، و العمه هو التحير في الطريق أو الأمر مطلقا، و التردد في الضلال. و قيل معنى قوله زينا لهم إلخ: حرمانهم التوفيق عقوبه على كفرهم فترئنت أعمالهم في أعينهم و حليت في صدورهم فهم لا يشعرون بما يفعلون و لا يدركون أنّ أعمالهم و بال عليهم و هذا غايه العمه و الضلاله أعاذنا الله منهما.

٥- أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ... (١٠) أى العذاب في الدنيا كالقتل و الأسر و الفديه عوضا عنهما كما في وقعه بدر بقربنه قوله تعالى: وَ هُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْأَخْسَرُونَ (١١) فإنهم أشدّ الناس خسرانا لفوات المثوبه و استحقاق العقوبه و لاستبدالهم النار بالجنه.

ص: ٢١٨

١- سوره ٢٧ - آيه ١

٢- سوره ٢٧ - آيه ١

٣- سوره ٢٧ - آيه ٢

٤- سوره ٢٧ - آيه ٣

٥- سوره ٢٧ - آيه ٣

٦- سوره ٢٧ - آيه ٣

٧- سوره ٢٧ - آيه ٤

٨- سوره ٨ - آيه ٤٨

٩- سوره ٢٧ - آيه ٤

١٠- سوره ٢٧ - آيه ٥

١١- سوره ٢٧ - آيه ٥

٥- أَوْلَيْكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ... (١) أى العذاب فى الدنيا كالقتل و الأسر و الفديه عوضا عنهما كما فى وقعه بدر بقرينه قوله تعالى: وَ هُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسِرُونَ (٢) فإنهم أشد الناس خسرانا لفوات المثوبه و استحقاق العقوبه و لاستبدالهم النار بالجنه.

٦- وَ إِنَّكَ لَلَّذِى لَقِىَ الْقُرْآنَ ... (٣) أى لتلقنه و تعطاه مِنْ لَمُدُنْ حَكِيمٍ (٤) من عند من هو ذو حكمه فى أمره و لا- يحتاج فيه إلى مشوره و لا إلى استخاره من غيره عليم (٥) ذى علم؛ بمصالح خلقه..ثم إنه سبحانه أخذ فى بيان بعض من علومه التى كانت من قسم القصص حيث إن علومه التى أودعها فى القرآن ضرور منها القصص و الأخبار التى وقعت للأنبياء السابقين و أممهم يذكرها فيه للاعتبار و تسليه النبى الأكرم بالنسبه إلى أذيه قومه له حتى

قال: ما أودى نبى مثل ما أوديت فإنه تعالى قصص على نبىه الخاتم صلى الله عليه و آله كيفيه حال موسى عليه السلام من بعثه و مبعثه و إعطائه المعجز و إرساله إلى فرعون و ملئه فقال سبحانه:

سوره النمل (٢٧): الآيات ٧ إلى ١٢

إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّى آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبْرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ (٧) فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٨) يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٩) وَ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَى الْمُرْسَلُونَ (١٠) إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّى غَفُورٌ رَحِيمٌ (١١) وَ أَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِى تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَ قَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ (١٢)

ص: ٢١٩

١- سوره ٢٧ - آيه ٥

٢- سوره ٢٧ - آيه ٥

٣- سوره ٢٧ - آيه ٦

٤- سوره ٢٧ - آيه ٦

٥- سوره ٢٧ - آيه ٦

٧- إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ... (١) أى اذكر يا محمد قصه موسى بن عمران حين قال لامرأته، و هى بنت شعيب عليه السلام، حين ما أمر بدعوه فرعون فخرج مع أهله من عند شعيب متوجهين إلى مصر فابتليت امرأته بالمخاض، و القصة قد ذكرناها قبلاً فلا نعيدها إِنْى أَنشَتْ ناراً (٢) أبصرت و أحسست ناراً سَأَتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبْرٍ (٣) أى خبر عن الطريق لأنهم ضلّوا، و النار عاده تكون علامه على وجود ناس عندها يعرفون الأخبار كطلب الاهتداء إلى الطريق و غيره ممّا يعرض للمسافر التائه عن دربه كما أصابهم فى ظلمه ذلك الليل البهيم. و قد خاطب أهله بالجمع مع أنه سبحانه كنى عنهم بالأهل، لأن الأهل تشمل العشيره و الجماعه فتتضمن معنى الجمع، و لذلك صحّ أن يخاطب أهله بضمير الجمع، و هذا يقتضيه المقام و مقام النبوه ذلك أن الأنبياء صلوات الله عليهم مهذبو اللسان متأدبون بآداب الله و متعلمون بتعليماته سبحانه، و مأمورون بأن يعلموا الناس و يرؤوهم على تلك التعاليم الإلهيه و الترييه الربوييه عملياً لأن التعاليم العمليه أهمّ و أولى من النظرية فقط كما

فى الروايه: كونوا دعاه إلى الله بغير ألسنتكم، أى بأعمالكم، و الوجه واضح لا- يحتاج إلى إقامه برهان عليه مزيداً على الروايه المذكوره. فالنتيجه أن المربّين بترييه الله تعالى عادتهم و ديدنهم أن يدعوا الناس و يخاطبوهم بأحسن أسمائهم و بكيفيته يحفظون فيها احتراماتهم و لو كان المخاطب من أهاليهم و لا سيّما إذا كانوا من أولاد الأنبياء و من أهل بيت النبوه و الرساله كما فى المقام على ما أشرنا فى صدر البيان. و فى رواياتنا أيضاً الأمره بأن تكلم الناس و تدعوهم بما يحبون من أسمائهم و كناههم لا بما يؤذيههم أو آتِيكُمْ بِشَّهَابٍ قَبَسٍ (٤) أى بما يتضوّأ به من نار ذات شعله، و بعباره أوجز: بشعله مضيئه، فإن القبس هو النار المقبوسه الملتهبه، و قرئ بإضافه الشهاب و هى بيانيته، و القراء المشهوره بغير الإضافه فالقبس بدل لَعَلَّكُمْ تَصِيَّطُونَ (٥) لكى تستدفتون بها. و الحاصل أن موسى خلّى أهله و توجه نحو النار.

ص: ٢٢٠

١- سوره ٢٧ - آيه ٧

٢- سوره ٢٧ - آيه ٧

٣- سوره ٢٧ - آيه ٧

٤- سوره ٢٧ - آيه ٧

٥- سوره ٢٧ - آيه ٧

٨- فَلَمَّا جَاءَهَا نُودَى... (١) أى لما قرب منها خوطب أن بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ (٢) والمراد مَنْ (٣) هو الملائكة. و فِي النَّارِ (٤) فى مكان النار، و هو البقعه المباركه المذكوره فى قوله تعالى نُودَى مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ (٥) وَ مَنْ حَوْلَهَا (٦) أى موسى أو الملائكة أو كليهما.

١٠- والتعبير بالنار لعله على زعم موسى فى أول الرؤيه و إلا فهى من أنوار العظمه و الجلال وَ سُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٧) تنزيها له.

٩- يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ... (٨) ناداه الحق سبحانه إن هذه ليست ناراً و لكن نوري تجلى لك و أنا العزيز الذى لا يقهر، الحكيم الذى أقواله و أفعاله طبق الحكمة التامه.

١٠- وَ أَلْقِ عَصَاكَ... (٩) نودى أن ارم عصاك و أطلقها من يدك، فألقاها فلما رآها تهتت (١٠) تتحرك و تتراقص كأنها جان (١١) كالجنّ السريع الحركة ولى مُدْبِرًا (١٢) كَرَّ رَاجِعًا، إلى الوراء وَ لَمْ يُعَقِّبْ (١٣) لم يرجع بل هرب منها، فقال له سبحانه يا موسى لا تَخَفْ (١٤) من تلك الحيهِ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَى الْمُرْسَلُونَ (١٥) لأننى معهم أسمع و أرى.

١١- إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسَيْنًا بَعْدَ سُوءٍ... (١٦) أى رجع بعد ظلم نفسه إلى التوبه و الإنابه و العمل الصالح بعد العمل السيء. و يمكن أن يكون هذا تعريضا بوكز موسى عليه السلام للقبطى الذى قتله، أو أن الاستثناء منقطع هنا و المقصود به الناس الآخرون من المكلفين، و الله تعالى غفور لمن تاب و أناب.

١٢- وَ أَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجَ بَيْضًا... (١٧) هذه آيه أخرى زوده بها الله سبحانه و تعالى، و ذلك بأن يدخل يده تحت إبطه أو فى جيبه أو فى شق قميصه الذى يلي صدره، فإن إدخالها بهذا الشكل و إخراجها يكفيان لان تصير بيضاء من غير سوء (١٨) من غير آفه كالبرص أو غيره بل هى كالشمس فى الليل و أضواؤها منها فى النهار فى تسع آيات (١٩) أى مع تسع

ص: ٢٢١

- ١- سورة ٢٧ - آيه ٨
- ٢- سورة ٢٧ - آيه ٨
- ٣- سورة ٢٧ - آيه ٨
- ٤- سورة ٢٧ - آيه ٨
- ٥- سورة ٢٨ - آيه ٣٠
- ٦- سورة ٢٧ - آيه ٨
- ٧- سورة ٢٧ - آيه ٨
- ٨- سورة ٢٧ - آيه ٩
- ٩- سورة ٢٧ - آيه ١٠
- ١٠- سورة ٢٧ - آيه ١٠
- ١١- سورة ٢٧ - آيه ١٠

۱۲- سوره ۲۷ - آیه ۱۰

۱۳- سوره ۲۷ - آیه ۱۰

۱۴- سوره ۲۷ - آیه ۱۰

۱۵- سوره ۲۷ - آیه ۱۰

۱۶- سوره ۲۷ - آیه ۱۱

۱۷- سوره ۲۷ - آیه ۱۲

۱۸- سوره ۲۷ - آیه ۱۲

۱۹- سوره ۲۷ - آیه ۱۲

آيات أخر أنت مرسل بها إلى فرعون و قومه إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ (١) هذه الجملة فى موضع التعليل للإرسال إلى قوم يرتكبون المعاصى و الآثام.

سوره النمل (٢٧): الآيات ١٣ الى ١٤

فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ (١٣) وَ جَحَدُوا بِهَا وَ اسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَ عُلوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (١٤)

١٣- فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً... (٢) من أبصر الطريق أى استبان و وضع. فهى ظاهره واضح و مستبان، فإن باب الإفعال كما استعمل متعديا كذا استعمل لازما كما مثلنا، و قال تعالى قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (٣) و كثر استعماله كذلك شعرا و نثرا بحيث لا يحتاج إلى مزيد بيان.

فالآيات تكون واضحة و ظاهره لجميع من حضر بحيث يرون أنها أمور خارجه عن طاقه البشر و أنها كانت مما وراء الطبيعه و خارقه للعاده. و نصبها على الحالیه عن الآيات. و هذا لا يحتاج إلى التأويلات و التكلّفات التى ارتكبتها المفسرون فى تلك الكلمه و أتعبوا أنفسهم الشريفه فى تصحيحها هذا بناء على ما هو المشهور من قراءتها بصيغه اسم الفاعل و

فى المجمع روى عن السجاده سلام الله عليه مبصره بفتحها فيرفع الخلاف فى هذا الكلام و الظرف فى قوله فى تسع آيات متعلق بالمقدّر أى اذهب الى فرعون فى تسع آيات. و لكنهم قالوا إنها سحر.

١٤- وَ جَحَدُوا بِهَا... (٤) أى أنكروها و كذبوا بها ظُلْمًا (٥) لأنفسهم وَ عُلوًّا (٦) ترفعا عن الإيمان و الانقياد فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (٧) فى الأرض من الغرق فى الدنيا و الحرق فى الآخرة.

ص: ٢٢٢

- ١- سوره ٢٧ - آيه ١٢
- ٢- سوره ٢٧ - آيه ١٣
- ٣- سوره ٢٣ - آيه ١
- ٤- سوره ٢٧ - آيه ١٤
- ٥- سوره ٢٧ - آيه ١٤
- ٦- سوره ٢٧ - آيه ١٤
- ٧- سوره ٢٧ - آيه ١٤

وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَ الْخَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلْنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ (١٥) وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ (١٦) وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (١٧) حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (١٨) فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَتِي وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ (١٩)

١٥- وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا... (١) عطف سبحانه على قصه موسى قصه داود و سليمان فقال آتيناها علمًا بالقضاء بين الخلق و بكلام الطير و الدواب و قال- الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلْنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ (٢) أى اختارنا من بينهم بأن جعلنا أنبياء و ملوكا، و بالمعجزات التى وهبها لنا من إله الحديده و تسخير الشياطين و الجن و الإنس. و فى الكريمة دليل على فضل العلم و شرف أهله حيث شكرا على العلم و جعلاه أساس الفضل و لم يعتبر ما دونه حتى ما أوتيا من الملك الذى لم يؤت أحدا بعدهما و لا قبلهما تحريضا للعالم على أن يحمد الله على ما آتاه من فضله، و أن يتواضع و يعتقد أنه و إن فضل على كثير لكن فضل عليه كثير.

ص: ٢٢٣

١- سوره ٢٧ - آيه ١٥

٢- سوره ٢٧ - آيه ١٥

١٦- وَ وَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ... (١) أى ورث الملك و النبوه بأن قام مقامه دون سائر بنيه و هم تسعه عشر. و

فى الكافى عن الجواد عليه السلام أنه قيل له إن الناس يقولون فى حدائنه سنك، فقال: إن الله أوحى إلى داود أن يستخلف سليمان و هو صبى يرعى الغنم، فأنكر ذلك عباده بنى إسرائيل و علماءهم، فأوحى إلى داود أن خذ عصا المتكلمين و عصا سليمان و اجعلها فى بيت و اختم عليها بخواتيم القوم فإذا كان من الغد فمن كانت عصاه أورقت و أثمرت فهو الخليفه. فأخبرهم داود فقالوا قد رضينا و سلمنا. و لما أصبح الصبح إذا عصا سليمان قد أثمرت و أورقت هذا ما ورد عنه و لا ينافى ما

ورد فى الصحيح من أنه تعالى أنزل من السماء مكتوبا مختوما على داود (ع) و فيه مسائل فقال تعالى كل واحد من ولدك أجاب عليها فهو الوارث و الخليفه بعدك. فإن ولده كان عددهم تسعه عشر و كلهم كانوا حسب الظاهر أهلا للوراثه و الخلافه، أما المسأله الأولى فهى أقرب الأشياء أى شىء و أبعداها أى شىء. و الثانية أى الأشياء آنس و أيها أوحش و الثالثه أى شىئين من الأشياء قائمان و أيهما مختلفان، و أيهما المتباغضان. و الرابعه أى شىء آخره محمود و أى شىء آخره مذموم. فجمع داود الأحبار و الأشراف و أولاده و أراهم المكتوب المختوم السّماوى فسأل المسائل واحدا بعد واحد ولدا بعد ولد فما أجابوا إلا سليمان عليه السلام.

أما الأولى فأجاب عنها بأن أقرب الأشياء إلى الإنسان هو الآخره و أبعداها ما يمضى من الدنيا. أما الثانية فآنس الأشياء إلى الإنسان الجسد مع الروح و أوحش الأشياء الجسد بلا-روح. و الثالثه أنّ القائمين هما الأرض و السماء و المختلفين هما الليل و النهار و المتباغضين هما الموت و الحياه و الزّابعه أنّ الذى آخره محمود فهو الحلم فى حال الغضب و الذى عاقبته مذمومه فهو الحدّه فى حال الغضب. فاعترف الأحبار و أولاده جميعا بفضل سليمان و أهليته للخلافه.

وَ قَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ (٢) القمى عن الصادق عليه السلام: أعطى سليمان بن داود مع علمه معرفه المنطق بكلّ لسان و معرفه

ص: ٢٢٤

١- سورة ٢٧ - آيه ١٦

٢- سورة ٢٧ - آيه ١٦

اللغات و منطق الطير و البهائم و السباع. و كان إذا شاهد الحروب تكلم بالفارسيه، و إذا قعد لعماله و جنوده و أهل مملكته تكلم بالروميّه و إذا خلا بنسائه تكلم بالسريانيه و النبطيه، و إذا قام في محرابه لمناجاه ربّه تكلم بالعربيّه، و إذا جلس للوفود و الخصماء تكلم بالعبرانيه. و

في المجمع عن الصادق عن آبائه عليهم السلام قال: أعطى سليمان بن داود ملك مشارق الأرض و مغاربها فملك سبعمائيه سنه و ستة أشهر، ملك أهل الدنيا كلهم من الجن و الإنس و الشياطين و الدوابّ و الطير و السباع، و أعطى علم كل شيء و منطق كل شيء في زمانه و صنعت في زمنه الصنائع العجيبه و ذلك قوله علّمنا منطق الطير. و

في البصائر عن أمير المؤمنين عليه السلام قال لابن عباس: إنّ الله علّمنا منطق الطير كما علّم سليمان بن داود عليه السلام و منطق كلّ دابه في بر و بحر. و

عن الصادق عليه السلام أن سليمان بن داود قال علّمنا منطق الطير و أوتينا من كلّ شيء و قد و الله علّمنا منطق الطير و علم كلّ شيء، و

عن الباقر سلام الله عليه أنّه وقع عنده زوج ورشان (نوع من الحمام البرّي أكدر اللون فيه بياض فوق ذنبه) و هدلا هديلها فردّ عليهما كلامهما فمكثا ساعه ثم نهضا فلما طارا عن الحائظ هدل الذكر على الأثني ساعه ثم نهضا. فسئل ما هذا فقال كل شيء خلقه الله من طير أو بهيمه أو شيء فيه روح فهو أسمع لنا و أطوع من ابن آدم. إن هذا الورشان ظنّ بامرأته، فحلفت له ما فعلت، فقالت ترضى بمحمد بن عليّ فرضيا بي، فأخبرته أنّه لها ظالم فصدّقها. و قد تعرّضنا هنا لذكر الروايات بأكثر مما هو مبنا في هذا الكتاب من الاختصار تيّمنا بها و استعانه بهم عليهم صلوات الله لأن في ذكر رواياتهم إحياء لذكرهم و نحن مأمورون به.

١٧- وَ حُشِرَ لِسُلَيْمَانَ... (١) أى جمع له فهُمْ يُوزَعُونَ (٢) يحبسون و يمنعون من التفرّق حين الحركه و السّير لتحفظ عظمتهم و شوكتهم فإنهما في حفظ النظام و الترتيب، و هذا ممّا يتعلّق بتعظيم الملك و حفظ شؤونه و فيه مصالح لا يعلمها إلا الله و أنبياؤه (ع).

ص: ٢٢٥

١- سورة ٢٧ - آيه ١٧

٢- سورة ٢٧ - آيه ١٧

١٨- يَتِي إِذَا أَتَوْا عَلَى... (١) القمى: قعد على كرسيه و حملته الريح فمرت به على وادى النمل، و هو واد ينبت فيه الذهب و الفضه، و قد و كل به النمل. و

قال الصادق على آباءه و عليه السلام: و قد حماه الله بأضعف خلقه و هو النمل، لو رامته البخاتى ما قدرت عليه. وادى النمل واد بالشام أو الطائف كثير النمل، و هو تعالى أخفاه عن الأنظار لأنه وادى الذهب و الفضه كما أخفى جنة شداد و سد الإسكندر المعروف بذى القرنين و الجبل الذى هو منام أصحاب الكهف و غيرها من عجائب الدنيا التى اقتضت حكمته الإلهية إخفاءها إلى يوم الساعة.. و حين مرّ موكب سليمان عليه السلام على وادى النمل هذا قالت نملة لأخواتها ادخلوا مساكنكم (٢) قراكم لا يحطمنكم (٣) يدهسكم سليمان و جنوده دون أن يحسوا بوجودكم. و قد حكى عنهم كعقلاء لأن قولهم قول عقلاء.

١٩- فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا... (٤) أى تجاوز حد التبسّم إلى حد الضحك تعجبا من حذرها و تحذيرها جنده. و كان للنملة القائله بالتحذير سلطان عليهم على ما نقل و قد أثبت العلم الحديث أن للنمل ملكه يأتمر بأمرها و ينتهى بنهيها و عن الرضا عليه السلام عن أبيه عن آباءه فى وجه ضحكه:

أن النملة بعد إحصارها و سؤال سليمان عن وجه التحذير و جواب النملة بما ذكر فى الروايه قالت النملة: هل تدرى لم سخرت لك الريح من جميع الموجودات؟ قال (ع): ما لى بهذا علم. قالت النملة: يعنى عزّ و جلّ بذلك أنه كلما أعطيتك من ملك الدنيا هو كالريح فى عدم استقرارها و ثباتها تزول و تذهب و تفنى بسرعه فحينئذ تبسم ضاحكا من قولها. و الروايه نقلتها بمعناها تقريبا لأنى نقلتها من تفسير فارسى و قال ربّ أوزعنى أن أشكر نعمتك (٥) أى ألهمنى و ذكرنى شكر نعمتك لأنه يزيد فى النعمه. و التعبير بصيغه الاستقبال للدوام و الثبوت، و هذه الحيثيه داخله فى المسؤول، أى شكرا دائما التى أنعمت علىّ و على والدئى (٦) أما النعمه التى أعطاه الله تعالى له فهى نعمه النبوه و الملك و هما من أعظم النعم و لا تجتمعان إلا فى

ص: ٢٢٦

١- سورة ٢٧ - آيه ١٨

٢- سورة ٢٧ - آيه ١٨

٣- سورة ٢٧ - آيه ١٨

٤- سورة ٢٧ - آيه ١٩

٥- سورة ٢٧ - آيه ١٩

٦- سورة ٢٧ - آيه ١٩

الأوحدى من البشر و لم تجتمعا إلى الآن إلا فى داود و بعض أولاده سلام الله عليهم فينبغى أن يشكرها. و قد كانتا أيضا فى ذى القرنين بناء على كونه نبيا. و أدرج فيه ذكر والديه أما الوالد فلأن النعمتين العظيمتين المذكورتين هما تراث والده فهما سببان لشكر الوالد عليهما لا غيره و أما الأم فلما لها عليه من فضل الحمل و التريه و التعب. و أن أعمل صالحاً ترضاه (١) عطف على أن أشكر و أذخلى برحمتك فى عبادك الصالحين (٢) هذه الجملة يحتمل أن تكون عله لما قبلها من قوله و أن أعمل صالحاً (٣) و قد نقل أنه يوما من الأيام كان سليمان على بساطه و الريح تسيه كيف يشاء و أين يريد فمر على دهقان يزرع، فوق نظره على بساط سليمان مع تلك العظمه و الخدم و الحشم فقال: سبحان الله لقد أوتى آل داود ملكا عظيما. فسمع سليمان مقالته بواسطة الريح المأموره بإيصال كل صوت إليه، فأمر الريح بإنزال البساط فأحضر الدهقان و قال (ع): قد سمعت مقالتك و جئتك حتى أقول لك: لا- تطلب ما لا- تكون قادرا عليه. و قال بعد ذلك إن ثواب تسيحه يقولها العبد المؤمن عن خلوص و اعتقاد و يقبلها الله تعالى أفضل و أحسن ممّا أعطى آل داود لأنه باق و ملك سليمان فان. فقال الدهقان فرج الله غمك كما أذهبت غمى.

سوره النمل (٢٧): الآيات ٢٠ الى ٢١

و تَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهَدْيَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ (٢٠) لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لِيَأْتِيَنِي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (٢١)

٢٠- و تَفَقَّدَ الطَّيْرَ... (٤) أى طلب الطير الذى لم يكن فى مكانه و ذلك أن سليمان (ع) كان إذا قعد على عرشه جاءت الطيور فتظلل الكرسي و البساط بجميع من عليه من الشمس، فغاب عنه الهدهد يوما فسقط

ص: ٢٢٧

١- سوره ٢٧ - آيه ١٩

٢- سوره ٢٧ - آيه ١٩

٣- سوره ٢٧ - آيه ١٩

٤- سوره ٢٧ - آيه ٢٠

شعاع الشمس من موضعه في حجر سليمان أو على رأسه فرفع رأسه فقال ما لي لا- أرى الهدهد (١) أى ما بال الهدهد لا أراه. تقول العرب مالى لا أراك يعنى مالك أو يقول مالى أراك كئيبا أى ما لك كئيبا، وهذا من القلب الذى يوضحه المعنى. و

العياشى قال: قال أبو حنيفة لأبى عبد الله عليه السلام: كيف تفقد سليمان الهدهد من بين الطير؟ قال عليه السلام:

لأن الهدهد يرى الماء فى بطن الأرض كما يراه فى القاروره أو كما يرى أحدكم الدهن فى القاروره. فنظر أبو حنيفة إلى أصحابه وضحك. قال أبو عبد الله ما يضحكك؟ قال: ظفرت بك جعلت فداك. قال: و كيف ذلك؟ قال الذى يرى الماء فى بطن الأرض لا- يرى الفخ الذى يصاد به فى التراب حتى يؤخذ فى عنقه؟ قال (ع): يا نعمان أما علمت أنه إذا نزل القدر عمى البصر؟ فبهت أبو حنيفة الذى أراد إفحام أعلم البشر فى عصره. ولا يخفى أنه ربما يختلج فى بعض الأذهان أن فى هذه القصه أمور، منها أن سليمان كان نبيا و الأنبياء معصومون من الظلم و يمشون على جاده العدل و طريق الاستقامه، و من ناحيه أخرى أن الطيور غير مكلفين حتى يثبت عليهم التقصير فيستحقون عذابا و عقابا، فما معنى قول سليمان لأَعْدَبْنَهُ عَذَاباً شَدِيداً أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ (٢) أميا الجواب عن الناحيه الأخيره لأننا قبلنا منكم الأولى أن الطيور غير مكلفين، فنعم. و لكن من ناحيه التكليف الشرعيه و الأحكام التى نحن البشر مكلفون بها. و أما بالنسبه إلى بعض الأمور الأخر فلا نسلم عدم تكليفها به، فإنها مأموره ببعض الأذكار، و بأن لا يظلم بعضها بعضا. و الحاصل أن الطيور فى عصر سليمان كانت موظفه ببعض الوظائف و مكلفه بتكاليف، فإنه فى أوقات سيره كان يحضرها للاستظلال بها، فكانت الطيور تحضر لذلك بما فيها الهدهد يحضره للاستظلال به و للدلاله على الماء، فاذا عصى واحد منها أمر نبي الله فيعد عاصيا و مستحقا للعذاب و العقاب بلا شبهه و لا ارتياب بما يراه و يشاء.

فالهدهد بغيبته بلا استئذان و لا إجازة نبي الله يعد فى زمره العاصين. فهذا التشديد المؤكد بالحلف يمكن أن يكون من جهه العصيان أو من ناحيه

ص: ٢٢٨

١- سورة ٢٧ - آيه ٢٠

٢- سورة ٢٧ - آيه ٢١

أخرى من تهديد الحاضرين من ذوى العقول و غيرهم ليعتبروا بقضيه الهدهد فلا يقصّرون فى مقام أداء الوظيفه. و أما الجواب عن الأسئلة الأخر، فأولاً: هذه الأمور المذكوره ليست بأمر كان صدورها محالاً عقلاً حتى يكذب و لا يصدّق فيمكن صدق هذه القضايا و وقوعها بمكان من الإمكان.

و ثانياً هذه الإشكالات من الأوهام القائمه على مبانى الملاحظه، و أما من كان يؤمن بالله و يصدّق بأنه القادر المطلق يفعل ما يشاء و يختار ما يريد و كل أفعاله تصدر عن مصالح يعلمها و لا نعلمها، فحينئذ يمكن أن يصدر من الهدهد بإعطائه القدره على ما لا يصدر من الطائرات السريعه و الأقمار السياره الجويّه الصناعيه من السّرعه الشديده كسرعه النّور و أن يشعر بأمر عقلائيّه لا يتفكرها و لا- يعرفها أمثال فيثاغورث و أفلاطون. و يمكن أن يخفى على سليمان أمور ظاهره فى نفس مملكته فكيف بممالكك غيره؟ فتلك الإشكالات عند المعتقدين بإله العالمين القادر الكامل فى قدرته موهومات سوفسطائيه لا يعتنى بها.

٢١- لَأَعْدَبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا... (١) أى بنتف ريشه و تشميسه أو حبسه مع ضده فى قفص واحد أو لَأَذْبَحَنَّهُ (٢) ليعتبر به أبناء جنسه أو لِيَأْتِيَنِي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (٣) بحجه تبين عذره أو يبين عذره بها. و اللام فى الموارد الثلاثه لام القسم، لكنّه فى الأخير إما لصيانه السياق أو بتقدير فعل العفو. و

فى الكافى عن الكاظم عليه السلام: و إنما غضب عليه لأنه كان يدلّه على الماء. قال فهذا الطائر قد أعطى ما لم يعط سليمان. و قد كانت الريح و التّمل و الجن و الإنس و الشياطين المردّه له طائعين، و لم يكن أحد يعرف الماء تحت الهواء و كان هذا الطائر يعرفه، و إن الله يقول فى كتابه:

و لو أن قرآنا سيّرت به الجبال أو قطّعت به الأرض أو كلّم به الموتى. و قد ورثنا نحن هذا القرآن الذى فيه ما تسير به الجبال و يقطع به البلدان و يحيى به الموتى، و نحن نعرف الماء تحت الهواء (الحديث).

ص: ٢٢٩

١- سورة ٢٧ - آيه ٢١

٢- سورة ٢٧ - آيه ٢١

٣- سورة ٢٧ - آيه ٢١

فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنْتًا يَقِينٍ (٢٢) إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَ
لَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ (٢٣) وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّدَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا
يَهْتَدُونَ (٢٤) أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَ مَا تُعْلِنُونَ (٢٥) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (٢٦)

٢٢- فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ... (١) هذه العبارة أدل على التسرع و أكد عليها من التعبير بعبارات آخر تدل عليها كما لا يخفى على من هو أدرى بفصاحه القرآن فقال أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ (٢) و تلك المخاطبه لنبى أو ولي من أولياء الله و أنبيائه عن كل شخص صدرت، خلافا للأدب. فكيف من أدانى الحيوانات. لكنها من إلهام ربّه تعالى تنبيهاً لنبيه على أن تلك العتابات و الخطابات إنما صدورها من نبى مثل سليمان لمخلوق من مخلوقات الله، و لا سيما أعجزهم، غير مرضى عنده تعالى، و على أن فى أدنى و أعجز خلقه من أحاط علماً بما لم يحط به هو عليه السلام، مع سعه إحاطته و كمال علمه، فليتحاقر إليه و ليتصاغر لديه علمه و جِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنْتًا يَقِينٍ (٣) سبأ اسم للحى أو هو أبوهم: سبأ بن يشجب بن يعرب، أى بخر متيقن لا ريب فيه.

٢٣- إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ... (٤) يعنى بلقيس بنت شراحيل بن

ص: ٢٣٠

- ١- سوره ٢٧ - آيه ٢٢
- ٢- سوره ٢٧ - آيه ٢٢
- ٣- سوره ٢٧ - آيه ٢٢
- ٤- سوره ٢٧ - آيه ٢٣

مالك بن ريان كان ملكاً في اليمن و تمام نواحيها و لها عرشٌ عظيمٌ (١) سرير أعظم من سريرك. و لعل المراد بعظمته دقه صنعه و كيفيه ترصيعه بالجواهر، و يمكن أن تكون عظمته من هذه الجهات و من ناحيه طوله و عرضه و حجمه على ما عن ابن عباس من أنه قال: كان عرش بلقيس ثلاثين ذراعاً في ثلاثين ذراعاً، و طوله في الهواء ثلاثون ذراعاً. و كان مقدّمه من ذهب مرصّع بالياقوت الأحمر و الزمرد الأخضر و مؤخره من فضّه مكلل بالجواهر.

٢٤ إلى ٢٦- وَجَدْتُهَا وَ قَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ... (٢) أى رأيتهم يعبدون الشمس من دون الله (٣) و لا يعبدون الله عزّ و جلّ و زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ (٤) خلى سبحانه بين الشيطان و بينهم لأنهم نسوا ذكر الله فنسيهم: أى تخلى عنهم فصاروا كأنهم منسيين و أصبحوا يرون الفعل الذى يوسوس به الشيطان لهم جميلاً بنظرهم و حسناً فَصَدَّهُمْ (٥) منعهم الشيطان عن السبيل (٦) عن طريق الحق و الصواب فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ (٧) إلى العباده الحقيقيه و إطاعه الله تبارك و تعالى لأن الشيطان أشرب فى قلوبهم تقديس الشمس و حبها و زين لهم عبادتها. و يحتمل أن تكون هذه الجملة من كلام الهدهد بإلهام من الله تعالى كما ألهم الطيور و الحيوانات بعض الأذكار و التسيحات، و كما ألهمها بعض الصنائع التى تحير العقول و تفتن الأبواب كخلايا النحل و كالأعشاش المختلفه و كخيوط العنكبوت المهندسه النسج و غيرها. فأهل سبأ لا يهتدون ألاّ يسجدوا لله الذى يُخْرِجُ الخَبَاءَ (٨) ألاّ: تحضيضيه إذا دخلت على المضارع كانت للحث على الفعل، نحو: ألاّ تؤمن؟ ألاّ ترجع عن ضلالتك؟ أى لا بدّ و أن تؤمن و ترجع عن الضلال. و هنا فيما نحن فيه: ألاّ يسجدوا: أى لا بدّ و أن يسجدوا لله سبحانه، و هى بمعنى (هلاً) التحضيضيه. و يؤيد ما ذكرناه ما عن ابن مسعود من تبديل الألف بالهاء و قرأ: هلاً يسجدوا لله، فنحن نظنّ قوياً أن الجملة و ما بعدها من كلام سليمان عليه السلام و حينئذ لا

ص: ٢٣١

- ١- سوره ٢٧ - آيه ٢٣
- ٢- سوره ٢٧ - آيه ٢٤
- ٣- سوره ٢٧ - آيه ٢٤
- ٤- سوره ٢٧ - آيه ٢٤
- ٥- سوره ٢٧ - آيه ٢٤
- ٦- سوره ٢٧ - آيه ٢٤
- ٧- سوره ٢٧ - آيه ٢٤
- ٨- سوره ٢٧ - آيه ٢٥

تحتاج إلى التأويلات حيث إنه بعد العلم بوجود قريه بقره يعبد أهلها غير الله مع سعه سلطانه و انتشار دعوته و كمال قدرته و إحاطته بملكه، فتعجب و لفظ هذه الجملة و افتتاحها ب **أَلَا (١)** التي تفيد التحضيض و طلب الشيء بعنف. و يحتمل أن تكون من كلام الله عز و جل مع سليمان في مقام الذم على تركهم السجود له تعالى.

و الحاصل أن الجملة في محل نصب، و التقدير: و زين لهم الشيطان أن لا يسجدوا لله. و يمكن أن تكون عطف بيان أو بدلا من قوله: يسجدون للشمس. و الذي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ (٢) أي يظهر ما استتر و خفي سماويا كان أو أرضيا لأنه تعالى لا تخفى عليه خافية في الأرض و لا في السماء، وَ يَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ (٣) تسترون وَ مَا تُعْلِنُونَ (٤) تشهرونه و تبدونه، فهو الله الخالق الرازق القادر لا إله إلا هو (٥) لا معبود سواه رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (٧) رب كرسيه التي وسعت كل شيء.

سوره النمل (٢٧): الآيات ٢٧ الى ٣١

قَالَ سَيَنْظُرُ أَ صَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٢٧) اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ (٢٨) قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ (٢٩) إِنَّهُ مِنْ سَيِّدِنَا وَ إِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣٠) أَلَّا تَعْلَمُونَ عَلَيَّ وَ أَتُونِي مُسْلِمِينَ (٣١)

٢٧- قَالَ سَيَنْظُرُ أَ صَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ... (٨) قال سليمان(ع) للهدهد: ستأمل لنعرف إذا كنت صادقا في قولك أم كاذبا. و هذه الآية الشريفه من ألطف و ألين الخطاب، لأن في قول الهدهد ما يحتمل وجوها من احتمالات الصدق و الكذب و المبالغه في القول.

ص: ٢٣٢

١- سوره ٢٧ - آيه ٢٥

٢- سوره ٢٧ - آيه ٢٥

٣- سوره ٢٧ - آيه ٢٥

٤- سوره ٢٧ - آيه ٢٥

٥- سوره ٢٧ - آيه ٢٦

٦- سوره ٢٧ - آيه ٢٦

٧- سوره ٢٧ - آيه ٢٦

٨- سوره ٢٧ - آيه ٢٧

٢٨- اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ... (١) أى احمل رسالتى هذه و ألقها إلى الجماعه الذين دينهم كما ذكرت. وقد أهتمّ سلام الله عليه بأمر الدّين و ذكر القوم جميعا و لم يهتمّ بأمر الملكه فقط و لا قال: فألقه إليها ثمّ تَوَلَّ عَنْهُمْ (٢) أى تنحّ عنهم متواريا عن أنظارهم بحيث ترى و تسمع فأَنْظُرْ ما ذا يَزِجِعُونَ (٣) فاستمع مناقشتهم و رأيهم و ما يقول بعضهم لبعض. فذهب الهدهد بالكتاب و رماه فى حجر الملكه، فلما قرأته:

٢٩- قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ... (٤) أى قالت لأشراف قومها الذين يمثّلون الرأى فى مملكتها جاءنى كتاب كريم جدير بالاحترام و العنايه. و كان سليمان(ع) قد ختم الكتاب بخاتمه الشريف فلما فضّته أمام سراه قومها و شرفائهم عبّر عنهم سبحانه بالملاّء و فى القمى (الكتاب الكريم) أى المختوم، و فى الجوامع عن النبىّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله قال: كرم الكتاب ختمه. و فى الكلام حذف و تقديره: قيل لها ممّن هو و ما هو؟ فقالت إنه إلخ...

٣٠- إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ... (٥) أى الكتاب من سليمان وَ إِنَّهُ (٦) أى المكتوب بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٧) لكنّهم كانوا متحيزين أنّ الآتى و الجائى بالكتاب من هو؟ و لذا جازوا عن السّؤال عن عنوان الجائى به.

و عن ابن عباس كلام فى تفسير(الكتاب الكريم) يستفاد أنّهم علموا به، و قال: إنّهم لشرافه صاحب المكتوب من حيث إن رسوله الهدهد وصفوا الكتاب بأنه كريم. و الحاصل نحن و الآيات المباركات فى هذا المقام لا نستفيد منها شيئا و أهل البيت أدرى بما فى البيت على فرض صحه الروايه.

٣١- أَلَا تَعْلَمُوا عَلَيَّ وَ أَتُونِي مُسْلِمِينَ... (٨) قوله ألاّ تعلوا فى موضع رفع إما على البدليه من الكتابه و إما على الخبريه، أى: هو أن لاّ تعلوا، و الضمير راجع إلى الكتاب. و لعلّ الأوجه أنّ كلمه «أن» تفسيريه كما فى الكريمه الأخرى: وَ انْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ امشُوا (٩) و الحاصل أنّ المكتوب كلام فى غايه الوجازه مع كمال الدّلاله على المقصود لاشتماله على البسمله

ص: ٢٣٣

١- سورة ٢٧ - آيه ٢٨

٢- سورة ٢٧ - آيه ٢٨

٣- سورة ٢٧ - آيه ٢٨

٤- سورة ٢٧ - آيه ٢٩

٥- سورة ٢٧ - آيه ٣٠

٦- سورة ٢٧ - آيه ٣٠

٧- سورة ٢٧ - آيه ٣٠

٨- سورة ٢٧ - آيه ٣١

٩- سورة ٣٨ - آيه ٦

الدّاله على صفات الصّانع بعد الدّلاله على ذاته، والنهي عن العلوّ و الترفّع الذي هو أمّ الرذائل، و الأمر بالإسلام الجامع لأّمهات الفضائل. و ليس الأمر فيه بالانقياد له و إطاعته كما هو شأن الملوك و زعماء السياسه و أمرائهم.

و أما قوله **أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ (١)** فهذا لأنهم كانوا كفره، و هو عليه السلام كان نبيا و رئيس المؤمنين و المسلمين و الإسلام يعلو و لا يعلى عليه. فبهذا الاعتبار نهاهم عن الترفع عليه و الاستكبار، لا بما أنه ملك ذو قوه و حشم و خدم.

فإن إلقاء الكتاب إليها و هي على تلك الحاله أى فى قصرها على سرير الملك و العزّ بحيث لا يرقى إليها الطير بوسيله، و أمر سليمان هذا أقوى حجه و أعظم برهان على كونه نبيا و رسولا، فقولته عليه السلام و لا تعلو عليّ بعد إقامه الحجه على رسالته (ع) و نبوّته و ولايته عليهم كاشف عمّا ذكرنا و من أقوى الشواهد على ما قلناه و **أَتُونِي مُسْلِمِينَ (٢)** فما قال: و أتوني مطيعين لى أو نحو ذلك و لو كان لهذا اللفظ أيضا بناء على إثبات نبوّته تأويل لا ينافى ما قلناه.

سوره النمل (٢٧): الآيات ٣٢ الى ٣٥

قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ (٣٢) قَالُوا نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةٍ وَ أَوْلُوا بِأَسْ شَدِيدٍ وَ الْأَمْرُ إِلَيْكَ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ (٣٣) قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَ جَعَلُوا أَعْرَظَ أَهْلِهَا أُذْلًا وَ كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ (٣٤) وَ إِنِّي مُرْسَلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ (٣٥)

٣٢- قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي... (٣) أى استشارت مشاوريها و طلبت منهم الفتيا فى أمر إسلامهم و تسليمهم لسليمان و عدمه ما كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ (٤) لا- أمضى أمرا إلا بحضوركم و مشاورتكم و استرضاء خاطركم، فما تقولون فى هذا الأمر؟ ٣٣- قَالُوا نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةٍ... (٥) أى ذوو عدد و أهل شجاعه و أدوات حربيه و أولوا بأس شديد (٦) أى قوه فى الحرب و الجراه على الأعداء و الإقدام فى الشدائد فَنَظِرَةٌ مَاذَا تَأْمُرِينَ (٧) من الحرب أو الصّالح. فلما فكّرت رأيت أن أحسن الطرق و أولها هو الصّالح و المسالمة لأن فى الحرب مفساد شديده كما ذكرت.

ص: ٢٣٤

١- سوره ٢٧ - آيه ٣١

٢- سوره ٢٧ - آيه ٣١

٣- سوره ٢٧ - آيه ٣٢

٤- سوره ٢٧ - آيه ٣٢

٥- سوره ٢٧ - آيه ٣٣

٦- سوره ٢٧ - آيه ٣٣

٧- سوره ٢٧ - آيه ٣٣

٣٢- قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي... (١) أى استشارت مشاوريها و طلبت منهم الفتيا فى أمر إسلامهم و تسليمهم لسليمان و عدمه ما كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونَ (٢) لا- أمضى أمرا إلا بحضوركم و مشاورتكم و استرضاء خاطركم، فما تقولون فى هذا الأمر؟
٣٣- قَالُوا نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةٍ... (٣) أى ذوو عدد و أهل شجاعه و أدوات حربيه و أولوا بأس شديد (٤) أى قوه فى الحرب و الجراه على الأعداء و الإقدام فى الشدائد فأنظري ما ذا تأمرين (٥) من الحرب أو الصلح. فلما فكرت رأيت أن أحسن الطرق و أولها هو الصلح و المسالمة لأن فى الحرب مفسد شديد كما ذكرت.

٣٤- قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ... (٦) الظاهر من الكلام أنها أحست بأنهم يميلون إلى القتال فقالت إن فى دخول الملوك البلد مفسد كثيره منها إفساد نفس البلده بنهب الأموال و تخريب الديار، و منها إذلال الأعزّه و الأشراف بالإهانه و الأسر و القتل، و منها هتك الأعراض و النواميس فقدّمت مقدمه للصلح و تمهيدا لدفع الشر بأننا نرسل إليهم هديه حتى نعرف تكليفنا.

٣٥- وَ إِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ... (٧) فى المرحله الأولى، نحن فى مقام الصلح، و لسنا من أهل الحراب فأنا باعته إليهم بهديه أولا فَنَاطِرَةٌ بِمَ يَرْجَعُ الْمُرْسَلُونَ (٨) أى منتظره حتى يجيئنا الخبر عن حاله و كيفيه عمله و قوله مع المبعوثين فنعمل على حسب تكليفنا بعد ذلك. و فى القمى قالت: إن كان هذا نبيا من عند الله كما يدعى فلا طاقه لنا به فإن الله عزّ و جلّ لا يغلب، و لكن سأبعث إليهم بهديه فإن كان ملكا يميل إلى الدنيا يقبلها، و علمت أنه لا يقدر علينا. فبعثت حقّه فيها جوهره عظيمه، و قالت للرسول: قل له يثقب هذه الجوهره بلا حديد و لا نار. فأتاه الرسول بذلك فأمر سليمان بعض جنوده من الديدان فأخذ خيطا فى فمه ثم ثقبها و أخذ الخيط من الجانب الآخر. و هذه لا تنافيه الروايات الأخرى الداله على أنها أرسلت مع المبعوثين بهدايا كثيره ثمينه كما لا يخفى على من راجعها.

ص: ٢٣٥

١- سورة ٢٧ - آيه ٣٢

٢- سورة ٢٧ - آيه ٣٢

٣- سورة ٢٧ - آيه ٣٣

٤- سورة ٢٧ - آيه ٣٣

٥- سورة ٢٧ - آيه ٣٣

٦- سورة ٢٧ - آيه ٣٤

٧- سورة ٢٧ - آيه ٣٥

٨- سورة ٢٧ - آيه ٣٥

سوره النمل (٢٧): الآيات ٣٦ الى ٣٧

فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِي اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدْيَتِكُمْ تَفْرَحُونَ (٣٦) اِرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ (٣٧)

٣٦- فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ... (١) أى أ تساعدوننى و تزودوننى بمال و هذا استفهام إنكار فَمَا آتَانِي اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُمْ (٢) ما أعطانى ربى من النبوه و الملك و الحكمة خير مما أعطاكم من الدنيا و أموالها بَلْ أَنْتُمْ بِهَدْيَتِكُمْ تَفْرَحُونَ (٣) فلا حاجه لى بهديتكم و لا وقع لها عندى، نعم أنتم تفرحون بهدايا بعضكم لبعض حبا لزياده المال، لقصر همكم عليه، لكن نحن معاشر الأنبياء لا نفرح بذلك، إشاره إلى عدم اعتباره و اعتناؤه بأموال الدنيا. ثم قال للرسول:

٣٧- اِرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ... (٤) أيها الرسول ارجع إلى بلقيس و ملئها بما جئت من الهدية فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا (٥) أى لا طاقه و لا قدره لهم على دفعها و لَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا (٦) نخرجهم من سبأ و الملك فيها أَذِلَّةً (٧) بذهاب عزهم و هُم صَاغِرُونَ (٨) ذليلون بأسر و إهانته. و فى القمى: فرجع إليها الرسول فأخبرها بجميع ما أطلع عليه، و بالأخص بقوه سليمان و كثره جنوده من الجن و الإنس، فعلمت أنه لا محيص لها إلا التسليم، فخرجت و ارتحلت نحو سليمان.

سوره النمل (٢٧): الآيات ٣٨ الى ٤١

قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوا أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (٣٨) قَالَ عِفْرِيْتُ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ (٣٩) قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رآه مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَ أَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ (٤٠) قَالَ نَكُرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَ تَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ (٤١)

ص: ٢٣٦

١- سوره ٢٧ - آيه ٣٦

٢- سوره ٢٧ - آيه ٣٦

٣- سوره ٢٧ - آيه ٣٦

٤- سوره ٢٧ - آيه ٣٧

٥- سوره ٢٧ - آيه ٣٧

٦- سوره ٢٧ - آيه ٣٧

٧- سوره ٢٧ - آيه ٣٧

٨- سوره ٢٧ - آيه ٣٧

٣٨- قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوا... (١) أَخْبَرَ جِبْرَائِيلُ سُلَيْمَانَ أَنَّهَا أَخْرَجَتْ مِنَ الْيَمَنِ مَقْبَلَهُ إِلَيْكَ فَقَالَ سُلَيْمَانُ لِأَمَائِلِ جُنْدِهِ وَ أَسْرَافِ عَسْكَرِهِ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (٢) وَ تَقْيِيدَ إِيَّانِ الْعَرْشِ بِقَبْلِ إِسْلَامِهِمْ لِأَنَّ بَعْدَهُ لَا يَجُوزُ التَّصَرُّفُ فِيهِ إِلَّا بِإِذْنِهَا.

٣٩- قَالَ عَفْرِيْتُ مِنَ الْجِنَّ... (٣) أَي مَارِدِ قَوِيٍّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ (٤) أَي مِنْ مَجْلِسِ حُكُومَتِكَ. وَقِيلَ كَانَ مِنْ عَادَتِهِ (ع) أَنْ يَجْلِسَ إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ يَحْكُمُ بَيْنَ النَّاسِ فِي الدَّعَاوِي وَ الْخِصُومَاتِ وَ يَصْلِحُ أُمُورَهُمْ وَ إِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ (٥) أَي عَلَى حَمَلِهِ لِقَادِرٍ وَ عَلَى الْجَوَاهِرِ الْمَرْكُوزَةِ فِيهِ وَ عَلَى ذَهَبِهِ وَ فَضْتِهِ أَمِينٌ لَسْتُ بِخَائِنٍ.

٤٠- قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ... (٦) أَي الْكِتَابِ السَّمَاوِيِّ الَّذِي فِيهِ الْأَسْمَاءُ الْأَعْظَمُ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَزِيدَ إِلَيْكَ طَرَفُكَ (٧) الطَّرْفُ تَحْرِيكُ الْأَجْفَانِ لِلنَّظَرِ، وَ الْمَعْرُوفُ أَنَّ الْقَائِلَ هُوَ آصَفُ بْنُ بَرَخِيَا وَ كَانَ عِنْدَهُ اسْمُ اللَّهِ الْأَعْظَمِ، وَ ذَلِكَ غَايَةُ الْإِسْرَاعِ، وَ

فِي الْعِيَاشِيِّ عَنِ الْهَادِي عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ آصَفُ بْنُ بَرَخِيَا وَ لَمْ يَعْبُزْ سُلَيْمَانُ عَنْ مَعْرِفَتِهِ مَا عَرَفَ بِهِ آصَفُ، لَكِنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَحَبَّ أَنْ يَعْرِفَ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ أَنََّّهُ الْحِجَّةُ مِنْ بَعْدِهِ، وَ ذَلِكَ مِنْ عِلْمِ سُلَيْمَانَ الَّذِي أَوْدَعَهُ آصَفُ بِأَمْرِ اللَّهِ فَفَهَّمَهُ اللَّهُ ذَلِكَ لئَلَّا يَخْتَلِفَ فِي إِمَامَتِهِ وَ دَلَالَتِهِ، كَمَا فَهَّمَهُ

ص: ٢٣٧

١- سورة ٢٧ - آية ٣٨

٢- سورة ٢٧ - آية ٣٨

٣- سورة ٢٧ - آية ٣٩

٤- سورة ٢٧ - آية ٣٩

٥- سورة ٢٧ - آية ٣٩

٦- سورة ٢٧ - آية ٤٠

٧- سورة ٢٧ - آية ٤٠

سليمان في حياه داود لتعرف إمامته و نبوته من بعده لتأكيد الحجج على الخلق مُسْتَقَرًّا عِنْدَهُ (١) أى حاصلًا حاضرًا بين يديه قَالَ (٢) شكرا هذا مِنْ فَضْلِ رَبِّي (٣) أى تمكّنى و اقتدارى على عرش بلقيس فى هذا الزمان اليسير من مسيره شهرين من إحسان ربّى علىّ بلا- استحقاق لى لِيُبَلِّغُنِي (٤) ليختبرنى أ أشكُرُ (٥) نعمته أم أَكْفُرُ (٦) أقصّر فى أداء واجباته و فى شكر نعمه فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ (٧) لأنه به يستجلب دوام النعمه و مزيدها رَبِّي غَنِيٌّ (٨) عن شكر الشاكرين كَرِيمٌ (٩) بالانعام عليهم أى على الكفره فَإِن عاداته الإحسان إلى المسيئين و سبيله الإبقاء على المعتدين.

٤١- قَالَ نَكُرُوا لَهَا عَرْشَهَا... (١٠) أى غيروا هيئته اختبارا لعقلها لنرى فيما إذا كانت تعرفه، فنعرف عقلها و فطنتها و أنها تعرفه بعد التغيير أم لا.

سورة النمل (٢٧): الآيات ٤٢ الى ٤٤

فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَ هَكَذَا عَرْشُكَ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَ كُنَّا مُسْلِمِينَ (٤٢) وَ صَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ (٤٣) قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَ كَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا قَالَتْ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَ أَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٤)

٤٢- فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَ هَكَذَا عَرْشُكَ؟... (١١) أى عرشك مثل هذا العرش. فلما دققت النظر إليه قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ (١٢) أى لم تقل هو هو لاحتمال أن يكون مثله حيث إنه كان فى نظرها بعيدا عاده لبعده الطريق و لأنها أقامت عليه حراسا و حفظه كثيرين بحيث لا يقدر لأحد عاده السُّلْطَه

ص: ٢٣٨

- ١- سورة ٢٧ - آيه ٤٠
- ٢- سورة ٢٧ - آيه ٤٠
- ٣- سورة ٢٧ - آيه ٤٠
- ٤- سورة ٢٧ - آيه ٤٠
- ٥- سورة ٢٧ - آيه ٤٠
- ٦- سورة ٢٧ - آيه ٤٠
- ٧- سورة ٢٧ - آيه ٤٠
- ٨- سورة ٢٧ - آيه ٤٠
- ٩- سورة ٢٧ - آيه ٤٠
- ١٠- سورة ٢٧ - آيه ٤١
- ١١- سورة ٢٧ - آيه ٤٢
- ١٢- سورة ٢٧ - آيه ٤٢

عليه و أخذهُ فضلاً عن الإتيان به في هذا اليسر من الزّمان. فقولها كَأَنَّهُ هُوَ (١) كاشف عن كمال عقلها حيث إنها ما اختارت النفي أو الإثبات في بدايه النظر، بل ألقت كلاماً يحتمل الأمرين حتى ينكشف لها واقع الأمر وَ أُوْتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا (٢) يمكن أن يكون هذا الكلام من تتمه كلامها فإنها أَحَسَّتْ أَنَّ السُّؤالَ لاختبار عقلها و إظهار معجزه لها فقالت وَ أُوْتِينَا (٣) إلخ أى العلم بقدره الله و كمالها و صحّهُ نبوّتك قبل إظهار تلك المعجزه و الإتيان بعرشنا و إحضاره عندك فالضمير في قَبْلِهَا (٤) راجع إلى المعجزه وَ كُنَّا مُسْلِمِينَ (٥) قبل مجيئنا إليك حين ما رجع إلينا رسلنا من لدنك حيث أظهرت لهم علائم النبوه بما اختبروك من قبلنا. و يحتمل أن يكون من كلام سليمان، يعنى: وَ أُوْتِينَا الْعِلْمَ (٦) بإسلامها و مجيئها طائعه قبل مجيئها من باب حذف المضاف لقرينه المقام.

٤٣- وَ صَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ... (٧) أى منعها الذى تعبده غير الله عن عباده الله تعالى إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ (٨) هذه الجملة فى مورد التعليل، أى نشوئها بين أظهر الكفار و فى بلادهم صار موجبا و سببا لأن تعبد الشمس و الانصراف عن عباده الله تعالى.

٤٤- قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ... (٩) أى القصر، أو كل بناء عال فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً (١٠) ماء عظيما. و ذلك أنّ سليمان لما أقبلت صاحبه سبأ كان قد سبق قدومها أن بنى الناس و الشياطين قصره العظيم و كانت أرضه من زجاج ابيض يجرى الماء من تحته مع حيوانات مائيه كالصّ فدادع و الحيتان بحيث يرى كلّ من دخل القصر صحنه ماء متراكبا فى جريانه، ثم أمر أن يوضع عرشه فى صدر الدار كأنه على رأس الماء، و أمر بدخول بلقيس فى ذلك القصر، لأنه أراد ان يختبر عقلها و يرى تصرفاتها و قدميها فإن الجن، على ما قيل، قالوا إن فى عقلها خفه، و أن قدميها كحافر الحمار أو البعير. فلما أدخلت القصر ظنّت أن صحن الدار لوجه وَ كَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا (١١) لتخوضه فوجدها أحسن الناس ساقا و قدما إلا أنها شعراء، فأمر

ص: ٢٣٩

١- سورة ٢٧ - آيه ٤٢

٢- سورة ٢٧ - آيه ٤٢

٣- سورة ٢٧ - آيه ٤٢

٤- سورة ٢٧ - آيه ٤٢

٥- سورة ٢٧ - آيه ٤٢

٦- سورة ٢٧ - آيه ٤٢

٧- سورة ٢٧ - آيه ٤٣

٨- سورة ٢٧ - آيه ٤٣

٩- سورة ٢٧ - آيه ٤٤

١٠- سورة ٢٧ - آيه ٤٤

١١- سورة ٢٧ - آيه ٤٤

الجن بعلاج الشعر فعملوا لها التوره و الحمام قال إنه صيرح ممرّد من قوارير (١) أى قال سليمان إن ما تظنيه ماء بناء ممّلس من الزجاج. فلما رأت سليمان و كان مهيبا ذا جلاله قالت ربّ إننى ظلمت نفسى (٢) بعبادتى فى تلك المده المديده لغيرك عن جهل و ضلاله و أسلمت مع سليمان لله ربّ العالمين (٣) كلمه (مع) اسم يستعمل مضافا و له حينئذ ثلاثه معان: الاجتماع كقوله: (الله معكم أينما كنتم)، و المصاحبه كقوله: افعل هذا مع هذا، و زمان الاجتماع كقوله: جئتك مع العصر. و قيل بمعنى (عند) تقول جئت مع القوم أى عند مجيئهم. و فى الشريفه للمصاحبه أى أسلمت بمصاحبه سليمان و مرافقته و إمداده و تسيبه لتشرّفى بالإسلام، و لولاه لما وفقت بهذا التوفيق. و اختلف فى أمرها بعد ذلك فقيل إنه عليه السلام تزوّجها و أقرّها على ملكها، و قيل إنه و كل أمرها إليها فى الترويج فاخترت ملكا يقال له تبع بعد أن يئست من تزويجه عليه السلام إياها، و على الأول كان عليه السلام يزورها فى كل شهر مرّه و يبقى عندها ثلاثه أيام أداء لحقها. ثم عطف سبحانه على قصه سليمان قصه صالح عليه السلام، فقال:

سوره النمل (٢٧): الآيات ٤٥ الى ٤٧

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ (٤٥) قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٤٦) قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ (٤٧)

٤٥- وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ثَمُودَ... (٤) أى إلى قبيله ثمود أخاهم صالحاً (٥) أخاهم فى النسب لأنه عليه السلام مع القبيله كانوا أبناء أب واحد أن اعبدوا الله (٦) بتقدير القول، أى لأن يقول لهم: اعبدوا الله وحده و لا تشركوا معه شيئاً فإذا هم فريقان يختصمون (٧) أى لما أمرهم بالتوحيد و رفض الشرك صاروا فرقتين: مصدق له و مكذب، مؤمن به و مكذب له ثم تنازعا فيما بينهم.

ص: ٢٤٠

- ١- سوره ٢٧ - آيه ٤٤
- ٢- سوره ٢٧ - آيه ٤٤
- ٣- سوره ٢٧ - آيه ٤٤
- ٤- سوره ٢٧ - آيه ٤٥
- ٥- سوره ٢٧ - آيه ٤٥
- ٦- سوره ٢٧ - آيه ٤٥
- ٧- سوره ٢٧ - آيه ٤٥

٤٥- وَ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ... (١) أى إلى قبيله ثمود أخاهم صالحاً (٢) أخاهم فى النسب لأنه عليه السلام مع القبيله كانوا أبناء أب واحد أن اعبدوا الله (٣) بتقدير القول، أى لأن يقول لهم: اعبدوا الله وحده و لا تشركوا معه شيئاً فإذا هم فريقان يختصمون (٤) أى لما أمرهم بالتوحيد و رفض الشرك صاروا فرقتين: مصدق له و مكذب، مؤمن به و مكذب له ثم تنازعا فيما بينهم.

٤٦- قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ... (٥) أى بالعذاب بقولكم ائنا بما تعدنا قبل الحسنة (٦) قبل الثواب و قد تمكنتم من التوصل إليها بأن تؤمنوا لو لا تستعجلون الله (٧) هلاً تتوبون إليه تعالى قبل نزوله بأمل أن يرحمكم الله؟.

٤٧- قَالُوا أَطَّيَّرْنَا بِكَ وَ بَمَنْ مَعَكَ... (٨) أى تشأنا بكم إذ تابعت علينا الشدائد و وقع بيننا الافتراق منذ اخترعتم دينكم. و قال القمى: أصابهم جوع شديد فقالوا هذا من شؤمك و شؤم من كان معك قال طائرؤكم (٩) سبب شؤمكم عند الله (١٠) هو قدره بكفركم أو عملكم الميثب عنده بل أنتم قوم تفتنون (١١) تختبرون بالرخاء و الشده ليعلم حالكم.

سوره النمل (٢٧): الآيات ٤٨ الى ٥٣

وَ كَانَ فِي الْمَدِينَةِ سَيِّعُهُ رَهْطٌ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَ لَا يُصْلِحُونَ (٤٨) قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَ أَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَ إِنَّا لَصَادِقُونَ (٤٩) وَ مَكَرُوا مَكْرًا وَ مَكَرْنَا مَكْرًا وَ هُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٥٠) فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَا دَمَرْنَاهُمْ وَ قَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ (٥١) فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكِ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٥٢) وَ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَ كَانُوا يَتَّقُونَ (٥٣)

ص: ٢٤١

١- سوره ٢٧ - آيه ٤٥

٢- سوره ٢٧ - آيه ٤٥

٣- سوره ٢٧ - آيه ٤٥

٤- سوره ٢٧ - آيه ٤٥

٥- سوره ٢٧ - آيه ٤٦

٦- سوره ٢٧ - آيه ٤٦

٧- سوره ٢٧ - آيه ٤٦

٨- سوره ٢٧ - آيه ٤٧

٩- سوره ٢٧ - آيه ٤٧

١٠- سوره ٢٧ - آيه ٤٧

١١- سوره ٢٧ - آيه ٤٧

٤٨- وَ كَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ... (١) أى تسعة رجال من أشرف القوم و أكابرهم و كانوا من غواتهم و من الأشرار. و الرّهط هو اسم جمع من الثلاثة إلى العشرة. و كان منهم قدار بن سالف عاقر الناقة و هو أشدهم فسادا و خبثا. و المراد بالمدينة هي المدينة التي كان بها صالح و تسمى بالحجر.

٤٩- قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ... (٢) أى فيما بينهم تَقَاسَمُوا (٣) أى تحالفوا و هو فعل أمر بحسب الظاهر أو خبر بدل، أو حال بتقدير قد لَتَبَيَّنَتْهُ (٤) أى لتقتلته و أهله بياتا أى ليلا. عند ما بيت الناس ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ (٥) لولئى دمه ما شهدنا مهلك أهله (٦) ما كنا شاهدين و حاضرين حين قتلهم فكيف نكون مباشرين له وَ إِنَّا لَصَادِقُونَ (٧) أى نحلف على صدقنا يعنون أنهم يوزون فى حلفهم أو لا يحتاجون إلى التوريه فان من يقتل النبى و المؤمنين به أو يحضر قتلهم، لا يتحاشى من القسم كذبا حتى يحتاج إلى التوريه. فمعنى قولهم و إِنَّا لَصَادِقُونَ فيما نقول من القتل. و الجواب لولئى الدم، أى عازمون على ذلك الأمر جزما و هذا معنى قولهم إِنَّا لَصَادِقُونَ أو المراد: و الحال إِنَّا لَصَادِقُونَ بجعل الواو للحال إذ الشاهد غير المباشر بزعمهم.

٥٠ و ٥١- وَ مَكْرُوهًا مَكْرًا وَ مَكْرُنًا مَكْرًا... (٨) أى بهذا التّيدبير و المواضعه وَ مَكْرُنًا مَكْرًا (٩) بأن جعلناه سببا لإهلاكهم و مجازاتهم بإفنائهم جميعا وَ هُمْ لَا يَشْعُرُونَ (١٠) بمكرنا و أن فوق مكرهم مكر. قال القمى: فأتوا صالحا ليلا ليقتلوه و عنده ملائكة يحرسونه فلما أتوه قاتلتهم الملائكة فى دار صالح رجما بالحجارة فأصبحوا فى داره مقتولين، و أخذت قومه الرجفه

ص: ٢٤٢

- ١- سورة ٢٧ - آيه ٤٨
- ٢- سورة ٢٧ - آيه ٤٩
- ٣- سورة ٢٧ - آيه ٤٩
- ٤- سورة ٢٧ - آيه ٤٩
- ٥- سورة ٢٧ - آيه ٤٩
- ٦- سورة ٢٧ - آيه ٤٩
- ٧- سورة ٢٧ - آيه ٤٩
- ٨- سورة ٢٧ - آيه ٥٠
- ٩- سورة ٢٧ - آيه ٥٠
- ١٠- سورة ٢٧ - آيه ٥٠

فأصبحوا في دارهم جاثمين، أى: هالكين بالرعد أو صياح جبرائيل أو الزلزاله و كانت نتيجة مكرهم أَنَا دَمَرْنَاَهُمْ (١) أى التسعه الذين هم أشقى القوم و أقدموا على عقر الناقه و قَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ (٢) يعنى الباين الذين كانوا راضين بعمل التسعه.

٥٢ و ٥٣- فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً... (٣) أى فارغه خاليه أو ساقطه على عروشها كأن لم يكن فى الدّور ديار بما ظلموا (٤) بسبب ظلمهم إِنَّ فى ذلِكَ لَمَآيَه لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٥) أى فى تدمير الظلمه و تعذيبهم و تخويه بيوتهم من أهلها علامه لأهل الإدراك و المعرفه فيتعظون بها و يعتبرون كالمؤمنين و المصدقين للأنبياء و المرسلين و أنجينا الذين آمنوا و كانوا يتقون (٦) أى يتقون الكفر و المعاصى و الشرك فخصوا بالنجاه لذلك.

سوره النمل (٢٧): الآيات ٥٤ الى ٥٩

وَ لُوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَ تَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَ أَنْتُمْ تُبْصِرُونَ (٥٤) أ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (٥٥) فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنْاسٌ يَنْتَهَرُونَ (٥٦) فَأَنْجَيْنَاهُ وَ أَهْلَهُ إِلاَّ امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا مِنْ الْغَابِرِينَ (٥٧) وَ أَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ (٥٨) قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَ سِلاَمٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى اللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ (٥٩)

٥٤- وَ لُوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَ تَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ... (٧) المراد بالفاحشه هنا هو إتيان الذّكران وَ أَنْتُمْ تُبْصِرُونَ (٨) الواو للحال من ضمير تأتون، أى حال

ص: ٢٤٣

- ١- سوره ٢٧ - آيه ٥١
- ٢- سوره ٢٧ - آيه ٥١
- ٣- سوره ٢٧ - آيه ٥٢
- ٤- سوره ٢٧ - آيه ٥٢
- ٥- سوره ٢٧ - آيه ٥٢
- ٦- سوره ٢٧ - آيه ٥٣
- ٧- سوره ٢٧ - آيه ٥٤
- ٨- سوره ٢٧ - آيه ٥٤

كونكم ترون قبحها و شناعتها، و لذلك ما أقدم عليها أحد من الأمم السابقة. فعلى هذا المعنى، المراد من الإبصار هو الرؤيه المعنويه أى الإدراك، و اقتراب القبائح ممن هو عالم به أقيح و أفحش و أعظم ذنوباً.

و قيل هو من الإبصار بالعين لأنهم كانوا يعلنون بهذا العمل الفضيح و يفعلونه مواجهها بعضهم للآخر و معاينه و مقابله لغيره الذى ربما كان هو أيضا مشغولاً به. فالارتكاب بهذه الكيفيه أفحش من ارتكابه خفاء و الاستفهام إنكارى.

٥٥- أ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ... (١) الاستفهام إنكارى أيضا، و هو فى مقام التعجب و الكره بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (٢) أى سفهاء أو تجهلون عاقبتها الوخيمه أو قبحها و شناعتها، فأنتم حينئذ كالأنعام حيث إن إتيان الذكّران بدل النساء و شناعه هذا العمل كالشمس فى رابعه النهار و ليست و ليست تخفى على من له أدنى درايه.

٥٦- فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا... (٣) لما أفحموا عن الجواب و لم يكن لهم منطق فى قبال البرهان أمر أمراء القوم و أكابره قائلين أخرجوا آل لوط، فأمرُوا بتفسير لوط و من آمن به إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ (٤) أى يتبرءون و يتنزهون عن أعمالنا و يستنكرونها و هذا علّه للتفسير. و هذا الجواب العملى و نحوه من الأمر بالقتل و الحبس كاشف عن حقائيه الخصم و بطلان قول الجاحدين له حيث إن الحق مع البرهان و عدم البرهان مع الباطل.

٥٧- فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ... (٥) أى خلصناه قبل التسفير إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَرْنَا مِنْ الْغَابِرِينَ (٦) حكمنّا عليها كونها من الباقيين فى العذاب فإنها كانت راضيه بأعمال القوم و كانت نمامه فى بيت لوط عليه السلام ثم أخبر سبحانه و تعالى نبيه عن عذاب القوم فقال:

٥٨- وَ أَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا... (٧) كان مطرا من الحجاره و كانت قطراته حجاره كانت مسومه أى مستويه صنعها عنده تعالى، و مضى مثله سابقا.

ص: ٢٤٤

- ١- سورة ٢٧ - آيه ٥٥
- ٢- سورة ٢٧ - آيه ٥٥
- ٣- سورة ٢٧ - آيه ٥٦
- ٤- سورة ٢٧ - آيه ٥٦
- ٥- سورة ٢٧ - آيه ٥٧
- ٦- سورة ٢٧ - آيه ٥٧
- ٧- سورة ٢٧ - آيه ٥٨

٥٩- قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَ سَيِّئَاتِهِ... (١) أى يا لوط قل الحمد لله على إهلاك الكفرة و سَيِّئَاتِهِ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اضْطَفَى (٢) اختارهم حججا على خلقه.

و فى الجوامع عنهم عليهم السلام و فى القمى قال: هم آل محمد(ص) و قول كثير من الأعلام و أكابر المفسرين أن الأمور بالحمد هو سيد الأنبياء محمّد صلى الله عليه و آله، لأن الله تعالى لما أخبره و بين له فى هذه السورة قصصا داله على كمال قدرته و على اختصاص أنبيائه و رسله بآيات عظيمه كقصه سليمان و قصه صالح و لوط و هلاك أعدائهم و نصره أوليائه و الوقوف على هذه الأمور من النعم العظيمه فلا- بدّ من حمدها حيث إن العلم بهذه الأمور يصير الإنسان محيطا بعلمها عارفا بها، مضافا إلى أنّ معرفتها و الجواب عنها عند أسئلة الأبحار و الأعلام من المعاندين و غيرهم يحسب من المعاجز و الكرامات من الشخص الأسمى الذى لا- يعرف قراءه كتب الأمم السابقيه و لا تعلمها و لا درسها عند معلم و لا مدرّس. فإن الإخبار عن تلك القصص و الآيات كاشف عن اتّصاله بمبدأ أعلى فوق المبادئ و فوق عالم الطبع و الطبيعه و هو الله الذى لا إله إلا هو، الذى هو صلى الله عليه و آله يدّعيه و يدعو إليه عالم البشريّه طرّا فتلك الأخبار مصدّقه له فيما يدّعيه و كانت من المعاجز و الكرامات التى لا بدّ من حمدها و شكرها. فلذا أمره الله تعالى بأن يحمده على هذه النعم المعنويّه، أى العلوم و المعارف المكشوفه له فى هذه السورة بل و غيرها من السور الماضيه. و يؤخذ من الكريمه أنّ الله تعالى أعطانا دستورا بأن كل إنسان يشرع فى بيان مقصد ينبغى أن يتبدئ أولا بحمده تعالى و بعد ذلك أن يسلم على محمّد و آله و على جميع أوليائه الذين لهم حق التقدّم كما هو ديدن أهل المنابر و الخطباء و أصحاب الرسائل فى أوائل رسائلهم، و كذلك أرباب التأليف و الصّحف و التّصانيف و الأدباء الذين يجب أن يراعوا هذه السنّه الحسنه و هو سبحانه و تعالى راعى هذا المشروع حيث أنّه أمر بذلك و أخذ فى مقصوده ففهمنا و حتّنا قولاً و عملاً على ما فعله ثم قال سبحانه مخاطبا الله خَيْرٌ (٣) لمن يعبده أمّا يُشْرِكُونَ (٤) أى ما يعبد أهل مكّه من الأصنام؟ و هذا إلزام لهم و تهكم عليهم إذ لا خير

ص: ٢٤٥

١- سورة ٢٧ - آيه ٥٩

٢- سورة ٢٧ - آيه ٥٩

٣- سورة ٢٧ - آيه ٥٩

٤- سورة ٢٧ - آيه ٥٩

فيما أشركوه أصلاً وهم يعلمون بذلك إلا أنهم جاحدون.و

في الخبر أن رسول الله لما قرأ هذه الآية كان يقول:الله خير وأبقى وأجل وأكرم. ثم أخذ في تعداد نعمه و المنافع والخيرات التي من آثار رحمته الواسعه والداله على وحدانيته و كمال قدرته لهدايه خلقه عن حيره الضلاله،فقال عز من قائل:

سوره النمل (٢٧): الآيات ٦٠ الى ٦٨

أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ بَلٌّ لَهُمْ قَوْمٌ يَعِدُلُونَ (٦٠) أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ بَلٌّ أَكْثَرُ لَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٦١) أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَدَّكَّرُونَ (٦٢) أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٦٣) أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ قُلٌّ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٦٤) قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ (٦٥) بَلِ إِيَّاكَ عَرَفْنَا فِي الْأَخِرَةِ بَلٌّ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلٌّ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ (٦٦) وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاؤُنَا أَإِنَّا لَمُخْرَجُونَ (٦٧) لَقَدْ وَعَدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (٦٨)

٦٠- أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ... (١) أى بل من خلق السماوات و الأرض خير فإن الله تعالى بين أنه الذى اختصّ بخلق السماوات و الأرض و يجعل السماء مخزناً للماء و الأرض مقرّاً للنبات و الأشجار و ما يتحصّل منهما من الحقائق ذوات البهجه المونقه و لا يقدر على هذا الإنبات و الإيجار إلاّ الله، فالمختصّ بهذا الخلق و الإيجاد و هذا الإنعام يجب أن يختصّ بالعباده دون غيره أ إله مَعَ الله (٢) أى هل يتصوّر أن يكون مع هذا الذى بتلك القدره و العظمه كفاء و شريك له يسمّى بالإله؟ تعالى الله عمّا يقول الظالمون و لا سيما من الأجناس الجوامد كالأصنام المنحوتة بأيديهم و الأوثان المصنوعه من عند أنفسهم بلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ (٣) أى يعرضون عن الحق الظاهر و هو التوحيد، إلى الباطل الظاهر و هو الشرك ٦١- أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا... (٤) هذه الآيه بدل أَمَّنْ خَلَقَ (٥) و كذلك ما بعدها. بل من جعل الأرض هكذا بأن دحاها و سواها مستقرا للمخلوقات الذين عليها متوسطه فى الصلابه و الرخاوه و جعلها كثيفه غبراء، أما كثيفه فليستقر عليها النور و لو كانت لطيفه لما استقر النور عليها و أما غبراء فلأنها أحسن الألوان لما كانت قرارا للنور و جَعَلَ لَهَا رَواسِيَ (٦) أى الجبال لأن تثبتها و لئلا تميد و تتزلزل مع ما فيها من المعادن و العيون و الأبخره

ص: ٢٤٧

- ١- سوره ٢٧ - آيه ٦٠
- ٢- سوره ٢٧ - آيه ٦٠
- ٣- سوره ٢٧ - آيه ٦٠
- ٤- سوره ٢٧ - آيه ٦١
- ٥- سوره ٢٧ - آيه ٦٠
- ٦- سوره ٢٧ - آيه ٦١

التي تكون ماله للعيون و الأنهار تجرى من الجبال و تنحدر منها، و غيرها من المنافع المودعه فى الجبال لا يعلمها إلا الله و جعلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ (١) العذب و المالح حاجزاً (٢) أى برزخاً لئلا يختلطا فيفسدان بالانصاف. و هذا من أعجب أعاجيب الدهر و خلاف الطبع و الطبيعه و كمال القدره. و الحاجز بينهما شىء خفى لا نعلمه هنا إلا بكلمه كن، و إلا فليس هو شىء تراه العيون و هو أعلم بما يكون. أ إله مَعَ الله (٣) الاستفهام للاستنكار، أى لا- يكون معه إله أبداً يَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ (٤) الحق لعدم تدبرهم و تفكرهم فيشركون.

٦٢- أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ... (٥) أى بل من يجيب المضطر خير، و الاضطراب هو الحاله المحوجه إلى الالتجاء، و المضطر هو الذى أحوجه أمر أو نازله من نوازل الدهر أو مرض أو فقر إلى التضرع إلى الله لدفعه فإن قيل إن الآيه قد عمّت المضطرين و كم من مضطّر يدعو فلا يجاب له؟ فجوابه: أن المفرد المعرّف لا يفيد العموم و إنما يفيد الماهيه فقط، و الحكم المثبت للماهيه يكفى فى صدق ثبوته فى فرد من أفراد الماهيه على أنه تعالى وعد بالإجابة و لم يذكر أنه يستجيب فى الحال و يَكشِفُ السُّوءَ (٦) فهذا كالتفسير للاستجابة و المعنى أنه يزيل عن عباده ما يسوؤهم و يجعلكم خُلَفَاءَ الْأَرْضِ (٧) بتوارثكم سكتانها و التصرف فيها قرناً بعد قرن أ إله مَعَ الله (٨) الذى متّعكم بهذه النعم، أ فلا- تتدبرون فتعرفوا ولّى نعمكم التى تمتّعتم بها؟ أ و ليس شكر المنعم بواجب عقلاً؟ و هل شكركم بالله هو شكركم له فى مقابل إحسانه إليكم؟ قَلِيلاً ما تَذَكَّرُونَ (٩) أى تتذكرون تذكر قليلاً، و ما (١٠) زائده للمبالغه، أى تتعظون أتعاضاً قليلاً، أو المراد أن المتعظ قليل. و فى القمى عن الصادق عليه السلام قال: نزلت فى القائم من آل محمد صلّى الله عليه و عليه السلام هو و الله المضطرّ إذا صلّى فى المقام ركعتين و دعا الله عزّ و جلّ فأجابه و يكشف السوء و يجعله خليفه فى الأرض.

٦٣- أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتٍ... (١١) أمّا هدايته فى البرارى فبعلامات

ص: ٢٤٨

- ١- سورة ٢٧ - آيه ٦١
- ٢- سورة ٢٧ - آيه ٦١
- ٣- سورة ٢٧ - آيه ٦٠
- ٤- سورة ٢٧ - آيه ٦١
- ٥- سورة ٢٧ - آيه ٦٢
- ٦- سورة ٢٧ - آيه ٦٢
- ٧- سورة ٢٧ - آيه ٦٢
- ٨- سورة ٢٧ - آيه ٦٢
- ٩- سورة ٢٧ - آيه ٦٢
- ١٠- سورة ٢٧ - آيه ٦٢
- ١١- سورة ٢٧ - آيه ٦٣

أرضيه، وأما في البحار فبالنجوم والكواكب ولعل المراد من ظلماتها ظلمات الليل فيهما، ويكفى في الإضافة أدنى الملايسه، أو المراد مبهمات طرفهما ومشتبهاتها وربما يعبر عن الأمور المبهمه بالظلمات المناسبه بينهما. بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ (١) أى قدام المطر وإذا كان الإخبار بذى المقدمه بشاره فيمقدمته كذلك، وما نحن فيه من هذا الباب أ إله مَعَ اللَّهِ (٢) أى لا- إله إلا الله وحده لا شريك له تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٣) ٦٤- أَمَّنْ يَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ... (٤) أى بل من يوجد المخلوقات من العدم و بعد الإيجاد يفنيهم ثم يعيدهم، هل هو خير و أهل للعباده أم الممكن العاجز الذى لا يقدر على شىء؟ وَ مَنْ يَزُوقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ (٥) أى بأسباب سماويه كالمطر و أرضيه كالنبات و الثمرات أ إله مَعَ اللَّهِ (٦) يفعل شىئا مما ذكر قل هاتوا براهانكم (٧) حجتكم على أن مع الله إلها آخر إن كنتم صادقين (٨) فى دعواكم من أن لله شريكا.

٦٥- قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ... (٩) أى من الملائكه و الثقلين لا- يعلم الغيب إلا- الله (١٠) الاستثناء منقطع و رفعه (أى المستثنى) على لغة تميم وَ مَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ (١١) أى ما يحس أهل السموات و الأرض متى يحشرون و أَيَّانَ (١٢) مركبه من (أى) و (آن) بمعنى الوقت فصار علم الساعه من علم الغيب.

٦٦- يَلِ أَدَارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ... (١٣) أى تتابع منهم العلم و تلاحق حتى كمل علمهم فى الآخره و بعبارة أخرى يزيد على علمهم الدنيوى فى الآخره (و هذا معنى التدارك و حقيقته) بما أخبروا به فى الدنيا. و اللفظ بصيغه الماضى لكن المراد به الاستقبال، أى يتدارك علمهم فى الآخره و يتكامل. و قيل إن الآيه إخبار عن ثلاث طوائف: طائفه أقرت بالبعث و لكن لا علم لهم بوقته، و طائفه شكّت فيه، و طائفه من المنكرين كما أخبر عنهم يَلِ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا يَلِ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ (١٤) أى من الآخره، عميان القلوب، جهله، لأن الله تعالى ختم على قلوبهم، فعليها غشاوه فهم لا

ص: ٢٤٩

- ١- سورة ٢٧ - آيه ٦٣
- ٢- سورة ٢٧ - آيه ٦٣
- ٣- سورة ٢٧ - آيه ٦٣
- ٤- سورة ٢٧ - آيه ٦٤
- ٥- سورة ٢٧ - آيه ٦٤
- ٦- سورة ٢٧ - آيه ٦٤
- ٧- سورة ٢٧ - آيه ٦٤
- ٨- سورة ٢٧ - آيه ٦٤
- ٩- سورة ٢٧ - آيه ٦٥
- ١٠- سورة ٢٧ - آيه ٦٥
- ١١- سورة ٢٧ - آيه ٦٥
- ١٢- سورة ٢٧ - آيه ٦٥
- ١٣- سورة ٢٧ - آيه ٦٦

يبصرون الحجج و الآيات الباهرات ففى تيه الضلاله و الجهل هم غارقون و لذا ينكرون البعث و الحشر بل الآخره مطلقا و يقولون:

٦٧ و ٦٨- وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا... (١) إِذَا كُنَّا تُرَابًا وَ آبَاؤُنَا (٢) أَى آبَاؤُنَا كَانُوا تُرَابًا هَل نَحْنُ وَ آبَاؤُنَا مَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ أَوْ مِنْ ضَيْقِ الْفَنَاءِ إِلَى سَعَةِ الْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ كَمَا يَقُولُونَ وَ يَزْعُمُونَ؟ الْاسْتِفْهَامُ إِنْكَارِيٌّ عَنَّا بِذَلِكَ أَنَّ الْأَمْرَ لَيْسَ كَمَا زَعَمُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا- أُسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (٣) أَى أَكَاذِيبُ السَّابِقِينَ الَّذِينَ كَانُوا قَبْلَ مُحَمَّدٍ (ص)، وَ لَقَدْ وَعَدُوا آبَاءَنَا بِهَذَا فَقَوْلُ مُحَمَّدٍ (ص) وَ وَعِيدُهُ كَقَوْلِهِمْ وَ وَعِيدُهُمْ مَخْتَلَقَاتٌ وَ أَبَاطِيلٌ.

سوره النمل (٢٧): الآيات ٦٩ الى ٧٥

قُلْ سَيِّرُوا فِي الْأَرْضِ فَأَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ (٦٩) وَ لَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَ لَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ (٧٠) وَ يَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٧١) قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ (٧٢) وَ إِنَّ رَبَّكَ لَدُوٌّ فَضَّلَ عَلَى النَّاسِ وَ لَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ (٧٣) وَ إِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَ مَا يُعْلِنُونَ (٧٤) وَ مَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (٧٥)

٦٩- قُلْ سَيِّرُوا فِي الْأَرْضِ... (٤) أَى مَرَّهُمْ بِالسَّيْرِ الْآفَاقِي حَتَّى يَنْظُرُوا فِي مَسَاكِنِ أَهْلِ الشَّرْكَ وَ دَوْرِهِمْ كَيْفَ سَقَطَتْ عَلَى عُرُوشِهَا وَ لَمْ يَكُنْ فِيهَا أَحَدٌ كَدِيَارِ الْحَجَرِ وَ الْأَحْقَافِ وَ الْمُؤْتَفِكَاتِ، وَ يَتَفَكَّرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ، وَ الْكَرِيمَةَ تَهْدِيدَ لِكُفْرِهِ أَهْلَ مَكَّةَ وَ مُشْرِكِي قَرِيْشٍ عَلَى تَكْذِيبِهِمْ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ تَنْبِيهِ لَهُمْ لِيَعْتَبَرُوا فَيَتُوبُوا إِلَى رَبِّهِمْ مِنْ جُرْمِهِمْ وَ عَصْيَانِهِمْ.

ص: ٢٥٠

١- سوره ٢٧ - آيه ٦٧

٢- سوره ٢٧ - آيه ٦٧

٣- سوره ٢٧ - آيه ٦٨

٤- سوره ٢٧ - آيه ٦٩

٧٠- وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ... (١) أى على تكذيبهم وإعراضهم وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ (٢) لَا تَضَيِّقْ صَدْرَكَ بِالْحَرْجِ مِنْ مَكْرِ الْمَاكِرِينَ فَإِنَّ رَيْكَ عَاصِمُكَ وَحَافِظُكَ مِنَ النَّاسِ وَمَنْ كِيدَهُمْ. وَالآيَةُ الشَّرِيفَةُ تَسْلِيهِ لِلنَّبِيِّ الْأَكْرَمِ وَتَقْوِيهِ لَهُ وَوَعْدَ بِالْغَلْبَةِ عَلَيْهِمْ بِحَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ جَلٍّ وَعَلَا.

٧١- وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ... (٣) أى متى تحقّقه وثبوته وإنجازه ووقوعه إن كنت صادقاً فى قولك؟ ٧٢- قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدْفٌ لَكُمْ... (٤) أى سيلاحقكم بعض الذى تشيئتم جعلون (٥) قسم ممّا تطلبون معجلاً، وحصه منه راجعه إلى الدنيا وهو عذاب يوم بدر أو حلول القحط والغلاء الشديد، ومشاهده العذاب حين نزع الروح. واللام فى لَكُمْ (٦) زائده للمبالغة، أو لتضمنين ردْف معنى دنا، أو قرب ونحوهما مما يتعدى بها وذكر (عسى و لعل و سوف) فى مواعيد الملوك فى حكم تحقّق الأمر وإنجازه، وذكر العذاب كناية و عدم التصريح به يعنون بذلك إظهار وقارهم وعظمتهم وأن رمزهم بمنزلة التصريح من غيرهم. فكيفيه وعده و وعيده جَلٍّ و علا نوع يصدر على نهج كلام الملوك، ويجرى كلامه على حدوه فإنه مالك الملوك و خالقهم و معطى السلطان و الملك لهم.

٧٣- وَإِنَّ رَبَّكَ لَمَذُوقٌ فَضِّلْ... (٧) ثم إنه سبحانه بين السبب فى عدم تعجيل العذاب فقال وَإِنَّ رَبَّكَ (٨) أى أنه تعالى متفضّل على عباده حتى الكفرة منهم و منه تأجير عقوبتهم لعلهم ينتبهون فيتوبون إلى ربهم الرحيم بهم وَ لَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ (٩) فضله و حقّ نعمته عليهم، و هم من غايه جهلهم و حمقهم يستعجلون وقوع العذاب عليهم.

٧٤ و ٧٥- وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ... (١٠) أى ما تخفيه من الحقد و الحسد و المكر و الحيل و ما يُغْلُون (١١) من التكذيب و إظهار العداوة فيجازيهم بهما و ما مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (١٢) فما من شىء من الأمور الخفية من حوادث الدهر و نوازلها و غيرها إلا

ص: ٢٥١

١- سورة ٢٧ - آيه ٧٠

٢- سورة ٢٧ - آيه ٧٠

٣- سورة ٢٧ - آيه ٧١

٤- سورة ٢٧ - آيه ٧٢

٥- سورة ٢٧ - آيه ٧٢

٦- سورة ٢٧ - آيه ٧٢

٧- سورة ٢٧ - آيه ٧٣

٨- سورة ٢٧ - آيه ٧٣

٩- سورة ٢٧ - آيه ٧٣

١٠- سورة ٢٧ - آيه ٧٤

١١- سورة ٢٧ - آيه ٧٤

و هو مكتوب و مبين فى اللوح. و يشتم من الكريمة أنها لدفع شبهه مقدره و هى أنه تعالى كيف يعلم ما تكن الصدور و منويات البشر مع غايه خفائها؟ فأجاب عن هذه الشبهه بأنه ما من خافيه إلا و هى مسطوره و مقومه فى كتابنا، فكل شىء مبين و ظاهر عندنا قبل ظهوره و بروزه عندكم.

سوره النمل (٢٧): الآيات ٧٦ الى ٨١

إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (٧٦) وَ إِنَّهُ لَهْدَى وَ رَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ (٧٧) إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ (٧٨) فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ (٧٩) إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى وَ لَا تَسْمَعُ الدُّعَاءَ إِذَا وَلُوا مَدْبِرِينَ (٨٠) وَ مَا أَنْتَ بِهَادِيَ الْعَمَى عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تَسْمَعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ (٨١)

٧٦ و ٧٧- إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ... (١) أى يبين لهم ما يختلفون فيه من جهلهم و عدم إدراكهم كأمر عزيز و قصه مريم و عيسى و أحوال المعاد الجسماني و الزوحاني و صفات الجنة و النار، و القرآن بحد ذاته و بما فيه هدى و رحمه لمن آمن و صدق.

٧٨- إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ... (٢) أى بين من آمن من بنى إسرائيل و من كفر منهم بِحُكْمِهِ (٣) بما يقتضى به عدله وَ هُوَ الْعَزِيزُ (٤) فلا يغلب الْعَلِيمُ (٥) بالقضاء بالحق.

٧٩- فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ... (٦) أمر نبيه بعد ظهور نبوته و إظهار حججه بأن يتوكل على الله و لا يعتنى بأعدائه فقال سبحانه: فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ (٧) أى صاحب الحق و الحقيقه، حقيق بالوثوق بحفظ الله و نصره.

ص: ٢٥٢

١- سوره ٢٧ - آيه ٧٦

٢- سوره ٢٧ - آيه ٧٨

٣- سوره ٢٧ - آيه ٧٨

٤- سوره ٢٧ - آيه ٧٨

٥- سوره ٢٧ - آيه ٧٨

٦- سوره ٢٧ - آيه ٧٩

٧- سوره ٢٧ - آيه ٧٩

٧٩- فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ... (١) أمر نبيه بعد ظهور نبوته و إظهار حججه بأن يتوكل على الله و لا يعتنى بأعدائه فقال سبحانه: فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ (٢) أى صاحب الحق و الحقيقه، حقيق بالوثوق بحفظ الله و نصره.

٨٠ و ٨١- إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى... (٣) التعبير عن الكفره بالموتى لأنهم مثلهم لعدم انتفاعهم بما يقرأ عليهم، و من هذا القبيل قوله تعالى وَ لَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ (٤) إذا أعرضوا عن الاستماع و جعلوا دعوه الداعى وراءهم، و صار رجاء الاستماع و الانتفاع منقطعاً عنهم لأن من يلتفت للدعوه يرى الرمز و الاشاره و يلتفت و يفهم ما يتلى عليه بخلاف المدبر الذى لا يستمع دعوه الداعى و لا يمكن أن يفهمها رمزا و إشاره؛ و هذا هو الوجه فى التقييد و ما أنت بهادى العمى عَن ضَلَالَتِهِمْ (٥) و العمى جمع أعمى، و يحتمل قويا أن يراد عمى القلوب لا العيون الظاهريه، و يؤيده تعلق الضلاله بالهادى، لأن المراد بها الجهاله و العبد عن طريق الحق و هو أمر معنوى، فأنت لا تسمع من يؤمن فهُمْ مُسْلِمُونَ (٦) أى مخلصون بالتوحيد.

سوره النمل (٢٧): الآيات ٨٢ الى ٨٦

وَ إِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ (٨٢) وَ يَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ (٨٣) حَتَّى إِذَا جَاؤُا قَالَ أ كَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي وَ لَمْ تُحِطُوا بِهَا عَلِمًا أَمَا ذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٨٤) وَ وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ (٨٥) أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لَيْسِيكُنُوا فِيهِ وَ النَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٨٦)

ص: ٢٥٣

١- سوره ٢٧ - آيه ٧٩

٢- سوره ٢٧ - آيه ٧٩

٣- سوره ٢٧ - آيه ٨٠

٤- سوره ٢٧ - آيه ٨٠

٥- سوره ٢٧ - آيه ٨١

٦- سوره ٢٧ - آيه ٨١

٨٢- وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ... (١) أى قرب وقوع المقول و هو ما وعدوه من البعث و العذاب أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ (٢) تضافرت الأخبار أن الدابة أمير المؤمنين و معه عصا موسى و خاتم سليمان يسم المؤمن و الكافر فيضع الخاتم على وجه كل مؤمن فيطبع فيه: هذا مؤمن، و يضعه على وجه كل كافر فيكتب: هذا كافر تَكَلَّمُ لَهُمْ (٣) أى يقول لهم حاكيا لقول الله: أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ (٤) بالقرآن أو بخروجها و اختلف فى خروج الدابة هل هو من علائم الساعة و أشراتها أو عند الرجعه و عند قيام المهدي عليه السلام.

٨٣- وَ يَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ... (٥) أى فى الرجعه عند قيام الحجة سلام الله عليه و على آبائه أجمعين كلمه مِنْ (٦) للتبعيض و فَوْجًا (٧) بمعنى جماعه مِمَّنْ يُكذِّبُ بآيَاتِنَا (٨) مِنْ (٩) بيان للفوج و هم رؤسائهم و قادتهم و المراد بآياتنا إما القرآن أو الأئمة عليهم السلام. فَهُمْ يُوزَعُونَ (١٠) يحبس أولهم على آخرهم ليجتمعوا و يتلاحقوا. فسرت فى الأخبار بالرجعه بالحشر الأكبر.

فاليوم المشار إليه فى الكريمه الذى يحشر فيه قوم دون قوم ليس يحمل صفه يوم الحشر الأكبر الذى يقول فيه سبحانه ما ذكرناه آنفا من الآيه.

و قد تضافرت الأخبار عن أئمة الهدى من آل محمد صلوات الله عليهم أن الله تعالى سيعيد عند قيام المهدي عجل الله تعالى فرجه قوما ممن تقدم موتهم من أوليائه و شيعته ليفوزوا بثواب نصرته و معاونته و يبتهجوا بظهور دولته، و يعيد قوما من أعدائه لينتقم منهم و ينالوا بعض ما يستحقونه من العقاب فى القتل على أيدي شيعته و ليروا الذل و الخزي بما يشاهدون من علو كلمته. و هذا أمر مقدور له تعالى غير مستحيل عقلا فى نفسه و قد فعل الله سبحانه مثله فى الأمم الخالية و نطق به القرآن فى عدّه مواضع منها قصه عزيز و غيره. و

قد صحّ عن النبي الأكرم سيكون فى أمتى كل ما كان فى بنى إسرائيل حذو النعل بالنعل حتى لو أن أحدهم دخل فى جحر ضبّ

ص: ٢٥٤

١- سورة ٢٧ - آيه ٨٢

٢- سورة ٢٧ - آيه ٨٢

٣- سورة ٢٧ - آيه ٨٢

٤- سورة ٢٧ - آيه ٨٢

٥- سورة ٢٧ - آيه ٨٣

٦- سورة ٢٧ - آيه ٨٣

٧- سورة ٢٧ - آيه ٨٣

٨- سورة ٢٧ - آيه ٨٣

۹- سوره ۲۷ - آیه ۸۳

۱۰- سوره ۲۷ - آیه ۸۳

لدخلتموه. و تأوّل جماعه من الإماميّه الأخبار الوارده فى الرجعه على رجوع الدوله و الأمر و النهى للمهدى عليه صلوات الله بحيث يكون هو المطاع و هو الأمر و النهاى مطلقا على وجه الأرض دون رجوع للأشخاص و إحياء الأموات، و أولوا جميع ما ورد فى هذا الباب لشبهه حصلت لهم، و ذكرها و الجواب عنها خروج عن موضوعنا الذى نحن فيه. و بالجمله فهذا المعنى الذى بيناه بناء على أن المراد من هذا الحشر هو الرجعه المهدويّه إن شاء الله تعالى، و أما بناء على قول من قال هو الحشر الأكبر أى يوم القيامة فإن المراد بالفوج هو الجماعه من الرؤساء و المتبعين فى الكفر يحشرون و يجمعون لإقامه الحجّه عليهم.

٨٤- حَتَّى إِذَا جَاءُ... (١) أى إلى الموقف قال أ كَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي وَ لَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا؟ (٢) قال الله تعالى لهم مستهزئا و مقرّعا: هل كذبتُم بالقرآن أو بالمعجزاتى صدرت على أيدي الأنبياء و الرّسل؟ هذا بناء على أن الموقف كان المراد به موقف القيامة، و أما بناء على أن المراد منه موقف الحجّه المهدى صلوات الله عليه فالآيات هى الأئمه الهداه عليهم السلام وَ لَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا (٣) فى حال أنهم لم يتأملوا فيها حتى يحصل لهم العلم بحقيقتها و تعرفوها حقيقه المعرفه فتحيطوا بها إحاطه علميّه كامله أما ذا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٤) أم أى شىء كنتم تعملونه إذا لم تكذبوا بها؟ و هذا السؤال للتبكيه و لتسكيتهم إذ لم يعملوا سوى التكذيب.

٨٥- وَ وَفَّعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ... (٥) أى حلّ بهم العذاب الموعود و غشيم العقاب فى النار بما ظلموا (٦) بسبب ظلمهم بالتكذيب بآيات الله فَهُمْ لَا يَنْظِقُونَ (٧) بعذر من الأعذار لعدمه و لشغلهم بالنار.

٨٦- أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ... (٨) أى خلقناه لِيَسْكُنُوا فِيهِ (٩) يستريحوا فيه بالنوم و الدّعه وَ النَّهَارَ مُبْصِرًا (١٠) لطلب المعيشه إنّ فى ذَلِكَ (١١) فى خلق الليل و النهار متعاقبين لآيات (١٢) دلالات لهم على التوحيد

ص: ٢٥٥

- ١- سورة ٢٧ - آيه ٨٤
- ٢- سورة ٢٧ - آيه ٨٤
- ٣- سورة ٢٧ - آيه ٨٤
- ٤- سورة ٢٧ - آيه ٨٤
- ٥- سورة ٢٧ - آيه ٨٥
- ٦- سورة ٢٧ - آيه ٨٥
- ٧- سورة ٢٧ - آيه ٨٥
- ٨- سورة ٢٧ - آيه ٨٦
- ٩- سورة ٢٧ - آيه ٨٦
- ١٠- سورة ٢٧ - آيه ٨٦
- ١١- سورة ٢٧ - آيه ٨٦
- ١٢- سورة ٢٧ - آيه ٨٦

و النبوه و البعث و النشور، إذ تعاقب النور و الظلمه إنما يتم بقدره قادر، و يشبه النوم بالموت، و الانتباه بالنشور و البعث، و لأن من جعل ذلك لبعض مصالحهم كيف يهمل ما هو مناط جميعها من بعث الرسول إليهم؟.

سوره النمل (٢٧): الآيات ٨٧ الى ٩٠

و يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَ كُلُّ أَتَوُّهُ دَاخِرِينَ (٨٧) وَ تَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدًا وَ هِيَ تَمُرٌّ مَرَّ السَّحَابِ صُيْعُ اللَّهِ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ (٨٨) مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَ هُمْ مِنْ فِزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ (٨٩) وَ مَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكَبَتْ وَ جُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٩٠)

٨٧- وَ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ... (١) الصور شيء يشبه القرن،

أو هو قرن يشبه البوق كما عن النبي صلى الله عليه و آله. و قيل إن الصور جمع صوره، و المراد هو: يوم ينفخ في صور الخلائق لتعود إلى الأجساد. و الحقيقة أنه البوق الهائل العجيب الذي ينفخ فيه إسرافيل عليه السلام بأمر من الله تعالى ثلاث نفخات كما نص القرآن الكريم، و النفخة الأولى هي نفخة الفزع ففزع من في السماوات و من في الأرض (٢) و الثانية نفخة الصعق يدل عليها قوله في موضع آخر فصعق من في السماوات (٣) الآية و الثالثة نفخة (القيام لرب العالمين) تسمى نفخة الإحياء أما الأولى فيخاف منها كل من في السماوات خوفا شديدا و كل من في الأرض بحيث يغشى عليهم

ص: ٢٥٦

١- سوره ٢٧ - آيه ٨٧

٢- سوره ٢٧ - آيه ٨٧

٣- سوره ٣٩ - آيه ٦٨

و بعضهم يموت من شدة الفزع و إليها أشار بقوله يَوْمَ تَرَوُنَّهَا تُذْهِلُ كُلَّ مُرْضِعَةٍ بِعَمَّا أَرْضَعَتْ وَ تَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا (١) و أمّا الثانيه فيموت كل من فى السّماوات و الأرض إلاّ- جبرائيل و ميكائيل و إسرائيل و عزرائيل و حمله العرش و هؤلاء هم الذين استثناهم الله بقوله إلاّ مَنْ شَاءَ اللَّهُ (٢) و هؤلاء أيضا يموتون بإذن ربهم فإن الله تعالى يتوفاهم بقوله مُوتُوا (٣) و فى الثالثه يحيى كل من فى السّماوات و من فى الأرض جميعا و كُلُّ أُنْفُوسٍ دَاخِرِينَ (٤) إشاره إلى هذه النفخه، و داخرين: صاغرین، يعنى يأتون إلى الموقف أذلاء منقادين بعد أن كانوا متكبرين مطاعين متمردين عن إطاعه رب العالمين و مالك يوم الدين.

٨٨- وَ تَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً... (٥) أى ثابتة واقفه فى مقرّها وَ هِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ (٦) فى السرعه، و الوجه فى حسابانهم أنّها جامده فلأنّ الأجرام الكبار إذا تحركت حركه سريره على نهج واحد فى السّمت و الكيفيه يظنّ الناظر إليها أنّها واقفه مع أنّها تمرّ مرا حثيثا. و فى مثل هذا المعنى قول النابغه الجعدى يصف جيشا كئيبا.

بأرعن مثل الطود تحسب أنّهم وقوف لحاج و الزكاب تمهّج

أى تحسب فى مرأى العين أنّهم وقوف لكثرتهم فكذلك الجبال إنك لا ترى سيرها لبعده أطرافها و سرعه سيرها كما لا ترى السحاب إذا انبسط فى قطر بحيث لا ترى أطرافه إذا عمّ تمام الفضاء فهو فى حين حركته يتخيّل الرائي أنه واقف مكانه لا يسير و لا يتحرك. و قد شاهدنا هذا المعنى فى الطيّاره التى ركبناها و كنا فيها من باب الاتفاق و الصدفة عند نافذه فيها فكنا ننظر إلى خارجها من وراء الزجاجه التى كانت على الكوّه فتبدو لنا الطياره واقفه لا تتحرّك قط مع علمنا بغايه سرعه سيرها. و فى أقل قليل من الأوقات كان جناحها يتحرّك بمرحله يسيره دقيقه صنّع الله اللّذى أُنْفُوسٌ كُلُّ شَيْءٍ (٧) من ذلك الصنع فخلق النمله التى

ص: ٢٥٧

١- سورة ٢٢ - آيه ٢

٢- سورة ٢٧ - آيه ٨٧

٣- سورة ٢ - آيه ٢٤٣

٤- سورة ٢٧ - آيه ٨٧

٥- سورة ٢٧ - آيه ٨٨

٦- سورة ٢٧ - آيه ٨٨

٧- سورة ٢٧ - آيه ٨٨

فى صغر جثتها و لطافه هيئتها لا تكاد تنال بلحظ البصر و لا بمستدرك الفكر و لو تأملت فى مجارى أكلها و ما فى البطن من أمعائها و ما فى الرأس من عينيها لقصيت من خلقها عجا و لقيت من وصفها تعبا و هى مع كل هذا تفكر فى رزقها و تنقل الحبه إلى جحرها و تجمع فى يوم رخائها لشدتها و فى حرها لبردها. و انظر إلى النحل أيضا فى دقه خلقته و جمال صنعه و عظم منفعتة يأكل من أحسن ثمره الأشجار و أزهار النبات، و يخرج لنا غذاء لذيذا و شرابا صافيا و دواء شافيا، صنع الله العظيم جلت قدرته.. و الصنع مصدر مفعول لفعلة المقدر، أى صنع الله تعالى ذلك صنعا و أتقن: أى أحكم صنع كل شىء صنعه (١)؛ خلقه و سواه على ما ينبغى إنه خبير بما تفعلون (٢) عالم بظواهر الأفعال و بواطنها فيجازيكم بها و عليها. ثم أخبر سبحانه عن جزاء أعمال الفريقين فقال:

٨٩ و ٩٠- مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا... (٣) يحتمل أن يكون كلمه من (٤) الجازه نشيئه أى نشأ و تولد من عمله الحسن عمل خير له فى الآخرة كالثواب و الأمان من العقاب، فخير هنا اسم و ليس اسم تفضيل.

و قيل معناه: فله أفضل منها فى عظم النفع لأنه يعطى بالحسنه عشرا، أو لأن فعل العبد يبنى و الثواب فعل الله و هو يبقى، فيكون أفضل بدرجات لا تحصى، أو الثواب فى كثير من الموارد هو رضوان الله و هو أكبر و أعظم و هم من فزع يومئذ آمنون (٥) و قرئ بالإضافة. و من المحتمل قويا أن هذه الجملة مفسره للخير كما احتملناه أولا فى المحتملات المزبوره أنفاً و من جاء بالسئيه فكبت و جوههم فى النار (٦) أى ألقوا فى النار على وجوههم. و يحتمل أن يكون المراد هو الإلقاء منكوسا بأن يجعل أعلى الشىء أسفله و بالعكس، فيلقونه بهذه الكيفيه فى النار على رؤوسهم. و لعل الأوجه هو التفسير الأول بظاهر اللفظ، و عليه عبر بالوجه عن ذواتهم و يقال لهم هيل تجزون إلا ما كنتم تعملون (٧) فيقال لهم: أن هذا جزاء أعمالكم التى فعلتموها و ليس بظلم. و

روى مسندا فى المجمع عن أمير

ص: ٢٥٨

- ١- سورة ٢١ - آيه ٨٠
- ٢- سورة ٢٧ - آيه ٨٨
- ٣- سورة ٢٧ - آيه ٨٩
- ٤- سورة ٢٧ - آيه ٨٩
- ٥- سورة ٢٧ - آيه ٨٩
- ٦- سورة ٢٧ - آيه ٩٠
- ٧- سورة ٢٧ - آيه ٩٠

المؤمنين عليه أفضل الصلاه أنه قال في تفسير هذه الآيه:الحسنه حينأ أهل البيت و السيئه بغضنا

سوره النمل (٢٧): الآيات ٩١ الى ٩٣

إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٩١) وَأَنْ أَتْلُوا الْقُرْآنَ فَمَنْ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ (٩٢) وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٩٣)

٩١- إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ... (١) أى قل يا محمد:أنا مأمور من عند ربى أن أعبده و هو ربّ هذه البلد (٢) يعنى مكه،و الإضافه تشريفيه لشرافتها و عظمتها،و لهذا قال الَّذِي حَرَّمَهَا (٣) من كل ما يستلزم هتكها كالمقاتله فيها،و مجيء المشركين و الكفره إلى المسجد الحرام،و قطع شجرها و حشيشها،و صيد الحيوانات بل تنفيرها،فمنع ذلك كله،و جعلها حرما آمنا.و

فى الكافى عن الصادق عليه السلام أن قريشا لما هدموا الكعبه وجدوا فى قواعدها حجرا فيه كتاب لم يحسنوا قراءته حتى دعوا رجلا قرأه فإذا فيه:أنا الله ذو بكة حرمتها يوم خلقت السماوات و الأرض و وضعتها بين هذين الجبلين،و حففتها بسبعه أملاك حفا و له كل شىء (٤) خلقا و ملكا مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٥) أى من المنقادين.

٩٢- وَأَنْ أَتْلُوا الْقُرْآنَ فَمَنْ اهْتَدَى... (٦):بإجابته لى فى ذلك فَإِنَّمَا (٧) إلخ،لعود نفعه إليه و مَنْ ضَلَّ (٨) بترك الإجابة إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ (٩) أى فما على إلا الإنذار و البلاغ و ليس على و بال العقوبه دنيويه و أخرويه.

ص: ٢٥٩

- ١- سوره ٢٧ - آيه ٩١
- ٢- سوره ٢٧ - آيه ٩١
- ٣- سوره ٢٧ - آيه ٩١
- ٤- سوره ٢٧ - آيه ٩١
- ٥- سوره ٢٧ - آيه ٩١
- ٦- سوره ٢٧ - آيه ٩٢
- ٧- سوره ٢٧ - آيه ٩٢
- ٨- سوره ٢٧ - آيه ٩٢
- ٩- سوره ٢٧ - آيه ٩٢

٩٢- وَ أَنْ أَتَلُوا الْقُرْآنَ فَمَنْ اهْتَدَى... (١): ياجابته لى فى ذلك فإِنَّمَا (٢) إلخ، لعود نفعه إليه وَ مَنْ ضَلَّ (٣) بترك الإجابة إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ (٤) أى فما على إلا الإنذار و البلاغ و ليس على و بال العقوبه دنيويه و أخرويه.

٩٣- وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ... (٥) على نعمه النبوه و منافعها العائده إلى من العلم النافع و العمل الصالح سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ (٦) القاهره فى الدنيا و الآخره فَتَعْرِفُونَهَا (٧) و تصدقونها وَ مَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٨) يمهلكم لوقته المحدد. و هذه الشريفة تهديد لمشركى قريش أولا و لسائر المخلوقين ثانيا.

ص: ٢٦٠

- ١- سورة ٢٧ - آيه ٩٢
- ٢- سورة ٢٧ - آيه ٩٢
- ٣- سورة ٢٧ - آيه ٩٢
- ٤- سورة ٢٧ - آيه ٩٢
- ٥- سورة ٢٧ - آيه ٩٣
- ٦- سورة ٢٧ - آيه ٩٣
- ٧- سورة ٢٧ - آيه ٩٣
- ٨- سورة ٢٧ - آيه ٩٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طسم (١) تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (٢) نَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَى وَ فِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٣) إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَ جَعَلَ أَهْلَهَا شِيْعًا يَسْتَضِعُّ مِنْهُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَ يَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (٤) وَ نُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُوا فِي الْأَرْضِ وَ نَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَ نَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ (٥) وَ نَمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَ نُرِيَ فِرْعَوْنَ وَ هَامَانَ وَ جُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ (٦)

١- طسم (١)...معناه كسائر الفواتح من السور و قد تقدم فلا نعيده.

٢- تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ... (٢) إشاره الى الآيات. فمعناه و الله أعلم يحتمل

ص: ٢٦١

١- سوره ٢٨ - آيه ١

٢- سوره ٢٨ - آيه ٢

أن يكون الآيات المذكوره فى هذه السوره آياتِ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (١) النازله من اللوح المحفوظ أو آيات الكتاب الذى وعد الله بإنزاله على محمد صلى الله عليه وآله ليكون معجزه باقيه له. و يقوى الأخير فى النظر أن السرّ فى اتّصافه بالمبين هو لا بدّ أن يكون لنكتته بيان ذلك. و المبين من أبان الشىء بمعنى أوضحه فهو بمعنى الموضح، فوصف به الكتاب فى كثير من الموارد رمز لأمر مهم و إلا فكل كتاب موضح لقصد مؤلفه و مصنفه من حيث اشتماله على الحجج و البراهين على حسب استعداد المؤلف و مراتب علمه و معرفته.

فوصف هذا الكتاب به ليس فيه كثير فائده فيصبح هذا التقييد شبيها بتوضيح الواضحات. و كتاب الله منزّه عن ذلك فلا بد من بيان الفارق، و ذلك أن هذا الكتاب محتو على مقاصد مهمه و راء مقاصد المخلوقين فى تأليفهم و كتبهم، لأن الله تعالى أنزله على نبيه محمد صلى الله عليه وآله، ليكون بنفسه مثبتا لرسائله و مصدقا لما يقول و ليتحدّى الناس به، من قوله أولا: أيها الناس قولوا لا إله إلا الله و غيره من الأحكام و الشرائع و الإنذار و البشاره إلخ... و كيف يكون هذا الكتاب بنفسه مثبتا لما ذكرناه لاشتماله مع قطع النظر على الفصاحه و البلاغه التى عجز فصحاء العرب أن يأتوا و لو بسوره من مثله، ففيه أمور غريبه عجيبيه كإخباره عن المغيبات التى لا يعلمها إلا الله و كأحوال أنبياء السلف و أممهم مع فراعنه عصورهم، و كخلق السماوات و الأرضين و ما فيهما و ما بينهما و مبدأ نشوء الإنسان و خلقه و غير ذلك من العلوم البديعه و المعارف الغريبه التى لم يكن يعرفها غيره تعالى، إلا من خوطب بهذا الكتاب و أنزل عليه.

و تلك المقاصد الرفيعه الساميه لا بدّ أن تبقى إلى الأبد، فالمثبت لها و الموضح كذلك أبدى كما أنه تعالى وعدنا بحفظه و إبقائه بقوله: إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (٢) فأين من هذا الإيضاح و رب الأرباب؟ إيضاح سائر الكتب، و اين التراب و الحاصل أنه لا بد من ذكر وصف الابانه و الإيضاح فى كل ما يذكر فيه الكتاب الكريم حيث إنه أبدى مثل الموصوف. و هذا البيان بناء على أن الْمُبِينِ (٣) من أبان

ص: ٢٦٢

١- سوره ٢٨ - آيه ٢

٢- سوره ١٥ - آيه ٩

٣- سوره ٢٨ - آيه ٢

بمعنى أوضح وأظهر، وأما بناء على كونه من أبان بمعنى اتضح وظهر لأن أبان استعمل متعدّياً و لازماً على ما هو المعروف فى كثير من موارد باب الأفعال، فالمبين معناه الواضح والظاهر والمتّضح فعلى هذا فوصف الكتاب به فى بادئ النظر مشكلاً، لأن المراد بالواضح إن كان وضوحاً بحسب الألفاظ فليس هذا له هذه الأهميّة حتى يكرر بهذا المقدار ويهتم به هذا الاهتمام فإن كثيراً من كتب أرباب الصّيحف ورسائل أرباب المراسلات كان أوضح وأظهر من ظواهر ألفاظ القرآن بمراتب فليس هذا أمراً قابلاً. لأن يتصف كتاب الله به، وإن كان لوضوح بحسب المعنى فالظاهر أنه ليس الأمر هكذا، كيف وإن للقرآن بطوناً لا يعرفها إلا الله سبحانه ومن خوطب به، هذا مع أن فى القرآن آيات محكمات يمكن القول بوضوح معانيها إلى حدّ ظاهر، وأما آياته المتشابهة فليست معانيها ظاهرة بل هى بمقتضى الروايات لا بدّ من ردّ عملها إلى الله والرسول. وهذه أجوبه نقولها بعقولنا القاصره ونسجها فى تأليفنا وليست بأجوبه كافيه شافيه فى كتاب إلهى أنزله الله من فوق سبع سماوات على نبيّه (ص) لهدايه عامه البشر وليكون حجه على نبوّته وسلطانا على خصمائه ومعجزاً باقياً لرسالته على دهر الدهور.

فهذا كتاب لا ترقى إليه أفكار ذوى الفكر ولا تناله عقول ذوى الألباب نحن إنّما نقول فيه من تفسيره عشرة من أعشار هذا البحر المتلاطم الزخار من العلوم والمعارف وما نقوله ملتقطات من خزائن علمه تعالى و رشحات من فيوضاتهم عليهم الصلاه والسلام لا من عند أنفسنا وآرائنا. فالحق أن المبين فى موارد توصيف الكتاب الكريم به معناه الموضح والمظهر بالبيان المتقدم من أبان بمعنى أوضح المتعدّى.

٣- نَتَلَّوْا عَلَيْكَ مِنْ نَبَاِ مُوسَى... (١) أى نبين لك بأمرنا جبرائيل نقل بعض قصص موسى بِالْحَقِّ (٢) بالصّيدق وبالْحَقِيقَه لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٣) متعلّق ب نَتَلَّوْا (٤) أى لمن نعلم بأنهم يصدّقون ويعتقدون به فإنّهم الذين ينتفعون بالتلاوه حيث إنّهم أهل الفكر والتدبّر والاعتبار من القصص وأخبار السلف.

ص: ٢٦٣

١- سورة ٢٨ - آيه ٣

٢- سورة ٢٨ - آيه ٣

٣- سورة ٢٨ - آيه ٣

٤- سورة ٢٨ - آيه ٣

٤- إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا- فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا... (١) أى فرقا، أذلّ بعضهم بالاستبعاد والاستعمال فى الأعمال الشاقه كطائفه بنى إسرائيل، وأعز الآخريين بإعطائهم المناصب الرفيعة والمقامات العاليه الساميه كالقبطيين. والتفريق شأن الملوك وزعماء السياسه والاستبداد فإنهم يفرقون بين الأئمه والشعب و يجعلونها أحزابا و يتوسّيلون به إلى نيل مقاصدهم معتمدين على قاعده: فرّق تسد، ولذا نهى الله تعالى عن التفرقه و قال أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٢) يعنى كونوا حزبا واحدا له تعالى و يؤيد هذا التفسير قوله تعالى: يَسْتَضِعُّ مِثْلَ طَائِفَةٍ (٣) أى بنى إسرائيل يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَ يَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ (٤) هذا بيان و تفسير للاستضعاف، أى يقتل الأبناء لأنه أخبره الكاهن بأنه يتولّد ولد من بنى إسرائيل يزيل ملكك و يهلكك و قومك. و فى الكشاف أنه قتل تسعين ألفا من أولاد بنى إسرائيل ذكورا و كان يخلى النساء و البنات و يستخدمهنّ لحرمة و لنساء القبطيين، و هذا معنى الاستحيا. و نقل عن السدى أنّ فرعون رأى فى منامه أن نارا وجدت من ناحيه بيت المقدس و أحرقت بيوت مصر و القبطيين و سلم منها بنو إسرائيل.

فبعث إلى العلماء المعبرين و الكهنة و سألهم عن تعبير الرؤيا فقالوا سيظهر من هذا البلد رجل يكون إزاله ملكك و هلاك نفسك و قومك على يده، فمن ذلك اليوم أخذ فيما فعل كما ذكر فى الآيه و أمر بتفريق نساء بنى إسرائيل عن رجالهن و استخدم النسوان لنساء أهل القبط. فهو من المفسدين فى الأرض.

٥ و ٦- وَ تُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ... (٥) أى نتفضّل على الذين استضعفوا فى الأرض (٦) بخلصهم من بأسه فى المآل. و الجملة حال من (استضعف) أو حكاية حال ماضيه وَ نَجَعَلَهُمْ أَئِمَّةً (٧) مقدّمين فى الدنيا و الآخرة وَ نَجَعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ (٨) لملك فرعون و أمتعه و أمواله و أملاكه و كل شىء من الفرعونيين وَ نُمَكِّنَ لَهُمْ فى الأرض (٩) نقويهم و نشدّ أزرهم و نسلطهم على أرض مصر و مكان سلطه فرعون و أرض الشام وَ نُرِي فِرْعَوْنَ وَ هَامَانَ (١٠) (وزيره) وَ جُنُودَهُمَا مِنْهُمْ ما كانوا يَحِيدُونَ (١١) أى من بنى إسرائيل ما كانوا يخافون من ذهاب ملكهم و هلاكهم على يد مولود منهم.

ص: ٢٦٤

١- سورة ٢٨ - آيه ٤

٢- سورة ٥٨ - آيه ٢٢

٣- سورة ٢٨ - آيه ٤

٤- سورة ٢٨ - آيه ٤

٥- سورة ٢٨ - آيه ٥

٦- سورة ٢٨ - آيه ٥

٧- سورة ٢٨ - آيه ٥

٨- سورة ٢٨ - آيه ٥

٩- سورة ٢٨ - آيه ٦

١٠- سورة ٢٨ - آيه ٦

١١- سورة ٢٨ - آيه ٦

٥ و ٦- وَ نُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ... (١) أى ننتفضل على الذين استضعفوا فى الأرض (٢) بخلاصهم من بأسه فى المآل. و الجملة حال من (استضعف) أو حكاية حال ماضيه وَ نَجْعَلُهُمْ أُمَّةً (٣) مقدّمين فى الدنيا و الآخرة وَ نَجْعَلُهُمُ الْوَارِثِينَ (٤) لملك فرعون و أمتعه و أمواله و أملاكه و كل شىء من الفرعويين وَ نُمَكِّنْ لَهُمْ فى المأرض (٥) نقويهم و نشد أزهرهم و نسلطهم على أرض مصر و مكان سلطه فرعون و أرض الشام وَ نُرِى فِرْعَوْنَ وَ هَامَانَ (٦) (وزيره) وَ جُنُودَهُمَا مِنْهُمْ ما كانوا يحذرون (٧) أى من بنى إسرائيل ما كانوا يخافون من ذهاب ملكهم و هلاكهم على يد مولود منهم.

و فى تفسير الكريمة وَ نُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ (٨) إلخ روايات كثيرة بأنّها جارية فى آل بيت محمد صلى الله عليه و عليهم أجمعين إلى يوم القيامة يبعث الله مهديهم بعد جهدهم فيعزهم و يذل أعداءهم و

فى نهج البلاغه قال عليه السلام لتعطفن علينا الدنيا بعد شماسها عطف الضروس على ولدها، و تلا عقيب ذلك: وَ نُرِيدُ (٩) الآية. .. و الفرس الشموس هى المستعصية على راكبها، و الضروس الناقه السيئه الخلق التى تعض من يجلبها و لا تعطف إلا على ولدها.

سوره القصص (٢٨): الآيات ٧ الى ٩

وَ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَ لَا تَخَافِي وَ لَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَ جَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (٧) فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَ حَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَ هَامَانَ وَ جُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ (٨) وَ قَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَ لَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَ هُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٩)

٧- وَ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ... (١٠) أى ألهمناها و قدفنا فى قلبها، و لم يكن بوحي نبوه لكنها اطمأنت إلى الإلهام أَنْ أَرْضِعِيهِ (١١) ما أمكنك إخفاء الولد و فى بعض الروايات لما ولد موسى و خرجت القابله من عند أمه قررت القابله أن تخفيه فدخل جماعه من جواسيس فرعون بيت أم موسى غفله

ص: ٢٦٥

١- سوره ٢٨ - آيه ٥

٢- سوره ٢٨ - آيه ٥

٣- سوره ٢٨ - آيه ٥

٤- سوره ٢٨ - آيه ٥

٥- سوره ٢٨ - آيه ٦

٦- سوره ٢٨ - آيه ٦

٧- سوره ٢٨ - آيه ٦

٨- سوره ٢٨ - آيه ٥

٩- سوره ٢٨ - آيه ٥

١٠- سوره ٢٨ - آيه ٧

فلقته أخته فى خرقة و وضعتة فى التّور و خاله موسى كانت غافله عن هذا الأمر فأشعلت النار فى التّور لاختباز الخبز فلما دخل الجواسيس البيت و تفحصوا ما وجدوا فى البيت غير تّور مشتعل و لما خرجوا سألت أم موسى أخته أين الولد؟ فقالت فى التّور فلما دخلت عليه وجدته قاعدا يلعب و أطرافه مشتعله فأخرجته سالما، و علموا أن هذا هو الموعود. و الحاصل أن الله تعالى أوحى إليها بأنه فإذا خفتِ عَلَيْهِ (١) بأن أحسست باشتهار أمر الولد فخفت عليه الأخذ و القتل فَأَلْقِيهِ فى اليمِّ (٢) أى النيل وَ لا تَخَافِي (٣) ضيعته و غرقه وَ لا تَحْزَنِي (٤) على فراقه إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ (٥) سالما عمّا قريب وَ جاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (٦) نعطيهِ منصب الرّسالة و رتبه النبوه.

و الفرق بين الخوف و الحزن أن الخوف هو الغمّ الذى يحصل للإنسان لأمر متوقّع، و الحزن هو الغم الذى يحصل للأمر الحاصل و الواقع على الإنسان.

و بالجمله فأرضعتة ثلاثه أشهر ثم الحّ فرعون فى طلب الصبيان فخافت عليه الجواسيس شديدا فوضعته فى تابوت مطلى داخله بالقار و أغلقته و ألقته فى البحر (أى النيل).

٨- فَأَلْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ... (٧) بتابوته، فوضع بين يديه و فتح و أخرج منه موسى عليه السلام لِيَكُونَ لَهُمْ عِبْدًا وَ حَزَنًا (٨) و الالتقاط إصابه الشىء من غير طلب و المراد بآل فرعون جواريه، و اللام فى لِيَكُونَ (٩) لام العاقبه و معناه: أنهم ما التقطوه إلا ليكون لهم قرّه عين و راحه قلب و لكن انتهى هذا الالتقاط بالحزن لهم و العداوه عليهم كقول الشاعر: لدوا للموت و ابنوا للخراب، أى عاقبه الولاده الموت و عاقبه البناء الخراب فكأنهما علّتان للعملين، و هكذا ما نحن فيه فإن العمل تابع للنتيجه فإذا صارت النتيجه العداوه و الحزن فكأنهما علّتان للالتقاط.. أمّا قصّه تهيئه أم موسى للصندوق و من صنعه لها فذلك أنها لما أدركت و شعرت بأن فرعون مجدّ فى طلب أبناء بنى إسرائيل ذهبت إلى نجار من أهل القبط و طلبت منه أن يصنع لها صندوقا طوله خمسّه أشبار فى ثلاثه عرضا، فلما صنعه لها النجار الحّ عليها بأن يعرف وجه طلبها منه هذا الصّندوق فأبت أن تقول له، فاجتهد فى ذلك فأظهرت

ص: ٢٦٦

١- سورة ٢٨ - آيه ٧

٢- سورة ٢٨ - آيه ٧

٣- سورة ٢٨ - آيه ٧

٤- سورة ٢٨ - آيه ٧

٥- سورة ٢٨ - آيه ٧

٦- سورة ٢٨ - آيه ٧

٧- سورة ٢٨ - آيه ٨

٨- سورة ٢٨ - آيه ٨

٩- سورة ٢٨ - آيه ٨

له واقع الأمر خوفاً من الكذب بأن لهما ولداً تريد أن تجعله فيه و تخفيه من فرعون. و من المصادفات أن القبطي كان من أقارب فرعون و مدين اعتقد به، فأعطاها الصي ندوق و سار وراءها حتى يعرف بيتها فلما عرفه مشى إلى جواسيس فرعون ليعلمهم بالقضية، فأمسك الله لسانه و جعل يشير بيده، فضربوه و طردوه إذ لم يفهموا منه شيئاً. فلما عاد إلى دكانه انطلق لسانه، فذهب مره أخرى ليخبرهم فأخسه الله تعالى فضربوه و طردوه حملاً على السفاهة و الجنون، فعاد إلى الدكان فردّ الله إليه لسانه، فذهب مره ثالثة فأخذ الله بصره و لسانه فرجع إلى موضعه و دكانه بعد أن ضربه الجواسيس شديداً و طردوه فجعل بينه و بين الله عهداً إن ردّ عليه بصره و لسانه أن يتوب عن عمله فعلم الله منه الصدق فردّ عليه بصره و لسانه فجاء إلى بيت أم موسى و قصّ عليها الأمر و آمن بموسى لأنه افتهم أن الأمر يدل على أن هذا هو المولود الذي وعد الكهنة بمجيئه، و علم أنه على الحق. و هذا الرجل هو الذي سمى بحبيب النجار، و هو المعروف بمؤمن آل فرعون، و لعله كان أول من آمن بموسى لأنه آمن به و هو ابن ثلاثه أشهر على قول أو أقل، و كان ثابتاً في إيمانه و روى أنه كان لفرعون بنت ابتليت بالبرص، و كان الكهنة أخبروها بأنه في يوم كذا من شهر كذا و سنه كذا يوجد حيوان في صورته إنسان صغير في النيل و زوال هذه العلة يكون بريقه. و طابق اليوم يوم ما ألقّت أم موسى الصي ندوق في البحر و التقطه آل فرعون، فلما أخرج موسى من التابوت ألهمت بنت فرعون أن هذا الصبي هو الذي أخبر الكهنة به، فعمدت إلى ريقه و استشفت به فدلكت أعضائها به فبرئت من مرضها في الحال، فألقيت محبته في قلب فرعون و امرأته و جواريه و بالأخص في قلب البنت إن فرعون و هامان و جندودهما كانوا خاطئين (١). قيل إنه من الخطأ لأنهم ما شعروا أنه الذي يذهب بملكهم و يهلكهم إلى آخرهم.

٩- وَ قَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتْ عَيْنِي لِي وَ لَكَ... (٢) لَمَا أَرَادَ فِرْعَوْنُ قَتْلَهُ بَعْدَ أَنْ حَذَّرُوهُ قَالَتْ آسِيَهُ زَوْجَتَهُ: لَا تَقْتُلْ

ص: ٢٦٧

١- سورة ٢٨ - آيه ٨

٢- سورة ٢٨ - آيه ٩

الصَّبِي عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرَهُ عَيْنِ لِي وَ لَكَ أَى ضِيَاءِ عَيْنِنَا جَمِيعًا فَإِنَّهُ بِسَبَبِهِ عَوفِيَتْ بَنَتُنَا مِنْ عَظْمَانِهَا فَانصَرَفَ فِرْعَوْنُ عَنْ قَتْلِهِ وَ مَا شَعَرَ بِأَنَّهُ قَاتَلَهُ فَكَيْفَ يَخْلَى الْإِنْسَانُ الْفَطْنَ سَبِيلَ قَاتَلِهِ بِقَوْلِ امْرَأَةٍ هُوَ قَرَهُ عَيْنِ لِي وَ لَكَ؟ وَ عَقَّبَتْ قَوْلَهَا هَذَا بِقَوْلِهَا الْآخِرِ حَتَّى تَيَقَّنَتْ انصِرَافَهُ. وَ زَوْجَتُهُ هَذِهِ مَا آمَنَتْ بِفِرْعَوْنَ قَطْ وَ كَانَ قَلْبُهَا مَنْوَرًا بِنُورِ الْإِيمَانِ، فَهِيَ مُؤْمِنَةٌ بِبَنِي زَمَانِهَا وَ قَدْ آمَنَتْ بَعْدَ ذَلِكَ بِإِلَهِ مُوسَى وَ صَدَقَتْهُ بِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ وَ ذَلِكَ سَبَبُ قَوْلِهَا لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا (١) حَيْثُ إِنَّ فِيهِ مَخَائِلَ الْخَيْرِ وَ الْيَمَنِ وَ دَلَائِلَ النِّفَعِ وَ الْبِرْكِ مِنْ بَرِّهِ وَ ابْتِغَاءِ ارْتِضَاعَتِهِ مِنْ إِبْهَامِهِ وَ النُّورِ السَّاطِعِ مِنْ بَيْنِ عَيْنَيْهِ، فَإِنَّ هَذِهِ الْمُؤْمِنَةُ شَعَرَتْ بِنُورِ إِيمَانِهَا أَنَّ هَذَا الْمَوْلُودَ هُوَ الْمَوْعُودُ فَلِذَا اهْتَمَّتْ غَايَةَ الْاهْتِمَامِ فِي حِفْظِهِ وَ حِرَاسَتِهِ وَ أَيْدَتْ مَا ذَكَرَتْ مِنْ قَوْلِهَا بِقَوْلِهَا أَوْ تَتَّخِذْهُ وَ لَدَا (٢) أَى نَتَبَّأَهُ فَإِنَّ هَذَا الْوَلَدَ أَهْلٌ لِذَلِكَ وَ هُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٣) يَحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ مِنْ تَتَمُّهِ قَوْلِ آسِيَةَ سَلَامَ اللَّهِ عَلَيْهَا. وَ الضَّمِيرُ الْبَارِزُ رَاجِعٌ إِلَى النَّاسِ أَوْ إِلَى الْمَلْتَقَطِينَ، أَى أَنَّهُمْ بَعْدَ مَدَّةٍ تَمْضَى عَلَيْهِ لَا يَعْرِفُونَ أَنَّهُ هُوَ الَّذِي التَّقَطُّوهُ مِنَ النَّيْلِ وَ يَنْسُونَهُ. أَوْ هِيَ ابْتِدَاءُ كَلَامٍ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى أَى: هُمْ لَا يَشْعُرُونَ أَنَّهُ هُوَ الَّذِي ذَهَابَ مَلِكُهُمْ عَلَى يَدَيْهِ أَوْ هُمْ عَلَى خَطَأٍ فِي التَّقَاطِهِ.

سوره القصص (٢٨): الآيات ١٠ الى ١٣

وَ أَصِيحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِعًا إِنَّ كَادَتْ لِتُبَدِيَ بِهِ لَوْ لَا أَنَّ رَبَّنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (١٠) وَ قَالَتْ لِأَخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ وَ هُمْ لَا يَشْعُرُونَ (١١) وَ حَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَيْلٌ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَ هُمْ لَهُ نَاصِحُونَ (١٢) فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَ لَا تَحْزَنَ وَ لَتَعْلَمَنَّ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَ لَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (١٣)

ص: ٢٦٨

١- سوره ٢٨ - آيه ٩

٢- سوره ٢٨ - آيه ٩

٣- سوره ٢٨ - آيه ٩

١٠- وَ أَصِيحَ فُوَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِعًا... (١) أى صار قلب أم موسى فارغا أى خاليا من الصبر و العقل لدهشتها حينما سمعت أن الصي ندوق وصل إلى يد فرعون، فوقعت فيما تفر منه إن كادت لتبدي به (٢) أى أوشكت أن تقر و تعترف بأنه ابنها جزعا. وإن (٣) مخففة، يعنى أنها كان قريبا أن تظهر الأمر لو لا أن ربطنا على قلبها (٤) أو ثقتنا و أحكمتنا بالصبر و الثبات. و جواب لو يدل عليه ما قبلها، أى لتبدي لتكون من المؤمنين (٥) أى من المصدقات بوعدنا من قولنا إنا رادوه إليك (٦) إلخ و

فى الإكمال عن الباقر عليه السلام فى روايه لبيان هذه القصه قال: فلما خافت عليه الصوت أوحى الله تعالى إليها أن اعملى التابوت ثم اجعليه فيه ثم أخرجيه ليلا- فاطرحيه فى نيل مصر. فوضعتة فى التابوت ثم دفعته فى اليم فجعل يرجع إليها و جعلت تدفعه فى الغمر و جاءت الريح فضرته فانطلقت به، فلما رأته قد ذهب به الماء همت أن تصيح يا ابنا، فربط الله على قلبها.

١١- وَ قَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ... (٧) أى أن أم موسى قالت لأخته كلثم:

امشى وراء الصندوق لتعرفى أثره و خبره. فاتبعت أثره على ساحل البحر فوجدت أن آل فرعون التقطوه و أخرجوه من التابوت فبصرت به عن جنب (٨) أى فرأت أباها من بعيد، وقيل عن جانب كانت تنظر اليه كأنها لا تريده و لا تقصده و هم لا يشعرون (٩) أى لا يلتفتون أنها تقصه و أنها جاءت وراءه لاستخبار حاله و أنها أخته. و فى هذه الشريفه حذف و اختصار، و هذا من الإيجاز الدال على كمال البلاغه و الفصاحه و على

ص: ٢٦٩

- ١- سورة ٢٨ - آيه ١٠
- ٢- سورة ٢٨ - آيه ١٠
- ٣- سورة ٢٨ - آيه ١٠
- ٤- سورة ٢٨ - آيه ١٠
- ٥- سورة ٢٨ - آيه ١٠
- ٦- سورة ٢٨ - آيه ٧
- ٧- سورة ٢٨ - آيه ١١
- ٨- سورة ٢٨ - آيه ١١
- ٩- سورة ٢٨ - آيه ١١

الإعجاز باللفظ القليل على المعانى الكثيره كما لا يخفى على المتأمل الفطن.

و قد كثر سبحانه هذا القول، و هو عدم شعورهم بالأمور، تنبيها على أنه لو كان فرعون آلهما لكان يشعر بهذه الأمور فإذا لا يشعر لا يكون إلهما.

١٢ و ١٣- وَ حَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ... (١) أى منعناه من أن يرتضع منهنّ مِنْ قَبْلُ (٢) قبل مجيء أمه إلى عنده و أخذه حتى لا تتربى أعضاؤه بلبن أهل الكفر و الشرك. و قيل إنه ما شرب ثمانية أيام لبنا حتى اضطربت آسيه و قومها من ذلك، و كان يمتصّ من إصبغه اللبن الطاهر و هم لا يشعرون بذلك. و لما أحست أخت موسى أنّ آسيه فى غايه الاضطراب للمرضعه تقربت منها و قالت هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ (٣) أى يقومون بتربيته و جميع أموره وَ هُمْ لَهُ نَاصِحُونَ (٤) لا يقصرون فى أموره لأجلكم و هم مشفقون عليه؟ و

روى أنها لما قالت له ناصحون (٥) قال هامان وزير فرعون للملازمين: خذوها إنّها لتعرفه و تعرف أهله. قالت إنما أردت:

و هم للملك ناصحون، فأطلقوها و أكرموها و طلبوا منها المرضعه فمشت إلى أم موسى و ذكرت لها صورته الحال فقامتا و مشتتا حتى وردتا على آسيه فأعطتها الولد، و كان موسى لا يقبل ثدى آيه مرضعه، فلما وقع فى حجر أمه و نظر إليها تعلق بها و أخذ يرتضع منها، ففرح فرعون و آسيه و من يلوذ بهما لكثرة تعلقهم بالصبيّ. فسأل فرعون عن أم موسى و عن عله قبول الرضيع لثديها، فقالت أنا امرأه حسنه الخلق و لبنى فى غايه الحلاوه، و ما من طفل إلا و يقبل ثديي و يشرب لبنى. فأكرمها و عظّمها لجلالته حيث وجد من كلامها و حركاتها أنها جليله عفيفه عقيله. و قد فعلنا ذلك لتعلم أنّ وَعَدَ اللَّهُ حَقُّ (٦) هى تعلم بأنّه حق و إلا فالإنسان العاقل ما دام لا يعلم بأن وعد الله حق لا يلقى ولده فى اليمّ، و لكن كان علمها علم عقيده أما بعد ردّ ولدها إليها و لا سيّما بعد وقوعه فى المهلكه حصل لها علم مشاهده و هو فوق علم العقيده كما حقّق فى محله.

ص: ٢٧٠

١- سورة ٢٨ - آيه ١٢

٢- سورة ٢٨ - آيه ١٢

٣- سورة ٢٨ - آيه ١٢

٤- سورة ٢٨ - آيه ١٢

٥- سورة ٢٨ - آيه ١٢

٦- سورة ٢٨ - آيه ١٣

وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٤) وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَنْتَاهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ (١٥) قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (١٦) قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ (١٧)

١٤- وَ لَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ... (١) أى غايه قوته و نشوئه و نموّه، و هو بلوغه إلى الثلاثين، و عن ابن عباس إلى الأربعين سنه. و يصدقه

الحديث المشهور:

لم يبعث نبى إلا على رأس الأربعين و

فى معانى الأخبار عن الصادق عليه السلام فى تفسير أشدّه (٢) ثمانى عشره سنه و استوى (٣) تم فى استحكامه و بلغ الأربعين تمامه أو اعتدلت قامته و عقله. و قيل أشدّه هو بلوغه ثلاثين سنه، و الاستواء هو أن يبلغ الأربعين، و فيه يكمل العقل. فإذا تمّ العقل يصير الإنسان قابلاً لإفاضه الفيض من المبدأ الأعلى أى الإفاضه الخاصه آتيناؤه حكماً و علماً (٤) أى النبوه و علما بالدين و هذان هما الإفاضه الخاصه التى لا ينالها إلا الأوحديّ من البشر و كذلك نجزيّ المحسنين (٥) أى كما فعلنا مع موسى و أمه من اللطف و الكرم و الإحسان هكذا نجزيّ المحسنين من كلّ من يعمل عملاً حسناً مرضياً عندنا. و

فى القمى عن الباقر عليه السلام فى حديث قال: فلم يزل موسى عند فرعون فى أكرم كرامه حتى بلغ مبلغ الرجال، و كان ينكر ما يتكلم به موسى من التوحيد حتى همّ به

ص: ٢٧١

١- سوره ٢٨ - آيه ١٤

٢- سوره ٢٨ - آيه ١٤

٣- سوره ٢٨ - آيه ١٤

٤- سوره ٢٨ - آيه ١٤

٥- سوره ٢٨ - آيه ١٤

فخرج موسى من عنده. و

عنه عليه السلام على ما فى الإكمال قال:

و كانت بنو إسرائيل تطلب و تسأل عنه، فعمى عليهم خبره، فبلغ فرعون أنهم يطلبونه و يسألون عنه فأرسل إليهم و زاد عليهم فى العذاب و فرق بينهم و نهاهم عن الإخباريه و عن السؤال عنه. قال: فخرجت بنو إسرائيل ذات ليله مقمرة إلى شيخ لهم عنده علم فقالوا كنا نستريح إلى الأحاديث فحتى متى نحن فى هذا البلاء؟ قال: و الله إنكم لا تزالون فيه حتى يجيء الله بسلام من ولد لاوى بن يعقوب اسمه موسى بن عمران، غلام طوال جعد، فيينا هم كذلك إذ قبل موسى يسير على بغله حتى وقف عليهم.

فرجع الشيخ رأسه فعرفه بالصفه فقال له: ما اسمك؟ قال: موسى.

قال: ابن من؟ قال: ابن عمران. فوثب إليه الشيخ فأخذ بيده فقبلها و ثاروا إلى رجله فقبلوها فعرفهم و عرفوه و اتخذ شيعته فمكث بعد ذلك ما شاء الله ثم خرج.

١٥- وَ دَخَلَ الْمَدِينَةَ... (١) أى المصر المعروف بمدينة فرعون على حين غفله من أهلها (٢) بين المغرب و العشاء، أو يوم عيد لهم و هم مشغولون هذا من شيعته (٣) ممن شايعه على دينه من بنى إسرائيل و هذا من عدوه (٤) من مخالفيه، أى القبطى. و

عن الصادق عليه السلام قال:

ليهنتكم الاسم. قيل: و ما الاسم؟ قال: الشيعه ثم تلا هذه الآية فوكزه موسى (٥) ضربه بجمع كفه أو دفعه بشده بحيث كان فيه إزهاق روحه، لأنه عليه السلام كان قويا ذا بطش شديد على ما فى الروايه

فقد قال عليه السلام: كان موسى قد أعطى بسطه فى الجسم و شدّه فى البطش، و شاع أمره، و ذكر الناس بأن موسى قد قتل رجلا من آل فرعون. و الحاصل أنه وكزه ففضى عليه قال هذا من عمل الشيطان (٦)

قال الرضا عليه السلام قضى عليه، أى: على العدو بحكم الله تعالى.

و قال هذا من عمل الشيطان قال عليه السلام: يعنى الاقتتال الذى وقع بين الرجلين لا ما فعله موسى من قتله.

ص: ٢٧٢

١- سورة ٢٨ - آيه ١٥

٢- سورة ٢٨ - آيه ١٥

٣- سورة ٢٨ - آيه ١٥

٤- سورة ٢٨ - آيه ١٥

٥- سورة ٢٨ - آيه ١٥

١٦- قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي... (١)

قال الرضا عليه السلام: يقول وضعت نفسي في غير موضعها بدخول هذه المدينة حتى ابتليت بما ابتليت به فأغفر لي (٢) يعنى استرني من أعدائك لئلا يظفروا بي فيقتلوني فغفر له (٣) الآية.

١٧- قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ... (٤) من القوه. أقول: و أَى قوه أقوى من أن يقتل رجلا- من رجال تلك الأعصار، و هم كانوا من الأقوياء على ما يذكر التاريخ من أحوالهم، بوكزه واحده؟ فينبغى أن يدعو صاحب تلك القوه أن يوفقه الله سبحانه لأن يصر فيها فى جهاد أعدائه لا أن يكون ظهيراً للمُجْرِمِينَ (٥) أى معنا لهم.

سوره القصص (٢٨): الآيات ١٨ الى ١٩

فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفاً يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِحُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ (١٨) فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمَصْلُحِينَ (١٩)

١٨- فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفاً يَتَرَقَّبُ... (٤) خائفاً من أولياء الدم من فرعون و القبطيين و يترصد الأخبار و ما يقال فيه يَشْتَصْرِحُهُ (٧) أى يستغيث به على الآخر إِنَّكَ لَغَوِيٌّ (٨) ضالّ عن طريق الرشده ظاهر الغوايه لكثره مخاصمتك. و المراد هو الغوايه فى الأخلاق لا فى الدين، فإنه كان من بنى إسرائيل و ممن آمن بموسى عليه السلام.

ص: ٢٧٣

- ١- سوره ٢٨ - آيه ١٦
- ٢- سوره ٢٨ - آيه ١٦
- ٣- سوره ٢٨ - آيه ١٦
- ٤- سوره ٢٨ - آيه ١٧
- ٥- سوره ٢٨ - آيه ١٧
- ٦- سوره ٢٨ - آيه ١٨
- ٧- سوره ٢٨ - آيه ١٨
- ٨- سوره ٢٨ - آيه ١٨

١٩- فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ... (١) أى أن يأخذ القبطى و يدفعه عن الإسرائيلى بقوّه و شده،خاف القبطى و صاح من خوفه على نفسه لما سمع من قوّه موسى و قتله للقبطى بوكزه واحده و قال يا موسى أ تُريدُ أَنْ تَقْتُلِنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ (٢) و قد ذهب كثير من المفسّرين إلى أن القائل هو الإسرائيلى حيث ظنّ أنه أراد أن يبطش به لوصفه إيّاه بالغوايه،و لكن الظاهر هو الأول و يؤيده أنه عقب قوله بأن قال إن تُريدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ (٣) و هذا القول لا ينبغى و لا يليق أن يصدر إلا عن كافر أو منافق،و الحال أن الاسرائيلى كان من المؤمنين بموسى و من المصدّقين له فى دعواه و بكلّ ما جاء به من عند ربّ العالمين.و الجبار هو الذى يفعل ما يريد من الضرب و القتل و سائر أقسام الظلم و لا يريد أن يكون من المصلحين بين الناس.فانتشر حديث قتله القبطى حتى بلغ فرعون فأمر بطلبه و قتله.

سوره القصص (٢٨): الآيات ٢٠ الى ٢١

وَ جَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْرِعُ قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ (٢٠) فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٢١)

٢٠- وَ جَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ... (٤) المراد من الرجل هو مؤمن آل فرعون،و اسمه حبيب النجار ابن عمّ فرعون،و قد أشرنا إليه سابقا فى قصّه صنع الصندوق.و قيل كان خازن فرعون مؤمنا بموسى قد كتم إيمانه ستمائه سنه و هو الذى قال الله عزّ و جلّ فيه وَ قَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ (٥) و الحاصل أنه جاء الرجل من آخر البلد و منتهاه فى غايه السرعه حتى لحق به فأخبره إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ (٦) ظاهر الآيه

ص: ٢٧٤

١- سوره ٢٨ - آيه ١٩

٢- سوره ٢٨ - آيه ١٩

٣- سوره ٢٨ - آيه ١٩

٤- سوره ٢٨ - آيه ٢٠

٥- سوره ٤٠ - آيه ٢٨

٦- سوره ٢٨ - آيه ٢٠

يؤخذ منه أنه جاء بنفسه. وقيل إنه بعث من عنده رجلا.

٢١- فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا... (١) أى من مصر خائفا على نفسه ينتظر لحوق طالب و يلتفت يمنه و يسره، و سار نحو مدين التى لم تكن فى سلطان فرعون، و كان يدعو ربّه للنجاه من الكفره و الظلمه.

سوره القصص (٢٨): الآيات ٢٢ الى ٢٥

وَ لَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ (٢٢) وَ لَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءَ وَ أَبُوْنَا شَيْخٌ كَبِيرٌ (٢٣) فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ (٢٤) فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَ قَصَّ عَلَيْهِ الْقِصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٢٥)

٢٢- وَ لَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدْيَنَ... (٢) أى نحو قريه شعيب(ع) و كان بينه و بين مدين ثلاثه أيام، و على قول أصح ثمانيه أيام، و لم يكن له علم بالطريق إلاّ توكله على ربّه و حسن ظنه به قال عسى ربّي أن يهديني سواء السبيل (٣) أى الطريق المؤدى إلى النجاه أو الذى فيه صلاحى. فألهمه الله أن يأخذ الطريق التى تؤدى إلى مدين. و هذا القول نظير قول جدّه إبراهيم

ص: ٢٧٥

١- سوره ٢٨ - آيه ٢١

٢- سوره ٢٨ - آيه ٢٢

٣- سوره ٢٨ - آيه ٢٢

عليه السلام حيث قال: إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيِّهْدِينِ (١) هكذا كان ديدنهم خلفا عن سلف صلوات الله عليهم أجمعين، فإنه تعالى أذبهم هكذا بقوله تعالى: جَاهِدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا (٢).

٢٣- وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ... (٣) أى وصل إليه و هو بئر لهم وَحَدَّ عَلَيْهِ أُمَّهُ مِنَ النَّاسِ (٤) أى على شفيره، جماعه من أهل القرية يسقون مواشيهم وَ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ (٥) فى مكان أسفل من مكانهم رأى امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ (٦) أى تمنعان أغنامهما عن الماء فسألهما ما حَطْبُكُما؟ (٧) أى: لم تمنعان الأغنام عن شرب الماء؟ قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصِيدَرَ الرَّعَاءُ (٨) أى ينصرف و يخلص جميع الرّعاء من السقى. و هو جمع راع. و كان غرضهما أننا نحن لا نسقى أغنامنا حتى يتخلى الرجال عن الماء و يذهبوا من حوله فنسقى أغنامنا من فضاله ما يبقى فى المغيض أو نستسقى بأنفسنا لأغنامنا وَ أَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ (٩) كثير السن لا يستطيع أن يسقى فيرسلنا اضطرارا فرحمهما و رق قلبه لهما.

٢٤- فَسَقَى لَهُمَا... (١٠) أى فروى غنمهما و أصدرهما رحمه بهما ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ (١١) أى رجع إلى الشجره التى كانت قريبه من البئر فجلس فى ظلّها فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ (١٢) كان عليه السلام شديد الجوع حيث إنه من يوم خرج من مصر إلى أن وصل مدين كان يأكل بقله الأرض.

و لقد كانت خضره البقل ترى من شفيف صفاق بطنه لهزاله على ما فى نهج البلاغه . و

قال مولانا أمير المؤمنين فيها: و الله ما سأل الله عزّ و جلّ إلا خبزاً يأكله. فالمراد بالخير فى الكريمة هو ما يسدّ جوعه و التعبير بلفظ الماضى لأن عاده الله تعالى جرت على إنزال رزق كلّ ذى حياه، فكأنه عليه السلام طلب منه تعالى إيصاله إليه، و أما إنزاله فكان مسلماً عنده عليه السلام. ثم إن بنتى شعيب رجعتا الى أبيهما فى ذلك اليوم فى وقت أقرب من الأيام الآخر فسألتهما الوجه فى ذلك، فأخبرتا القضيّه إلى آخرها. فقال لإحداهما: اذهبي إليه فادعيه لنجزيه أجر ما سقى لنا.

ص: ٢٧٦

١- سورة ٣٧ - آيه ٩٩

٢- سورة ٢٩ - آيه ٦٩

٣- سورة ٢٨ - آيه ٢٣

٤- سورة ٢٨ - آيه ٢٣

٥- سورة ٢٨ - آيه ٢٣

٦- سورة ٢٨ - آيه ٢٣

٧- سورة ٢٨ - آيه ٢٣

٨- سورة ٢٨ - آيه ٢٣

٩- سورة ٢٨ - آيه ٢٣

١٠- سورة ٢٨ - آيه ٢٤

١١- سورة ٢٨ - آيه ٢٤

٢٥- فَجَاءَتْهُ إِخِدَاهُمَا... (١) و هي أكبرهما سنا المسماة بالصَّيْفُورَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ (٢) مستحييه و كانت تستر وجهها بكمها، أو المراد أنها تمشي عادله عن الطريق، و ما اقتربت منه من الحياء فنادت و قالت إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَيَقِيَّتْ لَنَا (٣) أي جزاء سقيك لنا. فقام موسى (ع) و مشى معها. و كانت تمشي قدامه، و كانت الريح تضرب ببعض ثيابها فتكشف عن بعض مواضع بدنهما، فقال: يا أمه الله كوني ورائي و دليني على الطريق إذا أنا أخطأته بكلام أو حصاه فإننا قوم لا ينظرون إلى أدبار النساء فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ (٤) أي ما جرى عليه من يوم ولادته إلى يوم فراره و تشرفه بخدمه شعيب (ع) خوفا من فرعون، علم شعيب أنه من أهل بيت النبوه فقال له: لا- تَخَفْ نَجْوَتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٥) أي من فرعون و قومه حيث أنه لا سلطان له على أرضنا و لسنا في مملكته، فأمر بإحضار الطعام، فامتنع موسى عن الأكل، فقال شعيب و لم لا تأكل؟ أ و لست بجائع؟ قال نعم جائع، و لكن أخاف أن يكون عوضا عما فعلت من المعروف. قال شعيب عليه السلام: لا و الله يا شاب بل هذه عادتي و عادة آبائي أن نقرى الضيف و نطعم الطعام. فشرع موسى حينئذ بتناول الطعام.

سوره القصص (٢٨): الآيات ٢٦ الى ٢٨

قَالَتْ إِخِدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ (٢٦) قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَنْكِحَكَ إِخْدَى ابْنَتِي هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِي حَجَّجَ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَ مَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ (٢٧) قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَ بَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجْلِينَ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ (٢٨)

ص: ٢٧٧

١- سوره ٢٨ - آيه ٢٥

٢- سوره ٢٨ - آيه ٢٥

٣- سوره ٢٨ - آيه ٢٥

٤- سوره ٢٨ - آيه ٢٥

٥- سوره ٢٨ - آيه ٢٥

٢٦- قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ... (١) أَي اتَّخَذَهُ أَجِيرًا لِرَعَى أَعْنَامِنَا إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ (٢) أَي أَحْسَنَ مَنْ تَتَّخَذُهُ أَجِيرًا هُوَ الرَّجُلُ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ. وَهَذَا الْكَلَامُ تَعْرِيفٌ بِأَنَّ مُوسَى ذُو قُوَّةٍ وَ أَمَانَةٍ فَهُوَ أَحَقُّ بِالِاسْتِئْجَارِ. وَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ شُعَيْبًا سَأَلَ الْبَنَاتِ: مَنْ أَيْنَ أَحْرَزَتْ أَمَانَتَهُ وَقُوَّتَهُ؟ فَأَجَابَتْهُ بِأَنَّ حَجْرًا كَانَ عَلَى رَأْسِ الْبَيْتِ الَّتِي يَسْتَقِي الْمَاءَ مِنْهَا وَ كَانَ يَرْفَعُهُ عَشْرَةَ أَنْفَارٍ وَ هُوَ بِمَفْرَدَةٍ رَفَعَهُ. وَ كَذَلِكَ كَانَ لِلْبَيْتِ دَلْوٌ يَحْمِلُهُ عَشْرَةَ رِجَالٍ أَقْوِيَاءَ وَ هُوَ وَحْدَهُ جَرَّهَ مِنَ الْبَيْتِ وَ حَمَلَهُ إِلَى الْحَوْضِ وَ أَفْرَغَهُ فِيهِ. وَ أَمَّا أَمَانَتُهُ فَذَكَرَتْ لَهُ قَضِيَةَ الْمُرَافَقَةِ حِينَ مَجِيئِهَا إِلَى الْبَيْتِ، وَ أَمْرَهُ إِيَّاهَا بِأَنَّ تَمْشِيَ مِنْ وَرَائِهِ بَعْدَ أَنْ كَانَتْ أَمَامَهُ إِخ... فَلَمَّا سَمِعَ الْمَقَالَةَ زَادَ رَغْبَةً فِيهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، بِحَيْثُ أَرَادَ أَنْ يَرْوِجَهُ إِحْدَى ابْنَتَيْهِ.

٢٧- قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكَحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيْ... (٣) أَي وَاحِدَةً مِنْ هَاتَيْنِ وَ كَانَتْ هِيَ الْكُبْرَى (صَفُورَاءَ) عَلَى أَنْ تُأْجِرَنِي (٤) أَنْ تَكُونَ أَجِيرًا لِي ثَمَانِي حَجَجٍ (٥) ثَمَانِي سَنِينَ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ (٦) أَي أَنْتَ مَخِيرٌ فِي الْإِتْمَامِ، فَاتِمَامُهُ مِنْ عِنْدِكَ تَفْضِيلٌ، وَ لَا- إِلْزَامٌ مِنْ عِنْدِي عَلَيْكَ وَ مَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ (٧) أَي أَجُورٌ وَ أَظْلَمُ بِالْإِزْمَاقِ بِالْعَشْرَةِ أَوْ بِالْمُنَاقَشَةِ فِي اسْتِيفَاءِ الْأَعْمَالِ وَ قَالَ فِي الْمَجْمَعِ وَ مَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ فِي هَذِهِ الثَّمَانِي، أَي بِالْمُنَاقَشَاتِ الْوَارِدَةِ عَنْ أَرْبَابِ الْأَعْنَامِ عَلَى الرَّعَاءِ فِي كَيْفِيَةِ الرَّعَى وَ كَمِّيَّتِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ (٨) لِلتَّبَرُّكِ مِنَ الصَّالِحِينَ (٩) أَي فِي حَسَنِ الصَّحْبَةِ وَ الْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ.

٢٨- قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَ بَيْنَكَ... (١٠) أَي الَّذِي شَارَطْتَنِي عَلَيْهِ قَدْ تَمَّ بَيْنِي وَ بَيْنَكَ لَا نَخْرُجُ عَنْهُ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ (١١) يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ بَيَانًا لِمَا سَبَقَ مِنْ قَوْلِهِ

ص: ٢٧٨

- ١- سورة ٢٨ - آية ٢٦
- ٢- سورة ٢٨ - آية ٢٦
- ٣- سورة ٢٨ - آية ٢٧
- ٤- سورة ٢٨ - آية ٢٧
- ٥- سورة ٢٨ - آية ٢٧
- ٦- سورة ٢٨ - آية ٢٧
- ٧- سورة ٢٨ - آية ٢٧
- ٨- سورة ٢٨ - آية ٢٧
- ٩- سورة ٢٨ - آية ٢٧
- ١٠- سورة ٢٨ - آية ٢٨
- ١١- سورة ٢٨ - آية ٢٨

ذلك بيني إلهي فلا عُذْوَانِ عَلَيَّ (١) بطلب الزيادة، أو فلا أكون متعدياً بترك الزيادة عليه. وهذا القول تقرير لأمر الخيار الذي قرره له عليه السلام بين الزيادة على المدّة و عدمها و كَيْلٌ (٢) أي هو تعالى على ما نقول و نشارط شهيد. و الوكيل هو الذي يفوض إليه الأمر، لكنّه لما استعمل في بعض المقامات موضع الشاهد كما فيما نحن فيه عدى ب(على) و القرينه على ذلك

حسن بن سعيد عن صفوان عن أبي عبد الله عليه السلام أنه سئل عمّن أتت من البنيتين، أيهما قالت: إن أبي يدعوك؟ قال عليه السلام: التي تزوج بها موسى. فسئل أيّ الأجلين قضى؟ قال: أوفاهما و أبعدهما عشر سنين.

فسئل: دخل بهما قبل أن يمضى الشرط أو بعد انقضائه؟ قال: قبل أن ينقضى. قيل فالرجل يتزوج المرأة و يشترط لأبيها إجاره شهرين أ يجوز ذلك؟ قال: إن موسى علم أنّه سيتم له شرطه. قيل كيف: قال علم أنه سيبقى حتى يفى و

في الإكمال عن النبي صلوات الله عليه و آله أنّ يوشع بن نون وصي موسى (ع) عاش بعد موسى ثلاثين سنة و خرجت عليه صفوراء بنت شعيب زوجة موسى و قالت أنا أحقّ منك بالأمر فقاتلها فقتل مقاتليها و أحسن أسرها و هذه القضية وقع شبهها في الإسلام بعد رحله النبي الأكرم صلوات الله عليه حيث إن عائشه بنت أبي بكر هيأت جيشا و سارت به إلى البصره و في طليعه الجيش كان طلحه و الزبير، ثم حاربت وصي رسول الله عليّ بن أبي طالب سلام الله عليهما بقيادتها بنفسها. فقاتلها و قتل عليه السلام مقاتليها و أحسن أسرها احتراماً لرسول الله صلى الله عليه و آله و تبجيلاً له.

و في الأثر عنه صلوات الله عليه و آله بهذا المضمون كلّ ما وقع في الأمم السالفه يقع في أمّتي حذو النعل بالنعل و القدّه بالقدّه.

ص: ٢٧٩

١- سورة ٢٨ - آيه ٢٨

٢- سورة ٢٨ - آيه ٢٨

فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ (٢٩) فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٣٠) وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَدٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ (٣١) أَسِطْرُكَ فِي يَدِكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَأَضْمَمْنَا إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ (٣٢)

٢٩- فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ... (١) أى أتم ما كان عليه من الإيجار، بل قضى أوفاهما وبقى عند شعيب عشرة أخرى فمضى من عمره أربعون سنة، توجه إلى مصر برخصه و إجازة من شعيب عليه السلام لزياره أمه و أخيه و أخته و سائر أقاربه. و

على روايه أبى بصير عن أبى عبد الله عليه السلام: توجه إلى بيت المقدس و سارَ بِأَهْلِهِ (٢) أى بامرأته. و فى الكشف أنه جمع عند شعيب عصي جميع الأنبياء، فأمر موسى أن يدخل البيت و أن يأخذ واحده من تلك العصي، فأخذ عصا آدم التى ورثها الأنبياء واحدا بعد واحد. فلما علم شعيب عليه السلام أنها عصا آدم قال له: بدلها و خذ غيرها. فدخل البيت و وضعها و أخذ غيرها. فلما خرج قال له هذه هى

ص: ٢٨٠

١- سوره ٢٨ - آيه ٢٩

٢- سوره ٢٨ - آيه ٢٩

الأولى، بدلها. فدخل و خرج سبع مرّات، فوقعت هي في يده من غير تعمد و التفات. فعلم شعيب أنه أهل لها، فأعطاه إياها و لما علم شعيب أن موسى له شأن عظيم عنده تعالى، و عرف حسن رعايته في أغنامه و بركته و يمينه في بيته و أغنامه، أحب أن يحسن إليه فقال يا موسى كل ما يتولد أبلق من أغنامي في هذه السنه فهو لك. فأوحى إليه تعالى في رؤياه يا موسى اضرب بعصاك الماء الذي تشرب منه الأغنام. ففعل ذلك، فلم تلد الأغنام إلا أبلق، فأعطاه الكل. و الحاصل أن موسى لما توجه إلى مصر مع امرأته و مواشيه في ليله مظلمه بارده، انحرف عن الطريق و ضلّ، و ابتليت امرأته بوضع الحمل و تفرقت الماشيه للأرياح الشديده و البروده الكثيره فصار عليه السلام متحيراً في أمره إذ رأى نارا قال لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا (١) أي توقفوا هنا فإني أبصرت نارا سَيِّئَاتِكُمْ مِنْهَا بِخَبْرٍ (٢) أي بخبر عن الطريق و كان قد ضلّ عنه أَوْ حَيْذُوهُ (٣) أي قطعه أو شعله من النار لَعَلَّكُمْ تَصِيِّطُونَ (٤) تستدفنون بها.

٣٠- فَلَمَّا آتَاهَا نُودِيَ... (٥) أي أتى النار و وصل إليها سمع موسى مناديا يناديه مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ (٦) أي من الجانب الأيمن لموسى أو للوادي في البُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ (٧) متعلق بنودي أي النداء، كان فيها، و هي البقعه التي قال فيها فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ (٨) إلخ... و إنما كانت مباركه لأنها كانت مهبط الوحي و الرّساله و نزول الكتب السماويه غالبا على حسب الظروف و اقتضاء المصلحه مِنَ الشَّجَرَةِ (٩) بدل اشتمال من الشاطئ، فانها كانت ثابتة على الشاطئ و إن الشجره كانت محلا للكلام و مصدر له أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (١٠) هذه الجملة تفسير للنداء و بيان له. و ذكر رَبُّ الْعَالَمِينَ (١١) فيه إشعار لرفع توهم الحلول في محل حيث ان مالك الممكنات و خالقها منزّه و مبرأ من ان يحلّ في شيء، لأنه ليس عرضا و لا جسما، و الحال في الشيء لا بدّ من أن يكون واحدا منهما كما برهن في محلّه.

ص: ٢٨١

١- سوره ٢٨ - آيه ٢٩

٢- سوره ٢٧ - آيه ٧

٣- سوره ٢٨ - آيه ٢٩

٤- سوره ٢٨ - آيه ٢٩

٥- سوره ٢٨ - آيه ٣٠

٦- سوره ٢٨ - آيه ٣٠

٧- سوره ٢٨ - آيه ٣٠

٨- سوره ٢٠ - آيه ١٢

٩- سوره ٢٨ - آيه ٣٠

١٠- سوره ٢٨ - آيه ٣٠

١١- سوره ٢٨ - آيه ٣٠

٣١- وَ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ... (١) عطف على قوله: إني أنا الله. وإنما أعاد سبحانه هذه القصه و كررها في السور إثباتا للحجّه على أهل الكتاب و استعماله لهم إلى الحق، و من أحب شيئا أحب ذكره. و القوم كانوا يدعون محبه موسى، و كل من ادعى اتباع سيده مال إلى من ذكره بخبر و تبجيل و فضل. على أن كل موضع من موارد التكرار لا يخلو من مزيد فائده فلما رآها تهترت كأنها جان (٢) أي بعد إلقائها رآها تتحرك بكمال السرعه كأنها حيّه صغيره مع عظم جثتها و غايه كبرها، و لذا خاف و ولى مُدبراً (٣) أي منهزما على عقبه من الفزع و الدهشه و لم يُعقب (٤) لم يرجع إلى موضعه، فنودي يا موسى أقبل و لا تخف (٥) أي ارجع و لا تفرع إنك من الأمنين (٦) من كل مخوف حيث إنك من المرسلين، و لا يخاف لدي المرسلون. فلما سمع هذا الخطاب اطمأن و رجع إلى قرب الشجره و موضعه الأول. و في المقام حذف و إضمار، أي رجع و أمر بأخذ الحيّه، فأخذها بكمال الجراه و اطمئنان القلب فصارت عصا كما كانت. و في انقلاب العصا حيّه دلالة على أن البنيه ليست بشرط في الإيجاد و أيضا دلالة على أن الأجسام و الجواهر متماثله و من جنس واحد، لأنه لا حال أبعد من حال الحيوان عن الخشب. فلما صحّ قلب الخشب إلى الحيوان و صحّ العكس، صحّ قلب الأسود إلى الأبيض و بالعكس. و كذلك كل ما يجري مجرى ذلك من الجمادات و الحيوانات.

٣٢- أَسْلُوكَ يَدِكَ فِي جَيْبِكَ... (٧) أي أدخلها فيه. و الجيب من القميص طوقه، و يطلق على ما يليه عند عامه الناس من المشقوق تخرُج بيضاء (٨) ذات شعاع بحيث أضاءت لها الدنيا من غير سوء (٩) أي مثل البرص أو أي عيب آخر و اضمم إليك جناحك من الرهب (١٠) الجناح ما بين أسفل العضد إلى الإبط، و إذا أدخل الإنسان يده اليمنى تحت عضده اليسرى يصدق أنه ضم جناحه إليه. و المعنى و اللهم العالم: أدخل يدك اليمنى تحت عضدك اليسرى، و كذلك العكس، حتى يذهب بروحك و خوفك. أو

ص: ٢٨٢

- ١- سوره ٢٨ - آيه ٣١
- ٢- سوره ٢٨ - آيه ٣١
- ٣- سوره ٢٨ - آيه ٣١
- ٤- سوره ٢٨ - آيه ٣١
- ٥- سوره ٢٨ - آيه ٣١
- ٦- سوره ٢٨ - آيه ٣١
- ٧- سوره ٢٨ - آيه ٣٢
- ٨- سوره ٢٨ - آيه ٣٢
- ٩- سوره ٢٨ - آيه ٣٢
- ١٠- سوره ٢٨ - آيه ٣٢

المراد منها وضع اليد على الصدر على ما يقال، فإن الخوف يسكن بوضع اليد على الصدر و عهده على مدّعيه و الحاصل يمكن أن يقال أنه يؤخذ من الكريمة أمران: الأول ترتب ذهاب الخوف الذى يعرض للإنسان من مخوف، والثانى كون المراد بها هو الكنايه عن عزم موسى على الأمور به و حثه على الجد و الجهد فيه حتى لا يكون خوفه مانعا عن قضائه على فرعون و عن إلقائه العصا و إخراج يده من جيبه نظير اشدد حيازيمك للموت فإن الموت لا يقيك حيث إن هذا كنايه عن التأهب و التهيؤ للموت لا الشد و الربط بمعناه الحقيقى.

و هل المراد من الخوف هو الذى حصل من الحيه المنقلبه عن العصا؟ فالمناسب ذكر هذه الجملة قبل قوله تعالى أَسِئَلُكَ يَدَكَ (١) إلخ أو المراد هو الخوف إذا حصل عن إضائه اليد و شعاعها العظيم الذى تضرّأت الدنيا عنه؟ فالمراد بالخوف هو هذا كما هو الظاهر من سياق الآيه فَمَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ (٢) أى العصا و اليد حجّتان يترتان أنت مرسل بهما من عند ربك إلى فِرْعَوْنَ (٣) الآيه، فإن فرعون و قومه قوم فاسقون.

سوره القصص (٢٨): الآيات ٣٣ الى ٣٥

قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ (٣٣) وَ أَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْتُهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ (٣٤) قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَ نَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمْ وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ (٣٥)

ص: ٢٨٣

١- سوره ٢٨ - آيه ٣٢

٢- سوره ٢٨ - آيه ٣٢

٣- سوره ٢٨ - آيه ٣٢

٣٣ و ٣٤- قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا... (١) أى أنه عليه السلام ذكر المحذور الذى يخالغ نفسه من أنه يخاف أن يقتلوه لأنه قتل منهم قبليًا قبل أن يغادر مصر. فهذا شأنى و أخى هارون (٢) الموجود فى مصر هو أفصح منى لساناً (٣).

إنما قال ذلك لعقده و لكنه كانت فى لسانه، و قد مرّ فيما مضى ذكر سببها و قد أزالها الله، أكثرها أو جميعها، بدعائه عليه السلام: رَبِّ اشْرَحْ لى صَدْرى (٤) .. الخ، فَأَرْسَلْهُ مَعى رِذْءاً (٥) أى عوناً لى يُصَيِّدْ قُنَى (٦) يكون مصدقاً لى فى بيان الحجج و تزييف الشبه حيث إنه منطق إنى أحاف أن يكذبون (٧) حيث لا يفهمون مقصدى من عقده لسانى و لقصور بيانى.

٣٥- قَالَ سَيَسْئِدُ عَضْدَكَ بِأَخِيكَ... (٨) أى نجعله عوناً لك و نقويك به كما تريد فى مقام الدعوه و إظهار نبوتك و نجعل لكما سلطاناً (٩) أى غلبه و سلطه بالحجج فلا يصطلون إلكما (١٠) أى فرعون و قومه لا يصلون إلى الإضرار بكما بآياتنا (١١) بسبب ما نعطيكما من الآيات أو متعلق بمقدر:

(اذهبا إلى فرعون بآياتنا) الباهره أنتمما و من أتبعكما الغالبون (١٢) لفرعون و ملئه، القاهرون لهم. و هذه الغلبه غير السلطان فإن السلطان بالحجج و الغلبه بالقهر حين هلك فرعون و متابعوه، و ملك موسى و قومه ديارهم.

سوره القصص (٢٨): الآيات ٣٦ الى ٣٧

فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرى وَ مَا سَمِعْنَا بهذا فى آبائِنَا الْأَوَّلِينَ (٣٦) وَ قَالَ مُوسى رَبِّى أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالهُدى مِنْ عِنْدِهِ وَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عاقِبَةُ الدارِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظالمونَ (٣٧)

ص: ٢٨٤

- ١- سوره ٢٨ - آيه ٣٣
- ٢- سوره ٢٨ - آيه ٣٤
- ٣- سوره ٢٨ - آيه ٣٤
- ٤- سوره ٢٠ - آيه ٢٥
- ٥- سوره ٢٨ - آيه ٣٤
- ٦- سوره ٢٨ - آيه ٣٤
- ٧- سوره ٢٨ - آيه ٣٤
- ٨- سوره ٢٨ - آيه ٣٥
- ٩- سوره ٢٨ - آيه ٣٥
- ١٠- سوره ٢٨ - آيه ٣٥
- ١١- سوره ٢٨ - آيه ٣٥
- ١٢- سوره ٢٨ - آيه ٣٥

٣٦- فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرٍ... (١) أى مخلق كسائر أنواع السحر. والحاصل أن موسى لما أمر أن يمضى إلى فرعون وقومه وأخبره أن الغلبه لكما ولا يقدر فرعون أن يضركما، رجع إلى امرأته على ما

روى عن أبي جعفر فى حديث طويل، فقالت: من أين جئت؟ قال: من عند ربّ تلك النار. فغدا إلى فرعون... إلى أن يقول عليه السلام: فأتى على باب فرعون فقبل لفرعون إن على الباب فتى يزعم أنه رسول ربّ العالمين، فقال فرعون لصاحب الأسود: حلّ سلاسلها.

و كان إذا غضب على رجل خلّاهما، فخلّاهما. ففرع موسى الباب الأول و كانت تسعه أبواب فانفتحت له الأبواب التسعه، فلما دخل جعلت الأسود يتصبصن تحت رجله كأنهنّ جراء. فقال فرعون لجلسائه أرأيتم مثل هذا السّحر قط؟ فلما أقبل إليه موسى انتبه فرعون و عرف أنه موسى فقال:

أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا (٢) الآية إلى أن قال عزّ و علا: وَ نَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ (٣) قد حال شعاعها بينه و بين وجه فرعون، ثم ألقى العصا فإذا هى حيّه تُعْبَانُ (٤) فالتقمت الإيوان بلحيها فدعاه: أن يا موسى أمهلنى إلى غد ثم كان من أمره ما كان ما سمعنا بهذا فى آبائنا الْأَوَّلِينَ (٥) أى ما سمعنا أن هذا الذى يقوله موسى يصدّق به آباؤنا و يقبلونه ممّن ادّعاه من المرسلين السابقين الذين كانوا مدّعين للرّساله، و ليس المعنى أنه ما سمعنا الدّعوه إلى توحيد الله فى آبائنا. و كيف يتصوّر أن لم يسمعوا بهذا الأمر و قد اشتهر فى تواريخهم؟ و لو لم يكن فى كتبهم السماويه إلا قصص نوح و هود و صالح و إبراهيم و غيرهم من الأنبياء الذين يدعون البشر طرّا إلى التّوحيد و طاعه بارئهم و خالقهم لكفى.. و الحاصل ما سمعنا عن آبائنا تصديقهم التوحيد لا أنهم ما كانوا يتكلّمون فيه أبدا.

٣٧- وَ قَالَ مُوسَى رَبِّى أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَى... (٦) أى جاء بإراءه طريق الحق للناس من عنده (٧) بأمره فيصلّدقوا بالمعجز و بالآيات الدالّه على حقّانيه الدّعوى و من تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ (٨) عاقبه الدّنيا المحموده و هى

ص: ٢٨٥

١- سورة ٢٨ - آيه ٣٦

٢- سورة ٢٦ - آيه ١٨

٣- سورة ٢٦ - آيه ٣٣

٤- سورة ٢٦ - آيه ٣٢

٥- سورة ٢٨ - آيه ٣٦

٦- سورة ٢٨ - آيه ٣٧

٧- سورة ٢٨ - آيه ٣٧

٨- سورة ٢٨ - آيه ٣٧

الجَنَّة، فإنها المعتدّ بها، و أما الدنيا فإنها خلقت مجازاً و ممراً للآخرة و مقدّمه لها. فإذا كانت الدنيا ختم للإنسان فيها بالسَّعادة و الصّلاح فهي العاقبه المحموده و النتيجة هي الجنه.

سوره القصص (٢٨): الآيات ٣٨ الى ٤٢

وَ قَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانَ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَ إِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٣٨) وَ اسْتَكْبَرَ هُوَ وَ جُنُودُهُ فِي الْمَأْرَضِ بَغَيْرِ الْحَقِّ وَ ظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ (٣٩) فَأَخَذْنَاهُ وَ جُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ (٤٠) وَ جَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ (٤١) وَ اتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعَنَهُ وَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ (٤٢)

٣٨- وَ قَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ... (١) خاطب فرعون قومه بذلك، و يستفاد منه-على ما حكاه الله تعالى-أنه كان شاكاً في وجوده سبحانه لأنه نفى علمه بآله غيره حين قال: ما عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي (٢) فلا ربّ سواى. و لذا أمر ببناء الصّيرح و قال لوزيره: فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانَ عَلَى الطِّينِ (٣) أى اصنع الآجرّ و أوقد النار على الطين ليشتدّ و يستحکم و ابن لى صرحاً عالياً لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى (٤) فى السماء. و يصدّق ما ذهبنا إليه قوله لقومه: وَ إِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٥) أى أعتقد كذبه. و فى قوله

ص: ٢٨٦

١- سوره ٢٨ - آيه ٣٨

٢- سوره ٢٨ - آيه ٣٨

٣- سوره ٢٨ - آيه ٣٨

٤- سوره ٢٨ - آيه ٣٨

٥- سوره ٢٨ - آيه ٣٨

تلبس على العوام على كل حال و إن كان الجهل و الضلال قد استحوذا عليه و حرماه من أن يستضيء بنور الإيمان و يجتهد في طلب المعرفة.

٣٩- وَ اسْتَكْبَرَ هُوَ وَ جُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ... (١) أى استعلى هو و جنده و أعوانه و أخذتهم الكبرياء و العجرفة وَ ظَنُّوا (٢) زعموا أَنَّهُمْ إِنَّا لَا يُزْجَعُونَ (٣) لا يردون يوم القيامة و حسبوا الحياه لعبا و لهوا.

٤٠- فَأَخَذْنَاهُ وَ جُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ... (٤) أى لَمَّا شئنا صدر أمرنا فاستدرجناهم فى أثر بنى إسرائيل و أغرقناهم فى البحر فَأَنْظُرُوا (٥) تفكروا و تدبر كيف كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ (٦) كيف كان مصيرهم و نهايه أمرهم، و هكذا فإن مصير كل ظالم إلى الدمار.

٤١- وَ جَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً... (٧) أى اعتبرناهم و أقمناهم قدوه ضلال يدعون (٨) أتباعهم إلى النار (٩) يوردونهم إليها بكفرهم و يوم القيامة لا يُنصرون (١٠) بدفع العذاب عنهم و.

فى الكافى عن الصادق عليه السلام أن الأئمة فى كتاب الله إمامان: قال الله تعالى: وَ جَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا (١١) أى: لا بأمر الناس يقدمون أمر الله قبل أمرهم و حكم الله قبل حكمهم. و قال: و جعلناهم أئمة يدعون إلى النار، يقدمون أمرهم قبل أمر الله و حكمهم قبل حكم الله و يأخذون بأهوائهم خلاف ما فى كتاب الله عز و جل.

٤٢- وَ أَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ... (١٢) أى ألقنا بهم و أوصلنا لهم فى الدنيا لَعْنَةً (١٣) إبعادا عن الرحمه. و بعبارة أخرى أردفناهم لعنه بعد لعنه و بعدا عن الرحمه و الخيرات، أو ألقناهم اللعنه فى هذه الدنيا بأن أمرنا المؤمنين بلعنهم فلعنوهم دائما وَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ (١٤) ممن قبحت وجوههم و من المشوهين أو ممن قبحت أعمالهم و ساء حالهم.

ص: ٢٨٧

١- سورة ٢٨ - آيه ٣٩

٢- سورة ٢٨ - آيه ٣٩

٣- سورة ٢٨ - آيه ٣٩

٤- سورة ٢٨ - آيه ٤٠

٥- سورة ٢٨ - آيه ٤٠

٦- سورة ٢٨ - آيه ٤٠

٧- سورة ٢٨ - آيه ٤١

٨- سورة ٢٨ - آيه ٤١

٩- سورة ٢٨ - آيه ٤١

١٠- سورة ٢٨ - آيه ٤١

١١- سورة ٢١ - آيه ٧٣

۱۲- سوره ۲۸ - آیه ۴۲

۱۳- سوره ۲۸ - آیه ۴۲

۱۴- سوره ۲۸ - آیه ۴۲

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٤٣) وَ مَا كُنْتَ بِجَانِبِ
الْغُرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَ مَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ (٤٤) وَ لَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَ مَا كُنْتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ
مَدْيَنَ تَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَ لَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ (٤٥) وَ مَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَ لَكِن رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ
نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٤٦)

٤٣- وَ لَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى... (١) بَصَائِرَ لِلنَّاسِ... (٢) أى أنوارا لقلوبهم يستبصرون بها، أو حججا و براهين لهم و عبرا يعرفون بها
أمور دينهم وَ رَحْمَةً (٣) لنيل الرحمة و لئلا يبقوا من المغضوب عليهم. و

عن النبى صلى الله عليه و آله أنه قال: ما أهلك الله قرنا من القرون بعذاب من السماء و لا من الأرض منذ أنزل الله التوراه، غير
أهل القرية التى مسخها الله قرده. و هى أيله الواقعة على شاطئ البحر الأحمر من غربى أرض فلسطين بحسب الظاهر.

٤٤- وَ مَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغُرْبِيِّ... (٤) أى طرف جبل الطور الغربى حيث كلم الله فيه موسى و الذى كان فيه ميقاته عليه السلام إِذْ
قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ (٥) حين أوحينا إلى موسى أمرنا. يعنى أنك لم تحضر المكان الذى أوحينا إليه فيه و كلمناه فى أمر
الرساله و الشريعة وَ مَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ (٦) لتكليمه فتخبر قومك به عن مشاهده و عيان، لكننا أخبرناكم به ليكون معجزه لك
حيث لم تكن حاضرا هناك و لا مشاهدا، و مع هذا تخبرهم بما كان من أمره.

ص: ٢٨٨

١- سوره ٢٨ - آيه ٤٣

٢- سوره ٢٨ - آيه ٤٣

٣- سوره ٢٨ - آيه ٤٣

٤- سوره ٢٨ - آيه ٤٤

٥- سوره ٢٨ - آيه ٤٤

٦- سوره ٢٨ - آيه ٤٤

٤٤- وَ مَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْعُرْبِيِّ... (١) أى طرف جبل الطور الغربى حيث كلم الله فيه موسى و الذى كان فيه ميقاته عليه السلام إذ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ (٢) حين أوحينا إلى موسى أمرنا. يعنى أنك لم تحضر المكان الذى أوحينا إليه فيه و كلمناه فى أمر الرساله و الشريعة وَ مَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ (٣) لتكليمه فتخبر قومك به عن مشاهدته و عيان، لكننا أخبرناكم به ليكون معجزه لك حيث لم تكن حاضرا هناك و لا مشاهدا، و مع هذا تخبرهم بما كان من أمره.

٤٥ و ٤٦- وَ لَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا... (٤) أى أوجدنا أمما. و هذا الاستدراك ما وجهه و كيف يرتبط بما قبله؟ و لعل الوجه أنه سبحانه يريد أن يخبر نبيه بأننا أوجدنا بعد عهد موسى الى عهدك قرونا مختلفه أمه بعد أخرى فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ (٥) فمضت عليهم مده طويله بحيث نسيت الأخبار و تغيرت الشرائع و اندرست العلوم و المعارف و طالت فتره النبوه، و الناس صاروا فى حيره الضلاله و تيه الجهاله فحملهم ذلك على الاعتزاز و التوحش و اعتداء كل واحد على الآخر، فأرسلناك للناس رسولا كما أرسلنا موسى رسولا بعد ما أهلكنا القرون الأولى (السابقه عليه) و بعد فتره الرسل، و ذلك قوله تعالى: وَ مَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْعُرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ (٦) وَ مَا كُنْتَ ثَاوِيًا (٧) مقيما فى أهلٍ مَدِينٍ (٨) إلى أن يقول وَ مَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ (٩) ثم يقول سبحانه وَ لَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ (١٠) بالقرآن و الإسلام. و الحاصل أنه تعالى كأنه يقول له: إننا نقص عليك أخبار الأنبياء و أممهم و لكننا كنا مرسلين إياك إلى أهل مكه و غيرهم و أنزلنا إليك هذه الأخبار لتتلو عليهم فيصدقوا نبوتك لأن الأخبار دلائل صدق على الرساله و هذه هو وجه الاستدراك و ربطه بما قبله و الله اعلم، و أما تكرار قضيه موسى بقوله: وَ مَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ (١١) بعد قوله: وَ مَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْعُرْبِيِّ (١٢) بعد فصل بآيه جاءت بينهما فيمكن أن يكون المراد بهذا النداء حين ما غرق فرعون و أنه تعالى أعطى التوراه لموسى. و المراد بالأول حينما شرفه بشرف النبوه و أرسله إلى فرعون بالآيات و المعجزات. و لم نفعل ذلك من إخبارك بهذه القصص لسبب وَ لَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ (١٣) فعلمناك

ص: ٢٨٩

١- سوره ٢٨ - آيه ٤٤

٢- سوره ٢٨ - آيه ٤٤

٣- سوره ٢٨ - آيه ٤٤

٤- سوره ٢٨ - آيه ٤٥

٥- سوره ٢٨ - آيه ٤٥

٦- سوره ٢٨ - آيه ٤٤

٧- سوره ٢٨ - آيه ٤٥

٨- سوره ٢٨ - آيه ٤٥

٩- سوره ٢٨ - آيه ٤٦

١٠- سوره ٢٨ - آيه ٤٦

١١- سوره ٢٨ - آيه ٤٦

١٢- سوره ٢٨ - آيه ٤٤

ذلك رحمه منّا، وهو أن بعثك ربك نبيا و أنزل عليك القرآن و أعطاك دين الإسلام و أخبرك هذه الأخبار لتكون معجزه لصدق نبوتك، و لئنذَر قوماً ما أتاهم من نذيرٍ من قبلك (١) لتخوف الذين لم يأتهم رسول في زمن الفتره لعلهم يتذكرون (٢) يتعظون و يعتبرون لولا أن تصيبهم مصيبه (٣) .

سوره القصص (٢٨): الآيات ٤٧ الى ٥٠

و لولا أن تصيبهم مصيبه بما قدمت أيديهم فيقولوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك و نكون من المؤمنين (٤٧) فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا أوتى مثل ما أوتى موسى أ و لم يكفروا بما أوتى موسى من قبل قالوا سحران تظاهرا و قالوا إنا بكل كافرون (٤٨) قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدي منهما أتبعه إن كنتم صادقين (٤٩) فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم و من أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله إن الله لا يهدي القوم الظالمين (٥٠)

٤٧- و لولا أن تصيبهم مصيبه... (٤) تنزل بهم بما قدمت أيديهم فيقولوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك (٥) جوابه محذوف، أى لولا قولهم إذا أصابتهم مصيبه و عقوبه، بسبب كفرهم و معاصيهم، ربنا هلا أرسلت إلينا رسولا يبلغنا آياتك فنتبعها و نكون من المصدقين م؟ أرسلناك، و إنما أرسلناك قطعاً لعذرهم و إلزاماً للحجه عليهم، و مراده

ص: ٢٩٠

١- سوره ٢٨ - آيه ٤٦

٢- سوره ٢٨ - آيه ٤٦

٣- سوره ٢٨ - آيه ٤٧

٤- سوره ٢٨ - آيه ٤٧

٥- سوره ٢٨ - آيه ٤٧

بلولا الذى قلنا جوابه محذوف هو لولا الأول الذى هو امتناعى و لولا الثانى تحضيضى، و الفاء فى [فَيَقُولُوا \(١\)](#) عاطفه على قوله [أَنْ تُصَيِّبَهُمْ \(٢\)](#) و فى قوله [فَتَتَّبِعَ \(٣\)](#) جواب لولا التحضيضيه حيث إنه فى حكم الأمر، لأن لَوْ لا أَرْسَلْتِ إِيْنَا رَسُولًا فَتَتَّبِعَ [\(٤\)](#) فى معنى قولك: أرسل إينا رسولا فتتبعه.

٤٨- فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا [\(٥\)](#)... أى جاء محمد إلى مشركى العرب من أهل مكّه و أرسلناه إليهم قَالُوا لَوْ لا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى [\(٦\)](#) فحينما جاء محمد بمثل ما جاء به موسى من المعجزات من اليد و العصا و الكتاب جملة قالوا هذا تعنتا و اقتراحا، فالله تعالى احتج على المشركين بقوله: أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ [\(٧\)](#) فبين كفر القبطيين و مشركى عصر موسى بقولهم: سِحْرَانِ [\(٨\)](#) أى اليد و العصا أو المراد به: ساحران فمن باب المبالغه عبروا به و مرادهم موسى و هارون تَظَاهَرَا [\(٩\)](#) تعاونا و تعاضدا لإظهار تلك الخوارق و قَالُوا إِنَّا بِكُلِّ [\(١٠\)](#) منهما كَافِرُونَ [\(١١\)](#) فالتبطين أنكروا ما أتى به موسى قبل عصر محمد. فاذا أتى محمد بمثل ما أتى به موسى أنتم تكفرون به و تنكرونه و تحملونه على السحر كما فعل قوم موسى لأنكم أبناء جنس واحد و الكفر مله واحده، قال بعض المفسرين: و كانت هذه مقاله حين بعث كفار مكه رهطا منهم إلى رؤساء اليهود بالمدينه فى عيد لهم فسألوهم عن محمد فأخبروهم بنعته و صفته فى كتابهم التوراه فرجع الرهط إلى قريش فأخبروهم بما أخبرهم به اليهود عن التوراه، فقالوا عند ذلك سِحْرَانِ تَظَاهَرَا [\(١٢\)](#) أى التوراه و القرآن سحران توافقا و قَالُوا [\(١٣\)](#) أعنى مشركى قريش إِنَّا بِكُلِّ كَافِرُونَ [\(١٤\)](#) أى الكتب السماويه و الأنبياء.

٤٩ و ٥٠- قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا [\(١٥\)](#)... أى من التوراه و القرآن أَتَّبِعُهُ [\(١٦\)](#) و أؤمن به معكم و أعترف بما فيه و أتدين به إن صدقتكم بقولكم، فَإِنْ لَمْ يَشْتَجِبُوا لَكَ [\(١٧\)](#) لم يأتوا بكتاب أهدى، أو حجّه أقوى

ص: ٢٩١

١- سورة ٢٨ - آيه ٤٧

٢- سورة ٢٨ - آيه ٤٧

٣- سورة ٢٨ - آيه ٤٧

٤- سورة ٢٨ - آيه ٤٧

٥- سورة ٢٨ - آيه ٤٨

٦- سورة ٢٨ - آيه ٤٨

٧- سورة ٢٨ - آيه ٤٨

٨- سورة ٢٨ - آيه ٤٨

٩- سورة ٢٨ - آيه ٤٨

١٠- سورة ٢٨ - آيه ٤٨

١١- سورة ٢٨ - آيه ٤٨

١٢- سورة ٢٨ - آيه ٤٨

١٣- سورة ٢٨ - آيه ٤٨

۱۴- سوره ۲۸ - آیه ۴۸

۱۵- سوره ۲۸ - آیه ۴۹

۱۶- سوره ۲۸ - آیه ۴۹

۱۷- سوره ۲۸ - آیه ۵۰

فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُتَّبَعُونَ أَهْوَاءَهُمْ (١) أى يتكلمون من عند أنفسهم إذ لو اتبعوا حجه و برهاناً لآتوا بهما و مَنْ أَضَلَّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ (٢) أى لا أضل منه.

و الاستفهام بمعنى النفى كما فسرناه و.

فى الكافى عن الكاظم عليه السلام فى هذه الآيه قال: يعنى من اتخذ دينه رأيه بغير هدى من الله (٣) أى بغير إمام من أئمه الهدى إن الله لا يهدى القوم الظالمين (٤) الذين ظلموا أنفسهم بانهماكهم فى اتباع الهوى و توغلهم فى الجحود و العتو فاتبعوا تسويلاتهم النفسائيه و متمياتهم الشيطانيه مع وضوح دلائل الحق و الحجج الداله على حقيقه الإسلام.

سوره القصص (٢٨): الآيات ٥١ الى ٥٥

وَ لَقَدْ وَصَلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٥١) الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ (٥٢) وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ (٥٣) أُولَٰئِكَ يُؤْتُونَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَ يَدْرُونَ بِالْحَسَنَةِ الَّتِي نَهَىٰ سَيِّئَهُ وَ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٥٤) وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَ قَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَ لَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ (٥٥)

٥١- وَ لَقَدْ وَصَلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ... (٥) أى أنزلنا القرآن متصلاً بعضه فى أثر بعض ليتصل الذكر. أو المعنى متواصلاً حججاً و عبراً و مواعيد، فأتبعنا الدعوه بالحجج و المواعظ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٦) فيتدبرون و يعتبرون فيطيعون.

ص: ٢٩٢

١- سوره ٢٨ - آيه ٥٠

٢- سوره ٢٨ - آيه ٥٠

٣- سوره ٢٨ - آيه ٥٠

٤- سوره ٢٨ - آيه ٥٠

٥- سوره ٢٨ - آيه ٥١

٦- سوره ٢٨ - آيه ٥١

٥٢- الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ... (١) أى أنزلنا عليهم التوراه قبل هذا القرآن هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ (٢) يعنى آمنوا بالقرآن بمجرد أنهم سمعوا باسم القرآن و أوصافه لَمَا رَأُوا ذَكَرَهُ فِي التَّوْرَةِ، وغيره من الكتب المتقدمه و قيل إِنَّهَا نَزَلَتْ فِي أَرْبَعِينَ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْإِنجِيلِ قَدِمُوا مِنَ الْحَبْشَةِ وَ الشَّامِ وَ آمَنُوا بِالنَّبِيِّ (ص).

٥٣- وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ... (٣) أى آمننا بالقرآن لأنه كلام إلهي صادق عدل نازل عن عند ربنا و إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا (٤) لا- شك فيه إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ (٥) أسلمنا به قبل نزوله و تلاوته علينا لأننا وجدنا في كتبنا السماويه ذكره و أوصافه فكنا عارفين بحقيقته فأمننا به و صدقناه حين ذاك.

٥٤- أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ... (٦) أى لَمَّا آمَنُوا بِالْقُرْآنِ مره قبل نزوله و أخرى بعد نزوله و تلاوته عليهم فلذا يعطون أجرين بما صَبَرُوا (٧) بصبرهم على الإيمان به قبل النزول و بعده، هذا هو الذى يظهر من مجموع الآيتين، و لكن يحتمل أن يكون المراد بصبرهم على الإيمان بالكتابين اى القرآن و كتابهم الذى نزل على نبيهم، أو على الإيمان و أذى الكفره، و الله سبحانه أعلم بما أراد، وَ يَذَرُونِ بِالْحَسَنِ السَّيِّئَةَ (٨) أى يدفعون بطاعتهم سيئاتهم و معاصيهم التى عملوها قبل الحسنات فتمحى بها منه سبحانه على العباد

كقوله (ص) أتبع الحسنه السيئه تمحها. أو المراد بالحسنه كلمه التوحيد و السيئه هو الشرك فهى ما حيه لها،

كقوله: الإسلام يجب ما قبله. و قيل بالحلم و الجهل كقوله تعالى: وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا (٩). و يحتمل أن تكون الحسنه كناية عن كل عمل حسن و السيئه تعنى كل عمل سئى قبيح، و ما ذكره أرباب التفاسير بيان للمصاديق.

٥٥- وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ... (١٠) اللغو هو الكلام السفیه، و الباطل الذى لا فائده فيه دنيويه و أخرويه يصدر لا عن رويہ معقوله

ص: ٢٩٣

١- سورة ٢٨ - آيه ٥٢

٢- سورة ٢٨ - آيه ٥٢

٣- سورة ٢٨ - آيه ٥٣

٤- سورة ٢٨ - آيه ٥٣

٥- سورة ٢٨ - آيه ٥٣

٦- سورة ٢٨ - آيه ٥٤

٧- سورة ٢٨ - آيه ٥٤

٨- سورة ٢٨ - آيه ٥٤

٩- سورة ٢٥ - آيه ٦٣

١٠- سورة ٢٨ - آيه ٥٥

مشروعه. وقيل هو الكذب، واللغو هو الغناء. وهذا التفسير مروى عن القمى وقال: وهم (الأئمة عليهم السلام) يعرضون عن ذلك كله وقالوا (١) أى قال المتصفون بالأوصاف المذكوره آنفا لا عين لنا أعمالنا (٢) من الحلم و الصبح و لكم أعمالكم (٣) من السفاهه و اللغو، و كلنا نجرى على أعمالنا إن خيرا فخير و إن شرا فشر سلام عليكم (٤) قيل إن هذا سلام متاركة و توديع يعنون به أن هذا فراق بيننا و بينكم.

وقيل سلام تحية حلما و كرامه يعنون به أننا لا نقابل لغوكم بمثله بل بالإحسان لا نبتغي الجاهلين (٥) أى لا نريد مخالطتهم و لا نطلب مجالستهم و معاشرتهم و نبتعد عن مصاحبتهم.

سوره القصص (٢٨): الآيات ٥٦ الى ٥٧

إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَ لَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (٥٦) وَ قَالُوا إِنْ تَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نَتَّخِطُ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَمْ نُمْكِنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَ لَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٥٧)

٥٦- إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ... (٤) المراد بالهدايه هنا هو اللطف و التوفيق الذى من عنده تعالى، و لا يقدر عليه غيره حيث إنه إما بفعله سبحانه كتسببه الأسباب من حيث لا يحتسبه الإنسان، و إما بإعلامه و إلهامه، و لا يعلم أحد ما فيه صلاح العبد إلا هو تعالى. و أميا الهدايه فبمعنى الدعوه إلى الله و إلى الإيمان به، فهو فعل الرسول كما فى الآيه الشريفه إِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٧) فإن المراد بها الدعوه لا بمعنى اللطف، و إلا لتناقض ذلك مع قوله وَ لَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ (٨) بلطفه

ص: ٢٩٤

- ١- سوره ٢٨ - آيه ٥٥
- ٢- سوره ٢٨ - آيه ٥٥
- ٣- سوره ٢٨ - آيه ٥٥
- ٤- سوره ٢٨ - آيه ٥٥
- ٥- سوره ٢٨ - آيه ٥٥
- ٦- سوره ٢٨ - آيه ٥٦
- ٧- سوره ٤٢ - آيه ٥٢
- ٨- سوره ٢٨ - آيه ٥٦

و توفيقه فيريهم السبيل إليه و يعين من يستعدّ و يطلب و يجتهد فيه كما أشار إليه وَ الَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا (١) و الحاصل أن شمول هذه العناية و اللطف يحتاج إلى الأهليه وَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (٢) أى بمن له الأهليه و السعاده الذاتيه للتشرف بشرف الإسلام و للتنور بنور الإيمان، و أما الذين، لفرط العناد و الجحد و الاستكبار، ليسوا بحاضرين لأن يتفكروا فى الآيات الهاديه و البراهين الساطعه الواضحه فهم فى باديه الخذلان و تيه الضلاله باقون و لا يهتدون.

٥٧- وَ قَالُوا إِن تَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفُ... (٣) أى نستلب من أرضنا (٤) يعنى مكه و الحرم. و قيل إنما قاله الحرث بن نوفل بن عبد مناف فإنه قال للنبي صلى الله عليه و آله: إنا لنعلم أن قولك حق، و لكن يمنعنا أن نتبع الهدى معك و نؤمن بك مخافه أن يتخطفنا العرب من أرضنا و لا- طاقه لنا بالعرب، فقال سبحانه ردًا عليهم هذا القول: أ وَ لَمْ تُمْكِنُوا لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا (٥) أى أ و لم نجعل مكانهم حرما ذا أمن بحرمة البيت يُجْبَى إِلَيْهِ (٦) أى يحمل إليه و يجمع فيه ثمرات كل شئ (٧) من كل أوب و مكان رزقاً من لدنا (٨) فإذا كان هذا حالهم و هم عبده الأصنام و المشركون فكيف نتخلى عنهم و نعرضهم للخوف و للخطف إذا كانوا موحدين؟ وَ لَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٩) فهم جهله جرده لا يتفطنون و لا يتفكرون.

سوره القصص (٢٨): الآيات ٥٨ الى ٦١

وَ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَوْمِهِ بِطُغْيَانِهِمْ فَتَلَمَّكَ مَسَاكِينُهُمْ لَمْ تَسِيكُنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَ كُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ (٥٨) وَ مَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمَّهَاتِ رُسُلًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَ مَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَ أَهْلُهَا ظَالِمُونَ (٥٩) وَ مَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ زِينَتِهَا وَ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَ أَبْقَى أَ فَلَا تَعْقِلُونَ (٦٠) أَ فَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعِيدًا وَ حَسِبْنَا فَهُوَ لَاقِيَهُ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ (٦١)

ص: ٢٩٥

١- سوره ٢٩ - آيه ٦٩

٢- سوره ٢٨ - آيه ٥٦

٣- سوره ٢٨ - آيه ٥٧

٤- سوره ٢٨ - آيه ٥٧

٥- سوره ٢٨ - آيه ٥٧

٦- سوره ٢٨ - آيه ٥٧

٧- سوره ٢٨ - آيه ٥٧

٨- سوره ٢٨ - آيه ٥٧

٩- سوره ٢٨ - آيه ٥٧

٥٨- وَ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرَتْ... (١) أى أهلكتنا أهلها و كانت حالهم كحالكم فى الأمن و خفض العيش حتى أنكروا و طغوا بما هم فيه من النعمه و لم يشكروا عليها فدمرهم الله و خرب ديارهم فَتَلَّكَ مَسَاكِنُهُمْ (٢) إشاره إلى ما يمرّون به فى أسفارهم للتجاره، فإن قريه عاد فى الأحقاف موضع بين اليمن و الشام، و ديار ثمود بوادى القرى، و ديار قوم لوط بسدوم، و هذه المواضع يعرفونها و هم بعض الأوقات يستريحون فيها فى أسفارهم يوما أو نصف يوم أو أقل منه و يرون أنها لم تُشِكَرْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا (٣) أى خاليه من أهلها ليس فيها إلا المارّون فى أسفارهم وَ كُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ (٤) حيث إن لله ميراث السموات و الأرض.

٥٩- وَ مَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمَّهَاتِ رُسُلًا... (٥) أى حتى يرسل فى عاصمتها و هى القرية التى تكون أعظم قراها، رسولا.

و تخصيص بعث الرسول بأمم القرى لأنها مرجع لتوابعها، و أهلها أفطن و أفهم من سائر القرى و لذا أمر بأن يعيش الإنسان فى السواد الأعظم

كقوله (ص): عليكم بالسواد الأعظم أى العاصمه أو ما فى حكم العاصمه يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا (٦) لإلزام الحجج و قطع العذر وَ أَهْلُهَا ظَالِمُونَ (٧) لأنفسهم بتكذيب الرسل و التوغّل فى الجحود و الكفر.

ص: ٢٩٦

- ١- سورة ٢٨ - آيه ٥٨
- ٢- سورة ٢٨ - آيه ٥٨
- ٣- سورة ٢٨ - آيه ٥٨
- ٤- سورة ٢٨ - آيه ٥٨
- ٥- سورة ٢٨ - آيه ٥٩
- ٦- سورة ٢٨ - آيه ٥٩
- ٧- سورة ٢٨ - آيه ٥٩

٦٠- وَ مَا أَوْتَيْتُمْ... (١) أَمْ فَلَا تَعْقِلُونَ؟... (٢) فَإِنْ هَذَا الِاسْتِبْدَالُ لِلَّذِي هُوَ أَدْنَى لِفَنَائِهِ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ لِبَقَائِهِ، وَإِثَارُهُ عَلَيْهِ أَمْرٌ غَيْرُ عَقْلَانِيٍّ.

٦١- أَمْ مَنْ وَعَدْنَاهُ وَعَدًّا حَسِينًا... (٣) أَى الْجَنَّةِ فِي الْآخِرَةِ وَعَدًّا لَا يَتَصَوَّرُ فِيهِ خِلَافٌ، إِشَارَةٌ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: وَ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَ أَبْقَى (٤) فَهُوَ لِاقِيهِ (٥) أَى أَنَّ الْمَوْعُودَ لَهُ يَجِدُ الْمَوْعُودَ بِمَا شَبَّهَهُ وَ لَا خِلَافَ، فَإِنَّ الْخِلْفَ فِي وَعْدِهِ تَعَالَى مُحَالٌ، وَ لَذَا عَطَفَهُ عَلَى سَابِقِهِ بِالْفَاءِ الْمَعْطِيَةِ لِلْسَبَبِيِّهِ حَيْثُ إِنَّ لِقَاءَ الْمَوْعُودِ مَسْبَبٌ عَنِ الْوَعْدِ الَّذِي هُوَ فِي مَعْنَى الضَّمَانِ فِيمَا نَحْنُ فِيهِ ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ (٦) إِمَّا لِلْحِسَابِ أَوْ لِلْعَذَابِ وَ يَسْتَفَادُ مِنْ هَذَا الذَّلِيلِ أَنَّ الْمَوْعُودَ لَهُ بِالْوَعْدِ الْحَسَنِ جَزَاءٌ لِأَعْمَالِهِ الْحَسَنَةِ لَا يَحْضُرُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِلْحِسَابِ تَشْرِيفًا وَ تَكْرِيمًا لِشَأْنِهِ، فَإِنَّ الْإِحْضَارَ فِي ذَلِكَ الْمَوْقِفِ وَ لَوْ لَمْ يَحَاسِبْ، لَا يَنَاسِبُ لِمَقَامِهِ السَّامِي الَّذِي أَعْطَاهُ اللَّهُ تَعَالَى إِيَّاهُ وَ أَنْعَمَ عَلَيْهِ بِهِ. نَعَمْ، إِنَّ الْحُضُورَ لِلشَّفَاعَةِ لَا بِأَسْ بِهِ فَإِنَّهُ مِنْ أَعْظَمِ مَنْ أَلَّهِ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلٌ لِلشَّفَاعَةِ.

سورة القصص (٢٨): الآيات ٦٢ الى ٦٩

وَ يَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ (٦٢) قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا كَمَا أَغْوَيْنَا تَبِّرْنَا أَنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ (٦٣) وَقِيلَ أَدْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمُ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَ رَأُوا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ (٦٤) وَ يَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ (٦٥) فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ (٦٦) فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَ آمَنَ وَ عَمِلَ صَالِحًا فَعَسَى أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ (٦٧) وَ رَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَ يَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (٦٨) وَ رَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَ مَا يُعْلِنُونَ (٦٩)

ص: ٢٩٧

١- سورة ٢٨ - آية ٦٠

٢- سورة ٢٨ - آية ٦٠

٣- سورة ٢٨ - آية ٦١

٤- سورة ٢٨ - آية ٦٠

٥- سورة ٢٨ - آية ٦١

٦- سورة ٢٨ - آية ٦١

٦٢- وَ يَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ... (١) توبيخا لهم و تهكّما، فيخاطبهم الله سبحانه بقوله اين شركائى الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ (٢) تزعمونهم شركائى و تظنون أنهم آلهه يعبدون؟ ٦٣- قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ... (٣) أى و جب عليهم الوعيد بالعذاب. و المراد بالقول هو قوله لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَ النَّاسِ أَجْمَعِينَ (٤) و غيره من آيات الوعيد رَبَّنَا هَؤُلَاءِ (٥) مبتدأ الَّذِينَ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا (٦) خبره، و حذف الضمير الراجع إلى الموصول لظهوره أَغْوَيْنَاهُمْ (٧) بالوسوسة و التسويل فغوا باختيارهم غيّا كَمَا غَوَيْنَا (٨) مثل غَيَّنَا باختيارنا و لم تجبرهم على الغي تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ (٩) منهم و مَدَّ اِخْتَارُوهُ لَأَنفُسِهِمْ مِنَ الْكُفْرِ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ (١٠) إنّما كانوا عابدين لأهوائهم الدنيئة و آرائهم الفاسده.

٦٤- وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ... (١١) اى و يقال للأتباع ادعوا الذين عبدتموهم من دون الله و زعمتم أنهم شركاؤه سبحانه لينصروكم و يدفعا عنكم عذاب الله. و إنّما أضاف الشركاء إليهم لأنه لا يجوز أن يكون لله شريك، و لكنهم كانوا يزعمون أنهم شركاء لله بعبادتهم إياهم فَدَعَوْهُمْ (١٢) من فرط الحيره و الضلاله فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ (١٣) لعجزهم عن الإجابة و النصر لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ (١٤) اى لَمَا رَأَوْا الْعَذَابَ تَمَنَوْا لَوْ كَانُوا مَهْتَدِينَ، أو لو قدروا أن يهتدوا لوجه من الحيل فيدفعوا به العذاب عنهم

ص: ٢٩٨

- ١- سورة ٢٨ - آيه ٦٢
- ٢- سورة ٢٨ - آيه ٦٢
- ٣- سورة ٢٨ - آيه ٦٣
- ٤- سورة ٣٢ - آيه ١٣
- ٥- سورة ٢٨ - آيه ٦٣
- ٦- سورة ٢٨ - آيه ٦٣
- ٧- سورة ٢٨ - آيه ٦٣
- ٨- سورة ٢٨ - آيه ٦٣
- ٩- سورة ٢٨ - آيه ٦٣
- ١٠- سورة ٢٨ - آيه ٦٣
- ١١- سورة ٢٨ - آيه ٦٤
- ١٢- سورة ٢٨ - آيه ٦٤
- ١٣- سورة ٢٨ - آيه ٦٤
- ١٤- سورة ٢٨ - آيه ٦٤

لعملوا و لكن للأسف لا يهتدون و هيهات أن يهتدوا لما يدفع عنهم العذاب.

و يحتمل أن يكون لو (١) للتمنى، أى تمّنوا أنهم كانوا مهتدين إلى مدافع و ناصر ينصرهم من عذاب الله.

٦٥- وَ يَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ... (٢) أى أذكر يا محمد يوم يناديهم الله فيقول ما ذا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ (٣) بأى شىء أَجَبْتُمُ الْأَنْبِيَاءَ حين دعوكم؟ و هذا سؤال تبكيت و تقرّيع لتكذيبهم الرّسل و تقرير بالذنب حيث إن الحجة كانت تامه عليهم فلم يقبلوها فالعذاب عذاب استحقاق و عدل.

٦٦- فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ... (٤) أى خفيت و لم يدروا بما ذا يجيئون، فعجزوا عن الجواب، كالأعمى الذى يعجز عن الاهتداء لطريقه المقصود و يتخير فى الطريق و لم يدر لأى صوب يمشى و يذهب. و لذا عبّر بقوله فَعَمِيَتْ (٥) و هذا التعبير فى هذا المقام أحسن تعبير يكشف عن غايه الفصاحه بلفظ موجز متضمّن المعانى الدقيقه المعبره عن نهايه التخير و العجز الذى لا يتصوّر فوقه. و منها الكشف أنهم كانوا فى الدنيا عمى القلوب فحشروا على ما كانوا، فإن يوم القيامة يوم كشف الأستار و منها مسأله التشبيه، بيان ذلك أن الأعمى لو خلى و طبعه يكون ضيق الخلق فاقد النشاط و السّرور حيث يدرى أن الناس متمتعون بأبصارهم ينظرون إلى الدنيا و ما فيها من أمتعتها و حلّتها و ألوانها و مختلف الخلائق فيها، و هو محروم من جميع ذلك كلّه، و كذلك الظلمه فلا فرح لهم و لا سرور بل لا يزالون مهمومين مغمومين، و كذلك الكفره فإنهم يرون أهل الجنّه متنعمين فرحين نشطين مسرورين بما آتاهم الله جزاء بما عملوا فى الدنيا و يرون أنفسهم معدّبين و فى النار خالدين، فكيف يكونون مسرورين؟ فهُمْ لا- يَتَسَاءَلُونَ (٦) أى لا يسأل بعضهم بعضا عن الجواب لدهشتهم التى عرضت لهم فى ذلك الموقف الخطير الذى يذهل الرّسل عن الجواب على مثل هذا السؤال، فما ظنك بالضلال و الكفّار.

٦٧- فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَ آمَنَ... (٧) أى تاب من الشرك و آمن بالله و رسوله

ص: ٢٩٩

- ١- سورة ٢٨ - آيه ٦٤
- ٢- سورة ٢٨ - آيه ٦٥
- ٣- سورة ٢٨ - آيه ٦٥
- ٤- سورة ٢٨ - آيه ٦٦
- ٥- سورة ٢٨ - آيه ٦٦
- ٦- سورة ٢٨ - آيه ٦٦
- ٧- سورة ٢٨ - آيه ٦٧

وَ عَمِلَ صَالِحاً (١) مشفعا للإيمان بالعمل، إذ يعرف أن العمل هو الجزء الأخير من العله للفلاح، و العلم بلا عمل لا يفيد كالشجر بلا ثمر. و

فى القمى عن الصادق عليه السلام قال: إن العبد إذا دخل قبره و فرغ منه يسأل عن النبى صلى الله عليه و آله و يقال له: ماذا تقول فى هذا الرجل الذى كان بين أظهركم فإن كان مؤمنا قال: أشهد أنه رسول الله جاء بالحق، فيقال له: ارقد رقدته لا حلم فيها، و يتنحى عنه الشيطان و يفسح له فى قبره سبعة أذرع و يرى مكانه من الجنة. و إذا كان كافرا قال: ما أدري، فيضرب ضربه يسمعها كل من خلق الله إلا- الإنسان و يسلم عليه الشيطان و له عينان من نحاس أو نار تلمعان كالبرق الخاطف فيقول له أنا أخوك، و تسلط عليه الحيات و العقارب، و يظلم عليه قبره، ثم يضغطة ضغطة تختلف لها أضلاعه عليه. فيستفاد من هذه الروايه أن النداء كان فى عالم الدنيا لا فى القيامة، ثم إن المشركين قالوا لو لا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم (٢) فطعنوا و قالوا لم اختار الله محمدا للنبوة و ما اختار رجلا عظيم المنزله و الشأن من الطائف مثل عروه بن مسعود الثقفى أو من أهل مكه كالوليد بن المغيرة فينبغى أن يكون صاحب هذا المنصب العالى مثل هؤلاء الرجال لا مثل محمد يتييم أبى طالب فأجابهم الله سبحانه بقوله:

٦٨ و ٦٩- وَ رَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَ يَخْتَارُ... (٣) أى يوجد كل شىء يريد به بلا مانع و لا رادع و يختار (٤) لرسالته من هو الأصلح لعباده، فإنه الخالق لهم و هو يعرف الأصلح من غيره فليس لعباده كالوليد بن المغيرة و غيره من صناديد العرب أن يطعنوا فى من اختاره الله و اصطفاه للرساله و يؤثروا على من اختاره الله غيره ممن لا يصلح لها و لا له الأهليه لذلك ما كان لهم الخيرة (٥) أى ليس لهم الاختيار. و الخيره اسم من الاختيار أقيم مقام المصدر سيجان الله (٦) أى هو تعالى منزّه عن أن ينازعه أحد أو يزاومه فيما اختاره و تعالى عما يشركون (٧) ارتفع عن إشراكهم الحامل لهم أن يختاروا على مختاره تعالى غير المختار. و فيه رد على من جعل الإمامه

ص: ٣٠٠

١- سورة ٢٨ - آيه ٦٧

٢- سورة ٤٣ - آيه ٣١

٣- سورة ٢٨ - آيه ٦٨

٤- سورة ٢٨ - آيه ٦٨

٥- سورة ٢٨ - آيه ٦٨

٦- سورة ٢٨ - آيه ٦٨

٧- سورة ٢٨ - آيه ٦٨

فى الإكمال عن القائم عليه السلام أنه سئل عن العلمة التى تمنع القوم من اختيار الإمام لأنفسهم. قال: مصلح أم مفسد؟ قيل: مصلح. قال: هل يجوز أن تقع خيرتهم على المفسد بعد أن لا يعلم أحد ما يخطر ببال غيره من صلاح أو فساد. قيل: بلى. قال: فهى العلة، و أوردها لك ببرهان يتقاد له عقلك. ثم قال عليه السلام:

أخبرنى عن الرّسل الذين اصطفاهم الله عزّ و جلّ و أنزل عليهم الكتاب و أتيدهم بالوحى و العصمه إذ هم أعلام الأمم، مثل موسى و عيسى هل يجوز مع وفور عقلمهما، إذ هما بالاختيار، أن يقع خيرتهما على المنافق و هما يظنّان أنه مؤمن قيل: لا. قال: هذا موسى كليم الله، مع وفور عقله و كمال علمه و نزول الوحى إليه، اختار من أعيان قومه و وجوه عسكره لميقات ربّه و لاستماع كلام ربّه عزّ و جلّ سبعين رجلاً ممّن لا يشك فى إيمانهم و إخلاصهم، فوقع خيرته على المنافقين، قال عزّ و جلّ: وَ اخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا (١)، إلى قوله: لَنْ نُؤْمِنَ لِمَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ (٢). فلمّا وجدنا اختيار من قد اصطفاه الله عزّ و جلّ للنّبوه واقعا على الأفسد دون الأصلح، و هو يظن أنه الأصلح دون الأفسد، علمنا أن الاختيار لا يجوز أن يقع إلا ممّن يعلم ما تخفى الصدور و تكنّ الضمائر و تنصرف إليه السرائر، و أنه لا خطر لاختيار المهاجرين و الأنصار بعد وقوع خيره الأنبياء على ذوى الفساد لمّا أرادوا الصلاح.

و هكذا فإنه سبحانه يقيم الحجة على صحه اختياره بقوله: وَ رَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ (٣)، إذ يعلم ما تضمّر الصدور و ما تخفى النفوس من عداوه الرسول و المؤمنين، و يعلم ما يُعْلَنُونَ (٤). ما يبرزونه و يظهرونه من الطعن فى نبوه النبى و تكذيب القرآن. فمن يكون هذا شأنه ينبغى أن يختار الأصلح، لا من يعلم ظواهر الأشخاص دون بواطنهم. فكيف بمن لا يميّز الأصلح، لا من يعلم ظواهر الأشخاص دون بواطنهم. فكيف بمن لا يميّز الأصلح من الأفسد؟ و الحاصل أنه سبحانه و تعالى هو المتفرد فى الخلق و فى اختيار الأصلح لقياده عباده و هداهم، و هو منزّه عن الشريك و المنازع فى

ص: ٣٠١

١- سورة ٧ - آيه ١٥٥

٢- سورة ٢ - آيه ٥٥

٣- سورة ٢٨ - آيه ٦٨

٤- سورة ٢٨ - آيه ٦٩

ذاته و صفاته و أقواله و أفعاله من خلق و اختيار و غيره، لا إله إلا هو العزيز الحكيم.

سوره القصص (٢٨): الآيات ٧٠ الى ٧٣

وَ هُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ وَ لَهُ الْحُكْمُ وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٧٠) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضْيَاءٍ أَوْ فَلا تَسْمَعُونَ (٧١) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسِيءُونَ فِيهِ أَوْ فَلا تُبْصِرُونَ (٧٢) وَ مِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ لِتَسِيءُوا فِيهِ وَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٧٣)

٧٠- وَ هُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ... (١) أى أنه لا معبود بحق سواه، و لَهُ الْحَمْدُ (٢) أى المدح و الثناء فى الأولى (٣) أى فى الدنيا وَ لَهُ الْحُكْمُ (٤) الأمر و النهى أو القضاء النافذ أو الحكم بالمغفره و الفضل لأهل الطاعه و بالشقاء و الويل لأهل المعاصى ثم بعد ذلك يذكر التوحيد و قدرته بقوله سبحانه:

٧١- قُلْ أَرَأَيْتُمْ... (٥) عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا... (٦) أى دائما بأن يبقى الشمس وراء الأرض ساكنه مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ (٧) هل يقدر غير الله إله آخر أن يأتى بضياء لكم بإثبات الشمس قبالة الكره الأرضية لتضىء الدنيا فتشتغلون بطلب المعاش أَوْ فَلا تَسْمَعُونَ (٨) مواعظ الله و بيان آياته بأذن

ص: ٣٠٢

- ١- سوره ٢٨ - آيه ٧٠
- ٢- سوره ٢٨ - آيه ٧٠
- ٣- سوره ٢٨ - آيه ٧٠
- ٤- سوره ٢٨ - آيه ٧٠
- ٥- سوره ٢٨ - آيه ٧١
- ٦- سوره ٢٨ - آيه ٧١
- ٧- سوره ٢٨ - آيه ٧١
- ٨- سوره ٢٨ - آيه ٧١

التدبّر و التفكير لتعتبروا؟ والاستفهام تقريرى، أى من هذه العلامه التى هى من علائم القدره لا بد و أن تعترفوا بكمال قدرته و وحدانيته و تنزيهه عمّا تقولون به من الشرك.

٧٢- قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ... (١) النَّهَارَ... (٢) أى أخبرونى عمّا إذا جعل النهار سِرْمَدًا (٣) دائماً بحبسها فوق الأرض و منعها عن الحركة من السرد و هو المتابعه إلى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ (٤) أى قادر يقدر على حركة الشمس سوى الله القادر المتعالى الذى بيده أزمه أمور العوالم و ما فيها و عليها بحذافيره و أسره؟ من يَأْتِيَكُمْ بَلِيلٍ تَشْكُرُونَ فِيهِ (٥) تستريحون فيه من نصب العمل و مشاقفه أَمْ فَلَا تُبْصِرُونَ (٦) إمّا من البصيره يعنى: أَمْ فَلَا تَبْصُرُونَ؟ و إمّا من البصر بمعنى المشاهده أى: أَمْ فَلَا تَشَاهِدُونَ و لا تنظرون تلك الآيات الظاهره بعين التعقل و التدبّر فتعلمون أنها من صنع مدبّر حكيم عليم؟ ٧٣- وَ مِنْ رَحْمَتِهِ... (٧) أى رحمته الواسعه جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ (٨) خلقهما لكم لِتَشْكُرُوا فِيهِ (٩) لاستراحتكم فى الليل و التذاذكم فيه من أتعاب الأشغال فى النهار وَ لِيَتَّبِعُوا مِنْ فَضْلِهِ (١٠) فى النهار من الرزق الذى قرّره الله تعالى لكم بفضلله و كرمه لا باستحقاقكم وَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١١) الله تعالى أى لإرادته شكركم على نعمتيه: الليل و النهار لكثرتهم فوائدهما المذكوره و غيرها مما لم نذكره.

سوره القصص (٢٨): الآيات ٧٤ الى ٧٥

وَ يَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ (٧٤) وَ نَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَ ضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٧٥)

ص: ٣٠٣

- ١- سوره ٢٨ - آيه ٧٢
- ٢- سوره ٢٨ - آيه ٧٢
- ٣- سوره ٢٨ - آيه ٧٢
- ٤- سوره ٢٨ - آيه ٧٢
- ٥- سوره ٢٨ - آيه ٧٢
- ٦- سوره ٢٨ - آيه ٧٢
- ٧- سوره ٢٨ - آيه ٧٣
- ٨- سوره ٢٨ - آيه ٧٣
- ٩- سوره ٢٨ - آيه ٧٣
- ١٠- سوره ٢٨ - آيه ٧٣
- ١١- سوره ٢٨ - آيه ٧٣

٧٤- وَ يَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ... (١) إنما كثر هذه الآيه بعينها أو بمضمونها تقريباً لهم بعد تفریع، أو أن النداء الأول فى الآيه الأولى السابقه لتقرير إقرارهم على أنفسهم بالعى و لتقرير فساد رأيهم، والثانى للتعجيز عن إقامة البرهان بحضره الأشهاد و أنه لم يكن لهم برهان.

٧٥- وَ نَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا... (٢) أى أخرجنا من بين أفراد كل أمة نبیهم الذى أرسل إليهم يشهد عليهم بما كان منهم و بما كانوا عليه فقلنا (٣) للأمم الذين لم يتبعوا نبیهم و كذبوا ما جاءهم به من عند الله تعالى هاتوا بُرْهَانَكُمْ (٤) حجتكم على صحه ما كنتم عليه فَعَلِمُوا (٥) بعد عجزهم عن الإتيان ببرهان على مدعاهم أَنَّ الْحَقَّ (٦) أى فى الإلهيته لله (٧) وحده وَ ضَلَّ عَنْهُمْ (٨) أى غاب و زهق ما كانوا يفترون (٩) من الباطل و اللغو.

سوره القصص (٢٨): الآيات ٧٦ الى ٨٢

إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَ آتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ (٧٦) وَ ابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَ لَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَ أَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَ لَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِى الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (٧٧) قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوْ لَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَ أَكْثَرَ جَمْعًا وَ لَا يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ (٧٨) فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِى زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَعَذُو حَظٌّ عَظِيمٌ (٧٩) وَ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلِكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَ عَمِلَ صَالِحًا وَ لَا يَلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ (٨٠) فَحَسِبْنَا بِهٖ وَ بَدَارِهِ الْمَارِضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِتْنَةٍ يَنْصِيرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَ مَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ (٨١) وَ أَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَآنَنَّ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَ يَقْدِرُ لَوْ لَا أَنَّ مِنَ اللَّهِ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيَكَآنَنَّهٗ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ (٨٢)

ص: ٣٠٤

١- سوره ٢٨ - آيه ٧٤

٢- سوره ٢٨ - آيه ٧٥

٣- سوره ٢٨ - آيه ٧٥

٤- سوره ٢٨ - آيه ٧٥

٥- سوره ٢٨ - آيه ٧٥

٦- سوره ٢٨ - آيه ٧٥

٧- سوره ٢٨ - آيه ٧٥

٨- سوره ٢٨ - آيه ٧٥

٩- سوره ٢٨ - آيه ٧٥

٧٦- إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى... (١) لا يخفى أن الله تعالى افتتح هذه السوره الشريفه ببيان قصه موسى و فرعون حيث قال نَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَى وَ فِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٢). فأراد أن يختتمها بقصه قارون و موسى و بيان حال قارون و كيفيه هلاكه حتى يكون عبره لأهل الدنيا و أهل الكبر و النخوه فقال سبحانه إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى (٣) فنص القرآن يدل على أن قارون كان من قوم موسى عليه السلام و ظاهره يدل على أنه كان ممن آمن به. و لا يعد حمل قوميته على القرابه، و لذا اختلفوا في كيفيه القرابه فقيل كان ابن خالته و هذا القول منقول عن ابن عباس و مروى عن أبى عبد الله عليه السلام، أو ابن عمه (ع) لأن قارون كان ابن

ص: ٣٠٥

١- سوره ٢٨ - آيه ٧٦

٢- سوره ٢٨ - آيه ٣

٣- سوره ٢٨ - آيه ٧٦

يصهر بن فاهث بن لاوى و موسى بن عمران بن فاهث بن لاوى من أولاد يعقوب فَبَغَى عَلَيْهِمْ (١) تكبر و طلب الفضل و التفوق عليهم بعد أن كان فى زمان فقره و احتياجه متواضعا و خليقا، و كان ممن آمن بموسى و اختاره موسى فى السبعين الذين اختارهم لميقاته فكان منهم و سمع كلامه تعالى و كان أقرأ بنى إسرائيل فى قراءة التوراه و أتقنهم. و قيل إن إيمانه كان ظاهريا و فى الباطن كان كافرا كالمسامرى، فأراد سبحانه أن يختبره حتى يظهر كفره و نفاقه على الناس جميعا فأعطاه مالا و جاها عريضا فتناول على بنى إسرائيل و تكبر بحيث خرج عن إطاعه موسى و أنكر ما جاء به و استطال عليهم بكثرة كنوزه كما قال جل اسمه وَ آتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ (٢) من الأموال المدخرة ما إن مفاتيحه (٣) أى ما يفتح به الغلق بناء على كونها جمع مفتاح بالكسر، و أما بناء على كونها مفتاح بالفتح فهو الخزانة. و الأول هو الأنسب الأظهر، و تذكير الضمير باعتبار بعض المستفاد من كلمه من (٤) و المراد مفاتيح الصناديق لَتَنُوءَ بِالْعُصْبَةِ (٥) تنقل عليهم و تعجز عن حملهم إياها و حفظهم لها. و العصبه: قيل هو العشره كما قال تعالى فى إخوه يوسف: و نحن عصبه، و كانوا عشره لأن يوسف و أخاه لم يكونا معهم، و قيل أربعون، و قيل ستون. ثم بين سبحانه أنه كان فى قوم موسى عليه السلام من وعظ قارون بأمور، أحدها قوله إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ (٦) أى لا تبطر بالنعمه و لا يلهك المال عن الآخرة لأن من يعلم أنه سيفارق الدنيا لا يفرح بها. و ثانيها قوله تعالى:

٧٧- وَ ابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ... (٧) أى من الأموال، فاطلب بها الآخرة بإنفاقها فى سبل الخير الموصلة إليها. و ثالثها: وَ لَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا (٨) و اعمل فى الدنيا للآخرة و لا تنس أن تعمل لآخرتك، لأن حقيقه نصيب الإنسان من الدنيا هو الذى يعمله لآخرته. أو المراد لا تنس من هذه الأموال التى أعطاك الله إياها فى الدنيا حظ نفسك، و خذ منها مقدارا تشتري به الجنة، و لا تتركها كلها للوراث حتى ثلثها الذى جعله الله لك فيجب أن تستفيد منه فى أمر آخرتك فإن نصيب المرء من الدنيا ليس غير

ص: ٣٠٦

١- سورة ٢٨ - آيه ٧٦

٢- سورة ٢٨ - آيه ٧٦

٣- سورة ٢٨ - آيه ٧٦

٤- سورة ٢٨ - آيه ٧٦

٥- سورة ٢٨ - آيه ٧٦

٦- سورة ٢٨ - آيه ٧٦

٧- سورة ٢٨ - آيه ٧٧

٨- سورة ٢٨ - آيه ٧٧

ما أنفقه في طاعه الله.

قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: فو الذي نفس محمد بيده ما بعد الموت من مستعتب، و لا بعد الدنّيا دار إلاّ الجنه أو النار، فليأخذ العبد من نفسه لنفسه، و من دنياه لآخرته، و من الشيبه قبل الكبر، و من الحياه قبل الموت. و الرابعه وَ أَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ (١) أى أنفق إلى عباد الله بإزاء إحسان خالقهم إليك، و يدخل فيه وجوه الخير و الإعانات.

و الخامسه وَ لا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ (٢) أى لا تطلبه. و المراد من الفساد الظلم و الاستطاله على الناس، و الجنايه، بل مطلق المعاصي و الخيانات فهى فساد فى الأرض، و العلم عند الله تعالى. و

فى مصباح الشريعه قال الصادق عليه السلام: فساد الظاهر من فساد الباطن، و من أصلح سريره أصلح الله علانيته، و من خان الله فى السر هتك الله سرّه فى العلانيه، و أعظم الفساد أن يرضى العبد بالغفله عن الله تعالى. . و كانت هذه الخصال الخمس من أوصاف قارون و أحواله و أصلها يرجع إلى حبّ الدنيا، و لذا قيل: إنه رأس كل خطيئه.

٧٨- قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي... (٣) اختلف فى معناه، فقيل:

أراد إنما أعطيت هذا المال بفضل و علم عندي ليسا موجودين عندكم، يعنى أنه قدّر هذا المال ثوابا من الله تعالى له لفضيلته على سائر بنى إسرائيل كما أخبر سبحانه عن عقيدته هذا الفاسق بقوله: وَ لِيُنْزِلَ رُدْدَتُ إِلَى رَبِّي لِأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا (٤) و قيل معناه: لرضاء الله عنى و معرفته باستحقاقى أعطانى هذا المال و الجاه. و قيل معناه إن المال حصل لى على علم عندي بوجوه جمع المال من المكاسب و التجارات و الزراعات و غيرها. و قيل علم عندي بصنعه الذهب و هو علم الكيمياء عن الكلبي. ثم إنه تعالى تويخا على اغتراره بقوته و كثره أمواله و تخويفا له يقول: أَوْ لَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَ أَكْثَرُ جَمْعًا (٥) كشداد و عاد و ثمود و أصحاب الرس و لا يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ (٦) قال القمى:

أى لا يسأل من كان قبلهم عن ذنوب هؤلاء المهلكين.

ص: ٣٠٧

١- سورة ٢٨ - آيه ٧٧

٢- سورة ٢٨ - آيه ٧٧

٣- سورة ٢٨ - آيه ٧٨

٤- سورة ١٨ - آيه ٣٦

٥- سورة ٢٨ - آيه ٧٨

٦- سورة ٢٨ - آيه ٧٨

٧٩- فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ... (١) قال القمى: فى الثياب المصبغات يجزها على الأرض، وقيل على بغله شهباء عليها الأرجوان و عليها سرج من ذهب و معه أربعة آلاف على زيّه، وقيل كيفيات آخر فى زينته و لا كثير فائده فى نقلها بل الأولى تركها لأنها متعارضه و لا طائل تحتها قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتى قارون (٢) تمنوا مثله لا عينه حدرا من الحسد.

٨٠- وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ... (٣) أى الخالص من أصحاب موسى كيشع و أصحابه ويلكم ثواب الله خير لمن آمن و عمل صالحاً (٤) و هذه كلمه زجر عما هو غير مرضى. و الشريفة تدلنا على وظيفتنا المهمه و هى النهى عن المنكر و الأمر بالمعروف و تدل على أنهما لا يختصان بشريعه دون شريعه بل كانا واجبين فى جميع الأديان و الشرائع حيث نرى أن أرباب العلم و أصحاب التوحيد من أتباع موسى لَمَّا رأوا الناس تمنوا مثل ما كان لقارون و علموا أن فيه هلاكهم كما كان هلاك قارون فيه، زجروهم عمياً تمنوا من الدنيا الفانيه المهلكه و نهوهم عن ذلك و دعوهم إلى ما فيه خيرهم و صلاحهم دنيا و آخره و هو ثواب الله الباقي، و أمرهم بالحقيقه بتحصيله و الأخذ به و لا يلقاها إلا الصابرون (٥) أى لا ينالها غيرهم، أو لا يوفق لها و للعمل بهذه الكلمه التى ألقاها العلماء، سوى الذين صبروا على الطاعات و عن المعاصى و استغنوا بقليل الدنيا عن كثيرها.

٨١- فَحَسِبْنَا بِهٖ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ... (٦) أى ابتلعتة و داره و ما فيها من كنوز و صنديق من الذهب و الفضة و مختلف الجواهر القيمه بأمرنا لئلا يقول الناس بعد هلاكه إن موسى أهلكه ليرث ميراثه حيث إن موسى كان ابن عمه فلذا لم يبق على وجه الأرض شىء من أمواله فما كان له من فئه ينصرونه (٧) أى من أعوان يدفعون عنه العذاب. و

فى العياشى عن الباقر عليه السلام قال: إن يونس عليه السلام لَمَّا آذاه قومه، و ساق الحديث إلى أن قال: فألقى نفسه فالتقمه الحوت فطاف به البحار السبعة حتى صار إلى البحر المسجور، و به يعذب قارون. فسمع قارون دويًا فسأل الملك عن

ص: ٣٠٨

١- سورة ٢٨ - آيه ٧٩

٢- سورة ٢٨ - آيه ٧٩

٣- سورة ٢٨ - آيه ٨٠

٤- سورة ٢٨ - آيه ٨٠

٥- سورة ٢٨ - آيه ٨٠

٦- سورة ٢٨ - آيه ٨١

٧- سورة ٢٨ - آيه ٨١

ذلك فأخبره الملك أنه يونس، وأن الله حبسه في بطن الحوت. فقال له قارون: أ تأذن لي أن أكلمه؟ فأذن له، فسأله عن موسى فأخبره أنه مات، فبكى. ثم سأله عن هارون فأخبره أنه مات، فبكى و جزع جزعا شديدا. و سأله عن أخته كلثم و كانت مسماها له، فأخبره أنها ماتت، فبكى و جزع جزعا شديدا. قال فأوحى الله إلى الملك الموكل به أن ارفع عنه العذاب بقيه أيام الدنيا لرقته على قرابته.

٨٢- وَ أَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ... (١) أى الذين كانوا يترجون مكانه قارون و يأملون منزلته و رفيع جاهه قبل الخسف، و كانوا يقولون يا ليت لنا مثل ما كان لقارون من الأموال و الرفعه، فبعد الخسف رجعوا من مقاتلهم و كانوا متأثرين و متأسفين على ما ترجوه و أملاه، و أقبلوا على الصّلاح و السداد و زجروا القائلين بالمقاله قبل الخسف بقولهم (ويك إن الله) كلمه وى تستعمل فى الزجر، ركب مع كاف الخطاب نحو ذلك اى أمنعك أيها القائل عن مقاتلك غير المرضيه لله و الباعثه على هلاكك نفسك حيث إن الله تعالى، يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَ يَقْدِرُ (٢) أى أن سعه الرزق و ضيقه بيد قدرته و حسب ما تقتضيه الحكمة و تحكم المصلحه. و يستعمل فى التعجب أى موضوعه له على ما نقل عن أهل اللغه. أى أتعجب من تلك المقاله و أنّ الله يبسط الرزق، الآية.. و عن القمى: هى كلمه سرىائيه، و قيل معانى آخر، كقول البعض: وى كلمه يستعملها التادم لإظهار ندامته: و لعل هذا المعنى أحسن المعانى و انسبها بالمقام و الله أعلم.

و تأويلات فيها و الله تعالى اعلم بها.

سوره القصص (٢٨): الآيات ٨٣ الى ٨٤

تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَ الْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (٨٣) مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَ مَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٨٤)

ص: ٣٠٩

١- سوره ٢٨ - آيه ٨٢

٢- سوره ٢٨ - آيه ٨٢

٨٣- تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ... (١) أى التى سمعت خبرها و بلغك و صفها لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا (٢) غلبه و قهرا و لا- فساداً (٣) بغيا و ظلما.

فى المجمع عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه كان يمشى فى الأسواق و هو وال يرشد الضالَّ و يعين الضَّعيف و يمرُّ بالبقال و البياع فيفتح عليه القرآن و يقرأ هذه الآيه، و يقول: نزلت فى أهل العدل و التواضع من الولاه، و أهل القدره من سائر الناس، و

عنه عليه السلام أنه قال لحفص بن غياث: يا حفص ما منزله الدنيا من نفسى إلا بمنزله الميتة إذا اضطرت إليها أكلت منها، و كان يتلو له تلك الدار الآخرة إلى آخرها، و جعل يبكى و يقول: ذهبت و الله الأمانى عند هذه الآيه، فاز و الله الأبرار. تدرى من هم؟ الذين لا يؤذون الدَّير كفى بخشيته الله علما، و كفى بالأغرار بالله جهلا.

٨٤- مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ... (٤) إلا ما كانوا يَعْمَلُونَ... (٥) أى مثل ما كانوا يعملون لا يزداد على قدر استحقاقهم فى عقابهم، بخلاف الزيادة فى الفضل على الثواب المستحق فإنه يكون تفضلا.

سوره القصص (٢٨): الآيات ٨٥ الى ٨٨

إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٨٥) وَ مَا كُنْتَ تَرْجُوا أَنْ يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ (٨٦) وَ لَا يَصُدُّنَكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أَنْزَلْتُ إِلَيْكَ وَ أَدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ وَ لَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٨٧) وَ لَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٨٨)

ص: ٣١٠

١- سوره ٢٨ - آيه ٨٣

٢- سوره ٢٨ - آيه ٨٣

٣- سوره ٢٨ - آيه ٨٣

٤- سوره ٢٨ - آيه ٨٤

٥- سوره ٢٨ - آيه ٨٤

٨٥- إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ ... (١) أى أوجب تلاوته و تبليغه و امتثال ما فيه من الأحكام لَرَأْدِكَ إِلَى مَعَادٍ (٢)

قيل لما نزل النبي (ص) الجحفة في سيره إلى المدينة مهاجراً، اشتاق إلى مكة. فأتاه جبرائيل (ع) فقال: أشتاق إلى بلدك و مولدك؟ فقال: نعم. قال جبرائيل: فإنَّ اللَّهَ يقول: إِنَّ الَّذِي فَرَضَ (الآية) فالمراد من مَعَادٍ (٣) هو مكة، و اللَّهَ تعالى يبشِّر النبي (ص) برجوعه و عوده إليها يوم الفتح كما كان فيها. و تنكير مَعَادٍ (٤) لعظم شأن مكة. و عند بعض الأعلام أن المعاد هو يوم البعث.

و عن الباقر عليه السلام أنه ذكر عنده جابر فقال: رحم الله جابراً، لقد بلغ من علمه أنه كان يعرف تأويل هذه الآية، يعنى الرجوع قُل رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى (٥) أى قل يا محمد إن ربِّي لا يخفى عليه المهتدى و ما يستوجهه و مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٦) أى الضالّ الذي لا شك في ضلالته و فيما يستحقّه.

٨٦- وَ مَا كُنْتَ تَرْجُوا أَنْ يُلْقَى... (٧) أى ما كنت يا محمد ترجو فيما مضى أن يوحى الله إليك و يشرفك بإنزال القرآن عليك إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ (٨) أى ما ألقى إليك إلا رحمة منه خصّك بها. ثم أمره بأمر أحدها فلا تكوننّ ظهيراً للكافرين (٩) معينا لهم بمداراتهم و التحمّل عنهم و الإجابة لطلبتهم. و هذا الخطاب و أمثاله و إن كان للنبيّ لكنّ المراد قومه.

فقد روى عن ابن عباس أنه كان يقول: القرآن كلّه إياك أعنى و اسمعى يا جاره. و عن القمي قال: المخاطبه للنبيّ (ص) و المعنى للناس. و ثانيها قوله تعالى:

ص: ٣١١

١- سورة ٢٨ - آيه ٨٥

٢- سورة ٢٨ - آيه ٨٥

٣- سورة ٢٨ - آيه ٨٥

٤- سورة ٢٨ - آيه ٨٥

٥- سورة ٢٨ - آيه ٨٥

٦- سورة ٢٨ - آيه ٨٥

٧- سورة ٢٨ - آيه ٨٦

٨- سورة ٢٨ - آيه ٨٦

٩- سورة ٢٨ - آيه ٨٦

٨٧- وَلَا يَصُدُّنَكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ... (١) أى لا يصرفك الميل إلى الكفره عن قراءه آيات الله و العمل بها بعد نزولها إليك. ثالثها قوله سبحانه:

وَ ادْعُ إِلَى رَبِّكَ (٢) إلى توحيد و عبادته. و رابعها قوله تعالى: وَ لَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٣) بمساعدتهم و الرضا بطريقتهم فإن من رضى بفعل قوم و عملهم فإنه منهم. و خامسها قوله تعالى:

٨٨- وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ... (٤) هذه النواهي و الأوامر كان من المعلوم أن الرسول صلى الله عليه و آله لا يفعل منها شيئاً، و يفعل ما أمر به، فما الفائدة فيها؟ و الجواب ما

قاله الصادق عليه السلام: أن الله بعث نبيه بإياك أعنى و اسمعى يا جاره إلا وجهه (٥) الوجه ما يواجه الإنسان أو كل ذى وجه به، و الله سبحانه يواجه عباده حينما يخاطبهم بواسطه نبي أو وصي أو عقل كامل، فهم وجه الله الذى يؤتى منه، و لا يهلك من أطاعهم و أخذ طريق الحق منهم لأنه قد أطاع الله، و من تمسك بهم نجا و من تخلف عنهم هلك له الحكم (٦) أى القضاء النافذ فى الخلق و إليه ترجعون (٧) للجزاء بالحق و العدل.

ص: ٣١٢

١- سورة ٢٨ - آيه ٨٧

٢- سورة ٢٨ - آيه ٨٧

٣- سورة ٢٨ - آيه ٨٧

٤- سورة ٢٨ - آيه ٨٨

٥- سورة ٢٨ - آيه ٨٨

٦- سورة ٢٨ - آيه ٨٨

٧- سورة ٢٨ - آيه ٨٨

مكيه إلا من آيه ١ إلى ١١ فمدنيه و آياتها ٦٩ نزلت بعد الروم.

سوره العنكبوت (٢٩): الآيات ١ الى ٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الم (١) أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَ لَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ (٣) أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (٤)

١-الم... (١) أشرنا سابقا إلى تفسير الحروف المقطعه فلا نعيده.

٢- أَحْسِبَ النَّاسَ... (٢) أى أظنّ الناس أن يقنع منهم و أنّ يُتْرَكُوا أنّ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (٣) فيهملوا و يخلوا إذا قالوا إنّنا مؤمنون فقط، و يقتصر منهم على هذا المقدار و لا يمتحنون بما تظهر به حقيقه إيمانهم؟ هذا لا يكون. و الاستفهام هنا استفهام إنكار و توبيخ. و

عن النبيّ صَلَّى اللهُ

ص: ٣١٣

١- سوره ٢٩ - آيه ١

٢- سوره ٢٩ - آيه ٢

٣- سوره ٢٩ - آيه ٢

عليه و آله لَمَا نزلت هذه الآية قال: لا بد من فتنه تبلى بها الأمة بعد نبيها ليتعين الصادق من الكاذب، لأن الوحي قد انقطع و بقى السيف و افتراق الكلمه إلى يوم القيامة.

٣- وَ لَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ... (١) أى اختبرناهم، فهى سنّه جاريه قديمه فى الأمم كلها و لا تختص بأمة دون أمة فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَ لْيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ (٢) أى ليميزنّ الله الذين صدّقوا من الذين كذبوا بالجزاء و المكافأه. و التعبير عن التمييز و الجزاء بالعلم من باب إقامه السبب مقام مسببه، حيث إن علمه تعالى بصدق طائفه فى قولهم آمنا، و كذب أخرى، صار سببا للتمييز فى الجزاء و المكافأه و من هذا الباب قوله تعالى فى سورة الزمر كانا يأكلانِ الطَّعَامَ (٣) فإن أكله سبب لقضاء الحاجه فكُنّى بذكره عنها. و

فى المجمع عن أمير المؤمنين و الصادق عليهما السلام أنهما قرءا بضمّ الياء و كسر اللّام فيهما من الاعلام، أى: ليعرّفنهم الناس. و لعلّ التعبير بالماضى فى صدقوا و بالفاعل فى الكاذبين، لأن اسم الفاعل يدلّ على الثبوت و الاستمرار، و الفعل لا يدلّ عليهما حيث إنه لا يفهم من معنى الفعل التكرار، مثلا يقال: فلان شرب الخمر، و فلان شارب الخمر.

فالفرق بين الصيغتين واضح. و لما كانت الآية وقت نزولها حكاية عن قوم قريبي العهد فى الإسلام و عن جماعه مستديمه الكفر و بعيده العهد به مستمرين عليه فلذا إنه تعالى عبّر عن الطائفه الأولى بالفعل الماضى و عن الثانية بالفاعل و الله أعلم بقوله الشريف.

٤- أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ (٤) هذا استفهام منقطع عمّا قبله و ليست التى هى معادله الهمزه. و المعنى: بل أحسب الذين يفعلون الكفر و القبائح أن يسبقونا (٥) أن يفوتونا فوت السابق لغيره نحو ما فى المخلوقين فلا نقدر على أخذهم و الانتقام منهم و أن نجازيهم على مساويهم، أو أن لا نستطيع إدراكهم و معاقبتهم ساء ما يَحْكُمُونَ (٦) أى بئس حكمهم هذا بأنهم يعجزوننا فلا نقدر عليهم يجب أن لا يتخيّلوا هذا فليس الإمهال يفضى إلى

ص: ٣١٤

١- سورة ٢٩ - آيه ٣

٢- سورة ٢٩ - آيه ٣

٣- سورة ٥ - آيه ٧٥

٤- سورة ٢٩ - آيه ٤

٥- سورة ٢٩ - آيه ٤

٦- سورة ٢٩ - آيه ٤

الإهمال، لأن التعجيل فى العقوبه شغل من يخاف الفوت لا شغلنا، فإنما نمهلهم ليزدادوا إثما و لهم عذاب أليم.

سوره العنكبوت (٢٩): الآيات ٥ الى ٩

مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٥) وَ مَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ (٦) وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَ لَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ (٧) وَ وَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَ إِنَّ جَاهِدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٨) وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ (٩)

٥- مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ... (١) فى القمى: من أحب لقاءه جاءه الأجل. و قيل من كان يأمل الثواب، أى الوصول إلى ثوابه، أو يخاف العقابه من الموت و البعث و الجزاء فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ (٢) أى الوقت الموقّت للقائه لآتٍ (٣) أى لقدام، فليسارع العبد الراجى إلى ما يوجب الثواب و يبعد من العقاب وَ هُوَ السَّمِيعُ (٤) لأقوال عباده الْعَلِيمُ (٥) بأفعالهم.

٦- وَ مَنْ جَاهَدَ... (٦) جاهد: حارب أى من جاهد الشيطان بدفع وسوسته و إغوائه. و يحتمل من جاهد أعداء الدين لإحيائه، أو من جاهد نفسه التى هى أعدى أعدائه عن اللذات و الشهوات و المعاصى فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ (٧)

ص: ٣١٥

- ١- سوره ٢٩ - آيه ٥
- ٢- سوره ٢٩ - آيه ٥
- ٣- سوره ٢٩ - آيه ٥
- ٤- سوره ٢٩ - آيه ٥
- ٥- سوره ٢٩ - آيه ٥
- ٦- سوره ٢٩ - آيه ٦
- ٧- سوره ٢٩ - آيه ٦

لأن نفعه يرجع إليها إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ (١) فلا حاجة به إلى طاعتهم ولا تضره معصيتهم وإنما كلفهم لمنفعتهم.

٧- وَ الَّذِينَ آمَنُوا... (٢) وَ لَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي... (٣) أى نجزيهم على أحسن عملهم بأحسن جزاء، و بعد ذلك نجزيهم على أعمالهم الأخر التي دون العمل الأحسن طبق العمل الأحسن. مثلا: أحسن الأعمال هو التوحيد، فجزاؤه يكون الأحسن إما مرتبه أو أكثر، ثم نعطيههم مثل جزاء التوحيد على بقيته أعمالهم التي دون التوحيد مرتبه و فضلا.

٨ و ٩- وَ وَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسِينًا... (٤) أى الإتيان لهما بالفعل الحسن أو ما هو فى ذاته حسن مبالغه، أو قلنا له: افعل بهما حسنا و إذا دعياك و ألحا عليك لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ (٥) أى علم بالهَيْتَةِ عَبْرَ عَنْ نَفِيهَا بِنَفِي الْعِلْمِ إِشْعَارًا بِأَنْ مَا لَا تَعْلَمُ صِحَّتَهُ لَا يَجُوزُ اتِّبَاعُهُ وَ إِنْ لَمْ يَعْلَمْ بَطْلَانَهُ فَضْلًا عَمَّا عِلْمُ بَطْلَانِهِ فَلَا تُطْعِمُهُمَا (٦) فى ذلك فإنه لا طاعه لمخلوق فى معصيه الخالق. فأمر سبحانه بطاعه الوالدين فى الواجبات حتما و فى المباحات ندبا، و نهى عن طاعتهم فى المحظورات. و الصالحون من الناس ندخلهم يوم القيامة مع الصالحين.

سوره العنكبوت (٢٩): الآيات ١٠ الى ١١

وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوْ لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ (١٠) وَ لَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ لَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ (١١)

ص: ٣١٦

- ١- سوره ٢٩ - آيه ٦
- ٢- سوره ٢٩ - آيه ٧
- ٣- سوره ٢٩ - آيه ٧
- ٤- سوره ٢٩ - آيه ٨
- ٥- سوره ٢٩ - آيه ٨
- ٦- سوره ٢٩ - آيه ٨

١٠- وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ... (١) فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ... (٢) أى لدينه، يعنى لأخذه طريق الحق يؤذيه الكفره جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ (٣) يعدّ و يحسب عذاب الناس من المشركين كَعَذَابِ اللَّهِ (٤) أى عذاب الناس يصير صارفا له عن إيمانه كما أن عذاب الله صارف لأهل الإيمان عن الكفر وَ لَئِنْ جَاءَ نَصِيرٌ مِنْ رَبِّكَ (٥) أى فتح و غنيمه لَيَقُولَنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ (٦) و لنا فى الغنيمه مثلكم أ وَ لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ (٧) أى يعلم الإخلاص و النفاق و يعلم الصدق و الكذب.

١١- وَ لَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا... (٨) أى يعرف حقيقه ما فى القلب لا- باللسان فقط وَ لَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ (٩) الذين يقولون بأفواههم ما ليس فى قلوبهم و لا بدّ من تميّز الفريقين فى الدّنيا حتى يظهر الحق من الباطل و الصّادق من الكاذب، فلذا يتلبههم بالبلايا و المحن فإن المرء ما لم يتبل بهما لا تعرف حقيقه جوهره فالبلاء هو المحكّ لاختباره كما أن بالمحكّ يعرف و يمتحن خالص الدّهب من المغشوش، و بعد الاختبار يجازى الفريقان. و الآيه الشريفه تهديد للمنافقين بأن الله سبحانه يعلم ما تخفى صدورهم، و هو ظاهر عند من يملك الجزاء فيجازيهم على ما تخفى صدورهم و عمّا قريب تحلّ الفضيحه العظمى بهم.

سوره العنكبوت (٢٩): الآيات ١٢ الى ١٣

وَ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَ لَنُحْمِلَ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَ مَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١٢) وَ لَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَ أَنْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَ لَيَسْئَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ (١٣)

١٢- وَ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا... (١٠) اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا... (١١) أى قال الكافرون

ص: ٣١٧

- ١- سوره ٢٩ - آيه ١٠
- ٢- سوره ٢٩ - آيه ١٠
- ٣- سوره ٢٩ - آيه ١٠
- ٤- سوره ٢٩ - آيه ١٠
- ٥- سوره ٢٩ - آيه ١٠
- ٦- سوره ٢٩ - آيه ١٠
- ٧- سوره ٢٩ - آيه ١٠
- ٨- سوره ٢٩ - آيه ١١
- ٩- سوره ٢٩ - آيه ١١
- ١٠- سوره ٢٩ - آيه ١٢
- ١١- سوره ٢٩ - آيه ١٢

للمؤمنين: كونوا على طريقتنا، وإذا كان البعث والحساب والعقاب حقاً كما يقول محمد فنحن نتحمل ذنوبكم فعذب مرتين مره بذنوبنا وأخرى بذنوبكم، وهو سبحانه ردهم وكذبهم وبعد ذلك قال:

١٣- وَ لِيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَ أَثْقَالًا... (١) أى أنهم تضاعف أثقالهم بحملهم أثقال من تبعهم كما قال وَ أَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ (٢) أى و أثقالاً- أخر عمّن تسبوا له بالإضلال والحمل على المعصية من غير أن ينقص من أثقال تابعيهم شىء، وبعد ذلك نسألهم بالتأكيد عمّا كانوا يفترون (٣) من الكذب والأباطيل والحيل لإضلال الناس.

سوره العنكبوت (٢٩): الآيات ١٤ الى ١٥

وَ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَ هُمْ ظَالِمُونَ (١٤) فَأَنْجَيْنَاهُ وَ أَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَ جَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ (١٥)

١٤- وَ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ... (٤) ثم إنه تعالى لما بين أقسام الناس من المؤمنين والكافرين، و ذكر أقسام الكفرة و أنّ منهم الذين كانوا مصرّين على الكفر والإلحاد بحيث لم يقنعوا بكفرهم فقط بل قالوا للمؤمنين ما حكى هو تعالى بقوله: اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَ لِنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ (٥) إلخ...

فأراد أن يذكر أن هذه السنه السئنه ما كانت مختصه بعصر النبى (ص) و أمته، بل هى جاريه فى الأمم السابقه أيضاً، و ذكر أن من جملة المصرّين قوم نوح و كانوا أشدّ الأمم إصراراً على الكفر والإلحاد كما حكى الله قصتهم بقوله: فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا (٦) فلم يؤمنوا به و أبوا أن يجيبوه، إلا ثمانين أو سبعين.

و عن محمد بن كعب أنه قال: عشر نفرات خمس نسوه و خمس رجلا.

ص: ٣١٨

١- سوره ٢٩ - آيه ١٣

٢- سوره ٢٩ - آيه ١٣

٣- سوره ٢٩ - آيه ١٣

٤- سوره ٢٩ - آيه ١٤

٥- سوره ٢٩ - آيه ١٢

٦- سوره ٢٩ - آيه ١٤

و الحاصل أن نوحا عليه السلام أرسل إلى قومه على رأس أربعين سنه من عمره الشريف فلبث فيهم تسعمئه و خمسين عاما و هو يدعوهم إلى الله فلا يجيبونه فدعا ربه أنى مغلوب فانتصر (١) فاستجاب الله دعاه فأخذهم الطوفان و هم ظالمون (٢) لأنفسهم بإصرارهم على كفرهم.

و الطوفان هو بيان لكل شىء أطف و أحاط بكثرتة و غلبته من الماء الكثير أو الظلام أو أمثال ذلك.

١٥- فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ... (٣) أى أنجينا نوحا و من ركب معه فيها. و قد أشرنا آنفا إلى عدّتهم. و عاش بعد هلاك القوم و نجاه من ركب السفينه ستين عاما و جعلناها (٤) أى القصه آية للعالمين (٥) يعتبرون بها فيتعظون. و من جمله الأمم المصرين على الكفر و الإلحاد قوم إبراهيم عليه السلام على ما ذكر قصّتهم هو تعالى فى كتابه فقال عزّ من قائل:

سوره العنكبوت (٢٩): الآيات ١٦ الى ١٨

وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (١٦) إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أوثاناً وَتَخْلُقُونَ إِفْكاً إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقاً فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (١٧) وَ إِن تَكذَّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَّم مِّن قَبْلِكُمْ وَ مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (١٨)

١٦- وَ إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ... (٦) عطف على نوح. أى: أرسلنا إبراهيم. و قيل نصبه على تقدير اذكر، أى: اذكر يا محمد قصه إبراهيم

ص: ٣١٩

- ١- سوره ٥٤ - آيه ١٠
- ٢- سوره ٢٩ - آيه ١٤
- ٣- سوره ٢٩ - آيه ١٥
- ٤- سوره ٢٩ - آيه ١٥
- ٥- سوره ٢٩ - آيه ١٥
- ٦- سوره ٢٩ - آيه ١٦

ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ (١) أى الاتِّقاء و الطاعة و العباده خير لكم من شرككم إِنَّ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٢) الخير من الشرّ و النفع من الضّرر.

١٧- إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ... (٣) أى غير الله أو ثاناً (٤) جمادات تسمونها أرباباً وَ تَخْلُقُونَ إِفْكَاً (٥) تكذبون كذبا فى تسميتهم آلهه لا- يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقاً (٦) لا- يقدرّون أن يرزقوكم شيئا ممّا تحتاجون إليه ليلا و نهارا.فما فائده تلك الجمادات التى تنحتونها و تعبدونها و أنتم أشرف و أنبل منها؟و الأشرف أولى أن يكون معبودا،أ فلا تتدبّرون؟ فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَ اعْبُدُوهُ (٧) العباده ينبغى أن تختص بمن هو الرزاق ذو القوه و القدره المتين و هو الله الذى لا إله إلا هو وَ اشْكُرُوا لَهُ (٨). فإن الشكر قيد للنعمه العاجله و صيد للنعمه الآجله.

١٨- وَ إِن تَكْذِبُوا فَقَدْ كَذَّبْتُمْ... (٩) يحتمل أن تكون الشريفه من جمله قصّه إبراهيم و تسليه له عليه السلام كما تقتضيه الآيات السابقه و اللاحقه بحكم السياق.لكن عن القمى أنه قال:انقطع خبر إبراهيم و خاطب الله أمه محمد صلى الله عليه و آله فهذا من المنقطع المعطوف.و أيد هذا الكلام بقول بعض أرباب التفاسير أن ساق خبر إبراهيم لتسليه الرسول و التنفيس عنه بأن خليل الله كان مبتلى بما ابتلى به نبينا من شرك القوم و تكذيبهم،و تشبيه حاله فيهم بحال إبراهيم فى قومه.و لذلك توسط مخاطبتهم بين طرفى قصته فَقَدْ كَذَّبْتُمْ أُمَّمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ (١٠) أى كذبوا رسلهم و لم يضّرهم تكذيبهم و إنما ضرّوا أنفسهم.فكذا شركهم و تكذيبهم إياك يلحق ضرره بهم.

سوره العنكبوت (٢٩): الآيات ١٩ الى ٢٣

أَوْ لَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (١٩) قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ يَدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٠) يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ (٢١) وَ مَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَ لَا فِي السَّمَاءِ وَ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَ لَا نَصِيرٍ (٢٢) وَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَ لِقَائِهِ أُولَئِكَ يَسُوءُ مِنْ رَحْمَتِي وَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٣)

ص: ٣٢٠

١- سوره ٢٩ - آيه ١٦

٢- سوره ٢٩ - آيه ١٦

٣- سوره ٢٩ - آيه ١٧

٤- سوره ٢٩ - آيه ١٧

٥- سوره ٢٩ - آيه ١٧

٦- سوره ٢٩ - آيه ١٧

٧- سوره ٢٩ - آيه ١٧

٨- سوره ٢٩ - آيه ١٧

٩- سوره ٢٩ - آيه ١٨

١٠- سوره ٢٩ - آيه ١٨

١٩ و ٢٠- أَوْ لَمْ يَرَوْا كَيْفَ... (١) قرئ بالتاء على تقدير القول، أى:

قل: أ و لم تروا. فالظاهر أنّ الخطاب لمحمد صلى الله عليه وآله و أمته.

و قرئ بالياء أيضا و يحتمل أن يكون المراد بضمير الجمع كفار مكة الذين أنكروا البعث و أقروا بأن الخالق هو الله، فقال: أ و لم يتفكروا فيعلموا كيف بدأ الله الخلق (٢) بعد العدم ثم يعيدهم ثانيا؟ و من قدر على الإنشاء فهو على الإعادة أقدر إن ذلك (٣) المذكور من الإبداء و الإعادة يسير (٤) سهل على الله إذا اراده كان. و لا يخفى أن من الآية ١٨ وَ إِنْ تُكذِّبُوا (٥) إلى الآية ٢٤ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ (٦) احتمالين فيمكن أن تكون انشاءاته و إخباراته فى إبراهيم و أمته، و يمكن أن تكون فى محمد و أمته، و نسأل الله أن يهدينا إلى سبيل الرشاد.

٢١- يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ... (٧) وَ إِلَيْهِ تُقَلَّبُونَ... (٨) أى تردون فيحاسبكم و يعذب المستحق للعذاب و يرحم من يستحق الرحمة.

٢٢- وَ مَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ... (٩) أى لا- يعجز الله عن إدراككم لو هربتم عن حكمه لو كنتم بشرا فى الأرض (١٠) الواسعة أو فى السماء (١١) التى هى أوسع من الأرض بمراتب كثيرة. و الحاصل أن

ص: ٣٢١

١- سورة ٢٩ - آيه ١٩

٢- سورة ٢٩ - آيه ١٩

٣- سورة ٢٩ - آيه ١٩

٤- سورة ٢٩ - آيه ١٩

٥- سورة ٢٩ - آيه ١٨

٦- سورة ٢٩ - آيه ٢٤

٧- سورة ٢٩ - آيه ٢١

٨- سورة ٢٩ - آيه ٢١

٩- سورة ٢٩ - آيه ٢٢

١٠- سورة ٢٩ - آيه ٢٢

١١- سورة ٢٩ - آيه ٢٢

الهرب من حكمه لا- يفيدكم فإنكم إذا تحصّيتم في أعماق الأرض أو في القلاع المماسه للسّماء لأخرجكم منها ليجازيكم بأعمالكم إن خيرا فخير و إن شرا فشرّ و ما لكم من دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ (١) مانع يمنعكم منه و لا نصير (٢) ناصر يحرسكم و يدفع عنكم عذابه و بلاءه ممّا قضى به عليكم.

٢٣- وَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ... (٣) أى بدلائله الداله على المعرفه و التوحيد أو كتبه و لقائه (٤) أى البعث يئسوا من رحمتي (٥) لأنكارهم البعث و الجزاء. وقد جاء التعبير بالماضى لتحققه، ف أولئك لهم عذاب أليم (٦) موجه.

سوره العنكبوت (٢٩): الآيات ٢٤ الى ٢٧

فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا- أَنْ قَالُوا أَقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٢٤) وَ قَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَ يَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَ مَا أُولَئِكَ إِلَّا لِقَوْمٍ أَلْفَسْنَا فِي أَسْمَائِهِمْ أَصْوَابًا وَ هُمْ لَا يُفْقَهُونَ (٢٥) فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَ قَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٦) وَ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَ يَعْقُوبَ وَ جَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَ الْكِتَابَ وَ آتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَ إِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (٢٧)

ص: ٣٢٢

- ١- سوره ٢٩ - آيه ٢٢
- ٢- سوره ٢٩ - آيه ٢٢
- ٣- سوره ٢٩ - آيه ٢٣
- ٤- سوره ٢٩ - آيه ٢٣
- ٥- سوره ٢٩ - آيه ٢٣
- ٦- سوره ٢٩ - آيه ٢٣

٢٤- فَمَا كَانَ جَوَابَ... (١) إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ... (٢) هذا قول بعضهم. وقال آخرون: أَوْ حَرِّقُوهُ (٣) و نسبه كل واحد من الفعلين إلى جميعهم باعتبار رضا الباقيين حين قال البعض، فكأن جميعهم قالوا بمقاله البعض.

و الحاصل أنهم بعد الاختلاف اتفقوا على التحريق و لعل ترجيح التحريق لميل حكومه الوقت لذلك حقا عليه، حيث إن القتل ربما كان يخفى على أهل بعض البلدان بخلاف التحريق بتلك الكيفية المشهوره فيكون إعلانا عالميا بأن كل من عمل إبراهيم و خالف فهذا جزاؤه، فاشتهر الأمر في جميع البلدان بحيث كان المخالفون لطريقتهم الدينيه قد عرفوا تكليفهم فاحتاطوا ليأمنوا من مخالفته و بأسه بعد ذلك.

و لكن الله تعالى قدر خلاف تدبيرهم فصار الأمر طبق التقدير إرغاما لهم فانتج تدبيرهم خلاف ما أملوا و راموا إذ فأنجاه الله من النار (٤) بعد ما رموه فيها بأن جعلها عليه بردا و سلاما إِنَّ فِي ذَلِكَ (٥) أى فى إنجائه لآيات (٦) منها منعه من حرها، و سرعه إخمادها مع عظمها، و جعله مكانها روضا، و عدم تضرره بالرمى مع بعد المرمى عن المرمى إليه و هى النار لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٧) و الاختصاص بالمؤمنين فقط لأنهم أهل التفكير و التدبر و أصحاب الاعتبار.

٢٥- وَ قَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ... (٨) مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ... (٩) ثم إن إبراهيم عليه السلام بعد نجاته من النار قال لقومه: إنما اتخذتم الأوثان آلهة لتكونوا أهل دين واحده و مله واحده فتوادون بينكم و تواصلون فتكونون متحدين فى قبال أصحاب الحق و مذهب الصواب إذ ان الاتفاق على مذهب يكون سببا للموده بين المتفقين.

و هذه الموده بينكم تبقى إلى حين الوفاء، و بعدها تصير الموده عكس ما فى الدنيا كما حكاها الله تعالى بقوله ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ (١٠) و الباء إمّا زائده إذا كان المراد بالكفر كفر جحود، و إمّا بمعنى (من) إذا كان المراد به كفر براءه، أى يتبرأ بعضكم من بعض؟ و

فى الكافى عن

ص: ٣٢٣

١- سورة ٢٩ - آيه ٢٤

٢- سورة ٢٩ - آيه ٢٤

٣- سورة ٢٩ - آيه ٢٤

٤- سورة ٢٩ - آيه ٢٤

٥- سورة ٢٩ - آيه ٢٤

٦- سورة ٢٩ - آيه ٢٤

٧- سورة ٢٩ - آيه ٢٤

٨- سورة ٢٩ - آيه ٢٥

٩- سورة ٢٩ - آيه ٢٥

الصادق عليه السلام فى تفسير الآيه: يعنى يتبرأ بعضكم من بعض. و

عن أمير المؤمنين عليه السلام: الكفر فى هذه الآيه البراءة، يقول فيبرأ بعضكم من بعض، إلى آخر الحديث وَ يَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا (١) أى يقوم التلاعن و التّعادى بينكم، أو بينكم وبين المعبودين من الأوثان كقوله تعالى:

وَ يَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا (٢) وَ مَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (٣) مالكم أعوان يخلصونكم منها.

٢٦- فَأَمَّنَ لَهُ لُوطٌ... (٤) أى صدق لوط إبراهيم فى رسالته من عند ربّه.

و فى ما جاء به، و كان لوط ابن خالته وَ قَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي (٥) أى قال إبراهيم للوط و لزوجته ساره التى كانت بنت عمّه و قد آمنت به. و قيل إنّ لوطا كان ابن أخته و أول من آمن به و قيل ابن أخيه و آمن به حينما رأى أنه خرج من النار سالما، و لكنّ إيمانه بالله كان قبل ذلك، و لذا قال الله تعالى: فأمن له، و ما قال فأمن لوط.

إِنِّي خَارِجٌ مِنْ قَوْمِي الظالمين إلى حيث أمرنى ربّى أى من (كوثى) و كانت نبوّته فيها و هى قريه من قرى سواد الكوفه و فيها بدأ أول أمره، ثم هاجر منها إلى حرّان من أرض الشام ثم منها إلى فلسطين و كان معه فى هجرته امرأته ساره (ع) و لوط هُوَ الْعَزِيزُ (٦) أى هو تعالى يمنعنى من أعدائى الْحَكِيمِ (٧) الذى لا- يأمرنى إلا بما فيه صلاحى. و بالجمله إنّ لإبراهيم هجرتين: الأولى من (كوثى) إلى حرّان، و الثانية من حرّان إلى الشام. و لذا قيل إنّ لكلّ نبى هجره إلا إبراهيم فإنه كان له هجرتان.

٢٧- وَ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ... (٨) فى الكشّاف: إنّ إبراهيم حين الهجره كان له من العمر خمس و سبعون سنه و فى تلك السنه وهبه الله تعالى إسماعيل من هاجر التى كانت خادمه ساره فوهبتها له عليه السلام و لما تمّ له من العمر مائه و اثنتا عشره أو عشرون سنه أعطاه الله إسحاق من ساره بنت عمه التى كانت عاقرا كما قال الله تعالى وَ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ (٩) أى ولدا وَ يَعْقُوبَ (١٠) أى نافله. و المراد بها هنا ابن الابن. و لم يذكر هنا إسماعيل لأن المقصود هنا بيان أنّ النبوه بعد

ص: ٣٢٤

١- سورة ٢٩ - آيه ٢٥

٢- سورة ١٩ - آيه ٨٢

٣- سورة ٢٩ - آيه ٢٥

٤- سورة ٢٩ - آيه ٢٦

٥- سورة ٢٩ - آيه ٢٦

٦- سورة ٢٩ - آيه ٢٦

٧- سورة ٢٩ - آيه ٢٦

٨- سورة ٢٩ - آيه ٢٧

٩- سورة ٢٩ - آيه ٢٧

إبراهيم لأى شخص تنتقل و من هو الوارث فى موارث الأنبياء، فذكر إسحاق كان مقدّمه لتعيين النبىّ أو لتعيين الوارث فى الموارث، و لم يكن ذكر إسحاق فى مقام بيان أولاد إبراهيم عليه السلام و شرحهم و لذا عبّ قوله: وَ هَئِنَّا (١) إلخ... بقوله وَ جَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَ الْكِتَابَ (٢) أى ذريّه إسحاق أو يعقوب فإن كل نبىّ بعد إبراهيم كان منهما. و قد كثر الأنبياء و كانوا كلّهم من إسرائيل و بنيه عليهم السلام، و هم ذريّه إبراهيم.

و قد بدّل الله عزّ و جلّ جميع أحوال إبراهيم بأضدادها فبدّل الله عذابه بالنار بالبرد و السيّلام، و انقلبت وحدته بالكثرة حيث ملأ الدنيا من ذريته و عوضه عن أقاربه الضالين المضلين الذين من جملتهم عمّه آذر، بأقارب هادين مهتدين، و هم ذريته الذين جعل فيهم النبوه و الكتاب. و كان إبراهيم عليه السلام فى أوّل أمره قليل المال، فأعطاه الله من المال حتى كان له من المواشى ما علم الله عدده حتى قيل إنّه كان له اثنا عشر ألف من الكلاب الحارسه لماشيه مطوقه بأطواق ذهب خالص. أمّا الجاه و الرفعه فالنبوه و اقترانه بالأنبياء فى الصّلاه و السلام عليه معهم إلى يوم القيامة، و قد توجّ بتاج الخله و صار معروفا بشيخ الأنبياء و أولى العزم من المرسلين بعد أن كان مجهول الذكر عند قومه بحيث قال قائلهم: سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم. و هذا الكلام لا يقال إلا فى مجهول بين الناس. هذه جمله من مقاماته الدنيويّه، و أمّا الأخرويه فقد قال الله تعالى فى حقّه: وَ إِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصّٰلِحِينَ (٣) أى أولى الدرجات العليا مع المكملين فى الصّلاح. و هذا الكلام أعظم مدح فيه من ربّ العزّه و قد يجمع الله لأقوام كرامه الدنيا و الآخره فهنيئا لهم و نسأله سبحانه أن يرزقنا خير الدنيا و الآخره. ثم إنّه سبحانه و تعالى لما كان فى مقام شرح أحوال أنبيائه كما لاحظنا فى مقامات عديده سالفه ليكون النبىّ (ص) على بصيره إذا سئل فيكون الجواب من معجزاته، لذا بيّن فى هذه السوره أيضا جملا من أحوالهم مع أممهم تسليه له و اعتبارا لأمتّه فقال سبحانه:

ص: ٣٢٥

١- سوره ٢٩ - آيه ٢٧

٢- سوره ٢٩ - آيه ٢٧

٣- سوره ٢٩ - آيه ٢٧

وَلَوْ طَأَّ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ (٢٨) أَلَيْسَ لَكُمْ لَتَاتُونَ الرِّجَالَ وَ تَقَاطَعُونَ السَّبِيلَ وَ تَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّنَا بَعِيدَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ (٢٩) قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ (٣٠)

٢٨- وَ لَوْ طَأَّ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ... (١) إِمَّا عطف على إبراهيم، أى: و لقد أرسلنا لوطا أو بتقدير: اذكر مخاطبا لنبىه صلى الله عليه و آله إِنَّكُمْ لَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ (٢) الفعله الشنعاء ما سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ (٣) لفظه مِنْ (٤) زائده داخله على الفاعل لتأكيد عدم صدور هذا العمل عن أحد قبلهم من أهل الدنيا بأسرهم و هذا الكلام يؤكد شناعه العمل و عظم حرمة عنده تعالى بحيث اجتنب عنه جميع الخلق. ثم إِنَّه تعالى يبين الفاحشه بقوله:

٢٩- أَلَيْسَ لَكُمْ لَتَاتُونَ الرِّجَالَ... (٥) أى تفعلون معهم الفعل الشنيع. و الاستفهام إنكارى وَ تَقَاطَعُونَ السَّبِيلَ (٦) تتركون السبيل المعتاد من مباشره النساء المشتمله على المصلحه التى هى بقاء النوع و ترغب فيها الطباع خلافا لمباشره غيرهن. هذا بقريه قوله: لتأتون الرِّجَالَ و قيل إن المراد بقطع السبيل هو تعرّضهم للسبيله بالفاحشه و الفضيحه حتى انقطعت الطرق. و السابله هى الطريق المسلوكة للأقوام المختلفه. أو المراد قطع سبيل النسل، أو باعتراض الماره بالقتل و أخذ المال وَ تَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ (٧) أى المجلس ما دام أهله فيه الْمُنْكَرَ (٨) كالضراط أو اللواط و كشف العوره و نحوها من المنكرات. و

فى المجمع عن الرضا عليه السلام:

كانوا يتضارطون فى مجالسهم من غير حشمه و لا حياء. و القمى قال:

ص: ٣٢٦

- ١- سوره ٢٩ - آيه ٢٨
- ٢- سوره ٢٩ - آيه ٢٨
- ٣- سوره ٢٩ - آيه ٢٨
- ٤- سوره ٢٩ - آيه ٢٨
- ٥- سوره ٢٩ - آيه ٢٩
- ٦- سوره ٢٩ - آيه ٢٩
- ٧- سوره ٢٩ - آيه ٢٩
- ٨- سوره ٢٩ - آيه ٢٩

يضرط بعضهم على بعض. والحاصل لما رأى أن القوم لا يتناهون عن منكرهم بحيث يبقى ابتداء تلك الفاحشه فى من بعدهم من أولادهم و ذراريهم فإنهم على دين آبائهم كما قال الجهلاء من أهل مكة: إنا وجدنا آباءنا على أمة و إنا على آثارهم مقتدون. و هذا أمر طبعى فى البشر بل فى مطلق الحيوان، فكل على مسلكه الطبعى و على ديدن آباءه و أمهاته يتعلم منهم ما يفعلون، و لذلك نرى أن تربيتهم و تعليمهم لبعض التكاليف سواء كانت ديتيه أو غير ديتيه أمر صعب تركه كما نشاهد فى البشر الذى هو أشرف الموجودات، لا- يخضع لتلك التكاليف الإلهيه بل حتى يقتل الذى يقول بما هو خلاف طبعه و لو كان من الأنبياء و الرسل. و بالجملة هذا أمر واضح لا يحتاج فى إثباته إلى برهان عند من يرجع إلى وجدانه. و لذا فإن لوطا لما آيس منهم أن يؤمنوا به و بما جاءهم به، دعا عليهم فاستجاب الله دعاه.

٣٠- قال رَبِّ انصُرْنِي... (١) أى اعننى على القوم المفسدين (٢) بقبائح أعمالهم و سنّها فى الناس.

سوره العنكبوت (٢٩): الآيات ٣١ الى ٣٢

وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشْرِى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ (٣١) قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنَنْجِيَنَّهٗ وَ أَهْلَهُ إِلَّا إِمْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ (٣٢)

٣١- و لَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ... (٣) أى حين جاءته الملائكه لانزال العذاب بقوم لوط قالوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ (٤) قريه (سدوم) التى كانت بين القدس و الكرك قرب جبال لبنان، و التى كان يسكنها لوط و بعث إليها لهدايه أهلها. و إنما قالوا هذه (٥) باسم الإشاره إلى القريب لأن

ص: ٣٢٧

١- سوره ٢٩ - آيه ٣٠

٢- سوره ٢٩ - آيه ٣٠

٣- سوره ٢٩ - آيه ٣١

٤- سوره ٢٩ - آيه ٣١

٥- سوره ٢٩ - آيه ٣١

سدوم كانت قريبه إلى قريه إبراهيم عليه السلام و سنهلكهم لأنهم ظالمون لأنفسهم و لغيرهم بما يرتكبون من آثام و كبائر.

٣٢- قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا... (١) أى كيف تنزلون العذاب بها و فيها لوط سلام الله عليه؟ قالوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا (٢) نعرف من فيها و سيكون ناجيا إلا امرأته فإنها من الغابرين (٣) الباقيين فى العذاب مع من غبر من الكفرة الفجرة.

سوره العنكبوت (٢٩): الآيات ٣٣ الى ٣٥

وَ لَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سَيِّئًا بِهِمْ وَ ضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَ قَالَوا لَا تَخَفْ وَ لَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجُوكَ وَ أَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ (٣٣) إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (٣٤) وَ لَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيْنَهُ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٣٥)

٣٣- وَ لَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا... (٤) كلمه أن (٥) زائده، زيدت للتأكيد. فلما جاءت الرسل لوطا سيئا (٦) أى اغتم بسببهم إذ جاؤا فى صورهِ غلمان حسنى المنظر أضيفا فخاف عليهم قومهُ وَ ضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا (٧) أى صدرا كناية عن فقد الطاقه. و لما رأوا فيه أثر الصجر قالوا لا تَخَفْ (٨) علينا من قومك وَ لَا تَحْزَنْ (٩) لأجلنا منهم إِنَّا رسل ربك و إِنَّا مُنْجُوكَ وَ أَهْلَكَ (١٠).

٣٤- إِنَّا مُنْزِلُونَ... (١١) رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ... (١٢) أى عذابا منها. و تسميه

ص: ٣٢٨

- ١- سوره ٢٩ - آيه ٣٢
- ٢- سوره ٢٩ - آيه ٣٢
- ٣- سوره ٢٩ - آيه ٣٢
- ٤- سوره ٢٩ - آيه ٣٣
- ٥- سوره ٢٩ - آيه ٣٣
- ٦- سوره ٢٩ - آيه ٣٣
- ٧- سوره ٢٩ - آيه ٣٣
- ٨- سوره ٢٩ - آيه ٣٣
- ٩- سوره ٢٩ - آيه ٣٣
- ١٠- سوره ٢٩ - آيه ٣٣
- ١١- سوره ٢٩ - آيه ٣٤
- ١٢- سوره ٢٩ - آيه ٣٤

العذاب رجزا و رجسا لقلق المعذب و اضطرابه، يقال ارتجز إذا ارتجس و اضطراب.

٣٥- وَ لَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً... (١) و المراد بالآية إمّا حكايتهم الشائعه، و إمّا آثار ديارهم الخربه، أو الحجار السّـجـليّه التي توجد بعض الأوقات فيها، أو المياه السّـوداء الباقية إلى الآن المنزله مع الأحجار و كانت كالقطران لِقَومٍ يَعْقِلُونَ (٢) للمتدبرين المتفكرين للإستبصار و الإعتبار.

سوره العنكبوت (٢٩): الآيات ٣٦ الى ٣٧

وَ إِلَى مَدِينِ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَ ارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَ لَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (٣٦) فَكَذَّبُوهُ فَآخَذْتَهُمُ الرَّجْفَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ (٣٧)

٣٦- وَ إِلَى مَدِينِ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا... (٣) يمكن أن يراد أولاد مدين بن إبراهيم عليه السلام، أو أهل مدين الذى هو بلد بناه و سماه باسمه، و هو على طريق الشام، و شعيب بن بويب بن مدين، و كان يقال له خطيب الأنبياء لحسن مراجعته لقومه و هم أصحاب الأيكة. و عن قتاده أرسل شعيب مرتين، مره إلى مدين و أخرى إلى أصحاب الأيكة و قوله أَخَاهُمْ (٤) لأن شعيبا كان منهم نسبا فأمرهم بعباده الله تعالى و الرجاء منه تعالى ثوابه يوم الآخرة أو الخوف منه، فان الرجاء استعمل بمعنى الخوف وَ لَا تَعْتُوا (٥) أى لا تسعوا بالفساد.

٣٧- فَكَذَّبُوهُ فَآخَذْتَهُمُ الرَّجْفَةَ... (٦) أى الزلزه أو صيحه جبرائيل

ص: ٣٢٩

- ١- سوره ٢٩ - آيه ٣٥
- ٢- سوره ٢٩ - آيه ٣٥
- ٣- سوره ٢٩ - آيه ٣٦
- ٤- سوره ٢٩ - آيه ٣٦
- ٥- سوره ٢٩ - آيه ٣٦
- ٦- سوره ٢٩ - آيه ٣٧

الَّتِي صَارَتْ سَبِيلاً لِلزَّلْزَلَةِ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَائِعِينَ (١) صرعى على وجوههم أو على ركبهم ميتين.

سورة العنكبوت (٢٩): الآيات ٣٨ الى ٤٠

وَ عَاداً وَ ثَمُودَ وَ قَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِينِهِمْ وَ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَ كَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ (٣٨) وَ قَارُونََ وَ فِرْعَوْنَ وَ هَامَانَ وَ لَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَ مَا كَانُوا سَابِقِينَ (٣٩) فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَ مِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَ مِنْهُمْ مَنْ حَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَ مِنْهُمْ مَنْ أَعْرَقْنَا وَ مَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَ لَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٤٠)

٣٨- وَ عَاداً وَ ثَمُودَ... (٢) عطف على شعيباً أو على ما قبله، أو بتقدير اذكر، أو أهلكننا جزاء على كفرهم وَ قَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِينِهِمْ (٣) أى من جهتها عند مروركم بها يا أهل مكة، فإنها آية فى إهلاكهم فلم لا تعتبرون و لا تستبصرون و لم لا تتبهون؟ وَ كَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ (٤) أى متمكنين من النظر و لكن لم ينظروا و لم يتدبروا لأن الشيطان اشرب فى قلوبهم حب أعمالهم الباطلة.

٣٩- وَ قَارُونََ وَ فِرْعَوْنَ وَ هَامَانَ (٥): أى أهلكناهم. و قدم قارون لشرف

ص: ٣٣٠

١- سورة ٢٩ - آية ٣٧

٢- سورة ٢٩ - آية ٣٨

٣- سورة ٢٩ - آية ٣٨

٤- سورة ٢٩ - آية ٣٨

٥- سورة ٢٩ - آية ٣٩

نسبه و ما كانوا سابقين (١) أى فائتين أمرنا، بل أدركهم و أفناهم كلهم ٤٠- فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ... (٢) أى عذبنا كل واحد بجرحه فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا (٣) أى ريحا عاصفا فيها حصاء كقوم لوط على قول و مِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ (٤) كشمود و مدين و مِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ (٥) كقارون و مِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا (٦) كقوم نوح و فرعون و قومه و ما كان الله تعالى لِيُظْلِمَهُمْ (٧) بإهلاكهم بل كانوا أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ (٨) بإشراكهم و بالتعريض للعذاب.

سورة العنكبوت (٢٩): الآيات ٤١ الى ٤٣

مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٤١) إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٤٢) وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ (٤٣)

٤١ و ٤٢- مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ (٩): أى أصناما يلجأون إليها كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا (١٠) أى فى وهن ما اعتمدوه فى دينهم شبه الله تعالى حال الكفار الذين اتخذوا غيره آلهه بحال العنكبوت فى ما تنسجه فى الوهن و الضعف، فانه لا بيت اوهن و أقل وقايه للحوادث و الحرّ و البرد منه، فكذا آلهه الكفره من الأصنام و الأوثان فإنها لا تقدر على دفع

ص: ٣٣١

١- سورة ٢٩ - آيه ٣٩

٢- سورة ٢٩ - آيه ٤٠

٣- سورة ٢٩ - آيه ٤٠

٤- سورة ٢٩ - آيه ٤٠

٥- سورة ٢٩ - آيه ٤٠

٦- سورة ٢٩ - آيه ٤٠

٧- سورة ٢٩ - آيه ٤٠

٨- سورة ٢٩ - آيه ٤٠

٩- سورة ٢٩ - آيه ٤١

١٠- سورة ٢٩ - آيه ٤١

شئ من الحوادث عن نفسها، فكيف عن غيرها؟ فدينهم أو هن الأديان و أذناها لو كانوا يَعْلَمُونَ (١) أنها مثلهم لندموا و رجعوا إلى الدين الحق و إله الخلق وَ هُوَ الْعَزِيزُ (٢) في سلطانه الْحَكِيمُ (٣) في صنعه.

٤٣- وَ تِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا... (٤) أى هذا المثل و نظائره نجىء به لتقريب ما هو بعيد عن الأفهام و لمعرفة قبح ما هم عليه من عبادة الأوثان و حسن معرفه الله و توحيده و ما يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ (٥) المتدبرون في حقائق الأشياء على ما ينبغى، فإن الأمثال و التشبيهات دلائل و طرق إلى المعانى المحتجبه لإبرازها و كشف أسرارها حيث إنها بغير الأمثال لا تبرز و لا تظهر و لا تتصور من غير العالم و الجهله لا يصلون إلى فهمها و لذا كان جهله قريش يستهزئون و يقولون إله محمّد يمثّل بالذباب و بالعنكبوت، و يضحكون. و لذا قال تعالى: وَ مَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ... (٦) ثم إنه تعالى أخذ في بيان ما هو دال على ألوهيته المطلقة و أنه سبحانه مستحق للعباده بقوله عزّ و جلّ:

سوره العنكبوت (٢٩): الآيات ٤٤ الى ٤٦

خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ (٤٤) أُتِلْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ (٤٥) وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (٤٦)

ص: ٣٣٢

- ١- سوره ٢٩ - آيه ٤١
- ٢- سوره ٢٩ - آيه ٤٢
- ٣- سوره ٢٩ - آيه ٤٢
- ٤- سوره ٢٩ - آيه ٤٣
- ٥- سوره ٢٩ - آيه ٤٣
- ٦- سوره ٢٩ - آيه ٤٣

٤٤- خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ... (١) أى بغرض صحيح لا- بالباطل لهما و لهما. فإن المقصود بالذات من خلقهما هو إفاضه الخير و إنزال الرحمه على الخلق أجمعين. منها إسكانهم فيهما على اختلاف أجناسهم و أنواعهم و أصنافهم و أفرادهم، و منها دلالتهم مع ما فيهما على ذاته المقدسه و على أوصافه الكامله كما أشار بقوله إِنَّ فِي ذَلِكْ لَمَآيَهٗ لِلْمُؤْمِنِينَ (٢) لأنهم المنتفعون بها حيث إنهم الراسخون فى الإيمان و أهل الاعتبار.

٤٥- أُتِلُّ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ... (٣) فإنَّ قراءته إحياء له و إشاعه لما فيه من الأحكام و الوعد و الوعيد و القصص الاعتبارية و غيرها ممَّا يحصل به التقرب إليه تعالى بتلاوته و حفظ ألفاظه عن الزيادة و النقصان و استكشاف معانيه و لمصالح آخر هو أعلم بها و أقم الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ (٤)

فالقَمَى نقل أن الإمام عليه السلام قال من لم تنهه صلاته عن الفحشاء و المنكر لم يزدد عن الله عز و جل إلا بعدا.

و فى روايه أخرى: فليست صلاته بشيء و قيل: فى قوله: إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى (٥) إلخ.. دلالة على أن فعل الصلاة لطف للمكلف فى ترك القبيح و المعاصى التى ينكرها العقل و النقل، فإذا كان أثرها أنها تنهى عن القبيح تكون توقيفيه و إلا فقد أتى المكلف بها من قبل نفسه. و

عن أبى عبد الله عليه السلام: من أحب أن يعلم أن صلاته قبلت أم لم تقبل فلينظر هل منعه صلاته عن الفحشاء و المنكر؟ فبقدر ما منعه قبلت منه.

و روى أن فتى من الأنصار كان يصلى الصلوات مع رسول الله صلى الله عليه و آله و يرتكب الفواحش. و وصف ذلك لرسول الله صلى الله عليه و آله فقال: إن صلاته تنهاه يوما ما. فلم يلبث أن تاب و لَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ (٦)

فى القمى عن الباقر عليه السلام أنه قال: ذكر الله لأهل الصلاه

ص: ٣٣٣

١- سورة ٢٩ - آيه ٤٤

٢- سورة ٢٩ - آيه ٤٤

٣- سورة ٢٩ - آيه ٤٥

٤- سورة ٢٩ - آيه ٤٥

٥- سورة ٢٩ - آيه ٤٥

٦- سورة ٢٩ - آيه ٤٥

أكبر من ذكرهم إياه. ألا ترى أنه يقول: اذكروني أذكركم؟ و

عن الصادق عليه السلام فى قول الله تعالى وَ لَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ (١) قال: ذكر الله عند ما أحلّ و حرّم. و عن ابن عباس: و لذكر الله إياكم برحمته أكبر من ذكركم إياه بطاعته. و هذه بناء على أنّ المراد بالذكر هو معناه المصدرى أى التذكّر و يحتمل أن يكون بمعناه المصطلح أى التسييح و التمجيد و التحميد و غيرها من الأذكار كما قد روى أن معاذ بن جبل قال: ما نعلم شيئاً أفضل من ذكر الله. ما عمل آدمي عملاً أنجى من عذاب الله من ذكر الله حتى الجهاد، لأنه تعالى قال: وَ لَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ (٢) و

سئل النبي صلى الله عليه و آله عن أحب الأعمال عنده تعالى، قال: أن تموت و لسانك رطب من ذكر الله عزّ و جلّ. فإن ظاهر تلك الروايات أن المراد بالذكر هو ما اصطلاح بينهم مما ذكرنا و لا سيما بقريته ما فى بعضها من الاستدلال بقوله تعالى: وَ لَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ (٣) و فسر بالصلاه أيضاً فى بعض الأقوال.

٤٦- و لا- تُجادلوا أهل الكتاب... (٤) أى لا- تتناقشوا مع اليهود و النصارى من بنى نجران إلا بالتي هي أحسن (٥) إلا بالخصله التى أحسن الخصال كمقابله الخشونه باللين و الغضب بالحلم و المشاغبه بالنصح. و فى هذه الآيه دلالة على وجوب الدعوه إلى الله على أحسن الوجوه و ألطفها و استعمال القول الجميل فى التنبيه على آيات الله و حججه إلا الذين ظلموا منهم (٦) بنيد الذمه أو قولهم بالولد أو الابتداء بالقتال و قولوا آمنا (٧) هذه الشريفه إلى آخرها لعلها مفسّره لمجادله الأحسن و بيان لها من جهه الكيفيه. و

روى عن النبي (ص) أنه قال: لا تصدقوا أهل الكتاب و لا تكذبوهم، و قولوا آمنا بالله و بكتبه و رسله، فإن قالوا باطلا لا تصدقوهم و إن قالوا حقاً لا تكذبوهم. و

روى عن أبى سلمه أن اليهود كانوا يقرءون التوراه بالعبرانيه و يفسرونها للمسلمين بالعربيه، فقال النبي (ص) لا- تصدقوا أهل الكتاب إلخ. ..

ص: ٣٣٤

١- سوره ٢٩ - آيه ٤٥

٢- سوره ٢٩ - آيه ٤٥

٣- سوره ٢٩ - آيه ٤٥

٤- سوره ٢٩ - آيه ٤٦

٥- سوره ٢٩ - آيه ٤٦

٦- سوره ٢٩ - آيه ٤٦

٧- سوره ٢٩ - آيه ٤٦

وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَ مِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَ مَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ (٤٧) وَ مَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَ لَا تَخْطُهُ بِيَمِينِكَ إِذَا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ (٤٨) بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَ مَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ (٤٩) وَ قَالُوا لَوْ لَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَ إِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ (٥٠) أَوْ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَ ذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٥١) قُلْ كَفَى بِاللَّهِ بَيِّنَى وَ بَيْنَكُمْ شَهِيداً يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَ كَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٥٢)

٤٧- وَ كَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ... (١) أى كما أنزلنا الكتب على الأنبياء السابقين أنزلنا إليك القرآن مصدقا للكتب المنزله و موافقا لها فى أصول دين الإسلام فالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ (٢) أى علم الكتاب كآبن سلام و أمثاله، أو المراد من الموصول نفس الأنبياء الذين أرسل إليهم الكتاب لا الأمه كما هو الظاهر يُؤْمِنُونَ بِهِ (٣)

ص: ٣٣٥

١- سوره ٢٩ - آيه ٤٧

٢- سوره ٢٩ - آيه ٤٧

٣- سوره ٢٩ - آيه ٤٧

أى بالقرآن أو بالنبى لاطلاعهم على نعوته و أوصافه(ص)فى التوراه و الإنجيل و غيرهما من الكتب السماويه،و لذا أقروا به قبل بعثته بل قبل ولادته.و قال القمى:هم آل محمّد صلوات الله عليهم أجمعين و من هؤلاء (١) أى من العرب أو أهل مكّه أو ممن عاصر النبى صلى الله عليه و آله من أهل الكتابين من يؤمن به (٢) بالنبى أو بالقرآن و ما يجحد (٣) ينكر و يكفر بآياتنا (٤) مع ظهورها و قيام الحجّه عليها إلا الكافرون (٥) و قال القمى و ما يجحد بأمر المؤمنين و الأئمه عليهم السلام إلا الكافرون (٦) أى المتوغلون فى الكفر المصرّون عليه كأبى جهل و أمثاله من المشركين،و من اليهود نحو كعب بن الأشرف و أمثاله من المعاندين للدين مع جزمهم بصدق القرآن و النبى و علمهم بأن القرآن معجزه له(ص)كما أشار إليه بقوله:

٤٨- و ما كنت تتلوا من قبله من كتاب... (٧) أى قبل ظهور هذا الكتاب الجامع لأنواع العلوم و المعارف على يد أمى لا يعرف و لم يعرف قبل هذا القرآن قراءه و لا- تعلم من أحد،و هو بين أظهرهم خارق للعادة و دالّ على كونه معجزه و لا تخطه يمينك (٨) أى ما كنت تعرف الخط حتى تخطه يمينك و لو كنت تقرأ و تخط إذا لارتاب المبطون (٩) الذين شأنهم الرّيب و الباطل و هم كفره مكّه بقولهم لعله جمعه من كتب الأولين و التقطه منها و هو يقرأه علينا و ينسبه إلى إله السماء.و لما جاء به مع الأئمه فلا- منطقتهم لهذا الاتهام.و كذلك أهل الكتاب لوقعوا فى الشك لو كان من أهل القراءه و الخط حيث إنهم وجدوا أوصافه فى كتبهم أنه أمى لا يعرف القراءه و لا الخط.

٤٩- يَلْهُو آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ... (١٠) القرآن آيات،أى:دلائل على التوحيد و الرساله،بيّنات أى:واضحات ظاهرات فى صدور الذين أوْتُوا الْعِلْمَ (١١)

عن الصادق عليه السلام: هم الأئمه عليهم السلام،و قال:

نحن،و إيانا عنى. و الحاصل أنهم هم الذين يحفظونه عن التحريف و ما يجحد بآياتنا (١٢) الواضحه إلا الظالمون (١٣) بالعناد و المكابره،و قيل هم مطلق الخارجين عن دائره الحق و الصواب،و قيل هم كفار اليهود.

ص: ٣٣٦

١- سورة ٢٩ - آيه ٤٧

٢- سورة ٢٩ - آيه ٤٧

٣- سورة ٢٩ - آيه ٤٧

٤- سورة ٢٩ - آيه ٤٧

٥- سورة ٢٩ - آيه ٤٧

٦- سورة ٢٩ - آيه ٤٧

٧- سورة ٢٩ - آيه ٤٨

٨- سورة ٢٩ - آيه ٤٨

٩- سورة ٢٩ - آيه ٤٨

١٠- سورة ٢٩ - آيه ٤٩

۱۱- سوره ۲۹ - آیه ۴۹

۱۲- سوره ۲۹ - آیه ۴۹

۱۳- سوره ۲۹ - آیه ۴۹

نحن، وإيانا عنى. والحاصل أنهم هم الذين يحفظونه عن التحريف و ما يَجْحِدُ بِآيَاتِنَا (١) الواضحة إِلَّا الظَّالِمُونَ (٢) بالعناد و المكابره، وقيل هم مطلق الخارجين عن دائره الحق و الصواب، وقيل هم كفار اليهود.

٥٠- وَ قَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ... (٣) أى كناهه صالح و عصا موسى و مائه عيسى و نحوها قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ (٤) أى بيده و اختياره ينزلها كما يشاء و حسب مقتضياتها و مصالح عباده و الأزمنه و الأماكنه، لا بيدي و اختياري و إِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ (٥) أى أن وظيفتى هى الإنذار بما أعطيت من الآيات، و التخويف بها من معصيه الله و إظهار الحق من الباطل.

٥١- أَوْ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ... (٦) أى آيه مغنيه عمّا اقترحوه، و هو القرآن الذى أنزلناه عليك يُتْلَى عَلَيْهِمْ (٧) تدوم تلاوته عليهم فهو آيه ثابتة لا- تزول بمرور الدهور و انقضاء الأيام. بخلاف سائر الآيات إِنَّ فِي ذَلِكَ (٨) أى فى الكتاب المعجز المستمر لرحمته و ذكرى (٩) أى نعمه و عظه.

و روى أن أناسا من المسلمين أتوا رسول الله (ص) بكتف كتبه فيه بعض ما يقوله اليهود فقال: كفى بها ضلاله قوم أن يرغبوا عمّا جاء به نبيهم إلى ما جاء به غير نبيهم، فنزلت الآيه الآتيه، قل كفى إلخ...

٥٢- قُلْ كَفَى بِاللَّهِ بَيْنِي وَ بَيْنَكُمْ... (١٠) أى من حيث الشهاده بصدقى، و قد صدقنى بالمعجزات أو بالقرآن الذى شهد بنبوتى فيما قال:

محمد رسول الله أولئك هم الخاسرون (١١) فى صفتهم حيث اشتروا الكفر بالإيمان و النيران برضا الرحمان.

سوره العنكبوت (٢٩): الآيات ٥٣ الى ٥٥

وَ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَ لَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَ لِيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَ هُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٥٣) يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَ إِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ (٥٤) يَوْمَ يَغْشَاهُمْ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَ يَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٥٥)

ص: ٣٣٧

١- سوره ٢٩ - آيه ٤٩

٢- سوره ٢٩ - آيه ٤٩

٣- سوره ٢٩ - آيه ٥٠

٤- سوره ٢٩ - آيه ٥٠

٥- سوره ٢٩ - آيه ٥٠

٦- سوره ٢٩ - آيه ٥١

٧- سوره ٢٩ - آيه ٥١

٨- سوره ٢٩ - آيه ٥١

٩- سوره ٢٩ - آيه ٥١

۱۰- سوره ۲۹- آیه ۵۲

۱۱- سوره ۲۹- آیه ۵۲

٥٣- وَ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ... (١) أى استهزاء، ويقولون أمطر علينا حجاره من السماء وَ لَوْ لَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ (٢) أى أن لكل عذاب و لكل قوم وقتا معيناً، و لولاه لجاهم ما يستعجلونه بَعَثَهُ (٣) عاجلاً و فجأه بحيث لا يشعرون بإتيانه.

٥٤- يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ... (٤) قوله تعالى فى الأوّل هو إخبار عنهم، و فى الثانى تعجّب منهم و متضمّن للاستفهام، أى: أ يستعجلونك به و الحال إنّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ (٥) يعنى و إن لم يأتهم العذاب فى الدنيا لمصالح كثيره، لكن عذاب جهنم سيحيط بهم إحاطه لما عندهم من الكفر و الإلحاد.

٥٥- يَوْمَ يَعْشَاهُمْ الْعَذَابُ (٦) إلخ... أى النار تحيط بهم من جميع جوانبهم بحيث لا- يبقى جزء منهم خارجاً عن النار ذوقوا ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٧) أى جزاء أعمالكم و أفعالكم القبيحه. و هذا من باب إقامه السبب مقام المسبب.

سوره العنكبوت (٢٩): الآيات ٥٦ الى ٦٠

يا عِبَادِى الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِىَ وَاسِعَةٌ فَإِيَّائى فَاعْبُدُونِ (٥٦) كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِنَّا تُرْجَعُونَ (٥٧) وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَبَوَّئْتُهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (٥٨) الَّذِينَ صَبَرُوا وَ عَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٥٩) وَ كَأَيُّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَ إِيَّاكُمْ وَ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٦٠)

ص: ٣٣٨

- ١- سوره ٢٩ - آيه ٥٣
- ٢- سوره ٢٩ - آيه ٥٣
- ٣- سوره ٢٩ - آيه ٥٣
- ٤- سوره ٢٩ - آيه ٥٤
- ٥- سوره ٢٩ - آيه ٥٤
- ٦- سوره ٢٩ - آيه ٥٥
- ٧- سوره ٢٩ - آيه ٥٥

٥٦- يا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ... (١) نزلت هذه الشريفة في جماعه من المسلمين، من الصعاليك و المستضعفين كانوا بمكه يؤذيههم المشركون، فأمروا بالهجرة إلى المدينة فقالوا كيف نخرج إليها و ليس لنا بها دار و لا عقار؟ و من يطعمنا و يسقينا فيين الله تعالى أنه لا عذر للعباد في ترك الطاعة فإنّ تعدّرت الطاعة في بعض البلاد عليهم، فلا بدّ لهم من المهاجرة إلى غيرها. فيستفاد من الكريمة أن الاقامة في دار لا- يمكن فيها العبادة و الطاعة حرام و الخروج منها واجب فإيّاى فاعْبُدُونِ (٢) أى فاعبدونى فى ما يمكنكم من البلاد بعد الهجره إليها. و

فى الجوامع عن النبىّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله: من فرّ بدينه من أرض إلى أرض و إن كان شبرا من الأرض استوجب بها الجنة و كان رفيق إبراهيم و محمد صلوات الله عليهما و على آلهما. ثم إنّه تعالى يخوّف المهاجرين بالموت حتى يسهل عليهم المهاجرة.

يعنى إن كان حبّ الأهل و الأولاد و الوطن أو المصاحبه يمنعكم عن المهاجرة فإنه سيأتيكم يوم لا بدّ فيه من مفارقه هؤلاء لأنه:

٥٧ و ٥٨- كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ... (٣) أى فى كلّ مكان و فى كلّ زمان، سواء كان الشخص فى وطنه أو فى غيره، و فى يوم شبابه أو هرمه فإنه سيموت هو و جميع الناس الآخرين ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ (٤) أى لا محاله أن رجوعكم و عودكم إلينا توفيه للجزاء فلا تقيموا بدار الشرك و توجّهوا إلى دار الإيمان و كعبه الأمن و الأمان أى المدينة المشرفه زاداها الله شرفا، حتى تشتغلوا بفرّاغ البال لعباده الله تعالى و هكذا فى كلّ بلد لا يمكن إظهار شعائر الدّين و الإيمان يجب النقل منه إلى بلد آخر يتمكن الإنسان فيه من

ص: ٣٣٩

١- سورة ٢٩ - آيه ٥٦

٢- سورة ٢٩ - آيه ٥٦

٣- سورة ٢٩ - آيه ٥٧

٤- سورة ٢٩ - آيه ٥٧

العمل بوظائف دينه أى لنزلتْهم مكانا من الجنة أو لثوينهم من الإثواء أى الإقامة عُرفاً (١) أمكنه عاليه رفيعه تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا
الأنهارُ (٢) تحت الغرف خالدين فيها (٣) أى يكونون فى الغرف إلى الأبد، ونعيم أجر العاملين (٤) أى نعمت الجنة أجرا
للعاملين. وحذف المخصوص بالمدح لدلاله الكلام السابق عليه. ثم أخذه سبحانه فى بيان العاملين بذكر أوصافهم فقال:

٥٩- الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ... (٥) أى صبروا على المشاق والمحن والأذى و ينحصر توكلهم عليه سبحانه. فلما
نزلت الشريفة هذه عزموا على المهاجرة إلى المدينة، ولما مشوا و وصلوا إلى أثناء الطريق عرضت لهم الوسوسة و غلبت عليهم
قوة حب الوطن و صعوبه الغربه و أننا نروح إلى بلد لا- يكون لنا فيها دار و لا أسباب معيشه، فقصدوا الرجوع إلى مكه فنزلت
الكريمه:

٦٠- وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ... (٦) القمى قال: كان العرب يقتلون أولادهم مخافة الجوع. فقال الله تعالى اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ
(٧) لأقوالكم العليم (٨) بضمائر كم. و

فى المجمع عن ابن عمر قال: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه و آله إلى بعض حيطان الأنصار فأخذ يأكل تمرًا و قال هذه
صبح رابعه لم أذق طعاما، و لو شئت لدعوت ربى فأعطانى مثل ما ملكك كسرى و قيصر و لكن أريد أن أكون يوما جوعانا و
آخر شبعا. فكيف بك يا ابن عمر إذا بقيت مع قوم يخبئون رزق سنتهم لضعف اليقين؟ قال ابن عمر: فو الله ما برحنا حتى
نزلت: و كأين من دابته لا- تحمّل رزقها (٩) من ناحيه عدم القدره و الطاقه على إيجادها، بل الله تعالى هو الرزاق الكريم لسائر
مخلوقاته. و

قد روى أن من المخلوقات التى تدخر الرزق ثلاثه، هى:

الإنسان، و النمله، و الفأر. و قيل إن العقق يدخر رزقه و لكنه ينسى مكانه.

ص: ٣٤٠

١- سورة ٢٩ - آيه ٥٨

٢- سورة ٢٩ - آيه ٥٨

٣- سورة ٢٩ - آيه ٥٨

٤- سورة ٢٩ - آيه ٥٨

٥- سورة ٢٩ - آيه ٥٩

٦- سورة ٢٩ - آيه ٦٠

٧- سورة ٢٩ - آيه ٦٠

٨- سورة ٢٩ - آيه ٦٠

٩- سورة ٢٩ - آيه ٦٠

وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ (٦١) اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَ يَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٦٢) وَ لَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولَنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (٦٣) وَ مَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَ لَعِبٌ وَ إِنِ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٦٤)

٦١- وَ لَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ... (١) أى إذا سألت أهل مكة عن ذلك لَيَقُولَنَّ اللَّهُ (٢) خلق السماوات وَالْأَرْضَ وَ سَخَّرَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ (٣) فيقرّون بأنه هو سبحانه الفاعل لذلك فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ؟ (٤) أى إلى أين يصرفون عن توحيده تعالى مع إقرارهم بذلك بالفطره؟ ٦٢- اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ... (٥) يوسِّعه على من يشاء وَ يَقْدِرُ (٦) يضيق على من يشاء لحكمه تقتضيها المصلحه. و إنما خصّ الرزق بالذكر بعد ذكر الهجره، لئلا يتخلفوا عنها خوف العيله و الحاجه.

٦٣- وَ لَيْنَ سَأَلْتَهُمْ... (٧) الْحَمْدُ لِلَّهِ... (٨) أى احمد الله على تمام نعمته و كمال قدرته أو على حفظك و متابعتك من الضلاله و حيره الجهاله، و على ما وفقك للاعتراف بالتوحيد، و على الإخلاص فى العباده بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (٩) لا يتفكرون بسبب تناقضاتهم حيث يقرّون بأنه تعالى خالق كل شىء ثم يشركون به الأصنام و يعبدونها و لا يتعقلون بأنهم يفعلون عملا

ص: ٣٤١

- ١- سوره ٢٩ - آيه ٦١
- ٢- سوره ٢٩ - آيه ٦١
- ٣- سوره ٢٩ - آيه ٦١
- ٤- سوره ٢٩ - آيه ٦١
- ٥- سوره ٢٩ - آيه ٦٢
- ٦- سوره ٢٩ - آيه ٦٢
- ٧- سوره ٢٩ - آيه ٦٣
- ٨- سوره ٢٩ - آيه ٦٣
- ٩- سوره ٢٩ - آيه ٦٣

يَكْذِبُ قَوْلُهُمْ حَيْثُ إِنَّهُمْ فِي مَقَامِ الْجَوَابِ عَنْ سُؤْلِ خَلْقِهِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَتَسْخِيرِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَإِنزَالِ الْمَاءِ مِنَ السَّمَاءِ قَالُوا هُوَ اللَّهُ، فَيَاذَا كَانَ الْخَالِقُ وَالْمَنْزِلُ هُوَ اللَّهُ فَهُوَ أَحَقُّ بِالْعِبَادَةِ لَا الْجَمَادَ الَّذِي هُوَ أَحْسَنُ الْأَشْيَاءِ وَأَدْنَاهَا. فَيَعْلَمُ أَنَّهُمْ لَيْسُوا مِنْ أَهْلِ التَّدْبِيرِ وَالتَّفَكُّرِ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ.

٦٤- مَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ... (١) الْفَرْقُ بَيْنَ اللَّهْوِ وَاللَّعِبِ أَنَّ الْمَقْبَلَ عَلَى الْبَاطِلِ لَاعِبٌ بِهِ، وَالْمَعْرُضُ عَنِ الْحَقِّ لَاهٍ. وَالْمَعْنَى أَنَّهُ كَمَا اللَّهْوُ وَاللَّعِبُ يَزُولَانِ بِسُرْعَةٍ فَالْحَيَاةُ أَيْضًا تَزُولُ بِسُرْعَةٍ، فَيَسْتَمْتِعُ الْإِنْسَانُ فِيهَا مَدَّةً قَلِيلَةً ثُمَّ تَنْصَرِمُ وَتَنْقَطِعُ وَيَبْقَى وَبِالْحَقِّ كَمَا أَنَّ الصَّبِيَّانِ يَجْتَمِعُونَ عَلَى مَا يَلْهِيهِ وَيَلْعَبُ بِهِ وَيَتَبَهَّجُونَ وَيَفْرَحُونَ سَاعَةً ثُمَّ يَتَفَرَّقُونَ مَتَعِينِينَ كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مَذْكُورٌ، فَكَذَلِكَ الدُّنْيَا وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ (٢) أَيْ هِيَ دَارُ الْحَيَاةِ الْحَقِيقَةِ لِأَنَّهَا الدَّائِمَةُ الَّتِي لَا زَوَالَ لَهَا حَيْثُ إِنَّهُ لَا مَوْتَ فِيهَا.

وَفِي لَفْظِهِ الْحَيَوَانِ مِنَ الْمَبَالِغَةِ مَا لَيْسَ فِي لَفْظِهِ الْحَيَاةِ لِبِنَاءِ فِعْلَانِ عَلَى الْحَرَكَةِ وَالِاضْطِرَابِ اللَّازِمِ لِلْحَيَاةِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٣) يَعْرِفُونَ أَنَّ الدُّنْيَا دَارُ فَنَاءٍ وَزَوَالٍ، وَأَنَّ الْآخِرَةَ دَارُ بَقَاءٍ لَا فَنَاءٍ فِيهَا لَمَّا آثَرُوا الْحَيَاةَ الْفَانِيَةَ عَلَى الْبَقَاءِ الدَّائِمِ الْخَالِدِ، لَكِنْ لِلْأَسْفِ إِنَّهُمْ لَمْ يَعْلَمُوا وَلَا يَعْلَمُونَ لِأَنَّهُمْ لَيْسُوا مِنْ أَهْلِ التَّدْبِيرِ وَالتَّفَكُّرِ حَتَّى يَعْلَمُوا.

سورة العنكبوت (٢٩): الآيات ٦٥ إلى ٦٩

فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَا اللَّهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ (٦٥) لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (٦٦) أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَنَخْطِفُ النَّاسَ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ (٦٧) وَ مِنْ أَظْلَمِ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ (٦٨) وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ (٦٩)

ص: ٣٤٢

١- سورة ٢٩ - آية ٦٤

٢- سورة ٢٩ - آية ٦٤

٣- سورة ٢٩ - آية ٦٤

٦٥- فَاِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ... (١) أى دعوه فى حاله من أخلص دينه له تعالى مع ما هم عليه من الشرك و الإلحاد، و صاروا لا يذكرون إلا الله سبحانه و لا يتوجهون إلا إليه لعلمهم بأنه لا يكشف الشدائد سواه و لا ينجى من الغرق إلا هو، و كلمه اللّدين (٢) مفعول لمخلصين، و الجارّ متعلق به فلما نجاهم إلى البرّ إذا هم يُشركون (٣) أى حينما خلّصهم الله تعالى من الهلاك و نجّاهم إلى البرّ و رأوا أنفسهم مأمونين من الهلاك عادوا إلى ما كانوا عليه من الإشراك معه تعالى فى العباده ٦٦- لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ... (٤) أى لكى يكفروا بنعمه الإنجاء و لِيَتَمَتَّعُوا (٥) لكى ينتفعوا و يتلذذوا بعكوفهم على أصنامهم. هذا بناء على أن اللّام بمعنى (كى) التعليليه الداخلة على (أن) المصدريه المضمرة و جوبا. و هذه يغلب استعمالها بعد اللّام نحو جئتكم لكى تكرمنى، و يمكن أن تكون لام أمر فيكون للتهديد و لخذلانهم فسوف يعلمون (٦) عاقبه ذلك العكوف على عباده الأصنام و التلذذ بها و اجتماعهم عليها.

٦٧- أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا... (٧) أى أهل مكه ألم يعلموا أننا جعلنا مسكنهم و بلدهم حرماً آمناً (٨) مصوناً من النهب و القتل و السبى و محروساً و ممنوعاً على ذؤبان العرب و يتخطف الناس من حولهم (٩) أى يختلسون و يؤخذون من أطراف مكه فى حين أن مكه و أهلها مع قلتهم و كثره الأعراب فى أمن و أمان من جميع ما يبتلى به الناس من الأسر و القتل و النهب أقبالاً (١٠) أى أبعاد هذه النعمه العظمى التى تتعمون بها و غيرها مما لا يقدر عليه إلا الله تعالى، يتمسكون بالباطل و هو الصنم و الشيطان

ص: ٣٤٣

- ١- سوره ٢٩ - آيه ٦٥
- ٢- سوره ٢٩ - آيه ٦٥
- ٣- سوره ٢٩ - آيه ٦٥
- ٤- سوره ٢٩ - آيه ٦٦
- ٥- سوره ٢٩ - آيه ٦٦
- ٦- سوره ٢٩ - آيه ٦٦
- ٧- سوره ٢٩ - آيه ٦٧
- ٨- سوره ٢٩ - آيه ٦٧
- ٩- سوره ٢٩ - آيه ٦٧
- ١٠- سوره ٢٩ - آيه ٦٧

و يُؤْمِنُونَ (١) به؟ و هل هذا من العدل و الإنصاف و بِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ (٢) أ بحكم الجاهليّة تجوّزون أن يستبدل شكر المنعم بالكفر به أم ببرهان العقل البشرى الحصيف؟ لا هذا و لا ذاك، بل هي طريقه الشيطان و من يتّبعه.

٦٨- وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ... (٣) أى لا أظلم منه كذباً (٤) حين ادّعى الشريك له أو كذّب بِالْحَقِّ (٥) أى الرّسول أو الكتاب لَمَّا جَاءَهُ (٦) حين جاءه فتلقاه من غير تأمل و لا توقّف و لا ترؤّف.

٦٩- وَ الَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا... (٧) أى جاهدوا فى حقنا ما يجب جهاده من النّفس و الشيطان و حزبه لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا (٨) طرق السّير إلينا أو طرق الخير بزياده اللّطف. و فى الحديث: من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم وَ إِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ (٩) أى بالنّصر و الإعانه. و

عن الباقر عليه السلام: إن هذه الآيه لآل محمّد صلّى الله عليه و آله و أشياعهم. و

فى ثواب الأعمال عن الصّادق عليه السلام: من قرأ سورة العنكبوت و الرّوم فى شهر رمضان ليله ثلاث و عشرين فهو و الله من أهل الجنّه لا أستثنى فيه أبداً، و لا أخاف أن يكتب الله علىّ فى يمينى إثمًا، و إنّ لهاتين السّورتين من الله لمكانا.

ص: ٣٤٤

- ١- سورة ٢٩ - آيه ٦٧
- ٢- سورة ٢٩ - آيه ٦٧
- ٣- سورة ٢٩ - آيه ٦٨
- ٤- سورة ٢٩ - آيه ٦٨
- ٥- سورة ٢٩ - آيه ٦٨
- ٦- سورة ٢٩ - آيه ٦٨
- ٧- سورة ٢٩ - آيه ٦٩
- ٨- سورة ٢٩ - آيه ٦٩
- ٩- سورة ٢٩ - آيه ٦٩

مكيه إلا الآيه ١٧ فمدنيه و آياتها ٦٠ نزلت بعد سوره الانشقاق.

سوره الروم (٣٠): الآيات ١ الى ٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الم (١) غَلِبَتِ الرُّومُ (٢) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعِيدٍ عَلَيْهِمْ سَيِّغْلِبُونَ (٣) فِي بَضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَ مِنْ بَعِيدٍ وَيَوْمَئِذٍ يَفِرْحُ الْمُؤْمِنُونَ (٤) بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٥) وَ عِيدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَ لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٦) يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ (٧)

١ إلى ٧- الم، غَلِبَتِ الرُّومُ... (١) و قد ذكرنا في سوره البقره مفتتحات بعض السور و بيانها في الجمله، و قد قيل إن هذه الحروف لا يعلم تفسيرها إلا من خوطب بها و ليتهيأ السامع لما بعدها حيث إن ما بعدها في الأغلب

ص: ٣٤٥

يكون إخبارا عن أمور ستأتي و هو إخبار بالغيب أو معجزه له تعالى. و قيل إن هذه الحروف كانت مقسما بها لكونها مبادئ لأسماء عظيمه، ف قيل إن الألف إشارة لاسم الله تعالى، و اللام لاسم جبرائيل، و الميم إلى محمّد صلّى الله عليه و آله. و المعنى أقسم بهذه الأسماء و الحروف أن الرّوم تغلب بفارس و المسلمين. و التعبير بالماضى مع أنّ مغلوبيتهم كانت بعد زمان نزول الآيه لكونها محققه الوقوع. و قد تمت الغلبه عليهم في أذنى الأرض (١) أى أقرب أرض العرب من أرض الروم كبلادكم و فلسطين، أو المراد أقرب أرض الرّوم إلى فارس نحو كسكر أو الجزيره فإنهما من أقرب أراضي الشام إلى فارس فإنها كانت في تلك العصر من توابع أرض الرّوم. فالألف و اللام عوض عن المضاف إليه أى فى أدنى أرضهم إلى أرض عدوّهم (و هم) أى الروم من بعد غلبهم (٢) انكسارهم سيغلبون (٣) يعودون فينتصرون فى بضع سنين (٤) و بضع تدل على ما بين الثلاث إلى التسع سنين أو إلى العشر، ثم يكون لله الأمر من قبل و من بعد (٥) أى قبل غلبتهم و بعدها. و هذه من الآيات الدالّه على أن القرآن من عند الله عزّ و علا لأن فيه أنباء ما سيكون فى المستقبل الذى لا يعلمه غيره سبحانه و تعالى. و قرئت الأفعال على البناء للمجهول و حينئذ ينعكس التفسير و الله أعلم.

و الحاصل أنّه ليس شيء منهما إلا بقضائه و قدره عزّ و علا. و

فى الخرائج عن الزكّى عليه السلام أنّه سئل عنه فقال: له الأمر من قبل أن يأمر به، و له الأمر من بعد أن يأمر به، يقضى بما يشاء و يؤمّنذ يفرّح المؤمنون بنصر الله (٦) أى يوم غلبه الروم على الفرس يسرّ أهل الإيمان بإعانه الله لنبيّه صلّى الله عليه و آله بإظهار صدق نبيهم فيما أخبر به و يارغام أنف أعدائه صلّى الله عليه و آله من مشركى أهل مكّه، أو يسرّوا لغلبه الروميين على الفرس لأنهم كانوا نصارى و أهل كتاب، و الفرس كانوا مجوسا و ما كانوا من أهل كتاب و لا أرسل إليهم نبيّ. فمن ناحيه الاشتراك فى الكتاب كانوا بغلبتهم فرحين مستبشرين كما أن المشركين صاروا حين غلبه الفرس على الرّوم فرحين بهذه المناسبه و قالوا إنّ الفرس مثلنا أميون فهم منا و نحن منهم

ص: ٣٤٦

١- سورة ٣٠ - آيه ٣

٢- سورة ٣٠ - آيه ٣

٣- سورة ٣٠ - آيه ٣

٤- سورة ٣٠ - آيه ٤

٥- سورة ٣٠ - آيه ٤

٦- سورة ٣٠ - آيه ٤

و من باب الصدفة وافق ذلك يوم نصر المؤمنين بيدر فنزل به جبرائيل عليه السلام و أخبر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله بِغَلْبِهِ الرُّومَ عَلَى الفرس ففرحوا بالنصرين بِنَصْرِ اللهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ (١) أى ينصر بمقتضى الحكمة، هؤلاء تاره و هؤلاء أخرى وَ هُوَ الْعَزِيزُ (٢) القادر بخذلانه لمن يشاء الرَّحِيمُ (٣) العطوف بنصره من يشاء من عباده طبق حكمته و روى إن اليوم الذى يفرح فيه المؤمنون بنصر الله هو يوم غزا المسلمون فارس و افتتحوها ففرحوا بذلك. و أَنَّ ذَلِكَ وَعِدَّةُ اللهِ لَا يُخْلِفُ اللهُ وَعِدَّةَ (٤) الوعد مصدر للفعل المقدر و هو وعد و نصبه به و هو مؤكّد لنفسه حيث إن ما قبله فى معنى الوعد، و هذا نحوه: على ألف درهم اعترافاً. و معناه: وعد الله ذلك و لا يخلف الله وعده حيث إن خلف الوعد عليه ممتنع لأن أله إلى الكذب و الكذب محال فى حقه وَ لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٥) صحه وعده و امتناع الخلف عليه لجهلهم به تعالى. فالناس لا يَعْلَمُونَ (٦) إلا ظاهراً مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا (٧) أى التمتع بزخارفها و التمتع بملاذها و منافعها.

و لا يعرفون منها إلا ما يشاهدون و يعاينون بأعينهم الظاهرية. وَ هُمْ عَنِ الْآخِرَةِ (٨) التى هى الغرض الأصلى منها هُمْ غَافِلُونَ (٩) و قوله ظاهراً من الحياة الدنيا يفيد معنى و هو أن للدنيا ظاهراً و باطناً. أما الظاهر فهو الذى يعلمه الجهال مما قد ذكرناه و أما الباطن فهو كونها مجازاً و ممراً إلى الآخرة فيجب أن يتزوّد الإنسان منها للآخرة بالطاعات و الأعمال الصالحة و التجهّز لها بتلك الأعمال، و هُمْ غَافِلُونَ (١٠) أى لا تخطر بالهم فيرون حاضر الدنيا و يتغافلون عن العقبى.

سورة الروم (٣٠): الآيات ٨ الى ١٠

أَوْ لَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسِيءٍ وَ إِن كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ (٨) أَوْ لَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَ أَثَارُوا الْأَرْضَ وَ عَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَ لَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٩) ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوَاى أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللهِ وَ كَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِؤْنَ (١٠)

ص: ٣٤٧

١- سورة ٣٠ - آية ٥

٢- سورة ٣٠ - آية ٥

٣- سورة ٣٠ - آية ٥

٤- سورة ٣٠ - آية ٦

٥- سورة ٣٠ - آية ٦

٦- سورة ٣٠ - آية ٦

٧- سورة ٣٠ - آية ٧

٨- سورة ٣٠ - آية ٧

٩- سورة ٣٠ - آية ٧

١٠- سورة ٣٠ - آية ٧

٨- أَوْ لَمْ يَتَّفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ... (١) أى فى أمرها فإنها أقرب شىء إليهم و فيها ما فى العالم الأكبر من عجائب الصّنع فلو كانوا يتفكّرون فيها لعلموا و لتحقق لهم أن قدره مبدعها على إعادتها،هى قدرته على إبداعها بل أسهل فلم يخلق السماوات و الأرض إلاّ بِالْحَقِّ (٢) قيل معناه:إلاّ للحق، أى لاقامه الحق و معناه للدلالة على الصّانع و التعريض للثواب و يحتمل أن يكون المعنى:إلاّ لغرض صحيح و حكمه بليغه و هو الاستدلال بها على التوحيد بعد إثبات الصّانع بها و الدلالة على قدرته الكامله البديعه،لا أن خلقتها باطل و عبث تعالى الله عن ذلك و أَجَلٍ مُّسَمًّى (٣) تنتهى عنده و لا تبقى بعده.و هو عطف على بِالْحَقِّ (٤) و المراد به هو يوم القيامة الّذى تغنى فيه السّماوات و الأرض مع ما فيهما و ما بينهما.و هذا نوع من التنبية،و نوع آخر من التنبية هو قوله سبحانه:

٩- أَوْ لَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ... (٥) الاستفهام للتقرير،يعنى لا بدّ من السير فيها لينظروا إلى مصارع عاد و ثمود و أهل الأيكة و غيرها من آثار المدّمّرين قبلهم حينما يسافرون للتجاره فيروا كيف كان عاقبه الذين من قبلهم (٦) هذا بيان لنتيجه سيرهم ليعتبروا بذلك حيث إنهم كانوا أشدّ منهم من جميع الجهات،وقد أشار تعالى إلى أنهم كانوا أشدّ قوّة (٧) و أشاروا للأرض (٨) قلبوا وجهها أى ظاهرها إلى باطنها و بالعكس للزّراع و غرس الأشجار و استخراج المعادن و استنباط المياه.و تسميه الإثارة هنا عبّر بها عن تقلب الأرض و إثارتها و عمّروها (٩) بناء الدّور و تشييد القصور و غيرها أكثر ممّا عمّروها (١٠) أى المكيون الذين يسكنون بواد غير ذى زرع مع كونهم فاقدين لأسباب العماره.أو المعنى أن الذين قبلهم كانوا أكثر إعمارا من قريش فما كان الله ليظلمهم (١١) ياهلا-كهم بلا- إرسال رسل و بلا- إتمام حجه بالبينات و البراهين و إظهار المعجزات على أياديهم و لكنّ كانوا أنفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ (١٢) حيث عملوا ما أدّى إلى تدميرهم علما منهم بموجبات التدمير و الاستئصال بسبب جحدهم و كفرهم مع معرفتهم بصدق الرّسل و ما جاؤوا به.و فى الآيه تهكّم بأهل مكّه حيث كانوا مغترّين بدنياهم، فالله تعالى بين أنهم أضعف من المخلوقين بمراتب لأن مدار أمر الدنيا على التّبسّط فى البلاد و التسلّط على العباد و التصرف فى أقطار الأرض بأنواع العمارات و المسيطرات.و هذه الأمور بحذافيرها مسلوبه عنهم لأنهم كما قلنا أضعف الأمم و أقلهم عدّه و وعدّه.

ص: ٣٤٨

١- سورة ٣٠ - آيه ٨

٢- سورة ٣٠ - آيه ٨

٣- سورة ٣٠ - آيه ٨

٤- سورة ٣٠ - آيه ٨

٥- سورة ٣٠ - آيه ٩

٦- سورة ٣٠ - آيه ٩

٧- سورة ٣٠ - آيه ٩

٨- سورة ٣٠ - آيه ٩

٩- سورة ٣٠ - آيه ٩

١٠- سورة ٣٠ - آيه ٩

۱۱- سوره ۳۰- آیه ۹

۱۲- سوره ۳۰- آیه ۹

٩- أَوْ لَمْ يَسْتَيِّرُوا فِي الْأَرْضِ... (١) الاستفهام للتقرير، يعنى لا بد من السير فيها لينظروا إلى مصارع عاد و ثمود و أهل الأيكة و غيرها من آثار المدمرين قبلهم حينما يسافرون للتجاره فيروا كيف كان عاقبه الذين من قبلهم (٢) هذا بيان لنتيجه سيرهم ليعتبروا بذلك حيث إنهم كانوا أشد منهم من جميع الجهات، و قد أشار تعالى إلى أنهم كانوا أشد قوه (٣) و أشاروا الأرض (٤) قلبوا وجهها أى ظاهرها إلى باطنها و بالعكس للزراعه و غرس الأشجار و استخراج المعادن و استنباط المياه. و تسميه الإثاره هنا عتبر بها عن تقليب الأرض و إثارتها و عمروها (٥) بناء الدور و تشييد القصور و غيرها أكثر مما عمروها (٦) أى المكيون الذين يسكنون بواد غير ذى زرع مع كونهم فاقدين لأسباب العماره. أو المعنى أن الذين قبلهم كانوا أكثر إعمارا من قريش فما كان الله ليظلمهم (٧) بإهلا- كههم بلا- إرسال رسل و بلا- إتمام حجه بالبينات و البراهين و إظهار المعجزات على أياديهم و لكن كانوا أنفستهم يظلمون (٨) حيث عملوا ما أدى إلى تدميرهم علما منهم بموجبات التدمير و الاستئصال بسبب جحدهم و كفرهم مع معرفتهم بصدق الرسل و ما جاؤوا به. و فى الآيه تهكم بأهل مكه حيث كانوا مغترين بدنياهم، فالله تعالى بين أنهم أضعف من المخلوقين بمراتب لأن مدار أمر الدنيا على التبسط فى البلاد و التسلط على العباد و التصرف فى أقطار الأرض بأنواع العمارات و المسيطرات. و هذه الأمور بحذافيرها مسلوبه عنهم لأنهم كما قلنا أضعف الأمم و أقلهم عدّه و وعدّه.

١٠- ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوَاى... (٩) أى عملوا عملا- كان نتيجه نار جهنم. و هى معنى السوای و جاءت السوای مؤنث (أسوء) الذى هو فعل تفضيل كحسنى و كبرى أن كذبوا بآيات الله و كانوا بها يستهزون (١٠) و يحتمل أن يكون عاقبه (١١) منصوبا خبر (كان) و اسمه (السوای) فى محل الرفع كما فى قوله تعالى: وَ كَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ (١٢) و كلمه أن (١٣) مفسره للخبر بجملته، و يحتمل أن يكون عاقبه (١٤) مرفوعا اسم كان و السوای (١٥) فى موضع النصب مفعولا- ل أساءوا (١٦) و جمله أن كذبوا (١٧) خبر كان. و بناء على الاحتمال الأول يمكن أن تكون جمله أن كذبوا (١٨) فى مورد العله، أى لأجل تكذيبهم بالآيات و استهزائهم بها.

سوره الروم (٣٠): الآيات ١١ الى ١٦

اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (١١) وَ يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ (١٢) وَ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءٌ وَ كَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ (١٣) وَ يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُؤْمِنُونَ (١٤) فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضِهِ يُحْبَرُونَ (١٥) وَ أَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَ لِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ (١٦)

ص: ٣٤٩

١- سوره ٣٠ - آيه ٩

٢- سوره ٣٠ - آيه ٩

٣- سوره ٣٠ - آيه ٩

٤- سوره ٣٠ - آيه ٩

٥- سوره ٣٠ - آيه ٩

٦- سوره ٣٠ - آيه ٩

- ۷- سوره ۳۰- آیه ۹
- ۸- سوره ۳۰- آیه ۹
- ۹- سوره ۳۰- آیه ۱۰
- ۱۰- سوره ۳۰- آیه ۱۰
- ۱۱- سوره ۳۰- آیه ۱۰
- ۱۲- سوره ۳۰- آیه ۴۷
- ۱۳- سوره ۳۰- آیه ۱۰
- ۱۴- سوره ۳۰- آیه ۱۰
- ۱۵- سوره ۳۰- آیه ۱۰
- ۱۶- سوره ۳۰- آیه ۱۰
- ۱۷- سوره ۳۰- آیه ۱۰
- ۱۸- سوره ۳۰- آیه ۱۰

١١- اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ... (١) يخفى أن في الآيه السابعه السابقه على هذه الكريمه أمر الله تعالى بالتفكر في الأنفس حيث إنها أقرب للمتفكر من غيرها فيحصل للإنسان مرآه من التفكر في النفس فيرى بها ما يتجلى في سائر المخلوقات ليتحقق له بذلك أن القادر على إبداع هذه المخلوقات من العدم، قادر على إعادتها بعد إفنائها. ثم كرر هذا المعنى في هذه الآيه بقوله اللَّهُ يَبْدَأُ (٢) إلخ من باب تذكير النعمه و تبيين القدره حيث إن الذكرى تنفع المؤمنين، و تأكيداً لما في السابق. و المعنى أنه تعالى يخلقهم ابتداءً ثم يعيدهم بعد الموت أحياء كما كانوا ثمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٣) للجزاء أما العدول من الغيبه إلى الخطاب فللمبالغه في المقصود، و قرئ يرجعون بياء الغيبه.

١٢- وَ يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ... (٤) أى يتحيرون فى أمرهم و ييأسون من رحمه ربهم فهم محزونون منكسرون صامتون.

١٣- وَ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءٌ... (٥) أى ممن أشركوهم بالله لم يكن لهم من يعينهم و يجيرهم من العذاب و شدائد يوم القيامه وَ كَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ (٦) جاحدين متبرئين منهم.

ص: ٣٥٠

١- سوره ٣٠ - آيه ١١

٢- سوره ٣٠ - آيه ١١

٣- سوره ٣٠ - آيه ١١

٤- سوره ٣٠ - آيه ١٢

٥- سوره ٣٠ - آيه ١٣

٦- سوره ٣٠ - آيه ١٣

١٤- وَ يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُومِنُدِ يَتَفَرَّقُونَ... (١) أى يتميِّزون و يقسِّمون فريق فى الجنه و فريق فى السعير، أصحاب اليمين فى أعلى عليين، و أصحاب الشمال فى أسفل سافلين و هو قوله تعالى الميِّن لما قبله.

١٥- فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا... (٢) فهم فى روضه يجبرون أى فى جنه ذات أرض خضراء تتدفق فيها المياه، يسرّون و تطفح وجوههم بالبشر و الفرح. و قال القمى: يكرمون، و الحبور أصله السرور. و فى وجه سرورهم أقوال:

فعن أبى الدرداء- كما فى مجمع البيان- عن النبىِّ صلّى الله عليه و آله أنه ذكر الجنه و ما فيها من النعم، و فى آخر القوم أعرابى فقال: يا رسول الله، هل فى الجنه سماع (أى غناء) قال (ص): نعم يا أعرابى، إنّ فى الجنه لنهرا حافتاه أبقار من كلّ بيضاء خوصائيه يتغنين بأصوات لم تسمع الخلائق مثلها قط، و ذلك أفضل نعم الجنه. و قد قيل إن هذا المشهد من أعظم المظاهر الموجهه لسرور أهل الجنه، بحيث تتهلّل وجوههم له و تسرّ نفوسهم و تنتعش قلوبهم. و

فى ذيل هذه الروايه أن أبا الدرداء سأل عن أنّ المغنّيات فى الجنه بأى شىء يتغنين؟ قال صلّى الله عليه و آله:

بالتسبيح. و

فى بعض الروايات: بالتسبيح و ليس بمضمار الشيطان. و

عن النبىِّ صلّى الله عليه و آله أيضا: إنّ فى الجنه لشجره تؤمر أن اسمعى صوتك عبادى الذين منعوا أنفسهم عن استماع الغناء فى الدنيا طلبا لرضائى، فيسمع منها صوت تسبيح و تهليل بكيفيه ما سمع الخلائق مثلها أبدا، فيلذذون بنغمتها كمال اللذّه. جعلنا الله تعالى ممّن يحوز رضاه و يتنعم بما أعدّه من السرور لعباده الصالحين فى أخراه بمئنه و كرمه.

١٦- وَ أَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا... (٣) أى كفروا بنا و بوحدانيتنا، و لم يصدّقوا دلائلنا، و كذبوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ (٤) بيوم الحشر و القيامه فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُخَضَّرُونَ (٥) محشورون فى جهنّم لا- يفارقون العذاب و لا- يغيبون عنه. و لفظ (الإحضار) لعله لا يستعمل إلا فى ما يكرهه الإنسان، إذ يقال: أحضر فلان مجلس القضاء، إذا جىء به

ص: ٣٥١

١- سورة ٣٠ - آيه ١٤

٢- سورة ٣٠ - آيه ١٥

٣- سورة ٣٠ - آيه ١٦

٤- سورة ٢٣ - آيه ٣٣

٥- سورة ٣٠ - آيه ١٦

مخفورا أو مطلوبيا على الأقل إلى ما لا- يؤثره و لا- يحبه. و منه: أحضروه إلى مجلس الحاكم، و إلى حضره الخليفة، و إلى دار السلطان، لمحاسبه على جرم ارتكبه، أو لمحاكمته على فريه نسبت إليه.

سوره الروم (٣٠): الآيات ١٧ الى ١٩

فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَ حِينَ تُصْبِحُونَ (١٧) وَ لَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ عَشِيًّا وَ حِينَ تُظْهِرُونَ (١٨) يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَ يُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَ كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ (١٩)

١٧ و ١٨- فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَ حِينَ تُصْبِحُونَ... (١) سبحانه:

أى تقديسا له عزّ و علا. و قد ذكر هنا ما تدرك به النّجاه و الفوز بالجنّه و ما يكون سببا لنيلهما، و هو تسيّحه تبارك و تعالى. و الجملة واقعه خبرا إذ المراد: و الأمر سبحان الله... يعنى: الأمر هو أن تسبحوه و تنزهوه عمّا لا- يليق به حين تمسون: تدخلون فى المساء، و حين تصبحون: تدخلون فى الصباح، فإنّ ذكركم له بالتقديس فى هذين الوقتين من أفضل العمل و له الحمد (٢) أى الثناء و المدح فى السّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ (٣) ممّن فيهما فإنه المستحق لمدح أهلها لإنعامه عليهما، فلا بدّ من أن يحمده عشيّا (٤) حين يدخلون فى العشيّه وَ حِينَ تُظْهِرُونَ (٥) تدخلون فى الظهيرة و تقديم الظرف أى الخبر على الحمد أى المبتدأ للحصر لأنّ غيره لا يستحق مدحا.

و هذه الآيه كسابقتها فى كونها إخبارا و لكنها فى معنى الأمر بالثناء عليه فى خصوص هذه الأوقات لشرافتها و عظمتها عنده تعالى على غيرها من الأوقات و اعلم أن ذكره تعالى حسن فى كل الأحوال و الأوقات، و حمده و الثناء عليه و تنزيهه عمّا لا يليق بجنابه و تمجيده و شكره واجبه كلّها فى جميع الأوقات، فالاختصاص لما ذا؟ و الجواب: أن الإنسان ما دام فى الدنيا لا

ص: ٣٥٢

١- سوره ٣٠ - آيه ١٧

٢- سوره ٣٠ - آيه ١٨

٣- سوره ٣٠ - آيه ١٨

٤- سوره ٣٠ - آيه ١٨

٥- سوره ٣٠ - آيه ١٨

يمكنه أن يصرف جميع أوقاته في أمور معاده بل هو محتاج إلى صرف مقدار منها في معاشه من تحصيل المأكل والمشروب والملبس والمسكن وغير ذلك مما يحتاج إليه البشر الذي هو مدنى الطبع، واحتياجه أكثر من الحيوانات الأخر فأشار الله إلى أوقات إذا أتى العبد بتسييح الله تعالى فيها أدرك الأول والآخر والأوسط، فكأنه لم يفتر في أوقاته كلها ليلا ونهارا وكان ملازما للتسييح والذكر على الدوام كالملائكة الذين لا يفترون. ويظهر مما ذكرنا عله أخرى لاختياره تعالى هذه الأوقات مضافا إلى شرافتها وعظمتها اللتين ذكرناهما، أن في تلك الأوقات تظهر قدرته وتجدد فيها نعمته. وقيل إن الآيتين جامعتان للصّومات الخمس: تمسون: صلاة المغرب والعشاء، و تصبحون: صلاة الفجر، وعشيا: صلاة العصر، وتظهرون: صلاة الظهر. ولا يخفى ما فى تقديم وقت صلاة العصر على الظهر فتأمل.

١٩- يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ... (١) فى القمى: يخرج المؤمن من الكافر، و كالإنسان من النطفه، و الدجاجة من البيضة و يُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ (٢) الكافر من المؤمن، و النطفه من الإنسان، و البيضة من الطائر، و يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا (٣) يحييها بالنبات بعد موتها باليبس و كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ (٤) أى مثل هذا الإخراج تخرجون من قبوركم فلم تنكرون الحشر و النشر يوم القيامة؟ و

فى الكافى عن الكاظم عليه السلام فى قوله: يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا (٥) ،قال: ليس يحييها بالقطر، و لكن يبعث الله رجلا فيحيون العدل، فتحيا الأرض لإحياء العدل، و لإقامه الحد فيه أنفع فى الأرض من القطر أربعين صباحا. ثم إنه سبحانه تنبها للعبيد على دلائل قدرته و براهين توحيده يقول معددا لتلك الدلائل:

سوره الروم (٣٠): الآيات ٢٠ الى ٢٥

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ (٢٠) وَ مِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَ جَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَ رَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٢١) وَ مِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ اخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَ أَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ (٢٢) وَ مِنْ آيَاتِهِ مَنْامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَ النَّهَارِ وَ ابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ (٢٣) وَ مِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَ طَمَعًا وَ يُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٢٤) وَ مِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَ الْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ (٢٥)

ص: ٣٥٣

١- سوره ٣٠ - آيه ١٩

٢- سوره ٣٠ - آيه ١٩

٣- سوره ٣٠ - آيه ١٩

٤- سوره ٣٠ - آيه ١٩

٥- سوره ٣٠ - آيه ١٩

٢٠- وَ مِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ... (١) أى من آدم و أصله تراب.

أو المراد أنكم مخلوقون من التُّطفه و هى من الأغذيه و هى من الأرض تُمَّ إذا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ (٢) إذا (٣) فجائيه. و حاصل المعنى و الله أعلم ثم إنه بعد الخلقه من التربه بعتة من غير أن تشعروا كنتم بشرا متفرقين فى الأرض و متوطنين فيها، كقوله: وَ بَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَ نِسَاءً.. (٤) فهلاً دلكم هذا الأمر العجيب على أنه لا يقدر على ذلك غيره تعالى و هو المستحق للعباده لا غيره؟ و الشريفه عطف على ما تقدم ممّا دلّ العباد و نبههم على شواهد التوحيد و دلائل القدره كإخراج الحى من الميت و عكسه، و إحياء الأرض بعد الإماتة. و هذه الخلقه محيره للعقول لأين التراب أبعد العناصر عن درجه الحياه من حيث طبعه و طبيعته، فإن

ص: ٣٥٤

١- سوره ٣٠ - آيه ٢٠

٢- سوره ٣٠ - آيه ٢٠

٣- سوره ٣٠ - آيه ٢٠

٤- سوره ٤ - آيه ١

التراب طبعاً بارد يابس، والحياء حارّه رطبه. وكذلك من حيث لونه فإن التراب جسم كدر، والروح التي هي مدار الحياه جسم نير، والتراب ثقيل والروح خفيفه، والتراب كثيف والروح لطيفه. ومن حيث السكون فإن التراب بعيد عن الحركة غايه البعد، والحيوان متحرك إلى جميع جهاته حسب طبيعته. فظهر أنّ التراب أبعد العناصر ماده عن قبول الحياه حيث بينهما تضادّ بخلاف الماء فإن فيه الصفاء والرطوبة والحركة لأنه جسم سيال رطب طبعاً. وكل صفاته على طبع الأرواح ملائمها لها. والنار أيضاً قريبه إلى الحياه لأنها كالحركة الغريزيه التي تولد الحرارة الغريزيه، وهي منضجه جامع مفرقه، وكذا الهواء أيضاً، فهو أقرب إلى الروح والحياه لخفته وصفائه ولطافته. فهو جلّ وعلا خلق آدم من أبعد الأشياء عن مرتبه الحياه وجعله حياً لإظهار كمال القدره و غايه الحكمه وهو عليه السلام في أعلى المراتب من الأجسام والنبات والحيوان. وكيف لا يكون كذلك وهو المسيح والحامد والمهلل والمكبر، وقد شابه الملائكه في التسيح والتحميد بل كان أعلى منهم مرتبه لأنه أعلم منهم. فهذه الخلقه أعلى الآيات والشواهد على ربوبيته و وحدانيته وقدرته وحكمته، فاللهم عرفنا نفسك و نبيك و وليك.

٢١- وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ... (١) أى أبداع و أوجد لكم (زوجات) كانت مماثله و مشاكله لكم و من جنسكم، لأن الجنس إلى الجنس أميل و آنس، و يمكن أن يكون المراد بكون الأزواج من أنفسكم هو حواء بناء على خلقها من ضلع آدم، ثم خلقت النساء بعد ذلك من التطف الخارجه من أصلاب الرجال، فهن مخلوقات من أنفس الرجال حدوثاً و بقاء لئن كنوا إليها (٢) أى لتستأنسوا بها و تميلوا إليها بحكم السنخيه الحاصله من اتحاد الجنس و المماثله، كما أن الاختلاف فى الجنس سبب للتنافر و التنازع و جعل بينكم موده و رحمه (٣) أى أحدث و أوجد بواسطه الزواج بينكم و بين أزواجكم، بل بين عشيرتكم و عشيره الأزواج ببركه الزواج تواذاً و تحاباً حتى لو كان بين العشيرتين قبل حدوث الزواج تخاصم و تنازع،

ص: ٣٥٥

١- سورة ٣٠ - آيه ٢١

٢- سورة ٣٠ - آيه ٢١

٣- سورة ٣٠ - آيه ٢١

فإنه يحصل التألف بعد نعمة الزواج بمجرد حدوثه. والحاصل أن حصول التحابّ والتآلف بين الزوجين من غير معرفه ورحم بينهما أمر عجيب، حيث يصير بينهما تواؤد و تراحم لا- نجدهما بين أى شخص و شخص آخر حتى بين الوالد و الولد و الأم الشفيقه و بنتها بهذه الكيفيه المستمره الدائمه.

فهذه آيه غريبه و هى أدلّ آيه على القادر الحكيم و الصانع العليم و إن قيل إن هذه المودّه تولدت من ناحيه الشهوه و هى تزول بزوالها، فنقول: أوّلا- هذه الشهوه من أين جاءت لولا- أنّها وديعه أودعها الله سبحانه فى أصلاب الرجال و أرحام النساء بهذه الكيفيه التى أفضت إلى المودّه و الرحمه بينهما.

فمن يقدر أن يخلق تلك الشهوه غيره تعالى؟ هذا، و ثانيا إنا نرى أنّ الزوجه قد تخرج من محلّ الشهوره و مورد اللذّه بكبر أو مرض، ثم يبقى قيام الزوج بها ناشئا عن الحب لها و الرحمه بها، و بالعكس. و ليس ذلك إلاّ بجعله سبحانه و إيداعهما المودّه المتبادله. و هذا لا يتنافى مع ما يحدث من الشقاق بين الطبقة الدنيا و ذوى النفوس الوضيعه مما ينشأ من ضعف فى الأخلاق و نقص فى التربه. الآيه تشير إلى أن الواجب أن تسود بين الأزواج المودّه و الحنان و الرحمه و الإحسان كيف لا- و هم شركاء البأساء و النعماء و الضراء و السراء؟ إنّ فى ذلك لآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (١) أى جعل الأزواج بهذه الكيفيه المطبوعه آيات و شواهد لأهل التدبّر و التفكير فيعلمون ما فى ذلك من المصالح و الحكم.

٢٢- وَ مِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ... (٢) لَمَّا بَيَّنَّ سُبْحَانَهُ الدَّلَائِلَ الْأَنْفُسِيَّةَ ذَكَرَ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى الْبِرَاهِينَ وَ الشَّوَاهِدَ الْآفَاقِيَّةَ، وَ أَظْهَرَهَا خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ مَا فِيهِمَا مِنْ عَجَائِبِ الصَّيْنَعِ وَ بَدَائِعِ الْخَلْقِ نَحْوَ مَا فِي السَّمَاوَاتِ مِنَ الشَّمْسِ وَ الْقَمَرِ وَ سَائِرِ الْأَنْجَمِ وَ جَرِيَانِهَا فِي مَجَارِيهَا الْمَعْيَنَةِ عَلَى تَنَاسُقٍ وَ تَنَازُمٍ خَاصٍّ بِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا، وَ نَحْوَ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ أَنْوَاعِ الْجِمَادِ وَ النَّبَاتِ وَ الْحَيَوَانَ عَلَى اخْتِلَافِهَا جِنْسًا وَ نَوْعًا وَ صِنْفًا مَعَ مَا فِيهَا مِنْ إِحْكَامِهَا وَ إِتْقَانِهَا وَ مَعَ اخْتِلَافِ أَلْوَانِهَا وَ طَعْمِهَا وَ رَائِحَتِهَا وَ خَوَاصِّهَا وَ آثَارِهَا

ص: ٣٥٦

١- سورة ٣٠ - آيه ٢١

٢- سورة ٣٠ - آيه ٢٢

المختلفه..و وجه ما قلنا من كون السماوات و الأرض أظهر الآيات لأن بعض الملاحظه كان يناقش فى خلق البشر و غيره و أن البشر و أمثاله كان بسبب ما فى العناصر من الكيفيات التى تتركب منها الأشياء،و لكن سها الملحد أنه لا يقدر أن يلقى هذه الشبهه فما بسبب امتزاج العناصر وجدت هذه الكائنات التى ليست من العناصر و اختلف ألوانكم (١) أى من حيث اللغات فإن لكل صنف لغه إما بتعليم الله تعالى و إما بالهامه لهم،من العربى و الفارسى و التركى و الزنجى و الهندى و الروسى و أمثالهم من أهل اللغات،و إما بإعطائهم القدره على جعل اللغات و وضعها بكيفيه تركيبها من الحروف الهجائيه و من حيث الأصوات و كيفيه أدائها،فإنه لا يوجد منطق يتماثل و يساوى من جميع الجهات منطقا آخر من الهمس و الجهر،و الرخاوه و الحده و الفصاحه و اللكنه و كيفيه النظم و الأسلوب و غيرها من صفات النطق و أحوالها.و قال صاحب اللباب بأن أصول اللغات اثنان و سبعون أصلا و ألوانكم (٢) من الأبيض و الأسود و الأحمر و الأصفر،أو المراد اختلاف خلق الأعضاء و الهيآت و الأشكال على وجه يمايز فيعرف كل شخص من الآخر و لولا ذلك التمايز و التعارف سواء حصل من ناحيه الألوان أو من اختلاف الصّور و الهيآت و الأشكال و كان الأوادم متوافقون متماثلون متساوون فى الأشكال و الصّور من جميع الخصوصيات،لصار موجبا للتجاهل و الالتباس فتتعطل مصالح كثيره و تقع مفاسد إلى ما لا نهاية له و يختل النظام العام كما لا يخفى على من له أدنى دربه فتبارك الله أحسن الخالقين،و الحمد لله على تلك النعم العظيمه.ثم إنه سبحانه جعل التمايز و التعارف بأمرين:للمبصر بالألوان،و للأعمى باختلاف الألسنه و الأصوات،و من كان بحكم الأعمى أيضا يعرف أن المتكلم وراء جدار أو مانع آخر من المشاهده.و هذه الآيات الثلاث المذكوره فى الشريفه المزبوره أدل دليل على تمام القدره و كمال الحكمه من صانع حكيم ثم قال تعالى: إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ (٣) فتبه بقوله هذا بناء على قراءه فتح لام العالمين أن هذه الآيه العظيمه من الآفاقية و الأنفسيه

ص: ٣٥٧

١- سورة ٣٠ - آيه ٢٢

٢- سورة ٣٠ - آيه ٢٢

٣- سورة ٣٠ - آيه ٢٢

تدلّ جميع أهل العوالم من ذوى العقول على الصّانع الحكيم و على قدرته الكامله و لا تختصّ بصنف دون صنف و لا بطائفه دون أخرى لأظهرتّها التامه و أوضحتّها الباهره العالميه بخلاف ما قبلها و ما بعدها من الآيات.

و لهذا اختصّها بصنف خاصّ و طائفه معينه (كالقوم المتفكرين- و لقوم يسمعون، و لقوم يعقلون أو يعلمون و أمثالهم من أهل التدبّر و التأمّل) لكونها ليست بتلك المثابه من الوضوح و التبيّن.

٢٣- وَ مِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ... (١) المنام مصدر كالنوم، و هو غشيه ثقيله تهجم على القلب فتبطل عمل الحواسّ و تضعف عمل بعض الجوارح كالقلب، و تبطل عمل الجوارح الأخرى كما هو المحسوس المشاهد. و عرّفه بعض الأكابر بأنه ريح تقدم من أغشيه الدماغ فإذا وصلت إلى العين فترت، و إذا وصلت إلى القلب نام. و حدّده الفقهاء بذهاب حاسه البصر و السمع و غياب إدراكهما عنهما و المعنى أنّ من الآيات الداله على قدرته الكامله نومكم فى بعض الليل، و فى النهار لاستراحه القوى النفسانيه و الحيوانيّه و الطبيعيه، و طلب معاشكم فى البعض الآخر منهما إنّ فى ذلك لآياتٍ لِقَوْمٍ يَشْمَعُونَ (٢) أى لهم آذان واعيه تسمع سماع تدبّر و استبصار.

٢٤- وَ مِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَ طَمَعًا... (٣) و البرق مصدر نور يلمع فى السماء على أثر انفجار كهربائى فى السحاب، أى من استكاك يحصل و يحدث فيه خَوْفًا (٤) أى حال كونه مخوفًا، لأنه حين حدوث البرق يحدث نوعا الرعد الذى هو صوت السحاب حين استكاكه، و يحدث من الرعد الشّديد نار تسقط من السماء بحيث تحرق الجبال فكيف بغيرها و هو الذى يسمّى بالصّاعقه.

فالبرق يصير مقدمه نوعا لسقوط الصّاعقه فلذا كان مخوفًا وَ طَمَعًا (٥) أى مطمعا بحصول المطر الذى هو خير لأن فيه نفعا كثيرا. و الحاصل أن البرق آيه كبيره حيث انه يحدث و يخرج من السحاب مع أنه ليس فى

ص: ٣٥٨

١- سورة ٣٠ - آيه ٢٣

٢- سورة ٣٠ - آيه ٢٣

٣- سورة ٣٠ - آيه ٢٤

٤- سورة ٣٠ - آيه ٢٤

٥- سورة ٣٠ - آيه ٢٤

السحاب إلا ماء و هواء، و خروج النور و هو البرق، و النار و هو الصّاعقه من السّحاب الحامل للماء و الهواء، أمر عظيم و آيه كبرى تدلّ على اللطيف الخبير و قدرته الكامله و يُنزلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا (١) عطف على قوله: يريكم، أى: و من آياته تنزيله الماء أى الغيث من سماء الأرض أى الفضاء المرتفع فوقها المنبسط عليها المحيط بها سواء قلنا بتكوّنه المياهِ فى الفضاء و جذب السّحاب إياه، أو قلنا بتكوّن الماء فى الأرض و حمل السّحاب إياه من البحار و تصعّده به إلى الفضاء و نزوله منه بهذه الكيفيه المشهوده بقدرته الكامله. و نتيجة هذه الأمطار إحياء الأرض بإنباتها بعد موتها بجذبها و يبسها إِنَّ فِي ذَلِكَ (٢) أى فى هذه الآيات السّماويه الآفاقية لآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٣) شواهد و دلالات لرجال يستعملون عقولهم فى الاجتهاد لمعرفة أسباب الحوادث و كيفيه تكونها ليعرفوا كمال قدره الصّانع و حكمته فى كل حادثه.

٢٥- وَ مِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَ الْأَرْضُ بِأَمْرِهِ... (٤) أى بلا دعاه تدعّمها و لا علاقته تتعلّق بهما بل بأمره سبحانه لهما بالقيام كقوله تعالى: إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ: كُنْ فَيَكُونُ. (٥) و معنى القيام هو الثبات و الدوام. فيقال: الجدار قائم أى ثابت لا يزول عن مكانه. و يحتمل أن يكون المراد من قيام السّماء و الأرض قيام أهلها فى عالم الكون و الفساد أى فى الدنيا. فإن أهل السماء و الأرض لا يزالون فيها و أهل الأرض و إن تطرّق إليهم الموت لكنّهم نائمون فى قبورهم و عالم القبر يحسب من الدّنيا كما برهن فى محلّه بل هو أمر محسوس لا- ريب فيه حتى يحتاج إلى اقامه برهان لأن القبر مكان من أمكنه الأرض و الأموات نائمون فيه و الأرواح فى قبضه الله تعالى بمقتضى الكتاب و السنه، و مثل الأرواح مثل أرواح أصحاب الكهف عينا، فهى فى الأجساد إذا لم يطراً عليها تفسّخ و تفرّق لأجزائها، و إلا تعلّقت بالأجسام البرزخيّه أو المثاليه بناء على تجسّم الأعمال. و يؤيد هذا الاحتمال ذيل الكريمة ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ (٦) فأهل السّماوات و الأرض ثابتون فيهما و لا يخرجون إلى غيرهما ما دام لم يدعكم الدّاعى، فإذا دعاكم إذا تخرجون من الأرض أى من أحداثكم بغته و بلا توقّف. و المراد بالدّعوة دعوه إسرائيل بالنفخه الأخيره للحضور فى المحشر لثواب الأعمال أو عقابها. و عن ابن عباس: يأمر الله سبحانه إسرائيل فينفخ فى الصّور فيخرج الخلائق كلهم من قبورهم أحياء. و عبّر بالدّعاء إذ هو بمنزله الدّعاء و بمنزله كن فيكون فى السّرعه و امتناع الاعتذار بالبطله. ثم إن القيام فى الآيه إذا كان بمعنى الوقوف و الثبوت أى وقوفهما و استقرارهما معلّقين بلا اعتمادهما على شىء و لا تعلّقهما بشىء من آياته الكبرى. فالآيه ظاهره على بطلان القول بالحركه الرّحويّه كما يقول بها بعض الفلاسفه من القدماء، و إن كان بمعنى الانتصاب و ارتفاعهما فى الفضاء معلّقتين فإن ذلك يتلاءم مع القولين و يحتملها. ثم إنّه تعالى بعد بيان الأدله الداله على التّوحيد الذى هو الأصل الأوّل، و على الحشر و البعث الذى هو الأصل الآخر، أشار بأنّه المالك للعوالم الإمكانية بحذافيرها بقوله عزّ من قائل:

ص: ٣٥٩

١- سوره ٣٠ - آيه ٢٤

٢- سوره ٣٠ - آيه ٢٤

٣- سوره ٣٠ - آيه ٢٤

٤- سوره ٣٠ - آيه ٢٥

٥- سوره ١٦ - آيه ٤٠

٢٥- وَ مِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ... (١) أى بلا دعامة تدعمهما و لا علاقته تتعلّق بهما بل بأمره سبحانه لهما بالقيام كقوله تعالى: إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ: كُنْ فَيَكُونُ. (٢) و معنى القيام هو الثبات و الدوام. فيقال: الجدار قائم أى ثابت لا يزول عن مكانه. و يحتمل أن يكون المراد من قيام السّماء و الأرض قيام أهلها في عالم الكون و الفساد أى فى الدنيا. فإن أهل السماء و الأرض لا يزالون فيها و أهل الأرض و إن تطرّق إليهم الموت لكنّهم نائمون فى قبورهم و عالم القبر يحسب من الدّنيا كما برهن فى محلّه بل هو أمر محسوس لا- ريب فيه حتى يحتاج إلى اقامه برهان لأن القبر مكان من أمكنه الأرض و الأموات نائمون فيه و الأرواح فى قبضه الله تعالى بمقتضى الكتاب و السنه، و مثل الأرواح مثل أرواح أصحاب الكهف عينا، فهى فى الأجساد إذا لم يطراً عليها تفسّخ و تفرّق لأجزائها، و إلاّ تعلّقت بالأجسام البرزخيّه أو المثاليه بناء على تجسّم الأعمال. و يؤيد هذا الاحتمال ذيل الكريمة ثمّ إذا دَعَاكُمْ دَعْوَهُ مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ (٣) فأهل السّماوات و الأرض ثابتون فيهما و لا يخرجون إلى غيرهما ما دام لم يدعكم الدّاعى، فإذا دعاكم إذا تخرجون من الأرض أى من أحداثكم بغته و بلا توقّف. و المراد بالدّعوه دعوه إسرافيل بالنفخه الأخيره للحضور فى المحشر لثواب الأعمال أو عقابها. و عن ابن عباس: يأمر الله سبحانه إسرافيل فينفخ فى الصّور فيخرج الخلائق كلّهم من قبورهم أحياء. و عتبر بالدّعاء إذ هو بمنزله الدعاء و بمنزله كن فيكون فى السّرعه و امتناع الاعتذار بالبطء. ثم إن القيام فى الآيه إذا كان بمعنى الوقوف و الثبوت أى وقوفهما و استقرارهما معلّقين بلا اعتمادهما على شىء و لا تعلّقهما بشىء من آياته الكبرى. فالآيه ظاهره على بطلان القول بالحركه الرّحويّه كما يقول بها بعض الفلاسفه من القدماء، و إن كان بمعنى الانتصاب و ارتفاعهما فى الفضاء معلّقين فإن ذلك يتلاءم مع القولين و يحتملها. ثم إنّه تعالى بعد بيان الأدله الداله على التّوحيد الذى هو الأصل الأوّل، و على الحشر و البعث الذى هو الأصل الآخر، أشار بأنه المالك للعوالم الإمكانيه بحذافيرها بقوله عزّ من قائل:

سوره الروم (٣٠): الآيات ٢٦ الى ٢٩

وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ (٢٦) وَ هُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَ هُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَ لَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٧) ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِمَّنْ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٢٨) بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَ مَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (٢٩)

ص: ٣٦٠

١- سوره ٣٠ - آيه ٢٥

٢- سوره ١٦ - آيه ٤٠

٣- سوره ٣٠ - آيه ٢٥

٢٦- وَ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ... (١) أى هو المالك لكل من فيهما و لنفس السَّمَاوَاتِ و الأَرْضِ كُلِّ لَهُ قَانِتُونَ (٢) منقادون له طوعا و كرها فى الحياه و الممات و البعثه و الخلقه و إن عصاه بعضهم فى العباده. و هذه الشريفة لبيان مظهر من مظاهر قدرته الكامله أيضا.

٢٧- وَ هُوَ الَّذِي يَبْدُؤُا الْخَلْقَ... (٣) أى يخلقهم ابتداء ثم يُعِيدُهُ (٤) هم بعد إعدامهم و إفنائهم وَ هُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ (٥) أى الإعادة أسهل عليه من الإبداء قياسا، على أصولكم، و إلا- فهما سواء عليه تعالى. و هو تأكيد لما قبله وَ لَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى (٦) أى الوصف الذى لا ينبغى أن يكون لغيره مثله من الوحدانيه و الألوهيه و القدره الكامله و الحكمة التامه فى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ (٧) أى كل ما فيهما يصفونه تعالى بذلك الوصف الأعلى نطقا و دلالة وَ هُوَ الْعَزِيزُ (٨) الغالب على كل مقدور الذى منه الإبداء و الإعادة الْحَكِيمُ (٩) فى جميع أفعاله التى تصدر منه على طبق الحكمة و مقتضى المصلحه. و

فى العيون عن الرضا عليه السلام أن النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله قَالَ لَعَلَى عَلَيْهِ السَّلَام: وَ أَنْتَ الْمَثَلُ الْأَعْلَى. وَ فى الزياره الجامعه المعروفه:

السَّلامَ عَلَى أَمْتِهِ الْهَدَى، إِلَى قَوْلِهِ: وَ وَرَثَةِ الْأَنْبِيَاءِ وَ الْمَثَلِ الْأَعْلَى.

٢٨- ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ... (١٠) أى منتزعا من أنفسكم التى هى أقرب شىء منكم حتى يثبت أنه لا يكون لله تعالى شريك. ثم بين المثل فقال هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ (١١) أى من ممالِككم مِنْ شُرَكَاءَ فى ما رَزَقْنَاكُمْ (١٢) أى فى الأموال و الأرزاق و الأسباب فَاتْتَمَّ فِيهِ سِوَاءٌ (١٣) أى هل أنتم و هؤلاء الممالِك تتصرفون فيها على السويّه و بالمشاركه مع أنهم بشر مثلكم و أن الأموال معاره لكم تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ (١٤) أى

ص: ٣٦١

١- سورة ٣٠ - آيه ٢٦

٢- سورة ٣٠ - آيه ٢٦

٣- سورة ٣٠ - آيه ٢٧

٤- سورة ٣٠ - آيه ٢٧

٥- سورة ٣٠ - آيه ٢٧

٦- سورة ٣٠ - آيه ٢٧

٧- سورة ٣٠ - آيه ٢٧

٨- سورة ٣٠ - آيه ٢٧

٩- سورة ٣٠ - آيه ٢٧

١٠- سورة ٣٠ - آيه ٢٨

١١- سورة ٣٠ - آيه ٢٨

۱۲- سوره ۳۰- آیه ۲۸

۱۳- سوره ۳۰- آیه ۲۸

۱۴- سوره ۳۰- آیه ۲۸

هل تخافون من عبيدكم أن يشاركوكم فى أموالكم كما تخافون من أحراركم و ذوى قرابتكم فى المال الذى يكون بينكم بالمشاركه و تخشون أن ينفردوا به؟ و الاستفهام فى الآيه الكريمة من الظاهر و المقدر للإنكار. قرابتكم فى المال الذى يكون بينكم بالمشاركه فإذا لا تخافون من العبيد و لا ترضون بذلك فكيف ترضون بأن تشركوا بالله مماليكه فى الألوهيته؟ و كما أنكم لا تشركون عبيدكم فى أموالكم فلا بد من أن لا تشاركونا بالله الخالق القادر شركاء فى العباده كذلك نُفَصِّلُ الآياتِ (١) أى كما فضّلناه و بينا لكم مسأله عدم جواز التشريك، نُفَصِّلُ الآياتِ و الأدله لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٢) أى نبيّننا لأهل التدبّر و التعقّل، و أمّا الجهلاء و الظلمه فهم بعداء عمّا قلناه من الآيات و الأمثله بل هم تابعون لأهوائهم و آرائهم السخيفه الباطله بلا علم و بلا تعقل.

٢٩- بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا... (٣) بل حرف عطف و إضراب عمّا قبله يجعله فى حكم المسكوت عنه. و حاصل الآيه الشريفه أنه تعالى لعلّ يريد أن يقول: إنّنا نذكر الآيات و نبيّن الأمثله للقوم المتدبّرين و أهل العلم و العقلاء، و أمّا الجهلاء و أهل الأهواء الفاسده فهم بعداء عن تلك الناحيه كما أشار تعالى إلى ذلك بقوله: بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ (٤) أى جاهلين لا يكتفون شىء، فإن العالم إذا اتّبع هواه رده علمه فمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ (٥) أى من يقدر على هدايته بعد ذلك و ما لَهُمْ مِنْ ناصِرِينَ (٦) أى من ينجيهم من الضلاله و حيره الجهاله.

سوره الروم (٣٠): الآيات ٣٠ الى ٣٢

فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَ لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٣٠) مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَ اتَّقُوهُ وَ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَ لَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٣١) مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَ كَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ (٣٢)

ص: ٣٦٢

- ١- سوره ٣٠ - آيه ٢٨
- ٢- سوره ٣٠ - آيه ٢٨
- ٣- سوره ٣٠ - آيه ٢٩
- ٤- سوره ٣٠ - آيه ٢٩
- ٥- سوره ٣٠ - آيه ٢٩
- ٦- سوره ٣٠ - آيه ٢٩

٣٠- فَأَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا... (١) أى أقبل بقصدك أو بالعمل الخالص على دين الله الذى هو دين الإسلام بالاهتمام به حَنِيفًا (٢) أى مسلماً، أو المراد: أقبل بقلبك على ربك لأجل دينك، فإن ما يحرك الإنسان للتوجه إلى ربه هو دينه حيث إن غير المتدين لا شغل له مع الله. والتعبير عن القلب بالوجه لأن القلب إذا توجه إلى شىء تتبعه الجوارح و فى مقدمها الوجه كما أنه تتبعه القوى الباطنية أيضاً. فإن القلب فى عالم البدن الذى هو عالم صغير، له السيدان و السيدات، كما أن فى العالم الكبير ملكاً له الأمر و الملك على جميع أهله، و إذا توجه إلى ناحيه أو أمر بشىء يطيعونه فكذلك القلب بالنسبه إلى القوى و الجوارح. و الحاصل أن الوجه يمكن أن يكون كناية عن القلب، فالله تعالى خاطب نبيه صلى الله عليه و آله بالتوجه إليه بكل وجوده لأمر دينه مع جميع أمته، أو المراد أمته. و النكته فى توجه الخطاب إليه صلوات الله عليه إنما تعظيمه و تفخيمه، و إما لأن الأمر له به هو الأمر به للأمم فإنه المبعوث بكل ما أمر به إليهم، فالأمر به موجب لأمره للأمم... و حنيفاً لغه: أى مائلاً إليه ثابتاً عليه فطرت الله التى فطر الناس عليها (٣) هذا يحتمل أن يكون بيانا للدِّين الحنيف، أى الزموا دين الله، و دين الله هو الدين الذى شرّعه و أرسل رسوله به و هو دين الإسلام الذى يولد كل مولود عليه و يعبر عنه بدين الفطره، لأن كل مولود يخلق عليه. و قيل معناه: أتبع من الدِّين ما دلّتك عليه فطره الله و هى التوحيد.

فإن الله خلق الناس عليه حيث أخذ منهم العهد فى ظهر آدم من الذرارى فى عالم الذر و سألهم: أ لست بربكم؟ فقالوا: بلى. و هذا البيان

ص: ٣٦٣

١- سورة ٣٠ - آيه ٣٠

٢- سورة ٣٠ - آيه ٣٠

٣- سورة ٣٠ - آيه ٣٠

قريب لما قلناه، فإن التوحيد إما هو نفس الدين أو من أصول الدين، فإن غير الموحد ليس بمتدين لا بتدليل لخلق الله (١) أى لا ينبغي أن تغير تلك الفطره ولا يقدر أحد أن يغير ذلك الدين القيم (٢) المستقيم المستوى الذى لا عوج فيه ولا كثر الناس لا يعلمون (٣) فهم جهله وغير متدبرين ولذا لا يعرفونه حق المعرفة ولا يهتمون بذلك الدين القويم أى اهتمام.

٣١- مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَ اتَّقَوْهُ... (٤) منيبين حال من ضمير (أقم) باعتبار أن الأمه تدخل فى مخاطبه النبي صلى الله عليه وآله إن لم نقل بأنهم المخاطبون كما قلناه. وما نحن فيه من قبيل - يا أيها النبي إذا طلقتم النساء (٥)، الآية... والمعنى: فأقيموا وجوهكم منيبين إليه، أى راجعين إليه مره بعد أخرى. ويمكن أن يكون من (ناب) إذا انقطع، أى منقطعين إليه عن كل ما سواه، ويحتمل أن يكون حالا من ناصب فطره الله، أى الزموا واستمروا على فطره الله منيبين إليه (واتقوه) تجنبوا من عصيانه ومخالفته فى أوامره سبحانه ونواهيها ولا تكونوا من المشركين به فى الألوهيه والعباده.

٣٢- مِنَ الَّذِينَ فَزَقُوا دِينَهُمْ... (٦) بيان لما قبله من قوله من المشركين.

و تفریق دینهم هو اختلافهم فيما يعبدونه على اختلاف أهوائهم و كانوا شیعاً (٧) أى فرقا مختلفه كل منها تشايح إماما أضلها عن دينه الذى ارتضى له خالقه و معبوده الفطرى الحقيقى كل حزب بما لمدیهم فرحون (٨) فأهل كل مله بما عندهم من الدين مسرورون راضون به حيث إنهم يظنون أنهم على الحق، وغيرهم على الباطل.

سوره الروم (٣٠): الآيات ٣٣ الى ٣٦

وَ إِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ (٣٣) لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (٣٤) أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهَوْا يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ (٣٥) وَ إِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ (٣٦)

ص: ٣٦٤

١- سوره ٣٠ - آيه ٣٠

٢- سوره ٣٠ - آيه ٣٠

٣- سوره ٣٠ - آيه ٣٠

٤- سوره ٣٠ - آيه ٣١

٥- سوره ٦٥ - آيه ١

٦- سوره ٣٠ - آيه ٣٢

٧- سوره ٣٠ - آيه ٣٢

٨- سوره ٣٠ - آيه ٣٢

٣٣- وَإِذَا مَسَّ النَّيَاسَ ضُرٌّ... (١) أى حادثه شديد و سوء حال دَعَوْا رَبَّهُمْ (٢) بتضرّع و خشوع مُيَسِّبِينَ إِلَيْهِ (٣) راجعين إليه منقطعين عن غيره ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً (٤) أى أعطاهم من عنده رافعا لذلك الضرّ و مانعا لتلك الشده إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ (٥) أى حين نَجَّاهم من الضر فَإِنَّ جماعه منهم أشركوا برَبِّهم مقابله لإحسانه بالكفران و جحد النعمه.

٣٤- لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ... (٦) اللّام هنا للعاقبه كما فى قوله لِيَكُونَ لَهُمْ عَيْدٌ وَ حَزَنًا (٧) أى أشركوا فكان عاقبه شركهم كفرهم بِمَا آتَيْنَاهُمْ (٨) من نعمه الأمن و العافيه و الصّحه فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (٩) أى انتفعوا بنعيم الدنيا كيف شئتم و عمّا قريب تظهر و تنكشف عاقبه كفركم. و ذيل الشريفة تهديد للمشركين، و الالتفات إلى الخطاب للمبالغه.

٣٥- أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا... (١٠) هذا استفهام مستأنف و متضمّن للإضراب، أى: هل أرسلنا إليهم (إلى الكفره) كتابا أو حجه يتسلطون به على ما ذهبوا إليه فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ (١١) أى فذلك البرهان كأنه يتكلم بصحّه شركهم و يحتج لهم به. و الحاصل أنهم لا يقدرّون على تصحيح ذلك و لا يمكنهم إقامه سلطان عليه حتى يكون حجه لهم عند ربهم على ما ذهبوا إليه من الجحد و الشّرك.

٣٦- وَإِذَا أَذَقْنَا النَّيَاسَ رَحْمَةً... (١٢) أى نعمه من صحه أو سعه أو

ص: ٣٦٥

١- سوره ٣٠ - آيه ٣٣

٢- سوره ٣٠ - آيه ٣٣

٣- سوره ٣٠ - آيه ٣٣

٤- سوره ٣٠ - آيه ٣٣

٥- سوره ٣٠ - آيه ٣٣

٦- سوره ٣٠ - آيه ٣٤

٧- سوره ٢٨ - آيه ٨

٨- سوره ٣٠ - آيه ٣٤

٩- سوره ٣٠ - آيه ٣٤

١٠- سوره ٣٠ - آيه ٣٥

١١- سوره ٣٠ - آيه ٣٥

١٢- سوره ٣٠ - آيه ٣٦

عافيه فَرِحُوا بِهَا (١) بطروا بسببها و لا يشكرونها و إِنَّ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ (٢) شَدَّه و مصيبه بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيَهُمْ (٣) أى بشآمه معاصيهم إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ (٤) أى يفاجئهم اليأس عن رحمته لا يشكرونه على النعمه و لا صبر لهم على المحنه.

سوره الروم (٣٠): الآيات ٣٧ الى ٣٩

أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٣٧) فَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٣٨) وَمَا آتَيْتُم مِّن رَّبًّا لِّيُرَبُّوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرُبُّوا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاهٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ (٣٩)

٣٧- أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ... (٥) أى يوسع عليه و يَقْدِرُ (٦) أى يقتّر عليه و يضيقّ فلا بدّ لعباده أن يشكروه على كل حال فى السراء و الضراء لأن أزمه الأمور كلّها بيده و يفعل بالنسبه إلى عباده ما فيه صلاحهم طبق حكمته التامه و قدرته الكامله إِنَّ فِي ذَلِكَ (٧) أى فى إذقتهم الرحمه و إصابتهم بالسيئه أو فى بسط الرزق و تقثيره أو فى المجموع لآياتِ (٨) دلائل عبره للمؤمنين فإنهم أهل الاعتبار.

٣٨- فَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ... (٩) أى أعط يا محمد أقرباءك فرضهم من الخمس و.

عن الصادق عليه السلام: لما نزلت هذه الآية أعطى النبي صلى الله عليه وآله فاطمه فدكا، و فى نسخه و سلمه إليها و المسكين و ابْنِ السَّبِيلِ (١٠) أى حقهما من الخمس إن كانا من بنى هاشم، و إلا فمن الزكاه

ص: ٣٦٦

- ١- سوره ٣٠ - آيه ٣٦
- ٢- سوره ٣٠ - آيه ٣٦
- ٣- سوره ٣٠ - آيه ٣٦
- ٤- سوره ٣٠ - آيه ٣٦
- ٥- سوره ٣٠ - آيه ٣٧
- ٦- سوره ٣٠ - آيه ٣٧
- ٧- سوره ٣٠ - آيه ٣٧
- ٨- سوره ٣٠ - آيه ٣٧
- ٩- سوره ٣٠ - آيه ٣٨
- ١٠- سوره ٣٠ - آيه ٣٨

الواجبه. والمسكين هو الذى لا- يملك مؤنه سنته لا- فعلا- ولا- بالقوه أى تدريجا ذلكَ خَيْرٌ (١) أى إيتاء الحقوق للجماعه المذكوره خير من الإمساك لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ (٢) أى يطلبون رضاه أو وجه التقرب إليه لا غيره من الأعواض والأغراض الأخر كقوله تعالى: إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى (٣) أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٤) أى الفائزون بالنعم الباقيه.

٣٩- وَ مَا آتَيْتُمْ مِنْ رِبَاً... (٥) أى زياده محرّمه فى المعامله، أو عطيه يتوقع بها مزيد مكافأه، أو هبه يطلب بها أكثر منها لا أنه تقصد القربه لِيُرْبُوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ (٦) أى: لتنموا أموالهم، و يزيد فى أموالهم أكله الربا فلا يَرْبُوا عِنْدَ اللَّهِ (٧) لا يزكو عنده بل يمحقه و لا يثيب المكافئ و يذهب عنه البركه وَ مَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ (٨) أى مرضاته و قربه لا غيره فَأُولَئِكَ (٩) أى هؤلاء الذين يؤدون الزكاه المفروضه أو الصّيدقه المندوبه لوجه الله هُمُ الْمُضْعِفُونَ (١٠) أى ذوو المكافأه و المضاعفه من الثواب فى الآجل، و المال فى العاجل، كما يقال: موسر أى: ذو يسار.

و الحاصل أن هؤلاء هم الذين يضاعفون ثوابهم و أموالهم ببركه الزكاه.

و الجمع بين تلك الشريفه و أمثالها مما يدل على المضاعفه فى الأعمال، كقوله تعالى: وَ أَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى (١١)، التى تدل على عدم الزيادة، إن هذه من باب العدل، و الإضعاف من قسم التفضّل. ثم إنّه تعالى بعد ذكر الأمر و النهى فى باب إيتاء الأموال و بيان المقبول منها من غيره، جرّ الكلام إلى جانب دلائل التوحيد و القدره فقال:

سوره الروم (٣٠): الآيات ٤٠ الى ٤٥

اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (٤٠) ظَهَرَ الْفُسَادُ فِي الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٤١) قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ (٤٢) فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يُصَدِّعُونَ (٤٣) مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلَا نُفْسِهِمْ يَمْهَدُونَ (٤٤) لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ (٤٥)

ص: ٣٦٧

١- سوره ٣٠ - آيه ٣٨

٢- سوره ٣٠ - آيه ٣٨

٣- سوره ٩٢ - آيه ٢٠

٤- سوره ٣٠ - آيه ٣٨

٥- سوره ٣٠ - آيه ٣٩

٦- سوره ٣٠ - آيه ٣٩

٧- سوره ٣٠ - آيه ٣٩

٨- سوره ٣٠ - آيه ٣٩

۹- سوره ۳۰- آیه ۳۹

۱۰- سوره ۳۰- آیه ۳۹

۱۱- سوره ۵۳- آیه ۳۹

٤٠- اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ... (١) أى أوجدكم و أنشأكم بعد ما كنتم معدومين محضاً ثُمَّ رَزَقَكُمْ (٢) أعطاكم أنواع النعم ثُمَّ يُمِيتُكُمْ (٣) عند انقضاء آجالكم ثُمَّ يُحْيِيكُمْ (٤) يوم الحشر الجزاء الأعمال هل مِنْ شُرَكَائِكُمْ... (٥) الآية فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى فِي هَذِهِ الشَّرِيفَةِ أثبت لوازم الألوهية لنفسه المقدسه و نفى عمّا أشرك به الملاحده من قريش و كفره العرب من الأصنام و الأوثان و غيرها، ثم بالغ فى إنكاره و أكد وحدانيته جلّ و علا بما يدلّ عليه البرهان يشهد عليه العيان و الوجدان فاستنتج تقدّسه و تنزّهه عن إشراك المشركين و إلحاد الملحدين بقوله سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (٦) ثم إنّه سبحانه بيّن ما يترتب على الشرك و ترك التوحيد من الآثار الفاسده و أنواع المصائب و الوقائع بقوله تعالى:

٤١- ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ... (٧) أمّا ظهور الفساد فى البرّ فبمنع السماء أمطارها فيقع الجذب و القحط و الغلاء و الآفات فى الزّرع و قله الثمرات و كثره الأمراض و الأوبئه و موت الفجأه و كثره الحرق و الحروب و الهدم و نحوها، و أمّا فى البحر فبكثره الطوفانات و الفيضانات و ثوران البحار

ص: ٣٦٨

- ١- سورة ٣٠ - آيه ٤٠
- ٢- سورة ٣٠ - آيه ٤٠
- ٣- سورة ٣٠ - آيه ٤٠
- ٤- سورة ٣٠ - آيه ٤٠
- ٥- سورة ٣٠ - آيه ٤٠
- ٦- سورة ٣٠ - آيه ٤٠
- ٧- سورة ٣٠ - آيه ٤١

بحيث يترتب على ذلك الخسارات و المضار الكثيره من غرق السفن و نحوه أو قله المياه لذلك و هلاك أسماكها و غيرها من ذوات الأرواح و فساد سائر نعمها التي فيها.و يكون ذلك ليذوقوا الشده في العاجل و ليحشروا في الآجل إلى جهنم و بئس المصير بما كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ (١) أى بسوء أفعالهم و أقوالهم.

و فى الكافى و القمى عن الباقر عليه السلام،قال:ذاك و الله حين قالت الأنصار:منا أمير و منكم أمير لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا (٢) أى أنه تعالى أفسد عليهم أسباب المنافع الدنيويه ليذيقهم فيقاسوا و يكابدوا بعض جزائهم فى الدنيا و يكون تمامه فى الآخره لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٣) عله لجزائهم العاجله أى يرجعون عما هم عليه.و يحتمل أن تكون اللام للعاقبه.

٤٢- قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا... (٤) إن الله تعالى كرّر الأمر بسير الآفاقه تأكيدا و تذكيرا للاعتبار،فإن فى ذلك أخبار الأمم السالفه و الإنسان يستبصر إذا شاهد كيف صنع بهم و بملوكهم العتاه الظالمين و القرون العاصيه،و كيف أهلكهم الله فصارت قصورهم قبورا و محافلهم مقابرهم فإذا شوهدت تلك الأمور يتحقق و يعلم مصداق القول المذكور لِيُذِيقَهُمْ (٥)، الآية ثم بين سبحانه أنه فعل بهم ما فعل لسوء صنيعهم فقال: كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ (٦) فليعلم أن العذاب العاجل لم يختص بالمشركين فقط،بل قد يقع على المعلن بالفسق و المخالفه و العصيان كما كان على أهل السبب و غيرهم من الموحدين العاصين،و لكن الأغلب فى عذاب الاستئصال يكون بسبب الشرك.

٤٣- فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ... (٧) أى فانصب قلبك و توجه به إلى دينك الذى هو فى غايه الاستقامه و العدل الذى ادخرته لك.فكما أنك خاتم الأنبياء فكذا دينك و هو دين الإسلام خاتم الأديان،حيث إنه جامع لكل ما يحتاج إليه البشر إلى يوم يبعثون.و الخطاب للنبي الأكرم لمحض التشريف و هو لا يختص بفرد دون فرد.فيا ليت كنا متوجهين إلى فضيله ما

ص: ٣٦٩

- ١- سوره ٣٠ - آيه ٤١
- ٢- سوره ٣٠ - آيه ٤١
- ٣- سوره ٣٠ - آيه ٤١
- ٤- سوره ٣٠ - آيه ٤٢
- ٥- سوره ٣٠ - آيه ٤١
- ٦- سوره ٣٠ - آيه ٤٢
- ٧- سوره ٣٠ - آيه ٤٣

أمرنا و كلفنا به فإن هذا الدين الذى أمرنا بالأخذ به و العمل على طبقه هو الذى كلف به أشرف الأنبياء و المرسلين. و

قد قال صلى الله عليه و آله: إن الله أمر عباده المؤمنين بما أمر به عباده المرسلين. لكن أسفا و ألف أسف لأننا ما قدرناه حق قدره و حفنا عليه و لفظناه و طرحناه وراء ظهورنا فخرنا خسرانا مبينا من قبل أن يأتى يوم لا مرد له من الله (١) مرد مصدر.

و الجار فى قوله من الله (٢) متعلق بيأتى. أى قبل مجىء يوم من عند الله الذى لا يقدر أحد أن يردّه لتحتّم الإتيان به و هو يوم القيامة يؤمّنّد يصدّعون (٣) أى يتصدّعون يعنى يتفرّقون إلى الجنّه و النار.

٤٤ و ٤٥- مَيْنَ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ... (٤) أخذ تعالى فى بيان فريق النار و فريق الجنّه بقوله مَنْ كَفَرَ (٥) إلخ يعنى فريق النار هو الكفره الملحدون و هم المعاقبون بكفرهم، و أهل الجنّه من يعمل صالحا فيهيى و يسوى منازل فى الجنّه لنفسه. و

فى المجمع عن الصادق عليه السلام قال: إن العمل الصّالح ليسوق صاحبه إلى الجنّه فيمهد له كما يمهد لأحدكم خادمه فراشه ليَجْزَى الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ (٦) هذا الذيل علّه لما يترتب على الكفر من الوبال و النار المؤبّد، و على العمل الصّالح من تمهيد المنازل فى الجنّه العالیه و المخلّد فيها. و فى الكشاف أن هذا تقرير بعد التقرير على الطرد و العكس.

سوره الروم (٣٠): الآيات ٤٦ الى ٤٧

وَ مِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَّاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَ لِيَذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَ لِيَجْزِيَ الْفُلُكُ بِأَمْرِهِ وَ لِيَتَّبِعُوا مِنْ فَضْلِهِ وَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٤٦) وَ لَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاؤُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَانْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَ كَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ (٤٧)

ص: ٣٧٠

١- سوره ٣٠ - آيه ٤٣

٢- سوره ٣٠ - آيه ٤٣

٣- سوره ٣٠ - آيه ٤٣

٤- سوره ٣٠ - آيه ٤٤

٥- سوره ٣٠ - آيه ٤٤

٦- سوره ٣٠ - آيه ٤٥

٤٦- وَ مِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ... (١) أى و من أفعاله الداله على معرفته و كمال قدرته هو إرسال رياح الرحمه، فإن الرياح أربعه: الشمال و الصّبا، و الجنوب، و هذه رياح رحمه، و الدّبور و هذا ریح نقمه و عذاب.

و منه

قوله عليه السلام و الصّلاه: اللّهم اجعلها رياحا و لا تجعلها ريحا، أى اجعله نعمه و رحمه و لا تجعله عذابا أى ریح دبور، بقريته الجمع و الإفراد.

و الرياح المبشّره هى رياح الرّحمه، و حين جريانها و تحرّكها بإذن ربّها كأنها تكون ناطقات بالبشاره بالخير و مطر الرّحمه و منافع الزرع و إصلاح أحوال سائر الأشياء، فإن الرياح لو لم تهب لظهرت العفونات فتتولّد الأوبئه و الأمراض و غيرها ممّا يتولّد عن فساد الهواء وَ لِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ (٢) أى من المنافع التابعه. و هذا عطف على معنى مُبَشِّرَاتٍ (٣) أى ليشركم و ليذيقكم من رحمته التى هى الغيث المسبّب عنها، أو الخصب التابع له، أو الروح الحاصل بهوبها. و التعبير بالإذاقه لأن الإذاقه تقال فى القليل. و لمّا كان مطلق نعم الدّنيا و راحتها الفانيه بالإضافة إلى نعم الآخره و لذاتها الباقية نزر قليل عبّر عنها سبحانه بالإذاقه رمزا إلى هذا وَ لِيَتَجَرَّىَ الْفُلُكُ بِأَمْرِهِ (٤) و لمّا أسند الفعل إلى الفلك عبّبه بأمره، أى: الجرى بأمره سبحانه و بإرادته وَ لِيَتَّبِعُوا مِنْ فَضْلِهِ (٥) فى التجارات البحريّه يتبعون الخير من فضله وَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٦) هذه النعم فتوحّدون ربّكم. ثم خاطب نبيّه (ص) تسليه له فقال:

٤٧- وَ لَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا... (٧) لم يكن لهم شغل غير ما تعمله أنت فجأؤهم بالبينات (٨) أتوا قومهم بدلائل على نبوتهم و من كذبهم أصابهم البوار و من آمن بهم كان لهم الانتصار فانتقمنا من الذين أجرّموا (٩) أى كفروا بآياتنا و جحدوها وَ كَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ (١٠) بالحجه و البرهان، أو فى الرّجعه. ثم قال سبحانه مفسّرا لما أجمله فى الكريمه المتقدّمه:

ص: ٣٧١

١- سورة ٣٠ - آيه ٤٦

٢- سورة ٣٠ - آيه ٤٦

٣- سورة ٣٠ - آيه ٤٦

٤- سورة ٣٠ - آيه ٤٦

٥- سورة ٣٠ - آيه ٤٦

٦- سورة ٣٠ - آيه ٤٦

٧- سورة ٣٠ - آيه ٤٧

٨- سورة ٣٠ - آيه ٤٧

٩- سورة ٣٠ - آيه ٤٧

١٠- سورة ٣٠ - آيه ٤٧

اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتَنِّيْرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فَنَتْرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (٤٨) وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُنْسِينَ (٤٩) فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُنْحَى الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٥٠) وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ (٥١)

٤٨ و ٤٩- اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتَنِّيْرُ سَحَابًا... (١) أى من شواهد القدره أنه يهَيء و يرسل الرياح من معادنھا فتھج السحاب فى الفضاء و يبسطه مسيره يوم أو أكثر، ثم يجريھا إلى أيه ناحيه من نواحي الأرض شاء بأمره تعالى كما قال سبحانه فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ (٢) سائرا و واقفا مطبقا و غير مطبق من جانب دون جانب وَ يَجْعَلُهُ كِسْفًا (٣) أى قطعاً متفرقه كما يشاهد حساً فَنَتْرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ (٤) أى المطر يخرج من بينه فَمَاذَا أَصَابَ (٥)، الآيه أى إذا نزل الودق على طائفه من عباد الله يفرحون بذلك و يبشّر بعضهم بعضا بنزوله وَإِنْ كَانُوا (٦) كلمه إِنْ (٧) مخففه عن الثقيله،

يعنى أنهم قبل نزول المطر كانوا قانطين آيسين من نزوله عليهم كما قال صلى الله عليه و آله مِنْ قَبْلِهِ لَمُنْسِينَ (٨) و تكرير من قبله للتأكيد، وقيل إِنَّ الْأَوَّلَ مِنْ قَبْلِ (٩) إنزال المطر، و الثانى مِنْ قَبْلِ (١٠) إرسال الرياح.

٥٠- فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ... (١١) أى أثر الغيث من النبات و الأشجار و أنواع الثمار، كيف يحيى الأرض بما ذكر بَعْدَ مَوْتِهَا (١٢) أى قبل

ص: ٣٧٢

- ١- سوره ٣٠ - آيه ٤٨
- ٢- سوره ٣٠ - آيه ٤٨
- ٣- سوره ٣٠ - آيه ٤٨
- ٤- سوره ٣٠ - آيه ٤٨
- ٥- سوره ٣٠ - آيه ٤٨
- ٦- سوره ٣٠ - آيه ٤٩
- ٧- سوره ٣٠ - آيه ٤٩
- ٨- سوره ٣٠ - آيه ٤٩
- ٩- سوره ٣٠ - آيه ٤٩
- ١٠- سوره ٣٠ - آيه ٤٩
- ١١- سوره ٣٠ - آيه ٥٠
- ١٢- سوره ٣٠ - آيه ٥٠

فقدتها المذكورات بفقد الغيث إِنَّ ذَلِكَ (١) أى فى أثر المطر من النبات و الخصب لَمْحِي الْمَيِّتِي (٢) يعنى الذى يقدر على إحياء الأرض بعد موتها هو قادر على إحياء البشر بعد إفنائهم بالموت. و إنما عبّر بقوله لَمْحِي الْمَيِّتِي (٣) باللام المؤكده و باسم الفاعل لأن الإنسان إذا قال إن الملك يعطيك لا يفيد ما يستفاد من قوله إنه لمعطيك، لأن ما يفيد اسم الفاعل أنه متصف بالعبء حين ما يقول القائل (معطيك) بخلاف قوله (يعطيك) فإن المستفاد منه أنه سيُتصف به لأنه فى حال الحاضر مباشر بالفعل أو كأنه مباشر من حيث العلم بتحقق الفعل فيما يأتى من الزمان، كما فى قوله إِنَّكَ مَيِّتٌ الذى هو أكد من قوله: إِنَّكَ تَمُوتُ، و الغرض تحقق وقوع الإحياء بعد الإماتة بلا ريب.

٥١- وَ لَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا... (٤) أى الدَّبُور الذى هو للعذاب، و إذا هبَّ على النبات أو الزرع كان ضارًا لأن الدَّبُور إما بارده غايه البروده و إما حاره حراره شديده، و تسمى بالسَّيْمُوم، و فى كلتا الحالتين تضرّ بالنباتات و جميع الخضرويات حتى الأشجار الناعمه اللطيفه فيفسدها جميعا فى نفخه واحده، و لذا فرّج سبحانه على إرساله و هبوبه قوله فَرَأَوْهُ مُصِيفًا (٥) أى يرون النبات و الزرع اللذين كانا من آثار رحمه الله أنه عرض لهما الاصفرار بعد الخضره و هو علامه يبسهما و فسادهما. و يحتمل أن يكون مرجع الضمير هو السَّيْحَاب الذى ذكر قبل هذه الآيه فإن السَّيْحَاب إذا اصفر لم يمطر، و النتيجة هى النتيجة، أى الفساد لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ (٦) أى لصاروا من بعد أن رأوه مصفرا كافرين جاحدين لأنعم الله و هذا جواب سدّ مسدّ الجزاء. و الحاصل أن الله تعالى ذمهم بأنهم إذا حبس عنهم المطر قنطوا و لم يستغفروا، و إذا أمطروا فرحوا و لم يشكروا لعدم تدبّرهم و تفكّرهم فى آياته و لسوء آرائهم، فإن النظر السوى يحكم بأن يتوكلوا على الله و يلتجئوا إليه بالاستغفار عند الاضطرار، و أن يبادروا إلى الشكر عند النعمه و أن لا يفرطوا فى الاستبشار.. ثم إن الرسول صلى الله عليه و آله بعد أن أتمّ الحجه عليهم بأنواع الأدله و أصناف الأمثله و وعدهم و أوعد و لم يزداهم

ص: ٣٧٣

١- سورة ٣٠ - آيه ٥٠

٢- سورة ٣٠ - آيه ٥٠

٣- سورة ٣٠ - آيه ٥٠

٤- سورة ٣٠ - آيه ٥١

٥- سورة ٣٠ - آيه ٥١

٦- سورة ٣٠ - آيه ٥١

دعاؤه إلا فرارا و نصحه إلا كفرا و ضلالا و إصرارا، قال الله تعالى له: يا محمّد خَلِّمْهُمْ وَ ذَرِّمْهُمْ فِي ضَلَالَتِهِمْ يَخُوضُونَ فَإِنَّكَ لَا تَقْدِرُ عَلَى هِدَايَتِهِمْ فَإِنْ مَثَلَهُمْ مِثْلَ الْمَوْتَى.

سوره الروم (٣٠): الآيات ٥٢ الى ٥٣

فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَ لَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ (٥٢) وَ مَا أَنْتَ بِهَادِ الْعُمَى عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ (٥٣)

٥٢- فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى... (١) أى لا تستطيع إسماع موتى القلوب يعنى الكفرة الذين سدت مشاعرهم عن استماع المواعظ و النصائح الحقة فإنهم فى حكم الموتى وَ لَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ (٢) أى و لا تقدر على إسماع من بهم صمم فإن حالهم كحالهم فى عدم الانتفاع بالسمع إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ (٣) أى حين يتعدون عن الاستماع فإسماعهم أشد استحاله لأن الأصم المقبل و إن لم يسمع الكلام لكن بسبب حركات الشفه و اليد و إشاره الرأس و العين يمكن أن يستفيد شيئا ما، بخلاف الأصم المدبر فإنه من محروم هذا المقدار من الاستفادة أيضا.

٥٣- وَ مَا أَنْتَ بِهَادِ الْعُمَى عَنْ ضَلَالَتِهِمْ... (٤) أى أن مثل الكفار مثل العميان فى عدم الاهتداء للطريق المقصود، يعنى يا محمد أنك لا تهدى و لا تستطيع إرشاد عميان القلوب حيث إنهم أشد استحاله للهدايه من عمى العيون، فإن من عميت عينه يمكن هدايته إلى الطريق باللسان أو بأخذ يده لأنه يستمع لما يقال فى مقام الهدايه و يعطى يده إلى قائده و يطمئن إليه بخلاف الإنسان الجاحد العنود الذى لا يستمع نصح الناصح و لا يدعو الداعى إذا دعاه فلا يقدر على هدايته أحد إلا الله، فلذا خاطب الله تعالى

ص: ٣٧٤

- ١- سوره ٣٠ - آيه ٥٢
- ٢- سوره ٣٠ - آيه ٥٢
- ٣- سوره ٣٠ - آيه ٥٢
- ٤- سوره ٣٠ - آيه ٥٣

نبيّه الأكرم(ص) بأنك لا تهدي من أحببت و لكن الله يهدي من يشاء إن تُسْمِعِ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا (١) أى الذى يستمع القول و يتلقاه و يتدبّر معناه فَهُمْ مُسْلِمُونَ (٢) مسلمون بما تأمرهم به و تنهاهم عنه حيث إنهم يتبعون سبيل الهدايه و الإرشاد. ثم إنه سبحانه عاد إلى ذكر البراهين الداله على كمال القدره و التوحيد لأنهما الأهم فكرر أدلتها على اختلافها بمناسبتها فى كل مورد فذكر أولاً ما هو الأساس فى بدء خلق الإنسان بمقتضى قوله سبحانه: خُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا (٣) فقال عزّ من قائل:

سوره الروم (٣٠): الآيات ٥٤ الى ٥٧

اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعِيدٍ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعِيدٍ قُوَّةً ضَعْفًا وَ شَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَ هُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ (٥٤) وَ يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ (٥٥) وَ قَالَ الَّذِينَ أوتُوا الْعِلْمَ وَ الْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فى كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَ لَكِنَّا كُنَّا لا تَعْلَمُونَ (٥٦) فَيَوْمَئِذٍ لا يُنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مُعْذِرَتُهُمْ وَ لا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ (٥٧)

٥٤- اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ... (٤) أى كنتم فى بدء الإيجاد ضعفاء فى حاله الطفوليّه فإن الأطفال لا يقدرّون على البطش و المشى و على الأخذ و الإعطاء و سائر التصرفات و الأعمال حتى على تحريك اليد و الرجل و فتح العين و شم الرياحين بالاختيار، نعم يرى له بعض الحركات فى بعض

ص: ٣٧٥

١- سوره ٣٠ - آيه ٥٣

٢- سوره ٣٠ - آيه ٥٣

٣- سوره ٤ - آيه ٢٨

٤- سوره ٣٠ - آيه ٥٤

الأعضاء على سبيل الاتفاق، لكنها حركات تقلصيه غير اختياريه مثل أنه حينما يبكي بشده تتحرك رجليه أو يده بواسطة الاعتصار الذي يرد على الأعضاء فيحركها بلا اختيار ولا إرادته. والحاصل أن المولود في ابتداء إيجاده أضعف مواليد نوع الحيوانات و هو مثال الضعف كما أشرنا آنفا. أو المراد أنه تعالى أوجده من أصل ضعيف و هي النطفه لقوله تعالى: مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ (١) أى ضعيف، فكان الضعف صار أمرا ذاتيا للإنسان. ثم ذكر مرتبه أخرى من مراتب ترقيه الإنسان بقوله ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً (٢) حينما يصير الإنسان شابا ذا قوه وقدره أو حين ولوج الروح بالبدن ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَ شَيْبَةً (٣) فبعد ما يخلص تطوّر خلقه و يتم قوس الصّعود يجيء قوس النزول و هو الضعف و الشّيب بعد القوه و الشباب يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ (٤) من الضّعف و القوه و الشّيب و الشّيبه وَ هُوَ الْعَلِيمُ (٥) أى العالم بأحوال عباده و مصالحهم الْقَدِيرُ (٦) القادر على تغيير صفات العباد و هيآتهم من هيئه إلى هيئه و من حاله إلى حاله على وجه تقتضيه الحكمه و يكون فيه المصلحه، و ذلك أدلّ شاهد على وجود الصّانع العالم القادر يفعل بعباده ما يشاء كيف يشاء.

٥٥- وَ يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ... (٧) أى القيامة، و لعلّ الألف و اللام للعهد، أى آخر ساعه من أيام الدنيا أو أوّل ساعه من أيام القيامة، و هى من الأسماء الغالبه يُقَسِّمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا (٨) أى يحلفون أنهم ما بقوا فى القبور أو فى الدنيا أو فى ما بين فنائها و البعث و هو زمان انقطاع عذابهم غَيْرَ سَاعَةٍ (٩) فيستقصرون مدّه لبثهم بالنسبه إلى مدّه عذاب الآخره، أو ينسونها، أو لمّا كانوا فى الدنيا متتعمين فى طيب العيش رأوا أنّ بقاء الدنيا من الأيام و الشهور كان قليلا فى عينهم و بنظرهم و سهلا حيث إنّ الدنيا جنّه الكافر و سجن المؤمن و لذا استقلّوها كذالك (١٠) أى مثل صرفهم و حلفهم و قولهم كذبا فى الآخره كانوا يُؤْفَكُونَ (١١) يصرفون عن الصّدق و يعدلون عن قول الحق.

٥٦ و ٥٧- وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ... (١٢) إنّ الله تعالى أخير

ص: ٣٧٦

- ١- سورة ٣٢ - آيه ٨
- ٢- سورة ٣٠ - آيه ٥٤
- ٣- سورة ٣٠ - آيه ٥٤
- ٤- سورة ٣٠ - آيه ٥٤
- ٥- سورة ٣٠ - آيه ٥٤
- ٦- سورة ٣٠ - آيه ٥٤
- ٧- سورة ٣٠ - آيه ٥٥
- ٨- سورة ٣٠ - آيه ٥٥
- ٩- سورة ٣٠ - آيه ٥٥
- ١٠- سورة ٣٠ - آيه ٥٥
- ١١- سورة ٣٠ - آيه ٥٥
- ١٢- سورة ٣٠ - آيه ٥٦

عن قول أهل العلم و الإيمان بعد استماعهم الحلف الكاذب من المشركين بقوله: وَ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ (١)، إلخ، أى الذين هداهم الله بإقامه الحجج و نصب البراهين بحيث صارت موجه لسلمهم و باعته لكمال معرفتهم و تصديقهم لله و لرسوله و كل ما جاء به الرسول صلوات الله عليه و لهذا نسبه إلى نفسه. و لعل المراد بهم الأنبياء و الملائكة العالمون بأكثر الأمور، و المؤمنون من الإنس، أو الملائكة و المؤمنون جميعا.

فى الكافى عن الرضا عليه السلام فى الحديث الذى يصف فيه الإمامه و الإمام قال: فقلدها صلى الله عليه و آله علينا عليه السلام بأمر الله عز و جل على رسم ما فرضه الله تعالى، فصارت فى ذريته الأصفياء الذين آتاهم الله تعالى العلم و الإيمان بقوله: وَ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ (٢)، الآية لَقَدْ لَبِثْتُمْ فى كِتَابِ اللَّهِ (٣) أى فى اللوح المحفوظ. يعنى أنه ثابت فيه مقدار لبثكم، أو فى علم الله و قضائه، أو فى القرآن من قوله: وَ مِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (٤) و الحاصل أن أهل العلم و الإيمان يردون على أهل الكفر و الإلحاد بهذا القول، أى لقد لبثتم إلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (٥) و بعد ذلك يقولون فهذا يَوْمُ الْبُعْثِ (٦) أى اليوم الذى كنتم تنكرونه و الفاء جواب للشرط المحذوف و تقديره: ان كنتم منكرين للبعث و النشور فهذا (٧) إلخ فانظروا حتى يتبين لكم بطلان إنكاركم وَ لِكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٨) وقوعه لعدم النظر و التدبر فى ما جاء به نبيكم (ص) فى أخذ الكفره فى الاعتذار عما فات و يطلبون الرجوع إلى الدنيا لجبران ما مضى و استئناف العمل فلا يقبل منهم، و يجىء النداء من قبل الرب كلاً فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا (٩) أنفسهم بالكفر و الشرك بعد إتمام الحجة عليهم مَعَذِرْتُهُمْ (١٠) اعتذارهم وَ لَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ (١١) و لا يطلب منهم الإعتاب و لا ما يزيل آثار الجرم كالتوبه و الرجوع إلى الدنيا للجبران أو العوده إلى الحق، و الحاصل أنهم لا يستتابون فيتوبون. و يقال استعتبني فلان فأعتبته أى استرضاني فأرضيته، فلا يؤذن لكم فى الاسترضاء حتى أرضى عنهم، و لا يطلب منهم العتبي و الأخذ و الرد فى الكلام.

ص: ٣٧٧

١- سورة ٣٠ - آيه ٥٦

٢- سورة ٣٠ - آيه ٥٦

٣- سورة ٣٠ - آيه ٥٦

٤- سورة ٢٣ - آيه ١٠٠

٥- سورة ٢٣ - آيه ١٠٠

٦- سورة ٣٠ - آيه ٥٦

٧- سورة ٣٠ - آيه ٥٦

٨- سورة ٣٠ - آيه ٥٦

٩- سورة ٣٠ - آيه ٥٧

١٠- سورة ٣٠ - آيه ٥٧

١١- سورة ٣٠ - آيه ٥٧

وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلِئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ (٥٨) كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (٥٩) فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ (٦٠)

٥٨- وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ... (١) أى بينا لهم بحيث أغنياهم فى البيان فى هذا القرآن (٢) المنزل على نبينا صلى الله عليه و آله من كُلِّ مَثَلٍ (٣) يدعوهم و يتبهم على التوحيد و الإيمان بالبعث و إلى قول النبى (ص) لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا (٤) من فرط عنادهم و اسوداد قلوبهم إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ (٥) أى أصحاب الأباطيل و التزوير.

٥٩- كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ... (٦) أى كما طبع على قلوب هؤلاء الكفرة يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (٧) أى الذين لا يعلمون شيئا من الحق و يعتقدون أن ما هو عقيدتهم من الضلاله و الأباطيل هو الحق. و لا ريب أن الجاهل جهلا مركبا لا يهتدى و لا يكون قابلا للهدايه، فكأنه ختم و طبع على قلبه فلا يدرك الحق أبدا و لذا منع من أطفاف الحق عزّ و جلّ فتركه الله تعالى فى تيه ضلالته و الجهاله. و الطبع كناية عن غايه قسوه القلب. و لما كان الجاحدون مصرين على عدم استماع الحق و الاهتداء و لا زالوا يؤذون أهل الإيمان بأقسام الأذايا فأمر الله تعالى نبيه بالصبر و بشره بالنصر تسليه له فقال:

٦٠- فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ... (٨) أى اصبر على أذاهم إِنْ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ (٩) حين وعدك بالنصر و بإعلاء دينك فإن ذلك ثابت منجز لا محاله و لا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ (١٠) أى لا يحملنك على الخفه و الضجر و لا

ص: ٣٧٨

- ١- سوره ٣٠ - آيه ٥٨
- ٢- سوره ٣٠ - آيه ٥٨
- ٣- سوره ٣٠ - آيه ٥٨
- ٤- سوره ٣٠ - آيه ٥٨
- ٥- سوره ٣٠ - آيه ٥٨
- ٦- سوره ٣٠ - آيه ٥٩
- ٧- سوره ٣٠ - آيه ٥٩
- ٨- سوره ٣٠ - آيه ٦٠
- ٩- سوره ٣٠ - آيه ٦٠
- ١٠- سوره ٣٠ - آيه ٦٠

تغضب من هؤلاء الذين هم أهل شكّ و ضلاله، فلا بد من أن تكون مجتهدًا و مجتهدا في دعوتك فإنك المنصور عليهم في
نهاية الأمر كما وعدناك.

ص: ٣٧٩

مكيه إلا الآيات ٢٩، ٢٨، ٢٧ فمدنيه و آياتها ٣٤ نزلت بعد الصفات.

سوره لقمان (٣١): الآيات ١ الى ٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الم (١) تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ (٢) هُدًى وَ رَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ (٣) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَ هُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٤) أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٥) وَ مِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَ يَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ (٦) وَ إِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَ لِيَ مُسْتَكْبِرًا كَمَا أَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَسَّضَهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٧)

١ و ٢- الم، تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ... (١) قد قلنا سابقا إن الحروف المقطعه في مبادئ السور أسماء للنبي صلى الله عليه و آله أو رموز

ص: ٣٨١

بين النبي و بينه تعالى، و علمها عنده تعالى و عند نبيه (ص)، و تلك آيات الكتاب (١) أى هذه الآيات آيات القرآن الحكيم (٢)
المحكم آياته أو المحكم، أو آياته ذات الحكمة هدى (٣) بيانا و دلالة. و نصبه على الحال للآيات، و هو مصدر بمعنى الفاعل من
باب: زيد عدل أى حال كون الآيات هاديه و رحمته (٤) أى حال كونها نعمه للمحسنين (٥) المطيعين أو للموحدين، أو المراد
للذين يحسنون العمل. ثم وصفهم سبحانه بقوله:

٣ إلى ٥- الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ... (٦) هذه الشريفه و ما بعدها بيان للمحسنين، و تكرير الضمير تأكيد. و عن الكلبي و مقاتل أن
النضر بن الحارث سافر إلى فارس للتجاره فاشترى بعض الكتب الموضوعه للقصص و الحكايات نحو ما كتب فى أحوال رستم و
بهرام و إسفنديار من ملوك الفرس و أمرائهم، فكان يقرأ فى مجامع قریش و محافلهم بحيث أنهم تركوا استماع القرآن و صاروا
يجتمعون عنده لكثرة اشتياقهم لاستماع تلك القصص و الحكايات الحلوه. و كان يقول النضر عنادا و إنكارا لما جاء به النبي من
القرآن و غيره من المعجزات: إن محمدا جاء بقصه عاد و ثمود و ملك سليمان و داود، و أنا أخبركم عن سعه ممالك ملوك
العجم و أكاسرته و قياصرته، فنزلت الآية الشريفه:

٦- وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي... (٧) أى النضر أو غيره من المعاندين و المشركين يشتري لهُوَ الْحَدِيثِ (٨) أى التغنى أو مطلق ما
يلهى عن سبيل الله و عن طاعته من الأباطيل و المزامير و الملاهى و المعازف و الأحاديث التى لا أصل لها و الأساطير التى لا
اعتبار فيها و نحوها من الملاهى لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ (٩) و طريقته الحقه فيضل الناس عن دينه تعالى. و من أضل غيره فقد ضل
بغير علم (١٠) بغير بصيره حيث يشتري الباطل بالحق و الضلاله بالهدى، و الجملة حال من فاعل (أضل) و متعلق به و يتخذها هزواً
(١١) أى يتخذ السبيل المستقيم سخریه و يستهزئ بها، و من يفعل ذلك فله عذاب مهين (١٢) ذو إهانته.

ص: ٣٨٢

- ١- سورة ٣١ - آيه ٢
- ٢- سورة ٣١ - آيه ٢
- ٣- سورة ٣١ - آيه ٣
- ٤- سورة ٣١ - آيه ٣
- ٥- سورة ٣١ - آيه ٣
- ٦- سورة ٣١ - آيه ٤
- ٧- سورة ٣١ - آيه ٦
- ٨- سورة ٣١ - آيه ٦
- ٩- سورة ٣١ - آيه ٦
- ١٠- سورة ٣١ - آيه ٦
- ١١- سورة ٣١ - آيه ٦
- ١٢- سورة ٣١ - آيه ٦

٧- وَإِذَا تُلْتلى عَلَيْهِ... (١) وَلِي مُسْتَكْبِرًا... (٢) أى أعرض عن سماع آياتنا إعراض من لا يسمعها و كأن في أذنيه وقرأ (٣) أى كأن في مسامعه ثقلا يمنعه عن سماع تلك الآيات و من كانت هذه حاله فبشره بعذاب أليم (٤) مؤلم موجه. و التعبير بالبشاره مع أنها تستعمل في الخير للتهمك. و

في القمى عن الباقر عليه السلام: هو النضر بن الحارث بن علقمه بن كلده من بنى عبد الدار بن قصى و كان النضر ذا روايه لأحاديث الناس و أشعارهم يقول الله تعالى: وَإِذَا تُلْتلى عَلَيْهِ آياتنا وَلِي مُسْتَكْبِرًا. (٥)

سوره لقمان (٣١): الآيات ٨ الى ١١

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ (٨) خَالِدِينَ فِيهَا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٩) خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَ أَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَواسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَ بَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَ أَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ (١٠) هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (١١)

٨ و ٩- إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا... (٦) هذه الشريفه بيان لحال المؤمنين إثر ذكر حال الكافرين بالآيات، أى أن الذين آمنوا بالآيات و عملوا بها لهم جنات النعيم (٧) البساتين و الحدائق ذات النعمه. و لا يخفى أن توحيد العذاب و الكفره، و جمع الجنات للمؤمنين إشاره إلى الرحمه و أن الرحمه واسعه أكثر من الغضب، و تعريف النعمه و تنكير العذاب يرمز إلى أن الرحيم عرّف النعمه لإيصال الرّاحه إلى قلوب المؤمنين و لم يبين النقمه بل تبه عليها تنبيها لتزلزل قلوب الكفره و لتذهب أذهانهم إلى أى مرتبه من

ص: ٣٨٣

١- سوره ٣١ - آيه ٧

٢- سوره ٣١ - آيه ٧

٣- سوره ٣١ - آيه ٧

٤- سوره ٣١ - آيه ٧

٥- سوره ٣١ - آيه ٧

٦- سوره ٣١ - آيه ٨

٧- سوره ٣١ - آيه ٨

مراتب العذاب تكون النقمه من الكافرين، في حين أن المؤمنين يكونون في الجنة خالدين فيها وَعِيدَ اللَّهُ حَقًّا (١) أى وعدهم وعدا حَقًّا لا خلف فيه ولا تبديل وَ هُوَ الْعَزِيزُ (٢) الذى لا يغلبه شىء فيمنعه عن إنجازه وعده و وعيده فى انتقامه من المشركين الْحَكِيمُ (٣) الذى يفعل طبق ما تقتضيه حكمته. ثم إنه تعالى بعد ذكر الوعد و الوعيد بين أفعاله المحكمه المتقنه الداله على التوحيد و القدره العظيمه بقوله:

١٠- خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا... (٤) إذ لو كان لها عمد لرأيتموها حيث إنها لو كانت فرضا لكانت من أجسام عظام بحيث تتحمل ثقل السماوات، و لو كان كذلك لاحتاجت إلى عمد أخرى و هكذا حتى تكون كل واحده منها معمودا لعمد أخرى و ذلك موجب للتسلسل فإذا لا عمد لها، هذا بناء على كون قوله تَرَوْنَهَا (٥) جمله مستأنفه و يحتمل كونها صفة لعمد أى بغير عمد مرثيه، يعنى عمدها غير مرثيه و مشاهده لكم، فإنها لها عمد ممسكه لها و هى عباره عن قدرته الكامله و كلمته التامه التى خلق الكون بها مع جميع كيفياته و كمياته. ولعله يشير إلى هذا

ما نقل عن الرضا عليه السلام: ثم عمد و لكن لا ترونها. و من مظاهر قدرته قوله وَ أَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ (٦) أى وضع و خلق عليها جبالا شوامخ ثوابت لعدم اضطراب الأرض و لاستقرارها كما يشير إلى تلك الفائدة المهمه و النعمه المجهوله على أكثر البشر بقوله تعالى: أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ (٧) لأنه تعالى كره أن تتحرك و تضطرب بنا فإنها لو توضع و لم تجعل عليها الجبال لزلت الأرض عن موضعها و لم تزل تتحرك بسبب المياه المتحركه و الأرياح الجاربه عليها.

و من النعم التى من بها على العباد أن جعل الأرض صلبه و لو جعلها مثل الرمال لما كانت تصلح للزراعه و غرس الأشجار الكبيره فإن الأراضي المرملة ينتقل الرمل الذى فيها من موضع إلى موضع و يموج كما تموج المياه و لا استقرار فيها أبداً وَ بَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ (٨) أى نشر و فرّق فيها من كل ما يتحرك و يدب على وجه الأرض من أنواع الحيوان، و أسكنها فى

ص: ٣٨٤

١- سورة ٣١ - آيه ٩

٢- سورة ٣١ - آيه ٩

٣- سورة ٣١ - آيه ٩

٤- سورة ٣١ - آيه ١٠

٥- سورة ٣١ - آيه ١٠

٦- سورة ٣١ - آيه ١٠

٧- سورة ٣١ - آيه ١٠

٨- سورة ٣١ - آيه ١٠

الأرض ثم أرسل عليها المطر فأنبت فيها مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ (١) أى من كلِّ صنف كثير المنفعة. ثم أنه تعالى استدل بهذه الأمور على عزته فإنها تكشف عن كمال قدرته و تدل على حكمته البالغه، و مهّد بذلك قاعده التوحيد و قرّره بقوله:

١١- هذا خَلَقَ اللَّهُ... (٢) أى هذا مخلوقه و موجوده الذى تشاهدونه و تعاینونه بعين اليقين فَأرُونِي ما ذا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ (٣) أى اين مخلوق شركاء الله و مصنوعهم. و ما ذا خلقت آلهتكم التى تعبدونها؟ و بأى سبب صارت مستحقه للعباده؟ فأروني وجه استحقاقها و الاستفهام للتقريع، يعنى لم يخلقوا شيئاً ما، و لا يقدرون أن يخلقوا فلا يستحقون الاعتناء بهم، فكيف أن يعبدوا و جعلوا شركاء لخالق السماوات و الأرضين و ما فيهما و ما بينهما فواها ثم واهل لهؤلاء الذين قالوا بألوهيه العجزه و أشركوا العاجز المطلق مع القادر المطلق و المصنوع الذى نحتوه بأيديهم مع خالق العوالم الإمكانيه بأسرها... بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٤) هذا إضراب عن تبكيتهم إلى التسجيل عليهم بالضلال بحيث لا يكون خافياً على أحد من العقلاء الناظرين قد وضع الظاهر مقام الضمير إيذاناً بالعله، ثم إنه تعالى لما ذكر أدله التوحيد و القدره و الحكمه عقبها بيان قصه لقمان و إعطائه رشحه من رشحات حكمته العالیه بتلك المناسبه فقال عزّ من قائل:

سوره لقمان (٣١): الآيات ١٢ الى ١٥

وَ لَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَ مَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَ مَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ (١٢) وَ إِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَ هُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشُّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (١٣) وَ وَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَ فِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَ لِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ (١٤) وَ إِنْ جَاهِدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَ صَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَ اتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (١٥)

ص: ٣٨٥

١- سوره ٣١ - آيه ١٠

٢- سوره ٣١ - آيه ١١

٣- سوره ٣١ - آيه ١١

٤- سوره ٣١ - آيه ١١

ما فى الكافى عن الكاظم عليه السلام، و عن الصادق عليه السلام: أوتى معرفه إمام زمانه. و كان لقمان بن باعور ابن أخت أيوب عليه السلام أو خالته و عمّر حتى أدرك داود عليه السلام أن أشكر لله (٢) أى لأن، أو قلنا له أشكر لله و من يشكر فإتما يشكر لنفسه (٣) أى لعود نفعه إليها. و الله غنى (٤) عن شكر الشاكرين حميد (٥) أى حقيق بالحمد حمد أو لم يحمد.

١٣- وَ إِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ... (٦) أى اذكر يا محمّد إذ قال لقمان لابنه، و يجوز أن يتعلّق بقوله وَ لَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ (٧) إذ قال لابنه وَ هُوَ يَعِظُهُ (٨) أى يؤدبه و يذكره يا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ (٩) و قيل كان كافرا فما زال به حتى أسلم إن الشُّرْكَ لَطُومٌ عَظِيمٌ (١٠) لأنه تسويه بين أشرف الموجودات و أحسن المخلوقات و هى الأوثان المنحوتة من الجمادات كالأحجار و الأخشاب و الأصنام المصنوعة من الذهب و الفضة و الصفر و الحديد.. و هذا الكلام من نصائح الحكيمه. و

روى عن النبى (ص) أن واحدا من عظماء بنى إسرائيل مرّ على لقمان و رأى أن جمعا كثيرا اجتمعوا عليه يستمعون من مواعظه و كلماته الحكيمه فناداه: يا لقمان أما أنت الأسود الذى كنت ترعى أغنام فلان؟ و قال له هذا من التعجب لا تحقيرا. فقال لقمان:

نعم أنا ذاك. فسأله: بأى عمل نلت هذا المقام السامى؟ أجابه: بثلاثه أمور: بصدق الحديث، و أداء الأمانه، و ترك ما لا يعنى. و قد فسر بعض شراح الحديث (ما لا يعنى) بترك الآمال. و لكن الظاهر أنه ترك الكلام

- ١- سوره ٣١ - آيه ١٢
- ٢- سوره ٣١ - آيه ١٢
- ٣- سوره ٣١ - آيه ١٢
- ٤- سوره ٣١ - آيه ١٢
- ٥- سوره ٣١ - آيه ١٢
- ٦- سوره ٣١ - آيه ١٣
- ٧- سوره ٣١ - آيه ١٢
- ٨- سوره ٣١ - آيه ١٣
- ٩- سوره ٣١ - آيه ١٣
- ١٠- سوره ٣١ - آيه ١٣

إلا بمقدار الضرورة و رفع الحاجه فهو عليه السلام لا زال كذلك و كان لا يتكلم إلا بالحكمه و الموعظه الحسنه، و كان كثير الصّمت. و نقل الثعلبي في تفسيره من حكم لقمان أنّ مولاہ أرسله مع بعض غلمانہ إلى بستان له ليأتوه بفاكهه فأكلها الغلمان في الطريق و ألقوا إلى رقبه لقمان و قالوا هو أكله. فغضب عليه مولاہ، فقال لقمان: كذبوا و هم أكلوها. فسأله المولى بأى كيفيه يمكن كشف كذبهم؟ فقال: بأن تشربنا ماء فاترا و تركضنا في الصّحراء حتى تعرّضنا للقىء، فإن خرجت الفاكهه من بطنى فهم صادقون، و لو خرجت من بطونهم فهم كاذبون. فسلك المولى بهم هذا العمل فخرجت من بطونهم الفواكه و من بطن لقمان الماء الصافى. فاعتمد بعد ذلك على أعماله و أقواله و تعجّب من عقله و ذكائه و من قصار كلماته فى الحكمه. فليس مال كالصّحاحه و لا- نعيم كطيب النفس. و نقل أنه كان عبدا حبشيا فأمره مولاہ أن يذبح كبشا و يجيئه بأطيب أعضائه فذبحه و جاءه بقلبه و لسانه. و بعد أيام قليله أمره بالذبح و أن يجيئه بأخبث الأعضاء فجاءه بهما أيضا... فسأله مولاہ كيف يكون شىء واحد أطيب و أخبث؟ فأجابه: هما أطيب الأعضاء إذا طابا، و أخبثها إذا خبثا.

و من كلماته الثمينه الحكميّه قوله لداود عليه السلام: يا داود اسمع منى و تعلّم خمس كلمات فيها علم الأولين و الآخرين.

١- اعمل لدنياك بقدر لبثك فيها.

٢- اعمل لآخرتك بمقدار لبثك فيها.

٣- ليكن مقصودك من مولاك عتق رقبتك من النار.

٤- لتكن جراتك على المعصيه بمقدار صبرك و طاقتك على النار.

٥- إذا قصدت معصيه مولاك فهىء مكانا لا يراك فيه.

و له قصص و حكايات كثيره و كلمات قيمه ليس هذا المختصر مكان ذكرها. ثم إنه تعالى قدّم الأمر بالشكر على نعمه الجزيله لأنه المنعم و عقبه

بالتنبيه على وجوب الشكر للوالدين لأن حقوقهم على الأولاد كثيرة فقال تعالى:

١٤- وَصَيَّنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ... (١) أى أمرناه بطاعه الوالدين و شكرهما و الإحسان إليهما. و إنما قرن شكرهما بشكره لأنه الخالق المنشئ و هما السبب فى الإنشاء و التربيه. و بعد هذا بين سبحانه زياده نعمه الأم و كثره حقها على الولد من ناحيه كثره أتعابها به، فقال: حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ (٢) أى ضعفا على ضعف، فإن الحمل كلما يثقل و يترقى يزيد فى مضايقه الأم و ضعفها فإن الحمل الثقيل كلفه و مشقه على الحامل، ألا ترى أن البطين كيف يرى الشده و الجهد بحيث لا يقدر على المشى من الضعف لعظم بطنه و كبره وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ (٣) أى فطامه فى انقضاء عامين، و هما مده رضاعه. و الجملةتان اعتراض مؤكّد للتوصيه فى حقها و تنبيه على ازدياد حقها و لذلك قال سبحانه: أَنْ اشْكُرْ لِي وَ لِوَالِدَيْكَ (٤) هذا تفسير للتوصيه، أى وصيناه بشكرنا و شكر والديه و شكر الله بالحمد و الطاعه و شكر الوالدين بالبر و الصيله إِلَيَّ الْمَصِيرُ (٥) أى المرجع فأجازيكم على حسب أعمالكم، و فيه تهديد. و فى العيون عن الرضا عليه السلام فى حديث: و أمرنا بالشكر له و للوالدين فمن لم يشكر والديه لم يشكر الله.

و عنه عليه السلام: من لم يشكر المنعم من المخلوقين لم يشكر الله عزّ و جلّ.

١٥- وَ إِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي... (٦) أى بدلا و وسعهما و جدّا لأن تشرك بى ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ (٧) أى الذى لا علم لك باستحقاقه و أهليته للشرك عن بينه و حجه قطعيه إلا- تقليدا لهما فقط فلا تُطْعِمُهُمَا (٨) فى ذلك مع أن إطاعتها و خدمتهما لازمه عليك،

إذ لا طاعه لمخلوق فى معصيه الخالق على ما روى عن الرضا عليه السلام وَ صَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا (٩) أى مصاحبه معروفه محموده شرعا و عرفا فأحسن إليهما بما تحسن به إلى أحبّ الخلق إليك و ارفق بهما كمال الرفق نحو ما ترفق بمن هو أحبّ

ص: ٣٨٨

١- سورة ٣١ - آيه ١٤

٢- سورة ٣١ - آيه ١٤

٣- سورة ٣١ - آيه ١٤

٤- سورة ٣١ - آيه ١٤

٥- سورة ٣١ - آيه ١٤

٦- سورة ٣١ - آيه ١٥

٧- سورة ٣١ - آيه ١٥

٨- سورة ٣١ - آيه ١٥

٩- سورة ٣١ - آيه ١٥

فى الكافى عن الصادق عليه السلام فى حدىث بعد أن أوصى رجلا بأن لا تشرك بالله شىئا و إن أحرقت بالنار

قال عليه السلام:

و والديك فأطعهما و برهما حين كانا أو ميتين،و إن أمراك أن تخرج من أهلك و مالك فافعل،فإن ذلك من الإيمان و اتبع سبيل من أناب إلى (١) أى نهج من رجع إلى بالطاعة و التوحيد و الإخلاص،و هو محمد نبى و من يحذو حذوه من أهل بيته و أتباعهم المتصفين بالإيمان و الإخلاص ثم إلى مرجعكم (٢) إلى حكمى رجوعكم فأبئكم بما كنتم تعملون (٣) أخبركم بأعمالكم و أقوالكم و أجازيكم عليها إن خيرا فخير و إن شرا فشر.

سوره لقمان (٣١): الآيات ١٦ الى ١٩

يا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ (١٦) يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَ أْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَ أَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ إِصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (١٧) وَ لَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَ لَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرْحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (١٨) وَ اقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَ اعْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ (١٩)

١٦- يا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ... (٤) ثم أخذ هو تعالى فى بيان بعض آخر من قصص لقمان بقوله: يا بنى، تصغير شفقته و عطف على ابنه.و المثلقال كناية عن أقل ما يوزن به الشىء من الأحجار و الفلزات التى يعين بها مقدار الأشياء كالكيلوات و نحوها فى كل عصر بحسبه من خردلٍ (٥) بيان للحب و كناية عن أصغر الحبوب.و الخردل نبات له حب

ص: ٣٨٩

١- سوره ٣١ - آيه ١٥

٢- سوره ٣١ - آيه ١٥

٣- سوره ٣١ - آيه ١٥

٤- سوره ٣١ - آيه ١٦

٥- سوره ٣١ - آيه ١٦

صغير جدًا أسود مقرّح. و معنى الكريمة أن فعله الإنسان من الخير أو الشر أو أفعاله بقرينه المقام، و لعل تأنيث الفعل أيضا بذلك الاعتبار، إن كانت فى الصيغ مقدار خردله فتكُنْ فى (١) أخفى المواضع كجوف صخره (٢) أو فى أعلاها فى السماوات (٣) أو فى أسفلها فى الأرض (٤) يأت بها الله (٥) أى يحضرها ليحاسب عليها إن الله لطيف (٦) نافذ القدره بحيث يصل علمه إلى كل خفى خبير (٧) عارف بكنه ذات الشىء و حقيقته. و روى العياشى عن الصادق عليه السلام أنه قال: اتقوا المحقرات من الذنوب فإن لها طالبا.

١٧- يا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَ أْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ... (٨) إن الله تعالى عقب تلك الجملة بقوله: أقم الصلوة حكاية عن عبده الصالح الذى أعطاه الحكمة تنبيهها على أهميتها و ربطها بالدين كالصلاة التى هى عماد الدين. و الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر يمكن أن يقال إنهما من ناحيه أهمّ منها حيث إنهما على مبقية للدين كما أنّ الأنبياء و الرسل كانوا على محدثه له و لولاها (أى الأنبياء و الرسل) و لولا الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر لم يكن و لا يبقى من الدين اسم و لا رسم كما هو المشاهد بالوجدان و لا يحتاج إلى إقامه البرهان، و المراد بالمعروف ما هو الموافق للشرع و العقل، و المنكر ما هو المخالف لهما أو لأحدهما

وَ اضْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ (٩) من المصائب و الشدائد و الأذى فى الأمر و النهى أو مطلقا، و الأول مروى عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام، و الثانى عن الجبائى، و الحق مع على عليه السلام فإنه الظاهر من التعقيب بهما مضافا إلى أنّ باب الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر أولى بالأمر بالصبر لأن المصائب و الشدائد فى هذين الفرضين أكثر من جميع الفرائض، لأن الفرائض كلّها تسقط عند الدماء و قتل النفس المحترمه، بخلاف هذين فإن من مصاديقهما الجهاد، الذى حقيقته الأمر بالمعروف أو النهى عن المنكر أو كلاهما. و الوجدان يحكم بأن الجهاد وضع للفداء و التضحية فى سبيل الدّعوة إلى الدين، و فى هذا الفرض أيسره

ص: ٣٩٠

١- سورة ٣١ - آيه ١٦

٢- سورة ٣١ - آيه ١٦

٣- سورة ٣١ - آيه ١٦

٤- سورة ٣١ - آيه ١٦

٥- سورة ٣١ - آيه ١٦

٦- سورة ٣١ - آيه ١٦

٧- سورة ٣١ - آيه ١٦

٨- سورة ٣١ - آيه ١٧

٩- سورة ٣١ - آيه ١٧

إهراق الدماء، وأشدّه وأعسره قطع الأيادي والرؤوس، وأى فرض أخرى وأجدر بالصبر من هذين الفرضين؟ فالأولى والأنسب إرجاع الأمر بالصبر إلى جنب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر اللذين هما معروضان للتعب والأذى نوعاً إن لم نقل بكونهما ملازمان لهما ولا سيّما في هذه الأزمنة من عصر آخر الزمان كما يشاهد بالعيان فقول عليّ عليه السلام هو الحق إن ذلك من عزم الأمور (١) أى الصبر على ما أصابك من عزائم الأمور التي عزمها الله ومقطوعاتها. فالمقام اقتضى تسميه المفعول بالمصدر فقال: عزم الأمور، أى معزوماتها ومفروضاتها التي لا بد منها.

١٨- وَ لَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ ... (٢) أى لا- تمل بوجهك عن الناس نخوه وتكبراً، وأقبل بوجهك عليهم تواضعاً وخشوعاً ولا تمش في الأرض مرحاً (٣) أن لا- تمرح مرحاً شديداً، لا تسر بكبرياء وعجرفة و بإظهار نشاط وفرح واعتزاز بالنفس إن الله لا يحب كل مختال فخور (٤) أى أنه تعالى يكره المتخايل في مشيه المتكبر الفخور بنفسه الذي يمشى قليلاً قليلاً ليخدع الناس بأنه ذو شخصيه قدسيه أو ماليه، فلا ينبغي للإنسان العاقل أن يكون متصفاً بهذه الصفات... و نلفت النظر إلى أن التصعير هو من الصعر الذي هو عله تعرض للبعير فتسبب له العوج في عنقه فيمشى وهو مائل الوجه عن وجهه سيره.. ثم قال سبحانه وتعالى على لسان لقمان:

١٩- وَ أَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ ... (٥) أى توسط فيه بين السيره والبطة فإن السرعة تذهب ببهاء الرجل والبطة علامه التبخر والتكبر وكذلك لا ينبغي للإنسان أن يمشى مصعراً خده أى مائلاً برقبته إلى اليمين أو إلى اليسار بحيث يكشف عن عدم اعتناؤه بالناس وكذا مختالاً ينصب عنقه ويجعله عدلاً بحيث لا يحركه إلى اليمين أو اليسار نخوه وتكبراً فكلاً الوصفين مذمومان عند الشارع لأنهما كاشفان عما هو مبغوض عند الشارع ولذا نهى عنهما. وَ اغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ (٦) أى أقصر وإخفض صوتك فإن الرفع لصوته هو الحمار، وإن أنكرت الأصوات لصوت الحمير (٧) أى أقبحها

ص: ٣٩١

١- سورة ٣١ - آيه ١٧

٢- سورة ٣١ - آيه ١٨

٣- سورة ٣١ - آيه ١٨

٤- سورة ٣١ - آيه ١٨

٥- سورة ٣١ - آيه ١٩

٦- سورة ٣١ - آيه ١٩

٧- سورة ٣١ - آيه ١٩

فى الكافى عن الصادق (ع) أنه سئل عنه عليه السلام فقال:

العطسه القبيحه. هذه نبذ من مواعظ لقمان حكاها الله تعالى، فإنها وإن كان الخطاب فيها لولده لكنّها تفيد العالم، ولذلك أوحى الله بها إلى نبيّه صلّى الله عليه وآله لاستفاده أمته بها ولندكر روايه فيها من مواعظه و حكمه القيمه و لو أن ذكرها خلاف ما هو قصدنا فى الكتاب من رعايه الاختصار.

ففى القمى عن الصادق عليه السلام فى قول الله تعالى وَ إِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ (١)، الآيات قال (ع): فوعظ لقمان ابنه بآثار حتى تفرّط و انشّق. و كان فيما وعظه به أن قال: يا بنى إنك منذ سقطت إلى الدنيا استدبرتها و استقبلت الآخرة. فدار أنت إليها تسير أقرب إليك من دار أنت عنها متباعد. يا بنى جالس العلماء و زاحمهم بركبتك، و لا تجادلهم فيمنعوك. و خذ من الدنيا بلاغا، و لا ترفضها فتكون عيالا على الناس، و لا تدخل فيها دخولا يضرّ بآخرتك، و صم صوما يقطع شهوتك، و لا تصم صياما يمنعك من الصّلاه فإن الصّلاه أحبّ إلى الله من الصّيام. يا بنى إن الدنيا بحر عميق قد هلك فيها عالم كثير، فاجعل سفيتك فيها الإيمان، و اجعل شراعها التوكّل و اجعل زادك فيها تقوى الله فإن نجوت فبرحمه الله و إن هلكت فبذنوبك. يا بنى إن تأدبت صغيرا انتفعت به كبيرا، إلى أن يقول: و أجعل فى أيامك و لياليك و ساعاتك لنفسك نصيبا فى طلب العلم، فإنك لن تجد له تضييعا أشدّ من تركه، و لا- تمارين فيه لجوجا، و لا- تجادلنّ فقيها، و لا تعادين سلطانا، إلى أن يقول: يا بنى خف الله عزّ و جلّ خوفا لو أتيت يوم القيامة ببرّ الثقلين خفت أن يعذبك، و أرج الله رجاء لو وافيت يوم القيامة بإثم الثقلين رجوت أن يغفر الله لك. فقال له ابنه: يا أبه، و كيف أطيق هذا و إنما لى قلب واحد؟ فقال له لقمان: يا بنى لو استخرج قلب المؤمن فشقّ لوجد فيه نوران: نور للخوف و نور للرجاء لو وزنا ما رجح أحدهما على الآخر بمثقال ذره.

ص: ٣٩٢

أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنبِئٍ (٢٠) وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَحَدَّثَنَا آبَاءُنَا أَوْ لَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ (٢١) وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ (٢٢) وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٢٣) نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ (٢٤)

٢٠- أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ... (١) بأن جعله أسبابا لمنافعكم و ما في الأرض (٢) بأن مكنكم من الانتفاع به كالثيرات و كالحيوان و غيره و أسبغ عليكم نعمه (٣) أى أوسع و أتم نعمه بأقسامها من الظاهريه المحسوسه التى لا يمكن لأحد إنكارها كالخلق و الإحياء و الإقذار و إيجاد الشهوات فى الحيوانات و ضروب النعم المأكوله و المشروبه و الملبوسه و المسكونه و المركوبه و غيرها ممّا لا يعدّ و لا يحصى، و الباطنيه مما لا يدرك بالحسّ و العيان بل بالعقول، و بعض القوى الأخرى، و بنفس المدرك أيضا من النعم الباطنيه

قال الباقر عليه السلام: أمّا الظاهره النبىّ صلى الله عليه و آله و ما جاء به من معرفه الله و توحيده، و الباطنه و لا يتنا أهل البيت و من الناس من يجادل فى الله (٤) أى فى ذات الله. و

كما فى عين المعانى أن يهوديّيا جاء و سأل النبىّ (ص) فقال: يا محمد، إن ربك من أىّ شىء؟ فجاءت صاعقه و أحرقتة، فنزلت الآيه. أو يجادل فى توحيده و صفاته

ص: ٣٩٣

١- سوره ٣١ - آيه ٢٠

٢- سوره ٣١ - آيه ٢٠

٣- سوره ٣١ - آيه ٢٠

٤- سوره ٣١ - آيه ٢٠

و يَنازِعُ فِيهَا وَيَنكُرُهَا بِغَيْرِ عِلْمٍ (١) أَي عَن جَهْلٍ وَ عَن تَقْلِيدٍ وَ لَا هُدًى (٢) وَ لَا هَادٍ مِّنْ نَّبِيٍّ أَوْ وَصِيٍّ نَبِيٍّ حَتَّى يَأْخُذُوا مِنْهُ حِجَّةً أَوْ بَرَهَانًا مِّنَ اللَّهِ عَلَى مَدْعَاهُمْ وَ لَا كِتَابٍ مُّبِينٍ (٣) وَ لَا كِتَابٍ مِّنْزَلٍ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ كَانَ وَاضِحًا لِلدَّلَالَةِ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَ يَخَاصِمُونَ النَّبِيَّ (ص) بِهِ.

٢١- وَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ... (٤) أَوْ لَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ... (٥) اسْتَفْهَامٌ عَلَى سَبِيلِ التَّعَجُّبِ. وَ أَدْخَلْتَ عَلَى وَائِ الْعَطْفِ هَمْزَهُ الِاسْتَفْهَامِ عَلَى وَجْهِ الْإِنْكَارِ.

وَ جَوَابُ لَوْ (٦) مَحذُوفٌ تَقْدِيرُهُ: هَلْ لَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ لَا تَتَّبِعُوهُ؟ وَ الْمَعْنَى أَنَّ الشَّيْطَانَ يَدْعُوهُمْ إِلَى تَقْلِيدِ آبَائِهِمْ وَ تَرَكَ اتِّبَاعَ مَا جَاءَتْ بِهِ الرِّسَالَةُ، وَ ذَلِكَ مُوجِبٌ لَهُمْ دُخُولَ النَّارِ، فَهُوَ فِي الْحَقِيقَةِ يَدْعُوهُمْ إِلَى النَّارِ وَ هُمْ يَتَّبِعُونَهُ فِي ذَلِكَ مِّنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ فَيَقْعُونَ فِيهَا كَمَا نَوَى يَفْرُونَ مِنْهُ.

٢٢- وَ مَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ... (٧) أَي مَن فَوَّضَ وَ خَلَّى أَمْرَهُ إِلَى تَعَالَى وَ تَوَجَّهَ بِهِ إِلَيْهِ بِكَامِلٍ وَجُودِهِ وَ هُوَ مُحْسِنٌ (٨) أَي كَانَ عَمَلُهُ عَلَى الْوَجْهِ الْحَسَنِ، وَ هُوَ أَنْ يَكُونَ مَوْحِدًا وَ مَخْلَصًا فِي عَمَلِهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى (٩) أَي الْمَحْكَمَةِ، وَ هَذَا تَمَثِيلٌ لِلْمَعْلُومِ بِالْمَحْسُوسِ. وَ لَعَلَّ الْمُرَادَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى هُوَ الْقُرْآنُ، أَوْ كَلِمَةُ التَّوْحِيدِ، أَوْ وِلَايَةُ الْعِتْرَةِ الطَّاهِرَةِ وَ إِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ (١٠) أَي آخِرُ كُلِّ شَيْءٍ، أَوْ جِزَاءُ أَعْمَالِ النَّاسِ خَيْرًا وَ شَرًّا لِأَنَّ الْكُلَّ صَائِرٌ إِلَيْهِ.

٢٣- وَ مَنْ كَفَرَ فَلَا- يَحْزُنْكَ كُفْرُهُ... (١١) أَي الْبَاقِي عَلَى الْكُفْرِ أَوْ الَّذِي ارْتَدَّ وَ رَجَعَ إِلَى الْكُفْرِ، فَلَا- تَحْزَنُ عَلَيْهِ لِأَنَّ كُفْرَهُ لَا يَضُرُّكَ وَ لَا يَنْفَعُ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنَنْبِئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا (١٢) نَخْبِرُهُمْ بِأَعْمَالِهِمُ الْمُنْسِيَةِ وَ غَيْرِهَا وَ نَجَازِيهِمْ بِهَا.

وَ هَذِهِ الشَّرِيفَةُ تَهْدِيدٌ لِلْكَافِرِ وَ تَسْلِيَةٌ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (١٣) أَي بِمَا يَضْمُرُهُ الْإِنْسَانُ فِي جَازِيَتِهِ عَلَيْهِ.

٢٤- نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ... (١٤) أَي نَعْطِيهِمْ مِّنْ مَتَاعِ الدُّنْيَا

ص: ٣٩٤

١- سورة ٣١ - آية ٢٠

٢- سورة ٣١ - آية ٢٠

٣- سورة ٣١ - آية ٢٠

٤- سورة ٣١ - آية ٢١

٥- سورة ٣١ - آية ٢١

٦- سورة ٣١ - آية ٢١

٧- سورة ٣١ - آية ٢٢

٨- سورة ٣١ - آية ٢٢

۹- سوره ۳۱ - آیه ۲۲

۱۰- سوره ۳۱ - آیه ۲۲

۱۱- سوره ۳۱ - آیه ۲۳

۱۲- سوره ۳۱ - آیه ۲۳

۱۳- سوره ۳۱ - آیه ۲۳

۱۴- سوره ۳۱ - آیه ۲۴

و نعيمها ما يتمتعون به مده قليله، و بعد ذلك نجعلهم مكرهين فى الآخره إلى عذابٍ غليظٍ (١) شديدٍ يثقل و يصعب عليهم.

سوره لقمان (٣١): الآيات ٢٥ الى ٣٠

و لئن سألْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٢٥) لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (٢٦) وَ لَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَ الْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٧) مَا خَلَقُكُمْ وَ لَا بَعَثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (٢٨) أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَ يُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَ سَيَخِرُ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ كُلٌُّّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَ أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٢٩) ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَ أَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ (٣٠)

٢٥- وَ لئن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ... (٢) أى مقرون بأنه خالقها لوضوح البرهان بحيث اضطروا إلى الإذعان. فلذا أمر النبي بالحمد بقوله: قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ (٣) احمده على نعمه إلزامهم و إلجائهم إلى الاعتراف بما يوجب بطلان معتقدهم بل أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٤) بأن ذلك الإقرار يلزمهم الحجة و يبهتهم.

ص: ٣٩٥

١- سوره ٣١ - آيه ٢٤

٢- سوره ٣١ - آيه ٢٥

٣- سوره ٣١ - آيه ٢٥

٤- سوره ٣١ - آيه ٢٥

٢٦- لِّلّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ... (١) أى هو المالك لهما ملكا و خلقا الْعَبْدُ (٢) على الإطلاق الْحَمِيدُ (٣) بالاستحقاق.

٢٧- وَ لَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ... (٤) أى و لو ثبت أن الأرض بجميع أشجارها صارت أقلاما وَ الْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ (٥) أى البحر المحيط مع سعتة بعد تماميته مائه الذى صار مدادا يضاف إليه و يمده سبعة أبحر مثله، و صار جميع الخلائق من الإنس و الجنّ و الملائكة كتابا ما نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ (٦) أى ما انتهت كلماته الداله على علمه و حكمته بكتابتها بتلك الأقلام و بذلك المداد لعدم تناهيتها و غايه كثرتها، فإن معلوماته تعالى و مقدوراته غير متناهيه، فكلماته التى تعبّر عنها كذلك. و قد أغنى عن ذكر الكتاب بذكر القلم و المداد كما أغنى بذكر (المدد) عن ذكر المداد لأنه من مدّ الدّواه و أمدها، و جمع القلّه يشعر بأن ذلك لا يفى بقليلها فكيف بكثيرها إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ (٧) غالب على كلّ شىء حَكِيمٌ (٨) لا يخرج عن علمه و حكمته شىء.

٢٨- مَا خَلَقُكُمْ وَ لَا بَعَثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ... (٩) أى إلّا كخلقها و بعثها فى قدرته فيكفى فيها إرادته و لا يحتاج إلى تسبيب الأسباب و تهيئه الأدوات و الآلات فيأمر بقوله: كن فيكون، فيتّم الخلق، و كذلك البعث فإنه يأمر إسرافيل عليه السلام أن ينفخ نفخه واحده لنشر الأموات و بعثها، فإذا نفخ فى الصّور إذا هم يحشرون بلا فاصل، و ذلك لأنه أجلّ و أعلى من أن يتصدى لإحيائهم و حشرهم مباشرة. ثم إنه يبيّن و يوضح لهم قضيه تسهيل أمر البعث و تيسيره على ذاته المقدسه بأمر آخر و آيه واضحه محسوسه لكلّ النّاس بقوله:

٢٩- أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُوَلِّجُ اللَّيْلَ... (١٠) أى يدخل (فى النهار) بأن ينقص منه فى أوقات الصيف و يزيد فى النهار، و يفعل عكس ذلك فى الشتاء، فلذا ترى أن ليالى الصيف قصيره و نهاراته طويله، و فى الشتاء ترى

ص: ٣٩٦

- ١- سورة ٣١ - آيه ٢٦
- ٢- سورة ٣١ - آيه ٢٦
- ٣- سورة ٣١ - آيه ٢٦
- ٤- سورة ٣١ - آيه ٢٧
- ٥- سورة ٣١ - آيه ٢٧
- ٦- سورة ٣١ - آيه ٢٧
- ٧- سورة ٣١ - آيه ٢٧
- ٨- سورة ٣١ - آيه ٢٧
- ٩- سورة ٣١ - آيه ٢٨
- ١٠- سورة ٣١ - آيه ٢٩

عكس ذلك. و ليس هذا الا بتقدير قادر حكيم يفعل ما يفعل لمصالح شتى لا يعلم أكثرها إلا هو. وهذه الآيه و إن كانت ترى فى بدء النظر أمرا سهلا لكنها أصعب و أشكل من أمر البعث جدًّا، بيان ذلك أنه قد كرّر الإيلاج تنيبها على أمر مستغرب، و هو حصول الزيادة و التّقصان معا فى كلّ من اللّيل و النهار فى آن واحد و ذلك بحسب اختلاف الأمكنه و بقاع الأرض، كالشماليّه عن خط الاستواء و الجنوبيّه عنه سواء كانت مسكونه أو لا، فإن صيف الشمال شتاء الجنوب و بالعكس، فزياده النهار و نقصانه واقع فى وقت واحد لكن فى بقعتين، و قس على النهار زياده اللّيل و نقصانه فى زمان واحد و هذه النكته من فوائد التكرار كما لا يخفى على المتفكّر ذى الاعتبار.

و قيل يولج اللّيل فى النهار، معناه يدخله فى النهار بأن يستره به، و يولج النهار فى اللّيل أى يستره به و قريب من هذا المعنى ما

روى من أن رجلا- سأل عن الإمام عليه السلام: أين اللّيل فى النهار؟ قال عليه السلام: هو فيه، و كذلك العكس. و الحاصل أن تعقيب قضيتى الخلق و البعث بمسأله إيلاج اللّيل فى النهار و كذلك العكس، لعلّ بمناسبة أن كلّ واحد من اللّيل و النهار فى كلّ يوم و ليله لهما خلق و إفناء و بعث، أو تقول: خلق و بعث فى نظر الاعتبار. فهذا فى نظر المنكر للبعث يكون أشكل لأن إنكاره له يكون مساوقا لإنكار البديهيّ فإن زوال اللّيل و مجيء النهار و كذلك العكس أمر محسوس وجدانا غير قابل للإنكار. القمى يقول: ما ينقص من اللّيل يدخل فى النهار، و ما ينقص من النهار يدخل فى اللّيل كلّ يجرى إلى أجلٍ مُّسمّى (١) أى كلّ واحد من الشمس و القمر يجرى فى فلكه جرى الماء فى مجراه إلى مدّه معيه أو إلى منتهاه المعلوم بحيث لا يقصّران عنه و لا يجاوزانه و هو خبيرٌ (٢) عالم بكنه ذلك و بما تعملون.

٣٠- ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ... (٣) إشاره إلى ما ذكر من سعه العلم و كمال القدره و عجائب الصّنع و اختصاصه تعالى بها، فالله هو الحق الثابت، و ما يدعون من دونه الباطل (٤) الزائل الفانى بسرعه و هو العلّىّ الكبير (٥) المرتفع على كل شىء و الغالب عليه و أكبر من كلّ كبير بحيث لا يكون أكبر منه، و متسلّط على الأشياء بأجمعها.

ص: ٣٩٧

١- سورة ٣١ - آيه ٢٩

٢- سورة ٣١ - آيه ٢٩

٣- سورة ٣١ - آيه ٣٠

٤- سورة ٣١ - آيه ٣٠

٥- سورة ٣١ - آيه ٣٠

٣٠- ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ... (١) إشاره إلى ما ذكر من سعة العلم و كمال القدره و عجائب الصنع و اختصاصه تعالى بها، فالله هو الحق الثابت، و ما يدعون من دونه الباطل (٢) الزائل الفانى بسرعه و هو العليُّ الكبير (٣) المرتفع على كل شيء و الغالب عليه و أكبر من كل كبير بحيث لا يكون أكبر منه، و متسلط على الأشياء بأجمعها.

سوره لقمان (٣١): الآيات ٣١ الى ٣٢

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلُوكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (٣١) وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَ مَا يُجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ (٣٢)

٣١- أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلُوكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ... (٤) أى أن من آياته الداله على ذاته المقدسه و قدرته الكامله جرى السفن فى البحار العظيمه الكبيره بِنِعْمَتِ اللَّهِ (٥) بفضله و رحمته، و فيه إشاره إلى ذكر السبب بأن السفن تجرى بسبب نعمته التى هى الريح حين تجرى بأمر الله و تسوق السفن إلى حيث تقصد و لو اجتمع خلق كثير ليجروا الفلك غير البخاريه أو التى تسير بالمحركات على خلاف الجبهه التى تجرى الرياح إليها لما قدروا عليه لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ (٦) لتروا بعض أدلته الداله على تفزده بالإلهيه و القدره و الحكمه. و وجه الدلاله من ذلك أن الله عزّ و جلّ يجرى السفن بالرياح التى يرسلها فى الوجوه التى يريدون المسير فيها، و فى ذلك أعظم دلالة على أنّ المجرى لها بالرياح هو القادر الذى لا يعجزه شيء إن فى ذلك لآياتٍ (٧) أى فى جرى السفن بالرياح لعلائم على شمول قدرته و كمال حكمته و وفور نعمته لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (٨) لمن صبر على البلياء و المحن و على مشاق التكليف و أتعاب نفسه لينتفع بالنظر فى آياته الآفاقية و الأنفسية و قيل أريد بالصبار الشكور، المؤمن، لأن

فى الحديث: الإيمان نصفان:

ص: ٣٩٨

- ١- سوره ٣١ - آيه ٣٠
- ٢- سوره ٣١ - آيه ٣٠
- ٣- سوره ٣١ - آيه ٣٠
- ٤- سوره ٣١ - آيه ٣١
- ٥- سوره ٣١ - آيه ٣١
- ٦- سوره ٣١ - آيه ٣١
- ٧- سوره ٣١ - آيه ٣١
- ٨- سوره ٣١ - آيه ٣١

نصف صبر، و نصف شكر، فكأنه قال سبحانه: إن في ذلك لآيات لكل مؤمن شكورٍ (١) لنعمائه. ثم إنه تعالى يخبر عن حال سكنه السفينه بقوله تعالى:

٣٢- وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ... (٢) أى علاهم و غطاهم موج البحر مثل الظلل فى الكبر. و هو جمع ظلّه و هى ما يستظلّ به من حرّ أو برد كالجبل و السحاب و غيرهما من المظلات و ذوات الظلّ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ (٣) حال كونهم خالصين دينهم لله تعالى من شوائب الأوهام و أدناس الشرك لأن خوف الغرق و الهلاك أنساهم جميع من سواه و أزال ما ينازع الفطره التى كانت داعيه لهم إلى التوحيد فلما نجاهم إلى البرّ فمَنَّهُمْ مُقْتَصِدٌ (٤) أى متوسط فى الكفر و الإيمان فبعضهم ليس مثل غيره متوغلاً فى الكفر و مصرّاً على الشرك، و لا- متصلباً فى الإيمان بحيث ينسى ما سوى الله سبحانه و يعاديهم. و قيل معنى المقتصد الباقي على الإيمان. و من هذا يستفاد أن بعض الآخرين عادوا و رجعوا إلى كفرهم و لا يفعل ذلك إلا كلُّ ختارٍ (٥) غدار شديد الغدر.

و قد قال القمى: الختار هو الخداع. و كفورٍ (٦) يعنى شديد الكفر بنعم الله عزّ و جلّ.

سوره لقمان (٣١): الآيات ٣٣ الى ٣٤

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَ اخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَ لَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنِ الْوَالِدِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَ لَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ (٣٣) إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَ يُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَ يَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَ مَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَ مَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (٣٤)

ص: ٣٩٩

١- سوره ٣١ - آيه ٣١

٢- سوره ٣١ - آيه ٣٢

٣- سوره ٣١ - آيه ٣٢

٤- سوره ٣١ - آيه ٣٢

٥- سوره ٣١ - آيه ٣٢

٦- سوره ٣١ - آيه ٣٢

٣٣- يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ... (١) أى تجنّبوا ما يسخطه و اعملوا بأوامره و نواهيه و اخشوا (٢) خافوا يوماً (٣) هو يوم القيامة و الحساب، حيث لا يعجزى والد عن ولده (٤) أى لا يؤدى الوالد عن الولد شيئاً، و لا يتحمل عنه تبعه ذنب مع كمال شفقتة و رأفته به و لا مولود هو جاز عن والده شيئاً (٥) و المولود لا يستفيد منه والده الرؤوف فى ذلك اليوم شيئاً. و الحاصل أن كل واحد من الولد و الوالد لا يقوم بأمر الآخر و لا يفيدته لأن كل امرئ تهمة نفسه و يشتغل بأمر نفسه و يقطع طمع كل ذى طمع ممن يتوقع منه، و لا يغنى أحد عن أحد و لا والد يغنى عن ولده و لا العكس، يوم يفتر المرء من أخيه (٦) و صاحبته و بينه... (٧) و قد غير النظم بالرجوع عن الجملة الفعلية إلى الاسمىة تأكيداً لعدم نفع المولود، مع أن الابن من شأنه أن يكون جابراً عن والده لماله عليه من الحقوق إن و غيد الله حق (٨) أى وعده بالبعث و الجزاء حق ثابت لا يتخلف فلا تغرّنكم الحياة الدنيا (٩) أى لا يغرنكم الإمهال الذى كانت الحياة كناية عنه، و لا يلهينكم الآمال و الأموال عن الإسلام و الإيمان و لا تغتروا بطول السلامة و كثره النعمة فإنهما عمياً قريب إلى الزوال و الفناء، فلا يغشّنكم بالله الغرور (١٠) بالضم مصدر يطلق على الأباطيل، و بالفتح ما يسبب الانخداع، و الدنيا توصف به فيقال: الدنيا الغرور، و الشيطان الغرور لأنه يغرّ الإنسان بالمغفره من الله فى عمل المعصية. و

نقل أن الحارث بن عمرو بن حارثه كان من أهل البادية ف جاء إلى النبى صلى الله عليه و آله فقال: يا محمد أخبرنى عن الساعة متى تظهر، و الزرع الذى زرعتة متى يسقى بماء الغيث، و امرأتى الحامل متى تضع من أين نعرف أن الحمل ذكر أم أنثى؟ و أدرى ما إذا عملت أمس لكن أحب أن أدرى بماذا أشتغل غداً، و بأى طريقه أعرف مولدى، و أحب أن أعرف مدفنى بأى وجه أعرف؟ بأى

ص: ٤٠٠

- ١- سورة ٣١ - آيه ٣٣
- ٢- سورة ٣١ - آيه ٣٣
- ٣- سورة ٣١ - آيه ٣٣
- ٤- سورة ٣١ - آيه ٣٣
- ٥- سورة ٣١ - آيه ٣٣
- ٦- سورة ٨٠ - آيه ٣٤
- ٧- سورة ٨٠ - آيه ٣٦
- ٨- سورة ٣١ - آيه ٣٣
- ٩- سورة ٣١ - آيه ٣٣
- ١٠- سورة ٣١ - آيه ٣٣

طريق أعرف فأنزل الله تعالى: إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ (١)، الآية يعنى تلك الأمور الخمسه المسئول عنها علمها عندى و استأثرت به و لم أطلع عليه أحدا من خلقى. فالمقصود بهذه الكريمة نفى علم هذه الأمور الخمسه عمن سواه.

و يمكن أن يقال أن التحقيق فى تعقب الشريفه لما سبقها أنه لما قال سبحانه:

وَ اخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ (٢) و ذكر سبحانه أنه كائن بقوله:

إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ (٣) فكأنه قال قائل: متى يكون هذا اليوم كما أشرنا، فأجاب الله بأن هذا العلم مما لا يحصل لغير الله تعالى و لكن هو كائن.

٣٤- إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ... (٤) تقديم الظرف للحصر، فإنه متعلق بالعلم، أى هو يعلم وقت قيامها و لا يدري غيره و يُنَزَّلُ الْعَيْثُ (٥) فى زمانه المقدر له و المحل المعين له و يَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ (٦) من ذكر أو أنثى، قبيح أو جميل، سخي أو بخيل و غير ذلك من مقدرات الحمل و ما تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا (٧) أى قضى عليها بأن لا تعرف ما تكسب غدا من خير أو شر و لذا ربما تعزم على شيء فتفعل خلافه و ما تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ (٨) و تذكير (أى) لأنه أريد بالأرض المكان و يجوز أن يقال بأية أرض.

و روى القمى عن الصادق عليه السلام هذه الخمسه أشياء التى لم يطلع عليها ملك مقرب و لا نبي مرسل، و هى من صفات الله إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ (٩) فإنه تعالى أكد أن العلم بها مختص به بابتداء هذه الجملة و اختتامه خَيْرٌ (١٠) عارف بكنه ذات الأشياء و بواطنها.

ص: ٤٠١

- ١- سورة ٣١ - آيه ٣٤
- ٢- سورة ٣١ - آيه ٣٣
- ٣- سورة ٣١ - آيه ٣٣
- ٤- سورة ٣١ - آيه ٣٤
- ٥- سورة ٣١ - آيه ٣٤
- ٦- سورة ٣١ - آيه ٣٤
- ٧- سورة ٣١ - آيه ٣٤
- ٨- سورة ٣١ - آيه ٣٤
- ٩- سورة ٣١ - آيه ٣٤
- ١٠- سورة ٣١ - آيه ٣٤

مكيه إلا من الآيه ١٨ إلى ٢٠ فمدنيه و آياتها ٣٠ نزلت بعد المؤمنون.

سوره السجده (٣٢): الآيات ١ الى ٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الم (١) تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ (٣)

١-الم... (١) قد مرّ ما في الحروف المقطّعه من تراجمها المسطوره.

٢- تَنْزِيلُ الْكِتَابِ... (٢) أى هذا تنزيل الكتاب، فتنزيل مرفوع محلاً خبر لمبتدأ محذوف، ومعناه: هذه السوره أو هذه الآيات كتاب منزل.

فتنزيل الكتاب من باب إضافة الصّفه إلى موصوفه لا رَيْبَ فِيهِ (٣) صفة للكتاب بعد صفة مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٤) أى كائن من عند رب العالمين أو متعلق بالتنزيل. و على الأوّل أيضا صفة. و عدم الريب فيه للمهتدين، و إن كان قد ارتاب فيه المبطلون. و الريب أقبح الشكّ و الشكّ أعمّ منه مورداً، أو الريب هو الشكّ فيما ليس من شأنه أن يشكّ فيه لكثرة ظهوره، كالشكّ

ص: ٤٠٣

١- سوره ٣٢ - آيه ١

٢- سوره ٣٢ - آيه ٢

٣- سوره ٣٢ - آيه ٢

٤- سوره ٣٢ - آيه ٢

فى وجود الصانع تعالى أو توحيده و نحوهما أو لغيرها من الجهات و قيل بالأعم من هذا المورد.

٣- أم يَقُولُونَ افْتَرَاهُ... (١) أى هل يقول أهل مكه أن محمدا(ص) جاء بهذا القرآن من عند نفسه و يكذبونه فى قوله أنه من الله؟ و الحاصل أنهم ينكرون كون الكتاب حقًا و من عند رب العالمين، فلهذا قال الله سبحانه تقريراً لحقيقته بل هُوَ الْحَقُّ (٢) يعنى لم يكن الأمر كما يقولون بأن القرآن افتراء بل هو حق كما أن قول نبينا محمد صلى الله عليه و آله صدق و صحيح، و إن القرآن منزل من عند الله على رسولنا محمد لِيُنذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ (٣) أى فى عصر الفتره و هو ما بين عصر عيسى عليه السلام و خاتم الأنبياء لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ (٤) الترجى منه تعالى بمعنى الثبوت، أى حتى يهتدوا أو ليهتدوا بتلك الأدله الواضحه لو لم يسلكوا طريق الجحود و العناد. ثم إنه تعالى أخذ فى بيان صفات الكمال و ذكر قدرته التامه ليتنبه العباد و يميلوا من الضلاله إلى سبيل الرشاد و الهدايه بقوله:

سوره السجده (٣٢): الآيات ٤ الى ٩

اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ (٤) يُدَبِّرُ الْأُمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ (٥) ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٦) الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ (٧) ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ (٨) ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ (٩)

ص: ٤٠٤

١- سوره ٣٢ - آيه ٣

٢- سوره ٣٢ - آيه ٣

٣- سوره ٣٢ - آيه ٣

٤- سوره ٣٢ - آيه ٣

٤- اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ... (١) أى أوجدهما وأنشأهما وما بينهما (٢) من الحيوانات والنباتات والجمادات فى سنته أيام (٣) فى مقدار من الزمان يصير إذا حدّد وعين سنته أيام من أيام الدنيا. فإنه قبل خلقهما لم يكن شمس ولا قمر حتى يعين يومٌ و ليله ثم استوى على العرش (٤) أى استقرّ واستولى عليه وهو أعظم المخلوقات، أو المراد عالم الأمر والتدبير وقد مرّ تفسيره فى سورة الأعراف فلا بدّ للعباد أن يعبدوه ولا ينحرفوا عن طريقه تعالى، فإنه ليس فى الدنيا ولا فى العقبى ناصر ولا معين إلا- هو ما لكم من دونه من وليّ ولا شفيع (٥) حتى ينصركم ويشفع لكم أ فلا تتذكّرون (٦) بمواعظ الله ونصائحه؟ والاستفهام للإنكار أى أنكم لا تتذكّرون ولا تتعظون، وهذا يوجب التعجب.

٥ إلى ٨- يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ... (٧) أى يسبّب أمر الدنيا مدّه أيامها فينزله من السماء إلى الأرض ثم يعرّج (٨) أى يرجع الأمر كله إليه (٩) من بعد وجودها إلى ما بعد فنائها فى يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدّون (١٠) فى الدنيا ذلك (١١) أى الذى يدبّر الأمر على النهج المذكور عالم الغيب والشهادة (١٢) يعلم ما غاب عن الخلق وما يشاهد ويحضر، فيدبّر أمرهما على وفق الحكمة العزيم (١٣) الغالب على أمره أو المنيع فى ملكه الرحيم (١٤) بعباده فى تدبير أمرهم معاشا ومعادا الذى أحسن كلّ شئ خلقه (١٥) أى أتقن وأحكم خلق كل شئ بحيث أعطاه وقرّ له ما يليق به طبق الحكمة والمصلحة، وهذا هو معنى أحسن الخالقين

ص: ٤٠٥

- ١- سورة ٣٢ - آيه ٤
- ٢- سورة ٣٢ - آيه ٤
- ٣- سورة ٣٢ - آيه ٤
- ٤- سورة ٣٢ - آيه ٤
- ٥- سورة ٣٢ - آيه ٤
- ٦- سورة ٣٢ - آيه ٤
- ٧- سورة ٣٢ - آيه ٥
- ٨- سورة ٣٢ - آيه ٥
- ٩- سورة ٣٢ - آيه ٥
- ١٠- سورة ٣٢ - آيه ٥
- ١١- سورة ٣٢ - آيه ٦
- ١٢- سورة ٣٢ - آيه ٦
- ١٣- سورة ٣٢ - آيه ٦
- ١٤- سورة ٣٢ - آيه ٦
- ١٥- سورة ٣٢ - آيه ٧

الذى وصف الله تعالى نفسه المقدسه به بقوله: فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (١) وَ بَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ (٢) فالقَمِيَّ قال: هو آدم و قد مرّ تفسيره و أظنه في سوره البقره ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ (٣) أى ذرّيته من خلاصه و صفوه الطعام و الشراب مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ (٤) أى ماء ضعيف و هى النطفه التى هى فى غايه الحقاره و المهانه، و سَمِيَتْ سُلَالَهُ لِأَنَّهَا انْسَلَتْ مِنَ الصُّلْبِ أى انفصلت و خرجت منه. و قوله من ماء مهين عطف بيان على سلاله.

٩- ثُمَّ سَوَّاهُ وَ نَفَخَ فِيهِ... (٥) أى قوّاه و أتمّ تصويره بأن جعله بشرا تامّ الخلقه غير أنّه ما كان فيه روح وَ نَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ (٦) و الروح هو العنصر البسيط و اللطيف القدسيّ الصادر عن عالم الرّبوبيّه و الإضافه إليه تعالى تشريفيّة كإضافه البيت إليه و إظهارا بأنه خلق عجيب و أنّ له مناسبه ما إلى الحضرة الربوبيّه و لعله من أجل ذلك قيل: من عرف نفسه فقد عرف ربّه. و التّصارى يقولون إنّ عيسى روح الله فهو ابن الله و لكنّهم ما عرفوا بأن كلّ أحد روحه روح الله بقوله: و نفخ. فبهذا الاعتبار لا بد و أن يكون كلّ أحد روح الله و ابنه فالاختصاص لماذا؟ و قد قالوا بما قالوا باعتبار روحه و جميع أعضائه روح الله فهذا افتراء و قول بالباطل و لا يصدر إلّا عن الجاهل جَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَ الْأَبْصَارَ (٧) عدل إلى الخطاب تنبيها على جسامه نعم الجوارح، يعنى جعل هذه الجوارح أو القوى المودعه فيها لرفع حوائجكم و لتسمعوا مواعظ الله فى كتبه المنزله و مواعظ أنبيائه و رسله لتتعضوا بها و لتبصروا آياته الآفاقية و الأنفسيّه و لتستبصروا بها و تؤمنوا بالله و رسوله عن بصيره لا عن تقليد وَ الْأَفْئِدَةَ (٨) لتعقلوا و تتدبّروا المسموعات و المبصرات و المعقولات. و تقديم السّمع فى الذكر لتقدّمه المعنوى، فإن فاقد السّمع فاقد لجميع الحفظ المعنويّه بل و لكثير من الأمور الظّاهريّه المحتاجه إلى التعريف و التعليم بخلاف فاقد البصر فإنّه قابل لأن يعرف و يعلم المعنويات، فكيف بالأمر الظّاهريه نعم تعريفه لبعض الأمور الظّاهره كالألوان و المحاسن و الجمال و نحوها مشكل أو ممتنع على ما قيل، و لا سيّما فى الأعمى المتولّد من أمّه أعمى. هذا بالنسبه إلى تقدّمه على الإبصار، و أما وجه

ص: ٤٠٦

- ١- سوره ٢٣ - آيه ١٤
- ٢- سوره ٣٢ - آيه ٧
- ٣- سوره ٣٢ - آيه ٨
- ٤- سوره ٣٢ - آيه ٨
- ٥- سوره ٣٢ - آيه ٩
- ٦- سوره ٣٢ - آيه ٩
- ٧- سوره ٣٢ - آيه ٩
- ٨- سوره ٣٢ - آيه ٩

تقدمه على الافئده فيمكن ان يكون لأن احتياج القلب إليه كثير حيث إن القلب له جهة سلطان على جميع الجوارح و القوى على ما فى الروايات،فهو الأمر لها و المستخدم لها فى آن واحد،فهى بتحريكه متحرّكه و بأمره مؤتمره.و حيث بيّنا أن السّمع فائده كثيره فاحتياجه إليها قهرا كثير و أشدّ من باقى القوى.

فالمحوج إليه من هذه الحيثيه مقدّم على المحوج.فيحتمل أن يكون تقدّمه لفظا و ذكرا من هذه الجهه و يمكن أن يقال فى وجه التقديم أنه بلحاظ أن طريق ادراك القلب هو القوى الظاهريه غالبا و فى رأسها السّمع و البصر فهما السّبب لإدراكه الأشياء و السبب مقدّم رتبه،ففى مرحله اللفظ قدّما تبعا و وفقا لمقام الرتبه و الله أعلم.و أما معنى فالقلب مقدّم على جميع القوى الظاهريّه و الباطنيه و على الجوارح كلّها،فإنّ مقامه فى بدن الإنسان الذى هو عالم صغير مقام السلطان فى العالم الكبير،فكما أن العالم الكبير يختلّ نظامه بفقد السلطان و كذلك يختلّ نظام بدن الإنسان بفقد الفؤاد،كفقد السلطان بموته أو عزله.لكنّ فقد القلب بتغطيته بناء على ما فى الحديث من وقوع نقطه سوداء فى القلب إذا عصى صاحبه،و كلّما ازداد العبد إثما تزيد النقطه و تكبر إلى أن تعمّ القلب بتمامه و تغطيه فيصير أسود مظلما فتختل القوى طرا عن وظائفها المقرّره و عمليتها الطبيعيه.و قد قال تعالى مشيرا إلى هذا: لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَ لَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَ لَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ (١) فينزل أشرف الموجودات من ذروه مقامه السّامى،أى الانسانيّه،إلى حضيض مرتبه البهيّميه بل إلى الأخس منها.و أما وجه جمع الأبصار و الأفئده فلعله للإشاره إلى كثره أفراد نوعهما،فإن مبصرات الإنسان أكثر بمراتب من مسموعاته لأنّه نوعا عينا مفتوحتان غير وقت نومه و هو يبصر ما يبصره و فى كثير من تلك الأوقات لا يسمع شيئا و لا سيّما فى أوقات و حدته و الحاصل أن المدعى أمر وجدانى لا يحتاج إلى برهان غير الرجوع إلى الوجدان.و أما القلب فوظيفته الإدراك على ما برهن فى محلّه، و كلّما يسمعه الإنسان أو يبصره فالقلب يدركه طبق عمله و لا عكس،لأنه

ص: ٤٠٧

كثيرا ما يدرك من الأمور المعنويه ما لا يكون من مقوله المحسوسات، فيمكن أن يكون وجه جمعه رمزا و تنيها على هذا، أى كونه أكثر أفرادا من السمع، و هو جلّ و علا- أعلم بما قال و نسأله الإلهام بأسرار كتابه قليلا- ما تشكرون (١) (ما) زائده، و(قليلا) صفه للمفعول، أى: تشكرون شكرا قليلا. و فائده زياده(ما) هو التأكيد، كما أن تقديم(قليلا) للتأكيد فى قله الشكر.

سوره السجده (٣٢): الآيات ١٠ الى ١٤

وَ قَالُوا إِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ (١٠) قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ (١١) وَ لَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُؤُسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصِرْنَا وَ سَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ (١٢) وَ لَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَ لَكِن حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَ النَّاسِ أَجْمَعِينَ (١٣) فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَ ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (١٤)

١٠ و ١١- وَ قَالُوا إِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ... (٢) أى غبنا فيها بالدفن، فإن كل شىء غلب عليه غيره حتى يغيب فيه فقد ضلّ فيه، أو بأن صرنا ترابا مخلوطا بترابها بحيث لا نتميز عنه إِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ (٣) أى يجدد

ص: ٤٠٨

١- سوره ٣٢- آيه ٩

٢- سوره ٣٢- آيه ١٠

٣- سوره ٣٢- آيه ١٠

خلقنا و نبعث. و الاستفهام إنكارى، أى لا يكون ذلك أبدا بل هم بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ (١) فى كتاب التوحيد عن أمير المؤمنين عليه السلام يعنى البعث، فسماه الله عز و جل لقاءه و هذا من باب تسميه الشىء باسم لازمه. و قوله بَلْ هُمْ (٢) الآيه إضراب عن قولهم بإنكار البعث إلى ما هو أبلغ فى كفرهم من الجحود و الإلحاد و الإنكار بكل ما يكون مما جاء به النبى صلى الله عليه و آله من البعث و الثواب و العقاب و الصراط و الميزان و الحساب و غيرها من أحوال يوم القيامة و أهوال القبر و ملك الموت، و لذا خاطبهم الله سبحانه بقوله: قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ (٣) أى يقبض أرواحكم و يستوفى نفوسكم بحيث لا يبقى منها شيئا و لا يترك منكم أحدا الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ (٤) أى فوض إليه قبض أرواحكم و إحصاء آجالكم ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ (٥) للحساب و الجزاء. و إسناد رجوع العباد إلى نفسه المقدسه للتعظيم و التفخيم.

١٢- وَ لَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ... (٦) أى مطأطئ رؤوسهم من الذل خجلا و ندامه عِنْدَ رَبِّهِمْ (٧) فى موقف القيامة عند عرض الأعمال، و هو تعالى يتولى حساب العباد بعضا منهم أو جميعا بنفسه أو بالتسيب فى محضره و هو مشرف على المحاسبين. و لعله يشير إلى هذا إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمُرْصَادِ (٨) رَبَّنَا أَبْصَرْنَا (٩) أى قائلين رَبَّنَا أَبْصَرْنَا ما وعدتنا وَ سَمِعْنَا (١٠) منك تصديق رسلك فَارْجِعْنَا (١١) إلى الدنيا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ (١٢) إذ لم يبق لنا بعد هذا اليوم شك و شبهه بما شاهدناه.

١٣- وَ لَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا... (١٣) أى ما يهتدى به إلى الإيمان و العمل الصالح بالقسر و الإلجاء أو بالتوفيق، و لكنه لما كان مقتضى التكليف خلاف ذلك لأن المكلف لا بد من أن يختار الإيمان باختياره و لا يسلك طريق الكفر التى هى غايه أمتيه هوى نفسه فيستحق بذلك العذاب الشديد كما أشار بقوله عز و جل وَ لَكِنَّ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي (١٤) أى ثبت قضائى

ص: ٤٠٩

- ١- سورة ٣٢ - آيه ١٠
- ٢- سورة ٣٢ - آيه ١٠
- ٣- سورة ٣٢ - آيه ١١
- ٤- سورة ٣٢ - آيه ١١
- ٥- سورة ٣٢ - آيه ١١
- ٦- سورة ٣٢ - آيه ١٢
- ٧- سورة ٣٢ - آيه ١٢
- ٨- سورة ٨٩ - آيه ١٤
- ٩- سورة ٣٢ - آيه ١٢
- ١٠- سورة ٣٢ - آيه ١٢
- ١١- سورة ٣٢ - آيه ١٢
- ١٢- سورة ٣٢ - آيه ١٢
- ١٣- سورة ٣٢ - آيه ١٣
- ١٤- سورة ٣٢ - آيه ١٣

و حَقَّق و سبق و عيذى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَ النَّاسِ أَجْمَعِينَ (١) بسوء اختيارهم نسيان العاقبه و ترك التفكير فيها كما يشير إليه بقوله سبحانه:

١٤- فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ... (٢) يعنى نتيجة ترك التذكّر و التدبّر و نسيان لقاء هذا اليوم هو أن تذوقوا العذاب الأليم، و قوله لَأَمْلَأَنَّ (٣) جواب للقسم الذى استفيد من قوله تعالى حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي (٤) فَإِنَّ الْقَوْلَ مِنَ اللَّهِ بِمَنْزِلِهِ الْقِسْمُ مِنْهُ تَعَالَى إِنَّا نَسِينَاكُمْ (٥) أى جازيناكم بنسيانكم أو تركناكم من رحمتنا عَذَابَ الْخُلْدِ (٦) أى الدائم بما كنتم تعملون (٧) من الكفر و المعاصى.

سوره السجده (٣٢): الآيات ١٥ الى ١٧

إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَ هُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (١٥) تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَ طَمَعًا وَ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (١٦) فَلَا تَغْلُمِ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٧)

١٥- إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا... (٨) خَرُّوا سُجَّدًا... (٩) أى كبوا و وقعوا على وجوههم خضوعا و خشيه لله تعالى و سَبَّحُوا (١٠) أى نزهوا ربهم عما لا يليق به بِحَمْدِ رَبِّهِمْ (١١) أى متلبسين به و هُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (١٢) عن عبادته.

١٦- تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ... (١٣) أى تتحى و تتباعد جنوبهم عن مضاجعهم و فرش نومهم و استراحتهم للتهجد خَوْفًا (١٤) من عذابه

ص: ٤١٠

- ١- سوره ٣٢ - آيه ١٣
- ٢- سوره ٣٢ - آيه ١٤
- ٣- سوره ٣٢ - آيه ١٣
- ٤- سوره ٣٢ - آيه ١٣
- ٥- سوره ٣٢ - آيه ١٤
- ٦- سوره ٣٢ - آيه ١٤
- ٧- سوره ٣٢ - آيه ١٤
- ٨- سوره ٣٢ - آيه ١٥
- ٩- سوره ٣٢ - آيه ١٥
- ١٠- سوره ٣٢ - آيه ١٥
- ١١- سوره ٣٢ - آيه ١٥
- ١٢- سوره ٣٢ - آيه ١٥
- ١٣- سوره ٣٢ - آيه ١٦

وَ طَمَعًا (١) فى رحمته يُنْفِقُونَ (٢) فى طريق الخير. و وجه المدح فى هذه الآيه أن هؤلاء المؤمنين منقطعون لاشتغالهم بالصلاه و الدعاء عن طيب المضجع و سائر اللذائذ الدنيويه لتوجههم إليه تعالى بكامل وجودهم، فأمالهم مصروفه إليه و اتكالهم فى كل الأمور عليه. ثم ذكر سبحانه جزاءهم بقوله:

١٧- فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ... (٣) أى لا يعلم أحد لا ملك مقرب و لا نبي مرسل ما أعد الله لهم، و للمتجهدين و المنفقين فى سبيل الخير مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ (٤) بيان لما أخفى. أى ممّا لا عين رأت و لا أذن سمعت و لا خطر على قلب بشر جزاء بما كانوا يَعْمَلُونَ (٥) من صلاه ليلهم و إنفاق أموالهم. و قيل فى وجه إخفاء الجزاء على عملهم أنّ الشىء كلما كان عظيم القدر و جليل الخطر فالوصول إلى كنه ذاته أصعب إلا بشرح طويل، فإبهامه أبلغ. و ثانيا أن ما تقرّبه العين غير متناه، فإحاطه العلم بتفاصيله غير ممكن للبشر.

سوره السجده (٣٢): الآيات ١٨ الى ٢٢

أَقَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ (١٨) أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٩) وَ أَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ (٢٠) وَ لَنَذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَذْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٢١) وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ (٢٢)

ص: ٤١١

١- سوره ٣٢ - آيه ١٦

٢- سوره ٣٢ - آيه ١٦

٣- سوره ٣٢ - آيه ١٧

٤- سوره ٣٢ - آيه ١٧

٥- سوره ٣٢ - آيه ١٧

١٨- أَمْ مَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ... (١) هذا استفهام يراد به التقدير، أى لا- يكون من هو مصدق بالله على الحقيقه عارفا به و أنبيائه و عاملا بما أوجبه الله عليه و ندبه إليه، مثل من هو فاسق خارج عن طاعه الله، مرتكب لمعاصي الله. ثم قال لا يَسْتَوُونَ (٢) لأن منزله المؤمن هي درجات الجنان و منزله الفاسق دركات النيران، ثم فسّر ذلك بقوله تعالى:

١٩- أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا... (٣) أى جنات يأوون إليها. و قيل هي نوع خاص من الجنان. و النزول ما يهبط للنازل أى الضيف من طعام و شراب و صلته، تشريفا يعنى أنهم فى حكم الأضياف بما كانوا يَعْمَلُونَ (٤) أى جزاء لأعمالهم الصالحة.

٢٠- وَ أَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا... (٥) فى هذا دلالة على أن المراد بالفاسق فى صدر الكريمة هو الكافر، فإن الفاسقين فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ (٦) و إنهم كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا (٧) و الإعادته عباره عن خلودهم فيها، و الخلود للكافرين المكذبين و قِيلَ لَهُمْ دُوقُوا (٨) إهانه لهم و زياده فى غيظهم. و القمى قال: إن جهنم إذا دخلوها هووا فيها مسيره سبعين عاما، فإذا بلغوا أسفلها زفرت بهم جهنم فإذا بلغوا أعلاها قمعوا بمقامع الحديد فهذه حالهم.

٢١- وَ لَنَنْذِقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى... (٩) أى من مصائب القتل و الأسر و القحط، و روى أنه يكون فى الرجعه و الحاصل أن المراد من العذاب الأدنى هو الذى يصل إليهم فى الدنيا الدنيه مما ذكر دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ (١٠) أى قبل عذاب الآخرة و

عن أبى جعفر عليه السّلام: إن العذاب الأكبر هو خروج المهدي من آل محمد صلى الله عليه و آله و عجل الله تعالى فرجه فإنه الذى يستأصل الكفرة من آخرهم و يصب عليهم العذاب صبّا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (١١) أى لعل من بقى منهم يتوبون. و قيل:

ص: ٤١٢

١- سورة ٣٢ - آيه ١٨

٢- سورة ٣٢ - آيه ١٨

٣- سورة ٣٢ - آيه ١٩

٤- سورة ٣٢ - آيه ١٩

٥- سورة ٣٢ - آيه ٢٠

٦- سورة ٣٢ - آيه ٢٠

٧- سورة ٣٢ - آيه ٢٠

٨- سورة ٣٢ - آيه ٢٠

٩- سورة ٣٢ - آيه ٢١

١٠- سورة ٣٢ - آيه ٢١

١١- سورة ٣٢ - آيه ٢١

عن أبي جعفر عليه السلام: إن العذاب الأكبر هو خروج المهدي من آل محمد صلى الله عليه وآله و عجل الله تعالى فرجه فإنه الذي يستأصل الكفرة من آخرهم و يصب عليهم العذاب صبا لعلهم يزجون (١) أى لعل من بقى منهم يتوبون. وقيل:

فاخر الوليد بن عقبه علينا عليه السلام يوم بدر فقال على عليه السلام: اسكت إنما أنت فاسق، فأنزل الله تعالى تلك الآيات.

٢٢- وَ مَنَ أَظْلَمُ... (٢) إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُتَقَمُونَ... (٣) أى من كل آثم و مجرم. فكيف ممن كان أظلم من كل ظالم؟ ثم إن قريش لما كذبوا النبي الأكرم مع تلك الآيات الواضحة و البراهين الساطعة فقد اغتم صلى الله عليه وآله لذلك غمًا شديدًا؛ فالله تعالى تسليه للنبي و وعيدا لقومه نبههم على قصه موسى عليه السلام و تكذيب قومه و نسبة السحر إليه فقال سبحانه:

سوره السجده (٣٢): الآيات ٢٣ الى ٢٥

وَ لَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تُكِنُّ فِي مِزْيِهِ مِنْ لِقَائِهِ وَ جَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ (٢٣) وَ جَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَ كَانُوا بآيَاتِنَا يُوقِنُونَ (٢٤) إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (٢٥)

٢٣- وَ لَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تُكِنُّ فِي مِزْيِهِ... (٤) أى لا- تشكك بقاء موسى ربه يوم القيامة أو من لقائك الكتاب أى القرآن، أو الضمير راجع ابتداء إلى القرآن نحو و إِنَّكَ لَتَلَقَّى الْقُرْآنَ (٥) أو راجع إلى موسى أى من لقائك موسى فى الحياه الدنيا أى ليله الأسراء وَ جَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ (٦) أى التوراه أو المراد نفس موسى كما أن ابن عباس صرح برجوع الضمير إلى موسى فى لِقَائِهِ (٧) فكذلك هنا.

ص: ٤١٣

- ١- سوره ٣٢ - آيه ٢١
- ٢- سوره ٣٢ - آيه ٢٢
- ٣- سوره ٣٢ - آيه ٢٢
- ٤- سوره ٣٢ - آيه ٢٣
- ٥- سوره ٢٧ - آيه ٦
- ٦- سوره ٣٢ - آيه ٢٣
- ٧- سوره ٣٢ - آيه ٢٣

٢٤- وَ جَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً... (١) أى أنه قد اهتدى من قوم موسى جماعه وبقناهم لأن يكونوا قادة للدعوة وحملة لها، وقد كانوا يهدون (٢) غيرهم من الناس إلى الإيمان بأمرنا (٣) توفيقنا وإرادتنا لما صبروا (٤) على ما كانوا يلقونه من الأذى و (٥) هؤلاء الأئمة كانوا بآياتنا يوقنون (٦) لأنهم أمعنوا النظر بها فصدقوها و آمنوا بها إيماناً راسخاً.

٢٥- إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ... (٧) أى يميز بين المحق والمبطل و يقضى بينهم فيعطى حكماً فضلاً يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون (٨) من أمور الدين.

سوره السجده (٣٢): الآيات ٢٦ الى ٣٠

أ وَ لَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِينِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ أ فَلَا يَشْعُرُونَ (٢٦) أ وَ لَعَمْرِي أَنَا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَ فَلَا يُبْصِرُونَ (٢٧) وَ يَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٢٨) قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ (٢٩) فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَضِرُونَ (٣٠)

٢٦- أ وَ لَمْ يَهْدِ لَهُمْ... (٩) أى ألم يظهر لقريش و لم يتبين لهم كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ (١٠) كثره من أهلكتناهم يمشون في مساكينهم (١١) يعنى أهل مكة يمشون في متاجرهم على ديارهم فهلاً يعتبرون؟ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ أ فَلَا يَشْعُرُونَ (١٢) أى في ذلك الإهلاك عبره لمن سمع سماع تدبر و اتعاط.

ص: ٤١٤

- ١- سوره ٣٢ - آيه ٢٤
- ٢- سوره ٣٢ - آيه ٢٤
- ٣- سوره ٣٢ - آيه ٢٤
- ٤- سوره ٣٢ - آيه ٢٤
- ٥- سوره ٣٢ - آيه ٢٤
- ٦- سوره ٣٢ - آيه ٢٤
- ٧- سوره ٣٢ - آيه ٢٥
- ٨- سوره ٣٢ - آيه ٢٥
- ٩- سوره ٣٢ - آيه ٢٦
- ١٠- سوره ٣٢ - آيه ٢٦
- ١١- سوره ٣٢ - آيه ٢٦
- ١٢- سوره ٣٢ - آيه ٢٦

٢٧- أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّا (١) .. إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ... (٢) أى الأرض الخاليه من النبات. و الجزر التي جرز نباتها أى قطع و أزيل لعدم مجيء المطر فصارت يابسه. و قيل هى الأرض الخربه زرعاً تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ (٣) كالتبن و الأوراق و الحشائش وَ أَنْفُسِهِمْ (٤) كالحبوب و الأثمار أَفَلَا يُبْصِرُونَ (٥) تلك الأمور المحسوسه الواضحه فيستدلون بها على كمال قدره خالقها.

٢٨- وَيَقُولُونَ مَتَى... (٦) إِنَّ كُنْتُمْ صَادِقِينَ... (٧) أى فى الوعد به و بإتيانه. فمتى يكون الفتح الذى تعدون الناس به؟ ٢٩- قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ... (٨) أى يوم القيامه لا- ينفعهم إيمانهم و لا هُمْ يُنْتَظَرُونَ (٩) و لا يمهلون حتى يؤمنوا فقد سؤفوا و خسروا خسارنا مبينا.

٣٠- فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ... (١٠) أى تكزما وَ انْتَظِرْ (١١) الغلبه عليهم إِنَّهُمْ مُنْتَظَرُونَ (١٢) الغلبه عليك. و قيل إن المراد بيوم الفتح هو زمان رجعه إمام العصر عجل الله تعالى فرجه إلى آخر الآيات فى ذلك الموضوع.

ص: ٤١٥

- ١- سورة ٣٢ - آيه ٢٧
- ٢- سورة ٣٢ - آيه ٢٧
- ٣- سورة ٣٢ - آيه ٢٧
- ٤- سورة ٣٢ - آيه ٢٧
- ٥- سورة ٣٢ - آيه ٢٧
- ٦- سورة ٣٢ - آيه ٢٨
- ٧- سورة ٣٢ - آيه ٢٨
- ٨- سورة ٣٢ - آيه ٢٩
- ٩- سورة ٣٢ - آيه ٢٩
- ١٠- سورة ٣٢ - آيه ٣٠
- ١١- سورة ٣٢ - آيه ٣٠
- ١٢- سورة ٣٢ - آيه ٣٠

مدنيه و آياتها ٧٢ نزلت بعد آل عمران.

سوره الأحزاب (٣٣): الآيات ١ الى ٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (١) وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (٢) وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا (٣)

١- يا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ... (١) لعل أمره صلوات الله عليه بالتقوى أمرا بالمداومه، وإلا فهو صلوات الله عليه كان متقيا. وهذا كما يقال للجالس اجلس إلى أن أجيئك، وللساکت اسكت إلى كذا من الزمان، وليس هذا من تحصيل الحاصل كما يتوهم أو توهم. توضيح ذلك أن النبي في كل آن من آناء عمره الشريف كان يزداد علمه و يرفع مقامه فكان له في كل لحظه تقوى متجدده. فقله اتَّقِ اللَّهَ (٢) على هذا البيان ليس أمرا بما ليس فيه، و إلى هذا

أشار(ص) من استوى يوماه فهو مغبون،

و قوله رب زدني علما. و لعل هذه تكشف عن نكته استغفاره في كل يوم

ص: ٤١٧

١- سوره ٣٣ - آيه ١

٢- سوره ٣٣ - آيه ١

سبعين مره ليتجدد له (ص) مقام أسمى مما كان فيه. والحاصل أن النبي (ص) ما دام في الدنيا لم يأمن من احتجابه و توقف رفعه مقامه، كيف لا و الأمور الدنيويه شاغله و الآدمي في الدنيا تاره مع الله و أخرى يقبل على ما لا بد منه و إن كان الله معه، و إلى هذا أشار بقوله إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ (١) و الفرق أنه يوحى إلى يعنى يرفع الحجاب عنى وقت الوحي و أرى ما أنتم محجوبون عنه ثم أعود إليكم كأنى منكم، و احتاج إلى ما أنتم تحتاجون إليه. فالأمر بالتقوى يوجب استداهم الحضور و الإدمان على التقوى لمزيد الرتبه و لا تُطعِ الكافرينَ وَ الْمُنَافِقِينَ (٢) نزلت في أبى سفيان بن حرب و عكرمه بن أبى جهل و أبى الأور السلمى، فإنهم بعد واقعه أحد طلبوا من النبي (ص) الأمان و جاؤوا من مكه إلى المدينه ليتكلموا و ليتفاهموا مع النبي صلى الله عليه و آله و نزلوا على رأس أهل الشقاق و النفاق عبد الله بن أبى و عبد الله ابن أبى سلول فقام هؤلاء الثلاثة مع رؤساء كفره قريش.

و المراد بالشريفه و لا تُطعِ الكافرينَ (٣) هؤلاء الثلاثة الذين قام معهم عبد الله بن أبى و عبد الله بن سعد بن أبى سرج و طعمه بن أبيرق، فهم الذين عبر عنهم فى الآيه بالمنافقين، فدخلوا على رسول الله فقالوا يا محمد ارفض ذكر آلهتنا اللات و العزى و مناه و قل إن لها شفاعة لمن عبدها، و ندعك و ربك. فشق ذلك على رسول الله صلى الله عليه و آله فأمر بإخراجهم من المدينه فنزلت الكريمه: إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا (٤) بالمصالح و المفاسد حَكِيمًا (٥) يحكم بما تقتضيه الحكمة، و النداء نداء تعظيم و تبجيل.

٢- وَ اتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ... (٦) أى القرآن- وَ خَيْرًا (٧) لا يخفى عليه شىء من أعمالكم فيجازيكم بها إن خيرا فخير و إن شرا فشر.

٣- وَ تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَ كَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا... (٨) أى قائما بتدبير أمورك حافظا لك و دافعا عنك.

ص: ٤١٨

١- سورة ١٨ - آيه ١١٠

٢- سورة ٣٣ - آيه ١

٣- سورة ٣٣ - آيه ١

٤- سورة ٣٣ - آيه ١

٥- سورة ٣٣ - آيه ١

٦- سورة ٣٣ - آيه ٢

٧- سورة ٣٣ - آيه ٢

٨- سورة ٣٣ - آيه ٣

مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَ مَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمْ اللَّائِي تَظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَ مَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَ اللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ (٤) أَدْعَوْهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَ مَوَالِيكُمْ وَ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيْمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَ لَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَ كَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (٥) النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَ أَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَ أُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا (٦)

٤- مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ... (١) أى ما خلق أحدا و فى جوفه قلبان. و هذا ردّ لما زعمت العرب من أنّ اللبيب الأريب الحفيظ له قلبان. و كان أبو معمر الفهرى ليبا حفاظا يدعى أنّ له قلبين يعقل و يشعر بكلّ واحد منهما أفضل من عقل محمّد (ص) و كانت قريش تسميه ذا القلبين إلى آخر قصّته. و يوم بدر هو الذى أفهمهم بأنّ له قلبا واحدا فهو تعالى ردّ عليه و على أمثاله و كذبهم بالصّيراحه. و هذا يفيد التزاما معنى آخر بأنّه لا ينتظم أمر الرجل الواحد و معه قلبان، فكيف ينتظم أمر هذا العالم الكبير و له آلهان معبودان مستقلان؟ لا و الله لا يمكن هذا، تعالى الله عمّا يشركون علوا كبيرا. مضافا إلى أنّ القلبين إن اتّحدا فى الفعل فأحدهما

ص: ٤١٩

فضله لا- حاجه إليه،و أن اختلفا فيه اتّصف الشخص بالضدّين فى زمان واحد،و يكون مؤمنا و كافرا مثلا و ما جَعَلَ أَرْوَاجَكُمْ اللَّائِي تَظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ (١) و الظّهار قول الرجل لامرأته:(أنت على كظهر أمي) و كانت العرب فى الجاهليّه تطلق نساءها هكذا،فجاء الإسلام و نهى عنه و أوجب الكفّاره على المظاهر و ما جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ (٢) جمع دعوى على الشذوذ لأن أفعلاء يجمع عليه الفاعل كالتقى و الشقى لا المفعول كالدعى أى المدعو ابنا مجازا،لكنه لتشبهه بالفعل بمعنى الفاعل جمع على أفعلاء.

و قد نزلت الكريمه فى زيد بن حارثه الكلبيّ إذ كانوا يسمّونه ابن محمد، و ذلك لما أسر و اشتراه النبيّ (ص) و أعتقه فجاءه أبوه حارثه ليأخذه فأبى زيد أن يفارق النبيّ فقال أبوه اشهدوا يا معشر قريش أنه ليس بابنى.فقال رسول الله صلّى الله عليه و آله:اشهدوا أنّه ابني. فكان من ذلك اليوم يدعى زيد بن محمد.و الحاصل أن نفى القليين و أمومه المظاهره تمهيد لذلك،أى كما لم يجعل قليين فى جوف واحد و لا الزوجه أمّا،لم يجعل الدعى ابنا لمن تبّناه،و الغرض رفع قاله الناس عنه صلّى الله عليه و آله حين تزوّج زينب بنت جحش بعد أن طلقها زيد بن حارثه حين قالوا:إنه تزوج امرأه ابنه ذلكم قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ (٣) أى هذه النسبه فى قولكم (إنّ الدعى ابن)قول أفواهى ليس له حقيقه،لأن الابن الحقيقى من ولّدموه و وجد من نطفكم لا من دعى أنّه ابن فلان و الله يَقُولُ الْحَقَّ (٤) أى كل ما يقوله تعالى فهو الحق و لا بدّ من أن يتبع وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ (٥) أى يرشد إلى طريق الحق.

٥- أَدْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ... (٦) أى انسبوهم لآبائهم الذين ولّدوهم هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ (٧) فهو أعدل و أصدق عنده،و إن لم تعرفوا آباءهم فإخوانكم فى الدّين (٨) أى فهم إخوانكم فى الإسلام و مَوَالِيكُمْ (٩) أولياؤكم فيه فقولوا للواحد منهم:يا أخى..يا مولاي و لا إثم عليكم فيما أخطأتم به (١٠) من نسبه البنوه إلى المتبين قبل النهى أو لسبق اللسان

ص: ٤٢٠

- ١- سورة ٣٣ - آيه ٤
- ٢- سورة ٣٣ - آيه ٤
- ٣- سورة ٣٣ - آيه ٤
- ٤- سورة ٣٣ - آيه ٤
- ٥- سورة ٣٣ - آيه ٤
- ٦- سورة ٣٣ - آيه ٥
- ٧- سورة ٣٣ - آيه ٥
- ٨- سورة ٣٣ - آيه ٥
- ٩- سورة ٣٣ - آيه ٥
- ١٠- سورة ٣٣ - آيه ٥

وَ لَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ (١) اى يكون الجناح و الإثم فيما قصدتموه من دعائهم و نسبتهم إلى غير آبائهم فحينئذ أنتم آمنون
تؤخذون به وَ كَانَ اللَّهُ غَفُوراً (٢) للمخطئ رَحِيماً (٣) بالعفو عن العائد إن تاب و إن شاء.

٦- النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ... (٤) يحتمل أن يكون المراد بالأولوية في الكريمة هو الأولوية العامة الإلهية على جميع البشر، لأنَّ
النبي صَلَّى الله عليه و آله خليفه الله في الأرض ففوض ما كان له تعالى من الولاية على جميع البشر إليه صلوات الله عليه. و
المؤمنون خصوا بالذكر لفضلهم و شرافتهم على غيرهم. و كذلك فهذه الولاية عامه لجميع الأمور الدنيوية و الدنيوية، و قد انتقلت
الأولوية بعد النبي لخلفائه المكرمين و أوصيائه المعصومين صلوات الله عليهم. و التعبير بأفعل التفضيل لما

ورد من أن النبي (ص) قد صعد المنبر فقال: من ترك ديناً أو ضياعاً فعلي و إليّ، و من ترك مالا فلورثته، بعد ما قال: أنا و عليّ أبوا
هذه الأمة. فصار بذلك أولى من آبائهم و أمهاتهم و صار أولى بهم من أنفسهم، و كذلك أمير المؤمنين بعده جرى ذلك له
مثل ما جرى لرسول الله صَلَّى الله عليه و آله وَ أَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ (٥) أى كأمهاتهم فى التّحریم مطلقاً و فى استحقاق التعظيم ما
دمن على طاعه الله و رسوله. و

فى الإكمال عن القائم عليه السّلام أنه سئل عن معنى الطّلاق الذى فوّض رسول الله حكمه إلى أمير المؤمنين (ع) قال: إن الله
تقدّس اسمه عظم شأن نساء النبي (ص) فخصهنّ بشرف الأمّهات فقال رسول الله يا أبا الحسن إن هذا الشرف باق ما دمن على
الطاعه فأيتهنّ عصت الله بعدى بالخروج عليك فأطلقها فى الأزواج و أسقطها من تشرف الأمّهات و من شرف أمومه المؤمنين وَ
أُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ (٦) أى ذوو القربات بعضهم أقدم فى الإرث و أولى ببعض. و هذه الشريفه
نسخت التوارث بالهجره و الموالاه فى الدين و التبنّى كما كانت قبل الإسلام و قبل نزول هذه الكريمة فى كِتَابِ اللَّهِ (٧) اى فى
اللوح أو القرآن أو فى حكمه

ص: ٤٢١

- ١- سورة ٣٣ - آيه ٥
- ٢- سورة ٣٣ - آيه ٥
- ٣- سورة ٣٣ - آيه ٥
- ٤- سورة ٣٣ - آيه ٦
- ٥- سورة ٣٣ - آيه ٦
- ٦- سورة ٣٣ - آيه ٦
- ٧- سورة ٣٣ - آيه ٦

قال الباقر عليه السلام:

نزلت فى الإمامه ، و هذان المعنيان لا يلائمان الاستثناء على ما هو الظاهر إلا أن يقال إن الحمل عليهما تأويل، و بالتعميم فى الآية أيضا يرتفع الإشكال. أى أولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض فى الإمامه و الإمارة و المال أى الميراث و كل نفع من المؤمنين و المهاجرين (١) أى الأنصار و المهاجرين فإن المؤمنين هم الأنصار بقريته التقابل إلا- أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفاً (٢) إلى محبيكم من الأنصار و المهاجرين وصيه بأموالكم أن تعطوهم فى دبر و فاتكم. أو المراد (بالمعروف) هو إعطاؤهم فى حال حياتكم.

و تعديه تفعلوا (٣) بإلى لأنه بمعنى الإعطاء. و قيل إن الله تعالى لمّا منع التوارث بالمؤاخاه أباح الوصيه من ثلث مال الرجل لإخوانه فى الدين و فى النسبه. فالمراد بالمعروف فى الشريفه هو الوصيه بمقدار الثلث أو الأزيد لو أجاز ورثته كان ذلك (٤) أى كل ما ذكر فى الآيتين من أولويه النبى (ص) و أولويه ذوى الأرحام فى التوارث فى الكتاب مسطوراً (٥) فى القرآن أو فى اللوح المحفوظ ثابتا و محفوظا.

سوره الأحزاب (٣٣): الآيات ٧ الى ٨

وَ إِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَ مِنْكَ وَ مِنْ نُوحٍ وَ إِبْرَاهِيمَ وَ مُوسَى وَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَ أَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقاً غَلِيظاً (٧) لِيَسْئَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً أَلِيماً (٨)

٧- وَ إِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ... (٦) أى أذكر يا محمد حين أخذنا من الأنبياء و الرسل ميثاقهم (٧) و عهدهم بتبليغ الرساله و إرشاد الناس إلى سبل الهدايه و منك و مِنْ نُوحٍ وَ إِبْرَاهِيمَ وَ مُوسَى وَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ (٨) إنّما قدم نبينا لفضله و شرفه، و إنما خصوا بالذكر بعد التعميم لأنهم أولو العزم من

ص: ٤٢٢

- ١- سوره ٣٣ - آيه ٦
- ٢- سوره ٣٣ - آيه ٦
- ٣- سوره ٣٣ - آيه ٦
- ٤- سوره ٣٣ - آيه ٦
- ٥- سوره ٣٣ - آيه ٦
- ٦- سوره ٣٣ - آيه ٧
- ٧- سوره ٣٣ - آيه ٧
- ٨- سوره ٣٣ - آيه ٧

الرّسل و من مشاهير أرباب الشرائع وَ أَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا (١) أى شديداً، و لعلّ المراد كونه مؤكّداً باليمين أو مقرونا بأخذ الوفاء بالصبر و التحمل لمشاقت أعباء الخلافه و أثقال النبوه.

٨- لَيْسَ نَبَلُ الصّٰدِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ... (٢) أى لأنه تعالى يسأل الصّٰدِقِينَ عن صدقهم فى تبليغ الرساله و العمل بوظائفهم المقرّره كلّ بحسب مرتبته و شأنه، و لَيْسَ نَبَلُ (٣) متعلّق بأخذنا.

سوره الأحزاب (٣٣): الآيات ٩ الى ١١

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا (٩) إِذْ جَاؤُكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَ مِنْ أَسْفَلٍ مِنْكُمْ وَ إِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَ بَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَ تَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا (١٠) هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَ زُلْزِلُوا زَلْزَالًا شَدِيدًا (١١)

٩- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا... (٤) إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ... (٥) أى الأحزاب و هم قريش، و غطفان و كنانه، و يهود من قريظه و النضير طائفتان من اليهود و كانوا جميعا عشرة آلاف نفر و ذلك فى غزوه الخندق فأرسلنا عليهم ريحاً (٤) أى الدبور و هى ريح تقابل الصّيبا و تهبّ من ناحيه المغرب. و أظنّ أنها ريح العذاب. و قيل إن المراد بما فى الآيه هو الصّيبا و جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا (٧) أى الملائكه، و قيل كانوا عشرة آلاف و كان الله بما تَعْمَلُونَ بصيراً (٨) من حفر الخندق و غيره من الاستعداد لهم.

١٠- إِذْ جَاؤُكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ... (٩) أى من أعلى الوادى و مِنْ أَسْفَلٍ مِنْكُمْ (١٠) من أسفلها و إِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ (١١) مالت من مقرّها خوفاً و دهشاً

ص: ٤٢٣

١- سوره ٣٣ - آيه ٧

٢- سوره ٣٣ - آيه ٨

٣- سوره ٣٣ - آيه ٨

٤- سوره ٣٣ - آيه ٩

٥- سوره ٣٣ - آيه ٩

٦- سوره ٣٣ - آيه ٩

٧- سوره ٣٣ - آيه ٩

٨- سوره ٣٣ - آيه ٩

٩- سوره ٣٣ - آيه ١٠

١٠- سوره ٣٣ - آيه ١٠

١١- سوره ٣٣ - آيه ١٠

و شخوصا وَ بَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ (١) فرعا إذ عند الشده تنتفخ الرئه فترتفع مقرها الطبيعي إلى الحنجره و هى منتهى الحلقوم. و يحتمل أن يكون هذا الكلام مثلا لشده اضطراب القلب و إن كان القلب فى موضعه الطبيعي وَ تَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا (٢) يعنى أيها المسلمون ظننتم بربكم ظنونا مختلفه، فالمخلصون الثابتون على الإيمان كانت عقيدتهم النصر و إنجاز الوعد بالغلبه، و المنافقون ظنوا باستئصالهم و غلبه الكفار. و الذين ظنوا النصر أيضا كانوا خائفين كثيرا كما أخبر سبحانه عن حالهم.

١١- هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ... (٣) أى اختبروا أو امتحنوا فظهر المخلص من المنافق و الثابت من المتزلزل وَ زُلْزِلُوا زَلْزَالًا شَدِيدًا (٤) تزعزعوا من شده الدهشه و الاضطراب.

سوره الأحزاب (٣٣): الآيات ١٢ الى ١٧

وَ إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا (١٢) وَ إِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَ يَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَ مَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا (١٣) وَ لَوْ دَخَلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَفْطَارِهَا ثُمَّ سَأَلُوا الْفِتْنَةَ لَأَتَوْهَا وَ مَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا (١٤) وَ لَقَدْ كَانُوا عَاهِدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُؤَلُّونَ الْأَدْبَارَ وَ كَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا (١٥) قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَ إِذَا لَا تَمْتَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا (١٦) قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَ لَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَ لَا نَصِيرًا (١٧)

ص: ٤٢٤

١- سوره ٣٣ - آيه ١٠

٢- سوره ٣٣ - آيه ١٠

٣- سوره ٣٣ - آيه ١١

٤- سوره ٣٣ - آيه ١١

١٢- وَ إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ... (١) أى ضعف يقين و اعتقاد يقولون: ما وَعَدَنَا اللَّهُ وَ رَسُولُهُ (٢) من الظفر و إعلاء الدين إِلَّا غُرُورًا (٣) وعدا باطلا يظهر فيه الغش.

١٣- وَ إِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ... (٤) أى يا أهل المدينة ليس هنا موضع قيامكم فَارْجِعُوا (٥) إلى مدينتكم و منازلكم، و قد كانوا مع النبي خارج المدينة فخافوا و (٦) صاروا يَقُولُونَ: إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ (٧) أى غير حصينه و ما هِيَ بِعَوْرَةٍ (٨) بل هِيَ حصينه رفيعة السِّمَكِ أى السقف و ليست مكشوفه لأحد بل هم يتعللون بذلك إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا (٩) من القتال من شدة خوفهم.

١٤- وَ لَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا... (١٠) أى لو دخل هؤلاء الذين يريدون القتال و هم الأحزاب على الذين يقولون إِنْ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ و هم المنافقون مِنْ أَقْطَارِهَا (١١) أى من جميع نواحي المدينة أو البيوت ثُمَّ سَيِّئُوا الْفِتْنَةَ (١٢) بعد الدخول و دعوا من الأحزاب و المنافقين إلى الشُّرك، و هذا هو المراد بالفتنه على ما روى عن ابن عباس لَأَتَوْهَا (١٣) لأجابهوهم و ما تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا (١٤) و ما احتبسوا و لا تعللوا عن إجابته الأحزاب و إعطائهم ما طلبوا منهم من الشُّرك و قتال المسلمين إِلَّا زَمَانًا يَسِيرًا، أى بمجرد أن يطلبوا منهم الارتداد لارتدوا و اتصلوا بهم حُبًّا بالشُّرك و كرها بالإيمان و المؤمنين. ثم أَنَّهُ سَبَحَانَهُ يَذْكُرُ نَبِيَّهِ (ص): عهدهم معه بالثبات فى مواطن القتال بقوله:

١٥- وَ لَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ... (١٥) أى بنو حارثه و من معهم لَمَّا قَصَدُوا الْفِرَارَ يَوْمَ أَحَدٍ فَنَدَمُوا عَلَى فَعْلِهِمْ وَ عَاهَدُوا اللَّهَ أَنْ لَا يَفْرُوا بَعْدَ ذَلِكَ أَبَدًا

ص: ٤٢٥

- ١- سورة ٣٣ - آيه ١٢
- ٢- سورة ٣٣ - آيه ١٢
- ٣- سورة ٣٣ - آيه ١٢
- ٤- سورة ٣٣ - آيه ١٣
- ٥- سورة ٣٣ - آيه ١٣
- ٦- سورة ٣٣ - آيه ١٣
- ٧- سورة ٣٣ - آيه ١٣
- ٨- سورة ٣٣ - آيه ١٣
- ٩- سورة ٣٣ - آيه ١٣
- ١٠- سورة ٣٣ - آيه ١٤
- ١١- سورة ٣٣ - آيه ١٤
- ١٢- سورة ٣٣ - آيه ١٤
- ١٣- سورة ٣٣ - آيه ١٤

۱۴- سوره ۳۳- آیه ۱۴

۱۵- سوره ۳۳- آیه ۱۵

لا يُؤَلِّونَ الْأُدْبَارَ (١) بل يكونون ثابتين مستمرين في الحروب وَ كَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا (٢) عن الوفاء به.

١٦- قُلْ لَنْ يُنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ... (٣) أى لن تمتنعوا بالفرار مِنَ الْمَوْتِ (٤) حتف الأنف أو القتل (٥) فى وقت معين سبق به القضاء و جرى عليه قلم التقدير، فإذا جاء الأجل لا يؤخر ساعه و لا يقدم و لا يمهل، و إذا لا تُمْتَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا (٦) تمتعاً فى زمان قليل بعد هذا الفرار ثم تموتون قتلاً أو موتاً طبيعياً.

١٧- قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِيكُمْ... (٧) أى من الذين يحميكم و يمنعكم مِنْ دُونِ اللَّهِ (٨) جلّ و علا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا (٩) إذا كان قد قضى بما تكرهون و بما يسوؤكم أو أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً (١٠) و المراد بالرحمة النَّصْر الذى هو نعمه على المسلمين، فإنه ما من أحد يردّ ذلك من مشيئه الله تعالى وَ (١١) هم لا- يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ (١٢) غيره وَلَيًّا (١٣) ينفعهم وَ لا نصيراً (١٤) يدفع عنهم الضّر و السوء.

سورة الأحزاب (٣٣): الآيات ١٨ الى ٢٠

قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَ الْقَائِلِينَ إِيْخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَ لَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا (١٨) أَشْجَحَهُ عَلَيْكُمْ فِإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يُنْظَرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فِإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِالسِّنَةِ جَدَادٍ أَشْجَحَهُ عَلَى الْخَيْرِ أَوْلَيْكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَاحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَ كَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (١٩) يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَ إِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِى الْأَعْرَابِ يَسْتَلُونَ عَنْ أُنْبَائِكُمْ وَ لَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا (٢٠)

ص: ٤٢٦

- ١- سورة ٣٣ - آيه ١٥
- ٢- سورة ٣٣ - آيه ١٥
- ٣- سورة ٣٣ - آيه ١٦
- ٤- سورة ٣٣ - آيه ١٦
- ٥- سورة ٣٣ - آيه ١٦
- ٦- سورة ٣٣ - آيه ١٦
- ٧- سورة ٣٣ - آيه ١٧
- ٨- سورة ٣٣ - آيه ١٧
- ٩- سورة ٣٣ - آيه ١٧
- ١٠- سورة ٣٣ - آيه ١٧
- ١١- سورة ٣٣ - آيه ١٧
- ١٢- سورة ٣٣ - آيه ١٧
- ١٣- سورة ٣٣ - آيه ١٧
- ١٤- سورة ٣٣ - آيه ١٧

١٨- قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ... (١) أى القاعدين و المتخلفين عن مقاتله الأحزاب مع النبي (ص) أو الذين يعوقون الناس و يمنعونهم عن عمل الخير، و فى الآيه هم الذين يمنعون عن نصره النبي. و قيل فى وجه نزولها أن واحدا من عساكر النبي يوم غزوه الخندق ذهب إلى المدينة و دخل بيت أخيه فرأى أنه هيباً مجلس طرب له فقال: يا أخى أنت بهذه الحاله و النبي محاط بأعداء الله من كل جانب؟ فأجابه و قال له: يا أبله و يا أحمق، اقعده هنا و اشتغل بالطرب و النشاط معى فإن النبي و أصحابه أخذهم البلاء و لا ينجون منه أبداً. فرجع من عند أخيه حتى يخبر النبي بمقاله أخيه فسبقه جبرائيل و أخبر النبي بذلك قبل إخباره و جاء جبرائيل بالآيه الشريفه و القائلين لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا (٢) هلم اسم فعل بمعنى اقربوا إلينا، و يستوى فيه المفرد و الجمع و هذا من لغه حجاز و لا يأتون البأس إلا قليلاً (٣) أى المنافقون لا يحضرون القتال إلا قليلاً منهم، أو لا يقاتلون إلا مقاتله قليله.

١٩- أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ... (٤) أى بخلاء عليكم بالمعوانه أو بالنفقه فى سبيل الله أو بكليهما أو بالظفر و الغنيمه، و هم مع ذلك فإذا جاء الخوف (٥) حلّ بهم الفرع حين تدور الحرب رأيتهم (٦) يا محمد و هم ينظرون إليك و إلى المعركه تدور أعينهم (٧) تتحرك أحداقهم يمنه و يسره كالأذى يُغشى عليه من الموت (٨) كالمغشى عليه فى سكراته، و ذلك لغلبه الخوف و الفرع فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنه حداد (٩) أى يؤذونكم و يزعونكم ببذىء الكلام أشحّه على الخير (١٠) يعنى عند تقسيم الغنيمه يجادلون و يناقشون مزيد حقهم و توفير حصّتهم ليرد الكسر على المؤمنين و يذهبوا

ص: ٤٢٧

- ١- سوره ٣٣ - آيه ١٨
- ٢- سوره ٣٣ - آيه ١٨
- ٣- سوره ٣٣ - آيه ١٨
- ٤- سوره ٣٣ - آيه ١٩
- ٥- سوره ٣٣ - آيه ١٩
- ٦- سوره ٣٣ - آيه ١٩
- ٧- سوره ٣٣ - آيه ١٩
- ٨- سوره ٣٣ - آيه ١٩
- ٩- سوره ٣٣ - آيه ١٩
- ١٠- سوره ٣٣ - آيه ١٩

بحقهم. و نصب أشحّه (١) فى الموضوعين يحتمل أن يكون على الحالّيه أو على الدّم أولئك لم يؤمنوا (٢) على وجه الإخلاص باطنًا، بل كان إيمانهم صورياً ظاهرياً لحقن دمايهم و حفظ أموالهم و أخذ الغنيمه و غيرها من الأغراض الفاسده، و كانوا فى الواقع مع المشركين و لهذا فهم لا يستحقّون الثواب على أعمالهم فأخبط الله أعمالهم (٣) أى أظهر بطلانها و عدم ترتب الثواب عليها، أو أبطلها و جعلها هباء منثورا، أو أبطل أعمالهم من تصنعهم و نفاقهم و مكرهم و كيدهم مع النبى (ص) و المؤمنين المخلصين.

أو المراد هذه و غيرها من الأعمال كصلواتهم و صيامهم و جهادهم فالله تعالى أبطلها جميعا من غير استثناء لعدم شرط القبول و هو الإخلاص فى واحد منها و كان ذلك على الله يسيراً (٤) أى هينا، و ذلك إشاره إلى الإحباط.

٢٠- يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا... (٥) أى المنافقون كانوا يظنون أنّ الأحزاب لم ينهزموا و أنهم باقون على ما كانوا. و لقد انهزموا و انصرفوا (أى المنافقون) لجنهم و ما سألوا عن حال الأحزاب إذ كانوا قد انصرفوا إلى المدينة خوفا و بلا استئذان من الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله و إنّ يأت الأحزاب (٦) كرهه ثانية يودّوا لو أنّهم بادؤوا فى الأعراب (٧) أى يتمنى هؤلاء المنافقون أن يكونوا فى البدايه مع البدو و الأعراب يسيئون (٨) كلّ قادم من طرف المدينة عن أنبايكم (٩) عن أخباركم و عمّا جرى عليكم من المشركين و لو كانوا فيكم (١٠) فى هذه الكرهه ما قاتلوا إلا قليلاً (١١) أى لم يقاتلوا معكم الأحزاب إلا قدرا يسيرا، رياء و خوفا من العار، و هم لا ينصرونكم لأنّ قلوبهم مع الأحزاب.

سوره الأحزاب (٣٣): الآيات ٢١ الى ٢٧

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَ الْيَوْمَ الْآخِرَ وَ ذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا (٢١) وَ لَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ صَدَقَ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ مَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَ تَسْلِيمًا (٢٢) مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَ مِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَ مَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا (٢٣) لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَ يُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنْ أَرَادَ اللَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا (٢٤) وَ رَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَ كَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَ كَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيمًا (٢٥) وَ أَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَاحِبَتِهِمْ وَ قَدَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَ تَأْسِرُونَ فَرِيقًا (٢٦) وَ أَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَ دِيَارَهُمْ وَ أَمْوَالَهُمْ وَ أَرْضًا لَمْ تَطُوهَا وَ كَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا (٢٧)

ص: ٤٢٨

١- سوره ٣٣ - آيه ١٩

٢- سوره ٣٣ - آيه ١٩

٣- سوره ٣٣ - آيه ١٩

٤- سوره ٣٣ - آيه ١٩

٥- سوره ٣٣ - آيه ٢٠

٦- سوره ٣٣ - آيه ٢٠

٧- سوره ٣٣ - آيه ٢٠

۸- سوره ۳۳ - آیه ۲۰

۹- سوره ۳۳ - آیه ۲۰

۱۰- سوره ۳۳ - آیه ۲۰

۱۱- سوره ۳۳ - آیه ۲۰

٢١- لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ... (١) أى لقد كان لكم به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَدْوَةٌ حَمِيدَةٌ، وَكَفِيكُمْ تَقْلِيدَهُ بِأَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ الشَّرِيفَةِ وَهُوَ نَعْمَ الْمَثَلُ لَكُمْ فِي أَخْلَاقِهِ السَّامِيَةِ، وَفِي ثَبَاتِهِ هُنَا فِي الْحَرْبِ وَصَبْرِهِ فِي الشَّدَائِدِ وَالْمَحَنِّ، وَالمُؤْتَسَى بِالرَّسُولِ (ص) يَرْضَى بِاتِّبَاعِهِ وَبِالْعَمَلِ مِثْلَمَا يَعْمَلُ. وَهَذِهِ الْخِصْلَةُ مِنَ التَّأْسَى بِهِ (ص) لَا تَكُونُ إِلَّا لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ (٢) يَطْلُبُ رِضَاهُ وَاليَوْمَ الْآخِرَ (٣) يَخَافُ سُوءَ مَنَقَلْبِهِ فِيهِ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا (٤) فَلَمْ يَنْسَهُ فِي حَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ وَجَعَلَهُ نَصَبَ عَيْنِيهِ فِي الْحَرْبِ وَفِي

ص: ٤٢٩

١- سورة ٣٣ - آية ٢١

٢- سورة ٣٣ - آية ٢١

٣- سورة ٣٣ - آية ٢١

٤- سورة ٣٣ - آية ٢١

السلم و في الراحة و التعب و في كل وقت من حياته.

٢٢- وَ لَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَخْزَابَ... (١) أى حين نظروا إليهم يوم الخندق قالوا (٢) فى أنفسهم: هذا ما وَعَدَنَا اللَّهُ وَ رَسُولُهُ (٣) من حرب الكفار و النصر عليهم وَ صَدَقَ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ (٤) فى كل ما يصدر عنهما وَ ما زَادَهُمْ (٥) هذا المشهد الذى ينذر بواقعه حربيه رهيبه إلا- إيماناً (٦) بما هم عليه من الحق وَ تَسْلِيماً (٧) لأمر الله سبحانه و أمر رسوله صلى الله عليه و آله. ثم إنه تعالى وصف بعض المؤمنين الذين شاركوا فى تلك المعركة ببعض خصالهم الشريفه فقال:

٢٣- مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ... (٨) أى تجد بين المؤمنين بالله و برسوله رجالا امتازوا عن غيرهم بصدق العهد الذى أعطوه لله تعالى على أنفسهم من نصر دينه و إعلاء كلمته و الجهاد مع رسوله (ص) و الثبات معه، و قد أبلوا فى هذه الوقعه بلاء حسنا و حاربوا بإخلاص فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ (٩) أى قتل و مات كحمزه و جعفر بن أبى طالب عليهما السلام و كغيرهما من الشهداء الأبرار. و إنه لما استشهد جعفر بن أبى طالب (ع) فى معركة (مؤته) رفعه أهل الشرك على رؤوس رماحهم و قد تألم النبى (ص) لموته كثيرا و حزن عليه حزنا شديدا إذ كان الكفار قد قطعوا يديه فى القتال فأبدله الله تعالى بهما جناحين يطير بهما فى الجنة حيث يشاء مع الملائكة. و (النحب) هو النذر، و قد أستعير للموت لأن الموت مخطوط على جيد ابن آدم كالنذر اللانزم على رقبه صاحبه، و إن كل ذى حياه إذا مات فكأنه قد و فى بنذر كان عليه لأنه قضى عهدا معهودا عليه، و لذا يقال: قضى نحبه، كما يقال: و فى بنذره. و الحاصل أن من هؤلاء المؤمنين من قد مات و استشهد و قضى ما عليه من خدمه الله و الدين وَ مِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ (١٠) الشهاده فى سبيل الله كعلى أمير المؤمنين عليه السلام وَ ما يَدُلُّوا (١١) العهد مع الله و رسله و لا غيروه، و تَبْدِيلاً (١٢) تأكيد لثباتهم على ما هم عليه من الإيمان الراسخ.

ص: ٤٣٠

- ١- سورة ٣٣ - آيه ٢٢
- ٢- سورة ٣٣ - آيه ٢٢
- ٣- سورة ٣٣ - آيه ٢٢
- ٤- سورة ٣٣ - آيه ٢٢
- ٥- سورة ٣٣ - آيه ٢٢
- ٦- سورة ٣٣ - آيه ٢٢
- ٧- سورة ٣٣ - آيه ٢٢
- ٨- سورة ٣٣ - آيه ٢٣
- ٩- سورة ٣٣ - آيه ٢٣
- ١٠- سورة ٣٣ - آيه ٢٣
- ١١- سورة ٣٣ - آيه ٢٣
- ١٢- سورة ٣٣ - آيه ٢٣

٢٤- لِيُجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ... (١) لِيُشْبِهَهُمْ عَلَى إِيْمَانِهِمْ وَتَصْدِيقِهِمْ وَإِخْلَاصِهِمْ وَ يُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ (٢) لِنَقْضِهِمُ الْعَهْدَ إِنْ شَاءَ (٣) أَى إِذَا أَرَادَ وَ إِذَا لَمْ يَتُوبُوا أَوْ يُتُوبَ عَلَيْهِمْ (٤) إِذَا تَابُوا وَ أَنَابُوا وَ نَدَمُوا عَلَى مَا كَانَ مِنْهُمْ إِنْ اللَّهُ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً (٥) لِمَنْ تَابَ وَ عَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً، وَ هَذَا شَأْنُهُ عَزَّ شَأْنُهُ مِنْذُ كَانَ فَإِنَّهُ مَتَّصِفٌ بِالرَّحْمَةِ وَ الْمَغْفَرَةِ.

٢٥- وَ رَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا... (٦) وَ هُمُ الْأَحْزَابُ، وَ عَلَى رَأْسِهِمْ أَبُو سَفِيَانَ وَ أَشْبَاهُهُ مِنَ الْعِتَاءِ، رَدَّهُمْ سَبْحَانَهُ بِغَيْظِهِمْ (٧) بِحَنْقِهِمْ وَ كَيْدِهِمُ السَّيِّئِ وَ غَضَبِهِمْ، ف لَمْ يَنَالُوا خَيْراً (٨) لَمْ يَصِيبُوا ظَفراً وَ لَا- ذَاقُوا غَلْبَهُ بَل رَجَعُوا خَائِبِينَ خَاسِرِينَ مِنْهَزْمِينَ خَائِفِينَ. وَ قِيلَ أَرِيدَ بِالْخَيْرِ الْمَالِ وَ السَّلْبِ الَّذِي كَانُوا يَأْمَلُونَ الْحَصُولَ عَلَيْهِ وَ كَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ (٩) رَدَّ عَنْهُمْ سَبْحَانَهُ كَيْدَ الْكَائِنِينَ وَ دَفَعَ عَنْهُمْ الْأَذَى أَثْنَاءَ قِتَالِ الْمُنَافِقِينَ. وَ

فِي الْمَجْمَعِ عَنِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: كَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ بَعْلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، بِقَتْلِهِ عَمْرَأَ بْنَ وَدَّ فَكَانَ ذَلِكَ سَبِيحاً لَهْزِيمَةَ الْقَوْمِ. وَ

قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ مَا ثَوَّرَ مَشْهُورٌ حِينَ قَالَ: ضَرَبَهُ عَلِيٌّ يَوْمَ الْخَنْدَقِ تَوَازَى عَمَلُ الثَّقَلَيْنِ وَ كَانَ اللَّهُ قَوِيّاً (١٠) عَلَى مَا أَرَادَ عَزِيزاً (١١) غَالِباً عَلَى كُلِّ شَيْءٍ.

٢٦- وَ أَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ... (١٢) ثُمَّ إِنَّهُ تَعَالَى عَلَى سَبِيلِ تَعْدَادِ نِعْمَةِ عَلَى رَسُولِهِ وَ تَنْبِيهِ أَصْحَابِهِ لِتِلْكَ النِّعْمِ وَ الْإِمْتِنَانِ عَلَيْهِمْ بِهَا يَخْبِرُ رَسُولَهُ بِهَذَا الْفَتْحِ، أَى فَتْحَ بَنِي قَرِيظَةَ الَّذِينَ كَانُوا مِنَ الْمُتَعَاهِدِينَ مَعَ الرَّسُولِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَ آلِهِ فَخَالَفُوهُ وَ نَقَضُوا عَهْدَهُمْ مَعَهُ فَتَزَلَّ عَلَيْهِ أَمِينُ الْوَحْيِ بِالْمُبَارَكَةِ. وَ مَعْنَاهَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَنْزَلَ الَّذِينَ عَاوَنُوا الْأَحْزَابَ، وَ هُمُ الْيَهُودُ مِنْ بَنِي قَرِيظَةَ الَّذِينَ نَقَضُوا عَهْدَهُمْ مَعَ الرَّسُولِ لِيَنْصُرُوا الْمُشْرِكِينَ مِنَ الْأَحْزَابِ، أَنْزَلَهُمْ وَ أَخْرَجَهُمْ مِنْ حَصُونِهِمْ وَ قَدَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرَّغْبَ (١٣) أَى أَلْقَى سَبْحَانَهُ الْخَوْفَ مِنْ رَسُولِهِ وَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي قُلُوبِهِمْ، فَظَفَرَ عَلَيْهِمُ النَّبِيُّ بِلَا خَيْلٍ وَ لَا رِكَابٍ وَ بَغِيرِ مُحَارَبَةٍ وَ مَقَاتِلَةٍ فَقَسَمَهُمْ قَسَمِينَ بِحَكْمٍ

ص: ٤٣١

- ١- سورة ٣٣ - آية ٢٤
- ٢- سورة ٣٣ - آية ٢٤
- ٣- سورة ٣٣ - آية ٢٤
- ٤- سورة ٣٣ - آية ٢٤
- ٥- سورة ٣٣ - آية ٢٤
- ٦- سورة ٣٣ - آية ٢٥
- ٧- سورة ٣٣ - آية ٢٥
- ٨- سورة ٣٣ - آية ٢٥
- ٩- سورة ٣٣ - آية ٢٥
- ١٠- سورة ٣٣ - آية ٢٥

۱۱- سوره ۳۳- آیه ۲۵

۱۲- سوره ۳۳- آیه ۲۶

۱۳- سوره ۳۳- آیه ۲۶

سعد بن معاذ رحمه الله عليه كما أخبر سبحانه بقوله فَرِيقًا تَقْتُلُونَ (١) وهم الرجال من بنى قريظه و تَأْسِرُونَ فَرِيقًا (٢) وهم النساء.

٢٧- وَ أَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَ دِيَارَهُمْ... (٣) يعنى أعطاكم بعد قتلهم و الانتصار عليهم مزارعهم و حصونهم وَ أَمْوَالَهُمْ (٤) و النقود و الأمتعه و المواشى وَ أَرْضاً لَمْ تَطَّوْهَا (٥) لم تذهبوا إليها و لم تأخذوها بعد و لعلها أرض خيبر أو الروم و فارس و الله اعلم بما قال و الأول أظهر بمناسبة المقام.

قال عكرمه: إن كل أرض دخلت فى حوزة أهل الإسلام من اليوم إلى يوم القيامة داخله فى هذه الجملة لعمومها بمقتضى تنكير الأرض وَ كَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا (٦) أى قادر على تسخير البلاد و فتحها جميعا.

سوره الأحزاب (٣٣): الآيات ٢٨ الى ٣١

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَ زِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَ أُسَدِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا (٢٨) وَ إِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ الدَّارَ الآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا (٢٩) يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَ كَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (٣٠) وَ مَن يَفْعَلْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ تَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَ أَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا (٣١)

٢٨- يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ... (٧) شأن نزول المباركه أن النبى الأكرم لما رجع من فتح خيبر بعد ما أصاب كثر آل أبى الحقيق و أموال كثيره

ص: ٤٣٢

- ١- سوره ٣٣ - آيه ٢٦
- ٢- سوره ٣٣ - آيه ٢٦
- ٣- سوره ٣٣ - آيه ٢٧
- ٤- سوره ٣٣ - آيه ٢٧
- ٥- سوره ٣٣ - آيه ٢٧
- ٦- سوره ٣٣ - آيه ٢٧
- ٧- سوره ٣٣ - آيه ٢٨

وافره بحيث توقع أزواجه شيئا من تلك الأموال و قلن أعطنا ممّا أصبت.

فقال صَلَّى اللهُ عليه و آله: قَسَمْتُهَا بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى مَا أَمَرَ اللهُ تَعَالَى.

فغضبن من ذلك و قلن لعلمك ترى أنك إن طَلَقْتَنَا أَنْ لَا نَجِدَ الْأَكْفَاءَ مِنْ قَوْمِنَا يَتْرُوجُونَنَا؟ فَأَنْفَ اللهُ عَزَّ وَ جَلَّ ذَلِكَ لِرَسُولِهِ وَ كَرِهَهُ لَهُ، فَأَمَرَهُ أَنْ يَعْتَزِلَهُنَّ فَاعْتَزِلَهُنَّ فِي مَشْرِبِهِ أُمَّ إِبْرَاهِيمَ تِسْعَةَ وَ عَشْرِينَ يَوْمًا حَتَّى حَضَنَ وَ طَهَرَ. ثُمَّ أَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَ جَلَّ هَذِهِ الْآيَةَ الَّتِي تَسْمَى آيَةَ التَّخْيِيرِ لِأَنَّهُ تَعَالَى قَالَ لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ: قُلْ لِأَزْوَاجِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تُرِيدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (١) أَى السَّعَةَ وَ التَّنْعَمَ فِيهَا وَ زِينَتَهَا (٢) مِنَ الْحَلِيِّ وَ الثِّيَابِ الْفَاخِرَةِ وَ زَخَارِفِهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَّتُكُمْ (٣) أُعْطِيكُمْ مَتْعَةَ الطَّلَاقِ وَ قِيلَ هِيَ تَوْفِيرُ الْمَهْرِ بِتَمَامِهِ أَوْ الْمَهْرِ مَعَ الزِّيَادَةِ حَتَّى تَتَمَتَّعَنَّ بِالزِّيَادَةِ التَّفَضُّلِيَّةِ، لِأَنَّ مَا تَرَعْبَنَ فِيهِ مِنْ مَتَاعِ الدُّنْيَا لَيْسَ عِنْدِي وَ أُسَيِّرُكُمْ سَيْرًا جَمِيلًا (٤) أَطْلَقَكُمْ طَلَاقًا لَا ضَرَارَ فِيهِ أَى بِلَا مَشَاجِرِهِ وَ لَا مَخَاصِمِهِ تَكُونَانِ بَيْنَ الزَّوْجِ وَ الزَّوْجَةِ نَوْعًا، وَ هُوَ السَّرَاحُ الْجَمِيلُ. وَ السَّرَاحُ كِنَايَةٌ عَنِ الطَّلَاقِ وَ مَعْنَاهُ هُوَ الْإِرْسَالُ وَ الْإِخْرَاجُ وَ جَاءَ بِمَعْنَى الطَّلَاقِ أَيْضًا.

٢٩- وَ إِنْ كُنْتُمْ تُرِيدْنَ اللَّهَ وَ رِسُولَهُ وَ الدَّارَ الْآخِرَةَ... (٥) فَتَبْنَ عَنِ قَوْلِهِنَّ وَ اخْتَرْنَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ الدَّارَ الْآخِرَةَ بِدَلِّ الدُّنْيَا. وَ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ.. وَ قَدْ تَابَ اللَّهُ سَبْحَانَهُ عَلَيْهِنَّ فَأَمَرَ النَّبِيَّ بِالرَّجُوعِ إِلَيْهِنَّ.

٣٠- يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ... (٦) أَى بِخِصْلَةٍ قَبِيحَةٍ وَ عَمَلٍ شَنِيعٍ مُبِينَةٍ (٧) ظَاهِرَةٍ الْقَبِيحُ يُضَاعَفُ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ (٨) أَى مِثْلَى عَذَابٍ غَيْرِهِنَّ لِأَنَّ الذَّنْبَ مِنْهُنَّ أَقْبَحُ لِزِيَادَةِ النِّعْمَةِ وَ نَزُولِ الْوَحْيِ فِي بَيْوتِهِنَّ وَ لَيْسَ الْعَالَمُ كَغَيْرِهِ. وَ عَذَابُكُمْ عَلَى اللَّهِ سَهْلٌ يَسِيرًا (٩) فِي حَالِ الْعَصِيَانِ.

٣١- وَ مَنِ يَقْنُتْ مِنْكُمْ... (١٠) أَى تَدْوِمَ عَلَى الطَّاعَةِ وَ تَعَمَلَ صَالِحًا (١١) عَمَلًا صَالِحًا خَالِصًا عَنِ شَوَائِبِ الْأَوْهَامِ نُؤْتِيهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ (١٢) أَى مِثْلَى

ص: ٤٣٣

١- سورة ٣٣ - آية ٢٨

٢- سورة ٣٣ - آية ٢٨

٣- سورة ٣٣ - آية ٢٨

٤- سورة ٣٣ - آية ٢٨

٥- سورة ٣٣ - آية ٢٩

٦- سورة ٣٣ - آية ٣٠

٧- سورة ٣٣ - آية ٣٠

٨- سورة ٣٣ - آية ٣٠

٩- سورة ٣٣ - آية ٣٠

١٠- سورة ٣٣ - آية ٣١

۱۱- سوره ۳۳- آیه ۳۱

۱۲- سوره ۳۳- آیه ۳۱

أجر غيرها وَ أَعْتَدْنَا لَهَا (١) هَيَّأْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا (٢) زائدا على أجرها المستحق لعملها.

سوره الأحزاب (٣٣): الآيات ٣٢ الى ٣٥

يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا (٣٢) وَ قَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَ لَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَ أَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَ آتِينَ الزَّكَاةَ وَ أَطِعْنَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا (٣٣) وَ اذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَ الْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا (٣٤) إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَ الْمُسْلِمَاتِ وَ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنَاتِ وَ الْقَانِتِينَ وَ الْقَانِتَاتِ وَ الصَّادِقِينَ وَ الصَّادِقَاتِ وَ الصَّابِرِينَ وَ الصَّابِرَاتِ وَ الْخَاشِعِينَ وَ الْخَاشِعَاتِ وَ الْمُتَصَدِّقِينَ وَ الْمُتَصَدِّقَاتِ وَ الصَّيِّئِينَ وَ الصَّيِّئَاتِ وَ الْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَ الْحَافِظَاتِ وَ الذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَ الذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَ أَجْرًا عَظِيمًا (٣٥)

ص: ٤٣٤

١- سوره ٣٣ - آيه ٣١

٢- سوره ٣٣ - آيه ٣١

٣٢- يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ... (١) لم يقل كواحدة من النساء لأن (أحد) لِنفى العام و هو المطلوب فى المقام، قال ابن عباس معنى المباركة: ليس قدركن كقدر غيركن من الصالحات. أنتن أكرم على و أنا بكن أرحم، و ثوابكن أعظم لمكانكن من رسول الله صلى الله عليه و آله إن اتقيتن (٢) فإن الله سبحانه شرط عليهن التقوى لبيّن أن فضلهن بالتقوى لا باتصالهن بالنبي فلا يغترون بذلك فلا تخضعن بالقول (٣) أى فلا تتكلمن بالقول الخاضع اللين مع الأجانب مثل تكلم المريبات، فأراد سبحانه أن يعرفهن أدنى مرتبه تكون خلاف التقوى و غير مرضيه عنده تعالى فيطمع الذى فى قلبه مرض (٤) أى مرض الزيبه و الفجور... و قلن قولاً معزوفاً (٥) بعيداً عن الطمع و الزيبه و بكيفيه طبيعته متعارفه لا مثل قول المريبات و قد جاء

فى الحديث أنه لما نزلت هذه المباركة صارت نساء النبي (ص) حينما ينادى المنادى على المناوب لم يكن فى الدار أحد من الرجال يدخلن أصابعهن فى أفواههن و يجبن بصوت منكر خشن. ثم إنه تعالى لما أدبهن قولاً كذلك منعهن عن بعض كيفيات أعمالهن و أفعالهن بقوله سبحانه:

٣٣- وَ قَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَ لَا تَبَرَّجْنَ... (٦) أى أن وظيفه النساء هو الاستقرار فى حجراتهن و لا يخرجن إلا لضروره اقتضت سواء كانت شرعيه أو عقليه، و إذا خرجن لا تَبَرَّجْنَ تَبَرَّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى (٧) لا تظهرن زينتكن للأجانب من الرجال مثل تبرج نساء الجاهليه القديمه. و قيل هو زمان ولاده إبراهيم عليه السلام فإن النساء كن يلبسن ألبسه مزينه بالجواهر و يعرضن أنفسهن للرجال و يختلطن معهم فى مجامعهم. و الجاهليه الأخرى هو عصر عيسى عليه السلام إلى زمان خاتم الأنبياء. و قيل الأولى جاهليه الكفر قبل الإسلام و الأخرى جاهليه الفسوق بعد ظهور الإسلام و

فى الإكمال عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه و آله فى حديث: أن يوشع بن نون وصى موسى بن عمران عليهما السلام عاش بعد موسى

ص: ٤٣٥

- ١- سورة ٣٣ - آيه ٣٢
- ٢- سورة ٣٣ - آيه ٣٢
- ٣- سورة ٣٣ - آيه ٣٢
- ٤- سورة ٣٣ - آيه ٣٢
- ٥- سورة ٣٣ - آيه ٣٢
- ٦- سورة ٣٣ - آيه ٣٣
- ٧- سورة ٣٣ - آيه ٣٣

ثلاثين سنة و خرجت عليه صفراء بنت شعيب زوجه موسى فقالت أنا أحق منك بالأمر فقاتلها و قتل مقاتليها و أحسن أسرها، و أن ابنه أبى بكر ستخرج على على عليه السلام فى كذا و كذا ألفا من أمتى فيقاتلها فيقتل مقاتليها فيحسن أسرها و فيها أنزل الله تعالى: وَ قَوْمٌ فِي بُيُوتِكُمْ... (١) الآية..

إلى قوله تَبْرُجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى (٢) يعنى صفراء بنت شعيب، فبالقرينه تظهر الثانيه وَ أَطْعَيْنَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ (٣) أى كما أنكنت مأمورات من عند الله و رسوله بإقامه الصلاه و إيتاء الزكاه كذلك لا بد لكن أن تطعن إياهما فى سائر ما أمركن به و نهايكن عنه إنما يريد الله لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ (٤) المراد بالرجس هو الذنب و العصيان. و إنما أراد سبحانه بحصر الإذهاب فيهم لإفهام البشر أجمعين أنهم أشرف مخلوقاته من الأولين و الآخرين و ليس لأحد أن يزاحمهم فى مناصبهم و يشاركهم فى مناقبهم التى اختصهم الله بها، فضلا عن أخذ حقوقهم و غصب مقامهم و مرتبتهم التى أوجبها الله لهم من فوق سماواته السبع، فإنهم دون الخالق و فوق المخلوق فلا يقاس أحد بهم. و أَهْلَ الْبَيْتِ (٥) نصبه بأخص المقدر، و إذا قرئ بكسر اللام فهو عطف بيان عن الضمير المجرور فى قوله عَنْكُمْ (٦) و الألف و اللام فى البيت للعهد أى بيت النبوه و الرساله و يُطَهَّرْكُمْ تَطْهِيراً (٧) من جميع المآثم. و استعاره الرجس عن الذنب و التطهير عن الترشيح أى التأهل و التربيه لتنفير الفطين و عدم تناسبهما لهم صلوات الله عليهم و قد أجمع المفسرون على نزولها فى أهل العباء، و به روايات مستفيضه عن الطرفين مصرحة بأن أهل البيت هم محمد و على و فاطمه و الحسن و الحسين سلام الله و صلواته عليهم أجمعين. و

عن الباقر عليه السلام: نزلت هذه الآيه فى رسول الله صلى الله عليه و آله و على بن أبى طالب و فاطمه و الحسن و الحسين عليهم السلام، و

فى العياشى عنه عليه السلام فى قوله تعالى و يطهركم تطهيرا: من ميلاد الجاهليه.

٣٤- وَ اذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُمْ... (٨) قيل معناه: اشكرن الله تعالى

ص: ٤٣٦

١- سورة ٣٣ - آيه ٣٣

٢- سورة ٣٣ - آيه ٣٣

٣- سورة ٣٣ - آيه ٣٣

٤- سورة ٣٣ - آيه ٣٣

٥- سورة ٣٣ - آيه ٣٣

٦- سورة ٣٣ - آيه ٣٣

٧- سورة ٣٣ - آيه ٣٣

٨- سورة ٣٣ - آيه ٣٤

إذ صيرَكن بتوفيقه لكَنَّ في بيوت يتلى فيها الوحى و السنه،أى الآيات التى يوحى بها إلى النبى و الحكمه أى أقوال النبى الأكرم و هى محض الحكمه.

و قيل المراد من الموصول هو القرآن الجامع بين الأمرين.و قيل معنى الشريفة:احفظن ما يتلى عليكن من القرآن لتعملن به،و هذا حث لهنَّ على حفظ القرآن و السنه و مذاكرتهنَّ بهما.أو المراد هو الأمر بمذاكره كتاب الله الذى يقرأ عليهنَّ حتى يبقى فى حفظهن و لا يضيع و يعملن به حين احتياجهنَّ،و هذا هو الظاهر منها إِنَّ الله كَانَ لَطِيفاً (١) فى تدبير خلقه خبيراً (٢) بمصالحهم.

٣٥- إِنَّ الْمُسْلِمِينَ... (٣) وَ الْقَانِتِينَ وَ الْقَانِتَاتِ... (٤) أى الدائمين على الطاعة وَ الصَادِقِينَ وَ الصَادِقَاتِ (٥) فى أقوالهم وَ أفعالهم وَ الصَابِرِينَ وَ الصَابِرَاتِ (٦) على البلى و القيام بالطاعات الخاشعين (٧) المتواضعين وَ الْمُتَصَدِّقِينَ وَ الْمُتَصَدِّقَاتِ (٨) بما فرض عليهم أو الأعمّ وَ الْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ (٩) عن الحرام لَهُمْ مَغْفِرَةً (١٠) لذنوبهم وَ أَجْراً عَظِيماً (١١) على طاعتهم.و

عن النبى (ص): المسلم من سلم المسلمون من يده و لسانه و المؤمن من أمن جاره بوائقه(أى غوائله و شروره،و البائقة الداهية)و ما آمن بى من بات شبعان و جاره طاو(من الطوى بمعنى الجوع).

سوره الأحزاب (٣٣): الآيات ٣٦ الى ٤٠

وَ مَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَ لَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَ رَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَ مَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا (٣٦) وَ إِذْ تَقُولُ لِلَّذِى أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَ اتَّقِ اللَّهَ وَ تُخْفَى فِى نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَ تَخْشَى النَّاسَ وَ اللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطْرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِى أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطْرًا وَ كَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا (٣٧) مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سِنَّةَ اللَّهِ فِى الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَ كَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدْرًا مَقْدُورًا (٣٨) الَّذِينَ يَبْلُغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَ يَخْشَوْنَهُ وَ لَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَ كَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا (٣٩) مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَ لَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَ خَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَ كَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (٤٠)

ص: ٤٣٧

١- سوره ٣٣ - آيه ٣٤

٢- سوره ٣٣ - آيه ٣٤

٣- سوره ٣٣ - آيه ٣٥

٤- سوره ٣٣ - آيه ٣٥

٥- سوره ٣٣ - آيه ٣٥

٦- سوره ٣٣ - آيه ٣٥

٧- سوره ٣٣ - آيه ٣٥

٨- سوره ٣٣ - آيه ٣٥

٩- سوره ٣٣ - آيه ٣٥

۱۰- سوره ۳۳ - آیه ۳۵

۱۱- سوره ۳۳ - آیه ۳۵

٣٦- وَ مَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ... (١) نزلت في زينب بنت جحش الأسديه و كانت بنت أميمه بنت عبد المطلب عمه رسول الله فخطبها رسول الله على مولاه زيد بن حارثه و رأت أنه يخطبها لنفسه فلما عرف أنه يخطبها على زيد أبت و أنكرت و قالت أنا ابنه عمّتك فلم أكن لأفعل، و كذلك قال أخوها عبد الله بن جحش فنزلت الآية المباركه لتأديب الناس و بيان عظم شأن رسوله (ص) حيث قرنه الله سبحانه بذاته العليّه في كتابه في أنّ الناس مسلوبي الاختيار في مقام أمره و نهيّه و رضاه بشيء يريدّه، كما أنه كذلك الأمر بالنسبه إليه تعالى. و معنى الشريفه أنه ما صحّ لرجل مؤمن كعبد الله بن جحش و لا لامراه مؤمنه كزينب بنت جحش إذا قضى الله و رسوله (٢) أي أوجب الله و رسوله أمراً (٣) أي الزمناه و حكما به أن يكون لهم الخيره من أمرهم (٤) أي الخيره عندهم و الاختيار مسلوبان و غير مقبولين. و الحاصل أنه يجب على المكلفين أن يجعلوا اختيارهم تابعا لاختيارهما. و معنى الخيره ما يتخير فيه و من يعص الله و رسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً (٥) و بعد نزول هذه الآية قالت زينب يا رسول الله جعلت أمري و اختياري بيدك فزوجها إياه. و في الآية المباركه وَ مَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ (٦) إلى آخرها ردّ على من جعل الإمامه بالاختيار.

ص: ٤٣٨

- ١- سوره ٣٣ - آيه ٣٦
- ٢- سوره ٣٣ - آيه ٣٦
- ٣- سوره ٣٣ - آيه ٣٦
- ٤- سوره ٣٣ - آيه ٣٦
- ٥- سوره ٣٣ - آيه ٣٦
- ٦- سوره ٣٣ - آيه ٣٦

كان زيد بن حارثة مؤمناً تقيّاً زكياً حبيباً لرسول الله بحيث تبنّاه و صار معروفاً بابن محمد. و محبه رسول الله هذه تكشف عن سموّ مقامه و علوّ شأنه و هو يغطيه على مقامه هذا و لرتبته السّاميه عند الله و رسوله كثير من الأصحاب المقربين.. و في الظاهر قد أقدم على هذا التزويج نبيّ الرحمة لمصالح عديده أشير إليها في الشريفة بقوله تعالى: [زَوَّجْنَاكَهَا \(١\)](#) و قرئ زوّجتها.

قال الصّادق عليه السلام: ما قرأها أبى إلاّ - كذلك، إلى أن قال: و ما قرأ على عليه السلام على النبيّ صلّى الله عليه و آله إلاّ كذلك.

و في الجوامع أنّها قراءه أهل البيت سلام الله عليهم أجمعين. و الحاصل أنّه تعالى أضاف تزويجها إلى ذاته المقدّسه تشريفاً و تبجيلاً لرسوله. و روى أنّ زينب كانت تفتخر على جميع نساء النبيّ بذلك بعد نزول تلك الكريمة و كانت تقول للنبيّ (ص): إنّي لأدللّ عليك بثلاث، ما من نساءك امرأه تدلّ بهنّ جدّى و جدّك واحد، و زوّجنيك الله، و السّيفير جبرائيل. و في الدّعاء مدلاً عليك فيما قصدت فيه إليك، و هو من أدلتّ المرأه و تدلّلت و هو جرأتها في تغنّج كأنّها مخالفة و ليس بها خلاف، و الاسم الدّلال، يقال تدلّ على غيره لم يخف منه بل يعدّ نفسه عزيزاً عنده. و ليعلم أنّ زيدا حينما طلق زوجته لم يكن في قلبه كره لطلاقها بمعنى أن الطلاق لم يقع بغير رضاه و عن عدم رغبه منه فيه، بل عن طيب نفسه و لم يكن في قلبه أى ميل إليها و لا وحشه لفراقها. قال الله تعالى [فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا \(٢\)](#) فإنّ معنى القضاء هو الفراغ عن الشّئ على التمام و الكمال بلا- احتياج إليه بعد ذلك لكئى لا- يكوّن على المؤمنيّن حرّج في أزواج أذعيائهم [\(٣\)](#) أى فى نكاح أزواج الأذعياء أى من يدعونهم أبناء إذا قَضُوا مِنْهُنَّ وَطَرًا [\(٤\)](#) إذا طلقوهن باختيارهم بعد قضاء حاجتهم منهنّ، فهذا التبرير علّه للتزويج و كان أمر الله مفعولاً [\(٥\)](#) أى قضاؤه و قدره لا بدّ و أن يقع فى الخارج و كان مكوّناً. و هذه هى العلّه فى تزويج زيد و طلاقه بلا جهه موجب له، و نكاح الرسول إياها بعد ذلك لمصالح مستوره مخفيه علينا منها ما ذكر فى الكريمة أى رفع البأس عن تزويج أزواج الأذعياء كما كان

ص: ٤٤٠

١- سورة ٣٣ - آيه ٣٧

٢- سورة ٣٣ - آيه ٣٧

٣- سورة ٣٣ - آيه ٣٧

٤- سورة ٣٣ - آيه ٣٧

٥- سورة ٣٣ - آيه ٣٧

الحرص فيه في عصر الجاهلية إذ هكذا كانوا يعاملون أزواج الأدعياء و كما يعاملون أزواج الأبناء الحقيقيين و من المصالح ما ذكر أيضا في الشريفه من قوله تعالى:

٣٨- ما كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ (١)...أى ضيق فيما فَرَضَ اللَّهُ لَهُ (٢) أى أوجهه و قسم له من الترويج بامرأه الابن المتبني، بل أوجهه عليه ليبطل حكم الجاهلية سُنَّهَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَمُوا مِنْ قَبْلُ (٣) أى هذا الحكم و هذه السنه أى نفى الحرَج أو تعدد الأزواج ليست من خصائصه بل كانت سنه جاربه في الذين خلوا من قبل أى سنه الله في السابقين من الأنبياء و الرسل وَ كَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدْرًا مَقْدُورًا (٤) أى حتما مقضيا و قضاء قطعيا، سبق أن قضينا به و حتمناه و جعلنا سنه للرسل.

٣٩- الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ (٥)...وصف الله تعالى الأنبياء الماضين المنوّه عنهم في الآيه السابقه و أثنى عليهم فقال:هم الذين يُؤدُّون رِسَالَاتِ اللَّهِ من الأصول و الفروع و غيرها مما اشتملت عليه كتبهم المنزله إلى الأمم و لا يكتُمونها وَ يَخْشَوْنَهُ (٦) يخافونه، أى خشيه منهم له تعالى وَ لَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ (٧) فيما يتعلق بالأداء و التبليغ. و من هذا يستفاد أن الأنبياء لا يجوز عليهم التقية في تبليغ الرساله و أدائها. و ربما يتوهم أن يقال فكيف قال الله تعالى لَنبِينَا وَ تَخْشَى النَّاسَ (٨) الآيه فالجواب أن خشيته لم تكن فيما يتعلق بالتبليغ و إنما خشى مقاله السيئه القبيحه التى قد تقال فيه حين يتزوج مطلقه رجل كان قد تبناه، و العاقل كما يحترز و يتحفّظ عن الكلب العقور و سائر المضار يتحرّز عن إساءه الظنون به و عن القول البذىء وَ كَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا (٩) أى كافيا و محافظا و محاسبا لأعمال العباد و مجازيا عليها. فلا بدّ من أن يخاف منه تعالى. فلما تزوج رسول الله بزينا ابتلى بما يخاف منه من مقالاتهم البذيئه و كلماتهم الدنيئه و تعبيراتهم المؤذيه إذ قالوا: إن محمدا تزوج امرأه ابنه، و هو ينهانا عن ذلك فردّهم سبحانه بالآيه التاليه، قائلا:

ص: ٤٤١

١- سورة ٣٣ - آيه ٣٨

٢- سورة ٣٣ - آيه ٣٨

٣- سورة ٣٣ - آيه ٣٨

٤- سورة ٣٣ - آيه ٣٨

٥- سورة ٣٣ - آيه ٣٩

٦- سورة ٣٣ - آيه ٣٩

٧- سورة ٣٣ - آيه ٣٩

٨- سورة ٣٣ - آيه ٣٧

٩- سورة ٣٣ - آيه ٣٩

٤٠- ما كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ (١)... أى ليس محمد أباً حقيقياً للرجال الذين لم يلد لهم حتى تتحقق حرمة المصاهرة فتحرم نساؤكم عليه إذا طلقتموهن، فليس بأب لزيد بمحض التبنى حتى تحرم عليه زوجته، فإن الحرمة ثابتة بثبوت بنوّه التسببى لا الأدعائى، فمن لا نسب له مع شخص لا حرمة لامرأته عليه وَ لَكِن رَّسُولَ اللَّهِ (٢) بل الرسول أبو الأمه فى وجوب تعظيمها له أو نصحه لها، وليس بينه وبين الآخرين نسب غير النسب الحقيقى ولا تربطه بزيد صله نسب بالولادة، و زيد من الأمه وَ خَاتَمَ النَّبِيِّينَ (٣) أى ختمت النبوه به فحلاله حلال إلى يوم القيامة و حرامه كذلك، و شرعه ناسخ لجميع الشرائع و.

فى المناقب عن النبىِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله قَالَ: أَنَا خَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ، وَأَنْتَ يَا عَلِيَّ خَاتَمُ الْأَوْصِيَاءِ.

و قال أمير المؤمنين عليه السلام: ختم محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله ألف نبى و إنى ختمت ألف وصى، و إنى كلّفت ما لم يكلفوا وَ كَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (٤) أى يعلم من يليق أن تختم به النبوه و من له الأهلئيه لختم الوصايه، و كيف ينبغى أن يكون شأنهما و هذه فضيله له و لوصيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِمَا وَ آلهما اختصا بها من بين سائر المرسلين و الأوصياء فهنيئا لهما.

سوره الأحزاب (٣٣): الآيات ٤١ الى ٤٤

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (٤١) وَ سَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَ أَصِيلاً (٤٢) هُوَ الَّذِي يُصَلِّيْ عَلَيْكُمْ وَ مَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَ كَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا (٤٣) تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَ أَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا (٤٤)

٤١ و ٤٢- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا... (٥) أى على كلِّ

ص: ٤٤٢

- ١- سوره ٣٣ - آيه ٤٠
- ٢- سوره ٣٣ - آيه ٤٠
- ٣- سوره ٣٣ - آيه ٤٠
- ٤- سوره ٣٣ - آيه ٤٠
- ٥- سوره ٣٣ - آيه ٤١

حال و بكل ما هو أهله. و اختلفوا فى الذكر أى شىء هو؟ فقيل هو التسيحات الأربع: سبحان الله، و الحمد لله، و لا إله إلا الله، و الله أكبر، و قيل هو قول: لا إله إلا الله، و قيل غير ذلك من الأقوال، و لكن ظاهر الآيه الشريفه بأبى التخصص، فالأحسن أن يقال إن المراد به مطلق الذكر وَ سَبَّحُوهُ (١) قَدَّسُوهُ وَ نَزَّهُوهُ بُكْرَةً وَ أَصِيلاً (٢) أى أول النهار و آخره.

فى الكافى عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: ما من شىء إلا وله حدّ ينتهى إليه، إلى أن يقول: فإن الله عزّ و جلّ لم يرض منه بالقليل، و لذا لم يحده كما فرض الصلاه و الصوم و الحج بحدود خاصه و أوقات معيّنه فهى حدّها. و

قال عليه السلام: تسييح فاطمه الزهراء عليها السلام من الذكر الكثير، الحديث...

٤٣- هُوَ الَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَ مَلَائِكَتُهُ... (٣) و الصلاه من الله تعالى هى الرحمه، و من الملائكه الاستغفار. فهو يرحمكم، و الملائكه يستغفرون لكم لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ (٤) أى من الكفر إلى الإيمان، و من الجهاله إلى المعرفه. و هذا علّه لصلاته سبحانه و صلوات ملائكته على المؤمنين الذين يرحمهم و يرأف بهم. و

فى الكافى عن الصادق عليه السلام، قال: من صلّى على محمد و آل محمد عشرا صلّى الله عليه و ملائكته مائه مره، و من صلّى على محمد و آل محمد مائه مره صلّى الله عليه و ملائكته ألفاً. أمّا تسمع قول الله: هو الذى يصلّى عليكم و ملائكته؟...

٤٤- تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ... (٥)

فى التوحيد عن أمير المؤمنين عليه أفضل الصلاه و السلام: اللقاء هو البعث، فافهم جميع ما فى كتاب الله من لقائه فإنه يعنى بذلك البعث. و المعنى: تحية الله للمؤمنين عند الموت،

أو عند البعث كما فى الروايه، أو يوم القيامه و حين الدخول فى الجنّه هو السلام المبشّر بالسلامه من كل المخاوف و الأهوال. و هذا من باب إضافه المصدر

ص: ٤٤٣

١- سوره ٣٣ - آيه ٤٢

٢- سوره ٣٣ - آيه ٤٢

٣- سوره ٣٣ - آيه ٤٣

٤- سوره ٣٣ - آيه ٤٣

٥- سوره ٣٣ - آيه ٤٤

إلى المفعول وَ أَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا (١) هَيَّا لَهُمْ ثَوَابًا عَظِيمًا عَلَى طَاعَاتِهِمْ وَأَعْمَالِهِمُ الصَّالِحَةَ.

سورة الأحزاب (٣٣): الآيات ٤٥ إلى ٤٩

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٤٥) وَ دَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَ سِرَاجًا مُنِيرًا (٤٦) وَ بَشِيرًا لِلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا (٤٧) وَ لَا تَطْعُ الْكَافِرِينَ وَ الْمُنَافِقِينَ وَ دَعِ أَذَاهُمْ وَ تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَ كَفَى بِاللَّهِ وَكَيْلًا (٤٨) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَةٍ تَعْتَدُونَهَا فَمَنْعُوهُنَّ وَ سَرَّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا (٤٩)

٤٥ و ٤٦- يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَ نَذِيرًا... (٢) أَي شَاهِدًا عَلَى أُمَّتِكَ بِطَاعَتِهِمْ وَ مَعْصِيَتِهِمْ، وَ مُبَشِّرًا لِلْمَطِيعِ بِالْجَنَّةِ وَ نَذِيرًا لِلْعَاصِيِ بِالنَّارِ وَ دَاعِيًا إِلَى اللَّهِ (٣) إِلَى تَوْحِيدِهِ وَ طَاعَتِهِ وَ مَعْرِفَتِهِ بِإِذْنِهِ (٤) أَي بِأَمْرِهِ الصَّادِرِ عَنْ عِلْمِهِ بِالْمَصَالِحِ وَ الْهَدَايَةِ عَنْ حِكْمَتِهِ وَ سِرَاجًا مُنِيرًا (٥) أَي مُصْبِحًا تَنْجِلِي بِهِ ظُلُمَاتِ الضَّلَالِ، وَ يَسْتَضَاءُ بِهِ مَنْ حِيرَهُ الْجَهَالَةُ إِلَى طَرِيقِ الْمَعَارِفِ وَ الْهَدَايَةِ وَ إِلَى التَّوْحِيدِ وَ قَبُولِ الرِّسَالَةِ. وَقِيلَ عَنِ السِّرَاحِ الْقُرْآنِ، أَي بَعَثْنَاكَ ذَا سِرَاحٍ مُنِيرٍ يَعْنِي حَالِ كَوْنِكَ صَاحِبَ سِرَاحٍ مُنِيرٍ، فَحَدَفَ الْمُضَافُ أَي الْقُرْآنَ الَّذِي تَقْتَبِسُ نُورَهُ مِنْ أَنْوَارِ الْبَصَائِرِ.

٤٧- وَ بَشِيرًا لِلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا... (٦) أَي زِيَادَةً عَلَى مَا يَسْتَحِقُّونَهُ مِنَ الثَّوَابِ وَ الْأَجْرِ عَلَى أَعْمَالِهِمْ، أَوْ فَضْلًا عَلَى سَائِرِ الْأُمَمِ.

ص: ٤٤٤

- ١- سورة ٣٣ - آية ٤٤
- ٢- سورة ٣٣ - آية ٤٥
- ٣- سورة ٣٣ - آية ٤٦
- ٤- سورة ٣٣ - آية ٤٦
- ٥- سورة ٣٣ - آية ٤٦
- ٦- سورة ٣٣ - آية ٤٧

٤٨- وَلَا تَطْعُ الْكَافِرِينَ... (١) أى كن ثابتاً على عدم الاعتناء بشأنهم.

و هذا تهيج له (ص) على ما كان من مخالفتهم وَ دَعَّ أَذَاهُمْ (٢) أى أعرض عن إيذائهم إياك، أو إيذائك إياهم بقتل أو ضرر إلى أن تؤمر به وَ تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ (٣) فهو كافيك فى دفع ضررهم عنك وَ كَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا (٤) فى تفويض أمرك إليه فى جميع الأحوال.

٤٩- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا (٥) ... مَنْ قَبِيلٍ أَنْ تَمْسُوهُمْ... (٦) أى من قبل أن تجامعوهنَ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عَدُوٍّ تَعْتَدُونَهَا (٧) تستوفون عددها، فإنَّ الله سبحانه أسقط العدة عن المطلقة قبل المسس لبراءة رحمها فإن شاءت تزوجت من يومها فَمَتَّعُوهُنَّ وَ سَرَّحُوهُنَّ (٨) المراد بالمتعها هنا ما وصلت به و أعطيت بعد الطلاق من نحو القميص و الإزار و الملحفة، و هى متعه الطلاق. و هذا إذا لم يفرض لها مهراً إذ مع فرضه لا يجب لها المتعه (المتعها بكسر الميم و ضمها) بل يجب لها نصف مهرها كما بين فى محلّه، فسرحوهن حينئذ سراحاً جميلاً (٩) أى خلوا سبيلهن من غير إضرار و لا منع حقهن. و فى التهذيب عن الباقر عليه السلام فى هذه الشريفه قال:

متَّعوهن أى احموهن بما قدرتم عليه من معروف، فإنَّهن يرجعن بكآبه و وحشه و همَّ عظيم و شماته من أعدائهن، فإنَّ الله كريم يستحي و يحب أهل الحياء، إنَّ أكرمكم أشدكم إكراماً لحلائلهم. و

عن الصادق عليه السلام فى حديث يقول فيه: ... و إن لم يكن فرض لها شيئاً فليمتَّعها على نحو ما يتمَّع به مثلها من النساء.

سوره الأحزاب (٣٣): الآيات ٥٠ الى ٥٢

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَخْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَ مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَ بَنَاتِ عَمَّكَ وَ بَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَ بَنَاتِ خَالَكَ وَ بَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَ امْرَأَةٌ مُؤْمِنَةٌ إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لَكَيْلًا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَ كَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (٥٠) تُرْجَى مِنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَ تُؤْوَى إِلَيْكَ مِنْ تَشَاءُ وَ مَنْ ابْتِغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَ لَا يَحْزَنَ وَ يَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَ كَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا (٥١) لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدِ وَ لَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَ لَوْ أَغْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَ كَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا (٥٢)

ص: ٤٤٥

١- سوره ٣٣ - آيه ٤٨

٢- سوره ٣٣ - آيه ٤٨

٣- سوره ٣٣ - آيه ٤٨

٤- سوره ٣٣ - آيه ٤٨

٥- سوره ٣٣ - آيه ٤٩

٦- سوره ٣٣ - آيه ٤٩

۷- سوره ۳۳ - آیه ۴۹

۸- سوره ۳۳ - آیه ۴۹

۹- سوره ۳۳ - آیه ۴۹

٥٠- يا أَيُّهَا النَّبِيُّ (١) ... اللَّائِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ... (٢) ثم إنه تعالى أخذ في بيان تعيين الحلائل من النساء فخاطب نبيه الأكرم صلى الله عليه وآله بذلك وقال: يا محمد إنا أخللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهنَّ (٣) أي دفعت مهورهنَّ التي جعلتها لهن. والتعبير بالأجر لأنَّ المهر أجر على البضع و ما مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ (٤) أي المسيبات من الإماء كصفيته التي هي من غنائم خيبر، وريحانته من غنائم بني قريظة و ماريه القبطيه و جويزيه و أمثالهنَّ. و التخصيص لأفضلتهنَّ على المملوكات المشتريات حيث أن بدء أمرهنَّ غير ثابت و غير معلوم على المشتري سبب تملك البائع و أنه بأيَّ كيفية

ص: ٤٤٤

١- سورة ٣٣ - آيه ٥٠

٢- سورة ٣٣ - آيه ٥٠

٣- سورة ٣٣ - آيه ٥٠

٤- سورة ٣٣ - آيه ٥٠

تملكها بخلاف المسييات فإن ملكيتها متحققه معلومه فهنّ أحلّ و أطيّب من هذه الحيثيه و لكنّ الجميع متساويات من حيث الحليّه. و كذلك لما كان نكاح المهاجرات أفضل قيّد القرائب بهنّ و قال وَ بَنَاتِ عَمِّكَ (١) إلى أن يقول أَلَاتِي هَاجِرُونَ مَعَكَ (٢) و هذا قيد للأفضليه لا للحليّه فإنهنّ حلالل مطلقا. نعم قيل: يحتمل أن يكون قيّد لإحلال المذكورات في حقّه صلى الله عليه وآله خاصّه، و كان من خصائصه صلوات الله عليه و لهذا القول يذكر شاهد و هو قول أم هاني فإنها قالت: خطبني رسول الله صلى الله عليه وآله و أحبته لذلك و لكن ما عقد عليّ.

فلما نزلت الآيه قال صلوات الله عليه و آله: أنت حرام عليّ حيث لم تهجرى معي، و لكنّ صححه الحديث غير معلومه. و قيل كان الإحلال مقيدا بذلك لكنّه نسخ بهذه الآيه و امرأه مؤمنه إن وَهَبْتَ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا (٣) أى أحللنا لك امرأه مؤمنه إذا اتفق أنها وهبت نفسها بلا- مهر. لكنّها بمجرّد هذا لا- تصير زوجه له صلوات الله عليه، و لا- يجب على النبيّ قبولها. نعم لو أراد نكاحها فهي زوجته بلا عقد و لا مهر، فإن ارادته (ص) بمنزله قبوله إياها أى الهبه. و المراد بالاستنكاح هو طلبه، أى الرغبه فى النكاح خالصه لك (٤) هذا إيذان بأن الحكم ممّا خصّ به (ص) لنبوّته و استحقاقه هذه الكرامه لشرافه النبوه قدّ علمنا ما فرضنا عليّهم فى أزواجهم و ما ملكت أيمانهم (٥) حاصل معنى الكريمة أنّنا قد علمنا ما فرضنا على المؤمنين فى أزواجهم من حيث العدد و الحصر و المهر لكنّه وضعناه عنك تخفيفا عنك و تشريفا لك و كذلك فى ملك اليمين للمؤمنين بأن لا يقع الملك لهم إلا بوجوه معلومه محصوره من الشراء و الهبه و الإرث، و أبحننا لك أزيد من هذه الأسباب كالصفيه الذى تصطفياها لنفسك من السبى، و انما خصصناك به و وسعنا عليك على علم ممّا بالمصلحه التى اقتضت ذلك لكيلا يكون عليك حرج (٦) أى ضيق فى باب النكاح. و هذه الجملة متّصله ب خالصه (٧) و بينهما اعتراض لبيان أن المصلحه اقتضت مخالفه حكمه لحكمهم فى ذلك، و هى رفع الحرج بالتوسعه له صلوات الله عليه

ص: ٤٤٧

- ١- سورة ٣٣ - آيه ٥٠
- ٢- سورة ٣٣ - آيه ٥٠
- ٣- سورة ٣٣ - آيه ٥٠
- ٤- سورة ٣٣ - آيه ٥٠
- ٥- سورة ٣٣ - آيه ٥٠
- ٦- سورة ٣٣ - آيه ٥٠
- ٧- سورة ٣٣ - آيه ٥٠

فى باب النكاح بخلاف الأئمة على ما يشير إليه قوله تعالى لِكُنَى لَا يَكُونُ (١) الآيه وَ كَانَ اللَّهُ غَفُورًا (٢) لما يشاء رَحِيمًا (٣) بالتوسعه لعباده فى مظان العسر و الحرج.

٥١- تُرْجَى مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ... (٤) أى تُوخَّرُهَا و تترك مضاجعتها.أو المراد تَطَلَّقَهَا وَ تُوْوَى إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ (٥) أى تضمم إليك و تمسك من تشاء و تنكحها.وقد مرّ قريبا أنه لما اقترحت نساء النبى (ص) عليه أشياء، و طلبن منه أشياء،لم تكن ميسورا له فهجرهنّ و اعترل عنهنّ بأمر منه تعالى فنزلت آيه التخيير بين الدنيا و الآخرة،فمن أرادت منهن الدنيا سرّحها سراحا جميلا و من أرادت الآخرة فأمسكها.و هذه الآيه من مّمّمات آيه التخيير،و كذلك الآيه اللاحقه بها وَ مَنْ ابْتَغَيْتَ (٦) أى طلبت،و تريد أن تؤوى و تضمم إليك مِمَّنْ عَزَلْتَ (٧) من النساء اللواتى هجرتهنّ و تركتهنّ فلا- جُنَاحَ عَلَيْكَ (٨) فى ذلك كلّ ذلك (٩) أى التفويض إلى مشيئتك و أذنى أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ (١٠) أى أقرب إلى أن تبرّر أعينهنّ، كناية عن سرورهن لرؤيه ما كنّ متشوّقات إليه،و هو ايوأوه لهنّ صلوات الله عليه و ضمّهنّ إليه بعد العزل و لا- يَحْزَنُ وَ يَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلَّهُنَّ (١١) لأن الحكم فيهنّ كلّهنّ سواء،فإن سوّيت بينهنّ فوجدن ذلك تفضّلا منك و إن رجحت بعضهنّ علمن أنه بحكم الله تعالى فتطمئن نفوسهنّ و يرضين بذلك الترجيح وَ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ (١٢) أى من الرضا و السّخّط و الميل إلى بعض النساء دون بعض وَ كَانَ اللَّهُ عَلِيمًا (١٣) بما فى الصدور حليماً (١٤) رؤفا لا يعجل بالعقوبه مع كمال قدرته،فهو الحقيق بأن يتّقى.

٥٢- لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدِ... (١٥) أى بعد النساء اللواتى أحللناهنّ لك بقولنا إِنَّا أَخْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ (١٦) ،الآيه و هنّ سته أصناف من النساء على ما عدّهنّ الله تعالى فى الكريمه السّابقه وَ لَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ (١٧) أى و لا يحلّ لك أن تبدل من هؤلاء التسع بغيرهنّ بأن تطلق واحده منهنّ و تأخذ بدلها من غيرهنّ.و قيل أن تبدل المسلمات

ص: ٤٤٨

١- سوره ٣٣ - آيه ٣٧

٢- سوره ٣٣ - آيه ٥٠

٣- سوره ٣٣ - آيه ٥٠

٤- سوره ٣٣ - آيه ٥١

٥- سوره ٣٣ - آيه ٥١

٦- سوره ٣٣ - آيه ٥١

٧- سوره ٣٣ - آيه ٥١

٨- سوره ٣٣ - آيه ٥١

٩- سوره ٣٣ - آيه ٥١

١٠- سوره ٣٣ - آيه ٥١

١١- سوره ٣٣ - آيه ٥١

١٢- سوره ٣٣ - آيه ٥١

١٣- سوره ٣٣ - آيه ٥١

۱۴- سوره ۳۳- آیه ۵۱

۱۵- سوره ۳۳- آیه ۵۲

۱۶- سوره ۳۳- آیه ۵۰

۱۷- سوره ۳۳- آیه ۵۲

بِالْكِتَابَاتِ لِأَنَّهُنَّ مَا كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُنَّ أُمَّهَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ، أَوْ أَنَّهُ سَبَحَانَهُ مَنَعَ عَنْ فِعْلِ الْجَاهِلِيَّةِ إِذْ كَانَ الرَّجُلَانِ مِنْهُمَا: يَتَبَادَلَانِ فَيَنْزِلُ كُلُّ مَنْهُمَا عَنْ زَوْجَتِهِ لِلآخَرِ وَ لَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ (١) أَى حَسَنَ الْمَحْرَمَاتِ عَلَيْكَ وَ وَقَعَ فِي قَلْبِكَ حَسَنَهُنَّ مَكَافَأَهُ لِهِنَّ عَلَى اخْتِيَارِهِنَّ مِنَ اللَّهِ وَ رَسُولِهِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ (٢) أَى: لَكُنْ مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ فَيَحِلُّ لَكَ مِنَ الْكِتَابَاتِ وَ غَيْرِهِنَّ.

وَ قِيلَ لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءَ بَعْدَ التَّسَعِ وَ هُنَّ فِي حَقِّهِ (ص) كَالْأَرْبَعِ فِي حَقِّ غَيْرِهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ، وَ كَانَ اللَّهُ رَقِيبًا (٣) أَى حَفِيظًا وَ عَنْ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّمَا عَنِ اللَّاتِي حَرَمَنَ عَلَيْهِ فِي آيَةِ النِّسَاءِ، أَى حَرَمَتِ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتِكُمْ وَ بَنَاتِكُمْ، الْآيَةَ. وَ لَوْ كَانَ الْأَمْرُ كَمَا يَقُولُونَ لَكَانَ قَدْ حُلَّ لَكُمْ مَا لَمْ يَحِلَّ لَهُ (ص).

سوره الأحزاب (٣٣): الآيات ٥٣ الى ٥٦

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرٍ نَاظِرِينَ إِنَاءَهُ وَ لَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَ لَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذَى النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَ اللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَ إِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَ قُلُوبِهِنَّ وَ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَ لَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا (٥٣) إِنْ تُبَدُّوا شَيْئًا أَوْ تُخْفَوُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (٥٤) لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَ لَا أَبْنَائِهِنَّ وَ لَا إِخْوَانِهِنَّ وَ لَا أَبْنَاءَ إِخْوَانِهِنَّ وَ لَا أَبْنَاءَ أَخَوَاتِهِنَّ وَ لَا نِسَائِهِنَّ وَ لَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وَ اتَّقِينَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا (٥٥) إِنْ اللَّهَ وَ مَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَ سَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٥٦)

ص: ٤٤٩

١- سوره ٣٣ - آيه ٥٢

٢- سوره ٣٣ - آيه ٥٢

٣- سوره ٣٣ - آيه ٥٢

٥٣- يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا... (١) إِلَّا- أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ... (٢) أى تدعون إلى أكل الطعام غَيْرِ نَاطِرِينَ إِنَّهُ (٣) أى حال كونكم لا- تنتظرون وقت الطعام أو بلوغه فَإِنَّ (إناء) مصدر جاء بمعنى الوقت و البلوغ وَ لَكِنَّ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا، فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا (٤) أى بالخروج من بيت النبى (ص) و لا تمكثوا عنده صلوات الله عليه و آله وَ لَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ (٥) أى و لا تدخلوا فتقعوا بعد الأكل متحدثين يحدث بعضكم بعضاً لتؤنسوه إِنَّ ذَلِكَم (٦) الفعل منكم كَانَ يُؤْذَى النَّبِيُّ (٧) لضيق المنزل عليه و على أهله و اشتغالكم بما لا- يعنيه فيستحيى مِنْكُمْ (٨) أى من إخراجكم وَ اللَّهُ لا- يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ (٩) أى من كلام الحق فيأمركم بالخروج بعد الطعام وَ إِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا (١٠) أى مِمَّا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ وَ يَنْتَفِعُ بِهِ فَسَيُلْوَهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ (١١) أى من وراء الستر و ذلك أنهم كانوا يدخلون بلا إذن و ذلك أظهر لقلوبكم وَ قُلُوبُهُنَّ (١٢) من الرّيب و الخواطر الشيطانية و ليس لكم أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ (١٣) أى بنكاح أزواجه أو بطول الجلوس عنده فى بيته أو بالتكلم مع نسائه من غير وراء الستر، أو الدخول عليه بلا استئذان منه صلوات الله عليه و آله. و عن أبى حمزه الثمالى رحمه الله: أن رجلين من الصّحابة قالوا: إنَّ محمداً ينكح

ص: ٤٥٠

- ١- سورة ٣٣ - آيه ٥٣
- ٢- سورة ٣٣ - آيه ٥٣
- ٣- سورة ٣٣ - آيه ٥٣
- ٤- سورة ٣٣ - آيه ٥٣
- ٥- سورة ٣٣ - آيه ٥٣
- ٦- سورة ٣٣ - آيه ٥٣
- ٧- سورة ٣٣ - آيه ٥٣
- ٨- سورة ٣٣ - آيه ٥٣
- ٩- سورة ٣٣ - آيه ٥٣
- ١٠- سورة ٣٣ - آيه ٥٣
- ١١- سورة ٣٣ - آيه ٥٣
- ١٢- سورة ٣٣ - آيه ٥٣
- ١٣- سورة ٣٣ - آيه ٥٣

نسواننا و لا- ننكح نساءه؟ و الله لئن مات لنكحنا نساءه. و واحد منهما أراد عائشه، و الآخر أراد أم سلمه أعلى الله مقامها فنزلت الكريمة. فما كان لكم أيها المسلمون أن تؤذوا رسول الله و لا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً (١) إلى أن يقول: عَظِيماً (٢) أى ذنباً عظيماً لأن تعظيمه و تبجيله واجب على الأمة حياً و ميتاً حيث إنه فى الدنيا مقلد بالنبوه و فى العقبى بالشفاعة.

هذا مضافاً إلى أن أزواجه صلوات الله عليه كنّ أمهات الأمة لقوله تعالى: وَ أَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ.. (٣) و على قولنا إن الحرمة ثابتة لكل امرأه فارقتها و لو بالطلاق أو الفسخ سواء دخل بها أو لم يدخل خلافاً لبعض المذاهب فى غير المدخول بها كالشافعيه و المدرك ضعيف.

٥٤- إِنْ تُبْدُوا شَيْئاً أَوْ تُخْفُوهُ... (٤) أى تظهرونه بألسنتكم أو تخفوه فى صدوركم. و المراد بالشىء لعله مطلق ما يؤذى النبى صلى الله عليه و آله لا- خصوص نكاح أزواجه كما قيل فإن الله سبحانه كان بكل ذلك عليماً (٥) يعلم ما تبينونه أو تضمرونه فى صدوركم فيحاسبكم عليه و يجازيكم. و فى الشريفه تهديد بليغ يكشف عن عظمه نكاح أزواج النبى (ص) و أن مطلق أذاه ذنب.

و روى أن آيه الحجاب لما نزلت تحجبت النساء حتى عن آبائهنّ و بنائهنّ و صرن لا يتكلمن إلا من وراء الستور، فجاء المحارم و تكلموا مع النبى (ص) بأننا أيضا ممنوعين من التكلم إلا من وراء الستور؟ فنزلت الكريمة التاليه:

٥٥- لا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ... (٦) أى لا- بأس لهؤلاء أن يسألوهنّ من دون حجاب و لا عليهنّ أن يجبن من غير ستر و لا تستر و اتقين الله (٧) فى ما كلفكنّ من الاحتجاب عن ما سواهم، و لا تكشفن عمّا حرّم الله كشفه لغير المحارم، و كان الله شهيداً (٨) أى لا يغيب عنه شىء و لا تخفى عليه خافيه.

٥٦- إِنْ لِلَّهِ وَ مَلَائِكَتُهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ... (٩)

فى ثواب الأعمال عن

ص: ٤٥١

١- سوره ٣٣ - آيه ٥٣

٢- سوره ٣٣ - آيه ٥٣

٣- سوره ٣٣ - آيه ٦

٤- سوره ٣٣ - آيه ٥٤

٥- سوره ٣٣ - آيه ٥٤

٦- سوره ٣٣ - آيه ٥٥

٧- سوره ٣٣ - آيه ٥٥

٨- سوره ٣٣ - آيه ٥٥

الكاظم عليه السّلام أنّه سئل: ما معنى صلاة الله و صلاة ملائكته و صلاة المؤمنين؟ قال عليه السلام: صلاة الله رحمه من الله، و صلاة الملائكة تزكيه منهم له، و صلاة المؤمنين دعاء منهم له و سَلِّمُوا تَسْلِيمًا (١) لعلّ المراد من التسليم هو الذى يتبادر عند عرف العرب بالفهم من صيغه السّلم، أى: السّلم عليك أيها النّبى، أو زياده: و برحمه الله و بركاته.

و قيل المراد منه هو التسليم و الانقياد لأمره لكنّ الأول أنسب و أظهر لمكان حرف العطف. و

فى الاحتجاج عن أمير المؤمنين عليه السلام فى روايه قال: قوله و سَلِّمُوا تَسْلِيمًا، أى سَلِّمُوا لمن و صّاه و استخلفه عليكم و فضّله، و ما عهد به إليه تسليمًا.

سوره الأحزاب (٣٣): الآيات ٥٧ الى ٥٨

إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ وَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا (٥٧) وَ الَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَ إِثْمًا مُّبِينًا (٥٨)

٥٧- إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ... لَعَنَهُمُ اللَّهُ... (٢) أى يبعدهم الله فى الدّنيا و الآخرة من رحمته و يحلّ بهم و بال نقمته بحرمان الهدايه فى الدّنيا (٣) و الخلود فى النّار فى الآخرة (٤) لأنه هيأ لهم فيها عذاباً مهيناً (٥) ذا إهانته و هو النّار.

٥٨- وَ الَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا... (٦) أى بلا ذنب يوجب إيذاءهم و بغير جنايه و جرم استحقّوا الإيذاء بهما فقد احتملوا بهتاناً (٧) فقد فعلوا ما هو أعظم الإثم مع البهتان و هو الكذب على الغير يواجهه به فجعل إيذاء المؤمنين و المؤمنات مثل البهتان. و قيل يعنى

ص: ٤٥٢

١- سوره ٣٣ - آيه ٥٦

٢- سوره ٣٣ - آيه ٥٧

٣- سوره ٣٣ - آيه ٥٧

٤- سوره ٣٣ - آيه ٥٧

٥- سوره ٣٣ - آيه ٥٧

٦- سوره ٣٣ - آيه ٥٨

٧- سوره ٣٣ - آيه ٥٨

بذلك أذيه اللسان فإنها يتحقق فيها البهتان.و

فى الكافى عن الصِّادق عليه السِّلام قال: إذا كان يوم القيامة نادى مناد: أين المؤذون لأوليائى؟ فيقوم قوم ليس على وجوههم لحم. فيقال: هؤلاء الذين آذوا المؤمنين و نصبوا لهم و عاندوهم و عتفوهم فى دينهم، ثم يؤمر بهم إلى جهنم. و إنما سقط لحم وجوههم لأنهم كاشفوهم وجوههم الشديده عليهم فى الدنيا من غير استحياء و عبسوا بوجوههم حين النظر إلى المؤمنين.

سوره الأحزاب (٣٣): الآيات ٥٩ الى ٦٢

يا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَ بَنَاتِكَ وَ نِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَ كَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً (٥٩) لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنافِقُونَ وَ الَّذِينَ فى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَ الْمُرجِفُونَ فى الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لا يُجاوِرُونَكَ فيها إِلا قَليلاً (٦٠) مَلْعُونِينَ أَيْنما تُفُوقُوا أَخِذُوا وَ قُتِلُوا تَقْتِيلًا (٦١) سُنَّهَ اللَّهِ فى الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَ لَنْ تَجِدَ لِسُنَّهَ اللَّهِ تَبْدِيلًا (٦٢)

٥٩- يا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ (١) ... يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ... (٢) أى یرخین علی وجوههن و أبدانهن بعض ملا-حفهن و یتلفعن بالفاضل منها حين یرجن من بیوتهن لقضاء حوائجهن ذلك أدنى أن یعرفن (٣) أى تغطیه الرأس و الوجه أقرب إلى معرفتهن بأنهن حرائر من ذوات العفاف و الصِّلاح فلا- یتعرض لهن الفسّاق من الشباب كما كان من عادته الجاهلیه التّعرض للإماء فلا یؤذین (٤) ای لا یؤذیهن أهل الرّیبه بالتّعرض لهنّ كتعرضهم للإماء.

ص: ٤٥٣

١- سوره ٣٣ - آیه ٥٩

٢- سوره ٣٣ - آیه ٥٩

٣- سوره ٣٣ - آیه ٥٩

٤- سوره ٣٣ - آیه ٥٩

٦٠ و ٦١- لَيْسَ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ... (١) أى عن نفاقهم. و النفاق هو إظهار الإيمان مع كونهم كافرين و الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ (٢) أى فجور و فسوق من تعرضهم للنساء المؤمنات و الْمُزْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ (٣) هم أناس من المنافقين كانوا يشيعون أخبارا كاذبه سيئه عن سرايا رسول الله صلى الله عليه و آله. و أصله من الرجفه و هى الزلزله، و سميت به الأخبار الكاذبه لكونها متزلزله غير ثابتة كَنُغْرِيْنِكَ بِهِمْ (٤) أى لنامرنك بقتالهم و إجلائهم ثم لا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا (٥) فى المدينة إلا قليلاً (٦) إلا مجاوره قلبه لأنهم يستأصلون فى أيام قلائل و عمّا قريب تقع بينكم و بينهم الحرب و يصبحون مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا تُقِفُوا (٧) أى أينما وجدوا أُخِذُوا وَ قُتِلُوا تَقْتِيلًا (٨) ففضى عليهم.

٦٢- سِيَّئَةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ... (٩) أى سنّ الله ذلك فى الأمم الماضيه و فى منافقيهم المرجفين بالمؤمنين و لَنْ تَجِدَ لِسِيَّئَةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا (١٠) يعنى هذه السنّه جاريه فى أمّتك يا محمد نعلنا بالنعل و حذوا بالحدو، و لا يقدر أحد على تبدلها و تغييرها، و السنّه هنا هى الطريقه فى تدبير أمر على وجه المصلحه و الحكمه، و فى اللغه جاءت بمعنى الطريقه الجاريه. ثم إنه مروى عن أصحاب التواريخ أنّ المشركين قالوا للنبي صلوات الله عليه و آله: متى القيامة التى تخبرنا بها و توعدا؟ و هذا السؤال أوردوه على سبيل الاستهزاء. و كذا اليهود جاءوه و سألوه عن وقتها حيث إنهم رأوا فى التوراه أن القيامة لا يعلم وقت مجيئها إلا الله فلذا سألوه اختبارا فنزلت الشريفة الآتية:

سوره الأحزاب (٣٣): الآيات ٦٣ الى ٦٨

يَسِيئُكَ النَّاسُ عَنِ السَّيِّئَةِ قُلْ إِنَّمَا عَلَّمَهَا عِنْدَ اللَّهِ وَ مَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا (٦٣) إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَ أَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا (٦٤) خَالِدِينَ فِيهَا أَيْدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَ لَا نَصِيرًا (٦٥) يَوْمَ تَقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَ أَطَعْنَا الرَّسُولَ (٦٦) وَ قَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَ كُبْرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا (٦٧) رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَ الْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا (٦٨)

ص: ٤٥٤

- ١- سوره ٣٣ - آيه ٦٠
- ٢- سوره ٣٣ - آيه ٦٠
- ٣- سوره ٣٣ - آيه ٦٠
- ٤- سوره ٣٣ - آيه ٦٠
- ٥- سوره ٣٣ - آيه ٦٠
- ٦- سوره ٣٣ - آيه ٦٠
- ٧- سوره ٣٣ - آيه ٦١
- ٨- سوره ٣٣ - آيه ٦١
- ٩- سوره ٣٣ - آيه ٦٢
- ١٠- سوره ٣٣ - آيه ٦٢

٦٣- يَسْئَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ... (١) أعنى المذكورين آنفا سألوه عَنِ السَّاعَةِ (٢) أى عن وقت قيامها بأن قالوا: متى تقوم استهزاء، أى كَفَّار مكة، و امتحانا أى أحبار اليهود قُلْ إِنَّمَا عَلَّمَهَا عِنْدَ اللَّهِ (٣) و استأثر به و لم يطلع عليها ملكا و لا نبيًا و ما يُدْرِيكَ (٤) أى أنت لا تعرف متى تقوم فكيف بغيرك لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا (٥) أى قد توجد فى وقت يكون قريبا.

٦٤ و ٦٥- إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ... وَ أَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا... (٦) أى نارا شديده الإيقاد أو نارا تلهب هياتها لهم ليكونوا خالدين فيها أبداً (٧) أى مقدار لبثهم فيها أبدى لا يخلصهم منها أحد.

٦٦- يَوْمَ تَقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ... (٨) أى تتحوّل من هيئه إلى هيئه و من حاله إلى حاله فيقولون يا لَيْتِنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَ أَطَعْنَا الرَّسُولَ (٩) فكانوا يتمنون أمرا محالا كقول الشاعر: فيا ليت الشباب يعود يوما إلى آخره.

و الألف فى الرّسولا (١٠) و نحوه للإطلاق.

٦٧ و ٦٨- وَ قَالُوا رَبَّنَا (١١) ... رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ... (١٢) أى مثلى ما آتيتنا من العذاب لأنهم ضلّوا و أضلّونا وَ أَعْنَاهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا (١٣) أشدّ و أعظم من كلّ لعن أو عدده.

ص: ٤٥٥

- ١- سورة ٣٣ - آيه ٦٣
- ٢- سورة ٣٣ - آيه ٦٣
- ٣- سورة ٣٣ - آيه ٦٣
- ٤- سورة ٣٣ - آيه ٦٣
- ٥- سورة ٣٣ - آيه ٦٣
- ٦- سورة ٣٣ - آيه ٦٤
- ٧- سورة ٣٣ - آيه ٦٥
- ٨- سورة ٣٣ - آيه ٦٦
- ٩- سورة ٣٣ - آيه ٦٦
- ١٠- سورة ٣٣ - آيه ٦٦
- ١١- سورة ٣٣ - آيه ٦٧
- ١٢- سورة ٣٣ - آيه ٦٨
- ١٣- سورة ٣٣ - آيه ٦٨

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا (٦٩) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَ قُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُضْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١) إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا (٧٢) لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (٧٣)

٦٩- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا... (١) أى لا تكونوا مع نبيكم مثل الذين آذوا نبيهم موسى عليه السلام برميهم إياه بالبرص فأظهر الله لهم براءته و اتهمهم له بقتل هارون فبرأه الله من مقالته الكاذبه.

فى المجمع عن على عليه السلام أن موسى و هارون عليهما السلام صعدا الجبل فمات هارون فقال بنو إسرائيل: أنت قتلته. فأمر الله الملائكة فحملته حتى مَرَّوا به على بنى إسرائيل و تكلمت الملائكة بموته حتى عرفوا أنه قد مات، و برأ الله موسى (ع) من ذلك، و

روى أن موسى كان حبيثا ستيرا يغتسل وحده، فقالوا ما يتستر منا إلا لعيب بجلده كالبرص، فذهب مَرَّه يغتسل فوضع ثوبه على حجر فمَرَّ الحجر بثوبه فطلبه موسى عليه السلام فرآه بنو إسرائيل عريانا كأحسن الرجال خلقا فبرأه الله.

٧٠ و ٧١- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا (٢) ... قُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا... (٣) أى قولا

ص: ٤٥٦

١- سورة ٣٣ - آيه ٦٩

٢- سورة ٣٣ - آيه ٧٠

٣- سورة ٣٣ - آيه ٧٠

صادقا قاصدا إلى الحق، صوابا موافقا ظاهره لباطنه. و بعبارة أخرى قولاً مرضياً لله و لرسوله يُصِيحُ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ (١) أى هو تعالى يصلح أعمالكم و يوفقكم لصدور الأعمال الصالحة عنكم، أو يقبل أعمالكم على ما هي عليه و يشيكم بذلك و يعطيكم أجراً جزيلاً. و هذا بيان لنتيجة القول السديد وَ يَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ (٢) و هذا نتيجة إصلاحه لأعمال عباده، فإن الأعمال إذا صارت مصلحة فالذنوب تصير مغفوره وَ مَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً (٣) فهذه الشريفة بمنزلة قاعده كليها حيث إن جميع ما ذكر في الآيات السابقة مترتب على الإطاعة لأن الإنسان المطيع هو الذى لا يقول إلا قولاً سديداً و هو الذى يصلح الله أمره و يغفر ذنوبه و يفوز فوزاً عظيماً، و يظفر ببغيته و ينجو من المكاره بحوله و قوته تعالى و توفيقه إياه.

فالإطاعة هي منشأ كل خير و مصدر كل رفعه و مفاض كل فوز عظيم.

٧٢- إنا عرضنا الأمانة... (٤) المراد بعرضها عليهن قيل إنه النظر إلى استعدادهن له و إباهن الإباء الطبيعي الذى هو عدم اللياقة و الاستعداد، و بحمل الإنسان قابليته و استعدادها لها و كونه ظلوماً جهولاً لما غلب عليه من القوة الغضبية و الشهوية، و هذا وصف للجنس باعتبار الأغلب. و يحتمل أن يكون المراد العرض على أهلها فحذف المضاف و أقيم المضاف إليه مقامه و عرضها عليهم تعريفها إياهم، أى فى تضييع الأمانة الإثم العظيم. و قد بين تعالى جراه الإنسان على المعاصى و إشفاق الملائكة من ذلك. فيكون المعنى: إنا عرضنا الأمانة على أهل السموات و الأرض و الجبال و الملائكة و الجن فإبين أن يحملنها، أى فأبى أهلها أن يحملوا تركها و عقابها و المآثم فيها، و أشفقوا منها. و الحاصل أن آباءهم لها كان إباء استصغار لا إباء استكبار مثل إباء إبليس حيث لم يؤدّها أو لم يعمل بها كما هو حقها وَ حَمَلَهَا الْإِنْسَانُ (٥) أى مال إليها بقبولها إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا (٦) بارتكاب المعاصى جَهُولًا (٧) بشأن الأمانة و موضعها فى استحقاق العقاب على الخيانة فيها. و أمّا الأمانة فقليل هي الطاعة، و قيل هي الصلاة و

روى أن

ص: ٤٥٧

١- سورة ٣٣ - آية ٧١

٢- سورة ٣٣ - آية ٧١

٣- سورة ٣٣ - آية ٧١

٤- سورة ٣٣ - آية ٧٢

٥- سورة ٣٣ - آية ٧٢

٦- سورة ٣٣ - آية ٧٢

٧- سورة ٣٣ - آية ٧٢

عليه السلام إذا حضر وقت الصلاه كان يتململ و يتزلزل و يتلون فيقال له مالك يا أمير المؤمنين؟ فيقول جاء وقت الصلاه، وقت الأمانه. و قيل هي مطلق الفرائض فإنها واجبه الأداء كالأمانه، و قيل المراد بها الولايه و يدل عليه أخبار كثيره.

٧٣- لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ... (١) هذا عله لعرض الأمانه، ليميز الله الخبيث من الطيب، و ليعذب المنافقين و المنافقات و المشركين و المشركات (٢) أى الخائنين للأمانه و يتوب الله على المؤمنين و المؤمنات (٣) أى المؤدين للأمانه و كان الله غفوراً رحيماً (٤) للمؤمنين المطيعين له و لرسوله صلوات الله عليه و على أهل بيته.

ص: ٤٥٨

- ١- سوره ٣٣ - آيه ٧٣
- ٢- سوره ٣٣ - آيه ٧٣
- ٣- سوره ٣٣ - آيه ٧٣
- ٤- سوره ٣٣ - آيه ٧٣

مكيه إلا الآيه ٦ فمدنيه و آياتها ٥٤ نزلت بعد لقمان.

سوره سبأ (٣٤): الآيات ١ الى ٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ (١) يَعْلَمُ مَا يَلُجُّ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ (٢)

١- الْحَمْدُ لِلَّهِ... (١) السور المفتحة بالحمد خمس، و هي: الفاتحه، و الأنعام، و الكهف، و سبأ، و فاطر. و قد منّ الله تعالى على عباده بهذه الكلمه المباركه لتعريفهم و جوب حمده على نعمه: و لتعليمهم كيفيته على ما ينبغي لشأنه السامى جلّ و علا، يعنى أن الثناء و الشكر الجميل مختصان بذاته المقدسه على وجه التعظيم و الاعتراف بجميل صنعه للعباد، فهو الَّذِي لَهُ (٢) لا لغيره ما في السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ (٣) من مخلوقات و كائنات و نعم و غيرها، فإنه المصدر لجميع النعم و المبدع لمجموع العوالم وَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ (٤) لأن النعم-دنيويّه و أخرويّه-مختصه به

ص: ٤٥٩

١- سوره ٣٤ - آيه ١

٢- سوره ٣٤ - آيه ١

٣- سوره ٣٤ - آيه ١

٤- سوره ٣٤ - آيه ١

سبحانه، ولكن الآخرة خصت تفضيلاً لها على الدنيا الزائلة، ولأنها تصل إلى العباد بلا واسطه بخلاف النعم الدنيوية التي تتقدم على الآخروية حيث إن الدنيا مقدمه على العقبى. وتقديم الصلة في الثاني لما قلناه من اختصاصه تعالى في الإيصال بخلاف الأول وهو الحكيم (١) في تدابيره الخبير (٢) بخلقه بجميع جهاتهم وشؤونهم.

٢- يعلّم ما يُلجّج في الأرض... (٣) أى يعرف ما يدخل فيها مثل المطر والحشرات والكنوز والأموات وما يخرج منها (٤) من المياه والفلزات والنباتات وما ينزل من السماء (٥) كالأمطار والأرزاق والحوادث والكتب السماوية والصواعق والثلوج وغيرها من النوازل وما يخرج فيها (٦) أى وما يصعد إليها مع الملائكة وأعمال العباد ودعواتهم وأرواحهم الطيبة والأبخرة ونحوها وهو الرحيم (٧) فى إعطاء النعم الشفوق على العباد بإتمامها عليهم الغفور (٨) للمقصرين والمذنبين ولمن لم يؤدوا شكر النعمة وقصروا فى الوظيفة.

سوره سبأ (٣٤): الآيات ٣ الى ٦

وَ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَ رَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَضِيغُرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ (٣) لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٤) وَ الَّذِينَ سَاءَ عَمَلُهُمْ فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزِ أَلِيمٍ (٥) وَ يَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَ يَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (٦)

ص: ٤٦٠

- ١- سورة ٣٤ - آية ١
- ٢- سورة ٣٤ - آية ١
- ٣- سورة ٣٤ - آية ٢
- ٤- سورة ٣٤ - آية ٢
- ٥- سورة ٣٤ - آية ٢
- ٦- سورة ٣٤ - آية ٢
- ٧- سورة ٣٤ - آية ٢
- ٨- سورة ٣٤ - آية ٢

٣ و ٤- وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا- تَأْتِينَا السَّاعَةُ... (١) إِمَّا إنكاراً لمجيئها، أو استبطاء و استهزاء بالوعد بها قُلْ بَلَى وَ رَبِّي (٢) ردًا لقولهم و إثباتا لما وعدهم به لَتَأْتِيَنَّكُمْ، عالم الغيب (٣) لتجيئكم و عالم (٤) صفه رَبِّي (٥) و تكرير لقوله بلى و رَبِّي فقوله لَتَأْتِيَنَّكُمْ (٤) تكرير لقوله بلى وَ رَبِّي (٧) و أكد إتيانها باليمين مع أنهم مشركون و المسأله أصوليه راجعه إلى أصول العقائد و هى لا- تثبت باليمين، و الجواب أنه تعالى ما اقتصر على اليمين بل عقبها بالدليل و هو قوله لِيُجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا (٨) أى يكون الجزاء فيها لينتقم من الظالم للمظلوم فيكون خلاف العدل و الحكمة. لا يَغْرُبُ عَنْهُ (٩) أى لا يغيب عنه مثقال ذره (١٠) أى زنه و أصغر جزء ممكن فى السَّمَاوَاتِ (١١) إشاره إلى علمه بالأرواح وَ لا- فى الأَرْضِ (١٢) إشاره إلى علمه بالأجسام، و الإنسان روح و بدن و لا يستبعد عن الذى فى غايه قدره و الاستطاعه، و الذى هو محيط بما سواه تمام الإحاطه أن يعيد الإنسان بعد الإمامته:

للجزاء كما قال تبارك و تعالى. و قوله سبحانه لِيُجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا (١٣)، إلخ عله لإتيان الساعه و بيان لدليل مجيئها على ما بيناه إجمالاً قبيل ذلك أولئك لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَ رِزْقٌ كَرِيمٌ (١٤) أى فى الجنة. و الرزق الكريم ما يأتى من غير طلب. فلا تعب فيه و لا منه.

٥- وَ الَّذِينَ سَاءُوا فى آياتنا... (١٥) أى عملوا لإبطالها مُعَاجِزِينَ (١٦) مسابقين لنا ظانين أن يفوتونا أولئك لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٍ (١٧) أى من سىء العذاب المؤلم. و الرجز هو سوء العذاب كأنه قال عذاب مؤلم من أسوأ العذاب.

٦- وَ يَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ... (١٨) أى أهل العلم و هم الذين يعلمون أن القرآن الذى أنزل إليك هُوَ الْحَقُّ (١٩) لأنهم يتدبرونه و يتفكرون فيه، فيعلمون بالنظر و الاستدلال أنه ليس من قبل البشر وَ يَهْدِي إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (٢٠) و يعلمون كذلك أنه يهدى و يرشد إلى دين القادر الذى لا

ص: ٤٦١

١- سورة ٣٤ - آيه ٣

٢- سورة ٣٤ - آيه ٣

٣- سورة ٣٤ - آيه ٣

٤- سورة ٣٤ - آيه ٣

٥- سورة ٣٤ - آيه ٣

٦- سورة ٣٤ - آيه ٣

٧- سورة ٣٤ - آيه ٣

٨- سورة ٣٤ - آيه ٤

٩- سورة ٣٤ - آيه ٣

١٠- سورة ٣٤ - آيه ٣

١١- سورة ٣٤ - آيه ٣

١٢- سورة ٣٤ - آيه ٣

۱۳- سوره ۳۴- آیه ۴

۱۴- سوره ۳۴- آیه ۴

۱۵- سوره ۳۴- آیه ۵

۱۶- سوره ۳۴- آیه ۵

۱۷- سوره ۳۴- آیه ۵

۱۸- سوره ۳۴- آیه ۶

۱۹- سوره ۳۴- آیه ۶

۲۰- سوره ۳۴- آیه ۶

يغالب،المحمود على جميع فعاله و هو الله تعالى.و فى هذه الكريمه دلاله على فضيله العلم و شرف العلماء و عظم أقدارهم
كثّرهم الله تعالى.

سوره سبأ (٣٤): الآيات ٧ الى ٩

وَ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُوكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يَمِينُكُمْ إِذَا مُرِّقَتُمْ كُلَّ مُمَرِّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ (٧) أَفَتَرَىٰ عَلَىٰ اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ
بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ (٨) أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ مَا خَلْفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ
نَشَأَ نُحُفٍ فِيهَا الْأَرْضِ أَوْ نُشَيْطٍ عَلَيْهِمْ كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ (٩)

ثم عاد سبحانه إلى الحكايه عن الكفّار و قال عزّ من قائل:

٧ و ٨- وَ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا... (١) أى كفره قريش قال بعضهم لبعض استهزاء لا على وجه الاعلام هل ندُّوكم على رجلٍ (٢) عنوا
بذلك محمدا صلى الله عليه و آله فإنه يُبَيِّنُكُمْ إِذَا مُرِّقَتُمْ كُلَّ مُمَرِّقٍ (٣) أى يحدّثكم بأمر من الأعاجيب، و يقول لكم: إذا متم و
فنيتم أجسامكم و تفرقت أبدانكم و تقطعت أوصالكم كلّ تقطيع و صرتم ترابا و عظامكم رفاتا إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ (٤) أى
يزعم أنّكم بعد ذلك تعودون و تبعثون و ترجعون خلقا جديدا يوم المعاد فهو المراد بالخلق الجديد. فقالوا ذلك إنكارا و
استبعادا للبعث أَفَتَرَىٰ عَلَىٰ اللَّهِ كَذِبًا (٥) استغنى بهمهز الاستفهام عن همزه الوصل، و إسنادهم كذبه على قوله إليه تعالى بناء
على عقيدته صلوات الله عليه

ص: ٤٦٢

١- سورة ٣٤ - آيه ٧

٢- سورة ٣٤ - آيه ٧

٣- سورة ٣٤ - آيه ٧

٤- سورة ٣٤ - آيه ٧

٥- سورة ٣٤ - آيه ٨

وإلا- فإنهم كانوا غير معتقدين به تعالى و لا برسالته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، بل منكرين لكليهما غايه الإنكار. و المعنى: هل كذب على الله كذبا و اخترع من عند نفسه متعمدا حيث يزعم أننا نبعث بعد الموت؟ و هذا استفهام تعجب و إنكار منهم. و التعبير بالافتراء عن الكذب لأنه أخص من الكذب، فإن الافتراء هو الكذب الخاص، أى المخترع المتعمد فيه أم به جنه (١) أى جنون يخيل له ذلك فيهدى به و يهجر؟ أى يتكلم بما لا يعلم فيلقى على لسانه عبثا. و تقديم الظرف للمبالغه و الدلاله على البعديه. ثم رد عليهم سبحانه قولهم فقال ليس الأمر كما قالوا بل الذين لا يؤمنون بالآخِرَه (٢) أى المنكرون للبعث و الجزاء فى العذاب و الضلال البعيد (٣) و ليس الأمر كما يقولون، فما هو صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بكاذب و لا به جنه، و لا يقول ما يقول إلا بالحق، بل الذين كفروا هم الكاذبون و المفترون على نبينا حيث يسندون إليه الافتراء على الله و الجنون مع أنه منزّه عنهما و يسرون الآخِرَه و أنهم فى العذاب، فيصدّقون ثمه قول النبيّ و يعترفون بأنهم كانوا فى الضلاله و فى البعد عن الحق و الحقيقه فى الدنيا ثم يتبهم بقوله إلى دليل يدلّهم على صدق قوله (ص) بثبوت البعث و الجزاء و هو قوله تعالى:

٩- أَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيَّنَّ أَيْدِيهِمْ... (٤) أى إلى ما أحاط بجوانبهم من السماء و الأرض (٥) كيف أحاطت بهم، أ فلم ينظر هؤلاء الكفره إليهما فيستدلّون بهما على كمال قدره خالقهما، فيعرفون أننا قادرون على إهلاكهم كما أهلكنا القرون الأولى. ثم بين كيفيه الإهلاك بقوله: إِنَّ نَشْأَ نَحْسِفُ بِهِمُ الْأَرْضَ (٦) كما فعلنا بأقوام قبلهم و كما خسفنا بقارون و أمواله أو نُسْقِطُ عَلَيْهِمْ كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ (٧) أى قطعنا منها فتغطيهم فيهلكوا جميعا إن فى ذلك (٨) أى فيما ترون من السماء و الأرض و إحاطتهما بهم و من قدره الخالق تعالى لآيئه لكل عبده منيب (٩) أى راجع إلى ربه و يتدبّر فى قدرته و يتفكّر فى تدبيره و تنظيم عوالمه فيدعن إليه و يطمئن قلبه بوجود الصانع تعالى و برسوله و بما جاء به. و لما ذكر الله سبحانه المنيين من عباده وصل إلى

ص: ٤٦٣

- ١- سورة ٣٤ - آيه ٨
- ٢- سورة ٣٤ - آيه ٨
- ٣- سورة ٣٤ - آيه ٨
- ٤- سورة ٣٤ - آيه ٩
- ٥- سورة ٣٤ - آيه ٩
- ٦- سورة ٣٤ - آيه ٩
- ٧- سورة ٣٤ - آيه ٩
- ٨- سورة ٣٤ - آيه ٩
- ٩- سورة ٣٤ - آيه ٩

ذكرهم فحكي سبحانه قصه داود و سليمان اللذين كانا في كمال الإنابه فقال:

سوره سبا (٣٤): الآيات ١٠ الى ١٤

وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِيبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَ أَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ (١٠) أَنْ إِعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَ إِعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١١) وَ لِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَ رَوَاحُهَا شَهْرٌ وَ أَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَ مِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَ مَن يَزِغُ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ (١٢) يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبَ وَ تَمَاثِيلَ وَ جِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَ قُدُورٍ رَاسِيَاتٍ إِعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَ قَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُ (١٣) فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلاَّ دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ (١٤)

١٠ و ١١- وَ لَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا... (١) أى أعطيناه من عندنا مضافا إلى النبوه كتابا و هو الزبور، أو المراد بالفضل الصوت الحسن، و كان عليه السلام إذا قرأ الزبور تجتمع عليه السباع و الوحوش و الطيور و جميع من يسمع صوته من البشر و غيره للاستماع. و قيل إن الفضل هو إعطاء مزيه النعم بالنسبه إلى الأنبياء الأخر، من تسخير الجبال كما أشار إليه سبحانه

ص: ٤٤٤

بقوله يا جِبَالُ أَوْيِي (١) أى سَبَّحى معه من التَّأْوِيْب و هو التَّسْبِيْح.أى إذا سَبَّح داود سَبَّحى معه فأَنطَقها اللهُ تعالى بالتَّسْبِيْح حين ما يَسْبُح داود كما أَنطَق الشَّجْرَه بقولها إِنِّى أنا اللهُ،و كما أَنطَق الحَصَى فى كَفِّ نَبِينا(ص) و أمرها بالتَّسْبِيْح فسَبَّحت بحيث استمع أهل المسجد تَسْبِيْحها اللهُ تعالى كما يسمع من المَسِيْح معجزا له أو أن هذا من آب يُوْب بمعنى رَجع أى ارجعى معه التَّسْبِيْح على ما روى من أن الطَّيْر و الجبال كانت تَرَجُّع التَّسْبِيْح مع داود عليه السَّلام.و أمَّا ما قيل فى كَيْفِيَّتِه تَسْبِيْحها بخلق الكلام فيها تَسْبِيْحا،أو بعبارة أخرى بإيجاده فيها كما أوجد فى الشَّجْرَه،أو بكيفيه أخرى أَنطَقها و أَنطَق الشَّجْرَه و الحَصَى،فنحن لا ندرى و ليس لنا علم بذلك و كل ما قيل فهو لو كان من أهل بيت النبوّه فمقبول و إلا فمردود.

و الحاصل أن نطق كل شىء بما يناسبه،فإذا أسند إلى الإنسان كان عبارته عن التكلّم بالصّوت و الحروف،أو إذا أسند إلى الكتاب فقليل كتاب ناطق أى بيّن و واضح،أو إلى الطّير فهو بكيفيته أخرى يعرفها من علمه الله منطقه،و إذا أسند إلى الجبال و الأشجار فهو إمّا بإيجاد الصوت فيها أو بما أراده الله من الكيفيات المسموعه حينما يستنطقها الله بحيث يفهمه كلّ من أراد الله إفهامه و أعطاه الأذن الواعيه.و تأويب الجبال و الطير من معجزات داود عليه السلام أعطاه الله ذلك فضلا و إظهارا لقدرته الكامله فيما أعطاه.

فإن تسييح الجبال و الطير أو سير الجبال معه طبق مشيئه داود(ع)على ما هو أحد معانى التأويب أى السير،هو أمر خارق للعادة فما توهمه البعض من أن المراد بتسييح الجبال حينما يقرأ داود الزبور هو ارتجاع صوته إليه و ارتداده على وجهه كما يتفق كثيرا فى الأبنيه الرفيعه إذا صوّت الإنسان تحتها و نادى فترجع صوته بما يتكلّم بعينه كأن شخصا يحكى قوله مردود، لأنه أمر يتفق لكل ذى صوت حتى عند استكاك حجر بحجر فما يكون من خصائص داود و معجزاته يكون قابلا للذكر فى الآية الكريمة فى مقام إظهار قدرته و إعطائه لنبيّه عليه السلام منّه عليه.فهذا كلام شعريّ لا أساس له و قد قيل من غير رويّه.هذا مضافا إلى عطف الطير عليه فلا بد من أن

ص: ٤٦٥

يحمل تسييح الطير على معنى إنطاق الله تعالى له، ولا معنى لهذا الحمل فى الطير.

يروى عن الصادق عليه السلام أن الله تعالى أوحى إلى داود: نعم العبد لولا أنك تأكل من بيت المال، فبكى داود أربعين يوماً و سأل من الله شغلا يكفى بمؤونته: فأجابه سبحانه و ألان له الحديد مثل الشمع حتى كان يتخذ منه ما أحب على ما أشار إليه بقوله سبحانه: وَ أَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ، أَنْ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ (١) هذا مقول لقوله: قلنا له كما فى مقوله: يا جبال. و محلّه النَّصَب، و قيل إن التقدير: أمرناه. و المعنى أننا أمرناه بأن يعمل دروعا واسعة الأذيال و قلنا له وَ قَدَّرْ فِي السَّرْدِ (٢) أى عدل و سو بين الحلقات فى نسجها بحيث تناسب حلقاتها فى الصِّغَر و الكبر و فى اللين و الغلظ. و حكى أنّ لقمان حضر داود عند أوّل درع عملها فجعل يتفكّر فيها، و كان لا يدرى ما أراد داود عليه السلام أن يصنع، و لكن لم يسأله حتى فرغ داود منها، ثم قام و لبسها و قال: نعم جنّه الحرب هذه. فقال لقمان عند ذلك:

الضّمت حكمه و قليل فاعله وَ اعْمَلُوا صَالِحاً (٣) أى قلنا و اعمل أنت و أهلك الصّالحات أى الطاعات فإنّها شكر لله تعالى على عظيم نعمه عليكم.

١٢- وَ لِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ... (٤) القول متعلّق بمقدّر: أى سخّرنا له الرّيح، و قرئ بالرفع: الرّيح غُدُوها شَهْرٌ وَ رَوّاحها شَهْرٌ (٥) أى جريها بالغداة مسيره شهر و بالعشيّ كذلك. و القمى قال: كانت الرّيح تحمل كرسى سليمان فتسير به بالغداة مسيره شهر و بالعشيّ مسيره شهر وَ أَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ (٦) أى أجرينا ذلك له بعد ما أذبنا له معدن النّحاس. قال القمى: الصّيفر نبع ينبوع الماء من الينبوع و لذلك سمّاه عينا. و قيل كان ذلك باليمن وَ مِنَ الْجَنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ (٧) أى سخّرنا له منهم من يشتغل له بحضرتة و أمام عينه ما يأمرهم به من الأعمال بإذن ربّه (٨) كان يعملون له الأعمال الشاقّه و ما يكلفهم به مثل نحت الأحجار الثقيله و حملها من الجبال البعيده لبناء الأبنيه المشيّده و القصور الرفيعه العالیه كما يشاهد الآن رسمها و البقايا منها فى بعض البلدان و القرى

ص: ٤٦٦

١- سورة ٣٤ - آيه ١٠

٢- سورة ٣٤ - آيه ١١

٣- سورة ٣٤ - آيه ١١

٤- سورة ٣٤ - آيه ١٢

٥- سورة ٣٤ - آيه ١٢

٦- سورة ٣٤ - آيه ١٢

٧- سورة ٣٤ - آيه ١٢

٨- سورة ٣٤ - آيه ١٢

مِمَّا يَذْكُرْنَا بِسَالِفِ التَّارِيخِ. وَ فِي الْآيَةِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّهُ قَدْ كَانَ مِنَ الْجِنَّ مَنْ هُوَ غَيْرُ مَسْخَرٍ لَهُ لِمَكَانِ قَوْلِهِ تَعَالَى: وَ مَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا (١) أَى يَعْدِلُ وَيُخْرِجُ عَمَّا أَمْرَانَا بِهِ مِنْ طَاعَةِ سَلِيمَانَ نُذِقُهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ (٢) أَى نَعَذِّبُهُ بِالنَّارِ الْمَشْتَعَلَةِ فِي الْآخِرَةِ كَمَا عَلَيْهِ أَكْثَرُ الْمَفْسَّرِينَ، أَوْ فِي الدُّنْيَا فَقَدْ قَالَ السَّدَى قَدَّرَ لِدَلِّكَ مَلِكٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَعَالَى وَ كَانَ بِيَدِهِ سَوْطٌ مِنَ النَّارِ وَ هُوَ وَاقِفٌ عَلَى الْجِنَّ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ لِسَلِيمَانَ بِمَا يَأْمُرُهُمْ، فَإِذَا قَصَّيرَ أَحَدَهُمْ فِي الْعَمَلِ يَضْرِبُهُ بِالسَّوْطِ وَ يَحْرِقُهُ وَ الْجِنَّ لَا يَرَاهُ. وَ الْآيَةُ الشَّرِيفَةُ تَدُلُّنَا عَلَى أَنَّ الْجِنَّ مَكْلُفُونَ مِثْلَ بَنِي آدَمَ.

١٣ و ١٤- يَعْْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبٍ... (٣) أَى أَبْنِيَهُ رَفِيعَهُ وَ قُصُورَ مَنِيْعَهُ، أَوْ الْمَرَادُ بِهَا الْمَسَاجِدُ وَ مَحَارِبُهَا وَ التَّمَاثِيلُ (٤) قِيلَ هِيَ صُورُ الْمَلَائِكَةِ وَ الْأَنْبِيَاءِ لِيَقْتَدَى بِهِمْ. وَ

عَنِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِنَّهَا صُورُ الشَّجَرِ وَ شَبَهَهُ وَ جِفَانٍ (٥) جَمَعَ جَفْنَهُ أَى صَحَافٍ جَمَعَ صَحْفَهُ وَ هِيَ قِطْعَةٌ كَبِيرَةٌ مَنبَسُطَةٌ تَشْبَعُ الْخَمْسَةَ إِذَا مَلَّتْ طَعَامًا وَ كَانَتْ مِنَ الْعُودِ وَ الْأَحْجَارِ كَالْجَوَابِ (٦) جَمَعَ الْجَابِيَةَ أَى الْحَوْضَ الْكَبِيرَ وَ قُدُورِ رَاسِيَاتٍ (٧) أَى ثَابِتَاتٍ لَا تَنْزَلُ عَنْ أَمَاكِنِهَا لِعَظَمَتِهَا وَ كَانَتْ تَصْنَعُ بِالْيَمَنِ، ثُمَّ خَاطَبَ سَبْحَانَهُ آلَ دَاوُدَ وَ أَمْرَهُمْ بِالشُّكْرِ بِقَوْلِهِ: إِعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَ قَلِيلٌ مِنْ عِبَادِي الشُّكُورُ (٨) أَى مَنْ يَجْتَهِدُ فِي أَدَاءِ الشُّكْرِ بِجَنَانِهِ وَ لِسَانِهِ وَ أَرْكَانِهِ. وَ قِيلَ الشُّكُورُ مَنْ يَرَى عَجْزَهُ مِنَ الشُّكْرِ لِأَنَّ التَّوْفِيقَ لِلشُّكْرِ نِعْمَةٌ تَسْتَدْعَى شُكْرًا آخَرَ وَ هَكَذَا، فَإِنَّ عَمْرَ بْنَ الْخَطَّابِ سَمِعَ رَجُلًا يَدْعُو رَبَّهُ وَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ الْقَلِيلِ، فَخَاطَبَهُ عَمْرٌ وَقَالَ: مَا هَذَا الدُّعَاءُ؟ فَأَجَابَهُ: إِنِّي سَمِعْتُ اللَّهَ يَقُولُ: وَ قَلِيلٌ مِنْ عِبَادِي الشُّكُورُ (٩) فَأَنَا دَعَوْتُهُ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنَ ذَلِكَ الْقَلِيلِ. فَقَالَ عَمْرٌ: كُلُّ النَّاسِ أَعْلَمُ مِنْ عَمْرٍ. وَ كَانَ مِنْ عَادَةِ سَلِيمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ يَرْوِحَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدَسِ فِي كُلِّ سَنَةٍ وَ يَبْقَى فِيهِ مَدَّةً مِنَ الزَّمَانِ لِعِبَادَةِ رَبِّهِ وَ الْخُلُوعِ عَنِ النَّاسِ، وَ يَسُدُّ بَابَ مَعْبَدِهِ عَلَيْهِ وَ يَمْنَعُ دُخُولَ كُلِّ أَحَدٍ عَلَيْهِ وَ لَعَلَّ غَرَضَهُ مِنْ هَذَا أَنْ يَدْخُلَ نَفْسَهُ فِي الشَّاكِرِينَ

ص: ٤٦٧

- ١- سورة ٣٤ - آية ١٢
- ٢- سورة ٣٤ - آية ١٢
- ٣- سورة ٣٤ - آية ١٣
- ٤- سورة ٢١ - آية ٥٢
- ٥- سورة ٣٤ - آية ١٣
- ٦- سورة ٣٤ - آية ١٣
- ٧- سورة ٣٤ - آية ١٣
- ٨- سورة ٣٤ - آية ١٣
- ٩- سورة ٣٤ - آية ١٣

القليلين الذين مدحهم الله. و في سنة وفاته لما دخل بيت المقدس رأى فيه شجرا فسأله ما اسمك؟ قال: خروبه. قال: لم سميت خروبه؟ فأجاب لأنه بعدى يخرب بيت المقدس. فتطير سليمان بأنه يخبره عن موته لأنه قال ما دمت أنا حيا فلا يقدر أحد على خرابه. فأمر بقلعه، ثم مات سليمان في تلك السنة و جاء بختنصر و ملك الشامات و خرب بيت المقدس، و يؤيد ما ذكرناه بما

في الكافي عن الصادق عليه السلام إذ قال: إن الله عزّ و جلّ أوحى إلى سليمان بن داود أن آيه موتك أن شجره تخرج من بيت المقدس يقال لها خرنوبه. قال فنظر سليمان يوما فإذا الشجره الخرنوبه قد طلعت في بيت المقدس فقال لها ما اسمك؟ قالت: خرنوبه. قال (ع) فولى سليمان مدبرا إلى محرابه فقام فيه متكئا على عصاه فقبض روحه من ساعته. فلما قضينا عليه الموت ما دلّهم على موته (١) أى حكمنا بموته ما دلّ الجنّ و الشياطين على موته إلاّ دأبه الأرض (٢) الأرضه، فإنها أكلت عصاه فسقط عليه السلام فعملوا أنه ميت. و لكنهم علموا بعد سنة و ذلك لأنه عليه السلام لما علم بموته وصّى أهله بأن يعموا موته على الجنّ مضافا إلى أنه دعا ربه لذلك و قال: اللهم عمّ على الجنّ عن موتى و كان منه ذلك الدعاء بالتعمية على الجنّ لأغراض: أولا ليعلم الإنس أنّ الجن لا يعلمون الغيب و قد كان عقيدة الإنس أنهم يعلمون الغيب. و ثانيا أنه كان يشتغل ببناء بيت المقدس و كلف الجن بنائه بأشغال شاقه صعبه قد خرجت عن أيدي الإنس لعدم قدرتهم عليها و عدم علمهم بكيفيتها. و ثالثا ليعلم الجنّ و الإنس أنّ الأجل إذا حضر وقته فلا يتأخر و لو كان صاحبه مثل سليمان بتلك السّلطه و الملك و القدره، فإنه ما أمهله حتى يخبر أهله ليدخلوا عليه حين موته حتى يودّعهم و يودّعوه و يفرشوا له فراش موته و يوجّهوه إلى ما يوجّهون به موتاهم فبقى عليه السلام بعد موته على تلك الحاله سنة حتّى فرغوا من بناء بيت المقدس بالكيفيه التى أمرهم سليمان عليه السلام و حصلت الأغراض و الحكمه فى كفيته موته على ما كان، و لعل أصلها منشأ بالشين، و قد سميت بها لأن المواشى ترعى بها. و على هذا كانت لفظا

ص: ٤٦٨

١- سورة ٣٤ - آيه ١٤

٢- سورة ٣٤ - آيه ١٤

عبريًا فترجمت إلى العربى و هى العصا فأمر الله سبحانه الأرضه فأكلت منسأته أى عصاه التى أتكا عليها و قبض على تلك الهیئه فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ (١) أى سقط سليمان ميتا و ظهر ذلك و أتضح أن لو كانوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ (٢) قوله أن لو كانوا (٣) بدل اشتمال من الجنّ كقول القائل: تبين زيد وجهه. فمعنى تبينت الجن أتضح ذلك لهم و ظهر، من تبين الشيء إذا ظهر و تجلّى، و الإبانه و بينّ و تبين و استبان كلها جاءت بمعنى الوضوح و الانكشاف أى العلم بالشيء، فيصح أن نفسر التبيين بمعنى العلم، فقوله: تبينت الجن، يعنى علمت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب- كما يزعمون- ما لبثوا فى العذاب فإنهم لا يعلمون الغيب و لو علموه ما بقوا إلى ما بعد سنه فى العمل الشاق. و

قرئ تبينت الإنس و نسبت هذه القراءة إلى السّجاد و الصّادق، أى علمت الإنس أن الجن لو كانوا، الآية... فإن الإنس كانوا معتقدين ب.هم عالمون بالغيب، فلما سقط ميتا بعد سنه ظهر أنّ ما زعموه كان باطلا. و الحاصل أنّ يوم قبض روحه كان يوما جعله لسروره و جلس فيه ليسرّ تمام ذلك اليوم و كان فى قبّه من قوارير. فبينما هو قائم متكئا على عصاه فى القبّه ينظر إلى الجن كيف يعملون و يبنون المسجد و هم ينظرون إليه نظر وحشه و خوف و لا يصلون إليه لأنه منع فى ذلك اليوم و فى ذلك القصر الدخول عليه، فإذا برجل شابّ حسن الوجه معه فى القبّه، فقال: من أنت و من أدخلك؟ فقال:

أنا الذى لا- أقبل الرّشى و لا- أهاب الملوک، و أدخلنى هذا القصر ربّه و ياذنه دخلت. فقال: ربّه أحقّ به منى فمن أنت؟ قال: أنا ملك الموت.

قال: و فيما جئت؟ قال: لأقبض روحك. قال: امض لما أمرت به، فهذا يوم سرورى و أبى الله عزّ و جلّ أن يكون لى سرور دون لقائه. و

فى الاحتجاج عن الصّادق عليه السلام أنه سئل كيف صارت الشياطين أمثال الناس فى الخلقه و الكثافه و قد كانوا يبنون لسليمان بن داود من البناء ما يعجز عنه ولد آدم؟ قال: غلظوا لسليمان كما سخّروا له، و هم خلق رقيق غذاؤهم التّسم. و الدليل على ذلك صعودهم إلى السّماء لاستراق

ص: ٤٦٩

١- سورة ٣٤ - آيه ١٤

٢- سورة ٣٤ - آيه ١٤

٣- سورة ٣٤ - آيه ١٤

السَّمْعَ وَ لَا يَقْدِرُ الْجِسْمَ الْكَثِيفَ عَلَى الْارْتِقَاءِ إِلَيْهَا إِلَّا بِسَلْمٍ أَوْ سَبَبٍ آخَرَ.

و غلظهم كان معجزه لسليمان لطفاً من الله و فضلاً عليه.و

فى الإكمال عن النبىِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله: عاش سليمان عليه السلام سبعمائه سنة و اثنتى عشره سنة. ثم إنَّه تعالى بعد ذكر قصَّه سليمان و أمره لآل داود بتأديته شكر نعمه الجليله التى أعطاهم إياها بين قصَّه سبأ بما يدلُّ على حسن عاقبه الشُّكُورِ و سوء خامه الكفور فقال:

سوره سبأ (٣٤): الآيات ١٥ الى ٢١

لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْجِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَ شِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَ اشْكُرُوا لَهُ بَلَدَهُ طَيِّبَهُ وَ رَبُّهُ غَفُورٌ (١٥) فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرْمِ وَ بَدَّلْنَاهُمْ بَجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَى أُكُلٍ خَمْطٍ وَ أَثَلٍ وَ شَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ (١٦) ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَ هَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ (١٧) وَ جَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ الْقَرَى الْبَلَّتَى بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَ قَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سَيَرُوا فِيهَا لِيَالِيًّ وَ أَيَّاماً آمِنِينَ (١٨) فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَ مَرَقْنَاَهُمْ كُلَّ مُمْرَقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (١٩) وَ لَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقاً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢٠) وَ مَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَ رَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيفٌ (٢١)

١٥- لَقَدْ كَانَ لِسِدِّيقٍ... (١) أى لولده، و هو ابن يشخب بن يعرب بن قحطان، فالمراد به هاهنا القبيله الذين هم من الأولاد سبأ بن يشخب المذكور، و سبأ أبو القبيله،

سئل النبي (ص) أنّ سبأ رجل هو أم امرأه؟ فقال هو رجل من العرب ولد عشره أولاد تيامن منهم ستّه و تشأم منهم أربعة. فأما الذين تيامنوا فالأزد، و كنده، و مذحج، و الأشعرون، و الأنمار، و حمير. و قيل ما الأنمار؟ قال الذين منهم خثعم، و بجيله. و أما الذين تشأموا فعامله، و جذام، و لخم، و غسان، و كلهم رؤساء القبائل و العشائر فى اليمن. فسبأ أبو عرب اليمن كلها و قد سميت به القبيله فى مسكنهم آية (٢) باليمن، علامه داله على كمال قدره الله و عظمته و سبوغ نعمه. ثم إنه سبحانه فسّر الآية بقوله جنتان (٣) أى حديقتان ذاتى أشجار كثيره عن يمين البلد و شماله متّصله بعضها ببعض و كان من كثره النعم أنّ المرأه كانت تمشى و المكتل على رأسها فيمتلى بالفواكه من غير أن تمس بيدها شيئاً. و قيل المراد بالآيه هى أنّه لم يكن فى قريتهم بعوضه و لا ذباب و لا برغوث و لا عقرب و لا حيّه. و كان من الغريب أنّ من كان من خارج بلدهم إذا دخل عليها و فى ثيابه قمل أو دوابّ أخرى ماتت فى ساعتها. و الحديقتان فى تقاربهما و اتصال كلّ واحده منهما بالأخرى فكأنّهما جنّه واحده، و كذا قيل كلوا من رزق ربكم و اشكروا له (٤) على إرادته القول: أى أنبياءهم يقولون لهم: كلوا من هذه النعم و افعلوا شكرها يزدكم من نعمه بلده طيبه (٥) أى هذه بلده طيبه أى منزله مخصبه عنده مياهها. و الحاصل لعله أراد الله بكونها طيبه حكاية عن أنبيائهم لصحّه هوائها و عذوبه مائها و سلامه تربتها، و أنّه ليس فيها حرّ يؤذى فى القيظ

ص: ٤٧١

- ١- سورة ٣٤ - آيه ١٥
- ٢- سورة ٣٤ - آيه ١٥
- ٣- سورة ٣٤ - آيه ١٥
- ٤- سورة ٣٤ - آيه ١٥
- ٥- سورة ٣٤ - آيه ١٥

و لا برد يؤذى فى الشتاء و لما سمعوا هذا الكلام عن نبيهم:

١٦- فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ... (١) أى فلما أعرضوا عن الشكر و كفروا بأنعم الله أذاقهم الله العذاب فقال سبحانه فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ (٢) و السيل هو الماء الكثير السائل الذى ينشأ من المطر الشديد فى الجبال و الصّيحارى، و العرم: جمع عرمة نحو كلم جمع كلمه و هو هاهنا الجرد الصّيحرائى، أى الفأره الكبيره التى أمرها الله تعالى بنقب السدّ الذى صنعوه لمنع السيول فلما نقبته الجرذان جاءهم السيل الذى خرب البيوت و قلع الأشجار و الأبنيه و أهلك جميع ما مرّ عليه و وقع فيه من الأوادم و الحيوانات. و إضافه السّيل إلى العرم لأنّ الجرذان نقبت السّـ كـر بكسر السين و سكون الكاف: السّيد، فخرّب، فجاءهم السّيل فهى السبب لمجيئه، فمن باب إضافه المسبّب إلى سببه و قيل معان آخر للعرم فمن أراد التفصيل فليرجع إلى المفصّلات من التفاسير أو اللغات من الكتب. و قال القمّى إنّ بحرا كان فى المين و كان سليمان أمر جنوده أن يجروا خليجا من البحر العذب إلى بلاد الهند ففعلوا ذلك و الخليج نهر يقطع من النهر الأءظم إلى موضع ينتفع به فيه. و هكذا عقدوا له عقده عظيمه من الصّخر و الكلس حتى يفيض على بلادهم و جعلوا للخليج مجارى فكانوا إذا أرادوا أن يرسلوا منه الماء أرسلوه بقدر ما يحتاجون إليه و كانت لهم جنتان عن يمين و شمال على مسيره عشره أيام يمرّ فيها المارّ فلا تقع عليه الشمس من التفافها فلما عملوا بالمعاصى و عتوا عن أمر ربّهم، و نهاهم الصّيحرون فلم ينتهوا، بعث الله تعالى على ذلك السدّ الجرد و هى الفأره الكبيره فكانت تعلق الصخره التى لا تستقلّها الرجال و ترمى بها. فلما رأى ذلك قوم منهم هربوا و تركوا البلاد فما زال الجرد يقلع الحجر حتى خرب السدّ فلم يشعروا حتى غشيهم السيل و خربت بلادهم و اقتلعت أشجارهم و هو قوله تعالى لَقَدْ كَانَ لِسَيِّئًا (٣)، إلى قوله: سَيْلَ الْعَرِمِ (٤) و قيل: العرم العظيم الشديد و قيل الماء العظيم و بدّلناهم بجنتيهم (٥) أى عوض

ص: ٤٧٢

١- سورة ٣٤ - آيه ١٦

٢- سورة ٣٤ - آيه ١٦

٣- سورة ٣٤ - آيه ١٥

٤- سورة ٣٤ - آيه ١٦

٥- سورة ٣٤ - آيه ١٦

جَنَّتِيهِمَ اللَّتَيْنِ فِيهِمَا أَنْوَاعُ الْفَوَاكِهِ الْعَذْبَةِ الْحَلُوهِ جَنَّتَيْنِ (١) أَخْرَاوِينَ وَسَمَّاهُمَا جَنِينَ لِأَزْدِوَاجِ الْكَلَامِ كَمَا قَالَ: وَمَكْرُوا وَمَكْرَ اللَّهُ، فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ: فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ ذَوَاتِي أُكُلِ خَمِيطٍ (٢): تَثْنِيهِ ذَوَاتِ مَفْرَدٍ عَلَى الْأَصْلِ، وَالْأَكْلُ: الثَّمَرُ، وَمَا يُؤْكَلُ، وَالْخَمِيطُ: الثَّمَرُ الَّذِي فِي غَايَةِ الْمُرُورِ، وَالْبِشْعُ: وَقَالَ الْقَمِّي: هُوَ أَمُّ غِيلَانَ الشَّجَرِ الْمَعْرُوفِ وَمِنْهُ كَثِيرٌ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ وَالْخَمِيطُ كُلُّ نَبْتٍ فِيهِ مَرَارَةٌ، أَوْ الْأَرَاكُ وَ أَثْلٍ (٣) وَ هُوَ شَجَرٌ يُقَالُ لَهُ الطَّرْفَاءُ لَا ثَمْرَ لَهُ، وَ وَصَفَ السَّدْرُ فِي الْآيَةِ بِالْقَلَّةِ لِأَنَّ ثَمْرَهُ وَ هُوَ النَّبِقُ مِمَّا يُطَيَّبُ أَكْلَهُ وَ لِذَلِكَ يُغْرَسُ فِي الْبَسَاتِينِ. وَ الْحَاصِلُ أَنَّ أَهْلَ سَبَأٍ لَمَّا كَفَرُوا بِنِعْمِ اللَّهِ وَ أَعْرَضُوا عَنْ شُكْرِهَا وَ لَمْ يَسْمَعُوا قَوْلَ أَنْبِيَائِهِمْ زَالَتْ عَنْهُمْ النِّعْمُ وَ بَدَّلَتْ بِالنَّقَمِ.

١٧- ذَلِكْ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا... (٤) أَى ذَلِكِ التَّبْدِيلِ بِكَفْرَانِهِمُ النِّعْمَةَ، وَ (مَا) مَصْدَرِيَّةٌ، أَوْ بِسَبَبِ أَنْهُمْ كَفَرُوا بِرِسَالِنَا الَّذِيْنَ أَرْسَلْنَاهُمْ إِلَيْهِمْ وَ كَانُوا ثَلَاثَةَ عَشَرَ نَبِيًّا وَ هَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكُفُورَ (٥) أَى أَنَّ أَخْذَ النِّعْمِ وَ الْجِزَاءَ بِالْحَرَمَانِ مِنْهَا مَنَحَصْرٌ بِمَنْ يَكْفُرُ مِنْهُمْ بِنِعْمَانَا، وَ مِنْ يَشْكُرُهَا نَزِدُ لَهُ فِيهَا ثُمَّ إِنَّهُ بَعْدَ هَلَاكِ جَمَاعَتِهِ كَثِيرَةٌ بِالسَّبِيلِ مِمَّنْ كَفَرُوا بِنِعْمِ اللَّهِ جَاءَ أَهْلُ سَبَأٍ الْبَاقُونَ إِلَى نَبِيِّهِمْ وَ قَالُوا لَهُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ نَحْنُ عَرَفْنَا أَنَّ النِّعْمَ جَمِيعَهَا كَانَتْ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، وَ لَوْ أَعْطَانَا بَعْدَ ذَلِكَ نَشْكُرُهُ عَلَى نِعْمَتِهِ مَا فَعَلْتَهُ إِلَى الْآنَ أَمَّهُ مِنَ الْأُمَمِ السَّابِقَةِ فَلَمَّا تَابُوا عَنْ كَفْرَانِهِمْ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَ فَتَحَ أَبْوَابَ نِعْمَتِهِ الْمَوْفُورَةِ عَلَيْهِمْ كَمَا يَقُولُ سُبْحَانَهُ:

١٨- وَ جَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ الْقُرَى... (٦) أَى بَيْنَ الْبَاقِينَ مِنْ أَهْلِ سَبَأٍ وَ بَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا (٧) بِكَثْرَةِ الْمِيَاهِ وَ أَشْجَارِ الْفَوَاكِهِ الْمَخْتَلِفَةِ وَ الزَّرْعِ وَ النَّبَاتَاتِ الَّتِي كَانَتْ مُوجِبَةً لِسَعَةِ الرِّزْقِ. وَ الْمُرَادُ مِنْهَا هُوَ قُرَى الشَّامِ أَى فِلَسْطِينَ وَ الْأُرْدُنَّ وَ أَرِيحَا وَ أَيْلَهُ قُرَى ظَاهِرَةً (٨) أَى مَتَظَاهِرَهُ مُتَوَاصِلَةً كُلِّ وَاحِدَةٍ مَعَ الْأُخْرَى بِحَيْثُ كَانُوا يَرَى أَهْلَ الْقَرْيَةِ أَهْلَ الْقَرْيَةِ الْأُخْرَى. وَ بِالْجَمَلَةِ كَانَ مِنْ قَصَّتِهِمْ أَنَا جَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ الشَّامِ الَّتِي بَارَكْنَا

ص: ٤٧٣

١- سورة ٣٤ - آية ١٦

٢- سورة ٣٤ - آية ١٦

٣- سورة ٣٤ - آية ١٦

٤- سورة ٣٤ - آية ١٧

٥- سورة ٣٤ - آية ١٧

٦- سورة ٣٤ - آية ١٨

٧- سورة ٣٤ - آية ١٨

٨- سورة ٣٤ - آية ١٨

فيها بالماء و الشجر قرى متواصله و كان متجرهم من أرض اليمن إلى الشام و كانوا يبيتون بقرية و يقبلون بأخرى حتى يرجعوا. و كانوا لا يحتاجون إلى حمل زاد من وادى سبأ إلى الشام. فمعنى الظاهره أن الثانيه كانت ترى من الأولى لقربها منها و قدّرنا فيها السّير (١) أى و جعلنا السّير من قريه إلى أخرى مقداراً واحداً و هو نصف يوم و قلنا لهم سيروا فيها ليالى و أياماً آمين (٢) أى ليلاً شتّم المسير أو نهاراً بلا خوف عليكم بل مأمونون من الجوع و العطش و السّباع و اللّص و كلّ المخاوف و المضارّ، و هذا يدل على تكامل النّعمه عليهم سفراً و حضراً و نقلوا أن أهل سبأ أخذوا فى التجاره حتّى الفقراء منهم حيث إنهم رأوا أنه ليس فى متجرهم أى تعب و لا- عناء، فكانوا يصبجون فى قريه و يمسون فى أخرى فى ظلّ الأشجار المثقله بالفواكه بأقسامها فحسد الأغنياء الفقراء كما أخبر سبحانه أنّهم أخذوا فى الكفران و بطروا و بغوا فحكى عنهم:

١٩- فَقَالُوا رَبَّنَا بِإِذِّكَ بَيْنَ أَسْفَارِنَا... (٣) أى أشروا و بطروا النعمه و ملّوا العافيه فسأل الأغنياء الله أن يجعل بينهم و بين الشام مفاوز و أوديه و أراضى خاليه من الأشجار و الزروع ليتناولوا على الفقراء بركوب الرواحل و حمل الأزداد. و هذا كما كان فى بنى إسرائيل لما ملّوا النعم فقالوا: أخرج لنا ممّا تنبت الأرض من بقلها بدلا من المنّ و السلوى و ظلّموا أنفسهم (٤) بالكفر و البطر فجعلناهم أحاديث (٥) لمن بعدهم فاتخذوهم مثلاً: يقال تفرّقوا أيدي سبأ أو أيادى سبأ، و يتحدثون بأمرهم و شأنهم و يضربون لهم المثل مزقناهم كلّ ممزق (٦) أى فرقناهم و شتّناهم كلّ تفريق و تشتيت حتى لحق غديان منهم بالشام، و أنمار بيثرب، و جذام بتهمامه، و الأرد بعمان إلى آخرهم إنّ فى ذلك (٧) أى هذا المذكور من قصه سبأ لآياتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (٨) أى فيها عبر لمن يصبر على الشدائد أو عن المعاصى و يشكر كثيرا على النّعم.

٢٠- وَ لَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ... (٩) الضّمير فى عليهم إمّا أنه

ص: ٤٧٤

- ١- سورة ٣٤ - آيه ١٨
- ٢- سورة ٣٤ - آيه ١٨
- ٣- سورة ٣٤ - آيه ١٩
- ٤- سورة ٣٤ - آيه ١٩
- ٥- سورة ٣٤ - آيه ١٩
- ٦- سورة ٣٤ - آيه ١٩
- ٧- سورة ٣٤ - آيه ١٩
- ٨- سورة ٣٤ - آيه ١٩
- ٩- سورة ٣٤ - آيه ٢٠

يعود لبني آدم أو إلى أهل سبأ بمناسبة المقام، يعنى لما ظنَّ الشيطان تسلُّطه و قدرته على إغوائه لبني آدم بالقوَّة الشهويَّة و الغضيبيَّة التي أودعها الله فيهم فصار صادقاً في ظنِّه. أو لاستماعه قول الملائكة: أ تجعل فيها من يفسد فيها و يفسك الدِّماء، و قوله: و لأضلنَّهم و لأغوينَّهم و لأحتنكنَّ ذريته إلا قليلاً و لا تجد أكثرهم شاكرين و ما قال ذلك عن علم و تحقَّق بل ظنَّ السُّلطة عليهم في إغوائهم فصدَّق ظنُّه حيث رأى الناس معرضين عن متابعه الأنبياء و مقبلين ما يدعوهم إليه فَاتَّبَعُوهُ (١) أى فيما دعاهم إليه إلا فَرِيقاً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢) من: هنا للتبيين يعنى المؤمنين كلهم، و عن ابن عباس: أى علموا قبح متابعتة فلم يتبعوه و أتبعوا أمر الله سبحانه و تعالى. و يحتمل أن تكون للتبعيض و المراد أن بعض المؤمنين ما أتبعه، و هم العباد المخلصون، أى الأنبياء و الأئمة المعصومون عليهم الصلاة و السلام.

٢١- و ما كان لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ... (٣) أى أن تسلَّط إبليس و استيلاءه على من ثبت و حقَّق ظنُّه في حقِّهم ما كان عن قوِّه فيه تجبرهم على مطاوعته فى وسوسته، و لكنه كان باختيارهم، و لم يقع منهم إلا لِتَعْلَمَ مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ (٤) أى إلا- لتمييز المؤمن من الشاكِّ فنجازى كلا منهما جزاءه، فالله تعالى أراد بحصول العلم حصول متعلِّقه، أى التميز بين الفريقين ليتحقَّق أن الجزاء عن استحقاق كلِّ واحد لما يستحقُّه، و ربُّكَ حَفِيظٌ (٥) أى رقيب على كلِّ شىء.

سورة سبأ (٣٤): الآيات ٢٢ الى ٢٣

قُلْ اُدْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِنْ شَرِكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ (٢٢) وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ (٢٣)

ص: ٤٧٥

- ١- سورة ٣٤ - آية ٢٠
- ٢- سورة ٣٤ - آية ٢٠
- ٣- سورة ٣٤ - آية ٢١
- ٤- سورة ٣٤ - آية ٢١
- ٥- سورة ٣٤ - آية ٢١

٢٢- قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ... (١) أى يا محمّد قل لكفار مكّه من بنى مدلج و أتباعهم من أهل الشرك تهكّموا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ (٢) أَنَّهُمْ آلَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ (٣) أى اطلبوا منهم ما يهّمكم من جلب نفع أو دفع ضرر، فإنهم لا يَمَلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ (٤) من خير أو شرر، ويمكن أن تكون الجملة منصوبه المحلّ حالا- ممّا قدّر مفعولا- لزعمتم، أى ادعوا ما زعمتم آلهم حال كونهم غير مالكين مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَ لَا فِي الْأَرْضِ (٥) أى فى أمرهما وَ مَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكَ (٦) أى ليس لهم شركه مع خالق الكون وَ مَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ (٧) و ليس له تعالى من آلهم المشركين من معين و لا ناصر على شىء لا فى تدبير أمرهما و لا فى تنظيم حركاتهما و لا فى إيجادهما على ما هما عليه.

٢٣- وَ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ... (٨) هذا ردّ على من زعم من المشركين أن آلهتهم من الملائكه أو الأصنام أو غيرهما شفعاءهم عند الله، أى لا تنفعهم شفاعة الشافعين على زعمهم من الأصنام و الأوثان لأنها جماد و لا تعقل الشفاعة، و أمّا الملائكه فلاّنه لا شفاعة فى ذلك اليوم إِلَّا لِمَنْ أَدْنَى لَهُ (٩) القمى: لا- يشفع أحد من أنبياء الله و أوليائه و رسله يوم القيامة حتى يأذن الله له، إلا رسول الله صلّى الله عليه و آله فإن الله عزّ و جلّ قد أذن له فى الشفاعة قبل يوم القيامة، و الشفاعة للأئمه عليهم السلام من بعده، ثم بعد ذلك للأنبياء.

عن الباقر عليه السلام: ما من أحد من الأولين و الآخرين إلا و هو محتاج إلى شفاعة رسول الله (ص) يوم القيامة. ثم إن لرسول الله الشفاعة فى أمته، و لنا الشفاعة فى شيعتنا، و لشيعتنا الشفاعة

ص: ٤٧٦

- ١- سورة ٣٤ - آيه ٢٢
- ٢- سورة ٣٤ - آيه ٢٢
- ٣- سورة ٣٤ - آيه ٢٢
- ٤- سورة ٣٤ - آيه ٢٢
- ٥- سورة ٣٤ - آيه ٢٢
- ٦- سورة ٣٤ - آيه ٢٢
- ٧- سورة ٣٤ - آيه ٢٢
- ٨- سورة ٣٤ - آيه ٢٣
- ٩- سورة ٣٤ - آيه ٢٣

فى أهالهم. ثم قال: إن المؤمن ليشفع فى مثل ربيعه و مضر، و إن المؤمن ليشفع حتى لخدمه يقول: يا ربِّ حقَّ خدمتى كان يقينى الحرّ و البرد حتى إذا فزع عن قلوبهم (١) الجار متعلق بما يفهم عن سياق الكلام، و هو ترقب الإذن و توقّعه، أى حتى وقوعه ممّن يرجى الشفاعة به.

و التفريع مع كلمه (عن) بمعنى الإزالة و كشف الفزع و المعنى أن الشافع و المشفع به يوم القيامة كلاهما ينتظران الشفاعة و لا يزالان فى خوف و فزع حيث أنّهما يحتملان عدم قبول الشفاعة و ردّها بل عدم الإذن لها إلى أن يسلب الفزع عن قلوب أهل المحشر بالإذن لهم بالشفاعة لهم فيفرحوا و يقول بعضهم لبعض: ما ذا قال ربُّكم (٢) متساثلين عن قوله تعالى فيما يرجع إلى الشفاعة. فعامة أهل المحشر، حتى الكفرة منهم، تنكشف لهم الحقائق يوم القيامة من وجود الصانع جلّ و علا، إلى وحدانيته، إلى صحه الرساله و صدق رسله، و بالجملة تنكشف لهم سائر حقائق الدين بتمامها و كمالها، حتى انهم إذا ما رأوا رحمه الله الواسعه على العباد و وفور جوده و فيضان فضله العميم عليهم، فإنهم، هم أيضا، يتوقّعون شمول رحمه و عموم الشفاعة لهم، بل إن الشيطان اللعين ليطمع بذلك كما يستفاد من الروايات التى منها أن الله تعالى ينشر رحمته يوم القيامة حتى يمدّ إبليس لها عنقه.

و الحاصل أنهم يسأل بعضهم بعضا: ماذا قال ربكم بالنسبه إلى الشفاعة قالوا (٣): قال: الحقّ (٤) أى قالوا: قال ربنا الصديق و الواقع، فإنه أذن للمؤمنين المطيعين فى دار الدنيا بالشفاعة و لم يأذن للكافرين لأنه ليس عنده غير الحق و لأن وعده صديق و هو العليّ الكبير (٥) أى ذو العلوّ بقهره، و ذو الكبرياء بعظمته.

سوره سبأ (٣٤): الآيات ٢٤ الى ٣٠

قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًىٰ أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٢٤) قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أُجْرِمْنَا وَلَا نَسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٢٥) قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ (٢٦) قُلْ أَرُونِي الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ هِيَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٧) وَ مَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَ نَذِيرًا وَ لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٢٨) وَ يَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٢٩) قُلْ لَكُمْ مِيعَادٌ يَوْمَ لَا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَ لَا تَسْتَقْدِمُونَ (٣٠)

ص: ٤٧٧

١- سوره ٣٤ - آيه ٢٣

٢- سوره ٣٤ - آيه ٢٣

٣- سوره ٣٤ - آيه ٢٣

٤- سوره ٣٤ - آيه ٢٣

٥- سوره ٣٤ - آيه ٢٣

٢٤- قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ... (١) هذا الكلام تقرير لقوله لا يَمْلِكُونَ (٢) وإلزام لهم لأنهم لا- يمكنهم أن يقولوا ترزقنا آلهتنا التي نعبدها. فعند ذلك يتوقفون و يتمكثون قهرا فى الجواب قُلِ اللَّهُ (٣) أى قل ذلك جوابا عن المشركين إذ لا- جواب لهم سواء، مضافا إلى أن قلوبهم مقره بذلك و معترفه به. ثم إنه تعالى يأمر نبيه صلى الله عليه و آله أن يقول لهم على سبيل المحاجه و طريق المناظره وَ إِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًىٰ أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٤) عطف على قوله: اللَّهُ (٥) يعنى يا محمد قل للمشركين:

نحن المؤمنون نقول بأن رازقنا و خالقنا واحد و إياه نعبد و لا نعبد سواه أما الذين تعبدونهم فهم فى أدنى مراتب الممكنات و أحسها، أى الجماد الذى لا يضّرّ و لا ينفع و لا يسمن و لا يشبع و لا يشعر و لا يحس. و عبارته: لعلى

ص: ٤٧٨

-
- ١- سورة ٣٤ - آيه ٢٤
 - ٢- سورة ٣٤ - آيه ٢٢
 - ٣- سورة ٣٤ - آيه ٢٤
 - ٤- سورة ٣٤ - آيه ٢٤
 - ٥- سورة ٣٤ - آيه ٢٤

هدى، أى على طريق الهدايه و الاستقامه أَوْ فِي ضَلَالٍ (١) أى على جاده الغبى و الضلاله، و الإيهام إنصاف من الخصم و تلطف به و هو أبلغ من التصريح بقوله: بمن هو على هدى و من هو فى ضلال مبین، قسم من المجادله بالأحسن.

٢٥- قُلْ لَا تُشْرِكُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا... (٢) أى قل أنتم غير مسئولين بجرمنا إن كان علينا جرم و لَا تُشْرِكُوا عَمَّا تَعْمَلُونَ (٣) و كذلك نحن غير مسئولين عن أعمالكم. و هذا أزيد فى الأنصاف و أبلغ فى الإسكات لأنه أسند الاجرام إلى أنفسهم و العمل إلى الخصم و هذا يدل على كمال الخضوع صورته، و غايه المماشاه مع الخصم المشاغب فىكون أدخل فى ترغيب المخاطب إلى مدعى المتكلم و لو كان الواقع خلاف ما يفهم المخاطب فإن المراد بالاجرام هو الصغائر من الزلات التى كان المؤمن يرجو العفو عنه و لَا تُشْرِكُوا عَمَّا تَعْمَلُونَ (٤) و المراد بالعمل هو الكفر و المعاصى العظام التى لا يرجى العفو عنها. و فى الكريمه دلالة على أن أحدا لا يؤخذ بذنب أحد و لا- يؤخذ الجار بجرم الجار. و لما لم يؤمن الكفره مع إيضاح الحججه عليهم و تمامها أمر الله تعالى نبيه بالإعراض عنهم و قال:

٢٦- قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا... (٥) أى يحشرنا و إِيَّاكُمْ رَبُّنَا يَوْمَ الْجُمُعِ ثُمَّ يُفْتَحُ بَيْنَنَا (٦) و بينكم، أى يحكم و يفصل بِالْحَقِّ (٧) بالعدل و الإنصاف بأن يدخل المؤمنين المحققين الجنه و المشركين المبطلين النار وَ هُوَ الْفَتْاحُ الْعَلِيمُ (٨) أى الحاكم فى القضايا المغلقه و العالم بكيفيه الحكم طبق الحكمه و المصلحه.

٢٧- قُلْ أَرُونِي الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ... (٩) أى عزفونى و أعلمونى الذين زعمتم أنهم شركاء الله فى استحقاق العباده. و هذا الأمر للتهكم و التعجيز و استفسار عن شبهتهم بعد إلزام الحججه عليهم زياده فى تبكيتهم كَلَّا (١٠) كلمه ردع لهم فالمشركون لا يقدرّون على إثبات صفه للأصنام مشتركه بينها و بين الله عزّ و جلّ فبتلك الصفه تكون مستحقه للعباده

ص: ٤٧٩

- ١- سورة ٣٤ - آيه ٢٤
- ٢- سورة ٣٤ - آيه ٢٥
- ٣- سورة ٣٤ - آيه ٢٥
- ٤- سورة ٣٤ - آيه ٢٥
- ٥- سورة ٣٤ - آيه ٢٦
- ٦- سورة ٣٤ - آيه ٢٦
- ٧- سورة ٣٤ - آيه ٢٦
- ٨- سورة ٣٤ - آيه ٢٦
- ٩- سورة ٣٤ - آيه ٢٧
- ١٠- سورة ٣٤ - آيه ٢٧

مشاركه له تعالى بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١) أى الغالب بقدرته الحكيم فى تديره، والأصنام متَّسمه بالذَّله، متباينه عن قبول العلم و القدره رأسا حيث إنها جماد و الجماد قاصر بالذات عن قبول العلم و القدره فكيف تكون شركاء لمن ذاته علم و قدره و حكمه، إلى آخر صفاته الثبوتيه التى هى عين ذاته كما بيّن و حَقَّق فى مقامه؟ ثم بيّن سبحانه تحقّق نبوّه نبيّه على سبيل العموم بقوله تعالى و تقدّس:

٢٨- وَ مَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ ... (٢): أى إلّا- لرساله عامه على جميع البشر من الأبيض و الأسود و الأحمر. و عن ابن عبّاس عن النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله: قال أعطيت خمسا و لا- أقول فخرا. بعثت إلى الأ-حمر و الأسود و جعلت لى الأرض طهورا و مسجدا، و أحلّ لى الغنم و لم يحلّ لأحد قبلى، و نصرت بالرّعب فهو يسير أمامى مسيره شهر، و أعطيت الشفاعة فادّخرتها لأمتى يوم القيامة. و

ذكر القمى عن الصّادق عليه السلام أنّه قال لرجل:

أخبرنى عن الرّسول كان عامّا للنّاس؟ أليس قد قال الله عزّ و جلّ فى محكم كتابه: و ما أرسلناك إلّا كافّه للنّاس لأهل المشرق و المغرب و أهل السّماء و الأرض من الجنّ و الإنس؟ هل بلغ رسالته إليهم كلّهم؟ قال: لا أدرى.

قال: إنّ رسول الله لم يخرج من المدينه فكيف أبلغ أهل الشّرق و الغرب؟ ثم قال: إنّ الله تعالى أمر جبرائيل فاقتلع الأرض بريشه من جناحه و نصبها لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله فكانت بين يديه مثل راحته فى كفّه ينظر إلى أهل الشرق و الغرب و يخاطب كلّ قوم بألسنتهم و يدعوهم إلى الله عزّ و جلّ و إلى نبوّته بنفسه فما بقيت قريه و لا مدينه إلّا و دعاهم النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله بنفسه.

٢٩- وَ يَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ... (٣) أى الموعود بقوله قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا (٤) فأين هو إنّ كنتم صادقين (٥) فى دعواكم، و المخاطب هو النبيّ و أهل الإيمان، و يحتمل أن يكون الاستفهام للتهكّم.

ص: ٤٨٠

١- سوره ٣٤ - آيه ٢٧

٢- سوره ٣٤ - آيه ٢٨

٣- سوره ٣٤ - آيه ٢٩

٤- سوره ٣٤ - آيه ٢٦

٥- سوره ٣٤ - آيه ٢٩

٣٠- قُلْ لَكُمْ مِيعَادٌ يَوْمٌ... (١) أى ميقات يوم ينزل بكم ما وعدتم به و هو يوم القيامة لا تستأخرون عنه ساعة و لا تستقدمون (٢) أى لا تتأخرون عن ذلك و لا تتقدمون عليه بأن يزداد فى آجالكم أو ينقص منها.

سوره سبا (٣٤): الآيات ٣١ الى ٣٤

وَ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَ لَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَ لَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتَضَعَفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْ لَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ (٣١) قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضَعَفُوا أ نَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهَيْدَى بَعِيدٍ إِذْ جَاءَكُمْ بَلٌ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ (٣٢) وَ قَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعَفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَ النَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَ نَجْعَلَ لَهُ أَنْدَاداً وَ اسِيرُوا الدَّامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَ جَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٣٣) وَ مَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ (٣٤)

٣١- وَ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ ... (٣) أى اليهود قالوا هكذا، و قيل هم مشركو العرب و لعل هذا القول هو الأصح بقربنه قولهم

ص: ٤٨١

١- سوره ٣٤ - آيه ٣٠

٢- سوره ٣٤ - آيه ٣٠

٣- سوره ٣٤ - آيه ٣١

وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ (١) حَيْثُ إِنَّ الْمَرَادَ بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ هُوَ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ، وَالْيَهُودُ كَانُوا مُؤْمِنِينَ بِالْإِنْجِيلِ ظَاهِرًا وَالْإِنْجِيلِ دَالًّا عَلَى الْبَعْثِ فَهَمَّ لَا- يَنْكُرُونَهُ وَ لَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ (٢) أَى فِى مَوْضِعِ الْحِسَابِ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضِ الْقَوْلِ (٣) أَى يَتَحَاوِرُونَ وَ يَتَرَاوَعُونَ بِالْقَوْلِ وَ يَتَبَادَلُونَهُ فِى مَقَامِ الْجِدْلِ بَعْضٌ مَعَ بَعْضٍ وَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضِعُوا (٤) أَى الْأَتْبَاعَ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا (٥) أَى الْقَادَةَ لَوْ لَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ (٦) فَأَنْتُمْ مَنَعْتُمُونَا مِنَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَ بِالرَّسُولِ وَ صَدَدْتُمُونَا عَنِ الْهُدَى.

٣٢- قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضِعُوا أَن نَحْنُ صِدَدُنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى... (٧) أَى قَالَ الْمَتَّبِعُونَ وَ الْقَادَةَ لِلْأَتْبَاعِ عَلَى طَرِيقِ الْإِنْكَارِ: أُنَحْنُ صَدَدُنَاكُمْ؟ أَى لَمْ نَصَدِّكُمْ نَحْنُ عَنِ قَبُولِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ (٨) الْهُدَى بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ (٩) فَأَنْتُمْ بِاخْتِيَارِكُمْ كَفَرْتُمْ حَيْثُ أَعْرَضْتُمْ عَنِ الْهُدَى وَ آثَرْتُمْ الضَّلَالَةَ عَلَيْهِ.

٣٣- وَقَالَ... (١٠) بَلْ مَكْرَ اللَّيْلِ وَ النَّهَارِ... أَى قَالَ الْأَتْبَاعَ لِلْمَتَّبِعِينَ مَكْرَكُمْ لَنَا دَائِبًا لَيْلًا وَ نَهَارًا صَدَدْنَا عَنْ هِدَايَتِنَا إِلَى الْإِيمَانِ. وَ هَذَا إِضْرَابٌ عَنِ إِضْرَابِهِمْ. وَ ذَلِكَ كَانَ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ (١١) أَى أَنْتُمْ كُنْتُمْ قَوَادِنَا وَ رُؤَسَاءَنَا وَ كُنَّا مِنْ رَعَايَاكُمْ الْمَأْمُورِينَ بِأَوَامِرِكُمْ الْمُنْتَهِينَ بِنَوَاهِيكُمْ، وَ قَدْ كُنْتُمْ تَأْمُرُونَنَا بِأَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَ نَجْعَلَ لَهُ أُنْدَادًا (١٢) أَى شُرَكَاءَ وَ لَوْ لَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ مَوْحِدِينَ وَ أَسْرَرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ (١٣) أَى أَخْفَاهَا الْفَرِيقَانِ خَوْفَ الْفُضِيحَةِ وَ التَّعْيِيرِ، وَ قِيلَ أَظْهَرُوا النَّدَامَةَ لِأَنَّ صَيْغَةَ أَسْرَرُوا مِمَّا يَفِيدُ الْأَضْدَادَ حَيْثُ إِنَّ الْهَمْزَ لَهَا الصِّيَاحِيَّةَ لِلْإِثْبَاتِ وَ السَّلْبِ. وَ قِيلَ إِنْ ضَمِيرُ أَسْرَرُوا رَاجَعَ إِلَى الْقَادَةِ الْمَتَّبِعِينَ يَعْنِي هُمْ أَخْفَوْا مِنَ الْأَتْبَاعِ نَدَامَتَهُمْ عَلَى إِضْلَالِهِمْ حِينَمَا رَأَوْا الْعَذَابَ وَ شَاهَدُوهُ خَوْفَ التَّعْيِيرِ وَ جَعَلْنَا الْأَعْلَالَ (١٤)، الْآيَةُ... إِبْرَادِ الْمُسْتَقْبَلِ بِلَفْظِ الْمَاضِي لِتَحَقُّقِ وَقُوعِ الْفِعْلِ فَإِنَّهُمْ بِحُكْمِ مَنْ وَضَعَ الْغُلَّ فِى عُنُقِهِ هَلْ يُجْزَوْنَ (١٥) الْاسْتِفْهَامِ لِلْإِنْكَارِ أَى: (لَا) يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) ثُمَّ إِنَّهُ سَبَّحَانَهُ تَسْلِيَةً لِلنَّبِيِّ الْأَكْرَمِ صَلَّى اللَّهُ

ص: ٤٨٢

١- سورة ٣٤ - آية ٣١

٢- سورة ٣٤ - آية ٣١

٣- سورة ٣٤ - آية ٣١

٤- سورة ٣٤ - آية ٣١

٥- سورة ٣٤ - آية ٣١

٦- سورة ٣٤ - آية ٣١

٧- سورة ٣٤ - آية ٣٢

٨- سورة ٣٤ - آية ٣٢

٩- سورة ٣٤ - آية ٣٢

١٠- سورة ٣٤ - آية ٣٣

١١- سورة ٣٤ - آية ٣٣

١٢- سورة ٣٤ - آية ٣٣

١٣- سورة ٣٤ - آية ٣٣

۱۴- سوره ۳۴ - آیه ۳۳

۱۵- سوره ۳۴ - آیه ۳۳

عليه و آله قال فى تكذيب قومه له (ص):

٣٤- وَ مَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ... (١) أى رسولا منذرا إلا قال مُتْرَفُوهَا (٢) أى رؤسائها المتعتمون و المتمولون من أهل تلك القرية قالوا لنبيهم صلى الله عليه: إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ (٣) تخصيص المترفين بالتكذيب لأنهم الأصل فى العناد، ولأن معظم الداعى على التكذيب هو التكبر و التفاخر بالزخارف الدنيوية و الانهماك فى الشهوات، و لهذا أخذوا الإتراف عله للتفوق و عدم تعذيبهم.

سوره سبأ (٣٤): الآيات ٣٥ الى ٣٩

وَ قَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَ أَوْلَادًا وَ مَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ (٣٥) قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَ يَقْدِرُ وَ لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٣٦) وَ مَا أَمْوَالُكُمْ وَ لَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرَّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَ عَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ لَهُمْ جِزَاءٌ لِّصَعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَ هُمْ فِي الْعَرْشَاتِ آمِنُونَ (٣٧) وَ الَّذِينَ يَسْتَعْمُونَ فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ (٣٨) قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَ يَقْدِرُ لَهُ وَ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَ هُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (٣٩)

٣٥- وَ قَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا... (٤) أى من كان أكثر أموالا- و أولاداً (٥) أى قوه فهو أولى بدعوى الرساله و الإماره على الناس، فنحن أولى بها و ما نحن بمُعذَّبين (٦) لأننا أكرم عند الله منكم فى الدنيا فلا يهيننا

ص: ٤٨٣

- ١- سوره ٣٤ - آيه ٣٤
- ٢- سوره ٣٤ - آيه ٣٤
- ٣- سوره ٣٤ - آيه ٣٤
- ٤- سوره ٣٤ - آيه ٣٥
- ٥- سوره ٣٤ - آيه ٣٥
- ٦- سوره ٣٤ - آيه ٣٥

بالعذاب يوم القيامة. يعنى أن الكفره قاسوا أمر الآخره بأمر الدنیا، فكما أنهم فى الدنيا متنعّمون، فهم كذلك فى الآخره لأنهم زعموا أن تنعمهم فى الدنيا حصل لهم لكونهم عبادا مكرمين و محببين عند الله تعالى ففى الآخره هم كذلك. و الحاصل أن المترفين أصل فى العناد و الإضلال و الضلاله فى كل قوم و فى كل عنصر و زمان.

٣٦- قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ... (١) هذه الكريمة ردّ لحسبانهم الفاسد و زعمهم السخيف. أى قل لهؤلاء المترفين الجهله: إن الله تعالى يوسّع الرزق و يضيقه بحسب المصالح و الحكم التى يراها و هو عالم بها، لا لكرامه بعض و هو ان آخر كما زعمه الجهله وَ لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٢) لا يدرون و لا يدركون ذلك، و يحسبون أن كثره الأموال و الأولاد لشرف الإنسان و كرامته، فى حين أنّهما ربما كانا لهوانه و لاستدراجه و قد صرّح سبحانه بهذا المعنى بقوله:

٣٧- وَ مَا أَمْوَالُكُمْ وَ لَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرَّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى... (٣) قربى أو: تقرباً. و زلفى و زلفه نحو قربى و قربه فى محلّ النصب بتقربكم كقوله أنبتكم نباتاً إلاّ مَنْ آمَنَ (٤) استثناء من ضمير الخطاب و التقدير: الأموال و الأولاد لا تقرب أحداً منكم إلاّ مَنْ آمَنَ وَ عَمِلَ صَالِحاً (٥) بإنفاق ماله فى سبيل الله، و تعليم ولده الخير و الصلاح و إرشادهم إلى طريق الهدى لا- إلى ما فيه الضلاله و الخسران كعصرنا هذا حيث نوقفهم بأيدينا فى المهالك و المواقف الخطره و بالنتيجه ننصرهم و نهوّدهم و نمجّسهم كما فى الروايه أعادنا الله سبحانه من شرّ أنفسنا فأولئك لهم جزاء الضّعف بما عملوا (٦)

أى يجازون الضّعف إلى العشر و زياده إلى سبعمائه كما فى الحديث، و إضافة الجزاء إلى الضّعف من إضافة المصدر إلى مفعوله وَ هُمْ فِي الْغُرَفَاتِ آمِنُونَ (٧) أى فى القصور الساميه العاليه مأمونون من جميع المكاره و الآلام.

و فى القمى عن الصادق عليه السلام و قد ذكر رجل الأغنياء و وقع فيهم فقال له عليه السلام: اسكت فإنّ الغنى إذا كان وصولاً برحمه باراً بإخوانه

ص: ٤٨٤

١- سورة ٣٤ - آيه ٣٦

٢- سورة ٣٤ - آيه ٣٦

٣- سورة ٣٤ - آيه ٣٧

٤- سورة ٣٤ - آيه ٣٧

٥- سورة ٣٤ - آيه ٣٧

٦- سورة ٣٤ - آيه ٣٧

٧- سورة ٣٤ - آيه ٣٧

أضعف الله له الأجر ضعفين لأن الله يقول و ما أموالكم إلخ...

٣٨- وَ الَّذِينَ يَسْتَعُونَ فِي آيَاتِنَا... (١) أى بالإبطال و الرّد و الطعن مُعَاجِزِينَ (٢) بزعمهم أنّهم أعجزونا بذلك و ظنّهم أنّهم يفوتوننا و نحن لا- نقدر على أخذهم و البطش بهم أولئك في العذاب مُخَضَّرُونَ (٣) فالذين يسعون و يهتّمون في إبطال الآيات، أى القرآن أو الأعمّ منه و من سائر الآيات كالمعجزات الأخر السماويه و الأرضيه فعما قريب يعلمون صدق ما جاء به رسلنا حينما حضورهم في مشهد القيامة عند ربّهم يوم يقوم الأشهاد.

٣٩- قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ... (٤) يتبادر إلى الذهن في بدء الأمر أنّ الآية تكرر لما قبلها، و لكن ليس الأمر كذلك حيث إن هذه في شخص واحد في حالين و ما سبق لشخصين. و يمكن أن يقال إنّ التكرار باعتبار اختلاف الفائده. فإن الأولى تويخ للكفار و الخطاب معهم، و الثانيه وعظ و نصح للمؤمنين. فكأنّه تعالى بين أنّ إعطاء النعمه للكفار في الدنيا لا من جهه الكرامه و لا يكشف عن سعادتهم، بل يمكن أن يكون استدراجا لهم، أو لمزيد عقوبتهم حيث يصرفون مال الله في غير موضعه المقرّر له، بخلاف أغنياء المؤمنين فإن زياده النعمه عليهم موجب لمزيد درجاتهم و كاشف عن زياده سعادتهم لإنفاقهم المال في سبيل الله سبحانه و يدلّ عليه قوله تعالى: وَ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ (٥) أى ما بذلتم من أموالكم التى رزقكم الله فى وجوه البرّ فهو يخلفه أى أنه تعالى يعطيكم عوضه عاجلا و آجلا بزياده النعمه فى الدنيا و عظيم الثواب فى العقبى.

و عن النبىّ صلّى الله عليه و آله عن الله تعالى أنه قال: عبدي، أنفق أنفق عليك و قال (ص): لم تطلع الشمس فى كل يوم إلا و ينزل فى صبح ذلك اليوم ملكان عن اليمين و الشمال واحد ينادى اللهم أعط المنفق خلفا أى عوضا، و الآخر يقول: اللهم أعط كل ممسك تلفا. و

فى روايه ثانيه يقول أحدهما: هب المنفق خلفا، و يقول الآخر: هب الممسك تلفا و يقول واحد:

ص: ٤٨٥

١- سورة ٣٤ - آيه ٣٨

٢- سورة ٣٤ - آيه ٣٨

٣- سورة ٣٤ - آيه ٣٨

٤- سورة ٣٤ - آيه ٣٩

٥- سورة ٣٤ - آيه ٣٩

ليت الناس لم يخلقوا و الآخر يقول: ليتهم إذ خلقوا فكروا فيما له خلقوا.

و عن الرضا عليه السلام، قال لمولى له: هل أنفقت اليوم شيئاً؟ فقال: لا- و الله. فقال عليه السلام: فمن أين يخلف الله علينا؟ فإذا حصل الضمان و الوعد و الخلف منه تعالى فإمساكك عن البذل و الإقراض إمّا سوء ظنّ بالله، أو من قله العقل، مع أن المال فى يد العبد على سبيل العاربه. وَ هُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (١) لأنه الرازق فى الحقيقه و غيره واسطه، و لأن الغير غالباً إذا أعطى شيئاً فإمّا لجلب نفع أو لدفع ضرر بخلافه تعالى فإتھما محال عليه لأنه الغنى بالذات و لا يتطرّق عليه الضرر و الإضرار فيعطى بلا عوض و لا ترقب شىء إلا شكر نعمائه، لا لاحتياجه تعالى إليه بل لمزيد النعمه على العباد.

سوره سبأ (٣٤): الآيات ٤٠ الى ٤٥

وَ يَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَ هَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ (٤٠) قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَ لِيْنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ
الْجِنَّ أَكْثَرَهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ (٤١) فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعاً وَ لَا ضَرّاً وَ نَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابِ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ
بِهَا تُكذِّبُونَ (٤٢) وَ إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصِيدَ كُفْرَكُمْ عَمَّا كَانُوا يَعْبُدُونَ أَبَاؤُكُمْ وَ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا
إِنْفِكٌ مُفْتَرٍ وَ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ (٤٣) وَ مَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَ مَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ
فَبَلَّغْنَاكَ مِنْ نَذِيرٍ (٤٤) وَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَ مَا بَلَّغُوا مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ (٤٥)

ص: ٤٨٦

٤٠ و ٤١- وَ يَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ... (١) أى يبعث المشركين و يقول للملائكة: هل إياكم كانوا يَعْبُدُونَ (٢) هذا السؤال يكون توبيخاً للمشركين و تقريراً لهم و إقناطاً لهم عما يتوقعون من شفاعتهم.

و تخصيص الملائكة يحتمل من باب أنهم أشرف شركائهم و هم الصِّالحون للخطاب. فلَمَّا خوطبوا بذلك الخطاب قالوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَ لَيْتِنَا (٣) أى قالت الملائكة: تنزيهاً لك من أن نعبد غيرك أو نتخذ معبوداً سواك، أنت ناصرنا و أولى بنا من دون هؤلاء الكفار و دون كلِّ أحد، و ما كنا نرضى بعبادتهم إيانا مع علمنا بأنك ربنا و رب كلِّ شيء، و أنت المعبود بالحق و لا معبود سواك بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ (٤) أى يطيعونهم فيما يأمرونهم و يدعونهم إليه من عباده الملائكة أو الأصنام أو غيرهما. و قيل إن مرادهم من الجن هو إبليس و أعوانه كان أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ (٥) أى المشركون جميعاً كانوا مصدِّقين بالشیاطين مطيعين لهم فيما يزينون لهم من عباده الملائكة و غيرهم.

٤٢- فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعاً وَ لَا ضَرّاً... (٦) أى فى الآخرة لا يملك العابدون و لا المعبدون نفعاً بالشفاعة و لا ضرراً بالتعذيب إذ الأمر فيه لمالكة أى الله الواحد القهار و الخطاب للملائكة و الكفرة.

٤٣- وَ إِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ... (٧) أى ظاهرات واضحات قالوا ما هذا (٨) أى محمّدٍ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصِيَّدَكُمْ (٩) يمنعكم فيستبعمكم فى الدلالة على الهدايه و الدعاء إلى اتّباعه وَ قالوا ما هذا (١٠) يعنون به القرآنِ إِلَّا- إِنْ كُنْتُمْ مُفْتَرِينَ (١١) أى كذب مختلق وَ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ (١٢) أى لله تعالى أو للنبي أو القرآن أو الإسلامِ إِنَّ هَذَا إِلَّا- سِحْرٌ مُّبِينٌ (١٣) و نسبه السحر إلى الله تعالى باعتبار أنه بزعمهم موجود خياليّ شبيه بالسحر، و إلى

ص: ٤٨٧

- ١- سورة ٣٤ - آيه ٤٠
- ٢- سورة ٣٤ - آيه ٤٠
- ٣- سورة ٣٤ - آيه ٤١
- ٤- سورة ٣٤ - آيه ٤١
- ٥- سورة ٣٤ - آيه ٤١
- ٦- سورة ٣٤ - آيه ٤٢
- ٧- سورة ٣٤ - آيه ٤٣
- ٨- سورة ٣٤ - آيه ٤٣
- ٩- سورة ٣٤ - آيه ٤٣
- ١٠- سورة ٣٤ - آيه ٤٣
- ١١- سورة ٣٤ - آيه ٤٣
- ١٢- سورة ٣٤ - آيه ٤٣
- ١٣- سورة ٣٤ - آيه ٤٣

النبيّ إما باعتبار بيانه و منه إنّ من البيان لسحرا، وإما باعتبار أن السّحر مصدر بمعنى السّاحر و بهذا الاعتبار أيضا كونه ساحرا بزعمهم بلحاظ غرابه كلامه و لطافته المؤثّره في القلوب المحوّلّه إياها من حال إلى حال كالسّحر، و يسمّى هذا بالسّحر الكلامي، و إلى القرآن باعتبار ألفاظه أو إعجازه. و إسناد الإفك إليه بلحاظ معانيه، و إلى الإسلام لوجهه مبانيه المتقنه و قواعده المحكمه التي يرغب فيها كلّ من تفكّر و تدبّر، و يرغب و يميل إليها قهرا و بلا- اختيار كالسّحر. و في التصريح بكفرهم و حصرهم الحق في السّحر مباديه و بلا تأمل أبلغ إنكار و تعجيب من أمرهم ثم أخير سبحانه أنّهم لم يقولوا ذلك عن برهان بل محض تقليد و عناد فقال عزّ من قائل:

٤٤- وَ مَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ... (١) أي ما أعطينا مشركي قريش كتباً قط يتعلّمون درسها حتّى يعلموا أن ما جئت به حق أو باطل، سحر أو معجزه، و إنما يقولون ما يقولون من تكذيبك و إنك ساحر أو مجنون بهوى أنفسهم لا عن علم و معرفه فيصحّ لهم الإشراك و قول ما يقولون فيك و ما أرسَلنا إليهم قبلك من نذير (٢) أي ما بعثنا قبلك من رسول يندرهم سوء عاقبه الشّرك و يدعوهم إلى تركه لكي يصحح اشراكهم و يكون حجّه لهم، فمن أين وقعت لهم هذه الشبهه فتمسّكوا بها و أصروا عليها و لم يدعهم إليها أحد؟ ٤٥- وَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ... (٣) أي كذبوا الأنبياء و الرّسل الذين كانوا قبلهم من الأمم كما يكذبك هؤلاء من أمّتك و ما بلّغوا معشَرَ ما آتيناهم (٤) أي ما بلغ قومك عشر ما آتينا أولئك من القوّه و طول العمر و المال فكذبوا رُسُلِي (٥) أي الذين كانوا قبل قومك كذبوا رسلهم فكيف كان نكير (٦) أي انظر إنكارى عليهم بالتدمير و الإهلاك، فليحذر أهل مكه مثله. و ليس في التكذيب تكرير فإن الأول مطلق و الثاني مقيد. و قيل إن

ص: ٤٨٨

- ١- سوره ٣٤ - آيه ٤٤
- ٢- سوره ٣٤ - آيه ٤٤
- ٣- سوره ٣٤ - آيه ٤٥
- ٤- سوره ٣٤ - آيه ٤٥
- ٥- سوره ٣٤ - آيه ٤٥
- ٦- سوره ٣٤ - آيه ٤٥

سوره سبأ (٣٤): الآيات ٤٦ الى ٥٠

قُلْ إِنَّمَا أَعْظُمُكُمْ بِوَاحِدِهِ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَ خِزْفٍ وَمَنْ يُنْفِقْ خِزْفًا فَهُوَ مُغْفَرٌ (٤٦) قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٤٧) قُلْ إِنْ رَبِّي يَشَاءُ بِالنَّاسِ الْعِلْمَ مَا يَخْتَارُ (٤٨) قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَ مَا يُبَدِّلُ الْبَاطِلَ وَ مَا يُعِيدُ (٤٩) قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ (٥٠)

٤٦- قُلْ إِنَّمَا أَعْظُمُكُمْ بِوَاحِدِهِ... (١) أى بخصله واحده أو بكلمه واحده و هى كلمه التوحيد و قيل بطاعه الله بدليل قوله سبحانه: أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ (٢) و هذه الجملة محلها مجرور بالبدليه أو عطف بيان، و يمكن أن يكون مرفوعا بتقدير هو، أو منصوبا بأعنى. و المعنى هو الاستقامه و الاعتدال فى أمور الدين لنيل رضى الله تعالى و الإعراض عن الاعوجاج و التقليد و ذلك بأن يكون قيامكم بأمر الدين مِثْلَ خِزْفٍ وَ مُثْلَ خِزْفٍ أى متفرقين اثنين اثنين حتى يتشاور كل واحد مع صاحبه، أو واحدا واحدا حتى تستريحوا من تشويش الخواطر بالازدحام حين التفكير، فإن الحق إنما يتبين للإنسان بالتفكر فى نفسه ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا (٤) فى أمرى و ما جئت به لتعلموا حقيقته و تعرفوا أَنَّ مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جَنَّةٍ (٥) أى ليس به جنون موجب لادعائه الرساله

ص: ٤٨٩

١- سوره ٣٤ - آيه ٤٦

٢- سوره ٣٤ - آيه ٤٦

٣- سوره ٣٤ - آيه ٤٦

٤- سوره ٣٤ - آيه ٤٦

٥- سوره ٣٤ - آيه ٤٦

تزعّمونه إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ (١) يَخَوْفُكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ (٢) من عذاب صعب قريب وقوعه يوم القيامة بَيْنَ يَدَيْ (٣) كناية عن قرب وقوع الشيء عذابا وغيره.

٤٧- قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ... (٤) يعنى أَنَّ كَلَّ مَا تَحَمَلْتَ فِي أَدَاءِ الرِّسَالَةِ وَ تَبْلِيغِهَا مِنَ الْمَشَاقِّ وَ التَّكَالِيفِ فَأَجْرُهُ لَكُمْ، وَ مَا أُرِيدُ مِنْكُمْ أَجْرَ رِسَالَتِي وَ لَا أَطَالِبُكُمْ بِشَيْءٍ، كَمَا قَالَ تَعَالَى قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا- مِنْ شَاءِ أَنْ إِيخ.. إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ (٥) فَأَجْرَ رِسَالَتِي أَعْظَمُ شَأْنًا وَ أَعْلَى مِمَّا تَقْدِرُونَ عَلَى أَدَائِهِ وَ إِعْطَائِهِ فَهُوَ عَلَى اللَّهِ لِأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٦) أَيْ مَطَّلَعٌ وَ شَهِيدٌ عَلَى خُلُوصِ نِيَّتِي وَ صِدْقِ دَعْوَتِي بِلا- طَمَعٍ فِي الْأَجْرِ مِنْكُمْ، فَهُوَ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَ يُعْطِينِي كُلَّ مَا أُرِيدُ مِنْهُ بِلا كَلْفِهِ وَ لَا عَنَاءٍ.

٤٨- قُلْ إِنْ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ... (٧) أَيْ يَلْقِيهِ إِلَى أَنْبِيَائِهِ وَ يَنْزِلُهُ عَلَى مَنْ يَجْتَبِيهِ مِنْ عِبَادِهِ، أَوْ يَرْمِي بِهِ الْبَاطِلَ فَيُدْمِغُهُ، وَ هُوَ عَلَامٌ الْغُيُوبِ (٨) أَيْ عَالِمٌ بِجَمِيعِ الْأُمُورِ الْغَيْبِيَّةِ، وَ لِذَا يَعْلَمُ وَ يَعْرِفُ مَنْ لَهُ الْأَهْلِيَّةُ لِإِلْقَاءِ الْحَقِّ وَ الْوَحْيِ إِلَيْهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ (٩) فَإِنَّهُ الْمَطَّلَعُ عَلَى السَّرَائِرِ وَ ضَمَائِرِ عِبَادِهِ فَيُعْطِيهِمْ عَلَى مَقْدَارِ اسْتِعْدَادِهِمْ وَ قَابِلِيَّتِهِمْ فَكُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ وَ عَلَى طَبَقِ خَلْقَتِهِ الَّتِي خَلَقَهُ اللَّهُ عَلَيْهَا وَ طَبِيعَتِهِ وَ أَهْلِيَّتِهِ الذَّاتِيَّةِ.

٤٩- قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَ مَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَ مَا يُعِيدُ... (١٠) أَيْ جَاءَ الْإِسْلَامُ أَوْ التَّوْحِيدُ وَ زَهَقَ الْكُفْرُ وَ لَمْ يَبْقَ لَهُ أَثَرٌ لَا بَدَأَ وَ لَا إِعَادَهُ وَ رَجُوعًا.

فِي الْأَمْثَالِ عَنِ الرِّضَا عَنِ أَبِيهِ عَنِ آبَائِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ: دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ مَكَّةَ وَ حَوْلَ الْبَيْتِ ثَلَاثَمِئَةَ وَ سِتُّونَ صَنَمَا فَجَعَلَ يَطْعُنُهَا بِعُودٍ فِي يَدِهِ وَ يَقُولُ: جَاءَ الْحَقُّ وَ زَهَقَ الْبَاطِلُ إِنْ الْبَاطِلُ كَانَ زَهُوقًا، جَاءَ الْحَقُّ وَ مَا يَبْدَأُ الْبَاطِلُ وَ مَا يَعِيدُ.

٥٠- قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ... (١١) أَيْ إِنْ ضَلَلْتُ عَنِ الْحَقِّ وَ طَرِيقِ

ص: ٤٩٠

١- سورة ٣٤ - آية ٤٦

٢- سورة ٣٤ - آية ٤٦

٣- سورة ٣٤ - آية ٤٦

٤- سورة ٣٤ - آية ٤٧

٥- سورة ٣٤ - آية ٤٧

٦- سورة ٣٤ - آية ٤٧

٧- سورة ٣٤ - آية ٤٨

٨- سورة ٣٤ - آية ٤٨

٩- سورة ٦ - آية ١٢٤

١٠- سورة ٣٤ - آية ٤٩

الهدى و يكون و بال ضلالى على نفسى و إن اهتديت (١) إلى الحق فيما يوحى إالى ربى (٢) أى يهدى ربى تفضلا و رحمه منه
بى.

سوره سبا (٣٤): الآيات ٥١ الى ٥٤

و لو ترى إذ فرغوا فلا فوت و أخذوا من مكان قريب (٥١) و قالوا آمنا به و أتى لهم التناوش من مكان بعيد (٥٢) و قد كفروا به
من قبل و يفسد فون بالغيب من مكان بعيد (٥٣) و حيل بينهم و بين ما يشتهون كما فعل بأشياءهم من قبل إنهم كانوا فى شك
مريب (٥٤)

٥١- و لو ترى إذ فرغوا فلا فوت... (٣) أى يفرغ الكفره عند الموت أو البعث أو يوم بدر، فلو رأيتهم لرأيت أمرا فظيحا عجيبا من
هولهم فلا فوت (٤) أى لا- يفوتوننا بهرب أو حصار أو حصن و أخذوا من مكان قريب (٥) من ظهر الأرض إلى بطنها أو من
الموقف إلى النار أو من المعسكر إلى الحفر المعده لذلك.

٥٢- و قالوا آمنا به و أتى لهم التناوش... (٦) التناوش هو التناول، فمن أين لهم الوصول إلى الإيمان بعد فوات الوقت و من أين
يتيسر لهم أن يأخذوا الإيمان بسهولة من مكان بعيد (٧) أى من عالم الآخرة فإن محل التكليف بالإيمان هو الدنيا و هم فى عالم
الآخرة و قد ابتعدت دار التكليف.

٥٣- و قد كفروا به من قبل... (٨) أى كفروا بالقرآن أو بمحمد صلى الله عليه و آله فى أوان التكليف و (٩) هم الآن يفسدون
بالغيب (١٠) أى يرجمون بالظن و يتكلمون بما غاب علمه عنهم من نفى البعث أو إنكار الصانع و الرساله و الجنه و النار و غيرها
من مكان بعيد (١١) يعنى من جهه بعيده عن حال الرسول و حال الآخرة.

ص: ٤٩١

١- سوره ٣٤ - آيه ٥٠

٢- سوره ٣٤ - آيه ٥٠

٣- سوره ٣٤ - آيه ٥١

٤- سوره ٣٤ - آيه ٥١

٥- سوره ٣٤ - آيه ٥١

٦- سوره ٣٤ - آيه ٥٢

٧- سوره ٣٤ - آيه ٥٢

٨- سوره ٣٤ - آيه ٥٣

٩- سوره ٣٤ - آيه ٥٣

١٠- سوره ٣٤ - آيه ٥٣

١١- سوره ٣٤ - آيه ٥٣

٥٤- وَ حِيلَ بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ... (١) من قبول الإيمان أو من نفع التصديق و العمل الصالح فى الآخره كما فعلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ (٢) أى بأمثالهم من كفره الأمم السابقه إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكِّ مُرِيبٍ (٣) أى موجب للريب و التحير و لم يؤمنوا و لم يصدقوا لضياعهم فى الشكوك.

ص: ٤٩٢

١- سوره ٣٤ - آيه ٥٤

٢- سوره ٣٤ - آيه ٥٤

٣- سوره ٣٤ - آيه ٥٤

مكيه و آياتها ٤٥ نزلت بعد الفرقان

سوره فاطر (٣٥): الآيات ١ الى ٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولَىٰ أَجْنَحَةٍ مِّثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١) مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَ مَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢)

١- الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ... (١) قد مرّ تفسير الحمد في أوّل سورة فاتحه الكتاب فليراجع. و أما فاطر (٢) فمشتق من الفطر و هو الشقّ الخاص أى الشق بلا افتراق و يعبر عنه بالصدع أيضا إذا أسند الصدع إلى الشيء لا إلى القوم و نحوه، فإنه حينئذ بمعنى الافتراق. و المعنى أنه تعالى شقهما لنزول الأرواح من السماء و خروج الأجساد من الأرض.

و أما قول كثير من كبار المفسرين فى معنى الكريمة بناء على اشتقاق فاطر من الفطر بمعنى الشق، كأنه شقّ العدم بإخراجهما منه فهو خلاف ظاهر الشريفه من إسناد الفطر و إضافته إلى نفس السموات و الأرض لا إلى

ص: ٤٩٣

١- سورة ٣٥ - آيه ١

٢- سورة ٣٥ - آيه ١

العدم. فهو تعالى شاقهما لا شاقّ العدم لإخراجهما منه. و يحتمل أن يكون من فطره يفضله فطرا أى خلقه و المعنى: خالق السموات والأرض و موجودهما و مبدعهما و مبتدئهما على غير مثال، و يؤيد هذا الاحتمال قوله: **فَطَرَتِ اللّٰهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا (١)** ففطر الله الخلق من باب خلق أى خلقهم، و الاسم الفطره بالكسر الخلقه. و عن ابن عباس كنت لا أدري ما فاطر السموات حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر فقال أحدهما أنا فطرتها، أى ابتدأتها و اخترعتها، فعلمت أن فطر كان معناه ابتداء و اخترع جاعل الملائكة رُسُلًا (٢) أى وسائط بين الله و أنبيائه و الصالحين من عباده، و يبلغون إليهم رسالاته بالوحي إلى الأنبياء و بالإلهام إلى الأولياء و الأوصياء و بالرؤيا الصّادقة إلى المؤمنين، أو وسائط بين الله و خلقه فى إيصال آثار صنعه إليهم و إيصال الفيوضات إليهم أولى أَجْنَحِيهِ مَثْنِي (٣)، الآية... الجملة صفه للملائكة. و اختلاف الأجنحة لتفاوت مراتبهم، و إعطاؤها لتسهيل النزول و العروج، و للتسريع فيما يؤمرون به. و ليس ذكر هذه الأعداد للحصر بل لبيان المثل، و يدل على عدم الخصوصية لهذه الأعداد و عدم بيان الحصر قوله: **يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ (٤)** و

قول ابن عباس عن النبي صلى الله عليه و آله أنه قال: رأيت فى ليلة المعراج جبرائيل كان له ستمائة جناح. ثم بين سبحانه إحسانه على عباده بقوله:

٢- ما يَفْتَحِ اللّٰهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا... (٥) يعنى إن الله تعالى لو أراد لعباده الخير و أن يفتح لهم باب رحمته فلا مُمْسِكَ لَهَا (٦) أى لا يقدر أحد أن يعبده و يمنع خيره و رحمته النازله إليهم من عنده سبحانه و ما يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ (٧) أى ما يحبسها و يمنعها من نعمه و رحماته كنعمه الأمن فى البلاد و غيرها و الصحه و العلم و النبوه و الولايه فلا يتمكن أحد أن يرسلها و يجيء بها من عنده و من تلقاء نفسه مِنْ بَعْدِهِ (٨) أى بعد إمساك الله سبحانه و منعه، لأنها أمور ليست تحت قدره البشر و اختيارهم لأن إرسال الرسل من أعظم النعم و قد وجدت فى بعض كلمات أفلاطون الحكيم أن إرسال الرسل و بيان الناموس للخلق من أعظم النعم و أنه من

ص: ٤٩٤

- ١- سورة ٣٠ - آيه ٣٠
- ٢- سورة ٣٥ - آيه ١
- ٣- سورة ٣٥ - آيه ١
- ٤- سورة ٣٥ - آيه ١
- ٥- سورة ٣٥ - آيه ٢
- ٦- سورة ٣٥ - آيه ٢
- ٧- سورة ٣٥ - آيه ٢
- ٨- سورة ٣٥ - آيه ٢

موجبات البقاء و لولاه لآل أمر الناس إلى الفناء و الاضمحلال.

فمن يقدر غيره جلّ و علا- على الإتيان بهذه النعمه التي لا- مرسل لها إلا هو سبحانه، و قس على هذه غيرها و هو العزير (1)

الغالب على ما يشاء و ليس لأحد أن ينازعه فيه.

و الْحَكِيمُ (2) الذي لا يفعل ما يفعل إلا بعلم و إتقان.

سوره فاطر (35): الآيات 3 الى 7

يا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ (3) وَ إِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ وَ إِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (4) يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَ لَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ (5) إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ (6) الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَ أَجْرٌ كَبِيرٌ (7)

3- يا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ... (3) أى احفظوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ (4) و آتوا حَقَّها بشكر مولاها قولا و عملا و اعتقادا. و النعمه أعم من الظاهريه و الباطنيه التي من جملتها أنه خلقكم و أوجدكم و أحياكم و أقدركم

ص: 495

1- سوره 35 - آيه 2

2- سوره 35 - آيه 2

3- سوره 35 - آيه 3

4- سوره 35 - آيه 3

و خلق لكم أنواع المأذ. و النعم مع كثرتها منحصره في قسمين: نعمه الإيجاد، و نعمه الإبقاء، و لذا قال: هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ (١) إشاره إلى نعمه الإيجاد في ابتداء الوجود، ثم قال: يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ (٢) إشاره إلى نعمه الإبقاء بالرزق إلى الانتهاء. و هذا استفهام تقرير لهم، و معناه النفي، ليقروا بأنه لا خالق إلا الله يرزق من السماء بالمطر و من الأرض بالنبات لا إله إلا هو فَأَنْتُمْ تُوَفِّكُونَ (٣) فأين تتوجهون و تنصرفون عن التوحيد إلى إشراك غيره معه؟ ثم إنه تعالى يسأل نبيه عن تكذيب قومه له فيقول:

٤- وَ إِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ... (٤) أى إن نسبك أهل مكة إلى الكذب فقد كذبت رسل من قبلك (٥) فتأس بهم فى الصبر على تكذيبهم و إلى الله تُرْجَعُ الْأُمُورُ (٦) فيجازيك على الصبر و يجازيهم على التكذيب. ثم إنه تعالى يحذر الناس من الغرور بحطام الدنيا الذى يستلزم الغفلة عن الآخرة و يخوفهم من مكر الشيطان و خدعه فيقول:

٥ و ٦- يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ... (٧) أى وعده بما أرسل رسله به من البعث و ما يتلوه، فهو حق لا ريب فيه و لا خلف فلا تُغَرَّنَكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا (٨) فلا تغشكنم فيلهيكم التمتع بها عن السعى فى طلب الآخرة التى خلقتم لها بمقتضى قوله

خلقتم للبقاء لا- للفناء و الباقي هو الآخرة و الدنيا فانيه و لا يُغَرَّنُكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ (٩) أى لا- يخدعنكم عن طاعه الله و كرمه و مغفرته الشيطان الخداع بأن يمنيكم المغفره مع حمله إياكم على الإصرار على المعصيه و الجريره نعوذ بالله منه. إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ (١٠) عداوه قديمه و هو يدعوكم إلى ما فيه الهلاك و الخسر و يصرفكم عن أفعال الخير و يدعوكم إلى أعمال الشر و ترك القربات فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا (١١) لا تطيعوه و احذروه فى عقائدكم و أفعالكم و جميع أحوالكم. و ليعلم أن من حيله

ص: ٤٩٦

١- سورة ٣٥ - آيه ٣

٢- سورة ٣٥ - آيه ٣

٣- سورة ٣٥ - آيه ٣

٤- سورة ٣٥ - آيه ٤

٥- سورة ٣٥ - آيه ٤

٦- سورة ٣٥ - آيه ٤

٧- سورة ٣٥ - آيه ٥

٨- سورة ٣٥ - آيه ٥

٩- سورة ٣٥ - آيه ٥

١٠- سورة ٣٥ - آيه ٦

١١- سورة ٣٥ - آيه ٦

التسوية في التوبة مع أن الله تعالى أكد في تعجيلها، ولا بد للعبد أن يغتنم الفرصه فإنها تمر مر السحاب.

وقد سئل حكيم: بأى كيفية نأخذ الشيطان عدواً؟ قال: لا تمشوا وراء أمانيتكم ولا تتبعوا الهوى و افعلوا ما يوافق الشرع و يخالف الطبع، فالشيطان إنما يدعوا حزبه (١) أى أعوانه و أنصاره و متابعيه ليكوثوا من أضيحاب السعير (٢) من أهل النار المسعرة. و هذا تقرير لعداوه الشيطان و بيان لغرضه فى دعوته. ثم بيّن حال من أجاب الشيطان فى دعوته و من خالفه فيها فقال عزّ و علا:

٧- الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ... (٣) هذا حال الفئة الأولى أى المتابعين للشيطان وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَ أَجْرٌ كَبِيرٌ (٤) هذا وعد للفئة الثانية أى المخالفين لدعوته لعنه الله.

سوره فاطر (٣٥): الآيات ٨ الى ١١

أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسِرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٨) وَ اللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتَثِيرُ سَاحَابًا فَيَسْقِنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ (٩) مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصِيرُ عَدُ الْكَلِمِ الطَّيِّبِ وَ الْعَمَلُ الصَّالِحِ يَرْفَعُهُ وَ الَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَ مَكْرٌ أُولَئِكَ هُوَ يُبَوِّرُ (١٠) وَ اللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَ مَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَ لَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَ مَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَ لَا يُنْقِصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (١١)

ص: ٤٩٧

١- سوره ٣٥ - آيه ٦

٢- سوره ٣٥ - آيه ٦

٣- سوره ٣٥ - آيه ٧

٤- سوره ٣٥ - آيه ٧

٨- أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ... (١) أى هل إن من يعمل عملاً سيئاً و يعتقد أن عمله حسن، هو كمن لم يزين له سوء عمله فينظر إلى ما عمله فيراه غير حسن و أن عليه أن يجتهد و يجتهد في تحرى الأمور حتى يعرف الحق و يعمل بموجبه؟... ليس الأمر كذلك. فقد حذف الجواب الذى هو (كمن لم يزين له حسن عمله) أو (كمن اهتدى بهدى الله) فإن هذا التقدير أحسن و أنسب لدلاله ما بعده عليه و هو قوله تعالى فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ مَنِ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ (٢) فالمراد بمن يضلّه الله هو الذى ما شمله اللطف و العناية الربانيه لفرط عناده و غايه وجوده، و لذا كان لا يميّز الحسن من القبيح و يرى ما يفعله و يعتقد من القبائح كالشرك و التكذيب حسناً، و ما يتركه بزعم أنه قبيح كالإيمان بالله تعالى و التصديق لنيّه يكون فى الواقع حسناً، بخلاف المهتدى بهدايته سبحانه فإنه مشمول بألطف الله تعالى و مرحمه، و هو لا يزال متفحصاً عن الحق و الحقيقه و يكون الحق نصب عينيه، فبهدى الله يهتدى، و بعنايته يوفق للتمييز بين الحق و الباطل و الحسن و القبيح فيتبع الحسن فالأحسن، و يترك القبيح بجميع مراتبه. و الحاصل أنه تعالى يخذل من لا ينفعه اللطف، و يلطف بمن ينفعه. و

فى الكافى عن الكاظم عليه السلام أنه سئل عن العجب الذى يفسد العمل، فقال:

للعجب درجات: منها أن يزين للعبد سوء عمله فيراه حسناً فيعجبه و يحسب أنه يحسن صنعا فلا تذهب نفسك عليهم حسرات (٣) و ذهاب النفس كناية عن هلاكها. أى لا توقع نفسك فى المهلكه لأجل الحسرات عليهم و على غيهم و إصرارهم على تكذيبك. و الحسره شدّه الحزن على ما

ص: ٤٩٨

١- سورة ٣٥ - آيه ٨

٢- سورة ٣٥ - آيه ٨

٣- سورة ٣٥ - آيه ٨

فات من الأمرِ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (١) عارف بما يفعلون فيجازيهم عليه.

٩- وَ اللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ... (٢) ثم عاد سبحانه إلى أدله التوحيد و بيانها و ذكر شواهد القدره لأن في هبوب الرِّيح دليلاً ظاهراً على الفاعل القادر. و بيان ذلك أن الهواء قد تسكن و قد تتحرك و تتموج فتهب شرقه أو غربه و في تلك التحركات المختلفه قد تنشئ السَّحاب و قد لا تنشئه و هذه الاختلافات الناشئه من طبيعه واحده دليل واضح و برهان ساطع على مسخَر و مدبّر لها عليم حكيم في كمال القدره و غايه السَّيلطه. فريح الشمال و الدُّبور و الجنوب قد فَثِيرُ سَحَاباً (٣) و ذلك بأن تهيجه فَسَيْقَانُهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ (٤) التفات إلى التكلم يفيد الاختصاص، أى إلى أرض مجدبه فيمطر على ذلك البلد فَأَحْيَيْنَا بِهِ (٥) يعنى بمائه المستكن في السَّحاب الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا (٦) فأثبتت بعد يبسها. و

روى القمى عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه سئل عن السَّحاب أين يكون؟ قال يكون على شجر على كتيب على شاطئ البحر يأوى إليه، فإذا أراد الله عزَّ و جلَّ أن يرسله أرسل ريحاً فأثارته فوكل به ملائكته يضربونه بالمخاريق و هو البرق فيرتفع. و زاد فى الكافى: ثم قرأ هذه الآية: اللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ (٧)، الآية. .. كَذَلِكَ النُّشُورُ (٨) أى مثل إحياء الأرض إحياء الأرواح.

١٠- مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً... (٩) أى من أراد الشرف و العزَّ و التعالى فليطلبها منه بطاعته، فإنها كلها له و من عند دنيويه و أخرويّه إِلَيْهِ يَصْدُرُ كُلُّ الْكَلِمِ الطَّيِّبِ (١٠) أى التوحيد و الْعَمَلُ الصَّالِحُ يَزْفَعُهُ (١١) فى جملة يَزْفَعُهُ (١٢) احتمالات ثلاثة: الأول: أن الضمير المستتر فيها يرجع إلى العمل الصالح، و البارز يرجع إلى الكلم الطيب لأن التوحيد و هو قول لا إله إلا الله بغير العمل الصالح كالسحاب بلا مطر و كالفوس بلا وتر.

فالقول لا بدَّ و أن يعقبه العمل حتى يكون منتجا. و فى بعض الآيات بعد

ص: ٤٩٩

١- سورة ٣٥ - آيه ٨

٢- سورة ٣٥ - آيه ٩

٣- سورة ٣٥ - آيه ٩

٤- سورة ٣٥ - آيه ٩

٥- سورة ٣٥ - آيه ٩

٦- سورة ٣٥ - آيه ٩

٧- سورة ٣٥ - آيه ٩

٨- سورة ٣٥ - آيه ٩

٩- سورة ٣٥ - آيه ١٠

١٠- سورة ٣٥ - آيه ١٠

١١- سورة ٣٥ - آيه ١٠

١٢- سورة ٣٥ - آيه ١٠

الأمر بالإيمان بالله و رسوله أيضا أمر بالعمل الصالح و اَعْمَلُوا صَالِحًا (١) و الثاني:عكس الأول بمعنى أن الضمير المستكن يرجع إلى الكلم الطيب، لأن العمل من غير الموحّد ليس بنافع،فالتوحيد سبب لقبول الأعمال و مستلزم لإخلاص العمل.و الثالث:أن المقدر راجع إلى الله تعالى،أى أن الله سبحانه يرفع الأعمال الصالحة إليه و يجعلها فى حيز القبول.و على هذا الاحتمال الأخير يكون الكلام مستأنف غير راجع إلى ما قبله.يعنى كما أن الكلم الطيب يصعده إليه تعالى،فكذلك العمل الصالح يرفعه إليه و يقبله.و قيل هذه الجملة بيان لما يطلب به العزّه و هو التوحيد و العمل الصالح.و

فى الاحتجاج عن أمير المؤمنين عليه السلام: من قال لا- إله إلا-الله،طمست ذنوبه كما يطمس الحرف الأسود من الرق الأبيض،فإذا قال ثانياه لا إله إلا الله مخلصا خرقت أبواب السماء و صفون الملائكه حتى تقول الملائكه بعضها لبعض:اخشعوا لعظمه أمر الله،فإذا قال ثالثه مخلصا لا إله إلا الله لم تنته دون العرش،فيقول الجليل:اسكتى فو عزّتى و جلالى لأغفرنّ لقاتلك بما كان فيه.ثم تلا هذه الآيه إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَ الْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ (٢) يعنى إذا كان عمله خالصا ارتفع قوله و كلامه و الَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ (٣) أى المكرات السيئات بالنبي صلى الله عليه و آله فى دار الندوه حيث كان يجتمع عتاه قريش و جابرتها لتدبير المكائد لرسول الله صلى الله عليه و آله،و حيث تبوّأ أن يقوموا بواحد من الأمور الثلاثة حبسه،أو قتله،أو إجلائه عن وطنه مكّه،و هذا يشمل مكرات أصحاب السقيفه فإنّ هذه مولده من تلك الندوه الخبيثه التى كانت ضد النبي (ص)و عقبتها ندوه ضد الوصى (ع) لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ (٤) جزاء مكرهم الذى هُوَ يَبُورُ (٥) أى يبطل و لا ينفذ و يفنى.ثم إنّه سبحانه بعد ما بين حال أهل الإيمان و الكفر،عاد إلى بيان دلائل التوحيد و الدلائل مع كثرتها و عدم دخولها فى عدد محصور و إن كانت على قسمين:(آفاقيه و أنفسيه)فلمّا ذكر سبحانه شطرا من الشواهد الآفاقيه من السماوات و ما يرسل منها من الملائكه و الرياح و الأمطار،و الأرض و ما يولج فيها من المياه

ص: ٥٠٠

- ١- سورة ٢٣ - آيه ٥١
- ٢- سورة ٣٥ - آيه ١٠
- ٣- سورة ٣٥ - آيه ١٠
- ٤- سورة ٣٥ - آيه ١٠
- ٥- سورة ٣٥ - آيه ١٠

النازله من السماء و من الأموات و الحشرات و نحوها، و ما يخرج منها النباتات و الأشجار و الأنهار و المعادن و الأبدان يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعاً (١) و غيرها، أخذ سبحانه بذكر الدلائل الأنفسية فقال:

١١- وَ اللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ... (٢) إمّا باعتبار كون البشر تولدوا من آدم عليه السلام و هو مخلوق من التراب، و إمّا باعتبار أن بنى آدم و إن كانوا من النطف إلا- أن النطف مبادئها الأغذية التي هي فى مناهيها من التراب، فبنو آدم أولهم من التراب و هم مخلوقون منه كأبوهم. فضمير الجمع فى صدر الآية لعل بهذا الاعتبار. و أما قوله بعد ذلك ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ (٣) فهو باعتبار نسل آدم عليه السلام على ما هو المتعارف المعتاد ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجاً (٤) أى أصنافاً متنوّعة ذكراناً و إناثاً كقوله يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَاناً وَ إناثاً (٥) و يؤيّده قوله وَ مَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَ لَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ (٦) أى ذلك معلوم له تعالى لا لغيره و هو من الغيب الذى اختصّه بذاته المقدسه حتى أن و الأم الحامل لا تعلم منه شيئاً وَ مَا يَعْمَرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَ لَا يُنْقِصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ (٧) أى ما يزداد فى عمر من يطول عمره، و ما ينقص من عمره إلا فى ينقص من عمره ثابت و متحقق فى كتاب علمه سبحانه لعله اللوح المحفوظ و لا يعلمه غيره تعالى، و هو مما اختص به وحده إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٨) أى ما ذكر من الحفظ و النقص و الزيادة و الخلق فإنه كله سهل عليه جلّ و علا.

سورة فاطر (٣٥): الآيات ١٢ الى ١٤

وَ مَا يَشِيْتَوِى الْبِحْرَانِ هَذَا عَيْدٌ فُرَاتٍ سَائِعٍ شَرَابُهُ وَ هَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَ مِنْ كُلِّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَ تَشِيْتَخْرُجُونَ حَلِيَّةً تَلْبَسُونَهَا وَ تَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاحِرَ لِيَتَّبِعُوا مِنْ فَضْلِهِ وَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٢) يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَ يُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَ سَيَخِرُ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ (١٣) إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَ لَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَ لَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ (١٤)

ص: ٥٠١

- ١- سورة ٧٠ - آيه ٤٣
- ٢- سورة ٣٥ - آيه ١١
- ٣- سورة ٣٥ - آيه ١١
- ٤- سورة ٣٥ - آيه ١١
- ٥- سورة ٤٢ - آيه ٥٠
- ٦- سورة ٣٥ - آيه ١١
- ٧- سورة ٣٥ - آيه ١١
- ٨- سورة ٣٥ - آيه ١١

١٢- وَ مَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ... (١) العذب الهنيء شربه بخلاف المالح المر أو الشديد الملوحة. فالبحران من هذه الجهة ليسا بمتساويين. نعم من جهة استخراج المنافع و النعم كلاهما متساويان في ما فيهما من النعم المستخرجه إذ قال سبحانه وَ مِنْ كُلِّ مِنَ الْبَحْرَيْنِ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا (٣) هو الأسماك وَ تَسْتَخْرِجُونَ مِنْهُ تَلْبُسُونَهَا (٤) أى اللآلىء و اليواقيت و المرجان تجعل زينه و تلبس وَ تَرَى الْفُلُكَ فِيهِ مَوَاحِرَ (٥) على وزن فواعل يعنى جوارى تشقّ الماء شقًا من مخرت السفينه تمخر مخرا و مخورا إذا جرت بشده فشقت الماء بصددها مع صوت يسمع لِيَتَّبِعُوا مِنْ فَضْلِهِ (٦) أى من فضل الله بالانتقال فيها و التجاره بها و بركوبها و قيل:البحران هما مثلان للمؤمن و الكافر فإنهما لا- يستويان من جهة الإيمان و الكفر و لكن فى نظام عالم الوجود يستفاد من كليهما و ينتفع بهما و إلا- يلزم لغويّه خلق ما لا- فائده فيه و هو محال على الخالق الحكيم و الصانع العليم وَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٧) تحمدون الله الذى خلق لكم تلك النعم فإنكم إن تشكروها تزيد.

ص: ٥٠٢

- ١- سورة ٣٥ - آيه ١٢
- ٢- سورة ٣٥ - آيه ١٢
- ٣- سورة ٣٥ - آيه ١٢
- ٤- سورة ٣٥ - آيه ١٢
- ٥- سورة ٣٥ - آيه ١٢
- ٦- سورة ٣٥ - آيه ١٢
- ٧- سورة ٣٥ - آيه ١٢

١٣- يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ... (١) مرّ تفسير نصف هذه الشريفة الأول فلا نكرره، فصاحب هذه القدرة و العظمة ذلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ (٢) مدبّر هذه الأمور كلّها و خالق تلك النعم الجليله، و هو خالقكم و بارئكم الذى انحصر به ملك الدنيا و الآخرة، و أمّا المعبودات التى أشركتموها معه ف ما يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ (٣) أى لا يملكون القشره الرقيقه الملتفّه على النّواه. و هذه مبالغه فى القلّه، و لكنّها ليست مبالغه فى الواقع و نفس الأمر لأنهم لا- يملكون خلق شىء و لا إيجاده، فهم بحكم من لا يملك شيئاً، لأن معبوداتهم جمادات صماء بكماء، و هى مملوكه لمن يملك الأشياء بحذافيرها كبيرها و صغيرها.

١٤- إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ... (٤) لأنهم جماد و يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ (٥) أى باسراكم حيث يبرءون من عبادتكم إياهم و لا يُبْنِتُكَ مِثْلَ خَبِيرٍ (٦) أى يا محمد لا- يخبرك بحقيقه الحال و واقع الأمر مثل ما يخبرك العليم بالحقائق و البصير بالأمر و هو الله تعالى. ثم أخذ سبحانه فى بيان ما هو مستلزم لكونه حقيقاً بالمعبوديه و بطلان معبوديه غيره لعدم استحقاقه أبداً، و هو غناؤه المطلق الذى به أنعم على جميع الموجودات من الدرّه إلى الدرّه و فقر غيره غايه الفقر و نهايه الاحتياج بحيث لا يكون قابلاً لأى تعظيم و تكريم فكيف للعبوديه فقال تعالى:

سوره فاطر (٣٥): الآيات ١٥ الى ١٨

يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (١٥) إِنْ يَشَأْ يُدْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ (١٦) وَ مَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ (١٧) وَ لَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَ إِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يَحْمِلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَ لَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَ مَنْ تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ وَ إِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ (١٨)

ص: ٥٠٣

١- سوره ٣٥ - آيه ١٣

٢- سوره ٣٥ - آيه ١٣

٣- سوره ٣٥ - آيه ١٣

٤- سوره ٣٥ - آيه ١٤

٥- سوره ٣٥ - آيه ١٤

٦- سوره ٣٥ - آيه ١٤

١٥- يا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ... (١) أى أنتم المحتاجون إليه وَ اللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ (٢) عن عبادتكم و المستغنى على الإطلاق و المنعم على الممكنات طرًا بحيث استحقّ عليهم الحمد و الشكر الجزيل. و قوله الْحَمِيدُ (٣) إشاره إلى هذا أى جهه استحقاقه الحمد و الثناء الجميل.

١٦ و ١٧- إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ... (٤) هذا بيان لعدم الحاجه إليهم، و إظهار لكمال قدرته، و وعيد لهم بالإهلاك إذا لم يرجعوا عمّا كانوا عليه من الطغيان وَ ما ذلِكَ (٥) التهديد بإهلاكهم و الإتيان بغيرهم من العباد الصالحين عَلَى اللَّهِ بَعَزِيزٍ (٦) أى ليس ممتنعاً عليه و لا صعباً لديه فإنه يقول للشىء كن فيكون. و بالمناسبه نذكر حكاية لطيفه لأحد الأعلام الذين عاصروا الشيخ مرتضى الأنصارى رحمهما الله تعالى، و يسمّى بشريف العلماء، ففى سنه مجده لم ينزل فيها مطر أبدا طلب سكان القرى المجاوره من شريف العلماء أن يخرج بهم إلى الفلاه ليصلّى بهم صلاه الاستسقاء لعلّ الله تعالى يرسل الغيث من عنده. فخرج و صلّى بهم ثم رفع يديه نحو السماء و قال: اللهم إن أردت أن تهلك هؤلاء الجماعه بمنع المطر عنهم و تأتى بخلق جديد، فإنك قادر على ذلك، و لكن لم يأت خلق جديد إلا كان أسوأ من سابقه، فارحمهم برحمتك يا أرحم الراحمين. فما استتم كلامه حتى هطل المطر عليهم و عمّتهم الرحمه. فسبحان من هو لطيف بعباده.

ص: ٥٠٤

- ١- سوره ٣٥ - آيه ١٥
- ٢- سوره ٣٥ - آيه ١٥
- ٣- سوره ٣٥ - آيه ١٥
- ٤- سوره ٣٥ - آيه ١٦
- ٥- سوره ٣٥ - آيه ١٧
- ٦- سوره ٣٥ - آيه ١٧

١٨- وَ لَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى... (١) أى لا- تحمل نفس آثمه إثم نفس أخرى، بل كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ (٢) و أما قوله سبحانه:

وَ لِيَحْمِلْنَ أَثْقَالَهُمْ وَ أَنْتَقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ (٣) فإنه قول صدر بحق الضالين المضلين لغيرهم فإنهم يحملون أثقال إضلالهم للآخرين مع أثقال ضلالهم، و كل ذلك أوزار لأنفسهم و ليس فيها شيء من أوزار غيرهم وَ إِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ (٤) أى تطلب نفس مثقله بالذنوب إلى حملها (٥) إلى أن يتحمل عنها الآخرون شيئا من ذلك الحمل وَ لَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى (٦) و لو كان المدعو إلى التحمل صاحب قرابه بالنسبة إلى الداعي كابنه و أبيه و أخيه و أمه رغم إشفاق هؤلاء الأقارب عليه.

و عن ابن عباس أنه قال: يوم القيامة يقول كل واحد من الأب و الأم لابنه احمل عني وزرا واحدا فيقول الولد حسبي ما علي فأنت تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ (٧) أى الخائفين من بطشنا و عذابنا مع أنه غائب عنهم و لم يرده، فهم يصدقون رباً رأوه بعين عقولهم و آمنوا به و خافوا عذابه، غائبين عن عذابه. و هذا كقوله إِنْ مَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَنْ يَخْشَاهَا (٨) يعنى إنذارك لا ينفع إلا الذين يخشون ربهم فى خلواتهم و غيابهم عن الخلق، أو لا- ينفع إلا- الذين هم من أهوال القيامة خائفون مع أنهم ما رأوا الأهوال و لا العذاب لكنهم معتقدون بها وَ مَنْ تَزَكَّى (٩) أى طهر نفسه عن دنس المعاصى و الأوزار فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ (١٠) أى نفعه عائد إلى نفسه لا إلى غيره. و هذه الجملة معترضه مؤكده للخشية و إقامة الصلاه. فإنهما من شعب التزكية وَ إِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ (١١) أى هو تعالى يجازيهم على تزكيتهم فإنهم صائرون إليه.

ص: ٥٠٥

١- سورة ٣٥ - آية ١٨

٢- سورة ٧٤ - آية ٣٨

٣- سورة ٢٩ - آية ١٣

٤- سورة ٣٥ - آية ١٨

٥- سورة ٣٥ - آية ١٨

٦- سورة ٣٥ - آية ١٨

٧- سورة ٣٥ - آية ١٨

٨- سورة ٧٩ - آية ٤٥

٩- سورة ٣٥ - آية ١٨

١٠- سورة ٣٥ - آية ١٨

١١- سورة ٣٥ - آية ١٨

وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ (۱۹) وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ (۲۰) وَلَا الظُّلُّ وَلَا الْحُرُورُ (۲۱) وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ (۲۲) إِنَّ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ (۲۳) إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ (۲۴) وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ (۲۵) ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ (۲۶)

۱۹ إلى ۲۳- وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ... (۱)

أى لا يتساوى الكافر و المؤمن أو الجاهل أو العالم أو الأعمى عن طريق الحق و الذى يهتدى إليه و لا ظلمات الشرك و الضلال و نور الإيمان و الهدايه و لا الظلُّ و لا الحُرُورُ (۲) أى الحق و الباطل أو الجنه و النار. و تكرير لآ (۳) على الشقين لمزيد التأكيد، و الحرور من الحرّ غلب على السموم.

و قال القمى: الظل الناس، و الحرور البهائم. و ما يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ (۴) و هذا مثال آخر للمؤمن و الكافر فإن المؤمن قلبه حى بمعرفه التوحيد و الكافر قلبه ميت بالشرك و بالجحد و العناد و قال بعضهم: هذا تمثيل للعالم الذى يعمل بعلمه فإن قلبه منور بأنوار العلوم و بأنوار المعارف، بخلاف الجاهل فإن قلبه ميت بظلمه الجهل و عدم معرفه شىء. و هذه الجملة أبلغ من الأولى و لذا كرر الفعل فيها إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ (۵) أى من يريد هدايته فيوفقه للتفكر فى آياته و الاتعاظ بعظاته ففى النتيجة

ص: ۵۰۶

۱- سوره ۳۵ - آيه ۱۹

۲- سوره ۳۵ - آيه ۲۱

۳- سوره ۳۵ - آيه ۲۱

۴- سوره ۳۵ - آيه ۲۲

۵- سوره ۳۵ - آيه ۲۲

يصير موحدًا مؤمنًا بجميع ما جاء به النبي (ص) و ما أنت بمُجمعٍ من في القُبُورِ (١) أى من هم مصرّون على الكفر و الجحود و معاندون للحق.

و هذا ترشيح لتمثيل من هو مصرّ على الكفر بالأموات. فإنك يا محمّد لا تقدر أن تنفع الكفّار و تهديهم إلى الإيمان بإسماعك إياهم الآيات و العظات و النصّح إذ لم يقبلوا منك، كما أنك لا تقدر أن تنفع و تهتدى الأموات بالآيات و البراهين. و تأكيداً لهذا المعنى يقول تعالى: إِنَّ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ (٢) و ما عليك إلا الإنذار حيث أن هذا هو شغل النذير. و أمّا الاستماع و إلقاء أهل الكفر و التّفاق إلى الانتفاع بكلام أهل الحق فما هو شغلك لأنه ليس تحت قدرك و اختيارك فى المطبوع على قلوبهم.

٢٤- إنا أرسيناك... (٣) و إن من أمّه... (٤) أى لا- تكون أمه فى أى عصر من الأعصار إلا- و قد أتمنا عليها الحجة بإرسال رسول إليها أو وصّى رسول و قال القمى: لكل زمان إمام ٢٥ و ٢٦- و إن يكذبوك فقد كذب... (٥) هذه الكريمة تسليه للنبي صلى الله عليه و آله فقد كذب السابقون بالبينات بالزبر، أى الكتب السماويه كصحف إبراهيم و بالكتاب المنير (٦) كالتوراه و الإنجيل فأهلك المكدّبين فكيف كان نكير (٧) أى إنكارى بعقوبتهم و تدميرهم.

سوره فاطر (٣٥): الآيات ٢٧ الى ٣١

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيضٌ وَ حُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَ غَرَابِيبُ سُودٌ (٢٧) وَ مِنَ النَّاسِ وَ الدَّوَابِّ وَ الْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ (٢٨) إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَ أَفَامُوا الصَّلَاةَ وَ أَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَ عَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ (٢٩) لِيُؤْتِيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَ يَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ (٣٠) وَ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ (٣١)

ص: ٥٠٧

- ١- سوره ٣٥ - آيه ٢٢
- ٢- سوره ٣٥ - آيه ٢٣
- ٣- سوره ٣٥ - آيه ٢٤
- ٤- سوره ٣٥ - آيه ٢٤
- ٥- سوره ٣٥ - آيه ٢٥
- ٦- سوره ٣٥ - آيه ٢٥
- ٧- سوره ٣٥ - آيه ٢٦

٢٧- أَلَعَم تَرَ... (١) وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ... (٢) أى ذوات جدد، خطط و طرائق مُخْتَلِفٌ ألوانها (٣) أى ثمرات مختلفه الألوان وَ غَرَابِيبٌ سُودٌ (٤) عطف على جدد أى و منها ما هى شديده السواد لا خطط فيها. و هى تأكيد لمضمرة يفسره سُودٌ (٥) و قيل إن الغرابيب تأكيد للسود و تقدّم على المؤكد لمزيد التأكيد لما فيه من التأكيد باعتبار الإضمار و الإظهار. و التقدير: سود غرابيب. و الحاصل كأنه يقال إن الله تعالى أظهر قدرته فى الجبال فخلقها مثل الثمرات مختلفه فمنها جبال فيها جدد أى علائم و خطط و طرق، و هى مختلفه الألوان: بيض و حمر و سود غرابيب حالكه السواد أى شديده السواد.

و هذا أمر مشاهد يعرفه كل من ارتاد الجبال و رأى مسالكها.

٢٨- وَمِنَ النَّاسِ وَ الدَّوَابِّ وَ الأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ ألوانُهُ... (٦) أى كذلك، كاختلاف الثمار و الجبال تختلف ألوان الناس و الدوابِّ و الأنعام. و ذكر الأنعام بعد الدوابِّ من ذكر الخاص بعد العام لشرافتها على مطلق الدواب و اختصاص ألوانها بالذكر من بين أوصافها مع أنها، أى الثلاث، مختلفه كل واحد منها عن الأخرى بأوصاف أخر كما لا يخفى إذا كان الاختلاف

ص: ٥٠٨

١- سورة ٣٥ - آيه ٢٧

٢- سورة ٣٥ - آيه ٢٧

٣- سورة ٣٥ - آيه ٢٧

٤- سورة ٣٥ - آيه ٢٧

٥- سورة ٣٥ - آيه ٢٧

٦- سورة ٣٥ - آيه ٢٨

بحسب الأنواع الثلاثة، وإذا كان المراد من الاختلاف هو الاختلاف بين أفراد كل واحد من الأنواع بمعنى أن كل فرد من أفراد الإنسان لونه غير لون الفرد الآخر، فكذلك يختلف هذا الفرد مع الفرد الآخر في أوصاف آخر غير اللون أيضا من حيث الأوصاف الظاهرية. فالاختصاص لماذا؟ فيقال: يمكن أن يكون من باب أن تميز كل صنف من الآخر يكون غالبا باللون كتمييز الأسود من الأبيض أو من الأحمر أو الأصفر باللون. نعم إن أفراد كل صنف تميزها غالبا بالصّور وقد يكون باللون وغيره.

و الحاصل أنّ هذه الأشياء كما أنها في أنفسها دلائل، فهي كذلك في اختلافها لونا، وفي الثمرات طعما و ريحا و لونا... ثم إنّه تعالى بعد بيان قدرته على خلق الأشياء المختلفه الذوات و الألوان و غيرها قال عزّ من قائل:

إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ (١) وجه مناسبه تعقّب هذه الجملة لما قبلها من آيات القدره أن الخشيه منه تعالى دليل معرفته، ولذا نرى أنّ كلّ من كان أعرف بذاته المقدّسه كان أخشى له و أطوع. فنرى أن النبي إبراهيم و أمثاله صلوات الله عليهم إذا قام في محرابه سمع من صدره صوت كصوت القدر حينما يغلى فيها الماء، من خشيه ربّه. وإذا حضر وقت الصّلاه كان نبينا صلّى الله عليه و آله يتغيّر لونه الشريف إلى الصّيفره و الحمرة و كان مثل الذى فى حال نزعات الموت من كثره الخشيه و كان أثناء صلواته و تسيّحه يسمع له أزيز كأزيز المرجل، و كان وصيّه أمير المؤمنين صلوات الله عليه إذا هيا نفسه القدسيه لإقامه الصّلاه لا يلتفت يمينا و لا شمالا بل تنزع حينئذ من جبينه الشريف النبال التى كانوا يرمونه بها فى الحروب و لا يتأثر بذلك لكمال توجّهه إلى ربّه و غايه توغله فى ذاته و نهايه خوفه منه تعالى. و كان يغشى عليه فى مناجاته و يصير أثناءها كالخشيب اليابس،

و كان ولده الصادق عليه السلام لا يقدر على التلبيه و يقول: أخاف من ربّي أن يقال لى: لا- لييك و لا سعديك، و لم يزل كذلك حتى ظنّ أنه يكاد يخنق لدوران نفسه

ص: ٥٠٩

المقدسه، وهكذا سائر أولياء الله. فإذا كان الخوف ناشئاً عن المعرفة الناشئه عن التدبّر و التفكّر في الآيات و دلائل المعرفة، فهذه المناسبه ذكر هذه الجملة في ذيل الآيه الكريمة.

و المراد بالعلماء هم العارفون بالله و المتفكّرون في آياته و دلائل معرفته.

و لذا قيل تفكّر ساعه خير من عباده سنه، أو أربعين سنه أو أزيد، لأنه كلما زيد في معرفه الشخص زيد في إيمانه، و كلما زيد في إيمانه زيد في أجر أعماله، فإن الأجر زيادته و نقصه على قدر المعرفة زياده و نقيصه. و بالجملة شرط الخشيه معرفه المخشى و العلم بصفاته تعالى و أفعاله! فمن كان أعلم به كان أحشى منه.

قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله: إِنِّي أَخْشَاكُمْ لِلَّهِ، أَتَقَاكُمْ لَهُ، لِهَذِهِ الْجَهَّةِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ (١) فهو تعالى غالب في الانتقام، و معاقب للمصرّ على طغيانه، و غفور للتائب عن عصيانه، و هذه علّه لوجوب الخشيه لدلالته على ما قلناه في ترجمه الكريمة. و الذيل يدلّ على ما يوجب الخوف و الرجاء اللذين هما المطلوب من العبد. و

في المجمع عن الصّيا دق عليه السلام: يعنى بالعلماء من صدّق قوله فعله. و من لم يصدّق فعله قوله فليس بعالم. و عن بعض الأفاضل أنه يجوز دفع اسم الجلاله و نصب العلماء أى إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ (٢) على أن تكون الخشيه مستعاره للتعظيم، و فيه بعد لبعده المعنى الذى يجب أن يتبادر إلى الذهن. و في بعض مؤلّفات المحقق الطوسى ما حاصله أن الخشيه و الخوف و إن كانا في اللغه بمعنى واحد إلاّ- إن الخوف و الخشيه منه تعالى في عرف أرباب القلوب فرقا، و هو أنّ الخوف تألم النفس من العقاب المتوقع بسبب ارتكاب المنهيات و التقصير في الطاعات، و هو يحصل لأكثر الخلق و أن كانت له مراتب متفاوتة جدا. و الخشيه حاله تحصل عند الشعور بعظمه الحق و هيئته و خوف الحجب عنه، و هذه حاله لا تحصل إلاّ لمن اطّلع على حال كبرياء عزّ و جلّ و ذاق لذّه القرب. و لذا قال سبحانه: إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ (٣) و لم يقل إنما يخاف الله. فالخشيه خوف خاص، و قد يطلقون عليه الخوف تسامحا.

ص: ٥١٠

١- سورة ٣٥ - آيه ٢٨

٢- سورة ٣٥ - آيه ٢٨

٣- سورة ٣٥ - آيه ٢٨

٢٩ و ٣٠- إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ... (١) أى يقرءون القرآن أو يتبعونه بالعمل بما فيه وَ أَقَامُوا الصَّلَاةَ (٢) يحتمل أن يكون المراد هو قراءه القرآن فيها فأثنى سبحانه عليهم بذلك. فعلى هذا(الواو) حالته في قوله وَ أَقَامُوا الصَّلَاةَ (٣) و المعنى:الذين يقرءون القرآن فى صلاتهم.و يحتمل أن تكون لعطف الجملة على جملة يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ (٤) كما فى قوله وَ أَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ (٥) فالثناء على كل جملة بحيالها يَزُجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ (٦) و هى طلب الثواب و تحصيله من الله تعالى و هو الذى لن يكسد و لن يفنى بالخسران بل لا خسران فيه. فهؤلاء المؤمنون يفعلون ذلك لِيُؤَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ (٧) أى ينفقون أموالهم لوجهه تعالى لأجل أن يوفيهم الله أجور أعمالهم فيعطيهم إياها تامه كامله وَ يَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ (٨) أى ليزيد على ما يقابل أعمالهم من جوده و كرمه، فإنه ذو فضل و إحسان عظيم.و

فى المجمع عن النبى صلى الله عليه و آله: هو الشفاعة لمن وجبت له النار ممن صنع إليه معروفًا فى الدنيا إِنَّهُ غَفُورٌ (٩) لفرطاتهم شُكُورٌ (١٠) لطاعاتهم و مجازيهم عليها جزاء موفورا.و

عن عبد الله بن عبيد بن عمر الليثى أنه قال: جاء رجل إلى رسول الله و قال: يا رسول الله (ص) إنى أكره الموت، فما حيلتى؟ فقال له الرسول صلى الله عليه و آله: هل لك مال؟ قال: نعم.

قال: قدّم مالك، فان قلب كل امرئ وراء ماله أو قال: مع ماله، إن قدّمه أحب أن يلحق بماله، و إن أخره أحب أن يتأخر معه. ثم إنّه تعالى يخاطب رسوله (ص) فيقول عزّ و جلّ:

٣١- وَ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ... (١١) قوله مِنَ الْكِتَابِ (١٢) بيان من الموصول يعنى القرآن لِمَا بَيَّنَّ يَدَيْهِ (١٣) أى الكتب السماويه المتقدمه عليه إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ (١٤) عالم ببواطنهم بَصِيرٌ (١٥) بطواهرهم و بما هم عليه، و وحينًا إليك هو الحقّ دون غيره

ص: ٥١١

١- سورة ٣٥ - آيه ٢٩

٢- سورة ٣٥ - آيه ٢٩

٣- سورة ٣٥ - آيه ٢٩

٤- سورة ٣٥ - آيه ٢٩

٥- سورة ٣٥ - آيه ٢٩

٦- سورة ٣٥ - آيه ٢٩

٧- سورة ٣٥ - آيه ٣٠

٨- سورة ٤ - آيه ١٧٣

٩- سورة ٣٥ - آيه ٣٠

١٠- سورة ٣٥ - آيه ٣٠

١١- سورة ٣٥ - آيه ٣١

۱۲- سوره ۳۵- آیه ۳۱

۱۳- سوره ۳۵- آیه ۳۱

۱۴- سوره ۳۵- آیه ۳۱

۱۵- سوره ۳۵- آیه ۳۱

ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُأْتِنَ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ (۳۲) جَنَّاتٌ عِدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ (۳۳) وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ (۳۴) الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ (۳۵) وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ (۳۶) وَهُمْ يَصْطَرِّحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوْ لَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ (۳۷)

۳۲- ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ... (۱) الألف و اللام للعهد الذكري يعنى القرآن أو المراد هو الجنس فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ (۲) هذا التفصيل متفرع على قوله أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ (۳) ضميره ظاهرا يرجع إلى العباد، و قَسَمُوا ثَلَاثَةً أَقْسَامًا: قسم ظالم لنفسه بتحملهم الإثم و ذل المعصية و مِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ (۴) و هم الذين خلطوا عملا صالحا و آخر سيئا و مِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ (۵) أى المصطفين الأخيار الذين اختارهم الله من الأزل فهم السَابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ (۶) و هم ورثه الكتاب، أى محمد و آله الأطهار صلوات الله عليهم أجمعين و سائر الأنبياء عليهم السَّلام. فورثه الكتاب يدخلون الجنة بغير حساب، و المقتصدون أهل النَّجَاهِ و لو بعد مَدَّة، و الظالمون هم أهل النار على مراتب ظلمهم و درجات معاصيهم على اختلافها أعادنا الله منها و من النار. هذا و لكن

ص: ۵۱۲

- ۱- سوره ۳۵ - آیه ۳۲
- ۲- سوره ۳۵ - آیه ۳۲
- ۳- سوره ۳۵ - آیه ۳۲
- ۴- سوره ۳۵ - آیه ۳۲
- ۵- سوره ۳۵ - آیه ۳۲
- ۶- سوره ۵۶ - آیه ۱۰

٣٢- ثُمَّ أَوْزَنَّا الْكِتَابَ... (١) الألف و اللام للعهد الذكري يعنى القرآن أو المراد هو الجنس فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ (٢) هذا التفصيل متفرع على قوله أَوْزَنَّا الْكِتَابَ الَّذِينَ اضْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ (٣) ضميره ظاهرا يرجع إلى العباد، و قَسَمُوا ثَلَاثَةَ أَقْسَامٍ: قسم ظالم لنفسه بتحملهم الإثم و ذل المعصية و مِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ (٤) و هم الذين خلطوا عملا صالحا و آخر سيئا و مِنْهُمْ سَائِقٌ بِالْخَيْرَاتِ (٥) أى المصطفين الأخيار الذين اختارهم الله من الأزل فهم السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ (٦) و هم ورثه الكتاب، أى محمد و آله الأطهار صلوات الله عليهم أجمعين و سائر الأنبياء عليهم السلام. فورثه الكتاب يدخلون الجنة بغير حساب، و المقتصدون أهل النجاه و لو بعد مدّه، و الظالمون هم أهل النار على مراتب ظلمهم و درجات معاصيهم على اختلافها أعادنا الله منها و من النار. هذا و لكن

عن الرضا عليه السلام كما فى العيون أنه قال: أراد الله بذلك العتره الطاهره، و لو أراد الأمه لكانت بأجمعها فى الجنة لقول الله: فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ (٧) الآيه ثم جمعهم كلهم فى الجنة فقال: جَنَّاتٌ عِدْنٍ يَدْخُلُونَهَا (٨) فصارت الوراثه للعتره الطاهره لا لغيرهم و الأقوال و الروايات فى المقام كثيره. فمن أراد التفصيل فليراجعها من شاء فى مظانها. و فى روايات كثيره فسّر الظالم لنفسه بمن لا يعرف الإمام، و المقتصد من يعرفه، و السابق بالخيرات هو الإمام عليه السلام ذلك هو الفضل الكبير (٩) أى توريث الكتاب و الاصطفاء هو الإحسان الجزيل، و لا يعادلها إلا قليل من المناصب الإلهيه الموهوبه كالنبوه و الإمامه اللتين بينهما، و بين التوريث و الاصطفاء ملازمه، أى أنهما من لوازم النبوه و الولايه.

٣٣- جَنَّاتٌ عِدْنٍ يَدْخُلُونَهَا... (١٠) فى المعانى عن الصادق عليه السلام:

يعنى المقتصد و السابق. و هذا التفسير يؤيد ما قلناه فى تفسير الكريمه السابقه من حكم الأقسام الثلاثه جَنَّاتٌ عِدْنٍ (١١) معناه بساتين الإقامه، و يمكن أن يكون تفسيراً أفضلاً (١٢) كأنه قيل ما ذلك الفضل الكبير؟ فقال: هذا جَنَّاتٌ عِدْنٍ: و يجوز إن يكون بدلا من الفضل، أى ذلك الفضل جَنَّاتٌ عِدْنٍ أى دخولها يُحَلُونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ (١٣) مِنْ (١٤) فيها بيانيه للتحليه و أساور جمع سوار و هو زينه اليد و حليتها مِنْ ذَهَبٍ (١٥) من: تبعيضيّه، أى بعضها ذهب خالص و لَوْلُؤًا (١٦) يجوز أن يكون منصوبا بنزع الخافض عطفاً على الذهب و قرئ بالخفض أيضا و معناه بعضها لؤلؤ مصفى أو مرصع به و هذه حليه المرأه فكيف صارت جمله

ص: ٥١٣

١- سورة ٣٥ - آيه ٣٢

٢- سورة ٣٥ - آيه ٣٢

٣- سورة ٣٥ - آيه ٣٢

٤- سورة ٣٥ - آيه ٣٢

٥- سورة ٣٥ - آيه ٣٢

٦- سورة ٥٦ - آيه ١٠

٧- سورة ٣٥ - آيه ٣٢

٨- سورة ٣٥ - آيه ٣٣

۹- سوره ۳۵ - آیه ۳۲

۱۰- سوره ۳۵ - آیه ۳۳

۱۱- سوره ۳۵ - آیه ۳۳

۱۲- سوره ۳۵ - آیه ۳۲

۱۳- سوره ۳۵ - آیه ۳۳

۱۴- سوره ۳۵ - آیه ۳۳

۱۵- سوره ۳۵ - آیه ۳۳

۱۶- سوره ۳۵ - آیه ۳۳

يحلون حالا و صفه للرجال الذين يدخلون جنات عدن؟ نقول إن أصحاب كتاب عين المعاني نقل إن أساور الذهب المرصيه بها باللاكي و الزمرد الأخضر و غيرهما من الأحجار الكريمه كانت حليه ملوك العرب في الأعصار القديمه و اختصت بهم و امتازوا بها و قد تزينا بها بل كانوا يلبسونها كثيرا كما أن التيجان تختص بملوك الفرس و امتازوا بها. و لذا اختصها الله تعالى بالذكر و جعلها من ألبسه الجنه و حليها كما أنه تعالى ذكر من ألبستها الحرير، فقال و لِيَأْسُوهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ (١) و هو من أحسن ألبسه الدنيا و يعد من الأزمنه القديمه من أفرها و لذا لا يلبسها إلا الملوك و أرباب الثروه و الأموال.

٣٤ و ٣٥- الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ... (٢) أى بعد ما استقرروا فى جنات عدن و اطمأنوا من العذاب حمدوا الله و أثنوا على إذهابه الحزن عنهم، أى الحزن الناشئ من خشية العذاب و خوف النار، و كذلك هم الدنيا الذين كانوا مبتلين به فيها فاستراحوا منه أيضا إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ (٣) لفرطنا و تقصيرنا شُكُورٌ (٤) لطاعاتنا مجازينا عليها بالشواب الجزيل فهو الذى أحلنا دار المقامه من فضله (٥) أى أوردنا دار الإقامه من عطائه كرامته بعد تكليفنا بما استوجبنا به ذلك، و نَصَبٌ (٦) أى تعب و لا يمسننا فيها لُغُوبٌ (٧) كلال و اعياء إذ لا- تكليف فيها. و الفرق بين النَّصَب و اللُّغُوب أن النَّصَب سبب و اللُّغُوب مسبب منه. و اللُّغُوب عباره عن فتور و كلال يكون هو نتيجة حاصله من المشقه و التعب العارض على الإنسان أثناء عمله فى سبيل تحصيل أمر، و نفى النتيجة و المسبب بعد نفى السبب للمبالغه و التأكيد.

فى روضه الكافى ذكر الكلينى رحمه الله بسند معتبر صحيح أن الله سبحانه و تعالى بقدرته الكامله خلق حوارا و قصورا و أعلمهم أنى خلقتكم للمؤمن الفلانى فعرفه إياهم فيشتاقون إليه اشتياقا كثيرا بحيث ينتظرونه آنا بعد آنا. فإذا دخل المؤمن الجنه أخبروهم بقدمه فيستقبلونه مع أن المسافه بينهما سبعون سنه، فإذا وقع نظرهم عليه يطرون لكثره

ص: ٥١٤

١- سوره ٣٥ - آيه ٣٣

٢- سوره ٣٥ - آيه ٣٤

٣- سوره ٣٥ - آيه ٣٤

٤- سوره ٣٥ - آيه ٣٤

٥- سوره ٣٥ - آيه ٣٥

٦- سوره ٣٥ - آيه ٣٥

٧- سوره ٣٥ - آيه ٣٥

الفرح و السّرور فيخرج من بريق ابتسامتهم نور يضيء تلك المسافه فإذا دنا المؤمن منهم تعانقوا منهم مده سبعين سنه، ثم تأخذ الحور بيد المؤمن و يدخلنه القصر المختصّ به فيتكئ المؤمن على سريره و تقوم الحور و الغلمان فى خدمته. فهنا يقول المؤمن: الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن.

فلما ذكر سبحانه الجّه و ما أعدّه لأهلها و أنواع الجزاء و الثواب لهم، عقبه ببيان ما أعدّه للكفره من أليم العقاب فقال عزّ و علا:

٣٦- وَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ... (١) و الذين كفروا لهم نار جهنم فهي معدّه لهم فى الآخره لا يُقضى عليهم (٢) أى لا يحكم عليهم فيموتوا بموت ثان فيستريحوا من شدائد العذاب. و قوله فَيَمُوتُوا (٣) نصبه (بأن) المقدره حيث أنه وقع جوابا للنفي و لا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا (٤) فهم مع طول إقامتهم فى النار لا ينقص شىء من عذابهم بل كلما خبت زيدوا سعيرا كَذَلِكَ (٥) أى مثل ذلك العذاب و نظيره نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ (٦) كل جاحد كثير الكفران مكذب لأنبياء الله تعالى.

٣٧- وَ هُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا... (٧) أى يستغيثون بالصّيراخ و الصّياح قائلين: رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ (٨) فقد كنّا نعمل و نحسب عملنا صالحا، و قد تحقق و ثبت الآن خلافه لنا. فيقال لهم توبيخا أ و لَمْ نُعْمَرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ (٩) أوم نعظكم عمرا كنتم متمكّنين فيه من التفكّر و التذكر لو كنتم من أهل التذكّر و التدبّر. و هذا جواب من الله تعالى و تعبير لهم. و قوله ما يَتَذَكَّرُ فِيهِ (١٠) يتناول كل عمر يمكن فيه من التذكر و الروايات و الأقوال على أنه ستون و قيل إنه أربعون سنه و قيل ١٧ سنه و قيل ١٨ سنه. و المراد من الموصول هو العمر و جاءكم النذير (١١) أى الرسول أو الكتاب، أو الشيب، أو العقل لأنه الرسول الباطنى. و هذا القول عطف على معنى أ و لَمْ نُعْمَرْكُمْ (١٢) و لفظه لفظ استخبار و معناه معنى

ص: ٥١٥

١- سورة ٣٥ - آيه ٣٦

٢- سورة ٣٥ - آيه ٣٦

٣- سورة ٣٥ - آيه ٣٦

٤- سورة ٣٥ - آيه ٣٦

٥- سورة ٣٥ - آيه ٣٦

٦- سورة ٣٥ - آيه ٣٦

٧- سورة ٣٥ - آيه ٣٧

٨- سورة ٣٥ - آيه ٣٧

٩- سورة ٣٥ - آيه ٣٧

١٠- سورة ٣٥ - آيه ٣٧

١١- سورة ٣٥ - آيه ٣٧

١٢- سورة ٣٥ - آيه ٣٧

الإخبار، كأنه قيل: قد عمّرناكم و جاءكم النذير أى الشيب، و نعم ما قيل:

رأيت الشيب مذ نذر المنايا لصاحبه، و حسبك من نذير

و مثله:

لشيب رأسى جرى دمعى و لا عجا تجرى العيون لوقع الثلج فى القل

ثم إنه سبحانه بعد إخبارهم بأننا قد عمّرناكم و أرسلنا إليكم رسل التذكير و التحذير و ما تذكّرتم و ما تحدّرتم، ففرّج عليه بقوله:
فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ (١) أى ناصر: يدفع عنهم العذاب

سوره فاطر (٣٥): الآيات ٣٨ الى ٤١

إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٣٨) هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَ لَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا وَ لَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا (٣٩) قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَا ذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْهُ نَبِّئْهُمْ إِنَّ يَعْتَدِ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا (٤٠) إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَ لَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا (٤١)

ص: ٥١٦

٣٨- إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ... (١) أى عارف بمضمراتها، فغيرها أولى بأن يعلمه فلا يخفى عليه شىء من أسرار السماوات و خفيات الأرضين.

٣٩- هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ... (٢) أى: يا معاشر الكفرة إن الله تعالى أنعم عليكم بعد نعمه الوجود بأن جعلكم خلفاء فى أرضه مكان من كان قبلكم فى التصرف فيها و التسلط عليها، و ذلك لكى تقرّوا بتوحيده و تطيعوا و لاه أمره و نهيه من الأنبياء العظام و الرسل الكرام و أوصيائهم عليهم السلام، و كان هذا شكر تلك النعمة العظيمة و الموهبه الجسيمه فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ (٣) أى جزاء كفرة و ضرره فى الدنيا بأن ينقصها بأخذها منه عاجلا، و فى الآخرة بنار الخلود التى لا يخفف عذابها بل يزداد فى سعيها كما يشير إليه بقوله تعالى وَ لَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ (٤) الآية، و المقت هو أشدّ البغض، و الخسار هو الخسران فى الآخرة. و الأمران بيان لجمله فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ (٥) و التكرير لبيان أن كلّ واحد من الأمرين له اقتضاء خاصّ لكفر ناشئ عن اقتضاء قبحه. و الحاصل أن العمر كرأس المال، فمن اشترى رضا الله ربح، و من اشترى به سخطه خسر خسرا مبينا.

٤٠- قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ... (٦) أى يا محمد قل لهؤلاء المشركين أخبرونى عن الأوثان التى تعبدونها من دون الله ما ذا خلّقوا مِنَ الْأَرْضِ (٧)

ص: ٥١٧

- ١- سورة ٣٥ - آيه ٣٨
- ٢- سورة ٣٥ - آيه ٣٩
- ٣- سورة ٣٥ - آيه ٣٩
- ٤- سورة ٣٥ - آيه ٣٩
- ٥- سورة ٣٥ - آيه ٣٩
- ٦- سورة ٣٥ - آيه ٤٠
- ٧- سورة ٣٥ - آيه ٤٠

فيستحقون بذلك العبادة، فإذا عجزوا عن الجواب فقل لهم: أخبروني أم لَهْمُ شِرْكَ فِي السَّمَاوَاتِ (١) أى شرکه مع الله تعالى فى خلقها فاستحقوا بذلك شرکه فى الألوهية و العبودية أم آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا (٢) أى هل أرسلنا إلى الأوثان كتابا أو أرسلنا إلى عبده الأوثان رساله من عندنا بأن الأصنام شركاؤنا فى الألوهية؟ فَهَمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْهُ (٣) أى فهم حينئذ كانوا على حجة من كتابنا إليهم بأننا جعلناهم شركاءنا فهم يستحقون العبادة بمقتضى كتابنا و الناس الذين يعبدونهم معذورون؟ أى بتلك الشرکه الجعليه و بالجمله فاسألهم يا محمد بأى وجه من تلك الوجوه يعبدونها بَلْ إِنْ يِعِدُّ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا (٤) أى ليس لهم فى هذا الأمر حجة عقليه، لأن الأصنام مخلوقات منحوتات عاجزه و ليس لعاقل أن يعبد جمادا فاقدًا لكل شىء بل ليس لديهم حجة نقلية لأننا ما آتيناهم كتابا فيه أمر بجواز عباده الأصنام. فهذه العبادة لا عقليه و لا نقلية بل صرف تقليد لأسلافهم فى قولهم: هؤلاء شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ (٥) فوعده بعضهم، من الأسلاف أو الرؤساء، بعضا من الأخلاف أو الأتباع، فى فائده عبادتها من الشفاعة أو الأرزاق، ليس إِلَّا غُرُورًا (٦) أى مكرًا و خدعه لا حقيقه لهما، و طمع فيما لا يطمع فيه. و هذا هو معنى الغرور لغه.

٤١- إِنْ اللَّهُ يُمَسِّكُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ... (٧) أكد سبحانه بتقديم الفاعل و حقه التأخير، و بتصدير الجمله بكلمه إِنْ (٨) التى تفيد المبالغه فى مضمونها، أكد و حصر قضيه امساکهما فى ذاته المقدسه و لتبنيه البشر إلى کمال قدرته حتى يتفكروا و يتدبروا فى أن من هذا شأنه هو الذى له الأهليه للألوهية و يستحق العباده، لا الجماد المصنوع بيد المخلوق فقد أمسكهما أَنْ تَزُولَا (٩) أى لئلا تزولا. أو المعنى أنه تعالى يمنعهما من الزوال، فَإِنَّ الإِمْسَاكَ هو المنع من وقوع الشىء حيث إِنْ الممكن حال بقائه لا بد من ممسك و حافظ من وقوعه و زواله. و لكن السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ معلقتان من

ص: ٥١٨

- ١- سوره ٣٥ - آيه ٤٠
- ٢- سوره ٣٥ - آيه ٤٠
- ٣- سوره ٣٥ - آيه ٤٠
- ٤- سوره ٣٥ - آيه ٤٠
- ٥- سوره ١٠ - آيه ١٨
- ٦- سوره ٣٥ - آيه ٤٠
- ٧- سوره ٣٥ - آيه ٤١
- ٨- سوره ٣٥ - آيه ٤١
- ٩- سوره ٣٥ - آيه ٤١

غير تعليق بشيء من فوقهما وقائمتان بلا دعامة ولا عماد من تحتها، بل بقدرته الكاملة أمسكهما و بكلمه كن منعهما من الزوال و لئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده (١) كلمه إن (٢) نافية بمعنى (ما) النافية و من (٣) فى قوله من أحد (٤) زائده جىء بها تأكيداً. و قوله من بعده (٥) يرجع الضمير إلى الله سبحانه ظاهراً، و يحتمل أن يرجع إلى الزوال و المعنى أن السماوات و الأرض لا يمسكها غير الله جلّت قدرته. إنّه كان حليماً عفوراً (٦) ففى الروايه لما نسب اليهود و النصارى العزيز و عيسى إليه سبحانه بأن كل واحد منهما ابن الله كاد أن تزول السماوات و الأرض و تهدأ هداً و ينزل العذاب على كافه البشر لكنه تعالى عفا عنهم و إذا كان الأمر هكذا بالنسبه إلى إسناد إلا- بتيه إليه تعالى و اتخاذ ولد له، فكيف إذا قالوا بالألوهيه بالنسبه إلى الأوثان و قاموا و يعبدونها إلا أنه تعالى بفضله العميم و حلمه يرحم و يغفر للعباد الجهله حيث أمسكهما رحمه على العباد و لم يهدهما هداً و لم يفطرهما فطراً كما قال عزّ و جلّ تكاد السماوات يتفطرن منه و تنشق الأرض (٧) من شركهم.

سوره فاطر (٣٥): الآيات ٤٢ الى ٤٥

وَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنَ إِيحَادَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا (٤٢) اسْتَكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَ مَكْرَ السَّيِّئِ وَ لَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَ لَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا (٤٣) أ وَ لَمْ يَسْتَرْوُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَ مَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَ لَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا (٤٤) وَ لَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ وَ لَكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا (٤٥)

ص: ٥١٩

١- سوره ٣٥ - آيه ٤١

٢- سوره ٣٥ - آيه ٤١

٣- سوره ٣٥ - آيه ٤١

٤- سوره ٣٥ - آيه ٤١

٥- سوره ٣٥ - آيه ٤١

٦- سوره ٣٥ - آيه ٤١

٧- سوره ١٩ - آيه ٩٠

٤٢ و ٤٣- وَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ... (١) نقل أن قريشا قبل بعثه الرسول الأكرم سمعوا بأن اليهود والنصارى وغيرهما من الملل السابقين كذبوا رسلهم و انحرفوا عن شرعهم الذى جاؤوا به و لم يتابعوهم، فقالوا بشئ ما فعلوا برسلمهم بعد ما جاء وهم بالبينات، فحلفوا بأيمان غليظه غايه وسعهم و طاعتهم لئن جاءهم رسول نذيرٌ (٢) و بشير من عند الله ليكوننَّ أهدى (٣) إلى قبول قوله و أتباعه من الأمم الماضيه على ما أخبر عنهم سبحانه و تعالى فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ (٤) أى محمّد صلى الله عليه و آله ما زادهم إلا نُفوراً (٥) أى تباعدا عن الهدى و تنافرا عن الحق استكباراً فى الأرض (٦) أى تكبيرا و تجبيرا و عتوا على الله و أنفه من أن يكونوا تبعا لغيرهم فى الأرض يعنى أنهم كانوا يرون الإيمان عارا عليهم لأنه يلزمهم باتّباع الرسول و مكر السيئ (٧) عطف على استكباراً (٨) و الاستكبار يحتمل أن يكون بدلا من نُفوراً (٩) أو يكون مفعولا له، أى ينفرون للاستكبار، أو مفعول مطلق للفعل المحذوف أى يستكبرون استكبارا أو يكون حالا بمعنى مستكبرين. و مكر السيئ يحتمل أن يكون (و أن مكروا المكر السيئ) فحذف الموصوف للاستغناء بوصفه و أوّل الفعل مع (أن) المصدرية و بدّل بالمصدر فأضيف المصدر إلى السيئ. و يدل على التبدل و الإضافه قوله تعالى وَ لَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ (١٠) أى لا ينزل و لا يلزم المكر السيئ أى جزاؤه

ص: ٥٢٠

- ١- سورة ٣٥ - آيه ٤٢
- ٢- سورة ٣٥ - آيه ٤٢
- ٣- سورة ٣٥ - آيه ٤٢
- ٤- سورة ٣٥ - آيه ٤٢
- ٥- سورة ٣٥ - آيه ٤٢
- ٦- سورة ٣٥ - آيه ٤٣
- ٧- سورة ٣٥ - آيه ٤٣
- ٨- سورة ٣٥ - آيه ٤٣
- ٩- سورة ٣٥ - آيه ٤٢
- ١٠- سورة ٣٥ - آيه ٤٣

إِلَّا بِأَهْلِهِ (١) بفاعله و هو الماكر. قيل و قد نزل بهم يوم بدر كل ما قصدوا أن يفعلوه بالنبي الأكرم و أصحابه من القتل و الجلاء و السبي و نحوها من أنواع الإيذاء و الإضرار فحل ذلك كله بقريش المتكبره على أيدي رسول الله صلى الله عليه و آله و أيدي المؤمنين به.

و فى الحديث نقلًا بالمعنى: من حفر بئرا لأخيه وقع فيه. و وصف المكر بالسئىء احترازًا عن المكر الحسن كما فى مكر المؤمنين بالكفره حين القتال على وجه الحسن. و كل نهى عن المكر فالمراد به المكر السئىء، و هو ما كان أصله كذبا و خديعه و تأسيسه كان على الفساد كما فى غير موارد المستثناة.

و من المكر السئىء ما فى روايات أهل التواريخ من أنه فى بعض الأزمنه كان رجلان عندهما دنانير مسكوكات من الذهب فخافا عليها من التلف فذهبا بها إلى الجبل و رأيا هناك شجرا مجوفًا فارغ الجذع فأدخلا الذهب فى جوف شجره خوفًا من السرقة و رجعا فجاء واحد منهما ليلا- و أخرج الدنانير و ذهب بها إلى داره و أخفاها. و بعد مدته اتفقا أن يذهبا ليخرجاها فلما دنيا من الشجره لاخراجها لم يجداها. فأخذ السارق بيد الآخر و قال: أنت جئت و أخرجتها. فحلف بأيمان غلاظ أنى ما جئت من يوم فارقتك إلى هنا أبدا، فما أفاد الحلف شيئا، و قال: امش معى إلى القاضى فذهبا إليه و ادعى السارق على الآخر أنه أخذ المال من المكان الفلانى. فأنكر الآخر إنكارا شديدا. فطلب القاضى من المدعى الشاهد. فقال: شاهدى هو نفس الشجره التى أدخلنا المال فى جوفها. فتعجب القاضى من كلامه و لم ير طريقا إلا أن يذهب إلى الشجره و يسألها الشهاده. فلما أصبح الصبح مشى مع جماعه من أهل البلد إلى الجبل حتى وصلوا إلى الشجره. و قد مكر السارق بأن ذهب ليلا مع أخيه و أدخله جوف الشجره حتى إذا سأل القاضى الشجره فهو يجيبه بأن المال عند المنكر و أنه جاء ليلا و أخذ المال.

فسأل القاضى الشجره: من أخذ المال من جوفك؟ فأجاب من جوف

ص: ٥٢١

الشجره أن الآخذ هو المنكر، فتعجبوا جميعاً. لكنّ القاضي قد أحسّ بأنّ الصوت صوت إنسان من ناحيه، و من ناحيه اخرى قال في نفسه: هذا الإنسان ماذا يفعل في جوف الشجره؟ فأمر بإحراق الشجره حيث رأى صدور أمر خارق للعادة في الشجره و هو النطق أو لعلّ خطر بياله أنّ هذه الشجره تصير بعد ذلك معبوداً للعوامّ الذين هم كالأنعام. فلما وصلت النار إلى جوف الشجره خاف الرجل من الحرق و نادى بصوت عال: أيها الناس ادركوني قبل أن أحترق، فأخرجوه، فاستخبره القاضي فأجابه بما جرى بينه و بين أخيه السارق، فافتضح الماكر بمكره السيء، فأمره القاضي بإحضار المال و أعطاه للآخر و أمر بقطع يد السارق فوقع في جبّ حفره لأخيه فهلّ ينتظرون إلاّ سُنَّتِ الْأَوَّلِينَ (١) أى هل ينتظرون؟ وهذا الاستفهام بمعنى النفي، يعنى لا ينتظرون إلاّ ما جرت به عاده الله في الأمم الماضيه من الإهلاك حينما كذبوا رسلهم، و نزول العذاب عليهم جزاء على كفرهم فهم إن كانوا ينتظرون غير ذلك فلنّ تجدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا (٢) أى تعويض العذاب بالثواب هو خلاف ما جرت به عاده الله و كذلك العكس و لكنّ تجدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا (٣) أى لن تجد نقل العذاب عن مستحقّه إلى غيره يعنى من المكذّبين الماكرين إلى غيرهم حيث إن السنّه جرت على عدم التحويل، و هذه السنه لا تتغير و لا تتبدل و الفرق بين التبديل و التحويل ظاهر و مبان فإن الأول هو إعطاء الشىء و أخذ العوض عنه، و الثانى عبارته عن نقله من موضع إلى آخر.

و بعبارته أخرى: الأول عبارته عن التعويض فى ذات الشىء كتبديل الحنطه بالشعير و الخوف بالأمن، و الثانى عبارته عن التعويض المكانى أى تغيير مكان الشىء. و إلاّ فالشىء فى المكان الثانى هو نفس الشىء فى المكان الأوّل كتحويل زيد من دار إلى أخرى، فلا تكرار فى الجملتين. و لو فرض التكرار فللمبالغه فى تهديد المسيء الماكر.

٤٤- أَوْ لَمْ يَسْتَبِيحُوا فِي الْأَرْضِ... (٤) الاستفهام للإنكار يعنى لا بدّ لهم من السّير فى الآفاق فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ (٥) هذه

ص: ٥٢٢

١- سورة ٣٥ - آيه ٤٣

٢- سورة ٣٥ - آيه ٤٣

٣- سورة ٣٥ - آيه ٤٣

٤- سورة ٣٥ - آيه ٤٤

٥- سورة ٣٥ - آيه ٤٤

الكريمه استشهدا عليهم بما يشاهدونه فى مسارهم إلى الشام و اليمن و العراق من آثار الماضين و ديارهم العاتيه مثل قوم عاد و ثمود و لوط و كانوا أشدّ مِنْهُمْ قُوَّةً (١) و كانوا أطول منهم أعمارا و ما أغنى عنهم طول المدى و شدّه القوى فأهلكوا بالطواغيت و الظلمه و العذاب و غيرها من الآيات النازله عليهم، فهذه آثارهم فانظروا فيها و اعتبروا إن كنتم تعقلون و ما كان الله ليُعجزه مِنْ شَيْءٍ (٢) أى ما من شىء يعجز الله و يسبقه أو يفوته لو أراد أن يهلكه أو يعذبه لا فى السماوات و لا فى الأرض إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا (٣) بالأشياء كلّها قَدِيرًا (٤) عليها جميعها لا يفوت قدرته شىء.

٤٥- وَ لَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ... (٥) أى لو يؤاخذهم بذنوبهم ما تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا (٦) أى ظهر الأرض مِنْ دَابَّةٍ (٧) من نسمة تدبّ عليها بشؤم معاصيهم و لكنّه يُؤَخِّرُهُمْ (٨) و يمهلهم إلى أَجَلٍ مُّسَمًّى (٩) أى يوم الحشر الأكبر فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا (١٠) فيجازى كل واحد بما عمل إن خيرا فخير و إن شرا فشرّ.

ص: ٥٢٣

- ١- سورة ٣٥ - آيه ٤٤
- ٢- سورة ٣٥ - آيه ٤٤
- ٣- سورة ٣٥ - آيه ٤٤
- ٤- سورة ٣٥ - آيه ٤٤
- ٥- سورة ٣٥ - آيه ٤٥
- ٦- سورة ٣٥ - آيه ٤٥
- ٧- سورة ٣٥ - آيه ٤٥
- ٨- سورة ٣٥ - آيه ٤٥
- ٩- سورة ٣٥ - آيه ٤٥
- ١٠- سورة ٣٥ - آيه ٤٥

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ
الزمر: ٩

عنوان المكتب المركزى

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آواده اى، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلى، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكترونى : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزى ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥

هاتف المكتب فى طهران ٠٢١ - ٨٨٣١٨٧٢٢

قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩ شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.

مركز
للبحوث والتحريرات الكمبيوترية
اصبهان
الغمامية



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

